



المؤتمر العالمي الثاني عشر لبيدع الزمان سعيد النورسي
الإيمان في حياة الفرد والمجتمع

الإيمان في حياة الفرد والمجتمع

3-4 أكتوبر
2021
اسطنبول



İSTANBUL İLİM VE KÜLTÜR VAKFI

THE ISTANBUL FOUNDATION FOR SCIENCE AND CULTURE
مؤسسة اسطنبول للثقافة والعلوم

المؤتمر العالمي الثاني عشر
لبديع الزمان سعيد النورسي
الإيمان في حياة الفرد والمجتمع



İSTANBUL İLİM VE KÜLTÜR VAKFI
THE ISTANBUL FOUNDATION FOR SCIENCE AND CULTURE
مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم

عنوان الكتاب
المؤتمر العالمي الثاني عشر لبديع الزمان سعيد النورسي
الإيمان في حياة الفرد

إدارة التحرير : سعيد يوجه .
المحرر : أميد نجم الدين المفتي .
تصميم الغلاف : محمد أوزون .
التصميم الداخلي : محمد الهادي وناس , علي سليم حنيقة

Adres: Kalenderhane Mah. Dedeefendi Cad. Cüce Çeşmesi Sk. No: 6,
34134 Vefa-Fatih / İstanbul, Türkiye
Telefon: +90 212 527 8181 Faks:+90 212 527 8080
E-posta: iikv@iikv.org

İstanbul İlim ve Kültür Vakfı'nın hediyesidir. Para ile satılmaz.

المؤتمر العالمي الثاني عشر
لبديع الزمان سعيد النورسي
الإيمان
في حياة الفرد والمجتمع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



İSTANBUL İLİM VE KÜLTÜR VAKFI

THE ISTANBUL FOUNDATION FOR SCIENCE AND CULTURE

مؤسسة اسطنبول للثقافة والعلوم

الآن تقدم للقراء والباحثين وقائع المؤتمر كاملة ، بكلمات المؤتمر الافتتاحية وبحوثه العلمية المقدمة باللغة العربية ، التي كانت تحت المحاور الآتية:

1. الإيمان في حياة الفرد.

2. الإيمان في حياة المجتمع.

3. دور الإيمان في تأسيس ثقافة التعايش رغم الاختلافات.

4. أساليب شرح ومفاهيم الإيمان في رسائل النور .

وكان عدد البحوث المقبولة في ضلال هذه المحاور باللغة العربية (36) ستة وثلاثين بحثاً ، وقد قدمت من قبل باحثين منتمين إلى مؤسسات علمية مختلفة ، وتابعة لبلدان متعددة شرقاً وغرباً ، وهي: تركيا ، ومصر ، والجزائر ، والعراق ، والسودان ، والمغرب ، وتونس ، والهند ، والنيجر ، وتايلاند ، وأندونيسيا ، ومالي .

على أمل أن تتوالى اللقاءات العلمية ، وتقر أعيننا بجهود أخرى تخدم الإيمان وحقائقه ، وهي تريد بناء الحضارة القرآنية وتجسيد معالمها في الواقع ، عن طريق الموسوعة الإيمانية العصرية (رسائل النور).

**الأستاذ الدكتور
أميد نجم الدين المفتي .**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث بالرحمة للخلق أجمعين سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد:

لقد كانت وما زالت رسائل النور تلبّي الحاجة ، حاجة العصر ومتطلباته في محور الإيمان وحقائقه ، تتكلم بلغة جديدة يسمعها جيل العصر بالقلوب ، وهي تهتم بالحياة وتريد أن تعيد لها السعادة ، ينتعم في ضلالها الفرد ثم المجتمع بونام وهدوء وسلام في الفكر والتوجه ، ويواجه السيل العرم الذي يريد هلاك والتدمير للبلاد والعباد ، فالعمل جبار ، والعدة لا بد أن تتصف بالمتانة والقوة والصلابة ، كي تكون متوازنة ومتكافئة.

فالثورة الفكرية والعلمية التي نبعت من يراع ولسان الأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله تعالى ثورة تريد إحياء الإيمان وتنميته وتجديده وترسيخه ، وتخاطب الفطرة والقلب والعقل بلسان مفهوم سلس ، وهي في الوقت نفسه قوية ومتينة وأمينية ، بغض النظر عن المستوى المعرفي والحدود الجغرافي المرسوم ، واختلاف الألوان والأجناس.

وقد فتح الله بفضل القلوب لهذه النسائم الإيمانية ، وظهر على إثرها جيل تربّى بالقرآن ، جامعاً بين الأصالة والحداثة ، ورابطاً في الثغور ، وهو مخلص في انتمائه إلى الحقائق ، ومتفتح على العصر ومتطلباته ، ومرتبطة في نفس الوقت مع السماء والغيبيات ، يريد الإحسان إلى الكل ، ويؤمن بالسعي المشترك مع الاختلاف في الوسائل والتفكير والمعتقد ، ويحاول جمع الشتات على مائدة كريمة نبعت من فيوضات كتاب الله وبركاته. كل هذه ، كانت بفضل التوجه والتسليم إلى شمس الشريعة والقرآن الكريم بالإخلاص ، وكذلك الحركة تحت سيادة المعصوم من القرآن والسنة النبوية الشريفة.

فهذه رسائل النور ، تتطلع بهدوء ، وتسير بإخلاص ، وتخطط للمستقبل ، وتتعامل مع المستجدات بروي وحكمة ، وتخاطب النفوس والقلوب بأسلوبها الجذاب الفعال ، وتركز على العمل والجدية فيه ، ولا تلتفت إلى الثمار والنتائج ، بل تحيلها وتسلمها إلى العليم الحكيم القدير ، الله سبحانه.

ومن هذا المنطلق ، مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم عقدت المؤتمر العالمي العلمي الثاني عشر لبديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله تعالى ، تحت عنوان: (الإيمان في حياة الفرد والمجتمع) للفترة 4.5.3 من شهر أكتوبر ، سنة 2021 ، وباللغات: التركية والعربية والانجليزية والإسبانية. وما هي

وصدق الرجل فيما ذهب إليه ولذلك حينما سألوه بعض الأسئلة قال اليوم يوم عن تحقيق الإيمان لله تعالى وليس يوم البحث عن الفلسفة أو حتى السياسة أو غير ذلك فالأصل الأساسي للأمة هو الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر وهذا الإيمان هو الذي يصنع الرجال يصنع الأمة العادلة والقوية والموحدة الأمة التي تستطيع أن تقوم بواجبها في التعمير وفي تحقيق الاستخلاف وفي تحقيق الاكتشافات والإبداعات لخدمة المسلمين بل لخدمة الإنسانية جمعاء .

كلمة الشيخ علي القره داغي الأمين العام لاتحاد العلماء المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن تبع هداة إلى يوم الدين.

أصحاب الفضيلة والسماحة اخوتي الكرام أخواتي الكريمات، أحبيكم جميعا بتحية طيبة مباركة وهي تحية الإسلام هي السلام فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته. يشرفني أن أكون معكم في هذا المؤتمر العظيم الذي يتحدث عن عالم رباني عظيم وعن مجتهد ومجدد حكيم ألا وهو الإمام الشيخ سعيد النورسي رحمه الله رحمة واسعة فكلما تعمقنا في رسائله كلما أدركنا أن هذا الرجل كان حكيما بكل ما تعنيه هذه الكلمة فقد وضع النقاط على الحروف والدواء على الجرح لأنه أدرك فعلا وكشف أن أخطر شيء يهدد الإنسانية داخل العالم الاسلامي وخارجه هو الابتعاد عن الله سبحانه وتعالى لأن الايمان بالله هو منبع كل الخيرات في الدنيا والآخرة.

واليوم حينما تلقي نظرة إلى العالان الاجمع سواء كلنت هذه النظرة تشمل الجوانب البيئية التي تعاني من مشاكل اوزون وسوء المناخ والمشاكل الكبرى أم ننظر ألة الجوانب الاقتصادية من حيث الفقر والبطالة والجوع أو من حيث الكوارث والجوايح العالمية أو من حيث تعامل الناس مع كل هذه المشاكل لأدركنا حقا إن القضية هي قضية الإيمان وأن الحياة دون إيمان هي حياة الغابة وأن الإيمان بالله سبحانه وتعالى واليوم الآخر هو الذي يلطف هذه الأجواء ويجعل هذه الدنيا جميلة متزينة متحققة أهداف الانسان ومحقة أيضا أهداف الإنسان في الدنيا والآخرة.

لذلك أولى شيخنا الشيخ سعيد النورسي رحمه الله هذه العناية القصوى في ذلك الوقت المبكر وعلى الرغم من أنه لم يغفل كما في خطبته الشامية عن بقية مشاكل الأمة الإسلامية ولكنه أرجع كل هذه المشاكل إلى الإيمان الفعال إلى الإيمان الحقيقي إلى الإيمان الإيجابي إلى الإيمان المحرك المفجر للطاقات الإنسانية الجميلة والمفجر لينايبع الرحمة والحكمة.

فلذلك أولى الشيخ النورسي رحمه الله في معظم كتبه واعتمد في ذلك على النبيوع الصافي وهو القرآن الكريم ولا شك أن معه المبين له وهو السنة النبوية المشرفة انطلق من القرآن الكريم ومما تبينه السنة بقدر ما استطاع في ذلك الوقت فبنى فعلا هذا البناء المرصوص الذي إذا اعتمدنا عليه والايمان الحقيقي بالله فازت الأمة وهو كان يعيش في ضلال هذه الآية الكريمة ”ياايها للذين آمنوا آمنوا“ (سورة النساء 136) سبحان الله الذين آمنوا كيف يؤمرون بالإيمان مرة أخرى فهم الشيخ النورسي رحمه الله أن الجانب الأولى هو الجانب النظري والتصديقي الذين آمنوا وصدقوا ولكن الإيمان الثاني هو الإيمان العملي إيمان التفعيل إيمان التقجير لطاقت هذه الأمة..آمنوا.. أي فعلوا إيمانكم جعلوا هذا الإيمان اشعاعا شعلة مضيئة في سماء الدنيا وفي سماء حياتكم وفي قلبكم وداخلكم وفي خارجكم.

فعلوا هذا الإيمان وإذا فعل هذا الإيمان يكون له آثار العزة آثاره في الكرامة في التقوى آثاره في صناعة أمثال سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام حين تزينت له هذه المرأة بكل جمالها وقوتها وجاهاها ولكن الإيمان المفعل منعه فقال معاد الله إنه ربي أحسن مثواي.

هذا الإيمان الذي صنع الأمة الإسلامية الذي جعل هذه البننت الصغيرة تقول إن كان هذا الأمر خافيا على عمر فإن رب عمر لن تخفى عليه شيء ولن تخفى عليه خافية هذا الإيمان الذي يجعل في قلب الإنسان تقوى بحيث يصل هذا الإنسان إلى هذه المرحلة أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

معظم مشاكلنا داخل الأمة الإسلامية سواء كانت هذه المشاكل تعود إلى الظلم والطغيان أو إلى الفساد والعدوان أو تعود إلى هذه المشاكل التي نراها في هذا العالم حقيقة تعود إلى عدم الإيمان أساسا أو إلى أن هذا الإيمان ليس مفعلا كما يريد الله سبحانه وتعالى.

انتهاز هذه الفرصة لأن نعود فعلا إلى هذا الإيمان الحقيقي الذي دعا إليه القرآن الكريم وركز عليه وأتى بكثير من الأمثلة والقصص وتبناها شيخنا النورسي من خلال أسلوبه الجميل ومن خلال رسائله

ومن خلال اشعاعاته فجزى الله عن الإسلام والمسلمين خيرا وحشره مع الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام ونحن جميعا وجميع المحبين معهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر وما ذلك على الله بعزيز .

ولا يسعني في آخر كلمتي إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل والدعاء والثناء لإخواني الذين هياؤ هذا المؤتمر وقدموا كل هذه الجهود المباركة وأكرمونا بالمشاركة في هذا المؤتمر فبارك الله فيم جميعا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة الأستاذ الدكتور علي ارباش رئيس وزارة الشؤون الدينية التركية

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إن عقد مؤتمر يتسم بعنوان (الإيمان في حياة الفرد والمجتمع) و يبحث عن أهمية الأخلاق في عصر تكالبت وتكاثرت فيه الفتن والمصائب المادية والمعنوية ليسعدني كثيرا فأريد أن اشكر القائمين على هذا المؤتمر وارجو من الله للباحثين التوفيق والسداد.

أعزائي الحاضرون:

ان الإيمان هو تطهير القلب من الدنس والضلال وربطه برب العزة والجلال , وقد تم ذكر كلمة الإيمان في القرآن الكريم مايقارب 800 مرة ومن اسمائه تعالى (المؤمن) ولقب ملك الوحي هو (الأمين) واهم صفات نبينا صلى الله عليه وسلم والانبياء أجمع هي الأمانة وإن أكثر ما يستخدم بصيغة الخطاب في القرآن الكريم هي (ياأيها الذين آمنوا) فكل هذا يدلنا على مدى أهمية الإيمان.

فالإيمان يكسب الإنسان قيمة كبيرة حيث يعرفه بماهيته ويشرح له واجباته ويخلصه من القيود الى الحرية فيالها من نعمة عظمي والإيمان ايضا هو مرشد رباني يغوص بالانسان في اعماق بحر الرحمة ويجعله مظهرا للطف الالهي ودليل ذلك ما ذكره تعالى في كتابه الكريم في النساء "قَأْمًا الَّذِينَ أَمْثُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا" (سورة النساء:175)

إخوتي الأعزاء:

إن ديننا الحنيف يطلب منا إيمانا راسخا قويا ينعكس على حركة الجوارح ولذلك نجد القرآن الكريم

فالكاتبنا المبين الذي دعانا للإيمان هو نفسه من اوصانا بالعلم وحثنا على التفكير والتعقل والتدبر بل ويعاتب ايضا الإنسان الذي يسيء استعمال الة العقل.

وفي الحقيقة أنه باهمال الإيمان ورفض العلم والاكتفاء بالتقليد لايمكن الترقى ابدا وقد لاحظ الإمام النورسي ذلك جيدا فنهج منهاجا شاملا قائما على دمج العلوم الكونية بالعلوم الشرعية وقام بتثبيت الإيمان في النفوس عبر تفسيره للآيات الجليلة عن الكون والطبيعة في القرآن. وقد ذكر ان سبب التخلف الحاصل الان هو البعد عن الحقيقة وقد عبر عن الحقيقة بقوله (ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة).

الحاضرون الأعزاء :

ان الدنيا تمر بمرحلة تغيير وتغير مسرع مما يؤثر ذلك على الأئسان وبالاخص فئة الشباب , فمراجعة مايعمهم والإجابة عن متطلباتهم وتساؤلاتهم مهم جدا فواجبنا العمل على ذلك بكل جد واقدام.

فالإيمان مهم في هذه النقطة فهو الذي يساعد في بناء شخصية متكاملة مبنية على الاخلاق تساعد في التواصل الانساني ويساهم في تاسيس مجتمع آمن . فمن واجبنا اذا تقوية مفاهيم الايمان عند الشباب ودعم ذلك بالمعلومات الصحيحة وايضا انشاء سدود وموانع امام مايجر الى ضعف الإيمان.

ومن المعلوم أن أهم السبل وطرق ارشاد الأطفال والشباب هي القدوة الحسنة وأن نتمثل بما نقوم بتعليمهم وإظهار ذلك على حياتنا الشخصية ولنا في ذلك رسولنا الكريم قدوة حيثن أنه يبلغ ويعيش مايبليغ فنجده يطعم الطعام ويكفل الأيتام وينتصر للمظلوم فيجب علينا إذا بالإلهام الذي نستمد من حبيبنا الكريم ان نعمل جاهد ونبذل كل وسعنا ونتعاون فيما بيننا لإنشاء مجتمع مبني على الايمان لأن ذلك هو اقرب الطرق لربط الناس بالايمن ويشهد بذلك حضارتنا وتاريخنا في السابق.

نسال الله تعالى الاستفادة من هذا المؤتمر وأن يهبنا سبحانه إردة تجعل من إيماننا مركزا حاكما على حياتنا وأن يرزقنا الحياة كما يحبه ويرضاه .

يقرن لفظ الإيمان بالعمل الصالح وهذا يدل على أن الإيمان ليس مسؤولية فردية وحسب بل بإقترائه بالعمل الصالح فهو مسؤولية فردية إجتماعية, والإيمان هو أقوى روابط الوحدة بين المؤمنين فمن يتصف بالمؤمن يجب ان يعكس الإتحاد والوحدة في حياته. ولذلك ند بأن القرآن الكريم ومبلغه الأمين صلى الله عليه وسلم دائما ما يحث المؤمنين على التعاون والوحدة فيما بينهم وينهى عن كل أمر يؤول الى التنازع والتفرقة حيث أن الرحمة والقوة في الوحدة والمصائب والمشاكل هي في التفرقة ولذلك ينيه الله تعالى عباده المؤمنين بقوله (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا).

إن من أكبر غايات ديننا المبين هو انشاء فرد خلق في مجتمع فاضل وتقع تلك الغاية على عاتق من أمن بالله ورسوله فالإيمان ينشئ فرد امين في مجتمع تسوده صفة الامن والامانة ولذلك فمسؤولية انشاء مجتمع آمن عادل تقع على أهل الإيمان، فبسبب انعدام ثقافة الإيمان انعدمت الأمانة.

إن الأمانة هي كل ما يطلب حفظه وحمايته من القيم المادية والمعنوية، فالكون الذي نعيش فيه وكل ما يحتوي من مخلوقات هي أمانة الله لنا فالإيمان هو ميثاق مع الله لحفظ امانته فالمؤمن من اوفى بعهده وفالواجب على أهل الإيمان هو ترسيخ مفاهيم العدل والرحمة والأخلاق الحسنة وجمع الناس عليها في عصر الإضطرابات هذا.

ومن هذا المبدأ فإن اهم خصوص هو التخلص من قاتل الهمم واسر المجتمعات والساري سريان الوباء الا وهو اليأس فيجب العمل اذا لمستقبل واعد بكل ثبات وصبر وتقاؤل ولنا في أحد الأعلام المعاصرة العلامة بديع زمان سعيد نورسي قدوة حيث قد بذل بكل أو تي من قوة في سبيل فكره الذي يصف الإيمان كحل لجميع مشكلات العصر واليأس كمرض خطير قاتل وذلك قوله (اليأس داء قاتل، وقد دبّ في صميم قلب العالم الإسلامي فهذا اليأس هو الذي أوقعنا صرعى -كالأموات- حتى تمكنت دولة غربية لا يبلغ تعدادها مليوني نسمة من التحكم في دولة شرقية مسلمة ذات العشرين مليون نسمة فتستعمرها وتسخرها في خدمتها وهذا اليأس هو الذي قتل فينا الخصال الحميدة وصرفت أنظارنا عن النفع العام وحصّرها في المنافع الشخصية) فنفهم من هذا حث الأستاذ النورسي المؤمنين بالإتصاف بالأمل والثقة بالنفس.

إخوتي الأعزاء :

إن للإيمان الذي يضيف معنى لحياتنا وهو منبع كل الكمالات كالعبادات والاخلاق الحسنة له علاقة ايضا بالعلم فلا ينتج الكمال الا باتحاد ودمج مركز الإيمان ألا وهو القلب بمركز العلم العقل .

أعزائي الحاضرين:

سنقوم في هذا المؤتمر بمناقشة أفكار بديع الزمان سعيد النورسي تحت عنوان الايمان في الحياة الفرد والمجتمع. فكم احوجنا في عصر تكالبت وتكاثرت في المصائب المادية والمعنوية لمطالعة اثر كرسائل النور لان بديع الزمان سعيد النورسي في مؤلفاته يقره الفطرة ويفسر كتاب الكائنات ويقارن التصرفات البشرية ومايناسب الفطرة من غيرها ويشرح ويوضح بان القران الكريم هو العلى مفسر لكتاب الكائنات. وذلك لان من اكبر مشكلات الفكر المادي في هذا العصر هي التدخل في شؤون الفطرة وحث الانسان على عصيان مبادئ الفطرة ونسيان انسانيته وربيه. ومن الملاحظ ان الفكر المادي لم يقد للانسان سوى الدمار والتخريب فلذلك نحن بامس الحاجة للاستماع لاثار بديع الزمان سعيد النورسي.

سيقوم العديد من الباحثين المشاركين في هذا المؤتمر بمناقشة اطروحاتهم حول موضوع الايمان في حياة الفرد والمجتمع و هو مجال اختصاص النورسي فكل حياته واثاره حملت هذا الموضوع عنوان لها وفي هذه المناسبة اود باختصار ذكر مايلي:

يقول الامام النورسي في كتبه (ان الايمان والتوحيد هما أساس جميع الكمالات الإنسانية وجوهرها ونورها وحياتها،) اي ان كمال الانسان وسعادته لا تتحقق الا لا بالمعرفة الالهية الحقبة وبالايمان الحقيقي فان احببتم لننظر سوية الى مؤلفه رسائل النور ولنرى ماتكسب النظرة المادية والنظرة الايمانية للانسان ثم لنزن ذلك في ميزان العقل والوجدان ولنرى ايهم يعود بالنفع على الانسان.

ان الفلسفة المادية تنظر الى الانسان من جهة الحيوانية وتتنظر النظام بانه مجرد صدفة وما وظيفة الموجودات داخل ذلك النظام سوى على قدر نسبتها وتضع جميع الاسس الانسانية بمقياس جهة الحيوانية فتقول مالحياة سوى جدال والبقاء للاقوى وتقوى القوة والقوى وتؤمن باحقية القوى نعم فوضع الانسانى الحالي والشقاء والاضطراب التي تعيسه الا نتيجة تلك الفلسفة المادية اما النظرة الايمانية للانسان فهي تنظر اليه كمخاطب الهى وانه اشرف المخلوقات ولا تنظر اليه نفسانية فهو يعيش على حدود الشرع لا حسب رغبة النفس وتتنظر الى النظام والى الموجودات داخله على ان كل شيء مسخر لما خلق له وان الكل هو اثر القدرة الالهية وتضع قانون لاستمرار الحياة هو التعاون بدل الجدال وكل مافي النظام من هي مسخرات للانسان وترى احقية المحق بدل احقية الاقوى نعم فلنفس اذا اي النظرتين اصح وافيد للانسان ثم لنختار احدهما.

هل النظرة الفلسفية التي ترى كل شيء من محض الصدفة او هناك عبثية بالايجاد والتي لاتملك

كلمة الأستاذ الدكتور

كاظم أو يصال رئيس جامعة دوملوبنار كوتاهيتا .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السادة رئيس وزارة الشؤون الدينية التركية الأستاذ الدكتور علي ارياش , السادة وزير الشؤون الدينية الباكستاني الاستاذ شيخ نور الحق قادري الامين العام لاتحاد علماء المسلمين الاستاذ علي قره داغي السيد امحمد احمد زاهر رئيس الشؤون الدينية بدولة المالديف ورئيس مؤسسة اسطنبول للثقافة والعلوم السيد سعيد يوجه والسادة الحاضرون الكرام نحبيكم بتحية الاسلام وبنبارك جهودكم وجهود جميع القائمين على هذا المؤتمر المبارك حول فكر الامام بديع الزمان سعيد النورسي والذي يكسبنا فرصة للتباحث حول المشكلات المستجدة ومحاولة ايجاد حلول لها. فارجو من الله تعالى لنا ولكم التوفيق والسداد.

الضيوف الكرام:

ان بديع الزمان سعيد النورسي احد العظماء التي انجبتهم دولتنا في الالونه الاخيرة وان اثره ومؤلفه رسائل النور تم تاليفه مناسبا للغة العصر والحالي ومشكلاته. نعم ان رسائل النور تثبت حقائق الايمان والقران بالادلة القاطعة وتثبت عظمة القدرة الالهية عبر مطالعة كتاب الكون وترينا بان اقصر طريق لمعرفة الله عزوجل هي في النظر من الصنعة للصانع ومن الاثر للمؤثر ومن الفعل للفاعل ومن الكتاب للكاتب وبهذا المنهج تثبت بان في كل شيء عدة اوجه دالة على الصانع تعالى.

وبالرغم من جميع المحاولات التي هدفت الى منع انتشار رسائل النور وحجبها عن المستفيدين منها ومحاولات تشويه سمعتها مازلنا نرى بان انتشارها لايتوقف ومازل التباحث والتدريس منها من قبل محبيها مستمر .

هدف او غاية ام النظرة الايمانية التي ترى كل شيء اثر القدرة الصمدية وان كل شيء هو موظف مامور ويملك هدف وغاية؟

وهل من ينظر للوردة مثلا من جهة مادتها فقط انفع للانسان ام من ينظر اليها كمنقش سبحاني وموظف مامور؟ هل من ينظر الى الانسان كحيوان ام من ينظر اليه كاشرف المخلوقات هل من يضع الجدل كقانون ام من يضع التعاون قانونا وهل من ينشئ انسانا مبتغاه الحياة القصير فقط ام من ينشئ انسانا مبتغاه بالحياتين الاولى والاخرة هل من ينشئ انسانا يضبط بالشرطة ام من ينشئ انسانا بداخله رادع ايماني فاي الفريقين اولى بجل مشاكل عصرنا الحالي.

اعزائي المشاركون:

ان اثر الامام النورسي رسائل النور تبحث عن اثر الايمان في حياة الفرد والمجتمع وتقرن بين مايكسبه الايمان وماتكسبه الفلسفة المادية وتثبت ان لاخلاص للانسان من المصاعب ولا سعادة له الا بالايمان وتثبت ذلك بالعلم والبرهان فلجل ذلك نرى من يقرء رسائل النور يكتسب ايمانا قويا ويعيش حياة راغدة بقوة ذلك الايمان ولا ينظر للايمان كميراث اجباري بل يختاره بكل حرية لما يجد من لذة فيه ويعكس مايكسبه من الايمان على اخلاقه وتصرفاته.

الضيوف الكرام:

وفي هذه المناسبة اريد ذكر مايلي ان بديع الزمان قد هدف الى دمج العلوم الشرعية مع العلوم المونية بل واراد كتابة العلوم الكونية بصيغة ايمانية تربطنا بالله تعالى ويرينا بان جميع العلوم والقوانين الفطرية هي من تجليات اسم الله العليم وبذلك تكون هذه العلوم هي دروس في المعرفة الالهية وقناعتي هي نجاح نظامنا التعليمي مبني على هذه الفكرة فان اصبحت العلوم كالاحياء والجغرافيا دالة على المعرفة الالهية فحينئذ سننشئ احيالا متدينة ومتحضرة والا فلا يكون ذلك بقولنا الله خلق في دروس الدين ثم نقول اقتضته الطبيعة في علم الاحياء فحينها لن ننهض بنظامنا التعليمي.

وفي الختام اشكر جميع المشاركين والقائمين على مؤتمر بديع الزمان سعيد النورسي.

الإيمان بين التكاليف والحدود.

البحوث المقدمة في هذا المحور:

1. أثر الإيمان باليوم الآخر على الحياة الاجتماعية عند الإمام سعيد النورسي: أ.م.د. فلاح نجم عبدالله العاني ، كلية الإمام الأعظم الجامعة /العراق.
2. أثر الإيمان باليوم الآخر على حياة الفرد والمجتمع من خلال رسائل النور . دراسة عقديّة :.أ.د.عادل عبدالله حمد ، رئيس قسم الشريعة ، كلية العلوم الإسلامية جامعة صلاح الدين - أربيل.
3. أثر الايمان على الفرد في ضوء رسائل النور . دراسة تحليلية :. د.عبداللطيف ياسين علي ، باحث أكاديمي وصحفي ومدير مكتب الأمين العام للإتحاد الإسلامي الكوردستاني ، أربيل . العراق.
4. أثر الإيمان في حياة الطفل وفقاً لرسائل النور . دراسة نفسية واجتماعية مقارنة :. د.محمد عبد اللطيف ، باحث وطبيب إستشاري بهيئة المستشفيات والمعاهد التعليمية المصرية ، جامعة الأزهر . مصر.
5. أثر الجهاد المعنوي في تحقيق أمن الأوطان: د.عمر الفاروق أبوبكر ، باحث بالجامعة الإسلامية الإندونيسية.
6. أسس إيمانية لتحقيق أمن الأمة واستقرارها قراءة في رسائل النور لبديع الزمان النورسي: أ.د.فيروز عثمان صالح ، الأستاذة بقسم الدراسات الإسلامية ، كلية الآداب . جامعة الخرطوم.
7. أصول العروج إلى عرش الكمالات في رسائل النور للإمام النورسي:أ.د. يوسف ما ريكو ، جامعة إفريقيا الفرنسية العربية . مالي.

8. دور الإيمان في تحقيق سعادة الدارين - قراءة في رسائل النور - : حدة ميهوب ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية . الجزائر .
9. دور الإيمان في سعادة الإنسان من خلال رسائل النور : أ.م.د. سردار رشيد حمه صالح البينجوني ، كلية العلوم الإسلامية ، جامعة السليمانية . العراق .
10. دور الإيمان في علاج الانحطاط الأخلاقي عند الإمام النورسي «رحمه الله»: أ.د. بشير عبد الرزاق سلمان السامرائي ، تدريسي في كلية الإمام الأعظم (رحمه الله) الجامعة ، العراق .
11. علاقة الإيمان بالأخلاق في ضوء فكر بديع الزمان النورسي من خلال رسائل النور : ذ. محمد أرزؤو - المملكة المغربية: أستاذ في التعليم العتيق وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تطوان/ المغرب
12. علاقة الإيمان بالأخلاق من خلال رسائل النور : أ.د. عبد الرحمن محمد ميغا ، أستاذ بكلية الشريعة والقانون بالجامعة الإسلامية بالنيجر ، ونائب رئيس الجامعة للشؤون الإدارية والمالية.
13. العلاقة بين الإيمان و الأخلاق خلال دراسة كليات رسائل النور للإمام بديع الزمان سعيد النورسي: أ.د.محمد مسيح الرحمن ، الجامعة العالية، كولكاتا - الهند.
14. مفاهيم الموت وأبدية الإنسان كما يراها الشيخ الأستاذ النورسي رحمه الله: طلحة نعمت الندوي ، بهار شريف - بهار، الهند.
15. منهج بديع الزمان النورسي في علاج مشكلة القلق: محمد الهادي وناس جامعة الزيتونة- تونس.
16. الوعي الإيمان وآثاره في تكوين شخصية المؤمن عند النورسي: أ.د. محمد خليل جيجك ، أستاذ الدراسات العليا ، (قسم التفسير) ، جامعة يلدريم بايزيد ، أنقرة - تركيا.

أثر الإيمان باليوم الآخر على الحياة الاجتماعية عند الإمام سعيد النورسي

ا.م.د. فلاح نجم عبدالله العاني
كلية الامام الاعظم الجامعة /العراق

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد.

فإن الإيمان بعلم الآخرة من أجل العلوم وأشرفها، رتبةً ومنزلةً وفضيلةً، وبها جاء الخطاب القرآني بصيغة الإشفاق: (يَا قَوْمِ إِنَّمَا هُذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ)¹، ولم يكن الخطاب النبوي بمعزل عن الخطاب القرآني، كما جاء عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ...)). وكان هذا شعار السلف الصالح، وهو مما جعل البخاري أن يضع باباً بعنوان ((بَابُ: لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ))².

حيث إن عادة السلف الصالح، أن يسألوا عن ما يقودهم إلى الآخرة، ومن هذا المنطلق الرياني، والتوجيه النبوي الشريف، والمسلك العملي للصحابية والتابعين رضوان الله عليهم في حياتهم، جاء البحث مجسداً لذلك المعنى. هو التركيز على مفردة الخطاب، في الواقع الذي تعددت فيه الخطابات، وتتنوعت فيه الأفكار والمنطلقات، فأثرت أن يكون الخطاب الاصلاحى، منطلقاً من المعنى الأخرى، الذي ملئت فيه الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، ولما في هذا الخطاب من المنطلقات الغيبية، كالموت والقبر

1 سورة غافر : آية (39).

2 الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، (8/ 88).

أولاً: اسمه هو سعيد ميرزا لقبه بديع الزمان⁽¹⁾. اسم الوالدة: نورية⁽²⁾. ولد الإمام في قرية نورس التابعة لناحية إسپاريت المرتبطة بقضاء خيزان من أعمال ولاية «بتليس»⁽³⁾ سنة (1294هـ/1877م)

أسرته ونشأته: نشأ الإمام سعيد في أسرة تتكون من أب و أم ، وثلاث أخوات، وثلاثة أخوة، وهم أشتهروا بكونهم من طلبة العلم والعلماء الفضلاء، ومن أهل التصوف والتزكية والآداب، وهو مما أثر في نشأة الإمام وتكوينه العلمي والأخلاقي السلوكي. فمنحه بيته وأسرته الكثير من العطاء البيتي، الذي يتقدم على كل عطاء. وفي هذا يقول الإمام عن نفسه: (أقسم بالله أن أرسخ درس أخذته، وكأنه يتجدد علي، إنما هو تلقينات والدتي رحمها الله ودروسها المعنوية، حتى إستقرت في أعماق فطرتي وإصبحت كالبدور في جسدي، في غضون عمري الذي يناهز الثمانين)⁽⁴⁾.

ثانياً: نسبه ينقل شهود كثيرون أن الأستاذ النورسي كان قد ذكر في مجالسه الخاصة: أن نسبه ينتهي من جهة الأب إلى الإمام الحسن، ومن جهة الأم، إلى الإمام الحسين رضي الله عنهما، إلا أنه لم يصرح بذلك في رسائله، حفاظاً على الإخلاص وتجنباً عن إحراز مقام معنوي في نظر الناس فمثلاً: يا أخي إن المنتسب إلى سيدنا علي رضي الله عنه هو أنا، فما أتاني من شيء إلا من سيبله⁽⁵⁾. ولالإمام لقبان: بديع الزمان وخادم القرآن.

الأول: (لقب الإمام سعيد ب (بديع الزمان) وهذا اللقب منحه إياه أستاذه المرحوم الملا فتح الله)⁽⁶⁾،

الثاني: لقب خادم القرآن، حيث يكثر من إطلاقه على نفسه وطلبه، بل صار رمزاً يعرف به طلابه، ولهذا يقول: (اعلم أنني أقول مادمت حياً، كما قال مولانا جلال الدين الرومي قدس سره: ما دمت حياً فأنا

1 (وكان والده «الصوفي ميرزا» ورعاً يُضرب به المثل، لم يذق حراماً، ولم يطعم أولاده من غير الحلال. حتى إنه إذا ما عاد بمواشيه من المرعى شد أفواهها لئلا تأكل من مزارع الآخرين. وقد توفي في العشرينات ودفن في مقبرة قرية «نورس» وشاهد قبره مكتوب عليه «مرزه»، السيرة الذاتية: (57).

2 عندما سئلت والدته: ما طريقتك في تربية أولادك حتى حازوا هذا الذكاء النادر؟ أجابت: لم أفارق صلاة التهجد طوال حياتي إلا الأيام المعذورة شرعاً. ولم أرضع أولادي إلا على طهر ووضوء. السيرة الذاتية: (57).

3 محافظة (بتليس) أو بدليس: هي إحدى محافظات تركيا تقع في منطقة شرق الأناضول. عاصمتها مدينة بدليس تبلغ مساحتها 8,413 كم² ويبلغ عدد سكانها 388,678 نسمة كما يبلغ معدل الكثافة السكانية 46/كم² تقع في شرق تركيا غالبية سكانها من الأكراد،. كردستان له جابكراوة عوسمانليه كاندا،(36).

4 ينظر: السيرة الذاتية، (58).

5 السيرة ذاتية: (61).

6 المصدر نفسه: (73).

والحشر والحساب والجنة والنار، والتي تقع يقيناً وصدقاً، ولما لها من الأثر الكبير على النفوس وكذلك فإن المعنى الأخروي، يعد طريقاً لتعزيز الإيمان، الذي تحيا به النفوس، وتتقدم به المجتمعات، دينياً، وسلوكياً، وإجتماعياً، وهذا مما تصدقه بداية المرحلة المكية، التي تجد فيها الامور الأساسية ومما يتقدم من هذه المنطلقات نجد ان الامام الكبير الشيخ الكبير سعيد النورسي(رحمه الله) قد تجسدت حقيقة هذه المنطلقات فيه ديناً وسلوكياً في الوقت الذي تسلط فيه الاحاد على المجتمع آن ذاك فعالج هذا الامام العظيم الواقع من خلال خطابه الاخروي ومنطلقاته العلميه الغيبية فكان ناقلاً. في الخطاب هي الاخرة والواقع الذي عاشه الإمام النورسي، والانغماس في الدنيا، لحياة الناس، من التصور الديني البحت إلى عالم الآخرة والشجاعة التي يمتلكها الإمام النورسي، والقدرة العلمية، التي ظهرت من خلال تنوع خطابه، المدعم بالمعنى الأخروي حيث ان المراحل الحياتية التي عاشها الإمام النورسي، والتنقل الكبير في محطات حياته، التي أفرزت، فكراً وعلماً وخبرةً، إنتهت بالإمام أن ينتقل في عملية الإصلاح، من منطلق عالم الآخرة، وهو المنطلق القرآني، والنبوي، مجسداً ذلك بـ(كليات رسائل النور) التي عدها الإمام النورسي تفسيراً معنوياً للقران الكريم.

المبحث الأول:حياته وعصره

المطلب الاول:أسمه ونشأته

عندما نريد أن نتكلم عن شخص الإمام سعيد النورسي، لا نجد في المدونات أو تراجم الرجال كلاماً عن مولد الإمام أو نشأته لأسباب: منها الأبرز أنه يعد من المعاصرين، من الملاحظات المهمة في عرض السيرة الذاتية للإمام النورسي، أننا نجد القلة القليلة الذين تكلموا عن شخصه وحياته، وأهم مرجع تاريخ حياة بديع الزمان سعيد النورسي الذي أعدّه طلابه الذين كانوا في صحبته ويعاونونه في أموره، والذي أقرّه بعد تصحيحه وتشذيبه⁽¹⁾، وبهذا تعد هذه الترجمة من أوثق التراجم التي تعبر عن السيرة الذاتية والحياة الاجتماعية والعلمية والمعاشية؛ لأن الشخص الذي يترجم عن نفسه لا شك سيكون لها من الدقة والمصداقية التي لم تكن عند غيره؛ لأنه هو الموضوع والمعنى فيها. وبهذا ستكون الترجمة معبرة وبشكل دقيق عن تفاصيل حياة الإمام وتقلباتها. إلا أن هذه السيرة التي كتبها الطلاب وعرضت على الإمام، قام الإمام بحذف كل ما يتعلق به من مدح، ومنزلة خاصة من كونه ولياً، وله كرامات أو ما فيه من علو منزلة.

1 السيرة الذاتية، تقديم: الأخ الفاضل مصطفى صونغور،(1).

هي أهل للحياة الأبدية ومرشحة للسعادة الأبدية- من وكرها القديم إلى حيث آفاق النجوم للسياحة والارتياح⁽¹⁾. لقد أنتقل الامام النورسي إلى ربه، بعد مرض ألمَّ به وأشدت عليه ويشير ان وفاته إلى يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة (1379هـ / 23 / 3 / 1960م)⁽²⁾. وهكذا دفن الأستاذ يوم الخميس بعد صلاة العصر، ولم يستطع كثير من الناس حضور تشييع الجنازة، الا من جاء بسيارات خصوصية⁽³⁾. وقد أختصر الدكتور فريد الأنصاري فترة حياته الدنيوية، بكلمات جميلة، (عاش ولا بيت له! وشاخ ولا زوج له! ثم مات ولا قبر له⁽⁴⁾). رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

المطلب الثاني: حياة النورسي العلمية

أولاً: طلبه للعلم يتكلم الإمام عن بداية طلبه للعلم من غير نسبة إلى شخصه قائلاً: (وكانت بداية تحصيل العلم سنة (1303هـ/1885م) بتعلم القرآن الكريم حيث ساقته حالته الروحية إلى مراقبة ما يستقيضه أخوه الكبير عبدالله من العلوم، فأعجب بمزايهه الراقية وتكامل خصاله الرفيعة بتحصيله العلوم، وشاهد كيف أنه برز أقرانه في القرية وهم لا يستطيعون القراءة والكتابة. فدفعه هذا الإعجاب إلى شوق عظيم جاد لتلقي العلم؛ لذا شدَّ الرحال إلى طلبه في القرى المجاورة لنورس حتى حطها في قرية تاغ⁽⁵⁾. عند مدرسة الملا محمد أمين أفندي إلا أنه لم يتحمل المكوث فيها، فتركها فعاد إلى قريته نورس وهي المحرومة من كتاب أو مدرسة لتلقي العلم، وإكتفى بما يدرسه له أخوه الكبير الملا عبدالله في أثناء زيارته الأسبوعية للعائلة وبعد مدة قصيرة ذهب إلى قرية برمس، ومن بعدها إلى مراعي شيخان -أي: شيخ تاغي - ثم إلى قرية نورشين وبعدها إلى قرية خيزان، ولرفضه التحكم به تشاجر في قرية برمس مع أربعة من الطلاب، حيث اتفق هؤلاء الأربعة على مشاكسته باستمرار مما دفعه إلى المثول بين يدي الشيخ سيد نور محمد شاكياً إليه هؤلاء الأربعة قائلاً باعتزاز:

- أيها الشيخ المحترم! أرجو أن تقول لهؤلاء ألا يأتوا للشجار معي جميعاً، فليأتوا مثني مثني انشرح الشيخ سيد نور محمد من هذه الرجولة المبكرة في سعيد الصغير، وقال ملاطفاً: - أنت تلميذي، لن يتعرض لك أحد⁽⁶⁾. وبعد ذلك، انكب على حفظ المتون من كل علم، فحفظ عن ظهر قلب خلال سنتين

1 للمعات: (323).

2 ينظر: الرجل والاعصار سيرة ذاتية مختصرة لبديع الزمان سعيد النورسي، (77).

3 ينظر: ذكريات عن سعيد النورسي (84)؛ السيرة الذاتية: (549).

4 رواية آخر الفرسان مكابيات بديع الزمان النورسي (14).

5 قرية تاغ: تقع في مدينة وان التركية، وتبعدُ القرية عن قرية (نورس) مكان مولد الاستاذ حوالي ساعتين مشياً على الأقدام. (الشهود الاواخر شهادات ومشاهدات عن بديع الزمان سعيد النورسي، تأليف: نجم الدين شاهينز (ج1/10).

6 السيرة الذاتية: (43/44).

خادم القرآن، وأنا تراب سبيل محمد المصطفى؛ لأنني أرى القرآن منبع كل الفيوض، وما في آثاري من محاسن الحقائق، ما هو إلا من فيض القرآن، فهذا لا يرضى قلبي أن يخلو أثر من آثار من ذكر نبذ من مزايإ إعجاز القرآن⁽¹⁾.

ثالثاً: وفاته كانت وفاته (رحمه الله) بعد عمر قضاه في خدمة الإسلام والمسلمين؛ لكن بقي عطائه وعلمه ودعوته؛ نابضاً ليحيي القلوب الميتة. ومما أوصى به طلابه عدم زيارة قبره⁽²⁾. ولما سأله عن الحكمة في منعه زيارة قبره مع ما فيها من كسب الثواب أجابه بالآتي:

(إن الغفلة الناشئة من الأنانية وحب الذات في هذا العصر العصيب، تدفع الناس إلى أن يولوا اهتمامهم إلى مقام الميت وشهرته الدنيوية في أثناء زيارتهم القبور، مثلما عمل الفرانعة في الزمن الغابر على تحنيط موتاهم ونصب التماثيل لهم ونشر صورهم رغبة في توجيه الأنظار إليهم، فتوجهت الأنظار إلى المعنى الاسمي -أي لذات الشخص- دون المعنى الحرفي -أي لغيره- وهكذا فإن قسماً من أهل الدنيا في الوقت الحاضر يولون توجههم إلى شخص الميت نفسه، وإلى مقامه ومنزلته الدنيوية بدلاً من الزيارة المشروعة لكسب رضاء الله ونيل الثواب الأخروي كما كانت في السابق؛ لذا أوصي بعدم إعلام موضع قبوري حفاظاً على سر الإخلاص؛ ولئلا أرح الإخلاص الذي في رسائل النور، فأينما كان الشخص سواء في الشرق أو الغرب وأياً كان فإن ما يقرأه من «الفاتحة» تبلغ إلى تلك الروح⁽³⁾.

الخاطرة الأخيرة: (فقد عاش النورسي حياة مليئة بالنشاط العلمي والسياسي والتربوي، خاض تجربة التعلم والتعليم، وتجربة الغربة والارتحال، وتجربة الجهاد ضد المستعمر، وتجربة التربية والتوجيه، وتجربة التأليف والإبداع، وتجربة المحنة والابتلاء. إذ تصلب مراسه وأثمر إدراكه، وتفتحت بصيرته وقوي ذكاؤه، فأكتشف له حقيقة طريقه انكسافاً جلياً، وتحقق من أن ملك الإيمان بالله تعالى، والتقرب إلى نفعاته، وتجليات أسمائه الحسنی، هو الذي يضمن سعادته في الدنيا والآخرة، وهو ما عبر عنه في موضع آخر بقوله: (ثم إن الإيمان قد بصرنی بعلم اليقين، أن ما يبدو بنظر الغفلة من الثمرة الوحيدة التي هي فوق شجرة العلم على شكل نعث وجنازة، إنها ليست كذلك، إنما هي انطلاق لروحي - التي

1 المثنوي العربي النوري، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي (163).

2 السيرة الذاتية: (551).

3 الملاحق: (375/376) و(السيرة ذاتية: (551).

2. فتح الله⁽¹⁾، الذي لقبه ببديع الزمان.
3. محمد أمين أفندي⁽²⁾.
4. الشيخ السيد محمد نور⁽³⁾.
5. محمد الجلاي⁽⁴⁾.

ثالثاً طلابه: ذاع صيت الإمام النورسي في عصره، واشتهر بالعلم والمعرفة والذكاء والفتنة، والمقدرة العلمية المتميزة عن أقرانه، مما أدى إلى تزايد الأنتظار إلى الإمام النورسي وبدأ طلبة العلم يقصدونه؛ للتمتذة على يديه والأخذ منه مما يميز طلبة الإمام النورسي أنهم تعلموا منه الأدب والزهد والتزكية والأخلاق، والتعلق بالله، وهم كثير، وسأذكر أبرزهم على سبيل المثال لا الحصر:

1. بايرام يوكسل⁽⁵⁾.
2. خسرو⁽⁶⁾.
3. خلوصي⁽⁷⁾.
4. رافت⁽⁸⁾.
5. الحافظ توفيق الملقب بالشامي⁽⁹⁾.

من متون الكتب، كالمطالع⁽¹⁾، والمواقف⁽²⁾، وأمثالهما من الكتب التي تردّ الشبهات، وتدفع الشكوك الواردة على الدين، فضلاً عن حفظه متون كتب العلوم الآلية، كالنحو والصرف والمنطق وغيرها، ومتون كتب العلوم العالية كالنفس، وعلم الكلام، والحديث، والفقه، فبدأ بحفظ متن كتاب المرقاة⁽³⁾، دون حواشيه وشروحه، ثم قارن بين وجهة نظره ومبلغ فهمه، وما ورد في حواشي الكتاب وشروحه. فرأى أن جميع مسائله مطابقة لما في ذهنه، إلا في ثلاث كلمات، لم تتطابق مع الشرح. واستحسن العلماء عمله هذا وأعجبوا به، ولهذا أهتم بحفظ تلك المتون من أمهات الكتب الإسلامية في مختلف العلوم والفلسفة، لتصبح مفاتيح للحقائق القرآنية، ورداً للشبهات الواردة على الدين⁽⁴⁾.

ثانياً: شيوخه أخذ الإمام العلم عن شيوخ عدة كما ذكر ذلك بقوله: (أني قد أخذت دروساً من ثمانين ألف شخص)⁽⁵⁾ نذكر أبرزهم على سبيل المثال لا الحصر.

1. أخوه الأكبر عبدالله⁽⁶⁾.

1 مطالع الأنوار، لسراج الدين أبو الثناء محمود بن أبي بكر بن أحمد الأرموي (682 هـ). معجم المطبوعات العربية، 428. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. (16 / 1).

2 كتاب المواقف: عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجي: عالم بالأصول والمعاني والعربية. ولد سنة: (756 هـ، 1355 م) من أهل إيج (بفارس) ولي القضاء، وأنجب تلاميذ عظاماً. وجرت له محنة مع صاحب كرمان، فحبسه بالقلعة، فمات مسجوناً. من تصانيفه (المواقف - ط) في علم الكلام، و(العقائد العضدية - ط) و(الرسالة العضدية - ط) في علم الوضع، و(جواهر الكلام - خ) مختصر المواقف، و(شرح مختصر ابن الحاجب - ط) في أصول الفقه، و(الفوائد الغياثية - خ) في المعاني والبيان، و(أشرف التواريخ) و(المدخل في علم المعاني والبيان والبديع - خ). الأعلام للزركلي، (3/ 295).

3 مرقاة الوصول إلى علم الأصول، كتاب في المذهب الحنفي: مثلاً خُسْرُو (885 هـ، 1480 م) محمد بن فرامرّز بن علي، المعروف بملا - أو منلا أو المولى - خسرو: عالم بفقه الحنفية والأصول. رومي الأصل. أسلم أبوه. ونشأ هو مسلماً، فتبحر في علوم المعقول والمنقول، وتولى التدريس في زمان السلطان محمد بن مراد، بمدينة بروسة. وولي قضاء القسطنطينية، وتوفي بها، ونقل إلى بروسة. قال ابن العماد: صار مفتياً بالتخت السلطاني، وعظم أمره، وعمر عدة مساجد بقسطنطينية. من كتبه (درر الحكام في شرح غرر الأحكام - ط) فقه، كلاهما له، مجلدان، و(مرقاة الوصول في علم الأصول - ط، الرسالة، وشرحها مرآة الأصول - ط) و(حاشية على المطول - خ) في البلاغة، و(حاشية على التلويح - ط) في الأصول، و(حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل - خ) كتبت سنة 947، الأعلام للزركلي (6/ 328).

4 السيرة الذاتية: (83).

5 أي: أنه قد أخذ الدرس من كل ما حوله حتى من الذباب، حيث يقول: «إني رأيت نفسي مغرورة بمحاسنها. فقلتُ: لا تملكين شيئاً!». فقالت: فإذاً لا أهتم بما ليس لي من البدن.. فقلت: لا بد أن لا تكوني أقل من الذباب.. فإن شئت شاهدتُ فانظري إلى هذا الذباب، كيف ينظف جناحيه برجليه ويمسح عينيه ورأسه بيديه! سبحان من ألهمه هذا، وصيره إستانداً لي وأفحم به نفسي!». المتنوي العربي النوري: (173).

6 الملا عبدالله النورسي: هو الاخ الكبير للاستاذ النورسي ودرّسه ايام صباه ثم تتلمذ عليه بعد ان شاهد نبوغه. الشعاعات: (674).

1 أحد العلماء في سعرد وهي إحدى المدن التركية، وهو الذي شبه الأستاذ سعيد النورسي ببديع الزمان الهمذاني فأعطى اسم بديع الزمان له. (ت: 1317هـ/ 1900م)، ينظر: السيرة الذاتية: (88).

2 إمام قرية تاغ المجاورة لنورس، كلف الأستاذ النورسي إن يلبس زي العلماء (الجبة) ولكنه رفض وقال له: (إنني لم أبلغ بعد الحلم. فلا أجدني لائقاً بلبس ملابس العلماء. وكيف أكون عالماً وأنا ما زلت صبيهاً؟). ينظر: المصدر نفسه: (70).

3 إستاذ النورسي في الطريقة النقشبندية، وأحد الأئمة في قرية برمس بولاية وان التركية. ينظر: السيرة الذاتية: (66).

4 أحد علماء قسبة بايزيد التابعة لولاية أرضروم التركية، وهو الذي منح الاستاذ النورسي الاجازة العلمية، ينظر: المصدر نفسه: (58).

5 بايرام يوكسل (1931-1997م) ظل في خدمة الأستاذ حتى توفاه الله إثر حادثة سيارة أليمة. وقد سجّلتُ ذكرياته عن الأستاذ قبل وفاته بشهرين. رحمه الله رحمة واسعة. المصدر نفسه: (517).

6 خسرو: كان في مقدمة الذين استسخروا المئات من الرسائل ونشروها في اهلك الظروف، وقضى معظم حياته مع استاذة في سجون اسكي شهر ودينزلي وأفيون وهو الذي كتب مصحفاً بتوجيه من الأستاذ النورسي لظهور الاعجاز في التوافقات اللطيفة لاسم الجلالة في الصفحة الواحدة. ولد في اسبارطة سنة 1899 وتوفي في إستانبول سنة 1977م رحمه الله رحمة واسعة. المصدر نفسه: (30).

7 وهو خلوصي يحيى كيل من السابقين الذين تتلمذوا على الأستاذ النورسي في «بارلا» وكان حينئذ ضابطاً برتبة نقيب، وأصبح طالباً للأستاذ في 14 / 4 / 1929 كان يبعث إلى إستانه أسئلته وما يستفسر منه من أمور إيمانية. جمعت هذه الاجوبة بتوجيه الأستاذ نفسه وسميت بـ (مكتوبات). توفي سنة 1986 عن 91 سنة من العمر، رحمه الله رحمة واسعة. المصدر نفسه: (39).

8 هو العقيد المتقاعد رأفت بارودجي ولد (1886) ت(1975)، لازم الأستاذ النورسي في بارلا وسجن معه في كل من سجن اسكي شهر (سنة 1935) ودينزلي (1943) وأفيون (1948) كان يقن تعليم القرآن الكريم وأصبح اماماً في مسجد بإستانبول لحين وفاته رحمه الله رحمة واسعة. السيرة الذاتية: (30).

9 الحافظ توفيق الشامي: ولد (1887) ت(1965م) من أوائل طلاب النور وكتابها، لقب بالحافظ لحفظه القرآن الكريم وبالشامي لطول بقائه بالشام بصحبة والده الذي كان ضابطاً هناك، وهو المشهود له بالصلاح والعلم والتقوى، لازم الأستاذ في بارلا وفي سجون اسكي شهر ودينزلي. تغمده الله برحمته. المصدر نفسه: (31).

المطلب الثالث: الحالة العلمية والسياسية

أولاً: الحالة العلمية:

أن الإمام النورسي بذل جهوداً في إيصال فكرته ودعوته، والذي ساعده في ذلك الحصيصة العلمية التي يتمتع بها وهي هبة من الله عز وجل.

يقول السيد حسن فهمي باش اوغلو⁽¹⁾ الذي أصبح فيما بعد عضواً في هيئة الاستشارة للشؤون الدينية في تركيا: «عندما كنت طالباً في «مدرسة فاتح» زمن المشروطية سمعنا بقدوم شاب إلى إستانبول اسمه «بديع الزمان» علق لوحة على باب غرفته في «خان الشكرجي» الذي يقيم فيه كتب فيها: «هنا تحل كل معضلة ويجاب عن كل سؤال من دون توجيه سؤال لأحد». وقد خطر ببالي أن صاحب مثل هذا الادعاء لابد أن يكون مجنوناً، ولكن كثرة الثناء والمدح المتكرر الذي بدأت أسمع من الناس ومن الطلبة ومن العلماء الذين قاموا بزيارته أثارت في نفسي رغبة كبيرة لزيارته، فقررت أن أختار أصعب الأسئلة لأدق المسائل لأطرحها عليه، وكنت آنذاك أعد من الطلبة المتفوقين في المدرسة. وفي مساء أحد الأيام تهيأت واخترت من علوم العقائد أدق المواضيع التي تحتاج الاجابة عليها إلى عدة كتب، وذهبت إليه في اليوم التالي ووجهت إليه تلك الأسئلة فكانت أجوبته خارقة ومدهشة وعجيبة فكأنه كان معي يدقق الكتب البارحة؛ لأن أجوبته كانت تامة وكاملة. اما أنا فقد اطمأننت تماماً وعلمت علم اليقين بأن علمه ليس كسبياً كعلمنا، بل هو علم لدني، ثم أخرج لنا خارطة أوضح عليها مدى أهمية وضرورة فتح المدارس العلمية في شرقي البلاد التي كانت تدار آنذاك من قبل «القوات الحميدية» فبين عدم كفاية هذا الطراز من الإدارة لتلك المنطقة، كما بين ضرورة إيقاظ هذه المنطقة علمياً وذلك بأسلوب مقنع، وأنه لم يأت إلى إستانبول إلا من أجل تحقيق هذه الغاية⁽²⁾.

يقول النورسي موجهاً طلابه إلى هذه المسألة الخطيرة في الدعوة الإيجابية: (إن واجبنا نحوهم طلب الهداية لهم فحسب، فلا يرد في قلب أي طالب من طلاب النور الثأر ولو بمقدار ذرة، بل أوصيهم

دائماً مقابل ما لاقوه من العنت الثبات في خدمة رسائل النور والوفاء بها)⁽¹⁾ (لقد تم تأليف تفسير «إشارات الإعجاز» في السنة الأولى من الحرب العالمية الأولى على جبهة القتال بدون مصدر أو مرجع، وقد إقتضت ظروف الحرب الشاقة وما يواكبها من حرمان أن يكُتب هذا التفسير في غاية الإيجاز والاختصار لأسباب عديدة)⁽²⁾. (ومن هنا كانت واقعية الإسلام العظيم حين جمع في منهجه بين الدنيا والآخرة وبين عالم الغيب وعالم الشهادة، بين المادة والروح، بين الملك والملوكوت، بين العقل والقلب، بين السيف والقلم، بين الحرية والانضباط، وبين الفن والالتزام، وهذا في الحقيقة تكامل يصلح به الوجود الإنساني، وترتقي به الحياة وتزدان، فلا يطغى فيها جانب على آخر، ولا يشبع جانب ويجوع آخر، وبهذا التكامل يتوازن الإنسان مع ذاته أولاً، ومع البيئة من حوله ومع الوجود كله باعتباره جزءاً من هذا الوجود وعنصراً من عناصره المؤثرة فيه والمتأثرة به)⁽³⁾

1 العمل الإيجابي - القاعدة الثابتة لعمر مديد - ، تأليف: الدكتور علاء الدين باشار، بحث مقدم إلى، (المؤتمر العالمي لبديع الزمان سعيد النورسي الثالث)، (135).

2 السيرة ذاتية: (150).

3 من قضايا التحديات في القرن الواحد والعشرين التعليم في ضوء فكر النورسي، (57/58).

1 حسن فهمي: ولد في قرية محرم قولي التابعة لسبيدي شهر بتركيا سنة، (1874م) مستشار في هيئة الشؤون الدينية. توفي سنة (1964 م) في أنقرة. طريق الهداية: <http://www.toroslargazetesi.com.tr>

2 هامش، السيرة الذاتية: (91)

الأصالة، والحسب والنسب. ورحم الله من أعان على القضاء على السمعة الاجتماعية التي هي الرياء والشهرة الكاذبة، فضلاً عن الحفاظ عليها، فلم يبق إلا أجلي، وذلك بيد الخالق الجليل وحده. ومن يجراً أن يتعرض له قبل أو أنه. فنحن نفضل أصلاً موتاً عزيزاً على حياة ذليلة⁽¹⁾..

ثانياً: الحالة السياسية

كان الإمام النورسي في بداية حياته متابعاً للأمور السياسية والاجتماعية التي تحصل في البلد ناصحاً، ومرشداً طبقات المجتمع كافة، فمرة يقدم النصح لحاكم ومرة للمحكوم حسب ما تقتضيه الحالة التي تحصل في المجتمع، وحين تعرض الأمة إلى عدو خارجي، ترى أول من يتصدى للدفاع عن بيضة الدين. وكان الطابع العام لحياة بديع الزمان في إسطنبول طابعاً سياسياً إلى حد ما، إذ كان يحمل فكرة خدمة الدين عن طريق السياسة، فدفعه عشقه لخدمة الدين إلى هذا الطريق فناصر الدعوة إلى الحرية وعارض بشدة جمعية الاتحاد والترقي عندما شاهد من ظلمهم، بل ما كان يتردد أن يصدر في وجوههم قائلاً: لقد اعتديتم على الدين، وتعرضتم لغيره الله، وأدرتم ظهوركم للشريعة، أهدروا فإن العاقبة وخيمة.⁽¹⁾ ولكن مع هذا التوجه للإمام النورسي إلا أنه، (ساند جمعية فكرية سياسية إسلامية باسم «الاتحاد المحمدي» في مواجهة جمعية الاتحاد والترقي، وقد أظهر في هذه الجمعية براعة سياسية وفكرية منقطعة النظير، وعندما أحس مصطفى كمال بخطرته، عمل على تقريبه، والتقرب منه بإغرائه مادياً ومعنوياً، ولكن النورسي رفض هذه المحاولات، واضطر إلى مغادرة أنقرة، وأختار النفي الطوعي إلى إحدى المدن النائية حيث انزوى عن الناس سنة (1923م)⁽²⁾ فجعل الخالق الرحيم الحكيم هذا النفي لي رحمة، إذ حوّل ذلك الانزواء في الجبل الذي كان معرضاً لعوامل تخل بالإخلاص والأمان، إلى خلوة في جبال (بارلا)⁽³⁾ يحيط بها الأمن والاطمئنان والإخلاص⁽⁴⁾. السبب الحقيقي الذي أشغل الإمام النورسي عن الحياة السياسية، هو الانشغال بالقرآن الكريم، وعندما سئل الإمام النورسي، (لم لا تهتم إلى هذا الحد بمجريات السياسة العالمية الحاضرة؟.. نراك لا تغتبر من طورك اصلاً أمام الحوادث الجارية على صفحات العالم. أفترتاح إليها أم إنك تخاف خوفاً يدفعك إلى السكوت؛ إن خدمة القرآن الكريم هي التي منعتني بشدة عن عالم السياسة بل أنستني حتى التفكر فيها. والآن فإن تأريخ حياتي كلها تشهد بأن الخوف لم يكبلني ولا يمنعي في مواصلة سيرتي فيما أراه حقاً، ثم ممّ يكون خوفي؟ فليس لي مع الدنيا علاقة غير الأجل، إذ ليس لي أهل وأولاد أفكر فيهم، ولا أموال أفكر فيها، ولا أفكر في شرف

1 السيرة الذاتية: (137).

2 بديع الزمان النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية (المنهج والتطبيق)، (50).

3 بارلا: قرية نائية تقع جنوب غربي تركيا، تابعة لمحافظة أسبارطة، نفي إليها الإمام النورسي سنة، (1926) و ينظر: الممعات، (224/342)

4 المكتوبات: (58/59).

1 المصدر نفسه: (61).

الْقَوْلُ وَالْعَمَلُ، وَأَعْنِي بِالْقَوْلِ: التَّصَدِيقُ بِالْقَلْبِ وَالْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَهَذَا الَّذِي يُعْنَى بِهِ عِنْدَ إِطْلَاقِ قَوْلِهِمْ: «الإيمان قَوْلٌ وَعَمَلٌ»، لَكِنَّ هَذَا الْمَطْلُوبُ مِنَ الْعِبَادِ: هَلْ يَشْمَلُهُ اسْمُ «الإيمان»؟ أم الإيمان أخذهما، وَهُوَ الْقَوْلُ وَخُذَهُ وَالْعَمَلُ مُغَايِرٌ لَهُ لَا يَشْمَلُهُ اسْمُ «الإيمان» عِنْدَ إِفْرَادِهِ بِالذِّكْرِ، وَإِنْ أُطْلِقَ عَلَيْهِمَا كَانَ مَجَازًا؟ هَذَا مَحَلُّ النِّزَاجِ⁽¹⁾. (وَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ لَوْ صَدَّقَ بِقَلْبِهِ وَأَقْرَأَ بِلِسَانِهِ، وَامْتَنَعَ عَنِ الْعَمَلِ بِجَوَارِحِهِ: أَنَّهُ عَاصٍ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، مُسْتَحِقُّ الْوَعِيدِ)⁽²⁾. أما مفهوم الإيمان عند الإمام النورسي جاء بعبارات عدة تعطي الإطار العام لهذا المفهوم وهو ما عليه مذهب الجمهور، فعلى سبيل المثال قال الإمام: (إن الإيمان هو النور الحاصل بالتصديق بجميع ما جاء به النبي عليه السلام تقصيلا في ضروريات الدين، وإجمالا في غيرها)⁽³⁾. وقال: (إن الإيمان هو التصديق مع اليقين)⁽⁴⁾. ثم بعد ذلك ينطلق الإمام من مفهوم الإيمان من معناه العقدي التصديق الأقراري، إلى كونه يرسم منهجا للحياة؛ وأنه أساس العلوم والبناء الحضاري، فيقول: (بالإيمان الذي هو دواء مقدس لكل داء)⁽⁵⁾. وهو منبع الخلق والفضائل كما عبر عنه الإمام بقوله (الإيمان الذي هو منبع الخلق الحسن، والخصال الحميدة ومنشؤها)⁽⁶⁾. وبهذا تبقى قضية الإيمان قضية جوهرية عمل عليها الإمام النورسي، ونظر في أساسها وأبعادها وثمارها، وتتجلى تلك المعاني في جميع كتاباته، وعلى رأسها رسائل النور، التي كانت منقذاً للإنسانية من الضياع في تيه المادية الدنيوية.

ثانياً: تعريف الآخرة لغةً واصطلاحاً.

الآخرة لغةً: الآخر: مقابل الاول. من أسماء الله تعالى. أي الباقي بعد فناء خلقه، والأزلي الذي لا بداية له ولا نهاية⁽⁷⁾. وفي قوله تعالى: (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)⁽⁸⁾، الآخرة: مقابل الاولى: دار الحياة بعد الموت. وفي القرآن المجيد: وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا⁽⁹⁾.

1 المصدر نفسه: (ج/1 ص316).

2 شرح الطحاوية الأوقاف السعودية: (316).

3 إشارات الإعجاز: (48).

4 المصدر نفسه: (64).

5 الملاحق: (102).

6 السيرة الذاتية: (303).

7 القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، (16).

8 سورة الحديد: الآية (3).

9 سورة الاسراء: آية (10).

المبحث الثاني: أهمية الإيمان باليوم الآخر المطلب الأول: معنى الإيمان لغةً واصطلاحاً:

الإيمان: في اللغة: التصديق بالقلب⁽¹⁾.

الإيمان شرعاً: اختلف العلماء في مسمى الإيمان شرعاً على عدة أقوال:

القول الأول: إن الإيمان تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان. وهو مذهب مالك، والشافعي، وأحمد والأوزاعي، وسائر أهل الحديث، وأهل الظاهر، وجماعة من المتكلمين.

القول الثاني: إن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي، وإلى هذا ذهب أبو منصور الماتريدي رحمه الله، ويروى عن أبي حنيفة رضي الله عنه.

القول الثالث: إن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط! فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملو الإيمان، ولكنهم يقولون بأنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله به. وهو مذهب الكرامية.

القول الرابع: إن الإيمان هو المعرفة بالقلب! وهذا القول أظهر فساداً مما قبله! فإن لازمه أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين: فإنهم عرفوا صدق موسى وهارون، ولم يؤمنوا بهما، ولهذا قال موسى لفرعون: (قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا)⁽²⁾. (وحاصل الكل يرجع إلى أن الإيمان: إما أن يكون ما يقوم بالقلب واللسان وسائر الجوارح، كما ذهب إليه جمهور السلف من الأئمة الثلاثة وغيرهم، كما تقدم، أو بالقلب واللسان دون الجوارح، كما ذكره الطحاوي عن أبي حنيفة وأصحابه رحمه الله، أو باللسان وخذ، كما تقدم ذكره عن الكرامية. أو بالقلب وخذ، وهو إما المعرفة، كما قاله الجهم. أو التصديق كما قاله أبو منصور الماتريدي. وفساد قول الكرامية والجهم بن صفوان ظاهر)⁽³⁾. (ولا خلاف بين أهل السنة أن الله تعالى أراد من العباد

1 مختار الصحاح: (22) والمعجم الوسيط: (1/28).

2 سورة الإسراء: الآية (102).

3 شرح الطحاوية الأوقاف السعودية: (ج/1 ص315).

المراد بهذه الرسالة حيث بين اليوم الآخر باعتبار الأعم، ووقفت على محطات هذا اليوم الآخر بحسب ما تجلى الخطاب الأخرى للإمام النورسي في ذلك. أما معنى اليوم الآخر من حيث ابتداءه: فهو (يبدأ اليوم الآخر بفناء عالمنا هذا، فيموت كل من فيه من الأحياء، وتتبدل الأرض والسموات، ثم ينشئ الله النشأة الآخرة، فيبعث الله الناس جميعاً، ويرد إليهم الحياة مرة أخرى).

وبعد البعث يحاسب الله كل فرد على ما عمل من خير أو شر. فمن غلب خيره شره أدخله الله الجنة، ومن غلب شره خيره أدخله الله النار⁽¹⁾. وقد يفسر اليوم الآخر بالمعنى الأخص وهو: (يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء. وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم)⁽²⁾.

وأحياناً يسمي بالآخرة أو الدار الآخرة، كما هو التعبير القرآني لذلك كقوله: (وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ)⁽³⁾. وقوله: (فَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْرِكْ بِاللَّهِ الَّذِينَ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)⁽⁴⁾. وقوله: (تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)⁽⁵⁾. (ومن مقدمات اليوم الآخر الموت، وهو القيامة الصغرى، والقيامة الصغرى هي وفاة كل شخص عند انتهاء أجله، وبها ينتقل من الدنيا إلى الآخرة). و(اتفق المسلمون بل وأهل الملل السماوية على الإيمان باليوم الآخر، والتصديق بما أخبرت به الرسل من البعث والجزاء والجنة والنار)⁽⁶⁾.

أهمية الإيمان بالله وباليوم الآخر:

تتجلى أهمية الإيمان باليوم الآخر من خلال القرآن الكريم حيث جاءت الآيات الكثيرة وهي تقرر هذا اليوم بالحجج والبراهين و بالترغيب والترهيب، لتؤكد هذه الحقيقة وإبرازها بصورة واضحة، وفي هذا يقول الشيخ عبد الحميد محمد بن باديس - رحمه الله - (والقرآن يهتم اهتماماً بالغاً بتقرير الإيمان بهذا اليوم، ويبدو هذا الاهتمام باليوم الآخر فيما يلي:

1 العقائد الإسلامية (260).

2 شرح ثلاثة الأصول (100).

3 سورة البقرة: الآية(130).

4 سورة النساء: الآية (74).

5 سورة القصص: الآية(83).

6 أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة (608).

الآخرة اصطلاحاً: لم يكن المعنى الاصطلاحي للآخرة منفصلاً عن المعنى اللغوي، بل هما يتشابكان ليعطيان دلالة واحدة تعبر عن ذات الآخرة: أي: الدار الآخرة، قال الراغب: «يعبر بالدار الآخرة عن النشأة الثانية كما يعبر بالدار الدنيا عن النشأة الأولى⁽¹⁾ نحو: (وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)⁽²⁾. وربما ترك ذكر الدار نحو قوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)⁽³⁾، وقال تعالى: (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ)⁽⁴⁾، (أي: بالدار الآخرة، سميت الدنيا لدونها والآخرة لتأخرها، فهما صفتان في الأصل غلبتهما الاسمية فصارا اسمين)⁽⁵⁾. مفهوم الآخرة عند الإمام النورسي. لم يعط الإمام النورسي مفهوماً للآخرة محددًا بتعريف واحد، كما هو شأن التعريفات الاصطلاحية؛ لأن الآخرة لا تحتاج إلى تعريف، ومن أصعب الصعوبات تعريف المعرف. بل أستطيع القول أن المفهوم الأخرى عند الإمام النورسي هو المحور والنواة التي يتحرك من خلاله، وأعطى كل صفحة في الحياة، صورة معبرة عن الحياة الأخرى، فيتلاقى عنده المفهوم، من منحدرات عدة كلها تشكل مفهوماً كلياً عميقاً، ذا أبعاد كبيرة لهذا المفهوم. فالبتالي يصبح من الصعب أن نسوق تعريفاً للآخرة عند الإمام النورسي، وإذا حاولت في إعطاء تعريف يعتري هذا التعريف نوع من اللبس، لعدم انحصار هذا المعنى، بل سيكون له حيثيات متعددة واتجاهات ممدودة. وبهذا يبقى المفهوم الأخرى عند الإمام النورسي هو ما تحويه أسطر هذه الرسالة فكلها ناطقة بالمفهوم الأخرى عند الإمام النورسي.

المطلب الثاني: مفهوم اليوم الآخر وأهميته

إن اليوم الآخر نؤمن بها جملة وتفصيلاً، بداية من الموت إلى أن يستقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار⁽⁶⁾. وهذا الإعتبار الأعم لليوم الآخر بداية من الموت إلى دخول الجنة والنار هما

1 التعريفات الفقهية (11).

2 سورة العنكبوت: الآية(64).

3 سورة هود: الآية (16).

4 سورة البقرة: الآية(4).

5 التعريفات الفقهية: (11).

6 شرح الأصول الثلاثة،(216).

(طلسم)(1) الكون ولغزه(2). أن الإيمان بالله وباليوم الآخر يفتح باب السعادة للمؤمن. وبيان هذا في قوله: (إن الإيمان بالله وباليوم الآخر... يفتحان أمامها باب السعادة والهناء) (3). وفي موضع آخر يقول الإمام: (إن أسعد إنسان هو من: لا ينسى الآخرة لأجل الدنيا.. ولا يضحى بآخرته للدنيا.. ولا يفسد حياته الأبدية لأجل حياة دنيوية.. ولا يهدر عمره بما لا يعنيه.. ينقاد لأوامر انقياد الضيف للمضيف)(4).

2. الإيمان بالله يعني إيماناً وتصديقاً بوجوده جل وعلا وهو مقصد أعلى وأسمى، والإيمان باليوم الآخر، تصديق بحتمية وقوعه، وجاء في إشارات الإعجاز ما نصه: (الإيمان بالله إيمان بوجوده ووحدته، وباليوم الآخر بحقيقته ومجيبته) ولا شك أن التصديق بوجود الله القاطع والتصديق ووقوع اليوم الآخر مما يؤثر العبد عملاً وقرباً وإقبالاً.

3. إن الإمام النورسي ركز في تأليفه لرسائل النور على أهداف معينة، طبقاً للواقع الذي اقتضت معالجته في تلك الفترة العصبية في حياة الأمة، التي ما عادت الشريعة الغراء تحكمها، وإنما الأهواء المادية والمدينة الدنية، حيث لا مكان، ولا قول في حياة الناس للآخرة. لذلك جاءت معالجاته ناجعا معتمدا في ذلك على المصدرين السماويين القرآن والسنة النبوية، حيث يبين في تعريفه للقرآن: أنه (خريطة للعالم الأخروي..)(5). و(الرسول صلى الله عليه وسلم إذن يفتح بعبوديته باب الآخرة، مثلما فتح برسالته باب الدنيا)، وكذا في رسائله (إن رسائل النور لا تسد نظرها إلا إلى الآخرة، ولا تهدف غيرها، وليست لها غاية سوى رضا الله وحده، وإنقاذ الإيمان)(6).

4. جنح الإمام إلى الأدلة العقلية في إثبات الآخرة فيقول: (ما دام الله جل جلاله موجوداً؛ فإن الآخرة لا ريب فيها مطلقاً). وكذا يبسط الإمام القضية من خلال ضرب مثل حي عن

أولاً: يربطه الإيمان بالله:

لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ⁽¹⁾، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ⁽²⁾.

ثانياً: يكثر القرآن من ذكره له، فلا تكاد سورة تخلو من الحديث عنه، مع تقريبه إلى الأذهان تارة بالحجة والبرهان، وتارة بضرب الأمثال.

ثالثاً: أن المتتبع لآيات القرآن يجد أنه وضع لهذا اليوم أسماء كثيرة، وكل أسم منها يدل على معنى ما سيحدث من أهوال في هذا اليوم، فهو يوم البعث: (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبُعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبُعْثِ وَلَكِنَّا كُنَّا لَا نَعْلَمُونَ⁽³⁾). ويسمى يوم القيامة: (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُا عَلَىٰ اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ⁽⁴⁾). ويسمى الساعة: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ⁽⁵⁾).⁽⁶⁾

وللإمام النورسي إشارات وإضاءات في هذا الصدد منها:

1. أن الإيمان باليوم الآخر يحل الإشكالات المتعلقة بالكون ويجيب عن الأسئلة المطروحة.

وفي هذا يقول الإمام: (إن الإيمان بالله وباليوم الآخر، أضمن مفتاحين يجلان لروح البشر

1 الطلسم، لغز شيء غامض، ومبهم، «طلاس غريبة- طلسم عجيب» فك طلاس الشيء: وضحه وفسره وكشف أسراه. معجم اللغة العربية المعاصرة، (2/ 1408).

2 الكلمات: (26).

3 المصدر نفسه: (26).

4 المکتوبات: (92).

5 الكلمات: (165).

6 السيرة الذاتية: (428).

1 سورة البقرة: الآية (177).

2 سورة البقرة: الآية (62).

3 سورة الروم: الآية (56).

4 سورة الزمر: الآية (60).

5 سورة القمر: الآية: (1).

6 العقائد الإسلامية: (261).

الموت اصطلاحاً: (صفة وجودية خلقت ضدًا للحياة)⁽¹⁾.

مفهوم الموت: والمراد في البحث هو الموت الحقيقي، الذي يفارق به صاحبه الحياة ولا أريد الاستطراد في بيان معنى الموت الاصطلاحي بقدر البيان فقط، وإنما المهم في هذا هو بيان مفهوم الموت عند الإمام النورسي، وماهي المحددات الأساسية في خطاب الإمام النورسي في بيان مفهوم الموت. وقراءة مفهوم الموت عند الإمام النورسي يجد أنه ينطلق في البيان من منطلق إيماني، ومن هذا يقول: (إنه تعالى يبين للإنسان المؤمن - بنور الإيمان - أن الموت ليس اعداماً بل تبديل مكان، إن الموت لأهل الإيمان باب الرحمة. وهو لأهل الضلالة بئر مظلمة ظلاماً أبدياً)⁽²⁾. وكذلك يقول: (الموت، هو تبديل مكان وإطلاق روح وتسريح من الوظيفة، وليس إعداماً ولا عدماً ولا فناً). ومن منظور آخر بين الإمام أن (الموت إنقاذ للإنسان من أعباء وظائف الحياة الدنيا ومن تكاليف المعيشة المثقلة). وكذلك (الموت، تبديل مكان وتحويل موضع، وخروج من سجن إلى بستان. فليطلب الشهادة من يريد الحياة)⁽³⁾. فهذا التنقل في بيان مفهوم الموت عند الإمام هو لبيان أن هذه المحطة لها ما بعدها، فهي بستان للمؤمن، كما هي أعدام للكافر، وخلص من أعباء الحياة للمؤمن، وشقاء وفناء للكافر، وهكذا تتبع المعاني - في خطاب الإمام - البعد الإيماني، والموت ليس مخيفاً في ذاته في مفهوم الإمام: (إن الموت ليس مخيفاً في ذاته، كما يبدو لنا في صورته الظاهرية، وقد أثبتنا في رسائل كثيرة إثباتاً قاطعاً - دون أن يترك شكاً ولا شبهة - بموحيات نور القرآن الكريم: أن الموت للمؤمن إعفاء وإنهاء من كلفة ووظيفة الحياة ومشقتها وهو تسريح من العبودية التي هي تعليم وتدريب في ميدان ابتلاء الدنيا)⁽⁴⁾. ولا يخفى الخطاب والمعنى الأخروي في بيان معنى الموت عند الإمام النورسي، فيقول: (إن الموت في حقيقته تسريح وإنهاء لوظيفة الحياة الدنيا، وهو تبديل مكان وتحويل وجود، وهو دعوة إلى الحياة الباقية الخالدة ومقدمة لها)⁽⁵⁾. وبين الإمام وجوه النعمة أو الحكمة من الموت، وقد تكون حكم أنها لاتخلو من جانب مفهومي للموت، فيقول: من أوجه النعمة والامتنان الكثيرة للموت:

أولها: الموت إنقاذ للإنسان من أعباء وظائف الحياة الدنيا ومن تكاليف المعيشة المثقلة. وهو باب

الدنيا ويقول: (وحيث إن الدنيا موجودة فعلاً، وفيها الآثار الظاهرة للحكمة والعناية والرحمة والعدالة، فالآخرة موجودة حتماً، وثابتة بقطعية ثبوت هذه الدنيا. ولما كان كل شيء في الدنيا يتطلع من جهة إلى ذلك العالم، فالسير إذن والرحلة إلى هناك، لذا فإن إنكار الآخرة هو إنكار للدنيا وما فيها)⁽¹⁾.

5. إن أدلة وجود الدار الآخرة هو دعوة الأنبياء أقوامهم إلى العمل من أجل نيل جوائزها، (وأن الخالق سبحانه وتعالى سيأتي بالدار الآخرة بلا ريب، مثلما وعد بذلك وعداً قاطعاً).⁽²⁾.

6. يعزز الإمام النورسي الحياة الآخرة في النفوس، ويصفها بأنها هي الحياة، ولا تعرف الزوال، وأنها أبدية ليست وقتية. (الحياة الحقيقية إنما هي حياة الآخرة، فذلك العالم هو عين الحياة، إذ لا ذرة من ذراتها إلا نابضة بالحياة، ولا تعرف الموت إطلاقاً)⁽³⁾.

7. ويشير الإمام إلى هشاشة الحياة الدنيا، وأن لا قيمة حقيقية لها بمثل جميل كزجاجة فيقول: (إن الأمور التي تعود إلى الدنيا هي بمثابة قطع زجاجية قابلة للكسر، بينما الأمور الباقية التي تخص الآخرة، هي بقيمة الألماس المتين الثمين)⁽⁴⁾.

المبحث الثالث: أثر الموت في تعزيز الإيمان

المطلب الأول: مفهوم الموت

قبل بيان مفهوم الموت الاصطلاحي أو مفهومه عند الإمام النورسي أشرح ببيانه لغة؛ لبيان المقصود وإيضاح المعقود.

الموت لغة: (م وت): مَاتَ الْإِنْسَانُ يَمُوتُ مَوْتًا وَمَاتَ يَمُوتُ مِنْ بَابِ خَافَ لُغَةً وَمِثُّ بِالْكَسْرِ أَمُوتُ لُغَةً ثَالِثَةٌ وَهِيَ مِنْ بَابِ تَدَاخَلَ اللَّعْتَيْنِ وَالْمَوْتُ ضِدُّ الْحَيَاةِ. ⁽⁵⁾.

1 الكلمات: (111).

2 المصدر نفسه: (125).

3 صيقل الاسلام: (315).

4 المكتوبات: (40).

5 ينظر: التعريفات: (235). و مختار الصحاح، (301). ومعجم اللغة العربية المعاصرة، (3/2137).

1 التعريفات: (235).

2 للمعات: (297).

3 الكلمات: (847).

4 للمعات: (296/297).

5 المكتوبات: (8).

الغدارة...⁽¹⁾ (فإن (رابطة الموت)) تنفّر من الرياء، وتجعل المرابط معه يحرز الاخلاص إذ تخلصه من دسائس النفس الأمارة، وذلك بتذكّر موته وبملاحظة فناء الدنيا وزوالها. هذا ولقد أخذ المتصوفة وأهل الحقيقة العلمية ((رابطة الموت)) أساساً في منهج سلوكهم، وذلك بما تعلموه من الآية الكريمة، كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْجِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُزُورِ⁽²⁾، (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ)⁽³⁾، (فإزالوا بتلك الرابطة توهم البقاء وحلم الأبدية الذي يولد طول الأمل، حيث افترضوا خيالاً وتصوروا أنفسهم أمواتاً.. فالآن يُغسلون.. والآن يوضعون في القبر.. وحينما يتفكرون بهذه الصورة تتأثر النفس الأمارة بهذا التخيل أكثر فتتخلى شيئاً فشيئاً عن آمالها العريضة. فلهذه الرابطة إذن فوائد جمة ومنافع شتى. ويكفي أن الحديث الشريف يرشدنا إليها بقوله - صلى الله عليه وسلم ((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَادِمِ الدَّاءِ (يَعْنِي الْمَوْتَ).))⁽⁴⁾، وحيث أن مسلكنا حقيقة علمية وليست طريقة صوفية، فلا نرى أنفسنا مضطربين مثلهم إلى مباشرة تلك الرابطة بالافتراض والخيال. فضلاً عن أن هذا الأسلوب لا يلائم منهج الحقيقة. إذ التفكير بالعقبى ليس هو بجلب المستقبل إلى الحاضر خيالاً، بل الذهاب فكراً من الحاضر إلى المستقبل، ومشاهدة المستقبل من خلال الحاضر الواقع كما هو الحقيقة، فلا حاجة إلى الخيال، ولا يلزم الافتراض، إذ الإنسان يمكنه مشاهدة جنازته وهي ثمرة محمولة على شجرة عمره القصير، وإذا ما حول نظره قليلاً لا يرى موته وحده، بل يرى أيضاً موت عصره، حتى إذا جال بنظره أكثر يرى موت الدنيا ودمارها، وعندها يفتح أمامه الطريق إلى (الإخلاص التام)⁽⁵⁾. أن هذه الوجوه الخمسة لا يستفيد منها إلا من لم تغرق إنسانيته في الضلالة حيث (تورث تلك الحالة الروحية على سبيل المثال:

الوجه الأول: إنه سبحانه وتعالى يُظهر للإنسان - بحلول الشيخوخة - ختم الفناء والزوال على الأشياء الدنيوية الفتانة، ويفهمه معانيها المريرة، مما يجعله ينفر من الدنيا ويسرع للتحري عن مطلوب باق خالد بدلاً من هذا الفاني الزائل.

1 المثنوي العربي النوري: (305).

2 سورة آل عمران: جزء من الآية (185).

3 سورة الزمر: الآية (30).

4 سنن ابن ماجه، تأليف: ابن ماجه أبواب الزهد، بابُ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَالِاسْتِعْزَادِ لَهُ، (5/326) الرقم (4258)، (إسناده حسن من أجل محمّد بن عمرو، وهو ابن علقمة الليثي، وباقي رجاله ثقات).

5 للمعات: (226).

وصال في الوقت نفسه مع تسعة وتسعين من الأحبة الأعمام في عالم البرزخ، فهو إذن نعمة عظيمة!

ثانيها: إنه خروج من قضبان سجن الدنيا المظلم الضيق المضطرب، ودخول في رعاية المحبوب الباقي وفي كنف رحمته الواسعة، وهو تنعم بحياة فسيحة خالدة مستتيرة لا يزعجها خوف، ولا يكدرها حزن ولا همّ.

ثالثها: إن الشيخوخة وأمثالها من الأسباب الداعية لجعل الحياة صعبة ومرهقة، تبيّن مدى كون الموت نعمة تفوق نعمة الحياة. فلو تصورت أن أجدانك مع ما هم عليه من أحوال مؤلمة قابعون أمامك حالياً مع والديك اللذين بلغا أرذل العمر، لفهمت مدى كون الحياة نقمة، والموت نعمة. بل يمكن إدراك مدى الرحمة في الموت ومدى الصعوبة في إدامة الحياة أيضاً بالتأمل في تلك الحشرات الجميلة العاشقة للأزهار اللطيفة، عند اشتداد وطأة البرد القارس في الشتاء عليها.

رابعها: كما أن النوم راحة للإنسان ورحمة، ولا سيما للمبتلين والمرضى والجرحى، كذلك الموت - الذي هو أخو النوم - رحمة ونعمة عظيمة للمبتلين ببلايا يائسة قد تدفعهم إلى الانتحار أما أهل الضلال، فالموت لهم كالحياة نقمة عظيمة و عذاب في عذاب⁽¹⁾

المطلب الثاني: أثر الموت عند الإمام النورسي

يقول الإمام النورسي: (إنني موقن كل اليقين ولا يخالجنى أدنى شك في أن الموت بالنسبة لنا تسريح وتأشيرة دخول إلى عالم الطمأنينة والسعادة. ولنا آلاف البراهين من رسائل النور على ذلك، وحتى إن كان الموت إعداماً ظاهرياً لنا فإن مشقة ساعة من الزمان تتحول بالنسبة لنا إلى سعادة ومفتاح للرحمة وفرصة عظيمة للانتقال إلى عالم البقاء والخلود)⁽²⁾. ويقول أيضاً: (أعلم! أن المدينة الفاسقة أبرزت رياء مدهشاً يتعذر الخلاص منه على أصحاب المدنية، إذ سمّت الرّياء بـ (شان وشرف) وصيرت المرء يرئى للملّ ويتصنع للعناصر كما يرئى للأشخاص، وصيرت الجرائد دلالات له، وجعلت التاريخ يصفق ويشوق بالتصفيق، وأنست الموت الشخصي بحياة العنصرية المتمردة بدسياسة الحمية الجاهلية

1 المكونات: (8/9).

2 السيرة الذاتية: (452).

موضع (للشيوخ القريبين من باب القبر إنه باب رحمة وليس باب إعدام)⁽¹⁾. وقد يكون (القبر من حفرة للعدم لا قرار لها إلى باب الجنان)،⁽²⁾ و (أما سجن انفرادي مظلم وبئر سحيقة، أو هو باب إلى روضات خالدة ومضيف منور بعد السراح من سجن الدنيا)⁽³⁾. كما لأهل الضلال سجن، (القبر باب لسجن دائم للمتأدين في الضلالة والغي)، ثم هو (باب يفتح للمؤمنين إلى رياض جميلة وعالم رحب فسيح أفضل وأجمل من هذه الدنيا). وكل ذلك بسبب الإيمان، يقول الإمام، (أما الإيمان فقد جعل باب القبر ذاك باباً إلى عالم النور)، وبه يرى المؤمن، (القبر باب سعادة خالدة)، حيث يعتبر (هو أول منزل من منازل الآخرة والبرزخ والحشر والصراط إلى الجنة والسعادة الابدية)، (إذ ليس القبر فم ثعبان مرعب، بل هو باب إلى روضة من رياض الجنة). ويقول الإمام أيضاً، (هو طريق الحياة الذي يأتي من عالم الأرواح ويمر من القبر المؤدي إلى عالم الآخرة)، وكذلك يختم الإمام مفهومه للقبر (إن القبر لا يُغلق بابه)⁽⁴⁾.

الوجه الثاني: إنه تعالى يُشعر الإنسان شوقاً ورغبة في الذهاب إلى حيث رحل تسع وتسعون بالمائة من أحبته الذين يرتبط معهم والذين استقروا في عالم آخر، فتدفع تلك المحبة الجادة الإنسان ليستقبل الموت والأجل بسرور وفرح.

الوجه الثالث: إنه تعالى يدفع الإنسان ليستشعر ضعفه وعجزه غير المتأهيين، سواءً بمدى ثقل الحياة أو تكاليف العيش أو أمور أخرى، فيولد لديه رغبة جادة في الخلود إلى الراحة وشوقاً خالصاً للمضي إلى ديار أخرى.

الوجه الرابع: والإمام هنا في أيام العيد وهي أيام فرح يذكر بالموت، فيقول: (إخوتي الأعزاء الصادقين! أهنئكم بالعيد السعيد وأتمن خدماتكم الجليلة وأدعوه تعالى أن يوفقكم فيها وأشكر خالقي الرحيم شكراً لا يتناهى إذ جعل من أخوة ثابتين مضحين من أمثالكم مالكين لرسائل النور وناشرين لها. فكلما تذكرتكم امتلأت روعي إنشراحاً وقلبي فرحاً، فلا تكون مغادرتي الدنيا موضع أسف، بل أنظر إلى الموت كصديق، لدوام حياتي ببقاتكم أنتم، فانتظر أجلي دون قلق واضطراب، ليرض الله عنكم ابداً... آمين)⁽¹⁾.

المبحث الرابع: أثر ذكر القبر في تعزيز الإيمان

المطلب الأول: تعريف القبر لغةً واصطلاحاً

القبر لغةً: مدفن الإنسان من الشق والحد. وَجَمَعُهُ قُبُورٌ، وَالْمَقْبَرُ الْمَصْدَرُ. (2). للقبر أسماء: الجَدْتُ، والجَدْفُ، والرَّمْسُ، والبيْتُ، والصَّرِيحُ، والرَّيْمُ، والرَّجْمُ، والبَلْدُ، القبر.

القبر اصطلاحاً: وهو معنى لا يخرج عما قرره أهل اللغة أنفاً: وهو (المكان يدفن فيه الميت)⁽³⁾.

وعند الإمام النورسي القبر له صور متعددة ومختلفة، بحسب حال الإنسان، فيقول في أكثر من

1 المكتوبات: (539).

2 السيرة الذاتية: (298).

3 الشعاعات: (229).

4 الشعاعات: (164).

1 الملاحق: (107).

2 سورة يس: الآية (51)

3 القاموس الفقهي: (293).

المطلب الثاني: أهمية الإيمان بالقبر

إن الاستعداد لدخول القبر، والتفكير فيه، هو من الأثر الإيماني المتحصل من محطة القبر، وفي هذا يقول الإمام ما نصه: (ورأيت الدنيا التي هي محبوبة وحلوة ومعشوقة الغفلة ويظن أنها دائمة، رأيته تجري مسرعة إلى الفناء. ولكي أنغمس في الغفلة وأخادع نفسي، وأليت نظري شطر أدواق المنزلة الاجتماعية ومقامها الرفيع، الذي حظيت به في إستانبول والذي خُدعت به نفسي وهو فوق حدي وطوقني من حفاوة وإكرام وسلوان وإقبال وإعجاب.. فرأيت أن جميعها لا تصاحبني إلا إلى حد باب القبر القريب مني، وعنده تنطفئ، ورأيت أن رياءً ثقيلًا، وأثرة باردة وغفلة مؤقتة، تكمن تحت الستار المزمركش للسمعة والصيت، التي هي المثل الأعلى لأرياب الشهرة وعشاقها، فهتمت أن هذه الأمور التي خدعتني حتى الآن لن تمنحني أي سلوان، ولا يمكن أن أتلمس فيها أي قيس من نور؛ ولكي أستيقظ من غفلتي مرة أخرى وأنتبه منها نهائياً، بدأت بالاستماع كذلك لأولئك الحفاظ الكرام في جامع بايزيد، لألتقى الدرس السماوي للقرآن الكريم.. وعندها سمعت بشارات ذلك الإرشاد السماوي من خلال الأوامر الربانية المقدسة في قوله تعالى: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ۖ وَأَنُوتُوا بِهِ مُنْشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَنْهَارٌ مَطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ⁽¹⁾). وبالفيض الذي أخذته من القرآن الكريم تحريت عن السلوة والرجاء والنور في تلك الأمور التي أدهشتني وحيرتني وأوقعتني في يأس ووحشة، دون البحث عنها في غيرها من الأمور. فألف شكر وشكر للخالق الكريم على ما وفقني لأن أجد الدواء في الداء نفسه، وأن أرى النور في الظلمة نفسها، وأن أشعر بالسلوان في الألم والرعب ذاتهما⁽²⁾). يخاطب الإمام النورسي نفسه، مبيناً مدى قصر الحياة الدنيا، وأنها بين ضغطة القبريين، ولهذا يقول محذراً منها ما نصه: (إن أحببتك كلهم، وعلى رأسهم وفي مقدمتهم حبيب الله) - صلى الله عليه وسلم - ، هم الآن في الطرف الآخر من القبر. فلم يبق هنا إلا واحد أو اثنان وهم أيضاً متأهبون للرحيل. فلا تدير رأسك جفلة من الموت، خائفة من القبر، بل حدقي في القبر وأنظري إلى حفرتة بشهامة وأستمعي إلى ما يطلب. وأبتسمي بوجه الموت برجولة، وأنظري ماذا يريد؟ وإياك أن تغفلي⁽³⁾. (فتخرب على رأسك دنياك. فأنظري إلى الماضي إذ هو قبر واسع خرب على رأس كل ميت كان مثلك في دنياه. والمستقبل أيضاً قبر واسع يكون مثله. وأنت الآن

1 سورة البقرة: الآية(25).

2 السيرة الذاتية (187).

3 الكلمات:(191).

بين ضغطة القبريين، كما أن أمس قبر أبي، وغداً قبوري، وأنا أيضاً بين ضغطة القبريين. فالدنيا مع أنها واحدة؛ تداخلت واندمجت فيها - لكل أحد - دُنياً بتمامها، فهي شخصية كلية، من مات قامت قيامته⁽⁴⁾). يقول أحد طلابه (كان الأستاذ يمر على قبر سواء على الطريق أو في المقبرة، يدعو لهم بالخير. وذات يوم وقف على مقبرة وقال: أن شواهد هذه القبور تذكرنا بالآخرة، وتذرننا، فهي كالمعلم الحي لنا حيث هي شاخصة أمامنا. ألا ترون أن هذه الأحجار ترشدنا إلى دروس بليغة بلسان حالها وكأنها تقول لنا: أنتم أيضاً قادمون إلى هنا... لا مناص. وهكذا كان يعلمنا كيفية التفكير في الأمور كلها⁽²⁾).

المبحث الخامس: أهمية الحشر والحساب في تعزيز الإيمان

المطلب الأول: تعريف الحشر لغةً وأصطلاحاً

تعريف الحشر لغةً:

الحشر لغة: إخراج الجماعة عن مقرهم، وإزعاجهم، وسوقهم إلى الحرب، ونحوها.

وفي الاصطلاح: عند الإطلاق بإخراج الموتى عن قبورهم، وسوقهم إلى الموقف للحساب والجزاء⁽³⁾. (وحشر الله الخلق: بعثهم من مرقدهم أو مضاجعهم يوم القيامة. (قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ⁽⁴⁾)⁽⁵⁾).

(قال الراغب: لا يقال: الحشر إلا للجماعة قلت: هذا في أصل اللغة وإلا فقد يستعمل في الواحد والإثنين.

والنشر: إحياء الميت بعد موته. ومنه قوله تعالى: (ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ⁽⁶⁾)، أي: أحياه⁽⁷⁾).

المَحْشِرُ: بِكَسْرِ الشَّيْنِ مَوْضِعُ الْحَشْرِ.

1 المثنوي العربي النوري: (140).

2 السيرة الذاتية: (599).

3 معجم الفروق اللغوية (189).

4 سورة الملك: الآية: (24).

5 معجم اللغة العربية المعاصرة: (1/500).

6 سورة عبس: الآية: (22).

7 معجم الفروق اللغوية: (190).

مهما كانت حتى لو استطاعت أن تزيح الكرة الأرضية وتحطمها، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى يقر تلك الحقيقة بمقتضى أسمائه الحسنى جميعها وصفاته الجليلة كلها، وأن رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - يصدقها بمعجزاته وبراهينه كلها. والقرآن الكريم يثبتها بكثير من آياته وحقايقه. والكون يشهد لها بجميع آياته التكوينية وشؤونه الحكيمة⁽¹⁾.

المطلب الثاني: أثر ذكر الحشر في تعزيز الإيمان

يقول الدكتور عمار جيدل لقد، (ارتبطت فاعلية الحشر بربطه بعناصر ديمومة الحياة والحفاظ عليها، فقد جعل الشارع الإنتفاع بالدنيا في إعتدال وتوسط متناسبا بدرجة إستحضار الحشر في مباشرة التعامل مع الدنيا بمكوناتها المادية والمعنوية)⁽²⁾. (وإعلم! أن الجملة الأولى: (أعني هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)⁽³⁾. نظمها بخمسة أوجه:

الأول: أن الآية الأولى اشارة إلى نعمة الحياة والوجود، وهذه تشير إلى نعمة البقاء وأسبابه.

والثاني: أنه لما أثبتت الأولى للبشر أعلى المراتب، أعني الرجوع اليه تعالى تتبه ذهن السامع للسؤال «أين لهذا الإنسان الذليل إستعداد لهذه المرتبة العالية إلا أن يكون بفضلته تعالى وجذبه؟». فكأن هذه الجملة تقول مجيبة عن ذلك السؤال أن للإنسان عند خالقه الذي سخر له جميع الدنيا لموقعا عظيما.

والثالث: أنه لما أشارت الأولى إلى وجود الحشر والقيامة للبشر ذهب السامع إلى سؤال: ما أهمية البشر حتى تقوم القيامة لأجله ويخرب العالم لسعادته؟ فكأن هذه الجملة تجيبه بـ «أن من هُيئَ جميع ما في الأرض لإستفادته وسُخِّرَ له الأنواع له أهمية عظيمة تشير إلى أنه هو النتيجة للخلاقة».

والرابع: (إن الأولى أشارت إِنْمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُوثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)⁽⁴⁾، إلى رفع الوسائط

1 الكلمات:(94/95).

2 دراسات في مقاصد رسائل النور في ضوء القرآن الكريم- دراسة تحليلية (151).

3 سورة البقرة: الآية (29).

4 سورة العنكبوت: جزء من الآية(17).

وَالْحَاشِرُ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. (حدثني إبراهيم بن المنذر، قال: حدثني معن، عن مالك، عن ابن شهاب، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب)⁽¹⁾.

وأما مفهوم الحشر عند الإمام النورسي:

(الحشر الذي هو مفروض على الجميع الإيمان به ومعرفته، فإن كثيراً من مراتبه يمكن أن تتحقق بتلك القدرة والحكمة. فإذا ما اقتضت الحكمة الربانية قيامها، فلا بد أنه سيقمها جميعاً مع حشر الإنسان ونشره، أو سيقم بعضها مهماً منها.)⁽²⁾، كما هو (قضية نقلية، أي: أن أدلتها نقلية) ، وبحصوله تنكشف الحجب، وإذ (ارتفعت الأسباب وأسقطت الوسائط فارتفع الحجاب وكُشف الغطاء فيرى كلُّ صانعه ويعرف مالكة الحقيقي.)⁽³⁾، وهو هينٌ على الله وجل، يقول الإمام: (الحشر هينٌ عليه كإحياء ذبابة في الربيع ولهذا فالآية الكريمة، مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)⁽⁴⁾، أمرٌ حق وصدق جلي لا مبالغة فيه أبداً).

وهو (ينتظر بني آدم..). كما أن الحشر حق لا ريب فيه، وهو حقيقة راسخة لا مرأى فيها، مثلما أننا حق ومثلما تشهد لنا حقيقة ثبوت الموجودات، وإن مجيء الحشر أمر قطعي كقطعية مجيء الربيع)⁽⁵⁾. و (كل فردٍ من أفراد البشر سيعاد في الحشر الأعظم والنشر الأكبر بعينه وجسمه واسمه ورسمه)⁽⁶⁾. ثم (إن مسألة الحشر والآخرة من المسائل التي هي فوق طاقة العقل وحدوده، ولا تفهم إلا بتعليم هذين الإستاذين المعجزين «القرآن الكريم والرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم» وإرشادهما)⁽⁷⁾. وهكذا لقد فهم من الحقائق السابقة أن مسألة الحشر حقيقة راسخة قوية بحيث لا يمكن أن تزحزحها أية قوة

1 مختار الصحاح: (ص: 73).

2 الكلمات:(720).

3 إشارات الإعجاز: (216).

4 سورة لقمان: الآية (28).

5 الكلمات:(120).

6 للمعات:(162).

7 الشعاعات:(261).

مِنَ الْمُحْشَرِّ عَلَى أَعْمَالِهِمْ خَيْرًا كَانَتْ أَوْ شَرًّا تَفْصِيلاً لَا بِالْوِزْنِ إِلَّا مَنْ اسْتَنْتَى مِنْهُمْ) وقوله: (لا بالوزن) يحتمل أنه يريد أن الله يحاسبهم ثم يزن أعمالهم لا أنه يكتفي بالمحاسبة عن الوزن (إلا من استنتى منهم) فإنه لا يحاسبهم ولا يزن أعمالهم.⁽¹⁾

مفهوم الحساب: أن الله يوقفهم على أعمالهم تفصيلاً، ولا يكتفي بالمعرفة الإجمالية التي تتأتى من طريق الوزن. ونقل السفاريني عن الثعلبي تعريفه للحساب قائلاً: (الحساب تعريف الله - عز وجل - الخلائق مقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم ما قد نسوه من ذلك، يدل على هذا قوله تعالى: (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَأَخْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)⁽²⁾ (3). لقد حظي ذكر الحساب بنصوص كثيرة في كتاب الله - عز وجل - وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وأجمع عليه جميع أهل الإسلام، إذ هو من المسائل الأخروية المعلومة من الدين بالضرورة. وقد أكثر الله من ذكره في القرآن الكريم، في مواضع كثيرة، بعبارات متنوعة، ودلالات مختلفة مصوراً هول ذلك، أو مخبراً عنه ومبشراً به، كل ذلك لزيادة العناية وللفت أنظار الناس إليه ليكونوا على بينة من أمرهم، فيستعدوا له بالعمل الصالح، إذ أنه من أهم الأمور التي تحدث في يوم القيامة، وبه يتميز الناس فيسعد من يسعد، ويشقى من يشقى، حينما يفصل الله بين خلقه في أكمل صور العدل وأجلها، ونعرض فيما يلي أدلة إثباته من كتاب الله عز وجل ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم.⁽⁴⁾ ومن أهم الجوانب التي جاءت في القرآن الكريم في ذكر أمر الحساب:

1. ما جاء في إخباره عز وجل عن سرعة وقوع الحساب، فقال تعالى: (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُجِلَّ لَهُمْ سُبْحَانَكَ مَا تَعْلَمُ مَا لَا نَعْلَمُ لَعَلَّكَ أَتَىكَ الْبَاطِنُ الْأَخْفَى) وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب⁽⁵⁾.

2. وقال تعالى في بيان أن سرعة ذلك الحساب يكون مع تمام العدل: لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ⁽⁶⁾.

1 الوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية (2/171/172).

2 سورة المجادلة: جزء من الآية(6).

3 لوامع الانوار: (2/171).

4 الحياة الآخرة لغالب عواجي: (2/913).

5 سورة المائدة: الآية (4)

6 سورة إبراهيم: (51).

وإنحصار المرجعية فيه تعالى. والحال أن للبشر في الدنيا مراجع كثيرة، فهذه الجملة تقول أيضاً أن الأسباب والوسائط تشفّ عن يد القدرة، وأن المرجع الحقيقي في الدنيا إنما هو الله تعالى وإنما توسطت الأسباب لحكم؛ فإنه تعالى هو الذي خلق للإنسان كل ما يحتاج إليه.

والخامس: إن الأولى لما أشارت إلى السعادة الأبدية، أشارت هذه إلى سابقة فضل يستلزم تلك السعادة ذلك الفضل، أي: من أحسن إليه جميع ما في الأرض، لتحقيق بأن يعطى له السعادة الأبدية⁽¹⁾. ويختم مجموع تلك البراهين بذكر محصلة الكلام فيقول الإمام النورسي: (فهل من الممكن لهذا الخالق الجميل، الصانع الجليل، الله ذي الكمال، ألا يجعل دار ثواب جزاء؟ وألا يقيم الحشر، والنشور لنوع الإنسان، الذي يقابل بالشعور والعقل في هذه الدنيا الفانية جميع مقاصد ذلك الخالق الكريم، والذي يحبّ ذلك الخالق ويحبه بجميع استعداداته، والذي يعرفه ويعرفه، ويتوسل إليه بأدعية لا حد لها، لبلوغ السعادة الأبدية والبقاء الأخروي،⁽²⁾ ثم المعاني المقدسة المنبعثة من التجلي الأعظم للعدالة الكاملة، والحكمة التامة في الحشر الأعظم في الدار الآخرة، «إذ يتجلى أثرها على الأحياء كافة فضلاً عن الجن والإنس»⁽³⁾).

المطلب الثالث: مفهوم الحساب وتعزيز الايمان

الحساب لغة: من حَسَبَهُ حَسَبًا وحُسَبَانًا، بالضم، وحِسَابَانًا وحِسَابًا وحِسْبَةً وحِسَابَةً، بكسرهنّ: عدّه. والمعْدُودُ: مَحْسُوبٌ وحَسَبٌ. ويطلق الحساب ويراد به: العدد، والمعدود، الإحصاء أي المعاني التي جاءت لهذه الكلمة وإنما سمي الحساب في المعاملات حساباً: لِأَنَّهُ يُعْلَمُ بِهِ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ لَيْسَ فِيهِ زِيَادَةٌ عَلَى الْمِقْدَارِ وَلَا نُقْصَانٌ. وَأَحْسَبْتُ الرَّجُلَ أَي أُعْطَيْتُهُ مَا يَرْضَى، وَقَالَ غَيْرُهُ مَعْنَاهُ: أُعْطَيْتُهُ حَتَّى قَالَ: حَسْبِي⁽⁴⁾.

الحساب اصطلاحاً: أما المراد بالحساب في الشرع فإنه يراد به: (تَوْقِيفُ اللَّهِ عِبَادَهُ قَبْلَ الْإِنْصِرَافِ

1 إشارات الإعجاز: (224/225).

2 الشعاعات: (607).

3 الكلمات: (731).

4 ينظر: القاموس المحيط (74) وينظر: (الصالح تاج اللغة وصحاح العربية (1/ 109 / 110).

أَخْفِي لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ⁽¹⁾⁽²⁾.

ثانياً: تعريف النار لغةً وأصطلاحاً:

النار لغةً: (هي جوهر لطيف محترق)⁽³⁾.

تعرف النار شرعاً: (المراد بالنار محلها وفيه طبقة زمهريرية)⁽⁴⁾.

وقد جاء في تفسير قوله تعالى: (خَافِضَةً رَافِعَةً)⁽⁵⁾، أي: (خَفَضَتْ أَهْلَ النَّارِ، وَرَفَعَتْ أَهْلَ الْجَنَّةِ)⁽⁶⁾. ومن هنا يتبين أهمية ما جاء في الأسلوب القرآني من ميزات في مفهوم ذكر الجنة والنار، عند الإمام النورسي فيقول ما نصه: (إن الأسلوب المعجز للقرآن الكريم في بيانه الجنة والنار، وما في رسائل النور - التي هي فيض منه وتفسيره - من حجج حول وجودهما، لم يتركها مجالاً لأي إيضاح آخر، فأيات كثيرة جداً أمثال: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)⁽⁷⁾ (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا)⁽⁸⁾. وأغلب ما كان يردده الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم في أدعيته في كل وقت، والأنبياء عليهم السلام وأهل الحقيقة من: (أجرنا من النار).. (نجنا من النار).. (خلصنا من النار).. الذي حاز عندهم قطعية تامة بناء على الوحي المشهود.. كل ذلك يبين لنا أن أعظم قضية للبشرية على الأرض إنما هي النجاة من النار، وإن أعظم حقيقة وأدهشها من حقائق الكائنات، بل أكثرها أهمية إنما هي «جهنم» التي يشهدها قسم من أولئك المحققين...، ويرى آخرون لسنة لهيبها وظلمة سوادها، ويسمع بعضهم أزيز تضررها وفورانها فيصرخون من هولها «أجرنا من النار»⁽⁹⁾، وتعتبر الجنة والنار في نظر الإمام، ثمرتان من شجرة الخلق، فيقول: (ثم اعلم أن الجنة وجهنم ثمرتان تدلنَّ إلى الأبد من

3. والحساب تارة يكون يسيراً على أهل الإيمان والطاعات، وتارة يكون عسيراً على أهل الكفر والمعاصي. (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿7﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿8﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا)⁽¹⁾.

4. وأما مفهوم الحساب عن الإمام النورسي فلم يخرج عن المعنى القرآني والنبوي حيث يقول ما نصه: (إن للإنسان قوة حافظة - كحبة الخردل حجماً - وكتبت فيها تفاصيل حياته وما يمسه من أحداث لا تعد، وكأنها مكتبة وثائقية مصغرة جداً، ووضعتها في زاوية من دماغه، لتذكّره دوماً بيوم الحساب، يوم تُنشر ما فيها من صحائف الأعمال)⁽²⁾

المبحث السادس: مفهوم الجنة والنار وأهمية الإيمان بهما

المطلب الأول: تعريف الجنة والنار لغةً وأصطلاحاً

إن موضوع الجنة والنار من المواضيع التي أشبعت بحثاً، لأنهما يعتبران ثمرة الأعمال الدنيوية، وفي طبيعة الإنسان أنه يبحث على ثمرة أعماله في كل شيء يقدمه في هذا الدنيا، فهما حاول الكتاب والباحثون وصفهما فلا يصلون إلى الوصف القرآني، ففي آيات الجنة يكون الوصف القرآني أجمل من الجنة؛ من شدة وصف الترغيب فيها، أما في آيات النار التي هي أخوف من النار؛ من شدة التخويف منها، فهذا من بلاغة الكلام الرياني الذي لا يصل إليه أحد. ونجد هنا أختلاف الإمام النورسي عن غيره في التعبير والوصف لهما.

أولاً: تعريف الجنة لغةً وأصطلاحاً:

الجنة لغةً: (بأنها البستان ، والمراد بها دار الثواب)⁽³⁾.

تعرف الجنة شرعاً: (كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض، ويسميت الجنة إما لشبهها بالجنة في الأرض وإن كان بينهما بون، وإما لستر نعمتها عنَّ المشار إليه بقوله تعالى: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا

1 سورة السجدة: الآية(17).

2 التعريفات الفقهية: (73).

3 التعريفات: (239).

4 مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار (5 / 644).

5 سورة الواقعة: الآية (3).

6 تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن (23 / 206).

7 سورة آل عمران: الآية(191).

8 سورة الفرقان الآية(65).

9 الشعاعات: (274/275).

1 سورة الانشقاق: (7/9)

2 الشعاعات: (250).

3 ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف: (131).

وقدرته سبحانه هي التي خلقها. إلا أن الإنسان يمكن أن يكون مالكا لتلك الحسنات بالإيمان وبالرغبة وبالنية. وأما بعد تملكها فإن تلك الحسنات هي بذاتها شكرٌ للنعم الإلهية غير المحدودة التي أسبغها الله سبحانه وتعالى على الإنسان، وفي مقدمتها نعمة الوجود ونعمة الإيمان. أي: أن تلك الحسنات شكرٌ للنعم السابقة، لذا فالجنة التي وعدّها الله لعباده تُوهب بفضل رحماني خالص، فهي وإن كانت ظاهراً مكافأة للمؤمن إلا أنها في حقيقتها تفضّل منه سبحانه وتعالى. (بعمله بل برحمته)⁽¹⁾.

المطلب الثاني: أثر الجنة والنار في تعزيز الإيمان أولاً: الجنة:

عندما يتفكر الإنسان في الجنة والنار، تحصل لديه رهبا وشوقا، رهبا من النار وشوقاً إلى الجنة. يقول الإمام النورسي: (إن آيات القرآن الكريم التي تخص الجنة، هي أجمل من الجنة، وألطف من حورها، وأحلى من سلسيلها. هذه الآيات البينات لم تدع مزيداً لكلام. لذا نضع درجات سلمٍ، تقريباً لتلك الآيات الساطعة الأزلية الرفيعة الجميلة للفهم. ثم إن الجنة شاملة لجميع اللذائذ المعنوية، كما هي شاملة لجميع اللذائذ (المادية) الجسمانية أيضاً.)⁽²⁾ عند ذلك يكون وجود الجنة والنار في الآخرة ضرورياً، يقول الإمام: (أن وجود الجنة والنار ضروري في الآخرة فإن الغلبة المطلقة ستكون للخير وللدين الحق في المستقبل)،⁽³⁾ ومن هذه البشرى، التي يصنعها الإيمان،

يقول الإمام النورسي:

(إذا تناول الإنسان نعمةً لذيذة، ثم أدى شكره عليها، فإن تلك النعمة تصبح - بوساطة ذلك الشكر، نوراً وضياءً له، وتغدو ثمرة من ثمار الجنة الأخروية، وفضلاً عما تمنحه من لذة، فإن التفكير في أنها أثمر من آثار التقات رحمة الله الواسعة وتكرمة منه سبحانه وتعالى يمنح تلك النعمة لذةً عظيمة دائمة وذوقاً سامياً لا حد له. فيكون الشاكر قد بعث أمثال هذه اللباب الخالصة والخلصات الصافية، والمواد المعنوية إلى تلك المقامات السامية الرفيعة، تاركاً موادّها المهملة وقشرتها - التي إستنفدت أغراضها وأدت وظيفتها ولم تعد إليها حاجة - يتم تحولها إلى نفايات وفضلات تعود إلى أصلها من العناصر الأولية)⁽⁴⁾. وكذلك، ما (أخبر المخبر الصادق - صلى الله عليه وسلم - بما معناه: أن التسيّحات

شجرة الخليفة، ونتيجتان لسلسلة الكائنات، ومخزنان انصباب الكائنات، وحوضان للكائنات الجارية إلى الأبد نعم، تتمخض الكائنات وتختلط بحركة عنيفة وتنتظر الجنة وجهنم فتمتلئان)⁽¹⁾، وهما موجودتان قطعاً، فيقول الإمام: (أما وجود الجنة وجهنم، فقد أثبت اثباتاً قاطعاً في (الكلمة العاشرة والكلمة الثامنة والعشرين والكلمة التاسعة والعشرين)، إلا أننا نقول هنا: إن وجود الثمرة قطعي ويقين كقطعية ويقين وجود الغصن.. ووجود النتيجة يقين كيقين وجود السلسلة.. ووجود المخزن يقين كيقين وجود المحاصيل.. ووجود الحوض يقين كيقين وجود النهر.. ووجود موضع التجلي يقين كيقين وجود الرحمة والقهر)⁽²⁾. وفي هذا النص يوضح الإمام كيفية أن العوالم تتردد أذكار الحمد والتسبيح، فيقول: (إن عوالم الوجود وعوالم عدم غير المحدودتين عندما تتصادمان معاً، وعندما تثمران الجنة والنار، وعندما تقول جميع عوالم الوجود: «الحمد لله، الحمد لله» وتردد جميع عوالم عدم: «سبحان الله، سبحان الله»، إذا (فما هذه الدنيا الآ مزعة، والبيدر الحشر، والمخزّن الجنة والنار)⁽³⁾. و(كما أن الأجل والقبر ينتظران الإنسان، فإن الجنة والنار كذلك تنتظرانه وتترصدانه)⁽⁴⁾. إنه هو الذي «خلق الجنة والنار والصراط والميزان الأكبر لأجل تجليات وتحقق العدالة والحكمة والرحمة التي هي أهم أساس للربوبية)⁽⁵⁾ ويطرح الإمام السؤال التالي: (ما... الحكمة فيما جاء في الشرع: إن جهنم جزاء عملٍ أما الجنة فهي فضلٌ إلهي؟..)

الجواب: إن الإنسان يكون سبباً لتدمير هائل وشورر كثيرة بإرادة جزئية بلا إيجاد، وبكسبٍ جزئي، وبتشكيله أمراً عديماً أو إعتبارياً وإعطاء الثبوت له. ولأن نفسه وهواه يميلان إلى الأضرار والشورر دائماً، لذا يتحمل هو مسؤولية السيئات الناتجة من ذلك الكسب الجزئي اليسير. ذلك لأن نفسه هي التي أرادت، وكسبه الذاتي هو المسبب، ولأن ذلك الشرّ عديمي أصبح العبء فاعلاً له، والله سبحانه خلّقه فصار الإنسان مستحقاً لتحمل مسؤولية تلك الجريمة غير المحدودة بعذاب غير محدود. أما الحسنات فما دامت وجودية أصيلة، لا يكون الكسب الإنساني والارادة الجزئية علةً موجدة لها، فالإنسان ليس فاعلاً حقيقياً لها. لأن نفس الإنسان الأمانة بالسوء لا تميل إلى الحسنات، بل الرحمة الإلهية هي التي تريدها،

1 إشارات الإعجاز: (188).

2 المكتوبات: (12).

3 المثنوي العربي النوري: (112).

4 الكلمات: (92).

5 الشعاعات: (284).

1 للمعات: (118/119).

2 ينظر، الكلمات: (575/576).

3 صيقل الاسلام: (474).

4 المكتوبات: (463).

أن القرآن الكريم ، وصف حال أهل النار في آيات عديدة منها . (سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغَشَّى وُجُوهُهُمْ النَّارُ) (1) ، وقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ، أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (2).

يقول الإمام النورسي، عن حال أهل النار: إن ملاحظة حال أهل النار سبب لظهور قيمة لذة الجنة (3). ويخاطب الإمام النورسي نفسه قائلاً: (علم! يا قلبي أن لذائذ الدنيا وزينتها بدون معرفة خالقنا ومالكنا ومولانا ولو كانت جنة، فهي جهنم. هكذا ذقت وشاهدت. حتى في نعمة الشفقة كما في «قطرة» ومعرفته تُعني عن كل ما في الدنيا حتى عن الجنة أيضاً.) (4).

ثم أن الإمام يضحي بنفسه من أجل إنقاذ الآخرين، فيقول ما نصه: (أسأله تعالى أن يكبر جسمي ليملاً جهنم حتى لا يبقي موضع لمؤمن، أعذب عوضاً عنهم. فأنا أرضى كذلك بدخول النار، لأنقذ بضعة أشخاص منها بالإيمان. ليكبر جسمي في جهنم حتى لا يبقى موضع لمؤمن) (5). وكان الإمام، (يدعو بدعاء ترجمان الاسم الأعظم الذي يبدأ سبحانه يا الله تعاليت يا رحمن أجرنا من النار بعفوك يا رحمن عقب صلاة الصبح والعصر) (6).

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديهم الى يوم الدين، فبعد هذه الرحلة بالإيمان باليوم الآخر، أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث وهي:

1. إن ثلث القرآن المبين يبحث في الآخرة والحشر، وهو خارطة العالم الأخرى.
2. إن حياة الإمام النورسي أخروية بكل العهود التي عاشها، وهذا ما انعكس على رسائله.
3. الإخلاص والتجرد سمة بارزة في حياته.

1 سورة ابراهيم: الآية (50).

2 سورة البقرة: الآية (174).

3 إشارات الإعجاز: (195).

4 المثنوي العربي النورسي: (198).

5 الملاحق: (382).

6 السيرة الذاتية: (585).

والتحميدات التي تُذكر في الأرض تتجسد بصورة ثمرات الجنة) (1). (وتتجلى الجنة بروعتها وأبهتها الجمالية الخالدة، ويقول خزنتها لأهلها وأصحابها (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) (2)، وسيمنح القدير الحكيم بقدرته الكاملة أهل هذين الدارين الخالدين وجوداً ثابتاً أبدياً خالداً لا يعتره تغير ولا انحلال ولا شيب ولا إنقراض،) (3) ويقول الإمام النورسي عن أهل الجنة، بعد إنتهاء المحشر ما نصه:

(إن أهل الجنة يعرجون من المحشر إلى روضات الجنات في زمان قصير) (4). إذا أعلم: (أيها الإنسان! إن أعمالك التي أديتها، وعبوديتك التي قمت بها، لا تذهب هباءً منثوراً، فهناك دار جزاء خالدة، ومقام سعادة هائلة قد هي لك. فأمامك جنة خالدة متلهفة لقدمك، مشتاقة اليك. فتق بوعد خالقك ذي الجلال الذي تخر له ساجداً عابداً، وآمن به وأطمئن إليه، فانه محال أن يخلف وعداً قطعه على نفسه، إذ لا تشوب قدرته شائبة أو نقص، ولا يداخل إعماله عجز أو ضعف، فكما خلق لك حديقتك الصغيرة ويحييها، فهو قادر على إن يخلق لك الجنة الواسعة، بل قد خلقها فعلاً، ووعدك بها؛ ولأنه وعد فسيفي بوعده حتماً ويأخذك إلى تلك الجنة.) (5).

ويختتم الإمام النورسي بقوله: (إن قضاء الف سنة من حياة الدنيا وفي سعادة مرفهة، لا يساوي ساعة واحدة من حياة الجنة! وإن قضاء حياة ألف سنة وسنة بسرور كامل في نعيم الجنة لا يساوي ساعة من فرحة رؤية جمال الجميل سبحانه).

ثانياً: النار :

أن الوسائل المستخدمة في دعوة الناس الى دين الله عز وجل، هي الترهيب من نار جهنم، كما جاء ذلك في القرآن الكريم أو أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لأن البشرية اليوم تعرف شدة النار وحرها، ولعل الشاهد العملي المنظور لذلك، هو هذا الشمس الملتبهة المخيفة في كبد السماء. ثم

1 الكلمات: (681).

2 سورة الزمر: الآية: (73).

3 الكلمات: (621/622).

4 المصدر نفسه: (671).

5 المكتوبات: (279/280).

4. كان للتربية البيتية الأثر الواضح في تكوين شخصيته.
5. عاش اطواراً متعددة من العلم إلى الإرشاد إلى الجهاد إلى السياسة ،أكسبه ذلك خبرة في التعامل مع الواقع والوقائع التي عاصرها.
6. الاهتمام بالإصلاح على كافة المستويات، الاجتماعية ، والسياسية، والتعليمية، حسب متطلبات العصر، بمنهج حملته، (إنقاذ الإيمان وخدمة القرآن).
7. من منهجه توظيف السياسية حسب الضرورة ، دون الدخول فيها، لهذا في بعض الأحيان يرى من السياسية، ترك السياسة.
8. أبرز شيء في حياته تأليف رسائل النور، والتي أهتم بها في النسخ، والنشر والتوزيع، لأنها تشرح آية، وتوضح حديث، و تبين الحقائق الدينية والإيمانية، ومن العقائد الإيمان بالله، وبرسوله، واليوم الآخر.
9. كان لتجلياته العبادية، والكونية، والاجتماعية، والأسماء الحسنى، والمناجاة، أثراً إيمانياً في الخطاب الأخروي.
10. كان لمحطات الآخرة، القبر، والموت، والحشر، والحساب، والجنة والنار، أساليب متعددة في طرحها. منها الأسلوب العقلية والكونية والعاطفية والعلمية. علما أن وسائل الإقناع كلها كان مباحة عند الإمام النورسي.
11. الانتقال بعملية الإصلاح من القاعدة إلى القمة.
12. الاهتمام بالأمن الداخلي للبلد، وعدم إثارة الفوضى لأي سبب كان.

المصادر والمراجع القرآن الكريم.

1. الآثار التربوية والاجتماعية للإيمان باليوم الآخر في رسائل النور، تأليف:الدكتور:آزاد سعيد سمو، بحث مقدم ،إلى الحلقة الدراسية حول البعد الأخروي في رسائل النور، إستانبول – (س/2006-6-5).
2. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، تأليف:صالح بن فوزان ابن عبد الله الفوزان ،الناشر:(دار ابن الجوزي)،(ط.4) (س/1420هـ / 1999م).

3. أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، تأليف: محمد بن عبد الرحمن الخميس،الناشر:(دار الصميعي، المملكة العربية السعودية)،(د.ط)،(د.س).
4. الأعلام، تأليف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)الناشر:(دار العلم للملايين)،(ط.15)،(س / 2002 م).
5. الإمام النورسي والتعامل الدعوي مع القوميات(دراسة تاريخية)، تأليف:الدكتور ليث سعود جاسم ،أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك كلية معارف الوحي، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، (د.ط،د.س).
6. إنتهاء الخلافة العثمانية، تأليف:حلمي أحمد عبد العال شلبي،أطروحة مقدّمة لنيل درجة علمية أكاديمية.
7. الإيمان، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي(المتوفى: 728هـ)المحقق: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: (المكتب الإسلامي، عمان، الأردن).
8. بديع الزمان سعيد النورسي في حرب التحرير، تأليف: د. جزمي أر أصلان، بحث مقدم الى:(المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد النورسي (تجديد الفكر الاسلامي في القرن العشرين وبديع الزمان سعيد) النورسي)(إستانبول – تركيا)(24/ 26 أيلول 1995).
9. تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: 1205هـ)المحقق: مجموعة من المحققين،الناشر:(دار الهداية)،(د.ط)،(د.س).
10. تركيا الحديثة، تأليف: فؤاد شمالي،الناشر:(بيروت دار المكتبة الاهلية)(ط.1) (س/1358هـ-1939م).
11. التعريفات الفقهية، تأليف: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي،الناشر:(دار الكتب العلمية)(إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان(س/1407هـ /1986م)(ط1)س/ 1424هـ / 2003م).
12. التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني،(المتوفى: 816هـ)المحقق:ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر:(دار الكتب العلمية بيروت

عمار جيدل، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر المركزية - بن يوسف بن خدة - (د.ط) (د.س).

22. الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها، المؤلف: أ. د. عبد العزيز محمد الشناوي ، الناشر: (مطبعة الاعلو المصرية)، (د.ط) (س/1980).

23. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تأليف: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهرى، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد الناشر: (مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة) (ط.1)، (س/1424هـ - 2003م).

24. الشهود الأواخر شهادات ومشاهدات عن بديع الزمان سعيد النورسي، تأليف: نجم الدين شاهينر، ترجمة: مأمون رشيد عاكف (دارسوزلز، مصر - القاهرة) (ط.1) (س، 2012 م).

25. القيامة الكبرى، تأليف: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، (الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع)، الأردن (ط.6) (س/1415 هـ / 1995 م).

26. كليات رسائل النور، الكلمات، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي (دار سوزلز، مصر - القاهرة) (ط.7، س، 2013م).

-لبنان) (ط.1، 1403هـ - 1983م).

13. تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام ابن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: (دار الكتب العلمية - بيروت) (ط.1) (س/1422هـ) (5/441).

14. التوقيف على مهمات التعاريف، تأليف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية الناشر: (دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق)، (ط.1)، (1410).

15. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: (دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).

16. الجهاد في فكر النورسي «1873 - 1960»، تأليف: أ. د. علي الكتاني: ولد سنة 1941 في تونس، متخصص في الطاقة الكهربائية، باحث مشارك في المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد النورسي «تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين وبديع الزمان سعيد النورسي» (24 - 26 ايلول 1995 إستانبول - تركيا).

17. الحركة الإسلامية في تركيا، (1920هـ / 1980م)، تأليف: ابراهيم دسوقي شتا، (الزهراء للاعلام العربي - القاهرة).

18. الحياة الآخرة ما بين البعث الى دخول الجنة أو النار، تأليف: الدكتور غالب بن علي عواجي (المكتبة العصرية الذهبية) (جدة) (ط.2) (س.1421هـ/2000م).

19. خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية، تأليف: عبد التل (1918/1973) الناشر: (دار القلم - القاهرة)، (ط.2)، (س/1384هـ/1964م).

20. دائرة معارف القرن العشرين، تأليف: محمد فريد وجدي (دار المعرفة / بيروت / لبنان) (ط.3) (س/1971).

21. دراسات في مقاصد رسائل النور في ضوء القرآن الكريم - دراسة تحليلية -، تأليف: أ. د.

أ. د. عادل عبد الله حمد
رئيس قسم الشريعة
كلية العلوم الإسلامية
جامعة صلاح الدين - أربيل

Email: adil.hamad@su.edu.krd

الملخص

إن مسألة الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر من المسائل العقديّة التي اهتم بها الأديان السماوية السابقة، فما من دين إلاّ وقد عنى عناية كبيرة بهذا الجانب، وما من نبي ورسول (عليهم الصلاة والسلام) إلاّ وقد دعا قومه إلى عبادة الله تعالى وحده، وإلى الإيمان بملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر...

اهتم الإسلام بالمسائل العقديّة اهتماماً بالغاً، وفي مقدمتها الإيمان بالله تعالى الواحد الأحد، المتصف بصفات الكمال المطلق، والمنزه عن المشابهة والمماثلة بمخلوقاته، وتفرده سبحانه بالعبودية خالصاً مخلصاً لوجه الكريم، والإيمان بكل ما أمر الله تعالى به ونهى عنه، والإنقياد بكل ما صح وثبت عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

ونظر الإسلام إلى اليوم الآخر بأنه ذلك اليوم الذي يحشر الله تعالى عباده ليحاسبهم على أفعالهم فيما اقترفوها في الحياة الدنيا، وعدّ الإيمان به ضمن الإيمان بالغيبيات لأنه لم يشهده أحد، وإنما أخبرنا به الله تعالى عن طريق رسله الكرام (عليهم الصلاة والسلام)، لذا يتحتم على كل مسلم ومسلمة أن يعتقد اعتقاداً جازماً باليوم الآخر، لأن الإيمان به ليس واجباً شرعياً فحسب بل هو ركن من أركان الإيمان تبنى عليه عقيدة المؤمن، فلا تتم عقيدته إلاّ به.

والإمام النورسي في موسوعته العلمية الإيمانية "كليات رسائل النور" قام بإثبات حقيقة اليوم الآخر

أثر الإيمان باليوم الآخر
على حياة الفرد والمجتمع من خلال رسائل النور
- دراسة عقديّة -

والبعث والحشر فيه بأدلة يقينية ثابتة علمية وعقلية، وبأسلوب يأخذ بالقلب ويسكنه في شاطيء الأمان، وقد خصص من أجل هذا الكلمة العاشرة المسماة برسالة الحشر، يقول الإمام بديع الزمان النورسي مبيناً الموضوع بدليل من الأدلة التي يجمع فيه بين كل من القلب والوجدان والعلم والعرف والمنطق والفطرة، إذ يقول: "وأما القياس العدلي الذي تشير إليه الآية الكريمة: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْغَيْبِ﴾⁽¹⁾. فخلاصته: أننا نرى كثيراً في عالمنا أن الظالمين والفجار يقضون حياتهم في رفاة وراحة تامة، وأما المظلومون والمتدينون فيقضونها في شظف من العيش بكل مشقة وإرهاق، ومن ثم يأتي الموت فيحصد الاثنين معاً دون تمييز، فلو لم تكن هناك نهاية مقصودة ومعينة لظهر الظلم إذن في المسألة، لذا فلا بد من الاجتماع الأخروي بينهما حتى ينال الأول عقابه وينال الثاني ثوابه، إذ المنزه عن الظلم سبحانه وتعالى وهو العادل الحكيم - بشهادة الكائنات قاطبة - لا يمكن بحال من الأحوال أن تقبل عدالته وحكمته هذا الظلم ولا يمكن أن ترضيا به، فالنهاية المقصودة إذن حتمية، لأن رؤية هذا الإنسان الكادح المنهوك جزاءه وثوابه - حسب استعداده - يجعله رمزاً للعدالة المحضة ومداراً لها، ومظهراً للحكمة الربانية، ومنسجماً مع الموجودات الحكيمة في الكون واخاً كبيراً لها⁽²⁾.

ولعلّ مما ينبغي الالتفات إليه أن الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) لم يقبلوا على الدنيا وزينتها إلا قليلاً وبقدر حاجتهم إليها ولكن مع ذلك فكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يحثهم كثيراً على ضرورة الابتعاد عن شهوات الدنيا وزخرفها، ولهذا كانوا سابقين للطاعات والقربات والتزود بزيادة التقوى استعداداً ليوم الرحيل.

ومن الجدير بالذكر أن بعضاً من المسلمين وعلى الرغم من يقينه باليوم الآخر نجده غير منضبط ومستقيم، ولا يشعر بثمراته الطيبة، ولا ينعكس أثره الإيجابي على أفعاله وأقواله وتصرفاته، لذا فإن هذا اليقين وحده لا يكفي حتى ينضم إليه الصبر، والعلم، ومجاهدة الشهوات والعوائق.

الكلمات الدالة: الثمرات، الإيمان باليوم الآخر، الفرد والمجتمع، رسائل النور.

1 سورة فصلت: 46.

2 الكلمات: الكلمة(29)1/611.

The effect of believing in the Last Day (The Day of Judgment)

On the life of the individual and society
through the messages of the light

- Streptococcus study -

summary

The issue of belief in Allah-Almighty and the Last Day is one of the doctrinal issues that the previous heavenly religions were concerned with. There is no religion without great care in this aspect, and there is no prophet and messenger (peace and blessings be upon them) except that he called his people to worship Allah Almighty alone, and to believe in His angels His Books, His Messenger, and the Last Day(The Day of Judgment).....

The followers of these religions in their early years believed in the Resurrection, in Heaven and Hell, in reckoning and punishment... for the good and evil that a person presents in this world, and Allah Almighty has proven that about them in several verses of the Noble Qur'an.

However, this correct belief was changed by some people and deviated from it, so they worshiped humans, idols, stones and the calf with or without God Almighty, and they set to him proverbs.

Islam has paid great attention to doctrinal issues, foremost among which is the belief in Allah Almighty, the One and Only, who is characterized by the attributes of absolute perfection, free from resemblance and similarity with His creatures, and His uniqueness, Glory be to Him, in servitude purely and sin-

المقدمة

cerely for the sake of the Noble Face, belief in everything that God Almighty commanded and prohibited, and submission to all that is true and proven from Messenger of Allah, peace be upon him).

In Islam considers the (Last Day) as that day when Allah Almighty will gather His servants to hold them accountable for their actions in the life of this world, and counting faith in it within faith in the unseen because no one witnessed it, but Allah Almighty told us through His honorable messengers (peace and blessings be upon them), so it is imperative Every Muslim man and woman must firmly believe in the Last Day, because belief in it is not only a legal duty, but it is one of the pillars of faith. He must adopt the belief of the believer, and his belief is not completed without him.

Imam Badi' al-Zaman al-Nursi says: "As for the legal analogy to which the noble verse refers: { وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ }. In summary: We see a lot in our world that the unjust and ungodly spend their lives in comfort and complete Wellbeing, as for the unjust and the religious, they spend it in the hardships of living with all its hardships and exhaustion, and then death comes and reaps the two together without discrimination. If there was no intended and specific end, then injustice would have appeared in the matter. Therefore, there must be a meeting between them in the Hereafter so that the first obtains his punishment and the second obtains his reward, for He is not unjust, Glory be to Him, and He is just and wise, according to the testimony of all beings. His justice and wisdom cannot, in any way, accept this injustice and cannot be satisfied with it, The intended goal, then, is inescapable, because seeing this hard-working, exhausted human being punished and rewarded - according to his preparation - makes him a symbol and a harbinger of pure justice, and a manifestation of divine wisdom, In harmony with the wise beings in the universe and a great brother to them

It is worth noting that some Muslims, despite their certainty of the Day of Resurrection, find them undisciplined and upright, and do not feel its good fruits, and its positive impact is not reflected in their actions, words and behaviors.

Keywords: fruitfully- faith in the last day- individual – society - Messages of the light.

قال الله تعالى: { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ }⁽¹⁾. والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فقد اعتنى الإسلام بمسألة الإيمان باليوم الآخر عناية كبيرة، وعدَّ التصديق به ركناً من أركان الإيمان، ولأهمية هذا اليوم العظيم أشترط الله تعالى مع الإيمان به، الإيمان باليوم الآخر، قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ مِمَّنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾⁽²⁾، وفي الوقت نفسه جعل الكفر باليوم الآخر كمن كفر به سبحانه، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾⁽³⁾.

يقول الإمام النورسي: "إن الإيمان حقيقة واحدة نابعة من ستة أركان متحدة وموحدة لا تقبل التفريق، وهو كلي لا يتحمل التجزأة، وهو كل لا تقبل أركانه الانقسام، ذلك لأن كل ركن من تلك الأركان الايمانية - مع حججها التي تثبته - يثبت بقية الأركان، فيصبح كل ركن حجة قاطعة عظمى لكل من الأركان الأخرى. لذا فالذي لا يتمكن من جرح جميع الأركان مع جميع أدلتها يعجز كلياً - من وجهة الحقيقة - نفي ركن واحد منها؛ وتفنيد حقيقة واحدة من حقائقها، إلا أن يغمض المنكر عينيه ويتشبث بعدم القبول أو الرفض، فيدخل عندئذ الكفر العنادي، ويسوقه ذلك بمرور الزمن إلى الكفر المطلق، فتندم انسانيته ويولى إلى جحيم مادي فضلاً عما هو فيه من جحيم معنوي"⁽⁴⁾.

واليوم الآخر هو اليوم الذي يأتي بعد انتهاء الحياة الدنيا الفانية، قال الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾⁽⁵⁾، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَضْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾⁽⁶⁾.

1 سورة الأنعام: 1.

2 سورة البقرة: 177.

3 سورة النساء: 137.

4 الشعاعات: الشعاع (11) 4/279.

5 سورة آل عمران: 35.

6 سورة النساء: 87.

الشريفة، وتطبيق أوامرهما ونواهيهما تطبيقاً صحيحاً بعيداً عن سمات التعنت والتشدد.

3. دعوة المسلمين إلى قراءة رسائل النور والاستفادة منها بعمق، إذ تعدُّ كليات الرسائل من أهم المصادر الذي عالج قضايا العصر الحساسة برؤيا علمية واضحة، من غير تعصب مذهبي أو تشدد في مواجهة المخالف، فابتعدت (رسائل النور) عن العرض الطائفي، وركزت على العرض الحضاري الراقي للدين الإسلامي.

أسباب اختيار الموضوع:

وقد جاء اختيار هذا الموضوع لأسباب الآتية:

1. انفتاح الدنيا الشديد على كثير من الناس في هذا الزمان وما صحب ذلك من تزيين الدنيا في أعينهم وإغفالهم عن الآخرة، وتركهم العمل الصالح، والمبادرة لفعل الخيرات، وترك المنكرات.
2. ظهر في عصرنا الحاضر مشكلات معقدة، نشأة عنها أمراض نفسية متنوعة كالقلق والاكتئاب واليأس مما يؤدي غالباً إلى حياة يائسة، ومن أهم أسباب ظهور هذه الأمراض في حياة الفرد والمجتمع هو عدم الاستعداد ليوم الآخرة.

منهج البحث:

اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج التحليلي وذلك من خلال ما يلي:

1. الاعتماد على الأحاديث الصحيحة، وتخريجها من مصادرها، وبيان الصحيح من الضعيف منها.
2. بيان الإيمان باليوم الآخر وأثره على حياة الفرد والمجتمع من خلال رسائل النور للإمام النورسي، لأنَّ عليها مدار الدراسة.
3. رصد أقوال المتكلمين والباحثين المعاصرين وأدلتهم التي استدلو بها على الإيمان باليوم الآخر وانعكاس ثمرته على حياة الفرد والمجتمع.

4. شرح المصطلحات والكلمات الغريبة في الهامش معتمداً على المعاجم اللغوية.

وتجدر الإشارة إلى أن الإيمان باليوم الآخر له أثر عظيم في ضبط سلوك الإنسان، ويؤدي بالفرد إلى أن يلتزم بمكارم الأخلاق، ويتنافس على فعل الخيرات، ويجتنب المنكرات... ولا يتأتى ذلك إلا من خلال ما يحدثه الإيمان بالآخرة من مراقبة الله تعالى في السر والعلن، والخوف من عقابه، والطمع في ثوابه، يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾⁽¹⁾، ويقول سبحانه: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾⁽²⁾.

ويجب أن لا ننسى أن أثر الإيمان باليوم الآخر على الإنسان لا يقتصر على الحياة الدنيا فقط، وإنما تشمل الدار الآخرة أيضاً، وفي مقدمتها الفوز بمرضاة الله تعالى، والأمن من الفرع الأكبر، والتمتع بجناته، والنجاة من النار.

أهمية الموضوع:

1. تظهر أهمية هذا البحث في موضوعه، وكفائه أهمية أن يتعلق بالإيمان باليوم الآخر كما عرضتها رسائل النور، إذ شرف البحث متعلق بشرف موضوعه، لذا يُعدُّ هذا الموضوع من الموضوعات المهمة والمؤثرة في حياة الفرد والمجتمع.
2. تُعدُّ مسألة الإيمان باليوم الآخر من المسائل المهمة في عصرنا الحالي، إذ الحاجة إليها ماسة، وخاصة في ظل تقشي الانحراف العقدي لدى أصحاب النفوس الضعيفة.

هدف الموضوع:

1. يهدف هذا البحث المتواضع إلى إلقاء الضوء على مسألة: (أثر الإيمان باليوم الآخر على حياة الفرد والمجتمع من خلال رسائل النور) الذي تعدُّ من صميم العقيدة الإسلامية وإحدى أركانها الأساسية، وخرج بنتيجة أن ما يفعله بعض المسلمين من الأعمال السلبية غير الحميدة لم يرسخ مفاهيم الإسلام في قلوبهم.
2. دعوة المسلمين إلى الاهتمام بمسائل العقيدة كما أمر بها القرآن الكريم، والسنة النبوية

1 سورة الأنعام: 92.

2 سورة المؤمنون: 74.

المطلب الأول

حكم الإيمان باليوم الآخر ودليل وجوده

أولاً: حكم الإيمان باليوم الآخر:

اليوم الآخر هو ذلك اليوم الذي يبعث الله تعالى فيه الخلائق للحساب والجزاء، حيث يستقر أهل الجنة في الجنة أبداً، ويستقر أهل النار في النار أبداً⁽¹⁾. وأن المراد باليوم الآخر من منظور إسلامي أمران:

الأول: فناء العالم، وانتهاء الحياة.

الثاني: إقبال الحياة الآخرة وابتدائها⁽²⁾.

واليوم الآخر عبارة عن التصديق الجازم بانقلاب هائل يتم في الكون، ويكون انتهاء الحياة الدنيا، وابتداء حياة أخرى وهي الدار الآخرة بكل ما فيها من حقائق مذهشة، من بعث الخلائق وحشرهم وحسابهم ومجازاتهم⁽³⁾.

وأنه يجب على كل مسلم ومسلمة أن يعتقد اعتقاداً جازماً بكل ما أخبر الله تعالى ورسوله الأكرم (صلى الله عليه وسلم) به مما يكون بعد الموت من عذاب القبر ونعيمه، وحياة البرزخ، وما يكون في اليوم الآخر من البعث، والحشر، والحساب، والصراف، والجنة، والنار... وغير ذلك مما يجري في عرصات يوم القيامة⁽⁴⁾.

ويعدُّ الإيمان باليوم الآخر ضمن الإيمان بالغيبيات لأنه لم يشهده أحدٌ، وإنما أخبرنا به الله تعالى عن طريق رسله الكرام (عليهم الصلاة والسلام)، وقد اتفق المسلمون على أن الإيمان به ركن من أركان الإيمان لا تتم عقيدة المؤمن إلا به، ويكفر من لا يؤمن به بالإجماع⁽⁵⁾، يقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾

1 اليوم الآخر:6.

2 ينظر: العقيدة الواسطية:20.

3 عقيدة المؤمن:190.

4 ينظر: العقيدة الواسطية:20 وركائز الإيمان:393 واليوم الآخر:6.

5 ينظر: العقيدة الإسلامية ومذاهبها: 621 وعقيدة المؤمن:190.

5. ترجمة الأعلام الواردة في البحث عدا الصحابة الكرام المشهورين (رضي الله عنهم) بإيجاز.

6. مراعاة توظيف المصادر في الهامش معتمداً على سنوات وفيات مؤلفيها، فقدمت المتقدم على المتأخر في الوفاة، واقتصرت بذكر اسم المصدر في الحاشية، أما التفاصيل الأخرى ففصلتها في قائمة المصادر.

الدراسات السابقة:

لم أجد مصدراً أو رسالة علمية أو بحث أكاديمي - حسب اطلاعي - تناول هذا العنوان وبهذا الشكل، إلا أنه هناك مصنفات ودراسات كثيرة وفي تخصصات متعددة من عقيدة وفكر وتفسير وحديث وتصوف وغيرها للعلماء والباحثين المعاصرين منهم والقدامى تناولوا فيها الإيمان باليوم الآخر وما يتعلق بالموضوع من مباحث الإثبات والأسماء وكيفيته وغيرها من المباحث، وقد اعتمدت علي بعض منها في هذه الدراسة.

خطة البحث:

اقتضت المادة العلمية المجموعة أن يتكون البحث من مقدمة ومبحثين، وخاتمة، فمصادره ومراجعته، ويمكن إيجاز خطة البحث وما يحتويه في الآتي:

أما المبحث الأول فقد احتوى مطلبين، بينت في أوله حكم الإيمان باليوم الآخر ودليل وجوده، وتحدثت في ثانيه عن أسماء اليوم الآخر في القرآن الكريم.

وتضمن المبحث الثاني مطلبين، خصصت أوله لثمرات الإيمان باليوم الآخر في الحياة الدنيا، أما ثانيه فقد عينته لثمرات الإيمان باليوم الآخر في الحياة الثانية.

وختمت البحث بخاتمة بيّنت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها مع ذكر بعض التوصيات، وأرجو الله تعالى أن أكون موفقاً فيما درست وبحثت من الموضوعات، ويساهم في بيان العقيدة الصحيحة، وإذا كان قد فاتني شيء فحسبي، فالكمال لله وحده، وهو ولي التوفيق.

المبحث الأول: اليوم الآخر في الإسلام حكمه وأسمائه

نسلط الضوء في هذا المبحث عن حكم الإيمان باليوم الآخر في الإسلام والأدلة على ثبوته وأسمائه نذكرها في مطلبين وكالاتي:

عنها الأستاذ النورسي: (وإذا كنت ترغب أن تفهم أن مجيء الحشر أمر قطعي كقطعية مجيء الربيع المقبل وحتميته ، فأنعم النظر في الكلمة العاشرة والكلمة التاسعة والعشرين ، وإن لم تصدق به كمجيء هذا الربيع ، فلك أن تحاسبني حساباً عسيراً⁽¹⁾)، ومن ضمن ما استدلت به الأستاذ من الأدلة الباهرة على وجود اليوم الآخر، قوله: "إن جميع المعجزات الدالة على رسالة سيدنا محمد(صلى الله عليه وسلم) مع جميع دلائل نبوته، وجميع البراهين الدالة على صدقه، تشهد بمجموعها معاً، على حقيقة الحشر، وتدل عليها وتثبتها. لأن دعوته (صلى الله عليه وسلم) طوال حياته المباركة قد انصبت بعد التوحيد على الحشر. وأن جميع معجزاته وحججه التي تدل على صدق الانبياء (عليهم السلام) . وتحمل الآخرين على تصديقهم. تشهد على الحقيقة نفسها، وهي الحشر. وكذا شهادة "الكتب المنزلة" التي رقت الشهادة الصادرة من "الرسول الكرام" إلى درجة البهامة ووضحتها، تشهدان على الحقيقة نفسها"⁽²⁾.

ثانياً: الدليل على ثبوت اليوم الآخر:

استنتب العلماء من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أدلة علمية وعقلية كثيرة على وجود اليوم الآخر وثبوته، وفيما يأتي نذكر بعضاً منها كالآتي:

⁽¹⁾الدليل العلمي المحسوس الذي يقدمه القرآن الكريم هو قانون الإحياء والإماتة، الذي يشمل مظاهر الحياة كلها من عالم النبات وعالم الحيوان، وعالم الإنسان كما نشاهده في حياتنا، وهذا القانون هو واحد يسري على الكائنات جميعاً، حتى عالم الجماد، فالنجم يولد ويكبر ثم يصغر ثم يموت ليولد من مواده نجم آخر وهكذا، وفي حياة الإنسان يموت الواحد منا مرات عدة ويحيا من جديد، فمن المعلوم أن خلايا الجسم تموت كل عقد فتظهر خلايا جديدة مكانها متوالدة من الخلايا القديمة كي تعطى الحياة من جديد بالخصائص عينها⁽³⁾.

يقول الله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ ﴿٤﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا

1 الكلمات: الكلمة (10) 1 / 120.

2 الكلمات: الكلمة(10)1/105.

3 العقائد الإسلامية في ضوء العلم والعقل والوحي: 98.

4 سورة الروم: 19.

5 سورة الروم: 50.

⁽¹⁾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ مِنَ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢﴾﴾، فدللت الآيتان على ضرورة الإيمان باليوم الآخر وأهمية هذا الركن العظيم⁽³⁾.

ونظراً لأهميته فقد اشترط الله تعالى مع الإيمان به سبحانه الإيمان باليوم الآخر، وقد وردت هذه الصلة في (28) موضعاً في القرآن الكريم⁽⁴⁾، منها: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالصَّابِئُونَ وَالصَّابِئُونَ مِنَ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٥﴾﴾، ويقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٦﴾﴾، ولذلك إن إنكار وجود اليوم الآخر يُعدُّ من أكبر درجات الكفر، وقد أمر الله تعالى المؤمنين بقتال من لا يؤمنون باليوم الآخر، حيث قال الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٧﴾﴾.

وفي السنة النبوية الشريفة ما روى أمير المؤمنين عُمرُ بْنُ الْخَطَّابِ(رضي الله عنه) قال: قَالَ [جبريل] فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)⁽⁸⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن الإمام النورسي كتب رسالة الحشر "وهي الكلمة العاشرة ضمن كتاب الكلمات من كليات رسائل النور" لإثبات اليوم الآخر بأدلة علمية وعقلية ، وهي رسالة قيمة بلغت مبلغاً قال

1 سورة البقرة: 177.

2 سورة البقرة: 62.

3 ينظر: العقائد الإسلامية في ضوء العلم والعقل والوحي: 98.

4 العقيدة الإسلامية أركانها حقائقها مفرداتها: 376.

5 سورة المائدة: 69.

6 سورة النساء: 38.

7 سورة التوبة: 29.

8 أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب: الإيمان، باب: معرفة الإيمان والإسلام: 1 / 28، رقم الحديث(102).

الإحياء والإمامة من غير أن ترتب على ذلك عاقبة حميدة ضياعاً وعبثاً، وهذا من العبث الذي لا يليق بحكمة الصانع الحكيم⁽¹⁾.

ولعلّ مما ينبغي الالتفات إليه أن الأستاذ النورسي عدّ وجود الإنسان نفسه من الأدلة الباهرة على وجود الآخرة، فقال: "أنه مثلما تدل حقيقة معدة الإنسان وحاجاتها دلالة قاطعة على وجود الأطعمة، فإن حقيقة الإنسان وكمالاته وحاجاته الفطرية وآماله الأبدية وحقائقه واستعداداته، تتطلب النتائج والفوائد المذكورة للإيمان بالآخرة، وتدلل قطعاً على الآخرة، وعلى الجنة، وعلى لذائذ مادية محسوسة باقية، وتشهد على تحققها. وإن حقيقة كمالات هذا الكون أيضاً، وآياته التكوينية الحكيمة، وجميع حقائقه المرتبطة بالحقائق الإنسانية، تدل دلالة قاطعة أيضاً على وجود الآخرة وعلى تحققها، وتشهد شهادة صادقة على مجيء الحشر وافتتاح أبواب الجنة والنار"⁽²⁾.

⁽³⁾ إن دراسة الظواهر الجزئية في نطاق هذا الكون تدل على أن كمال مقتضيات العدل، وكمال مقتضيات الحكمة لم يتحققا فيه، وحين نلاحظ هذا، ونلاحظ معه صفات الخالق العظيمة والتي منها العدل والحكمة، والعلم والقدرة، ونلاحظ قوانينه الصارمة وسننه الثابتة في الكون، فإننا نهدي - فكرياً - إلى أن حياة أخرى قد رُتبت في برنامج الوجود الكبيرة، لإقامة كمال العدل وكمال الحكمة فيها، وفيها يتم تحقيق الصورة المثلى للجزاء الرباني⁽³⁾.

⁽⁴⁾ كمال الربوبية والإلهوية: واكتمال القدرة الإلهية لا تكون إلا بوجود يوم آخر، يبعث الله فيه الناس من قبورهم، ويوقفهم للحساب والجزاء الرباني العادل، ولولا تحقق وقوع هذا اليوم لما كان للأوامر، والمباحات، ولا للنواهي، والمحرمات، جزاء ولا معنى⁽⁴⁾، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا حَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁽⁵⁾.

1 العقيدة الإسلامية أركانها حقائقها مفسداتها: 376 والعقيدة الإسلامية وأسسها: 621.

2 الشعاعات: الشعاع (11) 4/271.

3 العقيدة الإسلامية وأسسها: 623.

4 العقيدة الإسلامية أركانها حقائقها مفسداتها: 376.

5 سورة المائدة: 69.

بِهِ جَنَاتٍ وَحَبِّبَ الْخَصِيدَ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾⁽¹⁾.

⁽²⁾ إن حكمة الله تعالى يأبى أن يخلق هذا الكون عبثاً، وأن يخلق الإنسان بصفاته وجعله خليفته في الأرض وتكون نهاية قصة خلقه محدودة بظروف هذه الحياة الدنيا بكل ما نشاهد فيها من أعمال خير وشر⁽²⁾.

ومما لاشك فيه أن صراع الإنسان مع نفسه ومع غيره يولد مظالم كثيرة في الحياة، وعليه فإن الرجوع إلى الله تعالى ضرورة حتمية عقلاً لإحقاق الحق وإبطال الباطل وتحقيق الكمال النهائي⁽³⁾، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾⁽⁴⁾، وقوله تعالى: ﴿وَوَضَعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾⁽⁵⁾.

وإن انتصاف المظلوم من الظالم حسن محمود في العقل، وقد نرى كثيراً من المظلومين في الحياة الدنيا ماتوا قبل الانتصاف لهم، فيجب القول باليوم الآخر ينتصف فيها المظلوم من الظالم، تحقيقاً للعدالة الإلهية، ولوصفة تعالى بالعدل⁽⁶⁾، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾⁽⁷⁾، وقال سبحانه: ﴿أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾⁽⁸⁾.

فالقول باستحالة بعث الخلائق بعد الموت وينقلوا إلى دار أخرى معدة للجزاء، لكان خلقهم لمجرد

1 سورة ق: 11.

2 ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها: 621.

3 العقائد الإسلامية في ضوء العلم والعقل والوحي: 100.

4 سورة المؤمنون: 115.

5 سورة الأنبياء: 47.

6 العقيدة الإسلامية أركانها حقائقها مفسداتها: 377.

7 سورة إبراهيم: 42.

8 سورة القلم: 36.

المطلب الثاني

أسماء اليوم الآخر في القرآن الكريم

سمي اليوم الآخر بأسماء كثيرة في القرآن الكريم، وقد عدّها بعض العلماء حتى بلغت خمسين اسماً، وكل اسم من هذه الأسماء له معنى خاص، وله مدلول وإشارة وسبب من تسميته به⁽¹⁾، نذكر منها:

1. اليوم الآخر: وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده، فهو آخر أيام من الحياة الدنيا الفانية، واليوم الأول من الحياة الثانية الأبدية⁽²⁾، يقول الله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾⁽³⁾.

يقول ابن حجر⁽⁴⁾ في سبب تسميته باليوم الآخر: "وأما اليوم الآخر فقليل له ذلك لأنه آخر أيام الدنيا، أو آخر الأزمنة المحدودة"⁽⁵⁾.

ويعدّ اليوم الآخر من أبرز أسماء يوم القيامة وأهمها، حيث وردت آيات عدة تطلق هذا الاسم عليه، منها قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾⁽⁶⁾، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾⁽⁷⁾.

وأحياناً يسميه الله تعالى بالآخرة في مواضع أخرى، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾⁽⁸⁾، وقوله تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

1 ينظر: أسماء يوم القيامة ومعانيها: 2017م.

2 العقيدة الإسلامية ومذاهبها: 621.

3 سورة الأعلى: 17.

4 هو: شهاب الدين أبو الفضل، أحمد بن علي، الشهير بابن حجر العسقلاني، ولد سنة (733هـ) له مصنفات في مختلف العلوم، وتوفي سنة (852هـ). (ينظر: شذرات الذهب: 9/395).

5 فتح الباري: 12/33.

6 سورة البقرة: 177.

7 سورة التوبة: 18.

8 سورة البقرة: 130.

يقول الأستاذ بديع الزمان النورسي: "إذا لوحظت ماهية ما هو ظاهر في أغلب الأشياء من تنظيم الحكمة وتزيين العناية وتقدير العدالة ولطافة الرحمة، بيّن أنها صادرة من يد القدرة لصانع حكيم كريم عادل رحيم، كذلك إذا لوحظت عظمة هذه الصفات الجليلة وقوتها وطلاقتها، مع قصر حياة هذه الموجودات في هذه الدنيا، وزهادتها، فإن الآخرة تتبين من خلالها"⁽¹⁾.

⁽⁵⁾عدم التسوية: بين المطيع والعاصي في الكرامة والنعمة، لأن الحكمة الإلهية تأبأها، والعقل السليم يرفضها، ومن يقبل التسوية بينهما يعدّ سفيهاً، وقد وقعت التسوية بينهما في الدنيا بأنواع من النعم الظاهرة، كالصحة، وسلامة الأعضاء، وحياسة الأموال، وسائر وجوه الإحسان، فكان لا بد من دار أخرى يقع فيها الفاصل بينهما⁽²⁾، قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾⁽³⁾.

⁽⁶⁾ دليل الفطرة: صاغ الإمام النورسي الفطرة السليمة التي فطر الله تعالى عباده عليها من الأدلة الباهرة على الإيمان باليوم الآخر، لأن الفطرة الإنسانية التي لم تشبها الشوائب تعطى للوجدان حدساً قطعياً على تحقق الحياة الأخرى والسعادة الابدية، وفي هذا الصدد يقول الأستاذ: "الفطرة التي لا تكذب ابداً والتي فيها ما فيها من ميل شديد قطعي لا يتزحزح الى السعادة الأخرى والخالدة تعطى للوجدان حدساً قطعياً على تحقق الحياة الأخرى والسعادة الابدية"⁽⁴⁾.

1 الكلمات: الكلمة(10)1/95.

2 العقيدة الإسلامية أركانها حقائقها مفسداً: 376.

3 سورة الجاثية: 21.

4 الكلمات: الكلمة(29)1/606.

آخر حيث قال: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصَبٍ يُوْفِضُونَ﴾⁽¹⁾.

4. يوم التغابن: وسمي بيوم التغابن لأن أهل الجنة يغيبون أهل النار، إذ يدخل هؤلاء الجنة، فيأخذون ما أعد الله لهم، ويرثون نصيب الكفار من الجنة⁽²⁾، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾⁽³⁾.

5. يوم التلاقي: وسمي بيوم التلاق لأنه يوم يلتقي فيه الخلق والخالق⁽⁴⁾، يقول الله تعالى: ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾⁽⁵⁾.

6. يوم الفصل: وسمي بذلك لأن يوم القيامة هو اليوم الذي يفصل الله تعالى فيه ما بين العباد⁽⁶⁾، قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾⁽⁷⁾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾⁽⁸⁾.

7. يوم البعث: وسمي بيوم البعث لما يقع فيه من إحياء الموتى، وإخراجهم من قبورهم⁽⁹⁾، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَعْنَةُ الْكٰفِرِينَ﴾⁽¹⁰⁾.

8. يوم الجمع: لأن فيه جمع الخلائق وحشرهم في موقف الحساب، قال الله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾⁽¹¹⁾، وسمي يوم الجمع لأنه يوم يجمع

بِالْآخِرَةِ⁽¹⁾، وقال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾⁽²⁾.

يوم القيامة: سمي بيوم القيامة لقيام الناس من قبورهم لرب العالمين ولما يقوم فيها من الأمور العظام، وقد ورد نكر لفظ يوم القيامة تحديداً في سبعين موضعاً من القرآن الكريم⁽³⁾، قال تعالى: ﴿وَنُصِّعُ الْمُوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾⁽⁴⁾.

1. يوم الدين: سمي بهذا الاسم لأن فيه إدانة الخلائق ومجازاتهم على أعمالهم⁽⁵⁾، قال الله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾⁽⁶⁾، يقول ابن عباس (رضي الله عنه): "يوم الدين: يوم الدين يوم الحساب للخلائق، وهو يوم القيامة يدينهم بأعمالهم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، إلا من عفا عنه"⁽⁷⁾.

2. يوم الحساب: وسمي يوم الحساب: لأن الباري سبحانه يعدد على الخلق أعمالهم، من إحسان وإساءة، ويعدد عليهم نعمه ثم يقابل البعض بالبعض⁽⁸⁾، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾⁽⁹⁾.

3. يوم الخروج: لأن فيه خروج الناس من قبورهم إلى الحياة الأخرى⁽¹⁰⁾، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾⁽¹¹⁾، وقد فسر الله معنى يوم الخروج في موضع

1 سورة النساء:74.

2 سورة الأعلى: 17.

3 ينظر: العقيدة الإسلامية ومذاهبها: 621.

4 سورة الأنبياء: 47.

5 ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها: 625.

6 سورة الفاتحة: 4.

7 تفسير القرآن العظيم: 1/134.

8 ينظر: المواقيت: 524 وفتح القدير: 4/488 والملخص في شرح كتاب التوحيد: 243.

9 سورة غافر: 27.

10 ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها: 628.

11 سورة ق: 42.

1 سورة المعارج: 43.

2 القيامة الكبرى: 29 والجموع البهية للعقيدة السلفية: 2/ 671.

3 سورة التغابن: 9.

4 ينظر: فتح الباري: 6/ 64.

5 سورة غافر: 16.

6 ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها: 628.

7 سورة الصافات: 21.

8 سورة النبأ: 17.

9 العقيدة الإسلامية وأسسها: 628.

10 سورة الروم: 56.

11 سورة الشورى: 7.

المبحث الثاني: ثمرات الإيمان باليوم الآخر في الحياة الدنيا والآخرة

إن الإيمان باليوم الآخر له ثمرات كثيرة على حياة الفرد والمجتمع، منها يجنيها الإنسان في الحياة الدنيا، ومنها في الدار الآخرة، وفيما يأتي نذكر هذه الثمرات في مطلبين كالاتي:

المطلب الأول

ثمرات الإيمان باليوم الآخر في الحياة الدنيا

إن تأثير الإيمان باليوم الآخر وثمراته تتجلى واضحاً على المجتمع وعلى سلوك الإنسان في حياته، وفيما يأتي نذكر بعض من هذه الثمرات على النحو الآتي:

الثمرة الأولى: العمل لوجه الله تعالى:

يعدُّ الإيمان باليوم الآخر من الكليات الأساسية، لأنه يجعل الإنسان يعلق نظره ورجاءه بالله تعالى ولا ينتظر الثواب إلاً منه تعالى، ويعيش في طمأنينة ويقين وثقة تامة، ولذلك فإن المؤمن باليوم الآخر يمثل مفرق الطريق في حياة كل إنسان، إذ أنه يراقب أفعاله وأعماله وخواطره ويحاسب نفسه على كل صغيرة وكبيرة، ويكون حريصاً على أن لا يضيع حياته وسعادته الأبدية مقابل مكسب دنيوي عابر، وكلما كان العبد موقناً بلقاء ربه كان منه الحرص الشديد على ألا تضيع منه أعماله الصالحة في موقف القيامة، ولذلك فهو يجاهد نفسه بحماية أعماله في الدنيا بالإخلاص فيها لله تعالى لعلَّ الله عز وجل أن ينفعه بها، كما أن اليقين بالرجوع إلى الله عز وجل يجعل العبد في أعماله كلها متبعاً للرسول الكريم(صلى الله عليه وسلم) في كل ما أمر به أو نهى عنه⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾⁽²⁾.

ولذلك نهانا الإمام النورسي أن ننظر إلى الفعل من حيث كونه صغيراً أو كبيراً، بل يجب أن ننظر إلى مثالات الأفعال، فقد تكون الفعل من حيث اعتبارنا صغيراً وهو عند الله تعالى عظيم، أو قد يكون من حيث تصورنا كبيراً وهو عند الله تعالى صغير، فيقول الإمام: "إذ ما دام العمل لوجه الله وفي سبيله فلا يُنظر إلى صغره وكبره، ولا إلى سموه وتقافته، فالذرة في سبيل رضاه سبحانه مع الاخلاص تصبح نجمة متألئة، فلا تؤخذ ماهية الوسيلة بنظر الاعتبار وإنما العبرة في النتيجة والغاية، وحيث أنها رضى الله سبحانه، وأن اساس العمل هو الاخلاص، فلن تكون تلك المسألة اذن مسألة صغيرة، بل هي كبيرة وعظيمة"⁽³⁾.

1 ينظر: التفسير المنير: 10/65.

2 سورة الكهف: 110.

3 المعات: للمعة(20) 3/216.

الله الأولين والآخرين، والإنس والجن، وأهل السماء وأهل الأرض، وهو يوم يجمع الله بين كل عبد وعمله⁽¹⁾.

9. يوم الحشر: سمي بذلك لأنه يجمع الخلائق يوم القيامة للعرض على الله تعالى والحساب بين يديه الكريمة⁽²⁾، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسِِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَا هُمْ فَلَمَّ نُغَايِرُ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾⁽³⁾.

10. يوم الآزفة: وسمي بذلك إشعاراً بقربها بالنسبة إلى عمر الدنيا، وتحقق وقوعها لزوماً⁽⁴⁾، قال تعالى: ﴿وَأَنذَرُهمْ يَوْمَ الْأَرْزَقِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾⁽⁵⁾.

11. يوم الوعيد: وسمي بيوم الوعيد لأن فيه تحقيق وعيد الله تعالى للكافرين⁽⁶⁾، قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾⁽⁷⁾.

مما مضى كان بعض من أسماء اليوم الآخر، وقد اتضح أن له أسماء عدة ومختلفة، وإن كل أسم له معناه الخاص سمي بحسب الظروف والأحداث التي تقع في ذلك اليوم، ولا شك أن كثرة أساميه تدل على أهميته، يقول القرطبي: "ولا يمتنع أن تسمى غير ما ذكرنا بحسب الأحوال الكائنة فيه من الازدحام والتضايق واختلاف الأقدام الخزي والهوان والذل والافتقار والصغار والانتكاس ويوم الميقات والمرصاد إلى غير ذلك من الأسماء"⁽⁸⁾.

1 ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها: 628.

2 ينظر: العقيدة الإسلامية أركانها حقائقها مفسداتها: 423.

3 سورة الكهف: 47.

4 ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها: 629.

5 سورة غافر: 18.

6 ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها: 628.

7 سورة ق: 20.

8 التتكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: 579.

يستلزم أن نخصص لكل شخص شرطياً مراقباً لكي ترتدع النفوس اللاهية عن غيرها وتتعد عن هذه القذارات. ورسائل النور تضع مع كل شخص في كل وقت رقيباً معنوياً من جهة العمل الصالح ومن جهة الإيمان، وعندما يتذكر الإنسان سجن جهنم والغضب الإلهي فإنه يستطيع تجنب السوء والمعصية بسهولة...“ (1).

وتجدر الإشارة إلى أن الإمام النورسي اعتبر الدنيا مزرعة الآخرة، فما يفعل الإنسان في حياته من الأفعال فإنه يجنيه في الآخرة، فقال: “إن الدنيا مزرعة ومعمل ينتج المحاصيل التي تناسب سوق الآخرة. إذ كما أن أعمال الجن والإنس ترسل إلى سوق الآخرة، كذلك تؤدي بقية الموجودات في الدنيا أعمالاً كثيرة أيضاً في سبيل الآخرة وتنشئ محاصيل وفيرة لها، بل تجري كرة الأرض لأجل تلك الأعمال“ (2).

الثمرة الثالثة: سعادة المجتمع:

إن سعادة المجتمع مرهونة بضوابط سلوك الإنسان، وحينما نبحث عن الضوابط التي يمكن أن تضبط سلوكه، نجد ضوابط ضعيفة وناقصة، إلا ضابطاً واحداً هو مراقبة الله تعالى والخوف من عقابه يوم القيامة، فالإيمان باليوم الآخر ضرورة إنسانية لحل مشكلة الجنوح الإنساني، ولمنح المجتمعات أفضل صورة ممكنة من السعادة الجماعية في ظروف هذه الحياة، ولدفع الإنسان إلى فعل الخير، والارتقاء في علم الفضائل الفردية والجماعية(3).

فإذا استشعر الفرد بمراقبة الله تعالى عليه، وأنه تعالى سوف يبعثه في الآخرة ويحاسبه على سيئاته ويكافئه على إحسانه فإنه لاشك لا يقدم إلا على العمل الإيجابي، فيكون عنصراً فعالاً وإيجابياً في خدمة مجتمعه وسعادته، يقول الأستاذ النورسي: “إن رحمة خالق الكون وهو الرحمن الرحيم تدل على السعادة الأبدية، نعم! إن التي جعلت النعمة نعماً فعلاً وانقذتها من النقمة، ونجّت الموجودات من نحيب الفراق الأبدي.. هي السعادة الخالدة ودار الخلود، وهي من شأن تلك الرحمة التي لا تحرم البشر منها، إذ لو لم توهب تلك السعادة ودار الخلود التي هي رأس كل نعمة وغايتها ونتيجتها الأساس، أي إن لم تبعث الدنيا بعد موتها بصورة (آخرة).. لتحولت جميع النعم إلى نقم.. وهذا يستلزم إنكار الرحمة الإلهية المشهودة الظاهرة بداهة وبالضرورة في الكون، والثابتة بشهادة جميع الكائنات والتي هي الحقيقة الثابتة الواضحة وضوحاً أسطع من الشمس“ (4).

الثمرة الثانية: اجتناب الموبقات والجرائم في المجتمع:

إن الإيمان باليوم الآخر له تأثير كبير في تكوين الضمير والردع الداخلي، واجتناب الموبقات والجرائم والذنوب التي تحصل في المجتمع، لأن تصرفات الإنسان حينئذ تخضع إلى جانبين، جانب الإيمان بالله تعالى وشكر نعمه في الدنيا، وجانب الإيمان بأن الله تعالى سيحاسبه في يوم تشخص فيه الأبصار، فهنا يجتمع في الكيان الإنساني الحب والخوف، حب الخالق العظيم ولزوم طاعته، والخوف من عقابه الأليم والبعد عن معصيته. وأما الإنسان الذي لا يؤمن باليوم الآخر فسينطلق مع نفسه الأمانة بالسوء ويرتكب الأعمال الشريفة المنحرفة الظالمة، لأنه لا رادع يمنعه من ارتكابها، فالمهم عنده أن يتمتع بمتع الحياة الدنيا حلالاً أو حراماً، طالماً أن القانون لا يحاسبه، فالقانون لا يستطيع أن يراقب كل لحظات حياته، فطالماً أمن غيبته، فإنه يرتكب السوء، ويخوض الغمرات(1).

ويرى الإمام النورسي أن الاستعداد ليوم الآخرة من أهم العوامل التي تؤدي إلى اجتناب الموبقات والجرائم في المجتمع، لأن الإنسان عندما يتقن بأن الله تعالى سوف يحاسبه في اليوم الآخر على كل أفعاله وتصرفاته فلا شك أنه لا يقدم إلا على فعل خير، وقد شخص الأستاذ هذه الثمرة فقال: “إن الشباب والمراهقين الذين يمثلون محور الحياة الاجتماعية لايهدئ فورة مشاعرهم، ولا يمنعونهم من تجاوز الحدود إلى الظلم والتخريب، ولا يمنع طيش أنفسهم ونزواتها، ولا يؤمن السير الأفضل في علاقاتهم الاجتماعية إلاّ الخوف من نار جهنم، فلولا هذا الخوف من عذاب جهنم لقلب هؤلاء المراهقون الطائشون الثملون بأهوائهم الدنيا إلى جحيم تتأجج على الضعفاء والعجائز حيث الحُكْم للغالب، ولحوّلوا الحياة الإنسانية السامية إلى حياة حيوانية سافلة” (2).

وإن الدين ليس عبارة عن الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقضاء والقدر... بل لا بد أن تضاف إلى ذلك العمل الصالح، فالله تعالى لا يقبل الإيمان من دون العمل، وهذا ما أكد عليه الأستاذ النورسي، فقال: “إن الدين ليس عبارة عن الإيمان فقط، بل العمل الصالح أيضاً هو الجزء الثاني من الدين، فهل يكفي الخوف من السجن أو من شرطة الحكومة لكي يمتنعوا عنها؟ إن الكبائر عن الجرائم التي تسم الحياة الاجتماعية كالقتل والزنا والسرقة والقمار ويمتنعوا عنها؟ إن

1 السيرة الذاتية: 9/391.

2 المكتوبات: المکتوب(24) 2/367.

3 ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها: 625.

4 الكلمات: الكلمة(29) 1/608.

1 العقائد الإسلامية في ضوء العلم والعقل والوحي: 104.

2 الشعاعات: الشعاع(9) 4/215.

ودخلونا السجن هذا - دون ذنب اقترفناه - لكان تحمل مرارة يوم واحد من أيام العذاب كالموت نفسه، ولساقتنا هذه المصيبة إلى ترك الحياة ونبذها. ولكن شكراً لله - بلا عد ولاحد - أن جعلني أتحمل آلام كثير من اخواني الذين هم أحب إلي من نفسي وأتحمل ضياع آلاف من رسائل النور التي هي أعز من عيوني، وأتحمل فقدان كثير من مجلداتي الزاهية الثمينة جداً.. فأتحمل كل هذا الحزن والأسى بذلك "الإيمان بالآخرة" رغم أنني ما كنت أتحمّل أية إهانة وتحكم من أحدٍ مهما كان، فاني اقسام لكم - لتطمئنوا - إن نور الإيمان بالآخرة وقوته قد منحني صبراً وهدوءاً وعزاءً وتسلياً، وصلابةً وشوقاً للفوز بثواب جهاد عظيم في هذا الامتحان إلى حدّ بتّ أعد نفسي في مدرسة كلها خير وجمال"⁽¹⁾.

الثمرة الخامسة: الإيمان باليوم الآخر يفيض السكينة والسلام والسعادة واللذة في نفس المؤمن:

من ثمرات الإيمان باليوم الآخر هو أن يشعر الإنسان بالطمأنينة والسكينة واللذة النفسية، ويبعد عنه القلق والسخط والفتور، لأن المؤمن يعلم أن الدنيا فانية، وأن الحساب الختامي ليس بيد العبد وليس في هذه الحياة، بل هناك يوم يجازي الله سبحانه عباده الصالحين بفضلهم على حسناتهم، ويحاسب عباده الطالحين بعدله على سيئاتهم، ومتى علم الإنسان أن العدالة ستحقق له في يوم الآخر فلا يطرأ على قلبه ندم ولا قلق ولا فتور بسبب ما يقع في الحياة من الظلم والاضطهاد من قبل الآخرين⁽²⁾، يقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾⁽³⁾، ويقول تعالى: ﴿وَوَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَنْتَبَأَ بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾⁽⁴⁾.

فالذي عرف الدنيا على حقيقتها، وامتلاً قلبه بهم الآخرة وأنبأها، فإن نفسه لا تذهب على الدنيا حسرات، ولا تنقطع نفسه لهتاً في طلبها، ولا يأكل قلبه الغل والحسد والتنافس فيها، ومهما حرم في هذه الدنيا الفانية فهو يعلم أن الله عز وجل في ذلك الحكمة البالغة، وهو يرجو الأجر يوم القيامة⁽⁵⁾، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّنْ فِصَّةٍ وَمَعَارِجَ

الثمرة الرابعة: الصبر على البلاء:

إن الإيمان بالله واليوم الآخر والتفكير فيه يجعل المرضى والضعفاء وأصحاب البلايا والمصائب وغيرهم بانتظار ما أعد الله لهم في دار الآخرة، فالمؤمن به ينتظر ما أعد الله سبحانه من الثواب والجزاء من نعيم الجنة كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمْ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁽¹⁾، وقال تعالى: ﴿مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾⁽²⁾، وفي السنة النبوية الشريفة روى أبو هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَأُعَذِّبُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ﴾⁽³⁾.

وبناء عليه فإن الإيمان باليوم الآخر يغرس في نفس المؤمن معاني الصبر على البلاء، فالمؤمن به يعلم أن الله تعالى جعل الدنيا دار امتحان وبلاء، فإذا أبتلي المؤمن في حياته ببلاء في نفسه أو ماله وجب عليه أن يصبر ويحتسب الأجر عند الله تعالى، لأنه تعالى هو وحده يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب، وفي هذا الصدد يقول الإمام النورسي: "إن الدنيا هي دار العمل ودار الحكمة، وليست داراً للمكافأة والجزاء. فجزاء الأعمال والبر الذي يحصل هنا يكون في الحياة البرزخية والدار الآخرة، فتأتي هناك أكلها وثمراتها. فما دامت الحقيقة هكذا يجب عدم المطالبة بثمرات الأعمال الآخروية وجزائها في هذه الدنيا، ولو أعطيت يجب أخذها وقبولها من يد الرب سبحانه بفرح مشوب بالحزن، وسرور ممزوج بالأسى، وليس بفرح وسرور خالصين، ذلك لأنه ليس من الحكمة تناول ثمرات الأعمال - التي لن تنفذ عند تناولها في الجنة - في مثل هذه الحياة الفانية، إذ يشبه ذلك العزوف عن مصباح خالد النور والاضاءة والتعلق بمصباح لا يتوهج نوره إلا دقيقة ثم ينطفئ"⁽⁴⁾.

ومن جهة أخرى فقد اعتبر الأستاذ بديع الزمان النورسي الإيمان باليوم الآخر عاملاً كبيراً في التحمل على الأذى والمصائب، فقال: "لولا الإيمان بالآخرة الذي أمّدي واخواني في مصيبتنا الرهيبة

1 سورة السجدة: 17.

2 سورة الرعد: 35.

3 أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: بدء الوحي، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة: 4/143، رقم الحديث(3224).

4 المكتوبات: المكتوب(29)2/574.

1 الشعاعات: الشعاع(11) 4/267.

2 ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها: 622.

3 سورة الزلزلة: 8.

4 سورة الأنبياء: 47.

5 ينظر: مفاتيح الغيب: 13/140.

رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿١﴾.

عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابٌ وَسُرُرٌ عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ وَزُخْرُفٌ وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ
عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾.

وفي هذا الصدد يقول الإمام النورسي: "فكم يكون الإيمان بالآخرة إذا كنزاً عظيماً كافياً ووافياً لهذا
الإنسان الوثيق الصلة بهذه الرغبات والأمثال التي لا تنتهي، وهو لا يملك سوى جزء من الاختيار
الجزئي ويتقلب في الفقر المطلق، وكم يكون هذا الإيمان محوراً للسعادة المطلوبة واللذة المبتغاة، وكم
يكون مرجعاً ومدار استمداد وسلوة له تجاه هموم الدنيا غير المحصورة، فلو ضحى هذا الإنسان بكل
حياته الدنيا في سبيل الفوز بهذه الثمرات والفوائد لكانت إذاً زهيدة " (2).

الثمرة السادسة: الإيمان باليوم الآخر هو تذكير للظالمين ومواساة للمظلومين:

من ثمرات الإيمان باليوم الآخر أنه يهدد الظالمين لكي يكفوا ويرتدعوا عن الظلم والطغيان، يقول
الله سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (3)،
وفي الوقت نفسه يعزي ويواسي المظلومين لكي يسكنوا ويرتاحوا، فالكل سيأخذ حقه لا محالة كما قال
تعالى: ﴿كَيْفَ إِذَا جَمَعْنَا لَهُمْ لَيُّومٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (4)، فإن عدالة
يوم القيامة في اليوم الآخر تبلغ منتهاها ولا يضيع عند الله تعالى شيء، قال الله سبحانه: ﴿وَنَضَعُ
المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا
حَاسِبِينَ﴾ (5)، وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ (6)، فإذا تذكر الفرد هذه المواقف واتعظ بهذه
الآيات، وأيقن بتحقيق يوم الآخر فلا شك أن ذلك سيمنعه من التهاون في حقوق الخلق والمجتمع،
والحذر من ظلمهم في دم أو مال أو عرض، ففي ذلك اليوم يفصل الحكم العدل بين الناس، ويقضي
بين الخصماء بحكمه وهو أحكم الحاكمين، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ

يقول الأستاذ النورسي: "الانسانية ومكانتها.. ولكي تتقرر العدالة والحكمة والرحمة والسلطنة
لخالق الارض والانسان وربهما.. ولكي ينجو الاولياء والاحباء الحقيقيون والمشتاقون الى الرب الباقي
من الغناء والاعدام الابدي.. ولكي يرى أعظمهم وأحبهم وأعزهم ثواب عمله، ونتائج خدماته الجليلة
التي جعلت الكائنات في امتنان ورضى دائمين.. ولكي يتقدس كمال السلطان السرمدي من النقص
والتقصير، وتتذره قدرته من العجز، وتبرأ حكمته من السفاهة، وتتعالى عدالته عن الظلم" (2).

الثمرة السابعة: المبادرة بالأعمال الصالحة والإكثار من القربات:

إن الإيمان باليوم الآخر يجعل الفرد يبادر بالأعمال الصالحة ويكثر من القربات، ويخدم مجتمعه
الذي ينتمي إليه، ويشعور بالمسؤولية التي تقع على كاهله، ولا يقدم إلا على فعل خير، لأنه يعلم أن الله
تعالى عليه رقيب وأنه سيحاسب عن كل صغيرة وكبيرة، وأن الفوز بجنته لا يحصل إلا بتطبيق أوامره
واجتباب نواهيه كما روى أبو هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: ﴿مَنْ خَافَ
أَدْلَجَ﴾ (3)، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المُنْزِلَ (4)، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الجَنَّةُ (5).

يقول العلائي (6): "أخبر أن الخوف من الله هو المقتضي للسير إليه بالعمل الصالح والمشار إليه
بالإدلاج وعبر ببلوغ المنزلة عن النجاة المترتبة على العمل الصالح وأصل ذلك كله الخوف" (7).

ومما لا شك فيه أن عمر الإنسان قصير في هذه الحياة الدنيا فلا يمكنه التمتع فيها، فاقتضت
حكمة الصانع الحكيم الذي أكرم بني آدم (عليه الصلاة والسلام) أن ينعم على عباده الصالحين من

1 سورة الزمر: 31.

2 الشعاعات: الشعاع(9) 4/223.

3 أدلج: إذا ساروا من أول الليل(لسان العرب: 2/273).

4 يغنى من خاف الله تعالى أتى منه كل خير، ومن أمن اجترأ على كل شر(التيسير بشرح الجامع الصغير: 2/415).

5 أخرجه الترمذى في سننه: كتاب: صفة القيامة، باب: أيما مؤمن أطعم مؤمناً لوجه الله: 9/321، رقم الحديث(2638)
قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب، وأخرجه الحاكم في المستدرک: كتاب: الرقاق: 4/308، رقم الحديث(7852).

6 هو: أبو عبد الله ابن الشيخ أبي القاسم الخضرمي العلائي، الصقلبي المالكي ولد سنة (514 هـ) بالإسكندرية، وسمع
من أبي عبد الله محمد بن أحمد الرازي، وتقته على مذهب الإمام مالك، وتوفي سنة (589هـ) (ينظر: تاريخ الإسلام:
883 /12).

7 فيض القدير: 6/123.

1 سورة الزخرف: 35.

2 الشعاعات: الشعاع(11) 4/264.

3 سورة إبراهيم: 42.

4 سورة آل عمران: 25.

5 سورة الأنبياء: 47.

6 سورة طه: 111.

شرعه وقدره وثوابه وكرامته، فيأتي العبد بها ثم يحسن ظنه بربه ويرجوه أن لا يكله إليها وأن يجعلها موصلة إلى ما ينفعه ويصرف ما يعرضها ويبطل أثرها⁽¹⁾.

الثمرة الثامنة: التوازن بين العمل للدنيا والعمل للآخرة:

إن الحياة الدنيا دار ابتلاء، وهي مزرعة الآخرة، والمؤمن لا تخدعه مغتريات الدنيا وزينتها، ولا يلتصق مع ثقله التراب في جسده برغباتها وشهواتها، كما أنه لا يزهد في الحياة الدنيا إلى درجة تقعده عن العمل، فيصبح عالة على غيره، ويعيش على آمالٍ سرابٍ في الآخرة، بل يبقى مجاهداً في ساحة الوسطية الإسلامية⁽²⁾، قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾⁽³⁾، وقوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعِ الفُسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ﴾⁽⁴⁾.

يقول الإمام النورسي: "لما كانت الدنيا فانية.. والعمر قصيراً.. والواجبات كثيرة.. وإن الحياة الأبدية تُكسب هنا، في الدنيا.. وهي ليست بلا مولى.. فللمضيف ربّ كريم حكيم.. لا يضيّع جزاء السيئة ولا الحسنه.. ولا يكلف نفساً الآ وسعها.. وحيث ان السبيل السوي وما فيه اذى لا يستويان.. ولا يجاوز باب القبر اخلاء الدنيا وجاهاها.. فلا بد ان اسعد انسان هو من: لا ينسى الآخرة لأجل الدنيا.. ولا يضحى بآخرتة للدنيا.. ولا يفسد حياته الابدية لاجل حياة دنيوية.. ولا يهدر عمره بما لا يعنيه.. ينقاد للأوامر انقياد الضيف للمضيف. ليفتح باب القبر بأمان.. ويدخل دار السعادة بسلام⁽⁵⁾."

المطلب الثاني

ثمرات الإيمان باليوم الآخر في الحياة الثانية

الثمرة الأولى: حسن الخاتمة والأمن من الفزع الأكبر:

إن حسن الخاتمة والأمن من الفزع الأكبر هو أول ثمار التي يجنيها المؤمن وهو في سيره وطريقه إلى رب العالمين في عالم الآخرة، حيث تحسن خاتمته ويموت ميتة حسنة، ويجزي الله تعالى

فضله بالإقامة الأبدية في جناته، وهذا ما أكد عليه الإمام النورسي بقوله: "إن دار الدنيا القصيرة هذه لا تكفي - كما انها ليست ظرفاً - لأظهار ما لا يحّد من الاستعدادات المندمجة في روح الانسان واثمارها، فلا بدّ ان يرسل هذا الانسان الى عالم آخر.. نعم، إن جوهر الإنسان عظيم، لذا فهو رمز للأبدية ومرشح لها. وإن ماهيته عالية وراقية؛ لذا اصبحت جنابته عظيمة؛ فلا يشبه الكائنات الأخرى، وإن نظامه دقيق ورائع، فلن تكون نهايته دون نظام، ولن يُهمل ويذهب عبثاً، ولن يحكم عليه بالفناء المطلق ويهرب إلى العدم"⁽¹⁾.

ويضيف الإمام النورسي قائلاً: "فالذي له هذه الرحمة الواسعة، وله هذه الرؤفة العامة والكرم السابغ، لاريب أنه لن يُفني ولن يُعدم عباده المؤمنين المحبوبين لديه، أولئك الذين رباهم ومنّ عليهم، وكرمهم إلى هذه الدرجة من اللطف والرفق والعناية. بل سينهي وظيفتهم في الحياة الدنيا ليهبهم لرحمات أوسع وأعظم"⁽²⁾.

وجدير بالذكر أن الله تعالى جعل الرجاء لأهل الأعمال الصالحة، فكذلك جعل الخوف لأهل الأعمال الصالحة، فعلم أن الرجاء والخوف النافع ما اقترن به العمل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾⁽³⁾، وقد روت أم المؤمنين السيدة عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ قالت عائشة: أهُم الَّذِينَ يَشْرِبُونَ الخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: {لَا يَا بَنِيَّ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ}⁽⁴⁾.

يقول ابن القيم: "فتأمل كيف جعل رجاءهم بإتيانهم بهذه الطاعات، وقال المغترون: إن المفترطين المضيعين لحقوق الله المعطلين لأوامره الباغين على عباده المتجزئين على محارمه أولئك يرجون رحمة الله، وسر المسألة أن الرجاء وحسن الظن إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله في

1 الكلمات: الكلمة (29) 1/611.

2 الشعاعات: الشعاع (11) 4/249.

3 سورة المؤمنون: 61.

4 أخرجه الترمذي في سننه: كتاب: تفسير القرآن، باب: سورة المؤمنون: 5/327، رقم الحديث (3175).

1 الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: 39.

2 العقيدة الإسلامية أركانها حقانها مفسداتها: 457.

3 سورة البقرة: 201.

4 سورة القصص: 77.

5 المكتوبات: المكتوب (16) 2/92.

الثمرة الثانية: النجاة من النار، والفوز بالجنة:

إن من الثمار العظيمة التي يقطنها المؤمن باليوم الآخر في الحياة الثانية هو الخلاص والنجاة من أهوال يوم القيامة وعذابه، والفوز بالجنة كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾⁽¹⁾، والنجاة لأهل الإيمان والتقوى ثابت بنص القرآن الكريم، يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَندَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا﴾⁽²⁾.

ومفهوم الآية الكريمة: ﴿فَمَنْ رُزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ﴾، أن من لم يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فإنه لم يفز، بل قد شقي الشقاء الأبدى، وابتلي بالعذاب السرمدى، وفي هذه الآية إشارة لطيفة إلى نعيم البرزخ وعذابه، وأن العاملين يجزون فيه بعض الجزاء مما عملوه، ويقدم لهم نموذج مما أسلفوه⁽³⁾، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءِ بَلَى إِنْ لَئِنْ لَمْ نَكُنْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾⁽⁴⁾.

وجدير بالذكر أن الإمام النورسي اعتبر النجاة من النار، والفوز بالجنة من أعظم المكاسب التي يحصل عليها الإنسان في حياة الدنيا، فقال: "إن أعظم قضية للبشرية على الأرض إنما هي النجاة من النار، وإن أعظم حقيقة وادشها من حقائق الكائنات، بل أكثرها أهمية إنما هي "جهنم" التي يشهدها"⁽⁵⁾.

يبدو مما سبق أن ثمرات الإيمان باليوم الآخر كثيرة، منها: ما يجنيه الإنسان في حياته، ومنها ما يكون في القيامة، فإن المؤمن في الحياة الدنيا يكون مستقيماً نافعاً وخادماً لمجتمعه، وفي الآخرة يأمن من الفزع الأكبر ويحاسب حساباً سهلاً، وأن الله تعالى بفضلته وكرمه يتجاوز عن معاصيه، ويدخله الجنة، ويجازيه بالثواب.

المتقين الذين تقبض أرواحهم الملائكة وهم طيبون بتطيب الله تعالى إياهم بنظافة الإيمان⁽¹⁾، يقول الله تعالى: ﴿لَا يَخْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾⁽²⁾، فدللت الآية الكريمة أن المؤمنين بالله تعالى واليوم الآخر يكونون آمنين ومحفوظين، قال تعالى: ﴿فَوَقَّاهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾⁽³⁾.

يقول الرازي⁽⁴⁾: "وهذا يدل على أن المكلف الذي أطاع الله تعالى لا يلحقه خوف في القبر، ولا عند البعث، ولا عند حضور الموقف، ولا عند تطاير الكتب، ولا عند نصب الموازين، ولا عند الصراط"⁽⁵⁾.

وبناء عليه فقد ذكر الإمام النورسي أن من ثمرات الإيمان باليوم الآخر الطيبة الكثيرة أنه يكون سبباً في سعادة الإنسان حتى في الآخرة، وإنه سيكسب كل مؤمن سعادة أبدية، وفي مقدمتها الأمن من الفزع الأكبر، بل ستثمر وتتكشف وتتيسر بالصورة نفسها هناك، فقال: "إن تلك الرحمة والحكمة والعناية والعدالة والسلطنة السرمدية ستحقق ابعادها وغاياتها في دار أخرى، أي أنها تقتضي الحشر بالضرورة، إذ لا شك في مجيء الآخرة، بل أن عدم مجيئها محال في ألف محال، حيث أن عدمها يعني: تبدل "الرحمة" التي هي في منتهى الجمال قسوة في منتهى البشاعة، ويعني: تحول كمال "الحكمة" إلى نقص العيب القاصر وغاية الإسراف، ويعني: انقلاب "العناية" التي هي في منتهى الحسن واللطف إلى اهانة في منتهى القبح والمرارة ويعني: تغير "العدالة" التي هي في منتهى الإنصاف والحق إلى ظلمات في أشد القسوة والبطلان، زد على ذلك فإن عدم مجيء الآخرة يعني أيضاً سقوط هيبة السلطنة السرمدية العزيزة وبوار أبعثتها وقوتها، ويعني اتهام كمال الربوبية بالعجز والقصور"⁽⁶⁾.

1 جامع البيان في تأويل القرآن: 17/198.

2 سورة الأنبياء: 103.

3 سورة الإنسان: 11.

4 هو: الإمام الفخر الدين الرازي، محمد عمر الحسين، ولد سنة (544هـ) وكنيته أبو عبد الله الشافعي، المفسر المتكلم، وصاحب التصانيف المشهورة، منها (التفسير الكبير)، وتوفي بهرة، سنة (606هـ) (ينظر: شذرات الذهب: 7/40).

5 مفاتيح الغيب: 3/472.

6 الشعاعات: الشعاع(11) 4/254.

1 سورة آل عمران: 185.

2 سورة مريم: 72.

3 تيسير الكريم الرحمن: 159.

4 سورة النحل: 28.

5 الشعاعات: الشعاع(11) 4/275.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث توصلت إلى جملة نتائج، نوجز أبرزها على الوجه الآتي:

1. لم يرد في القرآن الكريم وصف الدنيا بدار الإقامة، وإنما وصفت بالحياة واللعب واللهو ومتاع الغرور، لأنها مجرد حياة مؤقتة، بينما وصفت الآخرة بدار الإقامة الأبدية وبالحيوان، لأن الله تعالى خلقها ليستقر فيها عباده الصالحون في الجنة.
2. عدَّ الإمام النورسي الإيمان باليوم الآخر من ضمن الفطرة الإنسانية التي فطر الله عباده عليها، لأن الفطرة السليمة لا تكذب ولا تخطيء ابداً، فأنها تعطى للوجدان حدساً قطعياً على تحقق الحياة الأخرى والسعادة الأبدية.
3. يرى الإمام النورسي أن معجزات الرسول الأكرم والأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) من الأدلة الباهرة على وجود اليوم الآخر، فأنها تشهد بمجموعها معاً على حقيقة اليوم الآخر، وتدل عليها وتثبتها.
4. من ثمرات الإيمان باليوم الآخر أنه يضبط سلوك الفرد، ويحثه على العمل الصالح، ويوجهه إلى بناء مجتمعه وخدمته، ويحذر الغافلين بملذات الحياة الدنيا إلى مراجعة أنفسهم قبل فوات الأوان، ويتنافسوا في طاعة الله تعالى، والتقرب إليه بالعمل الصالح.
5. بعض من المسلمين وعلى الرغم من يقينه باليوم الآخر نجده غير منضبط ومستقيم، ولا يشعر بثمرات الإيمان باليوم الآخر الطيبة، ولا ينعكس أثره الإيجابي على أفعاله وأقواله وتصرفاته، لذا فأن هذا اليقين وحده لا يكفي حتى ينضم إليه الصبر والعلم ومجاهدة الشهوات والعوائق.
6. إن الإيمان باليوم الآخر ضرورة إنسانية لبسط السعادة في المجتمع وحل مشاكلها، وتمنح المجتمعات أفضل صورة ممكنة من الأمن والسلم، وتدفع الفرد إلى فعل الخير.
7. الاستعداد ليوم الآخرة عند بديع الزمان النورسي من أهم العوامل التي تؤدي إلى اجتناب الموبقات والجرائم في المجتمع، لأن الإنسان عندما يتقن بأن الله تعالى سوف يحاسبه في اليوم الآخر على كل أفعاله وتصرفاته فلا يقدم إلا على فعل خير.

8. إن الله تعالى خلق الدنيا لتكون دار الامتحان والابتلاء والزوال، والامتحان يستلزم الثواب والعقاب على الأعمال، لأنه لولا تحقق وقوع هذا اليوم لما كان للأوامر ولا للنواهي جزاء ولا معنى.

9. المؤمن باليوم الآخر يراقب أفعاله وأعماله ويحاسب نفسه على كل صغيرة وكبيرة، ويكون حريصاً على أن لا يضيع حياته وسعادته الأبدية مقابل مكسب دنيوي عابر، فكلما كان العبد موقناً بقاء ربه كان منه الحرص الشديد على ألا تضيع منه أعماله الصالحة في موقف القيامة.

10. من ثمرات الإيمان باليوم الآخر أنه يجعل الإنسان يشعر بالطمأنينة والسكينة والسعة النفسية، فإذا علم الإنسان أن العدالة ستحقق له في يوم الآخر فلا يطرأ على قلبه ندم ولا قلق لا قنوط بسبب ما يقع في الحياة من الظلم والاضطهاد من قبل الآخرين.

11. الدنيا في وجهة نظر النورسي مزرعة ومعمل ينتج المحاصيل التي تتاسب سوق الآخرة. وتنشئ محاصيل وفيرة لها وفي مقدمتها الفوز بمرضاة الله تعالى، والأمن من الفزع الأكبر، وأن الله تعالى بفضلته وكرمه يتجاوز عن معاصيهم ويدخلهم الجنة، ويجازيهم بالثواب بدون حساب.

التوصيات

وأخيراً أقترح بعض التوصيات على أصحاب الشأن والعلم رجاء مراعاتها والأخذ بها:

1. تفعيل دور الأئمة والخطباء في المساجد لبيان المسائل العقديّة، ومنها: مسألة اليوم الآخر والإيمان به، وتوعية الناس وإرشادهم إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة، وبناء مجتمع يسود في الأمن والسلام.
2. أوصي طلاب العلوم الإسلامية إلى دراسة المسائل العقديّة، ولاسيما المسائل المعاصرة، لأن دراستها هي الصمام الأمان في حفظ الفرد والمجتمع من الوقوع في الهاوية والفساد.
3. حازت كليات رسائل النور للإمام النورسي بالاهتمام الواسع الكبير لدى الباحثين، وإنه أجري حولها دراسات وأبحاث مستقيضة كثيرة، إلا أن هناك مسائل نفيسة كثيرة لم تدرس حتى الآن، وانها تنتظر من يخرج دررها الثمينة، وجواهرها النفيسة إلى نور الوجود.

4. انعقاد دورات ومؤتمرات علمية من مختلف البلدان الإسلامية، تناقش فيها المسائل العقديّة في كليات رسائل النور بهدف نبذ الاختلاف ومحاولة التوصل إلى اتفاق حول قضايا عقديّة التي فرقت صفوف المسلمين.

قائمة المصادر والمراجع

1. الأسفار المقدسة: على عبدالواحد وافي ، ط(3) دار نهضة، القاهرة.
2. أسماء يوم القيامة ومعانيها: شيرين طقاطقة : 2017م، [ويمكن الحصول عليه] <https://mawdoo3.com>
3. أصول الدين الإسلامي: رشدي عليان ، ط(1)، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1397هـ، 1977م.
4. الأعلام: خير الدين الزركلي، ط (5)، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م.
5. الإيمان باليوم الآخر وآثاره النفسية: سمير مثنى علي الأبارة: 1437 هـ ، 2015 م، [يمكن الحصول عليه] <https://www.alukah.net/sharia>
6. الإيمان باليوم الآخر، إسلام ويب [يمكن الحصول عليه]: <https://www.islamweb.net>
7. الإيمان: محمد نعيم ياسين، ط(3).
8. بنو إسرائيل في القرآن والسنة: محمد سعيد الطنطاوي، ط(2) دار الشروق، القاهرة، 1420هـ، 2000م.
9. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، ط(1)، دار الغرب الإسلامي، 2003م.
10. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي

شمس الدين القرطبي (ت 671هـ)، تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم، ط(1)، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، 1425 هـ.

11. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774هـ) ط(1)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1419هـ.
12. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: وهبة الزحيلي، ط(2)، دار الفكر المعاصر، 1418هـ.
13. التيسير بشرح الجامع الصغير: زين الدين محمد بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت 1031هـ)، ط(3)، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، 1408 هـ ، 1988م.
14. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط(1)، مؤسسة الرسالة، 1420هـ ، 2000م.
15. الجامع الصحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261هـ) دار إحياء التراث العربي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت.
16. الجامع المسند الصحيح المختصر (صحيح البخاري): محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت 256هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط(1) دار طوق النجاة، 1422هـ.
17. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله بن أحمد القرطبي (ت 671هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت 1413هـ، 1993م.
18. الجانب المادي في الشخصية اليهودية في القرآن الكريم (رسالة الماجستير): آلاء محمد عصام مصبا عشا، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2007م.
19. الجموع البهية للعقيدة السلفية: أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي، ط(1) مكتبة ابن عباس، مصر، 1426 هـ ، 2005م.

20. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء): محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ت751هـ)، ط(1)، دار المعرفة، المغرب، 1418هـ، 1997م.
21. ركائز الإيمان: العلامة محمد قطب، حققه وخرج أحاديثه ونسقه: علي بن نايف الشحود، 1430هـ، 2009م.
22. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (ت1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط(1) دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.
23. سنن الترمذي محمد بن عيسى الترمذي السلمي (ت279هـ)، تحقيق: احمد محمد شاكر، ط(2)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1395هـ، 1975م.
24. سيرة ذاتية: (كليات رسائل النور): بديع الزمان سعيد النورسي (ت1379هـ)، إعداد و ترجمة: إحسان قاسم الصالحي ط(7)، دار سوزلر، القاهرة، 2014م.
25. شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن عماد الدمشقي (ت1032هـ) تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط(1)، دار ابن كثير، بيروت، 1408هـ، 1988م.
26. الشعاعات: (كليات رسائل النور): بديع الزمان سعيد النورسي (ت1379هـ)، إعداد و ترجمة: إحسان قاسم الصالحي ط(7)، دار سوزلر، القاهرة، 2014م.
27. العقائد الإسلامية في ضوء العلم والعقل والوحي: محسن عبد الحميد، ط(1)، بغداد، 1422هـ، 2002م.
28. العقيدة الإسلامية أركانها حقائقها مفسداتها: مصطفى سعيد الخن، ط(8) دار ابن كثير، بيروت، لبنان، 2014م.
29. العقيدة الإسلامية وأسسها: عبدالرحمن حسن حنيفة الميداني، ط(2) انتشارات صبا، إيران، 1399هـ، 1979م.
30. العقيدة الإسلامية ومذاهبها: قحطان عبدالرحمن الدوري، ط(4)، كتاب ناشرون، لبنان، 1434هـ، 2013م.

31. عقيدة المؤمن، أبو بكر جابر الجزائري، دار السلام، القاهرة، الإسكندرية، 2000م.
32. العقيدة الواسطية، ابن تيمية، تحقيق: أبو محمد اشرف بن عبدالمقصود، ط(2)، أضواء السلف، رياض، 1420هـ، 1999م.
33. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت1250هـ) دار الفكر، بيروت.
34. الفلسفة الإسلامية: عباس محمود العقاد، ط(1)، لبنان، بيروت.
35. في ظلال القرآن، سيد قطب، تحقيق: علي بن نايف الشحود، ط(31)، دار الشروق، القاهرة، 2011م.
36. فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد بن تاج العارفين المناوي القاهري (ت1031هـ)، ط(1)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1356هـ.
37. القيامة الكبرى: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، ط(6)، دار النفائس، الأردن، 1415هـ، 1995م.
38. الكلمات: (كليات رسائل النور): بديع الزمان سعيد النورسي (ت1379هـ)، إعداد و ترجمة: إحسان قاسم الصالحي ط(7)، دار سوزلر، القاهرة، 2014م.
39. لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (ت741هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1399هـ، 1979م.
40. لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت711هـ)، ط(3) دار صادر، بيروت، 1414هـ.
41. اللغات: (كليات رسائل النور): بديع الزمان سعيد النورسي (ت1379هـ)، إعداد و ترجمة: إحسان قاسم الصالحي ط(7)، دار سوزلر، القاهرة، 2014م.
42. المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، ط(1)، دار العربية للموسوعات بيروت، لبنان، 1401هـ، 1981م.

43. المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الطهماني النيسابوري (ت405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط(1) دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ، 1990م.

44. مفاتيح الغيب [التفسير الكبير]: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين التيمي الرازي (ت606هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.

45. مقارنة الأديان دراسة عقائدية ومصادر الأديان السماوية: اليهودية والمسيحية والإسلام، طارق خليل السعدي، ط1، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، 1452هـ، 2005م.

46. مقارنة الأديان، سعدون محمود الساموك، ط(1)، دار الأوائل، عمان، الأردن، 2004م.

47. مكانة الإيمان باليوم الآخر وثمراته: ندا أبو أحمد: 2013م [ويمكن الحصول عليه] <https://www.alukah.net/sharia>

48. المكتوبات: (كليات رسائل النور): بديع الزمان سعيد النورسي (ت1379هـ)، إعداد و ترجمة: إحسان قاسم الصالحي ط(7)، دار سوزلر، القاهرة، 2014م.

49. الملخص في شرح كتاب التوحيد: صالح بن فوزان ، دار العاصمة الرياض، ط(1) 1422هـ ، 2001م.

50. الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم أحمد الشهرستاني (ت 548 هـ)، تحقيق: عبدالعزيز محمد الوكيل، دار الفكر، بيروت.

51. مناهل العرفان في علوم القرآن: الزرقاني، محمد عبدالعظيم، دار الفكر .

52. المواقف: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإي5عميرة، ط(1) دار الجيل، بيروت 1997م.

أثر الإيمان على الفرد في ضوء رسائل النور - دراسة تحليلية -

د. عبداللطيف ياسين علي

الملخص

محور هذا البحث هو أثر الإيمان على الفرد من خلال رسائل النور للعلامة بديع الزمان النورسي، لاسيما اليوم حيث يئن الفرد تحت وطأة الحياة بما هو حق وما هو مزعوم أو مفروض عليه، وقد اتصفت هذا العصر بعصر القلق والحروب النفسية، وحالت هذا القلق بين البشرية وحقيقة الإيمان ورمي به إلى مستنقع الحيرة الشهوات و النزوات، بحيث ضاع تعريف البشرية وانحرفت عن طبيعتها الانسانية إلى بهيمة لاتشبع ولاتقنع، وقد أصبح لكل شيء قيمته ومكانته إلا الإنسان لم يعد له وجود أو تعريف، أكد النورسي وهو الرجل القرآني أن الانسان له مكانته ويتمتع بالتكريم اللهي الرفيع في ظلال الإيمان، ولا تجد الانسانية تعريفها ومكانتها اللائق بها إلا إذا دخل الإيمان الحقيقي والتحقيقي على حد وصف النورسي إلى قلبها ، وقد اختزل النورسي على أن الإيمان بالله وباليوم الآخر هو قمة التفسير لحقيقة الوجود الإنساني.

The focus of this research is the impact of faith on the individual through the Risa'il al-Nur by Badi' al-Zaman al-Nursi, especially today when the individual is groaning under the weight of life with what is right and what is claimed or imposed on him. To the quagmire of desires and whims, so that he distorted the definition of himself and deviated from his human nature into an insatiable and unconvincing beast, everything has its value and status except for man, who no longer has an existence or definition. Humanity is in stability and in its existence, unless it tastes the sweetness of faith and it is investigative faith as described by Nursi, and Nursi summarized that belief in God and the Last Day is the top interpretation of the reality of human existence.

أهداف الموضوع:

1. بيان حقيقة الايمان كما انزل على الرسول عليه افضل الصلاة والسلام وتهيئة جيل يفهم ويستوعب هذا البيان.

2. تصحيح التصور حول حقيقة الوجود وأثار تلك الحقائق على هذا الوجود.

3. الاعداد لصناعة جيل جديد يقبل التحدي ويواكب روح العصر بعدته الايمانية.

4. قوة الايمان في مواجهة القلق وما ينتج عنه من مضاعفات.

أهمية الموضوع:

1. الايمان هو حديث الساعة والساحة.

2. الموضوع له علاقة بالجانب الفلسفي والفكري وأثاره السلوكي.

3. بيان الأثر الايجابي البناء لرسائل النور على الفرد و المجتمع.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث منهجاً وصفيّاً استقرائياً تحليلياً.

هيكلالبحث:

يتكون البحث من مقدمة تتضمن أسباب إختيارالموضوع، وأهميته، وأهدافه والمنهج المتبع في الكتابة، المبحث الاول: تعريف بمصطلحات الايمان، الفرد، رسائل النور. والمبحث الثاني: أثر الايمان على الإنسان، مكانة الإنسان عند النورسي، أثر الايمان بالله واليوم الآخر عند النورسي.

المبحث الأول: التعريفات

المطلب الأول الإيمان لغة:

الإيمان له في لغة العرب استعمالان: فكلمة الإيمان تارة تتعدى بنفسها فيكون معناها التأمين، ومرة غير متعد، ومعناه: صار ذا أمن. وأمنته ضد أخفته، وفي الكتاب العزيز [وأمنهم من خوف] فالأمن

مقدمة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة والسلام على سيد الخلق محمد الامين المبعوث رحمة للعالمين.

(إنقاد الايمان) كلمة أطلقها الشيخ بديع الزمان، قد يكون فهم تلك الكلمة محدودة آنذاك لأسباب كثيرة، ولكن اليوم أصبحت لهذه الكلمة وقعتها واثرها ومردودها، كما يقول الله جل جلاله لَوَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۗ، فالبشرية اليوم تحتاج إلى أمن وأمان داخلي (نفسي) وخارجي (مجتمعي)، وهو الحلقة المفقودة اليوم ويفقدان الايمان وعدم انقاذه يعم القلق وينعدم الاستقرار، وتكون سمة المجتمعات البشرية هي القلق المفرط كما هو الآن حيث اتصفت به الحضارة الحديثة بحضارة القلق، ويعيداً عن الايمان لايعرف الانسانية الطمأنينة والاستقرار و السكنية- وهي ربط الامن والامان داخل وخارج الانسان-.

تعرض العالم الاسلامي الى الكثير من المحاولات الهدامة لتحجيم وتأطير مفهوم الايمان واختزاله في شعائر تعبدية ضيقة، مع أن مفهوم الايمان هو بناء معماري تصوري سلوكي لكل ما هو موجود حول الفرد، ومن ضمن هذه المحاولات اجتثاث مفهوم العمران والخلافة والتكفين في أذهان المسلمين وانشغالهم بأمر جزئية ومن جملة تلك الاصلاحات النورية هي تصويب هذا المفهوم.

أسباب إختيار الموضوع:

1. كما قال الشيخ النورسي أن التحدي الحقيقي اليوم هو تحدي الايمان، لذا علينا بإنقاذ الايمان.

2. نستطيع ان نسمي حضارة اليوم بحضارة القلق والحرب النفسي ولا علاج للحد من هذا القلق والحرب الشيطاني الا بالايمان الحقيقي.

3. وقد أكرمني الله بكتابة بحثي الماجستير عن مفهوم الايمان عن بديع الزمان (مفهوم الايمان في القرآن الكريم (كتاب الكلمات لبديع الزمان سعيد النورسي نموذجاً دراسة موضوعية).

و جل [الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور]¹...

الحالة الثانية: أن يطلق الإيمان مقرونا بالإسلام، وحينئذ يفسر بالإعتقادات الباطنة كما في حديث جبريل هذا وما في معناه، وكما في قول الله عز وجل: [والذين آمنوا وعملوا الصالحات]².

وهو تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان واليه ذهب جمع كبير من علماء أهل السنة والجماعة منهم «مالك والشافعي وأحمد و الأوزاعي وإسحق بن راهوية وسائر أهل الحديث وأهل المدينة رحمهم الله وأهل الظاهر»³

المطلب الثاني: الفرد ومفهومه

الفرد: لقد ظهر الفرد في اللغة العربية الكلاسيكية بمعنى "الوتر"⁴، والجمع أفراداً وفرادى، والفردُ ما كان وحده⁵، وجاء القومُ فرادى، إذا جاءوا واحداً بعد واحد⁶.

الفرد اصطلاحاً: أما الفرد على وفق المنظور الأنترو-سوسولوجي؛ فيُعرف بشكل عام في هذا المجال استناداً إلى علاقته بالمجتمع والجماعة، أو بوصفه الوحدة المرجعية الأساسية، سواء إليه بالذات أو بالنسبة إلى المجتمع.⁷ ويقول الشيخ النورسي في تعريف الفرد «أن الفردَ الإنسان جماعةً من المكلفين، ولكل فردٍ من حواشيه -ظاهراً وباطناً- عبادةٌ تخصه، وضلالةٌ تفسقه. فكما أن سجدة الرأس لغير الله ضلالة، كذلك سجدة خيال الشعربا بالحيرة المفرطة والمحبة الواهية في مدح غير الله -لا بحساب الله- أيضاً ضلالةٌ يُسقى بها الخيال. وقس على الخيال إخوائه»⁸.

الفرد عند النورسي

1 سورة البقرة: 257

2 سورة النساء: 57

3 شرح الطحاوية - ط دار السلام (ص: 332)

4 التقفية في اللغة (ص: 376)

5 العين (8/ 24)

6 جمهرة اللغة (2/ 635)

7 http://www.saqya.com د. علاء جواد قنطور مفهوم الفرد

8 المثوي العربي النوري - 320

ضد الخوف، وفي الحديث الشريف: «النجوم أمانة السماء، فإذا ذهب النجوم، أتى السماء ما توعد، وأنا أمانة لأصحابي فإذا ذهب أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى الأمة ماتوعد»¹، قال ابن الأثير² الأمانة في هذا الحديث جمع أمين، وهو الحافظ وقد لخصه صاحب كتاب اللسان:

1. الأمن ضدّ الخوف.

2. الأمانة ضداً لخيانة.

3. الإيمان ضد الكفر.

4. الإيمان: التصديق، ضدّه التكذيب يقال: آمن به قوم، وكذب به قوم. فأما أمانته المتعدي

فهو ضدّ أخفته. وفي التنزيل العزيز: (آمنهم من خوف)⁴

الإيمان اصطلاحاً: يقول الشيخ حافظ بن أحمد حكيمي⁵ في معنى الإيمان اصطلاحاً: «أما في الشريعة فلا إطلاقه حالئذ»⁶

الحالة الأولى: أن يطلق على الأفراد غير مقترن بذكر الإسلام فحينئذ يراد به الدين كله كقوله عز

1 صحيح ابن حبان - محققاً (16/ 234).

2 ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري، ولد سنة 544 هـ - في جزيرة ابن عمر - بلدة فوق الموصل - وقد جمع بين علم العربية والقرآن والحديث والفقه، وصنف تصانيف مفيدة من أشهرها «جامع الأصول» «والنهاية في غريب الحديث» توفى في الموصل سنة 606 هـ - انظر مقدمة جامع الأصول للشيخ عبد القادر الأرناؤوط

3 النهاية في غريب الحديث والأثر 1/69 - 71

4 لسان العرب: 21|13

5 هو الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، أحد علماء أهل السنة والجماعة، وأحد أعلام شبه الجزيرة العربية. ينتسب إلى قبيلة حكم المعروفة والتي تتمركز في المخلاف السليماني، وتعود أصولهم إلى الحكم، أحد أبناء سعد العشيرة، وهو أحد أجداد العرب القحطانية. و«حافظ» هو اسمه، وليس المصطلح الحديثي المعروف (نسبة إلى الحديث النبوي) ولد في قرية السلام المسمى حالياً بالخميس، التابعة لمدينة المضاياب جنوب منطقة جازان جنوب المملكة العربية السعودية في 24 رمضان سنة 1342 هـ وتوفي بعد أدائه مناسك الحج في مكة يوم 18 من ذي الحجة سنة 1377 هـ عن عمر يبلغ 35 عاماً. المصدر <http://ar.wikipedia.org/wiki>

6 معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، 2/ 595.

كلما استلهمه من نور القرآن الكريم من معاني الإيمان وأملها على محبيه في ظروف عسيرة بقصد إنقاذ إيمان الناس في هذا العصر العصيب بإحياء معاني القرآن ومقاصده في النفوس والعقول والأرواح.» ان رسائل النور برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيم له، وهي لمعة براءة من لمعات اعجازه المعنوي، ورشحة من رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس، وحقيقة ملهمة من كنز علم الحقيقة، وترجمة معنوية نابغة من فيوضاته»¹. (الكلمات، المكتوبات، اللغات، الشعاعات، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، المثوي العربي النوري، الملاحق، صيقل الاسلام، السيرة الذاتية).

المبحث الثاني: أثر الإيمان على الإنسان

تحمل النورسي عناء المسؤولية الواقعة على عاتقه، وهي على حد تعبيره إنقاذ الإيمان، وذلك من خلال منهج واضح، يستند إلى معايير، بينه الاستاذ أديب الدباغ وهي ملامح هذا المنهج:

«وهذه المعرفة الإيمانية التي رسم (النورسي) ملامحها، وخط حدودها من بثقة من فهمه لقوله تعالى: [سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق]² فهو يرى في ضوء هذه الآية العظيمة أن مامن معرفة مما تتبادله العقول فيما بينها إلا وترجع في أصولها الأولى إلى واحدة من المعارف الثلاث الآتية:

1. معرفة كونية تشمل علوم مافي السماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى.
2. معرفة إنسانية تشمل الكينونة الإنسانية وكلما يتعلق بالإنسان فرداً و نوعاً ظاهراً و باطنياً.
3. معرفة إلهية ترتبط بوجود الله تعالى وبريبيته وشؤونه في خلقه.

وهذه المعارف الثلاث متلازمة يلزم بعضها بعضاً، ويسند بعضها بعضاً، ويدل بعضها على بعض، وهي في تعاشق دائم لا ينقطع، فليس ثمة معرفة متفرقة مستقلة ومنعزلة في هذا العالم»³. هنا يبرز منهج النورسي في الحصول على المعرفة قد يكون هذا مفقود في كثير من الخطابات الإسلامية ولا نستبعد أن يكون هذا الفقد سبب لغياب الحجة أو البيان القرآني على العباد. لانرى منهج سواء أكان علمياً أو منهج العامة في تعريف الانسان الا ويتناول علاقة الانسان بالغييب وما يغيب عنه من

1 ملحق قسطنوني (220)

2 سورة فصلت: الآية 52

3 مطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسي، أديب إبراهيم الدباغ، ط1، القاهرة: مركز الكتاب للنشر، 1417هـ - 1997م، ص 41.

أولاً: هو مناط التكليف « فالفرد الذي له نظر عام، وشعور كلي هو الذي يصلح أن يكون المخاطب للصانع الجميل والمائل في حضوره، ذلك لأنه يصرف كل نظره العام وعموم شعوره الكلي إلى التعبد لصانعه وإلى استحسان صنعته وتقديرها وإلى شكر آلائه ونعمائه.. فبالبداهة يكون ذلك»¹

ثانياً: يتمتع بموهبة عالية من التكريم وقدرة العمران.» فما دامت هناك حقيقة الكمالات، ومادام كمال الخالق الذي أوجد الكون في الكمال هو ثابت ومحقق، ومادام كمال الإنسان الذي هو أفضل ثمرة للكون وخليفة الله في الأرض وأكرم مصنوع وأحب مخلوق للخالق سبحانه وتعالى حقيقة ثابتة محققة أيضاً»²

ثالثاً: يتمتع بكل تلك المميزات كونه داخل المجتمع.» ثم إن ما في دائرة «رسائل النور» من مشرب الخلعة ومسلك الأخوة، هذا المشرب الخالص والمسلك القوي الذي يُكسب الفرد الواحد أرواحاً كثيرة ويظهر سراً من أسرار الأخوة التي ورثها الصحابة الكرام من نور النبوة، هذا المشرب لا يدع حاجة إلى البحث عن المرشد الوالد في الخارج -مع إضرارٍ به بثلاث جهات- بل يوجد له بدلاً من الوالد المرشد الواحد، إخواناً كباراً كثيرين. فلا شك أن ما تسبغه أنواع الشفقة النابعة من قلوب إخوة كبار، يسقط من القيمة شفقة الوالد الواحد.»³

رابعاً: رغم هذا التكريم الا في المصلحة العامة فالكفة تعود الى المجتمع. « إلا أننا نعلم أن هذا العصر هو عصر الجماعة، لا الفرد، لأن الفرد مهما أوتي من دها -بل حتى لو كان في قوة مائة داهية- ولم يكن ممثلاً لجماعة عظيمة، ولم يكن معبراً عن الشخصية المعنوية لها، فإنه مغلوب أمام قوة الشخصية المعنوية للجماعة المناوئة له»⁴

المطلب الثالث: كليات رسائل النور:

كليات رسائل النور ألفتها بديع الزمان سعيد النورسي تضم تسعة أجزاء سجل فيها الأستاذ النورسي

1 الكلمات - 253

2 الشعاعات - 183

3 اللغات - 393

4 المكتوبات - 559

المطلب الثاني: الايمان وأثره على التصور ورفع اليأس عن الإنسان:

بعد الثورة الصناعية وثورة المعلومات والاتصالات، وما يسمى اليوم بسوشيال ميديا، دخل الانسان مرحلة جديدة في عمره ، مرحلة لم يمر بها على مر القرون، هذا الضغط الاعلامي المرئي والمسموع، جعل من الانسان عرضة بين غرائزه ومطالب السوق العالمي ، حيث استخف بقيمة الانسان كائنسان ، وازداد تكلفة الحياة الافتراضية المصطنعة حول الانسان، بحيث ضاعت انسانية الانسان بالبحث والانفاق ، فلانسان مواقيت معينة للجوع والعطش، وكذلك لممارسة الجنس، ولكن الاعلانات التجارية والافسادية جعل الجوع والجنس مطلبين دائمين ، حيث الايثاره للأكل والجنس ، وتعرض الدعايات على مدار الساعات والسنين بلهما ، حيث اصبح الوجه الحقيقي للحياة الجنس والطعام ، دون النظر الى الاوقات.

فالإنسان عند النورسي هو محور الحركة والاهتمام» إن الإنسان ضعيف بينما مصائبه كثيرة، وهو فقير ولكن حاجته في ازدياد، وعاجز إلا أن تكاليف عيشه مرهقة، فإن لم يتوكل هذا الإنسان على العلي القدير ولم يستند إليه، وإن لم يسلم الأمر إليه ولم يطمئن به، فسيظل يقاسي في وجدانه آلاما دائمة، وتخلفه حسراته وكدخه العقيم، فيما يحولّه إلى مجرم قدر أو سكير عابث. «¹ وهذا ما نعايشه اليوم ، فالانسان في حسرة دائمة ، وقلق مستمر و مهدور الانسانية ، فعندما يصل الانسان الى الإيمان الحقيقي بجميع أركانه ، فإنه يكون في اطمئنان وثقة ، يقول بديع الزمان» إن الموت بهذا الطلمس القدسي بلبس صورة فرسٍ مسخرٍ بدلا عن الأسد، بل يتخذ صورة بُراق يُخرج الإنسان المؤمن من سجن الدنيا إلى روضة الجنان، إلى روضة الرحمن ذي الجلال. ومن هنا كان الكاملون من الناس يحبون الموت و يطلبونه حيث رأوا حقيقته. ثم إن سير الزمان و مروّره على كل شيء ونفوذ الزوال والفراق و الموت و الوفاة فيه يتخذ بهذا الطلمس الإيماني صورة و ضامة حيث تحفّز الإنسان إلى رؤية الجِدّة بتجدد كل شيء، بل يكون مبعث التأمل في ألوان مختلفة متنوعة و أنواع متباينة لمعجزات إبداع الخالق ذي الجلال و خوارق قدرته، و تجليات رحمته سبحانه و مشاهدتها باستمتاع بهجة كاملين. بمثل ما يُضفي تبثّل المرايا العاكسة لألوان نور الشمس، وتغيّر الصور في شاشة السينما من جمال وروعة إلى تكون المناظر الجذابة و تشكلها»²

ومن جانب آخر فإن من حكمة الله سبحانه ان خص الانسان بالايمان به ، وهده الى طرق اكتساب

1 الكلمات - 24

2 الكلمات - 28

الامور كمسألة: الخلق ؟ ولماذا خلق؟ وما هي وظيفته الخلق ؟ ، كل إنسان يصطدم مع هذه الاتواع من الاسئلة، وكذا: ما هي العلاقة والروابط بينه و وبين نفسه ؟ وبين غيره من بني جلدته ؟ ، وعلى أي اساس يتعامل معهم وما هي دائرة معطيائه ؟ ، ومن الاسئلة الملحة على الانسان هو الكون وما تخفيه من الاسرار والنظم و الصيرورة الخ ، من الظواهر الكونية، وليس هذا غريبا على فيلسوف كالنورسي ان ينظر الى كل هذه الاسئلة والاجابة عنها كمصادر للمعرفة.

يعتبر الإيمان وتكامل الإنسان عند النورسي¹، هو محاولة لتفسير القرآن الكريم من خلال الاتصال المباشر بالقرآن الكريم، هدفه وخز الضمير وتحريك العقل والقلب، فقد ذكر خمس فوائد من بين آلاف محاسن الإيمان وفوائده ولخصها في خمس نقاط مستنبطة من قوله تعالى في سورة التين: [لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ]².

المطلب الأول: مكانة الإنسان عند النورسي:

الإنسان هو السيد والمحور الرئيس لكلام الله التكليفي وذلك لوجود مقومات تؤهله لهذه السيادة، (إننا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)³ رغم كثرة أوجه التأويل في بيان هذه الآية وأختلاف أهل التأويل فيها يبقى أمر مهم وهو الاستعدادات التي أودعها الله في الانسان من القدرة والتحمل والتفاعل والتعاطي من هذه الأمانة «الإنسان سلطان الكائنات وسيد المخلوقات من حيث حياته المعنوية والأخروية بما أودع الله فيه من علم به وافتقار إليه وقيام بعبادته. فيا نفسي! إن كنت تجعلين الحياة الدنيا غاية المقصد وأفرغت في سبيلها جهدك فسوف تكونين في حكم أصغر عصفور. أما إن كنت تجعلين الحياة الأخرى غاية المني وتتخذين هذه الحياة الدنيا وسيلة لها ومزرعة، وسعيت لها سعيها، فسوف تكونين في حكم سيد الأحميا والعبد العزيز لدى خالقه الكريم وستصبحين الضيف المكرّم الفاضل في هذه الدنيا. فدونك طريقان اثنان، فاختراري أيّما تشائين. واسألني الربّ الرحيم الهداية والتوفيق.»⁴.

1 الكلمات النورسي ص: 374-348

2 سورة التين: الآية 4 - 6.

3 سورة الأحزاب: الآية 72.

4 الكلمات ص 20

هذا الايمان بدءاً بالفطرة الى جميع تلك الايات التي أشار اليها بديع الزمان، وكما صورته النورسي، الايمان هبة ربانية، وهو تفسير شامل لجميع مرافق الحياة والكائنات الحية والكون الفسيح وما حول الانسان، « فأحبُّ إنسان إذن هو ذلك الفرد الذي انكشفت استعداداته انكشافات أمافأظهر إظهاراً كاملاً نماذج كمالته سبحانه المنتشرة في المصنوعات و المتجلية فيها»¹

«اعلم أن بمقدار توسع تصرف القدرة في الجزئيات و تزييد الأمثال تتقوى العناية بالفرد. فلا تقل: أنا قطرة في بحر، فينسيني البحر. كلا! بل البحر شاهدٌ على أنك بنسبة محاطيتك به محفوظاً بدا بنظام قوي نافذ بقوته في جميع أمثالك»²

ولمكانة الانسان عند خالقه سبحانه وتعالى جعل الخطاب القراني موجهة اليه ومبينة له ومكرمة له، الإنسان محكوم بالفطرة بتصوراته للحياة فكيفما كان تصويره كانت تصرفاته وسلوكه، ولأهمية هذا المبحث جاهد النورسي على تصحيح و تصويب وبناء رؤية حقيقة للإيمان بعيداً على الجدال الفلسفي والمتكلمين رغم أحاطته بهذه العلوم «ولعل السهولة التي وجدها سعيد النورسي في ثبوت العقائد والحقائق الإيمانية، والصعوبة، بل الإستحالة في إنكارها ونفيها هي التي صرفته عن الإشتغال بأفراد مباحث مستقلة لها، أو معالجتها وشرحها معالجة وشرح يوازي ما هو شائع في مباحث علم الكلام.

«يكثر الشيخ النورسي منا لتذكير بجلال الله، وجماله، وإحسانه لعباده، و حكمته في خلقه وكمال، ليلفت نظرنا إلى التخلق بهذه الأخلاق، و التحلي بمداليلها، إنه لا يكفي ان نتعلم أن الله حكيم، ولانبغي الحكمة و لانتجّلها، كما لا يكفي ان نعلم ان الله رحيم ولانرحم ولانترحم، و بهذا ربط الشيخ الايمان بآثارها لنفسية والواقعية، واعداد وشائج القربى والتلاحم لجزئيات العقيدة، فأصبحت بذلك منتظمة من كلية، تهيمن وتجمع الأشتات. هذه غاية الجدة التي أغفلت منذ أزمنة سحيقة.»³

لكل هذا فقد شكل العنصر العقدي في فكر النورسي مرتكزاً رئيساً تدور عليه أغلب مباحثه

المطلب الثالث: أثر الايمان بالله واليوم الآخر عند النورسي:

ففي هذا المدخل إلى معرفة الإيمان في القرآن الكريم وجدنا رؤية واضحة عن المؤمن وصفاته والركن الأساس في هذا البناء التصور والفكري والسلوكي.

الايمان بالله سبحانه وتعالى وبالرسل والرسالات والملائكة واليوم الآخر، والاصل فيها الايمان بالله واليوم الآخر والبقية تتدرج تحت هذين الركنين مع أن المتكلمين قسموا الايمان إلى إلهيات ونبوات وسمعيات. و«إيمانهم بالغيب اقتضى إيمانهم بالقرآن، وبما أنزل الله من الكتب قبل القرآن، ولكنه أعاد ذكر الإيمان هاهنا على جهة التخصيص والتأكيد، وتصديق الوساطة صلى الله عليه وسلم في بعض ما أخبر يوجب تصديقه في جميع ما أخبر، فإن دلالة صدقه تشهد على الإطلاق دون التخصيص،» وإنما أيقنوا بالآخرة لأنه مشهودوا على الغيب فإن حارثة لما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت؟ قال: أصبحت مؤمن ابالله حقا، وكأني بأهل الجنة يتزاورون وكأني بأهل الناري تعاوون، وكأني بعرش ربي بارزا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أصبت فالزم»².

وحقيقة اليقين التخلص عن تردد التخمين، والتقصي عن مجوزات الظنون.³ و«عندها تفهم ان المؤمن يكسب حقاً خاصية تليق بالجنة، كما ان الكافر يكتسب ماهية توافق جهنم. فما جوزي كل منهما بهذا الجزاء العادل إلا لأن المؤمن يستعمل بايمانه أمانة خالقه سبحانه بأسم هو ضمن دائرة مرضاته، وان الكافر يخون الأمانة فيستعمله اله وهو لنفسه الأمانة بالسوء»⁴ وهذا هو المنهج الذي يسلكه الإمام النورسي في فهمه لمفهوم الإيمان وكذا يأتي بالإيمان باليوم الآخر تابعاً للإيمان بالله سبحانه وتعالى وهذا ما نراه في موضعه الإيمان عند النورسي بإذن الله تعالى فهو يردد دائماً «ان كنت ترغب ان تفهم كيف ان الايمان بالله وباليوم الآخر»⁵.

1 معالم إيمانية أو البعد العقد في فكر النورسي د. الشفيح الماحي احمد ص7

2 الحديث أورده ابن حجر في الإصابة (174 / 175) قال البيهقي: هذا منكر وقد خبط فيه يوسف بن عطية الصفار وهو ضعيف جدا. وهكذا ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (1 / 57) وقال رواه البزار وفيه يوسف بن عطية لا يحتج به..

3 لطائف لإشارات = تفسير القشيري (1 / 58)

4 الكلمات سعيد النورسي ص: 24.

5 الكلمات سعيد النورسي ص: 26.

1 الكلمات - 672

2 المثنوي العربي النوري - 284

3 التجديد العقدي عند النورسي، د. الحسين أيتسعيد، استاذ السنة وعلومها، بكلية الآداب بمراكش. ندوة الرباط - جهود النورسي التجديدية - المغرب 1999.

وحسابه على أقوال وأعمال قد طوتها دهور من الزمن، وهو ما رواه القرآن الكريم في عدد كبير من آياته، وذلك مثلما جاء «في قوله تعالى: [وَكَاثُوا يُقُولُونَ أَيَّدَا مِثْنَاو كُنَّا تَرَابًا وَعِظَامًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ] وفي قوله تعالى: [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نُنَادِيكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يَبِينُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلَّ مَزْقٍ إِنْكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ] ³ كان للإيمان بالآخرة اهتمام كبير عند النورسي، لا باعتبار أن ذلك الإيمان ركن أساسي من أركان الدين، فذلك أمر معلوم من الدين بالضرورة لا يحتاج إلى واسع بيان، ولكن من حيث ما أولى هذه العقيدة من شرح، وما توسع فيه من دعوة إليها، وما استجمع في شأنها من أدلة، وما نوع في بناء تلك الأدلة، فقد بلغ ذلك في مؤلفاته وفي منهجية النورسي في الاستدلال على الحياة الآخرة مواظبه وتوجيهاته مبلغا يلفت إنتباه الدارس لتراثه، إذ ما خصصه في ذلك من حجم البيانات والاستدلالات فاق ما خصصه لسائر مسائل العقيدة الأخرى. ⁴

ويقول النورسي: «ان كنت ترغب ان تفهم كيف ان الايمان بالله وباليوم الآخر، أثنى مفتاحين يجلان لروح البشر طمس الكون ولغزه، ويفتحان امامها باب السعادة والهناء.. وكيف ان توكل الانسان على خالقه صابراً، والرجاء من رزاقه شاكراً، أنفع علاجين ناجعين.. وان الإنصات الى القرآن الكريم، والالتقياد لحكمه، وأداء الصلوات وترك الكبائر، اعلى زاد للآخرة، واسطع نور للقبر، وأيسر تذكرة مرور في رحلة الخلود.. أجل! ان كنت تريد ان تفهم هذه الامور كلها فأنصت معي الى هذه الحكاية التمثيلية القصيرة» ⁵، ثم عن طريق هذه الحكاية التمثيلية هنا يقرب هذه الحقيقة السامية من العقل والقبول.

ومن جانب ثان ، فقد طال الكلام عن مسألة الحشر واليوم الآخر من حيث الإيمان والوقوع منذ القدم ، فالإمام الفخر الرازي يقول في هذا الشأن « أَنَّ مَسْأَلَةَ الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ مِنَ الْمَسَائِلِ الْمُعْتَبَرَةِ فِي صِحَّةِ الدِّينِ وَالنَّبُحْتِ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إِذَا أَنْ يَقَعَ عَنْ إِمْكَانِهَا أَوْ عَنْ وَقُوعِهَا، أَمَّا الْإِمْكَانُ فَيَجُوزُ إِثْبَاتُهُ تَارَةً بِالْعَقْلِ، وَبِالنَّقْلِ أُخْرَى، وَأَمَّا الْوُقُوعُ فَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ إِلَّا بِالنَّقْلِ» ⁶، ولكن الجديد هنا عند الإمام

1 منهجية النورسي في الاستدلال على الحياة الآخرة، أ.د. عبدالمجيد انجار،مجلة النور للدراسات الفكرية والحضارية تصدر عن مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم يناير 2013 العدد 7 ص 7

2 سورة الواقعة: الآية 47

3 سورة سبأ: الآية 7

4 منهجية النورسي في الاستدلال على الحياة الآخرة، أ.د. عبدالمجيد انجار،مجلة النور للدراسات الفكرية والحضارية تصدر عن مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم يناير 2013 العدد 7 ص 7

5 الكلمات: سعيد النورسي ص: 26

6 تفسيرالرازي = مفاتيح الغيب أوالتفسيرالكبير (2/ 353)

والنقاش حول وجود الله يشكل محوراً حيوياً في الفكر الانساني ونظرة متخصصة على النقاش الدائر في هذا الموضوع في كل من ساحة العلم والتكنولوجيا والدين في عصرنا هذا الذي يفخر بإنجازاته ، تظهر لنا أن مثل هذا النقاش لن يزول ولن ينتهي، فهذه المسألة تحتل مركزاً رئيساً في نظرة الفكر الانساني نحو العالم في جميع الازمنة والاقوات في الماضي والحاضر وفي المستقبل أيضاً «والنورسي حين سعى لإثبات وجود الله كحقيقة متعينة في الظاهر ، عول على ذلك المفهوم العميق لمعنى الإثبات الذي يخرج عن الإطار السردى المالك للأدلة والبراهين والشواهد. و مما ينصب عادة في الكشف عن الغائب والمجهول والخفيف تحولا لإثبات عنده في النهاية ليعنى الوقوف على حقيقة الموجود، أيا لوقوف على ماهو أصلاً ثابت وحق وواقع بالفعل. ولا مجال لإنكاره مطلقاً. وحتى فيهذا فهو لايريد وقوفاً مجرداً يصل فيه بالإثبات إلى منتهاه وغايته. بل يريده وقوفاً قلبياً مشعوراً به ، بحيث يقول المثبت أتيقن وأعتقد، ولايقول أعلمه وأعرفه» ¹.

أثرا للإيمان باليوم الآخر ، وهو الركن الثاني من الركنين الأساسيين للإيمان ،فيحتل هذا الركن موقعاً أساسياً في القرآن الكريم وفي كتب التي تتناول العقيدة الإسلامية.وقد تكلم الفلاسفة والمتكلمون عن هذا البعد وسموه بالسمعيات «الرُّكْنُ الرَّابِعُ فِي السَّمْعِيَّاتِ وَمَدَارُهُ عَلَى عَشْرَةِ أَصُولٍ وَهِيَ إِثْبَاتُ الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ وَسُؤَالُ مُنْكَرٍ وَ تَكْيِيرٍ وَعَذَابُ الْقَبْرِ وَالْمِيزَانَ وَالصِّرَاطَ وَخَلْقَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ» ².. الحديث عن اليوم الآخر جزء من الذاكرة الفكر الانساني في المجتمعات البشرية وقد تطرق إليه الفلاسفة والشعراء والأدباء ، وبهذا كون قاموساً وثقافة واستولى على رقعة كبيرة في التراث الانساني ، مع وجود إشكاليات داخل تلك الفلسفات بين الإثبات والنفى ، وفي هذا تمتاز القرآن بالصورة المتكاملة لليوم الآخر في غاية الدقة والجمال الصوري ، والتعبير بما يوافق إستعدادات الإنسان الفطرية ، وقد فصل القول في هذا المجال الزمخشري في (الكشاف) ، وسيد قطب في كتابه (مشاهد القيامة في القرآن الكريم) وفي ثنايا (في ظلال القرآن) وطبعاً في قصص الرازي في تفسيره وغيره من المتأخرين.

«وبالرغم من أن فكرة البعث بعد الموت كانت فكرة معروفة في الثقافة الإنسانية القديمة إلا أن التصور الذي جاء بها لإسلام في وضوحه وتفصيله من حين الموت إلى حين الإستقرار في دار الجزاء ثواباً وعقاباً قُوبل من أهل الجاهلية بإنكار شديد، إذ لمتستوعب العقول بعث الإنسان حياً بعد موته،

1 التبعث العقدي في فكر النورسي الدكتور الشفيح الماحي أحمد جامعة الملك سعود- الرياض ص 5

2 قواعدالعقائد (ص: 146)

الخاتمة

بعد خوض هذه الرحلة وبعد الاستقراء والتحليل لنصوص رسائل النور وقراءة الأفكار التي نبعت من هذا المنهل الثري ، وصلنا إلى جملة من الأمور نجملها في الآتي:

1. الايمان هو القوة الوحيدة القادرة على تحمل وتقبل واستيعاب والمواجهة والصمود لكل التحديات المادية الفتاكة الموجهة إلى أبناء العصر من الحضارة الحديثة ، فيترك هذا الإيمان بصماته على تحسين سلوك الفرد والمجتمع برمته.
2. الايمان بالله هو مفتاح معرفة هذا الوجود وتفسيره، وكذلك الركن والأساس الثاني وهو الايمان باليوم الآخر هي اللبنة التي تحقق لهذا الوجود جماله وبقته وتظهر لنا العدل الالهي في أبهى صوره ، ومن هنا فكان من الواجب إدخال تلك المفاهيم في المناهج الدراسية وتربية الجيل الجديد عليها.
3. الانسان مكرم ومودع فيه اسرار الحكمة الالهية ، فالانسان إذا لم يتلق تلك الاسرار والمفاهيم بروح مؤمنة ، انقلبت عليه وجعلته في اسفل السافلين ، وتتحقق سيادة الانسان ومفهوم الخلافة له اذا ما حمل الأمانة الملقاة عليه على وجهها الصحيح ، وبالمعيار القراني ، والا جلب على الانسانية الهوان والدمار.
4. رؤية النورسي للإيمان اتسمت بالسهولة واليسر والبساطة ، بدون أن يخل هذا بالعمق الفكري والتعويل الاستدلالي الفلسفي والاصولي، ورسائل النور هي احدى المعامل المؤثرة والمهمة لاستيعاب اسئلة العصر والمستجدات الفكرية ، ولديها العدة لمواجهة متطلبات إنسان العصر ورسم الخطى للوصول إلى السعادة ، وهذا هو الأثر المجني من الإيمان والدخول في كنف الأركان الإيمانية وحقائقه.
5. على الرغم من كل ما يملكه الفكر الغربي وحضارته المادية من الهيمنة العسكرية والاعلامية والاقتصادية والفكرية ، فهو لا يصمد أمام عمق مفاهيم رسائل النور وخطاباتها العقلية والوجدانية والقلبية ، فهي تجمع في آن واحد بين العقل والقلب ، وهذا ما يفقده الإنسان المعاصر بل غالباً ما لا نلاحظه في الخطابات الدعوية والفكرية في العصر الحديث لدى المسلمين وغيرهم ، فالغرب مع ما قام به من تطور وازدهار مادي إلا ان القلق والامراض النفسية طغت على حضارته مما أدى إلى دمار الإنسانية بسببها. فمع أنه حارب الايمان

النورسي هو تخصيص الكلمة العاشرة ضمن كتاب الكلمات ، وسماها بـ«رسالة الحشر» والتي تقرب من ثمانين صفحة، لإثبات الحشر الذي هو المفتاح للأمور المتعلقة باليوم الآخر ، وأثبت من خلالها الوقوع والإمكان بالعقل فضلاً عن النقل ، وقد اعتبر هذا من فضل القرآن وفيضه لا غير ، إذ قال: (فإن فلاسفة دهاة - أمثال ابن سينا - قد قالوا: (الحشر ليس على مقاييس عقلية) اي ((نؤمن به فحسب، إذ لا يمكن سلوك سبيله، وسبر غوره بالعقل)) وكذلك اتفق علماء الاسلام بأن قضية الحشر قضية نقلية، أي ان أدلتها نقلية، ولا يمكن الوصول اليها عقلاً. لذا فان سبيلاً غائراً، وطريقاً عالياً سامياً في الوقت نفسه، لا يمكن ان يكون بسهولة طريق عام يمكن ان يسلكه كل سالك.

ولكن بفيض القرآن الكريم، وبرحمة الخالق الرحيم قد منّ علينا السير في هذا الطريق الرفيع العميق، في هذا العصر الذي تحطم فيه التقليد وفسد الازعان والتسليم. فما علينا إلا تقديم آلاف الشكر الى الباري عز وجل على احسانه العميم وفضله العظيم، إذ ان هذا القدر يكفي لانقاذ ايماننا وسلامته. فلا بد ان نرضى بمقدار فهمنا ونزيده بتكرار المطالعة.

هذا وان أحد اسرار عدم الوصول الى مسألة الحشر عقلاً هو ان الحشر الاعظم هو من تجلي (الاسم الاعظم)، لذا فان رؤية وارة الافعال العظيمة الصادرة من تجلي الاسم الاعظم، ومن تجلي المرتبة العظمى لكل اسم من الاسماء الحسنى هي التي تجعل اثبات الحشر الاعظم سهلاً هيناً وقاطعاً كاثبات الربيع وثبوته، والذي يؤدي الى الازعان القطعي والايان الحقيقي.

وعلى هذه الصورة توضّح الحشر ووضّح في هذه (الكلمة العاشرة) بفيض القرآن الكريم. وإلا لو اعتمد العقل على مقاييسه الكليّة لظنّ عاجزاً مضطراً الى التقليد¹. وذلك بالإضافة إلى مواضع أخرى كثيرة يستغرق كلّ منها عدداً من الصفحات، مع ذلك لاتخلوا الرسائل الأخرى من رسائل النور من إيراد لعقيدة البعث، إما في مقام شرح وبيان، أو في مورد نصرته استدلال، أو في موضع إرشاد وعظة، أو في سياق تفنيد لشبه واعتراضات واردة، بحيث يتأكد من كل ذلك أن هذه العقيدة كانت تحتلّ في تفكيره العقدي مكانة مرموقة قد لاتضاهيه أية مسألة عقديّة أخرى.²

1 الكلمات: 99.

2 منهجية النورسي في الاستدلال على الحياة الآخرة، أ.د. عبدالمجيد النجار، مجلة النور للدراسات الفكرية والحضارية تصدر عن مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم يناير 2013 العدد 7 ص 7

بمنطق المادية ، ولكن في الختام عجزت المادية عن أداء وظيفتها وأن يحل محل الإيمان.

6. لا بد من العودة الى تلك المفاهيم الايمانية التي طرحها الشيخ النورسي ورسم طريقها وفق لغة العصر وحسب متطلبات إنسان هذا العصر ، ومن هنا نبعد الفرد والمجتمع عن القلق والعنف الفكري ، ونجعله فردا يترك أثره الإيجابي على نفسه ومجتمعه ، والدول التي سلكت هذا المسلك ابعد المجتمعات عن القلق والعنف.

7. للامور المادية وعالم الشهادة والمادة معاييرها ، وللغيب وعالمه معاييرها ، والخلط بينهما يوقع بالانسان في متاهات كثيرة وكبيرة ومدمرة ، لذا من الاهمية ضبط وبيان تلك المعايير وتحسين التصرف معها وفهمها وبيانها.

المصادر والمراجع

1. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، النَّسْتِي (المتوفى: 354هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط: مؤسسة الرسالة، بيروت ط: الأولى، 1408 هـ - 1988 م.
2. البرهان المؤيد، أحمد بن علي بن ثابت الرفاعي الحسيني، دار الكتاب النفيس - بيروت، ط الأولى ، 1408، ت: عبد الغني نكه مي.
3. البعد الإيماني في فكر سعيد النورسي. د. الشفيق الماحي احمد المصدر: مجلة الشرعية والدراسات الإسلامية - شعبان 1420 هـ = ديسمبر 1999م - العدد 39 بتصرف.
4. التجديد العقدي عند النورسي، د. الحسين ايت سعيد، استاذ السنة وعلومها ، بكلية الآداب بمراكش. ندوة الرباط - جهود النورسي التجديدية - المغرب 1999.
5. التقفية في اللغة، أبو بشر، اليمان بن أبي اليمان البندنجي، (المتوفى: 284 هـ)، ت: د. خليل إبراهيم العطية، الجمهورية العراقية - وزارة الأوقاف - إحياء التراث الإسلامي - مطبعة العاني - بغداد، 1976 م.

6. جامع الأصول في أحاديث الرسول، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ) ت: عبد القادر الأرئووط - التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان ط الأولى.

7. جمهرة اللغة، ت:رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، 1987م، بيروت.

8. روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية هو كتاب للفيلسوف المغربي طه عبد الرحمان، المركز الثقافي العربي 2006م.

9. شرح العقيدة الطحاوية، شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (المتوفى: 792هـ)، ت: جماعة من العلماء ، تخريج: ناصر الدين الألباني، دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي)، الطبعة المصرية الأولى 1426هـ - 2005م.

10. العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي، سنة الولادة 100هـ / سنة الوفاة 175هـ ت: د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

11. قواعد العقائد، أبو حامد الغزالي، سنة الولادة / سنة الوفاة 505هـ، ت:موسى محمد علي، عالم الكتب، 1405هـ - 1985م، لبنان.

12. كليات رسائل النور، الكلمات تاليف بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر ط السادسة. 2011م.

13. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، دار صادر - بيروت، ط: الثالثة - 1414 هـ.

14. لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، ت: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر .

15. كليات رسائل النور، مثنوي العربي النوري، تاليف بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة

احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر ط السادسة. 2011م.

16. مجمع الزوائد. الإصدار، للحافظ الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة 807، بتحريه الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر، التدقيق الثاني بالمقابلة مع طبعة دار الفكر، بيروت، طبعة 1412 هـ، الموافق 1992 ميلادي.

17. مطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسي، أديب إبراهيم الدباغ، ط1، القاهرة: مركز الكتاب للنشر، 1417 هـ - 1997م.

18. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: 1377هـ)، ت: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم - الدمام، ط الأولى، 1410 هـ - 1990 م.

19. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الثالثة - 1420 هـ.

20. كليات رسائل النور، الملاحق تاليف بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر ط السادسة. 2011م.

21. منهجية النورسي في الاستدلال على الحياة الآخرة، أ.د. عبدالمجيد النجار، مجلة النور للدراسات الفكرية والحضارية تصدر عن مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم يناير 2013 العدد 7.

22. نظرة سعيد النورسي حول الايمان بوجود الله د. امتياز يوسف.

23. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المباركين محمدالجزري، سنةالولادة 544/ سنةالوفاة 606، ت: طاهرأحمدالزاوي - محمودمحمدالطناحي، المكتبةالعلمية، 1399 هـ - 1979م، بيروت.

أثر الإيمان في حياة الطفل وفقاً لرسائل النور - دراسة نفسية واجتماعية مقارنة -

د. محمد عبد اللطيف

باحث وطبيب إستشاري بهيئة المستشفيات والمعاهد التعليمية المصرية، جامعة الأزهر.
مصر

الإيمان في الطفولة المبكرة:

تعد مرحلة الطفولة من أهم مراحل بناء الكيان البشري، فهي مستهل الحياة والطفل فيها أكثر شغفا للعلم وأسهل للتلقى وأكثر طواعية وانقيادا. كما أن هذه المرحلة وهي السابقة على كل المراحل ذات أثر فعال وعميق على كل ما يليها من مراحل النمو المتتالية.

فإن ما يمر به الطفل من الخبرات والمواقف وما نهج عليه وممارسه من عادات وتقاليد خلال تنشئته في المرحلة المبكرة من حياته، هي بمثابة الدعائم الأساسية التي تربي عليها أنماط شخصيته طفلا ومراهقا وراشدا.

يلفت النورسي أنظارنا دائما إلى العجز الإنساني عامة وفي مرحلة الطفولة خاصة قائلا: إن عناية الامهات بأولادهن الضعاف العاجزين - سواء في النبات أو الحيوان أو البشر - عناية ملؤها الرأفة والرحمة، وتغذيتها بالغذاء اللطيف السائغ من اللبن، تريك عظمة التجليات، وسعة الرحمة المطلقة.⁽¹⁾

ويذكر النورسي: إن الذي وهب الحياة؛ وأنشأها صنعة صمدانية معجزة تتلمع، وجعلها حكمة ربانية

الحشرات المضرة فهي المصائب الدنيوية، إلا أنها للمؤمن في حكم الإيقاظات الإلهية الحلوة والانتقادات الرحمانية لنلا يغفل.. وأما مطعومات تلك الشجرة فهي النعم الدنيوية التي صنعها رب العزة الكريم لكي تكون فهراً للنعم الأخروية ومذكّرة بها، بمشابهتها لها، وقد خلقها البارئ الحكيم على هيئة نماذج لدعوة الزبائن إلى فواكه الجنة، وإن إعطاء تلك الشجرة على وحدتها الفواكه المختلفة المتباينة إشارة إلى آية الصمدانية وختم الربوبية الإلهية وطغراء سلطنة الألوهية. ذلك لأن (صنع كل شيء من شيء واحد) أي صنع جميع النباتات وأثمارها من تراب واحد، وخلق جميع الحيوانات من ماء واحد، وإبداع جميع الأجهزة الحيوانية من طعام بسيط. وكذا (صنع الشيء الواحد من كل شيء) كبناء لحم معين وجلد بسيط لذي حياة من مطعومات مختلفة الأجناس.. إنما هي الآية الخاصة للذات الأحادية الصمدية والختم المخصوص للسلطان الأزلي الأبدي وطغراؤه التي لا يمكن تقليدها أبداً. نعم إن خلق شيء من كل شيء وخلق كل شيء من شيء، إنما هو خاصية تعود إلى خالق كل شيء.. وعلامة مخصوصة للقادر على كل شيء. وأما ذلك الطلسم فهو سر حكمة الخلق الذي يُفتح بسر الإيمان.

وأما ذلك المفتاح فهو (الله لا إله الا هو الحي القيوم) و(يا الله) و(لا إله إلا الله..)

وأما انقلاب فم ذلك الثعبان إلى باب البستان فهو رمز إلى أن القبر هو سجن الوحشة والنسيان والإهمال والضيق، فهو كبطن الثعبان لأهل الضلالة والطغيان. ولكنه لأهل الإيمان والقرآن باب مفتوح على مصراعيه من سجن الدنيا إلى بستان البقاء، ومن ميدان الإمتحان إلى روضة الجنان، ومن زحمة الحياة إلى رحمة الرحمن.. وأما انقلاب ذلك الأسد المقترس إلى حصان مسخر وإلى خادم مؤنس فهو إشارة إلى أن الموت لأهل الضلال فراق أبدي أليم من جميع الأحبة، وخروج من جنة دنيوية كاذبة إلى وحشة سجن انفرادي للقبر، وضياح في تيه سحيق، بينما هو لأهل الهداية وأهل القرآن رحلة إلى العالم الآخر، ووسيلة إلى ملاقاتة الأحبة والأصدقاء القدامى، وواسطة إلى دخول الوطن الحقيقي ومنازل السعادة الأبدية، ودعوة كريمة من سجن الدنيا إلى بساتين الجنان، وانتظار لأخذ الأجرة للخدمات تفضلاً من الرحمن الرحيم، وتسريح من تكاليف الحياة وإجازة من وظيفتها، وإعلان الانتهاء من واجبات العبودية وامتحانات التعليم والتعليمات.⁽³⁾

لذا تعتبر التربية الروحية والدينية للأطفال شرطاً أساسياً من شروط الصحة النفسية وهي الدعائم التي يعتمد عليها في التطور والإرتقاء في درجات التوافق الشخصي والإجتماعي للفرد وللطفل سواء كان هذا التوافق في علاقة الفرد مع خالقه أو مع نفسه أو في علاقاته ومعاملاته مع الآخرين، فإن التمسك بالتعاليم الدينية والتبني للقيم الروحية السامية تجنب الطفل الإنحراف والوقوع في الخطأ مما

خارقة تتألق، هو الذي يريها، وهو وحده الذي يراها ويديمها بالرزق. أو تريد الدليل؟! إن أضعف حيوان وأبلده ليُرزق بأفضل رزق وأجوده (كالاسماك وديدان الفواكه). وإن أعجز مخلوق وأرقه ليأكل أحسن رزق وأطيبه (كالأطفال والصغار).⁽²⁾

ومن المؤكد والمنطقي ألا يتوقف إعداد الطفل في هذه المرحلة الحرجة على النواحي الجسدية وبنائه الجسدي فحسب بل إن أهم ما ينبغي التركيز عليه في هذه المرحلة هو تعريف الطفل بدينه والعمل على إكسابه القيم الخلقية والسلوكية. الدين هو القاعدة الأساسية لتكوين الضمير الديني والوازع الخلقى. وهو منبع القيم والمثل العليا التي تحث الطفل على الصدق والأمانة وتدفعه إلى عمل الخير وتجعله صابراً عند الشدائد مما يكون له أكبر الأثر في جعل الشخصية متوافقة نفسياً واجتماعياً.

يذكر النورسي في الكلمة الثامنة قصة جميلة يقدم لها قائلاً:

(إنّ الدينَ عند الله الاسلام) (آل عمران: 19) إذا اردت ان تفهم ما الدنيا وما دور الروح الانسانية فيها، وما قيمة الدين عند الانسان وكيف أنه لولا الدين الحق لتحولت الدنيا الى سجن رهيب، وأن الشخص الملحد هو أشقى المخلوقات، وأن الذي يحل طلمس العالم ولغزه المحير وينقذ الروح البشرية من الظلمات إن هو إلا يا الله... لا إله إلا الله.. أجل إذا كنت تريد أن تفهم كل ذلك فأنصت الى هذه الحكاية التمثيلية القصيرة وتفكر فيها ملياً ثم يمضى النورسي ساردا الحكاية وضاربا الأمثلة عن شقيقتين في سياحة أحدهما متبع لتعاليم الدين والآخر لا، مبينا مزايا وصعوبات كلا الطريقتين العاجلة منها والأجلة.

ثم يذكر النورسي مفسراً الحكاية في النهاية قائلاً: فالأخوان الإثنان: أحدهما روح المؤمن وقلب الصالح، والآخر روح الكافر وقلب الفاسق.. أما اليمين من تلكا الطريقتين فهو طريق القرآن وطريق الإيمان وأما الشمال فطريق العصيان والكفران.. وأما ذلك البستان في الطريق فهو الحياة الإجتماعية المؤقتة للمجتمع البشري والحضارة الإنسانية التي يوجد فيها الخير والشر والطيب والخبيث والظاهر والقدر معاً. فالعاقل هو من يعمل على قاعدة: (خذ ما صفا.. دع ما كدر) فيسير مع سلامة القلب واضمثنان الوجدان. وأما تلك الصحراء فهي هذه الدنيا وهذه الأرض.. وأما ذلك الأسد فهو الأجل والموت.. وأما تلك البئر فهي جسد الانسان وزمان الحياة. وأما ذلك العمق البالغ ستين ذراعاً فهو إشارة الى العمر الغالب، وهو معدل العمر ستون سنة.. وأما تلك الشجرة فهي مدة العمر ومادة الحياة.. وأما الحيوانان الإثنان، الأسود والأبيض فهما الليل والنهار.. وأما ذلك الثعبان فهو فم القبر المفتوح إلى طريق البرزخ ورواق الآخرة، الا أن ذلك الفم هو للمؤمن باب يفتح من السجن الى البستان.. وأما تلك

فكرة الطفل عن الدين:

إن مفاهيم الطفل عن الدين تختلف كثيرا عن أفكار الكبار وعن خبراتهم ومشاعرهم ولذلك فالجوانب الدينية والإيمانية في حياة الطفل أقل خضوعا لفهمنا عن جوانب شخصيته الأخرى ويتقدم نضجه العقلي كان الطفل أكثر قدرة على أن يستبدل بمفاهيم الطفولة الساذجة والمشخصة مفاهيم أخرى أكثر عمومية وأكثر تجريدا وكلما تقدم الطفل في العمر أصبحت علاقته بالله أكثر شمولا وأقل تشخيصا وتصبح اتجاهاته الدينية أقل أنانية وأقل تمركزا حول ذاته ومعنى هذا أن الدين لا يصبح له دور فعال في حياة الطفل إلا إذا تناول تصورات ومفاهيم تدور حول حياة الطفل الدنيوية المباشرة ولم تقتصر على الحياة الأخرى. وإذا ما تسألنا عما يحدث في الفكر الديني للطفل عندما يصل إلى مرحلة المراهقة لوجدنا أن هناك عملية إنتقال أو تحول من تلك الاستجابات التي تثيرها الضرورة الخارجية إلى تلك الاستجابات التي تثيرها الضرورة الداخلية أي من دوافع الأنانية إلى غير الأنانية ولكن هذا لا يعني أن الشعور الشخصي بالواجب والمسئولية والإحساس بالمثل العليا ليست معروفة قبل هذه السن أو أنها تظهر فجأة عند البلوغ فهناك العديد من الأدلة التجريبية التي تؤكد حدوث النمو التدريجي وليس النمو أو الإنتقال الفجائي من مرحلة إلى أخرى.

أثبتت الدراسات أن فكرة الطفل عن الدين في حياته المبكرة فكرة محسوسة ملموسة خصوصا في تمثل صورة الملائكة والشياطين أما العبادات كالصلاة والصوم والدعاء فإنها وسيلة الطفل للحصول على مطالبه وكرغبة لتقليد الكبار فالطفل يؤدي هذه العبادات بطريقة أنوماتيكية إيجابية للقبول والاستحسان الإجتماعي ممن حوله.⁽⁷⁾ أما المفاهيم الدينية فإن الطفل لا يفهم معناها في هذه المرحلة. عندما يصل الطفل إلى مرحلة الطفولة المتأخرة يستطيع أن يناقش الأمور الدينية ويبدأ في التساؤل حول الأمور التي تتعلق بالخلق والموت والحياة والبعث. في البداية يقبل الطفل ما يلقى عليه من إجابات ثم بتقدمه في العمر واتساع مداركه فهو يعيد النظر فيها فيتناولها بالفحص والتمحيص والمناقشة والمجادلة إلى أن تنتهي عملية النقد هذه إما بقبول هذه القيم أو رفضها أو تعديلها.⁽⁸⁾

مرحلة الشعور الديني للطفل:

لا نجد اتفاقا كاملا بين الباحثين حول السن التي يبدأ فيها الطفل إدراك المفاهيم الدينية فالبعض منهم يجد أن هناك مؤشرات لبعض المظاهر الدينية في سلوك الأطفال الصغار بينما البعض الآخر يرى أن الطفل لا يقوى على إدراك المفاهيم الدينية إلا بعد الوصول إلى مرحلة متقدمة من النضج العقلي وطبقا لرأى ألج 1955 فالطفل يستطيع التمييز بين الصواب والخطأ وبين الرديء والحسن في

يخفف إلى حد كبير من حدة التوتر والتأزم الذي يسببه له تصارع الدوافع والإتجاهات.

ومن الطبيعي أن يشعر الطفل بالأمن النفسي والرضا عندما يسلك سلوكا مقبولا من الله في معتقده وموافقا لجماعته ونابعا من قانونه الأخلاقي المستند إلى الدين وتعاليمه وقيمه الإيمانية.

الدين لا تقتصر آثاره على مرحلة واحدة من مراحل العمر وإنما يشمل أثره كافة مراحل النمو الإنساني وإن كان تأثيره يختلف من مرحلة إلى أخرى من مراحل العمر المتعاقبة.

وعلى الرغم من أن القيم الدينية والسلوك الديني يؤثران بصورة أو بأخرى على كل جوانب حياة الفرد إلا أن تأثيرهما أكبر على حياة الفرد الإنفعالية وخصوصا في مرحلتى الطفولة والمراهقة فهما من أكثر المراحل المؤثرة في تكوين الشخصية وتقلها حيث تلعب العوامل الإنفعالية دورا بارزا في حياة كل من الطفل والمراهق وإن كانت الدراسات في هذا المجال قد دلت على أن الطفل في المرحلة المبكرة من طفولته لا يدرك المعاني التي تنطوي عليها المعتقدات الدينية وذلك لأن ذكاءه وقدراته العقلية والذهنية لم تبلغ بعد المستوى الذي يؤهله إلى إدراك هذه النواحي المعنوية المجردة.⁽⁴⁾

تفسير ظاهرة الإيمان فطرة لدى الأطفال:

تعارضت آراء العلماء في تفسيرهم لظاهرة التدين لدى الطفل

فإن مري ومري merry and merry

سنة ١٩٥٠ تقترضان أن ظاهرة التدين ظاهرة غريزية بمعنى ان هناك غريزة دينية لدى الفرد وتبعاً لهذه النظرية يعتبر الطفل فطريا متدينا وإذا أعطى الطفل الفرصة المناسبة فإنه يستطيع أن يكون المفاهيم الدينية الملائمة ذات المعنى والدلالة. وهما يعتقدان أن الطفل منذ سن مبكرة يعي وبطريقة غريزية وجود قوة عليا يلجأ إليها للمأية ولديه اتجاه غريزي فطري نحوها بالإحترام والعبادة.⁽⁵⁾

ويؤكد سكنر skinner

رأيا آخرو أن الكائن البشرى يولد بالة حيادية حيال الدين فالرضيع مثلا ليس متدينا ولا هو ضد الدين بل إنه يمتلك الاستعدادات للتكيف والتي تجعل النمو ممكنا نحو التدين أو نحو معارضة الدين. ثم تأتي المؤسسات والجهات ذات العلاقة بتربية الطفل وتنشئته لتقوم من خلال ما تتخذه من أساليب وما تؤمن به من إتجاهات بالعمل على تنمية استعدادات الطفل كما تراه وتؤمن به وتريده.⁽⁶⁾

إلى رغبة الطفل الملحة في إشباع حاجاته ومطالبه المحققة لذاته الاجتماعية والروحية والنفسية ومما لا شك فيه أن الطفل لا يولد متدينا لكن لديه استعداد فطري غريزي نحو المفاهيم الدينية ثم يأتي دور المؤسسات المسؤولة عن تربية الطفل كما سبق أن أسلفنا من أسرة وروضة ومدرسة ودور عبادة للعمل على تنمية تطوير هذا الاستعداد الفطري الإيماني بما يتفق والمرحلة العمرية والتطورية التي يمر بها الطفل.

هناك بعض الحاجات النفسية للطفل لا بد من إشباعها خاصة في مرحلة الطفولة المبكرة وذلك لارتباطها الوثيق بالاعتقاد الديني للطفل ولدورها في إرساء الاعتقاد الديني ذلك الاعتقاد الذي يوفر الأرض الخصبة لزرع بذور الوازع الديني والأخلاقي في المرحلة المبكرة من الطفولة وجنى حصادها في مرحلة الرشد.

من أهم هذه الحاجات النفسية السيكولوجية ذات الصلة بإرساء المعتقد الديني:

1- الحاجة إلى الأمن النفسي:

إن العلاقة وثيقة بين الشعور بالأمن والاعتقاد الديني فالطفل الآمن رغم أنه ضعيف لا حول له ولا قوة إلا أنه لا يخشى مواقف البيئة المحيطة وذلك لشعوره التام أن هناك من يدعمه ويحميه. هذا الشعور بالأمن يكسب الطفل الشعور بالثقة بالنفس ويزيد من قدرته على المبادرة والإبتكار والتبديل والتغيير للأفضل بسلوك بناء وفعال مما ينعكس على الطفل بمشاعر وانفعالات إيجابية وسارة يترجمها الطفل بمشاعر الحب وتقبل الآخرين وكذلك احساسه بحب الآخرين وتقبلهم له وما يشمله ذلك من مودة ورحمة وتعاون. تلك القيم التي حثنا عليها الدين الحنيف.

أما الطفل غير الآمن فستعكس مشاعره وانفعالاته السلبية على سلوكياته وقيمه الروحية والأخلاقية بما يضيء عليه مشاعر العجز والإحباط وضعف الثقة بالنفس والآخرين. فيصبح بالتبعية غير قادر على مواجهة المشاكل أو تحمل المسؤولية.⁽¹¹⁾

يؤكد الباحثون التربويون وعلماء النفس أنه لا يمكن أن يكتسب أطفالنا القيم الخلقية الأساسية للحياة السوية دون الحاجة الى القيم الدينية والإيمان.⁽¹²⁾

تذكر رسائل النور الأطفال دليلا على أن الإيمان بالآخرة هو أس الأساس لحياة الإنسان الاجتماعية والفردية حيث تذكر الرسائل مثالا: أن الأطفال لا يمكنهم أن يتحملوا مصائب الموت والوفاة لأقربانهم

سن السابعة من العمر. أما ما قبل سن الرابعة فهو غير قادر غالبا على فهم الآراء الدينية.⁽⁹⁾

أهمية الإيمان ودوره في حياة الطفل:

يتحدث النورسي في الكلمة الثانية عن أهمية الإيمان في حياة الإنسان ضاريا المثل

إن كنت تريد أن تعرف مدى ما في الإيمان من سعادة ونعمة، ومدى ما فيه من لذة وراحة، فاستمع إلى هذه الحكاية القصيرة: خرج رجلان في سياحة ذات يوم، من أجل الاستجمام والتجارة. فمضى أحدهما وكان أنانياً شقيماً إلى جهة، ومضى الآخر وهو رباني سعيد إلى جهة ثانية. فالأناني المغرور الذي كان متشائماً لقي بلداً في غاية السوء والشؤم في نظره، جزاءً وفاقاً على تشاؤمه، حتى إنه كان يرى - أينما اتجه - عجة مساكين يصرخون ويولولون من ضربات ايدي رجال طغاة قساة ومن أعمالهم المدمرة. فرأى هذه الحالة المؤلمة الحزينة في كل ما يزوره من أماكن، حتى اتخذت المملكة كلها في نظره شكل دار مآتم عام. فلم يجد لنفسه علاجاً لحاله المؤلم المظلم غير السكر، فرمى نفسه في نشوته لكيلا يشعر بحاله، إذ صار كل واحد من أهل هذه المملكة يترأى له عدواً يترصص به، وأجنبياً يتنكر له، فظل في عذاب وجداني مؤلم لما يرى فيما حوله من جنائز مرعبة ويتامى يبكون بكاءً يائساً مريراً. أما الآخر الرباني العابد لله، والباحث عن الحق، فقد كان ذا أخلاق حسنة بحيث لقي في رحلته مملكة طيبة هي في نظره في منتهى الروعة والجمال. ثم يفسر النورسي كلا منهما قائلاً: فيا نفسي!

اعلمي ان الرجل الاول هو الكافر والفاسق الغافل فهذه الدنيا في نظره بمثابة مأتم عام، وجميع الأحياء أيتام سيكون تألماً من ضربات الزوال وصفعات الفراق.. أما الإنسان والحيوان فمخلوقات سائبة بلا راع ولا مالك، تتمزق بمخالب الأجل وتعتصر بمعصرته.. وأما الموجودات الضخام . كالجبال والبحار . فهي في حكم الجنائز الهامدة والنعوش الرهيبة.. وأمثال هذه الأوهام المدهشة المؤلمة الناشئة من كفر الإنسان وضلالته تذيب صاحبها عذاباً معنوياً مريراً. أما الرجل الثاني، فهو المؤمن الذي يعرف خالقه حق المعرفة ويؤمن به، فالدنيا في نظره دار ذكر رحماني، وساحة تعليم وتدريب البشر والحيوان، وميدان ابتلاء واختبار الإنس والجان..⁽¹⁰⁾

أهمية الإيمان للطفل من الناحية السيكولوجية:

إن للاعتقاد الديني قيمة وظيفية فعالة في ضبط سلوك الطفل خصوصاً في المرحلة الأولى من عمر الطفل حيث يجب أن نعطي انتباهها واهتماماً قويا للمفاهيم الإيمانية في هذه المرحلة حيث تتكون الجذور الأولية للضمير مستمداً الكثير من اتجاهات تكوينه من المصادر الفطرية والتي تعود غالبيتها

سلوكاً مقبولاً من الله والجماعة وهو السلوك النابع أصلاً من القانون الأخلاقي والمستند إلى الدين وتعاليمه، يشعر الفرد بالأمن والرضا عن الذات وينتابه الإحساس بالإكتفاء الذاتي مما يدفعه إلى تكرار هذه الأنماط السلوكية السوية للحصول على المزيد من التقبل والرضا والأمن النفسى.⁽¹⁶⁾

يذكر النورسى فى الكلمة الثالثة هذه الحكاية عن أهمية الطاعة واتباع القوانين الأخلاقية والإيمانية وأثر ذلك فى النفس:

إن كنت تريد ان تفهم كيف أن العبادة تجارة عظمى وسعادة كبرى، وأن الفسق والسفه خسارة جسيمة وهلاك محقق، فانظر إلى هذه الحكاية التمثيلية وأنصت إليها:

تسلّم جنديان اثنان . ذات يوم . أمراً بالذهاب إلى مدينة بعيدة، فسافرا معاً، إلى أن وصلا مفرق طريقين، فوجدا هناك رجلاً يقول لهما: إن هذا الطريق الأيمن، مع عدم وجود الضرر فيه، يجد المسافرون الذين يسلكونه الراحة والإطمئنان والريح مضموناً بنسبة تسعة من عشرة. أما الطريق الأيسر، فمع كونه عديم النفع يتضرر تسعة من عشرة من عابريه. علماً أن كليهما في الطول سواء، مع فرق واحد فقط، هو أن المسافر المتجه نحو الطريق الأيسر . غير المرتبط بنظامٍ وحكومة . يمضي بلا حقيبة متاع ولا سلاح، فيجد في نفسه خفةً ظاهرة وراحة موهومة. غير أن المسافر المتجه نحو الطريق الأيمن . المنتظم تحت شرف الجندية . مضطر لحمل حقيبة كاملة من مستخلصات غذائية تزن أربع أوقيات وسلاحاً حكومياً يزن أوقيتين يستطيع أن يغلب به كل عدو .

وبعد سماع هذين الجنديين كلام ذلك الرجل الدليل، سلك المحظوظ السعيد الطريق الأيمن، ومضى في دربه حاملاً على ظهره وكتفه رطلاً من الأثقال إلا أن قلبه وروحه قد تخلصا من آلاف الأبطال من ثقل المنة والخوف. بينما الرجل الشقي المنكود الذي أثر ترك الجندية ولم يرد الانتظام والإلتزام، سلك سبيل الشمال، فمع أن جسمه قد تخلص من ثقل رطل فقد ظل قلبه يرزح تحت آلاف الأبطال من المنّ والاذى، وانسحقت روحه تحت مخاوف لا يحصرها العد. فمضى في سبيله مستجدياً كل شخص، وجلاً مرتعشاً من كل شئ، خائفاً من كل حادثة، الى أن بلغ المحل المقصود فلاقى هناك جزاء فراره وعصيانه.

أما المسافر المتوجه نحو الطريق الأيمن . ذلك المحب لنظام الجندية والمحافظ على حقيقته وسلاحه . فقد سار منطلقاً مرتاح القلب مطمئن الوجدان من دون أن يلتفت إلى مئة أحد أو يطمع فيها أو يخاف من أحد.. إلى أن بلغ المدينة المقصودة وهناك وجد ثوابه اللائق به كأى جندي شريف أنجز مهمته

وذويهم إلا بما يجدونه فى أنفسهم وكيانهم الرقيق من القوة المعنوية الناشئة من الإيمان بالجنة... فيصبر الطفل على مصيبة التكل والفقد.⁽¹³⁾

إن الاطفال الذين يمثلون نصف البشرية، لا يمكنهم ان يتحملوا تلك الحالات التي تبدو مؤلمة ومفجعة أمامهم من حالات الموت والوفاة إلا بما يجدونه في انفسهم وكيانهم الرقيق اللطيف من القوة المعنوية الناشئة من (الإيمان بالجنة). ذلك الإيمان الذي يفتح باب الأمل المشرق أمام طبائعهم الرقيقة التي لا تتمكن من المقاومة والصمود وتبكي لأدنى سبب. فيتمكنون به من العيش بهناء وفرح وسرور . فيحاور الطفل المؤمن بالجنة نفسه: إن اخي الصغير أو صديقي الحبيب الذي توفي، أصبح الآن طيراً من طيور الجنة، فهو إذن يسرح من الجنة حيث يشاء، ويعيش أفضل وأهنأ منّا. وآلاً فلولا هذا الإيمان بالجنة لهدم الموت الذي يصيب أطفالاً أمثاله - وكذلك الكبار - تلك القوة المعنوية لهؤلاء الذين لا حيلة لهم ولا قوة، ولحطم نفسياتهم، ولدمر حياتهم ونغصها فتبكي عندئذٍ جميع جوارحهم ولطائفهم من روح وقلب وعقل مع بكاء عيونهم. فيما أن تموت احاسيسهم وتغلظ مشاعرهم أو يصبحوا كالحوانات الضالة التعسة.⁽¹⁴⁾

يذكر النورسى:

ان زوال الألم لذة، كما ان زوال اللذة ألم. نعم! ان كل من يفكر في الأيام التي قضاها بالهناء والفرح يشعر في روحه بحسرة وأسف عليها، حتى ينطلق لسانه بكلمات الحسرات: اواه.. آه.. بينما اذا تفكر في الأيام التي مرت بالمصائب والبلايا فانه يشعر في روحه وقلبه بفرح وبهجة من زوالها حتى ينطلق لسانه ب: الحمد لله والشكر له، فقد ولت البلايا تاركة ثوابها. فيشرح صدره ويرتاح. أي أن ألماً مؤقتاً لساعة من الزمان يترك لذة معنوية في الروح، بينما لذة مؤقتة لساعة من الزمان تترك ألماً معنوياً في الروح، خلافاً لذلك.⁽¹⁵⁾

من الطبيعى لجوء الطفل واعتماده على الآخرين فى محاولته الحصول على الأمن النفسى والإطمئنان. هذه الحاجة ستلازم الفرد مدى حياته، إذ لا غناء له عن الآخرين وإن كان الإعتماد على الخالق هو مرحلة أسمى وهو المحور الأساس للحياة الدينية و الدنيوية ومن هنا تبدو أهمية العقيدة الصحيحة والشعور الإيمانى الصحيح. ومن هنا يظهر دور الأسرة والمدرسة الهام جدا فى غرس هذه العقيدة فى الطفل منذ البداية.

وهكذا نجد أن هناك تيار تفاعلى متبادل بين الإعتقاد الدينى والأمن النفسى. فالفرد عندما يسلك

من عشرة... وهذا الأمر ثابت بشهادة ما لا يحصى من (أهل الاختصاص والإثبات) بدرجة التواتر والإجماع. وهو يقين جازم في ضوء أخبار أهل الذوق والكشف.(18)

كما يذكر النورسي العلاج لهذه الحالة:

أما ذاك العلاجان.

فأحدهما: التوكل على الله والتحلي بالصبر، أي الاستناد إلى قدرة الخالق الكريم والثقة بحكمته سبحانه.

.أهو كذلك؟ نعم، إن من يعتمد بهوية «عجزه» على سلطان الكون الذي بيده أمر (كن فيكون) كيف يجزع ويضطرب؟ بل يثبت أمام أشد المصائب، واثقاً بالله ربه، مطمئن البال مرتاح القلب وهو يردد: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ). نعم، إن العارف بالله يتلذذ من عجزه وخوفه من الله سبحانه. وحقاً إن في الخوف لذة! فلو تمكنا من الاستفسار من طفل له من العمر سنة واحدة، مفترضين فيه العقل والكلام: ما أطيب حالاتك وألذها؟ فربما يكون جوابه: هو عندما ألوذ بصدر أمي الحنون بخوفي ورجائي وعجزتي.. علماً أن رحمة جميع الوالدات وحنانهن ما هي إلا لمعة تجل من تجليات الرحمة الإلهية الواسعة.

ومن هنا وجد الذين كمل إيمانهم لذة تفوق أية لذة كانت في العجز ومخافة الله، حتى إنهم تراءوا إلى الله براءة خالصة من حولهم وقوتهم ولانوا بعجزهم إليه تعالى واستعاذوا به وحده، مَدْمِين هذا العجز والخوف وسيلتين وشفيعين لهم عند البارئ الجليل.

أما العلاج الآخر فهو: الدعاء والسؤال ثم القناعة بالعتاء، والشكر عليه والثقة برحمة الرزاق الرحيم.

.أهو هكذا؟ نعم! إن من كان ضعيفاً لدى الذي فَرَشَ له وجه الأرض مائدةً حافلة بالنعم، وجعل الربيع كأنه باقة أنيقة من الورود ووضعها بجانب تلك المائدة العامرة بل نثرها عليها، إن من كان ضعيفاً عند هذا الجواد الكريم جل وعلا كيف يكون الفقر والحاجة لديه مؤلماً وثقيلاً؟. بل يتخذ فقره وفاقته إليه سبحانه صورة مُشْة لتناول النعم. فيسعى إلى الاستزادة من تلك الفاقة كمن يستزيد من شهيته. وهنا يكمن سبب افتخار الكاملين واعتزازهم بالفقر إلى الله تعالى.. (وإياك ان تظن خلاف ما نقصد بالفقر؛ إنه استشعار الإنسان بالفقر إليه سبحانه والتضرع إليه وحده والسؤال منه، وليس المقصود إظهار الفقر إلى الناس والتذلل لهم والسؤال منهم بالتسول والاستجداء!).

بالحسنى.

فيا أيتها النفس السادرة السارحة! اعلمي أن ذنك المسافرين؛ أحدهما أولئك المستسلمون المطيعون للقانون الإلهي، والآخر هم العصاة المتبعون للاهواء.. وأما ذلك الطريق فهو طريق الحياة الذي يأتي من عالم الأرواح ويمر من القبر المؤدي إلى عالم الآخرة.. وأما تلك الحقيبة والسلاح فهما العبادة والتقوى، فمهما يكن للعبادة من حمل ثقيل ظاهراً إلا أن لها في معناها راحة وخفة عظيمنتين لا توصفان، ذلك لأن العابد يقول في صلاته: (لا إله إلا الله) أي لا خالق ولا رازق إلا هو، النفع والضر بيده، وانه حكيم لا يعمل عبثاً كما أنه رحيم واسع الرحمة والاحسان. فالمؤمن يعتقد بما يقول لذا يجد في كل شئ باباً يفتح إلى خزائن الرحمة الإلهية، فيطرقة بالدعاء، ويرى أن كل شئ مسخرٌ لأمر ربه، فيلتجئ إليه بالتضرع. ويتحصن أمام كل مصيبة مستنداً إلى التوكل، فيمنحه إيمانه هذا الأمان التام والإطمئنان الكامل.(17)

نعم! أن منبع الشجاعة ككل الحسنات الحقيقية هو الإيمان والعبودية، وأن منبع الجبن ككل السيئات هو الضلالة والسفاهة. فلو أصبحت الكرة الأرضية قنبلة مدمرة وانفجرت، فربما لا تخيف عابداً لله ذا قلب منور، بل قد ينظر إليها أنها خارقة من خوارق القدرة الصمدانية، ويتملاها بإعجاب وامتعة، بينما الفاسق ذو القلب الميت ولو كان فيلسوفاً. ممن يُعدّ ذا عقل راجح. إذا رأى في الفضاء نجماً مذنباً يعتوره الخوف ويرتعش هلعاً ويتساءل بقلق: ألا يمكن لهذا النجم أن يرتطم بأرضنا؟ فيتردى في وادي الأوهام (لقد ارتعد الأمريكيان يوماً من نجم مذنب ظهر في السماء حتى هجر الكثيرون مساكنهم أثناء ساعات الليل).

نعم! رغم أن حاجات الإنسان تمتد إلى ما لا نهاية له من الأشياء، فرأس ماله في حكم المعدوم. ورغم أنه معرّض إلى ما لانهاية له من المصائب فاقتداره كذلك في حكم لا شئ، إذ إن مدى دائرتي رأس ماله واقتداره بقدر ما تصل إليه يده، بينما دوائر آماله ورغائبه وآلامه وبلاياه واسعة سعة مد البصر والخيال.

فما أحوج روح البشر العاجزة الضعيفة الفقيرة إلى حقائق العبادة والتوكل، وإلى التوحيد والاستسلام! وما أعظم ما ينال منها من ربح وسعادة ونعمة! فمن لم يفقد بصره كلياً يرى ذلك ويدركه. إذ من المعلوم أن الطريق غير الضار يُرَجَّح على الطريق الضار حتى لو كان النفع فيه احتمالاً واحداً من عشرة احتمالات. علماً أن مسألتنا هذه، طريق العبادة، فمع كونه عديم الضرر، واحتمال نفعه تسعة من عشرة، فإنه يعطينا كنزاً للسعادة الابدية، بينما طريق الفسق والسفاهة. باعتراف الفاسق نفسه. فمع كونه عديم النفع فإنه سبب الشقاء والهلاك الأبديين، مع يقين للخسران وانعدام الخير بنسبة تسعة

الربانية في الوجود، وكأنها نحلة بين أزاهير الرحمة الإلهية في بستان الأرض، فتقطر من شهد العبرة والمعرفة والمحبة نور الشهادة إلى القلب المؤمن.

ومثلاً: إن لم تبع حاسة الذوق . التي في اللسان . إلى فاطرها الحكيم، واستعملتها لأجل المعدة والنفس، فحينئذ تهوي إلى درك بواب معمل المعدة واصطبها، فتهبط قيمتها. ولكن إن بعثها إلى الرزاق الكريم، فإنها ترقى إلى درجة ناظر ماهر لخزائن الرحمة الإلهية، ومفتش شاعر لمطابخ القدرة الصمدانية.

فيا أيها العقل! أفق، أين الآلة المشوومة من مفتاح كنوز الكائنات؟

ويا أيتها العين! أبصري جيداً، أين السمسة الدنيئة من الإمعان في المكتبة الإلهية؟

-ويا أيها اللسان! ذق بحلاوة أين بواب المعمل والإصطبل من ناظر خزينة الرحمة الإلهية؟.

فإن شئت . يا أخي . فقس بقية الأعضاء والحواس على هذا.(24)

الطفل يميل في البداية إلى التعرف على ما يحيط به فإذا ما أشبع حاجته منه يبدأ في استكشاف والتعرف على الكون عامة. وللدين والمفاهيم الإيمانية علاقة كبيرة بهذا العالم الظاهر منه والخفي أو المنظور والغيبى والذي يستطيع الطفل التعرف عليه أكثر من خلال ما يحصل عليه من إجابات صحيحة قدر الإمكان عن الأسئلة الدينية التي يطرحها على الكبار.(25)

الطفل في هذه المرحلة خصوصاً في السنوات من 4 إلى 6 سنوات شغوف دائماً بطرح الأسئلة كمحاولة منه للفهم والاستكشاف للبيئة المحيطة. وهو كثير السؤال عن الغيبيات والأمور الدينية... أين الله؟ ما هو الموت؟ ما هي الجنة والنار؟ وغيرها من الأسئلة المشابهة. هذه التساؤلات توضح أن طفل هذه المرحلة يتميز ببعض التصورات والأفكار لبعض المفاهيم الدينية رغم أنه غير قادر في هذه المرحلة على استيعاب المفاهيم الدينية المجردة فهو مازال معتمداً على المحسوسات الملموسة إلا أن الأسرة والروضة والمدرسة والإعلام في مكانها مد الطفل بالمفاهيم الدينية والقيم الإيمانية بصورة سهلة وميسرة قد تم التخطيط لها من قبل مع مراعاة أن:

-يتم هذا الإشباع بالقدر والكيفية المناسبين بما يتفق مع عمر الطفل ومستواه التطوري أى ما يمتلكه من قدرة وإمكانية عقلية.

أما ذلك المستند أو الأمر الإداري أو البطاقة فهو أداء الفرائض وفي مقدمتها الصلوات الخمس واجتباب الكبائر.(19)

وفي الكلمة الرابعة(20) وكذلك الكلمة الخامسة(21) يحدثنا النورسى ويضرب المثال عن أهمية وأثر عبادة الصلاة.

2- الحاجة إلى الاستكشاف والاستطلاع:

ثاني الحاجات النفسية التي يحتاج الطفل إشباعها هي الحاجة للتعرف على الخبرات الجديدة، إن تنمية هذه الحاجة وارتقاءها يتوقف على ما يسلكه المربي تجاه الطفل في محاولاته الاستكشافية والاستطلاعية من حيث تشجيعه عليها أو تثبيطه.(22)

يذكر النورسى أن: حب الإستطلاع هو أستاذ العلم (23)

كما يذكر أن المهمة الكبرى للحواس التي رزقنا الله بها هي الاستكشاف والاستطلاع لكتاب الكون المفتوح هذا وإلا تفقد هذه الحواس قيمتها

يقول النورسى في بيع الأمانات التي لدينا لماكها الحق (الله):

العقل عضو وآلة، إن لم تبعه . يا أخي . الله ولم تستعمله في سبيله، بل جعلته في سبيل الهوى والنفس، فإنه يتحول إلى عضو مشووم مزعج وعاجز، إذ يملك آلام الماضي الحزينة وأهوال المستقبل المخيفة، فينحدر عندئذ إلى درك آلة ضارة مشوومة، ألا ترى كيف يهرب الفاسق من واقع حياته وينغمس في اللهو أو السكر إنقاداً لنفسه من إزعاجات عقله؟ ولكن إذا بيع العقل إلى الله، وأستعمل في سبيله ولأجله، فإنه يكون مفتاحاً رائعاً بحيث يفتح ما لا يعد من خزائن الرحمة الإلهية وكنوز الحكمة الربانية فأينما ينظر صاحبه وكيفما يفكر يرى الحكمة الإلهية في كل شئ، وكل موجود، وكل حادثة. ويشاهد الرحمة الإلهية متجلية على الوجود كله، فيرقى العقل بهذا إلى مرتبة مرشد رباني يهئ صاحبه للسعادة الخالدة.

ومثلاً: العين حاسة، تطل الروح منها على هذا العالم، فإن لم تستعملها في سبيل الله، واستعملتها لأجل النفس والهوى، فإنها بمشاهدتها بعض المناظر الجميلة المؤقتة الزائلة تصبح في درك الخادمة والسمسرة الدنيئة لإثارة شهوات النفس والهوى. ولكن إن بعثها إلى خالقها البصير واستعملتها فيما يرضيه، عندئذ تكون العين مطالعة لكتاب الكون الكبير هذا وقارئة له، ومشاهدة لمعجزات الصنعة

بالاحترام المتبادل الجاد والوفاء الخالص بين الجميع، والرأفة الصادقة والرحمة التي تصل الى حد التضحية والايثار . ولا يحصل هذا الاحترام الخالص والرحمة المتبادلة الوفية إلا بالايان بوجود علاقات صداقة أبدية، ورفقة دائمة، ومعية سرمدية، في زمن لا نهاية له، وتحت ظل حياة لا حدود لها، تربطها علاقات أبوة محترمة مرموقة، واخوة خالصة نقية، وصداقة وفية نزيهة، حيث يحدث الزوج نفسه: ((ان زوجتي هذه رفيقة حياتي وصاحبتي في عالم الابد والحياة الخالدة، فلا ضير ان اصبحت الان دميمة أو عجوزاً، اذ إن لها جمالاً أبدياً سيأتي، لذا فأنا مستعد لتقديم اقصى ما يستوجبه الوفاء والرأفة، وأضحى بكل ما تتطلبه تلك الصداقة الدائمة)). وهكذا يمكن أن يكن هذا الرجل حياً ورحمة لزوجته العجوز كما يكنه للور العين. والأ فان صحبة وصداقة صورية تستغرق ساعة أو ساعتين ومن ثم يعقبها فراق أبدي ومفارقة دائمة لهما صحبة وصداقة ظاهرية لا اساس لها ولا سند. ولا يمكنها ان تعطي الأرحمة مجازية، واحتراماً مصطنعاً، وعظفاً حيواني المشاعر، فضلاً عن تدخل المصالح والشهوات النفسانية وسيطرتها على تلك الرحمة والاحترام فتتقلب عندئذ تلك الجنة الدنيوية الى جحيم لا يطاق.(28)

وتصبح الأفكار الدينية جزءاً من حياته الداخلية وبهذا تتأتى القوة الدينية المؤثرة من الذات ويتمكن الضمير الديني. فمن الضروري أن تتبع القوة الدينية الدافعة من داخل الفرد نفسه لأنه بهذا الإتجاه يكون الدافع القوى لعمل الخير والبعد عن الشر. ومن المؤكد أن الآباء والمربين لهم دور هام في إشباع هذه الحاجات. وبالتالي في تأثيرهم على المفهوم الديني والإيمان لدى الطفل بشخصيتهم وطرق أساليبهم في التنشئة بالإضافة إلى نضد الطفل وطرق تدريبه وأيضاً على نوع الثقافة التي يعايشها هذا الطفل.(29)

يؤمن النورسي قيمة التعاون والإخلاص ويضع مصطلح الإشتراك المعنوي(30) يقصد به التعاون في أعمال الآخرة ويؤلف للمعة الحادية والعشرون بتمامها عن الإخلاص ويوصي بقراءتها باستمرار فيقول:

- فما دام في الاخلاص انوار مشعة، وقوى رصينة كثيرة امثال هذه الخواص.. ومادام الاحسان الإلهي قد القى على كاهلنا مهمة مقدسة ثقيلة، وخدمة عامة جلييلة، تلك هي وظيفة الإيمان وخدمة القرآن.. ونحن في غاية القلة والضعف والفقر، ونواجه اعداء ألداء ومضايقات شديدة، وتحيط بنا البدع والضلالات التي تصول وتجول في هذا العصر العصيب.. فلا مناص لنا إلا بذل كل مافي وسعنا من جهد وطاقة كي نظفر بالاخلاص.. نحن انن بحاجة ماسة بل مضطرون الى الاتحاد والتساند التام والى الفوز بسر ((الاخلاص)) الذي يهيء قوة معنوية بمقدار الف ومائة واحد عشر ((1111)) ناتجة من اربعة افراد. نعم.. ان لم تتحد ثلاث ((الفات)) فستبقى قيمتها ثلاثاً فقط، اما اذا اتحدت

-عدم إغفال أن مفاهيم الطفل عن الدين تنمو تدريجياً وأن إدراكه العقلي وتصوره لهذه المفاهيم يتحول كلما زاد عمره منة مدركات محسوسة إلى مدركات مجردة.

-أن يؤخذ في الاعتبار أن الطفل يتقبل المعتقد الديني كما يفسره له البالغون من غير نقد وذلك لثقة الطفل بهم. من هنا يبدو أهمية ضمان التلقى السليم ووصول المحتوى الصحيح للطفل.

-أهمية الفهم الصحيح للدين من قبل الأسرة والمربين حتى يحصل الطفل بدوره على فهم ثابت وصحيح لا يتأثر بما قد يطرأ من تغييراً على الطفل في مراحل النمو المقبلة وخاصة فترة المراهقة. وحتى تظل العقيدة أكثر رسوا وثباتاً وأشد توجيهها لسلوك الفرد فيما يستقبل من خبرات ومواقف في حياته المقبلة.(26)

3- الحاجة إلى الإنتماء :

الإنسان دائماً في حاجة إلى الإرتباط بجماعته يستمد منها الدعم والمساندة وكلما ازداد نمو ازيد احتياجه إلى هذا الإرتباط وهو من خلال انتمائه دينياً إلى جماعة تدين بمبادئ معينة إنما يتشرب هذه المبادئ والتي تمدّه بالإعتقاد الصحيح وبالأفكار الدينية السليمة التي تربطه بوحدة الخالق والتي تساعده على أن يتقهم حياته الحاضرة وأن يؤمن بحياة ما بعد الموت الحياة الآخرة وهو بهذا إنما يعين نفسه على تحقيق ذاته في أمر من الأمور التي تواجه حياته وسلوكه فالإنسان في تبعيته لله وانتمائه إلى الجماعة التي تؤمن به يتجه دائماً إلى أن يتمثل الله أمامه في كل سلوكه وتصرفاته متى كان مكتسباً فعلاً العقيدة الدينية. والطفل في حاجته إلى الإنتماء أو إلى أية حاجة من الحاجات السابقة في حاجة إلى نموذج من السلوك الفاضل متمثلاً في القدوة الصالحة من الوالدين ومن المدرسين وإلى جو ديني عام داخل البيت والروضة والمدرسة لكي يلاحظ ويقلد ويبدأ تغلغل القيم الدينية بصورها المرغوبة تسرى في نفسه إلى أن تصبح بعد ذلك موجهاً لسلوكه. وفي كل عمل خاطيء يقع فيه يرى ذنبه ويعرف خطأه وعصيانه لربه. فإذا بدأت الحياة الدينية للطفل بهذا الأسلوب سوف يرى في المسجد الصور الروحانية المؤثرة وفي البيت والمدرسة والمجتمع من حوله يرى الصور السلوكية المتكاملة فيصبح الدين بذلك قوة مؤثرة في سلوكه مدى حياته.(27)

يذكر النورسي متحدثاً عن أهمية الإيمان لحياة عائلية سعيدة قائلاً:

ان الحياة العائلية هي مركز تجمع الحياة الدنيوية ولولبها وهي جنة سعادتها وقلعتها الحصينة وملجأها الامين. وان بيت كل فرد هو عالمه ودنياه الخاصة. فلا سعادة لروح الحياة العائلية إلا

المساعي بسر الإتحاد، إذ سيدخل مجموع أعمال المشتركين، وجميع النور النابع منها، سيدخل بتمامه في دفتر أعمال كل منهم.. وهذا أمر مشهود وواقع بين أهل الحقيقة، وهو من مقتضيات سعة رحمة الله سبحانه وكرمه المطلق. (33)

أهمية الإيمان للطفل من الناحية الإجتماعية:-

القيم الدينية والإيمان بها ليست منعزلة ولا يمكن النظر إليها على أنها شيء مستقل أو أمر خارجي عن الإنسان أو أنه شيء مفروض عليه فهو دائماً يمثل جزءاً من ديناميكية التركيب الإجتماعي وعلى هذا فالفاعل الإجتماعي بين الدين والمجتمع وبين الدين والثقافة أمر لا جدال فيه. فالدين أمر مشترك بين الجماعة في أي مجتمع. (34)

إن السلوك الديني مكتسب ومتعلم يكتسبه الشخص من المجتمع ومؤسساته المسئولة عن تنشئة الطفل وتربيته كما أن الدين ينتقل اجتماعياً وليس بيولوجياً فالبرغم من أن معظم الأولاد يتبعون دين آبائهم ولكن هذا يحدث دائماً نتيجة للفاعل الإجتماعي.

يتأثر الطفل في نموه الروحي والديني بالجو النفسي المهيمن على البيئة المحيطة كالأُسرة والمربين ففي الأسرة يتأثر الطفل إلى حد كبير بالعلاقات القائمة بين أهله ويكتسب اتجاهاته الدينية بتقليده لأبيه وإخوته وأهله وبتكرار خبراته العائلية الأولى وتعميمها في المواقف الأخرى.

هنا ننبه على دور المربين ومدى اهتمامهم بوضع المنهج الديني الذي يتفق مع متطلبات العصر ومتغيراته والمناسبة لمرحلة النمو التي يمر بها الطفل وبما يتفق مع قدراته واستعداداته الذهنية والفكرية. هذا مع اهتمام المسؤولين من أهل الإدارة بالمعلم والمربي نفسه وشخصيته وما يتبناه من القيم الدينية والروحية والمعايير السلوكية ومدى رضاه عن عمله وإيمانه التام بأهمية دوره تكوين شخصية الطفل

ينبغي على المؤسسات المعنية بتربية النشء العمل بجدية وبتخطيط سليم ومدروس ومنظم للبحث عن أفضل الوسائل والطرق لتأسيس وتكوين نظام متكامل من القيم الروحية والأخلاقية لتكون بمثابة الإطار المرجعي الذي يستمد منه الطفل الموجهات لسلوكه واتجاهاته الفكرية والإجتماعية والروحية وبالتالي يرتوى أطفالنا من هذا النبع المتدفق باستمرار مع نعومة أظفارهم بالعديد من القيم والسلوكيات الخلقية والروحية فيكتسبها الطفل إلى أن تصبح نمطاً معتاداً من أنماط سلوكه يطبقها في علاقته بخالقه وفي معاملاته مع الآخرين كجزء من شخصيته ومنهج لحياته.

وتساندت بسر العددية، فانها تكسب قيمة مائة واحد عشر ((111))، وكذا الحال في اربع ((اربعات)) عندما تكتب كل ((4)) منفردة عن البقية فان مجموعها ((16)) اما اذا اتحدت هذه الارقام وانتقت بسر الاخوة ووحدة الهدف والمهمة الواحدة على سطر واحد فعندها تكسب قيمة اربعة آلاف واربعمائة واربع واربعين ((4444)) وقوتها. هناك شواهد ووقائع تاريخية كثيرة جداً اثبتت ان ستة عشر شخصاً من المتأخين المتحدين المضحين بسر الاخلاص التام تزيد قوتهم المعنوية وقيمتهم على اربعة آلاف شخص. أما حكمة هذا السر فهي: ان كل فرد من عشرة اشخاص متقنين حقيقة يمكنه ان يرى بعيون سائر اخوانه ويسمع بأذانهم أي ان كلاً منهم يكون له من القوة والقيمة ما كأنه ينظر بعشرين عيناً ويفكر بعشرة عقول ويسمع بعشرين اذناً ويعمل بعشرين يداً (31).

- يضع الشيخ النورسي مصطلح الفناء في الإخوان: فهناك اصطلاحات تدور بين المتصوفة أمثال: الفناء في الشيخ، الفناء في الرسول. وأنا لست صوفياً، ولكن (الفناء في الإخوان) دستور جميل يناسب مسلكتنا ومنهجنا تماماً. أي أن يفنى كل في الآخر، أي أن ينسى كل أخ حسياته النفسانية، ويعيش فكراً مع مزايا إخوانه وفضائلهم. حيث إن أساس مسلكتنا ومنهجنا هو (الأخوة) في الله، وإن العلاقات التي تربطنا هي الأخوة الحقيقية، وليست علاقة الأب مع الإبن ولا علاقة الشيخ مع المريء. وإن كان لابد فمجرد العلاقة بالأستاذ. وما دام مسلكتنا هو (الخليبية) فمشرينا إذاً (الخلّة). والخلّة تقتضي صديقاً صدوقاً ورفيقاً مضحياً، وأخاً شهماً غيوراً.. وأس الأساس لهذه الخلّة هو (الإخلاص التام). (32)

- يضع الشيخ النورسي مصطلح الإشتراك المعنوي: لقد اتخذ أرباب الدنيا (الإشتراك في الأموال) قاعدة يسترشدون بها لأجل الحصول على ثروة طائلة أو قوة شديدة، بل اتخذ من لهم التأثير في الحياة الإجتماعية - من أشخاص أو جماعات وبعض الساسة - هذه القاعدة رائداً لهم. ولقد كسبوا نتيجة اتباعهم هذه القاعدة قوة هائلة وانتفعوا منها نفعاً عظيماً، رغم ما فيها من أضرار واستعمالات سيئة، ذلك لأن ماهية الإشتراك لا تتغير بالمساوىء والأضرار التي فيها، لأن كل شخص - وفق هذه القاعدة - يحسب نفسه بمثابة المالك لجميع الأموال، وذلك من زاوية مشاركته في المال ومن جهة مراقبته وإشرافه عليه، برغم أنه لا يمكنه أن ينتفع من جميع الأموال.. وعلى كل حال فإن هذه القاعدة إذا دخلت في الأعمال الأخروية فستكون محوراً لمنافع جلييلة بلا مساوىء ولا ضرر. لأن جميع تلك الأموال الأخروية تحمل سر الدخول بتمامها في حوزة كل فرد من أولئك الأفراد المشتركين فيها، دون نقصان أو تجزئة.

- وهكذا الأمر في الإشتراك في الأمور الأخروية بسر الإخلاص، والتساند بسر الأخوة، وضم

1. الاحترام المتبادل

2. الشفقة والرحمة

3. الابتعاد عن الحرام

4. الحفاظ على الأمن

5. نبذ الفوضى والغوغائية، والدخول في الطاعة.(37)

هناك أدلة وشواهد على أن المنهج والأسلوب المستخدم من الراشدين في شرح وتوصيل المفاهيم الدينية للأطفال خصوصا الغيبيات تلعب دورا هاما في اكتساب الطفل لهذه المفاهيم وتقبلها والرضا عنها أو العكس رفضها ومعارضتها والنفور منها كما أن الأساليب والطرق التي يتبعها الكبار في تدريب الطفل على ممارسة العبادات واتباع القيم والسلوكيات المرغوبة لها آثارها في الإتجاه بالطفل نحو الإيجابية تجاه هذه القيم والتمسك بمعاييرها أو قد تميل بالطفل إلى الإتجاه السلبي نحوها.(35)

على الرغم من أن الأطفال لديهم مشاعر فطرية بالرهبة والتقديس نحو الذات الإلهية إلا أن تنمية هذه المشاعر وارتقاءها يتوقف على عدة عوامل منها:

-اهتمام الراشدين وحرصهم على غرس المبادئ والتعاليم الدينية في نفوس الأطفال وإكسابها لهم تدريجيا جرعة جرعة إلى أن تصبح جزءا من شخصيتهم وأنماط سلوكهم.

-الحرص على تدريب الأطفال على ممارسة الشعائر الدينية وأداء العبادات بصفة منتظمة بما يتفق مع سنهم مع استعمال الحوافز المادية والمعنوية لتشجيعهم. خصوصا مع مشاركة الوالدين لأبنائهم في أداء العبادات والشعائر الدينية.حتى لو كانت هذه المشاركة من الأبناء في البداية على سبيل التقليد فحسب.

-مراعاة الترغيب أكثر من الترهيب في أساليب تدريب الأطفال على الطاعة وممارسة العبادات. وتقديم الدين بصورة متوازنة كما هو في حقيقته مع البعد عن التهديد والقهر والتخويف المفرط وذلك حتى لا يشعر الطفل دائما بأنه شخص سيء وخاطيء لما يعانيه من مشاعر الإثم والذنب الأمر الذي يجعل الطفل في حالة من الخوف الدائم الغامض والإحساس بالتوتر والقلق.

-التواصل والحوار بين الوالدين والأبناء توصالا مشيدا على الحب والصدقة والتفاهم والثقة.

-الإهتمام بإشباع حاجة الطفل للمعرفة وحب الإستطلاع وذلك من خلال الرد على أسئلته عن المفاهيم الدينية خصوصا الغيبيات في أقرب صورة يفهمها الطفل متناسبة مع عمره ودرجة استيعابه الذهني مع مراعاة عدم الاستخفاف بعقول الأطفال أو الإمتناع عن الإجابة على أسئلتهم.(36)

يقول النورسي:في زمن عجيب كزماننا هذا، لا بد من تطبيق خمسة أسس ثابتة، حتى يمكن انقاذ البلاد وانقاذ الحياة الاجتماعية لأبنائها من الفوضى والانقسام. وهذه المبادئ هي:

إن تربية الأطفال من أشق الواجبات وأخطرها إذ تنطوي على مشكلات شديدة التعقيد والعسر وهي بعد ذلك ذات أوجه متعارضة عند محاولة التوفيق بينها يكون الآباء في مسيس الحاجة إلى أية معونة مهما بلغت درجة تواضعها.وكلما كبر الطفل ونما كلما أصبح واقعا تحت تأثير سلطات المجتمع المتضاربة المقاصد المختلفة الميول والإتجاهات _ كالمدرسة والأصدقاء والجيران وزملائه وبيئته وحاليا وسائل التواصل الإجتماعي _ زاد الأمر صعوبة وأصبح أشد تعقيدا.إن البلبلة التي تنتشر في عقول معظم الآباء هذه الأيام خير شاهد على صدق هذه الحقيقة والدين والقيم الإيمانية هو القوة الوحيدة التي يمكنها أن تعين الإنسان على حل تلك المشكلات الخلقية التي لا مفر من مواجهتها.(38)

أمر آخر يبين ضرورة الإيمان للطفل هو أن الطفل يستطيع تكوين شخصية سوية وإنماءها إذا ما اعتاد أن يعمل كل مالم يعتد أداءه بطبيعته وكل ما لا يحبه أو يميل إليه أو يجده سهلا ميسرا. ويدهى أن الأطفال يختلفون بطبيعتهم و بحسب تكوينهم الوراثي لكن مهما كانت هذه الطبيعة والعوامل الوراثية جيدة فلن يتسنى غرس العادات الأساسية بغير النظام.وإذا جبل الطفل على معارضة النظام كان من الواجب استخدام كل وسيلة ذات تأثير تساعد على الإسراع في اكتساب عادة الإمتثال للنظام وإذا بحثنا عن أعظم وسيلة لذلك لن نجد لها سوى في قواعد الإيمان والنظام الديني.(39)

تذكر رسائل النور في الشاعات أن الأطفال لا يمكنهم أن يعيشوا عيشة سوية إلا بالإيمان بالآخرة. وأنه مالم يكن الإيمان مسيطرا على هؤلاء الأطفال فلن يطيعوا أى نظام وسيتصف الأطفال بالوقاحة والإهمال والعريضة.أما إذا انتشر الإيمان بينهم فستمكن الأخلاق الحميدة من هؤلاء الأطفال.(40)

فالإيمان بوجود الله سبحانه ورسله وكتبه يهيئ للأبوين ملجأ أميناً موثقاً يلجأ إليه ، ويزودهم بسلطة كبرى على أطفالهم كانوا يفتقرون إليها حتما لو لم يؤمنوا بها.

يذكر النورسي:

ويسمى صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم مدرسة واصفا سيدنا أبوهريرة بأنه: تلميذ المدرسة الأحمدية المقدسة مدرسة الصفة ذلك التلميذ الموثوق الحافظ أبوهريرة. (45)

يعد النورسي رسائل النور مدرسة معنوية وطلبته هم تلاميذ تلك المدرسة ويسميتها مدرسة الزهراء تكريماً لأخيها الذي تمثل الرسائل امتداداً له (الأزهر الشريف) حيث سعى الأستاذ النورسي لإقامة هذه المدرسة مدرسة الزهراء طوال حياته مدرسة تدمج فيها الدراسة الدينية والعلمية معا حتى وضع حجرها الأساس سنة 1911 قرب بحيرة وان في الولايات الشرقية الأكثر جهلاً. إلا أن ظروف الحرب العالمية الأولى حالت دون إتمام المشروع ولكن العناية الربانية عوضت عن تلك المدرسة بمدرسة معنوية امتدت أغصانها

الوارفة في طول البلاد وعرضها تلك هي المدارس المعنوية النورية ومن هنا كان الأستاذ النورسي يعد طلاب النور طلاب مدرسة الزهراء. (46)

كما يعد النورسي مدارس رسائل النور في هذا العصر جهادا معنويا (47)

وينكر: ان لكتابة رسائل النور فوائد دنيوية واخروية كثيرة جداً، منها:

1. الجهاد المعنوي تجاه اهل الضلالة.
2. مساعدة الكاتب لاستاذة على نشر الحقائق.
3. خدمة المسلمين من حيث الايمان.
4. كسب العلم بالقلم.
5. القيام بعبادة فكرية التي تعدل ساعة منها احياناً سنة من العبادة.
6. حسن الخاتمة ودخول القبر بالايمان.

وكذا لها خمس انواع من الفوائد الدنيوية:

1. البركة في الرزق.
2. الانتشراح والسورور في القلب.
3. اليسر في العيش.

ان الشباب والمراهقين الذين يمثلون محور الحياة الاجتماعية لا يهدئ فورة مشاعرهم، ولا يمنهم من تجاوز الحدود الى الظلم والتخريب، ولا يمنع طيش انفسهم ونزواتها، ولا يؤمن السير الافضل في علاقاتهم الاجتماعية إلاّ الخوف من نار جهنم. فلولا هذا الخوف من عذاب جهنم لقلب هؤلاء المراهقون الطائشون الثملون بأهوائهم الدنيا إلى جحيم تتأجج على الضعفاء والعجائز، حيث (الحُكم للغالب) ولحولوا الحياة الانسانية السامية الى حياة حيوانية سافلة. (41)

دور التعليم والمؤسسات التعليمية في تنمية إيمان الطفل:

إن دور التعليم في المؤسسات المختلفة من روضة ومدرسة ومعهد دور لا يستهان به في تنشئة الطفل تنشئة بعيدة عن الجهل والتقليد الأعمى. فللمؤسسات التعليمية ثلاثة أدوار متشابكة ومتراصة في عملية تنشئة الطفل هي: التعزيز والتعديل وإكساب المهارات. التعزيز والتعديل لما تم إكسابه للطفل من المهارات المعرفية والدينية والأخلاقية من خلال الأسرة. إكساب المهارات هو الدور الأكثر تأثيراً وهو إكساب الطفل العديد من المهارات التي تكون في غير مقدره الأسرة لسبب أو آخر توفيرها للطفل. (42)

للمؤسسات التعليمية دور مهم للغاية في تزويد الطفل بالفكر الديني السليم كما أنها تقوم بغرس الفكر العلمي والثقافي الذي يعتمد على التجربة والملاحظة والاستنتاج ووضع القواعد والقوانين والنظم وبالتالي يستطيع أن يطور نفسه حيث تخلق فيه هذه المؤسسات روح النقد وتفتح مداركه على أشياء جديدة لم يكن له بها عهد من قبل.

والمدرسة أو المعهد وثيقة الصلة بالبيت الذي نشأ فيه الطفل فهي ترتبط بالبيت بطريق أسرى ممهد تحاول أن تزيل العقبات وتحل المشاكل النفسية للتلميذ الذي يعاني من اضطرابات نفسية نتيجة لتفكك البيت أو غياب أحد والديه أو وجود مشكلات. كما تعمل على حفظ التلاميذ من الزلل والانحراف خصوصاً في مرحلة البلوغ والمراهقة الخطرة جداً فكلما انقطعت الصلة وبعدت الثقة بين المدرسة والبيت انعدم الإشراف على التلميذ وكثرت أمامه فرص الغواية ومن ثم الضياع أما إذا توثقت الصلة بينهما فسرعان ما يكتشف الزلل ويقوم. (43)

يعلى النورسي من شأن العلم والمعلمين والمدرسة والمدرسين حتى أنه يسمي السجن لعظم الدور التربوي الذي قد يؤديه نحو منسوبيه من السجناء إذا صلحت النوايا يسميه النورسي المدرسة اليوسفية نسبة إلى سيدنا يوسف نبي الله الكريم. وفي هذا تكريم لأي تكريم لكل مدرسة تربوية ولو كانت السجن. (44)

الخاصة. فاصغوا الى تلك العلوم دون المدرسين)).(51)

وبهذا ينهى النورسي الخلاف بين طلبة العلوم الشرعية والعلوم الحديثة قائلاً:

ضياء القلب هو العلوم الدينية ونورالعقل هو العلوم الحديثة فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة فتتربى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية.(52)

كما يدعو النورسي ويؤكد على أهمية: فتح طريق لجريان العلوم الكونية إلى المدارس الحديثة إلى المدارس الدينية بفتح نبع صاف لتلك العلوم بحيث لا ينفر منها أهل المدارس الدينية (53)

الهوامش:

1. الكلمات، كليات رسائل النور، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ط دار سوزلر للنشر، الطبعة السادسة 2011، القاهرة، ص 67
2. الكلمات، ص 19
3. الكلمات ص 37 و 38
4. أسس بناء القيم الخلقية في مرحلة في مرحلة الطفولة، د. أميرة الديب، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002، القاهرة، ص 254
5. المرجع السابق ص 256
6. المرجع السابق ص 257
7. سيكولوجية التوافق النفسى، د أميرة الديب، 1992، مكتبة الفلاح، الكويت، ص 55
8. المرجع السابق ص 70
9. سيكولوجية التوافق النفسى، د أميرة الديب، مرجع سابق، ص 102
10. الكلمات ص 9 و 10
11. الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، فؤاد البهى السيد، دار الفكر العربى، الكويت، الطبعة الرابعة 1975، ص 111

4. التوفيق في الاعمال.

5. الاشتراك في ادعية طلاب النور جميعهم، لكسبه فضيلة طالب العلم.

وسيدرك شباب الجامعة هذه الامور عن قريب وستحوّل الجامعة الى مدرسة نورية.(48)

ينقل النورسي عن الشيخ سعدى الشرازى ما مضمونه: لقد رأيت احد المتقين من أهل القلب في زاوية (التكية) يزاول السير والسلوك، ولكن بعد مضي بضعة أيام شاهدته في المدرسة بين طلاب العلوم الشرعية، فسألته: لم تركت الزاوية التي تفيض الأنوار وأتيت إلى هذه المدرسة؟ قال: هؤلاء النجباء ذوو الهمم العالية يسعون لإنقاذ الآخرين مع إنقاذهم لأنفسهم بينما أولئك يسعون لإنقاذ أنفسهم وحدها إن وفقوا إليها. فالنجابة وعلو الهمة لدى هؤلاء والفضيلة والهمة عندهم، ولأجل هذا جئت إلى هنا. هكذا سجل الشيخ سعدى خلاصة هذه الحادثة في كتابه ((كلستان)).

فلئن رُجحت المسائل البسيطة للنحو والصرف التي يقرأها الطلاب مثل: نصر نصرأً ونصروا.. على الأوراد التي تُذكر في الزوايا، فكيف برسائل النور الحاوية على الحقائق الإيمانية المقدسة في ((أمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالיום الآخر)).(49)

ويعلى النورسي شأن طلبة العلم حتى يصل بهم إلى درجة الشهداء فيما يتحدث عن الحافظ على عقب وفاته يقول: لقد ثبت بوقائع عديدة بمشاهدة أهل كشف القبور، أن طالب علم جاد تواق للعلوم عندما يتوفى اثناء تحصيله لها، يرى نفسه - كالشهداء - حياً يُرزق ويزول الدرس. حتى إن أحد أهل كشف القبور المشهورين قد راقب كيفية إجابة طالب علم متوفى أثناء دراسته لعلم الصرف والنحو، لأسئلة منكر ونكير في القبر، فشاهد أنه عندما سأله الملك: من ربك؟ أجاب: من: مبتدأ، ربك: خبره، وذلك على وفق علم النحو، يحسب نفسه أنه مازال في المدرسة يتلقى العلم. فبناء على هذه الحادثة: فاني اعتقد أن المرحوم «الحافظ علي» منهمك برسائل النور كما كان دأبه في الحياة، وهو على هيئة طالب علم يتلقى ارفع علم وأسماءه، وقد تسنم مرتبة الشهداء حقاً ويزاول نمط حياتهم.(50)

يقول النورسي:

جاءني فريق من طلاب الثانوية في ((قسطنطين)) قائلين: (عرفنا بخالقنا، فإن مدرسينا لا يذكرن الله لنا!).

فقلت لهم: ((ان كل علم من العلوم التي تقرأونها يبحث عن الله دوماً، ويعرّف بالخالق الكريم بلغته

12. المرجع السابق ص 60
13. الكلمات 66,
14. الكلمات 102 و 103
15. الشعاعات , كليات رسائل النور ,بديع الزمان سعيد النورسى ,ترجمة إحسان قاسم الصالحى ,ط دار سوزلر للنشر ,الطبعة السادسة 2011, القاهرة , ص 492
16. العودة إلى الإيمان , هنرى لنك , ترجمة ثروت عكاشة ,الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة 1996 ص 53,
17. الكلمات ص 12 و 13
18. الكلمات ص 14
19. الكلمات ص 30
20. الكلمات ,ص 15 وما بعدها
21. الكلمات ,ص 18 وما بعدها
22. علم النفس التكويني الطفولة والمراهقة , صباح حنا هرمز,دار الكتب للطباعة والنشر ,العراق الموصل, 1988, ص 37
23. الكلمات., ص 860
24. الكلمات ص 23 و 24
25. علم النفس التكويني ,مرجع سابق , ص 85
26. المرجع السابق , ص 92
27. أسس بناء القيم الخلقية فى مرحلة فى مرحلة الطفولة,مرجع سابق , ص 272-273
28. الشعاعات , ص 215
29. علم النفس التكويني الطفولة والمراهقة, مرجع سابق ص 125
30. الشعاعات , 333
31. اللمعات , كليات رسائل النور ,بديع الزمان سعيد النورسى ,ترجمة إحسان قاسم الصالحى ,ط دار سوزلر للنشر ,الطبعة السادسة 2011, القاهرة , ص 222-223
32. اللمعات , ص 225

33. اللمعات , 228
34. إرتقاء القيم ,عبد اللطيف محمد خليفة ,سلسلة عالم المعرفة , الكويت , العدد 160, 1992, ص 129
35. المرجع السابق ص 87
36. من أسس الصحة النفسية , نبيه إبراهيم إسماعيل ,ط دار معرض الكتاب ,المنوفية , 1993, ص 154
37. الشعاعات , ص 384
38. العودة إلى الإيمان , مرجع سابق ص 106
39. المرجع السابق ,ص 107
40. الشعاعات ,ص 270
41. الكلمات , ص 103
42. أسس بناء القيم الخلقية فى مرحلة فى مرحلة الطفولة,مرجع سابق,294
43. المرجع السابق ,295
44. سيرة ذاتية , كليات رسائل النور ,بديع الزمان سعيد النورسى ,ترجمة إحسان قاسم الصالحى ,ط دار سوزلر للنشر ,الطبعة السادسة 2011, القاهرة ,, ص 375
45. المكتوبات , , كليات رسائل النور ,بديع الزمان سعيد النورسى ,ترجمة إحسان قاسم الصالحى ,ط دار سوزلر للنشر ,الطبعة السادسة 2011, القاهرة ,,ص 152
46. اللمعات , ص 361
47. اللمعات ,ص 397
48. الشعاعات , ص 463

قائمة المصادر والمراجع

1. الكلمات ,كليات رسائل النور ,بديع الزمان سعيد النورسى ,ترجمة إحسان قاسم الصالحى ,ط دار سوزلر للنشر ,الطبعة السادسة 2011, القاهرة
2. المكتوبات,كليات رسائل النور ,بديع الزمان سعيد النورسى ,ترجمة إحسان قاسم الصالحى

- ط دار سوزلر للنشر ,الطبعة السادسة 2011, القاهرة
3. اللغات,كليات رسائل النور ,بديع الزمان سعيد النورسى ,ترجمة إحسان قاسم الصالحى
ط دار سوزلر للنشر ,الطبعة السادسة 2011, القاهرة
4. الشعاعات,كليات رسائل النور ,بديع الزمان سعيد النورسى ,ترجمة إحسان قاسم الصالحى
ط دار سوزلر للنشر ,الطبعة السادسة 2011, القاهرة
5. إشارات الإعجاز فى مظان الإيجاز,كليات رسائل النور ,بديع الزمان سعيد النورسى
ترجمة إحسان قاسم الصالحى ,ط دار سوزلر للنشر ,الطبعة السادسة 2011, القاهرة
6. المثنوى العربى النورى,كليات رسائل النور ,بديع الزمان سعيد النورسى ,ترجمة إحسان قاسم
الصالحى ,ط دار سوزلر للنشر ,الطبعة السادسة 2011, القاهرة
7. الملاحق,كليات رسائل النور ,بديع الزمان سعيد النورسى ,ترجمة إحسان قاسم الصالحى
ط دار سوزلر للنشر ,الطبعة السادسة 2011, القاهرة
8. صيقل الإسلام,كليات رسائل النور ,بديع الزمان سعيد النورسى ,ترجمة إحسان قاسم
الصالحى ,ط دار سوزلر للنشر ,الطبعة السادسة 2011, القاهرة
9. سيرة ذاتية,كليات رسائل النور ,بديع الزمان سعيد النورسى ,ترجمة إحسان قاسم الصالحى
ط دار سوزلر للنشر ,الطبعة السادسة 2011, القاهرة
10. الفهارس,كليات رسائل النور ,بديع الزمان سعيد النورسى ,ترجمة إحسان قاسم الصالحى
ط دار سوزلر للنشر ,الطبعة السادسة 2011, القاهرة
11. أسس بناء القيم الخلقية فى مرحلة فى مرحلة الطفولة د.أميرة الديب ,ط الهيئة المصرية
العامة للكتاب ,2002, القاهرة
12. سيكولوجية التوافق النفسى , د أميرة الديب ,1992, مكتبة الفلاح , الكويت,
13. الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة, فؤاد البهى السيد , دار الفكر العربى ,

الكويت ,الطبعة الرابعة 1975

14. العودة إلى الإيمان , هنرى لنك , ترجمة ثروت عكاشة ,الهيئة المصرية العامة للكتاب ,
القاهرة 1996
15. علم النفس التكويني الطفولة والمراهقة , صباح حنا هرمز,دار الكتب للطباعة والنشر
العراق الموصل ,1988
16. إرتقاء القيم (دراسة نفسية) ,عبد اللطيف محمد خليفة ,سلسلة عالم المعرفة , الكويت ,
العدد 160
17. من أسس الصحة النفسية , نبيه إبراهيم إسماعيل ,ط دار معرض الكتاب ,المنوفية ,
1993
18. التربية السلوكية عند بديع الزمان النورسى,ندوة دولية ,شعبة الدراسات الإسلامية بكلية
الأداب والعلوم الإنسانية ,جامعة القاضى عياض ,مراكش , المغرب ,ط 1 دار سوزلر
للنشر استانبول 2004

ب - الجهاد في حياة النورسي

إن حياة النورسي كلها جهاد. فعندما تتعرض البلاد للتجاوز الخارجي، كان بديع الزمان بطلاً في الدفاع عن بلاده. فقد قضى قسماً لا يستهان به من المرحلة الأولى من حياته في ساحات الحرب. ويحتمل أنه شارك في حرب البلقان سنة 1915 م وقد سعى في إعداد فتوى الجهاد عندما نشبت الحرب العالمية الأولى وسعى في وظيفة خطيرة لإعلان الجهاد هناك وكانت الفرق الجهادية التي أسسها في شرق الأناضول بأمر من أنوار باشا التي سميت «معمري القلنسوات اللبادية»، كانت الفرق شجاعة ومحاربة أزلت الميليشيات الارمنية والروس. وقد تم تقليد بديع الزمان وسام حربي بسبب خدماته المهمة ضد الروس.¹

وعندما قام أعداء الإسلام بمحاولات استبعاد الإسلام من جميع جهات الحياة بشكل منظم تحت ستار العلمانية، وبدأ الابتعاد عن الإسلام أساساً للحياة وعنواناً للتعلم بالآخرة، وقيول نمط الحياة الغربية في كثير من المجالات، وانتشار حركة التغريب التي سعت إلى الإجهاز على القيم الإسلامية للمجتمع، بدأ الأستاذ رحلة المجاهدة بلسانه وقلمه، فكان فارساً في ردود الشبهات حول الإسلام. وبالرغم من مشاركته بالجهاد المادي ببطولة لا نظير لها، إلا أنه يرى أن الجهاد الأصلي والأساسي هو إحياء سنة الرسول صلى الله عليه وسلم والأخلاق الإسلامية إلى جانب الجهاد المتعلق بالعلم والترقي لأجل تحقيق الإنطلاقة الحضارية. ولهذا فإن الجهاد المعنوي يرتكز أولاً على إزالة الجهل هو السبب الأصلي في تخلف العالم الإسلامي تجاه الغرب، وثانياً منع الاختلاف الداخلي أو على الأقل حسن إدارة الخلاف في العالم الإسلامي، وهذا هو المعنى الخاص للجهاد المعنوي الذي تبناه وجسده الأستاذ النورسي رحمه الله²

وهكذا فإن سعيد النورسي قد قضى حياته في الجهاد الدائب في سبيل توضيح عقيدة الإسلام وبيان علل أحكامه، ودحض الأفكار المنحرفة والفلسفات الجاحدة المناقضة له، والتخطيط العملي لأجل إنقاذ المسلمين من الغزو الفكري الجارف الذي تعرضوا له منذ أوائل القرن الرابع عشر الهجري، بل قبله³

1 أنظر Şükran Vahide, Islam in Modern Turkey, State University of New York Press, 2005 ص 111-118

2 الدكتور شكران واحدة، بديع الزمان سعيد النورسي ومفهوم الجهاد في العصر الحديث، المقالة في المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد النورسي، ص: 6

3 الدكتور محسن عبد الحميد في تقديمه لكتاب إشارات الإعجاز ص: 5

أثر الجهاد المعنوي في تحقيق أمن الأوطان

د. عمر الفاروق أبوبكر

(باحث بالجامعة الإسلامية الإندونيسية)

أ - تمهيد

إن للإيمان دوراً كبيراً في تحقيق الأمن في الحياة الاجتماعية وظهر ذلك في نشر السلام وحسن المعاملة مع المخالفين بالعلم والرحمة. فإن وجود بعض الحكام الظلمة وظهور القوانين الفاسدة بسبب أوضاع السياسة المتغيرة وانتشار الفلسفة المادية قد أثارت الغضب عند بعض الناس في المجتمع، مما يدعوهم إلى القيام بأنواع المظاهرات والثورات وحتى حمل السلاح تجاه الحكومة باسم الجهاد وإصلاح البلاد. وقد حدث مثل هذه الرودد في زمان بديع الزمان سعيد النورسي حيث عاش فترة زمان مضطربة وانقلب كل شيء رأساً على عقب، وقد دعاه الشيخ سعيد بيران في ثورة عصيان مسلحة في جنوب شرقي تركيا ضد حكومة مصطفى كمال. ولكن امتنع عن ذلك لأنه يرى أنه لا ينبغي أن تشهر السيوف في وجوه إخوانهم وأبناءهم وأحفادهم المسلمين وأن الشعب بحاجة إلى الإرشاد والتتوير وسيتضررون كثيراً بوجود الحروب بينهم، واختار الأستاذ النورسي أن يجاهد هو وطلابه بجهاد معنوي.

والجهاد المعنوي - وهو إصلاح حال الأمة وإنقاذ إيمان الناس بالحجج القاطعة والبرهين الساطعة ينتور بنور شمس معنوي وهو القرآن - له أثر كبير في تغيير أفكار الناس وإصلاح الحكومة من جذورها. ورأى الأستاذ أن الإيمان هو أكبر مصدر لتحقيق قوة المسلمين والعالم الإسلامي وأن العالم الإسلامي في حاجة لحملة جديدة حديثة تستمد قوتها من الإيمان والفكر والعلم، ولا تحصل تلك القوة بالعنف والسلاح ولكن تحصل بالجهاد المعنوي.

1. الاحترام المتبادل

يرى الأستاذ النورسي أن سبب السعادة في الحياة الاجتماعية والعائلية هو وجود الاحترام المتبادل الجاد والوفاء الخالص بين الجميع، ويأتي هذا الاحترام المتبادل من قوة الايمان باليوم الآخر في القلب بوجود العلاقة الأبدية بين أعضاء الأسرة وجميع الناس إذا ارتبطت قلوبهم بالمحبة الصافية والرفقة الخالصة والصدقة الوفية النزيهة، وهذا ظاهر في قوله «ولا يحصل هذا الاحترام الخالص والرحمة المتبادلة الوفية إلا بالإيمان بوجود علاقات صداقة أبدية، ورفقة دائمة، ومعية سرمدية، في زمن لا نهاية له، وتحت ظل حياة لا حدود لها، تربطها علاقات أبوة محترمة مرموقة، وأخوة خالصة نقية، وصداقة وفية نزيهة»¹

2. الشفقة والرحمة

إن رؤية الخلق بنظرة الشفقة والرحمة من شروط نجاح دعوة الناس إلى الحق وهما من أهم مبادئ الجهاد المعنوي. ففي طريق هذا الجهاد سيتوجه المسلم بأناس من مختلف الفكرة وشتى الخلفية ولا يستطيع أن يتحكم بنفسه من الحقد والغضب والعنف إلا إذا توفرت الشفقة والرحمة في نفسه. فخدمة الإيمان ودعوة الناس إلى الحق بالحجة والبرهان ستكون ناجحة إن كانت مقرونة بالشفقة والرحمة والمحبة وتكون تلك الخدمة لوجه الله. وهذا العمل وإن كان بسيطاً لكن جزاءه جليل وثوابه عظيم لإن فيه من إدخال السرور في قلوب المؤمنين وجذبهم إلى حب هذا الدين بطيب النفس منهم. قال الأستاذ عن هذا « إن القيام بمعاونة المسجونين بشفقة ورأفة وإعطاءهم أرزاقهم التي يحتاجون إليها وضمان جراحاتهم المعنوية بلبس التسلي والعزاء، مع أنه عمل بسيط إلا أنه يحمل في طياته ثواباً جزيلاً وأجراً عظيماً... مع شرط آخر هو أن تكون الخدمة مقرونة بالشفقة والرحمة والمحبة من دون أن يحمل شيئاً من المنّة من دون أن يحمل شيئاً من المنّة.»²

و قد أكد الأستاذ النورسي بأن أهم الجهاد الآن هو الجهاد بالعلم وأفضل السلاح هو سلاح الحجج والبراهين القاطعة لمواجهة أشد الأعداء وهو الجهل والفقر والخلاف وهذا الذي يدفعه إلى بناء مدرسة الزهراء الذي ستكون حصناً حصيناً للمسلمين في مواجهة أعائهم في المستقبل. فقال في هذا الصدد، «إذا كان الأجانب يسحقوننا تحت تحكمهم المعنوي بسلاح العلوم والصنائع، فالواجب لنا هو الجهاد بسلاح العلم والتقنية الجهل والفقر والخلاف الذي هو ألد أعداء إعلاء كلمة الله. أما الجهاد الخارجي

ج - مبادئ الجهاد المعنوي

مما قدمه بديع الزمان سعيد النورسي في كثير من مواضع في رسائله فهمنا بأن الجهاد المعنوي من أعظم أنواع الجهاد في هذا العصر وإنه لا يتولد من الخوف والجبن لأن حقيقة الجهاد هو إعلاء كلمة الله وإظهار الدين الإسلامي بين الناس بأي وسائل. فالجهاد المادي بالأموال والأنفس له مكانته الرفيعة في الإسلام إن تطلب الأمر بذلك. أما في مثل هذا العصر الذي تقدّمت فيه العلوم والثقافة فإنّ الجهاد المطلوب هو إظهار حقائق الإسلام بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة، وأن يتراعى ذلك مع الحرص على التقدم الحضاري حتى يعرف الناس قاطبة ما في الإسلام من الجمال والخير والاخلاق السامية وأن الإسلام أستاذ جميع الكمالات و مصدر الحضارة الحقيقية والعلوم الصحيحة النافعة، أو على الأقل لا يعاديه بل يتبناها تيسيراً على الخلق. وضع الأستاذ الأسس والمبادئ لمسلكه هذا لكي يستطيع إنقاذ البلاد والحياة الاجتماعية، ومن ذلك قوله «و في زمن عجيب كزماننا هذا، لا بد من تطبيق خمسة أسس ثابتة، حتى يمكن إنقاذ البلاد وإنقاذ الحياة الاجتماعية بأبنائها من الفوضى والانقسام. وهذه المبادئ هي: الاحترام المتبادل والشفقة والرحمة والابتعاد عن الحرام والحفاظ على الأمن و نبذ الفوضى والغوغائية، والدخول في الطاعة. والدليل على أن رسائل النور في نظرتها إلى الحياة الاجتماعية قد ظلت تثبت وتُحكم هذه الأسس الخمسة وتحترمها احتراماً جاداً محافظةً بذلك على الحجر الأساس لأمن البلاد، هو أن رسائل النور قد استطاعت في مدى عشرين عاماً أن تجعل أكثر من مائة ألف رجل أعضاء نافعين للبلاد والعباد دون أن يتأذى أو يتضرر بهم أحد من الناس»¹

ففي هذه المقالة قد وضع الإمام النورسي للجهاد المعنوي خمسة مبادئ ثابتة حتى يمكن إنقاذ الحياة الاجتماعية بأبنائها من الفوضى والانقسام، وهي: الاحترام المتبادل، والشفقة والرحمة، والابتعاد عن الحرام، والحفاظ على الأمن ونبذ الفوضى والغوغائية، والدخول في الطاعة. لهذه المبادئ الخمسة أثر إيجابي في تحقيق أمن الأوطان وبهذه المبادئ استطاعت رسائل النور في مدى عشرين سنة أن تجعل كثيراً من طلابه نافعين للبلاد والعباد دون أن يسبب أي ضرر لأحد من الناس.

والبيان لهذه الأسس الخمسة في الفقرات التالية:

1 الكلمات ص: 104

2 الكلمات 167

1 الشعاعات ص: 384

4. الحفاظ على الأمن

إن سيرة حياة الأستاذ النورسي قد نبأتنا جميعاً بحرصه على الحفاظ على الأمن ورفضه إلى كل أشكال الثورة ومحاولة إصلاح فساد المجتمع بالقوة والعنف وفوق ذلك يتحمل جميع إهانة الناس إليه وحقارتهم له والتلقى كل ذلك لأجل الحفاظ على الأمن والنظام على ريع البلاد ، وهذا واضح من قوله « قررت أن أتحمّل جميع إهاناتهم وحقارتهم وكل ما تنطوي عليه صدورهم من نيات فاسدة. وإني مستعدٌ لتلقّي كل ذلك في سبيل استتباب الأمن والنظام في ربوع البلاد، ولا سيما لراحة الأطفال الأبرياء والشيوخ الموقرين والمرضى الضعفاء والفقراء، وسعادتهم الدنيوية والأخروية»¹

ففي الدرس الأخير حول العمل الإيجابي البناء الذي ألقاه الأستاذ النورسي قبل وفاته على طلبة النور بأن الواجب عليه وعلى جميع طلابه هو الحفاظ على الأمن واستقرار البلاد بالتجمل بالصبر والتقلد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة مع استمرار الخدمة الإيمانية ، فقال ناصحاً بقوله: «إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البناء وليس السعي للعمل السلبي الهدام. ومهمتنا القيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الإلهي دون التدخل بما هو موكول أمره إلى الله. إننا مكلفون بالتجمل بالصبر والتقلد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي، وإن الجهاد المعنوي في الداخل هو العمل ضد التخريبات المعنوية، وإنه ليس مادياً قط. وإنما يستوجب القيام بخدمات معنوية. لذا فكما لم نتدخل بأمور أهل السياسية، فلا يحق لأهل السياسة أن ينشغلوا بنا»²

5. نبذ الفوضى والغوغائية والدخول في الطاعة

طبّق الإمام النورسي وطلابه عن هذا المبدأ بلسان حالهم فقال الإمام حاكياً عن أحوالهم في السجن: «ولقد ورد إلى القلب: أنه حيال إهانتنا والاستخفاف بنا بحجة إخلالنا بالأمن العام، وإزاء صرف إقبال الناس عنا بالمعاملات الدنيئة التي يقوم بها أشخاص معدودون من المعرّز بهم. فإن هناك الترحيب الحار والتقدير اللائق لنا من قبل أهل الحقيقة وأبناء الجيل القادم. نعم، في الوقت الذي تنتشط الفوضى والإرهاب المتستّر بستار الشيوعية للإخلال بالأمن العام، فإن طلاب «رسائل النور» يوقفون ذلك الإفساد المرعب، في جميع أرجاء البلاد ويكسرون شوكته بقوة الإيمان التحقيقي، ويسعون حثيثاً لإحلال الأمن والنظام مكان الخوف والفوضى. فلم تظهر في العشرين سنة السابقة أية حادثة كانت حول

1 الملاحق- ملحق أميرداغ- ص: 226

2 الملاحق 404

فنجيله إلى السيوف الأمامية للبراهين القاطعة للشريعة الغراء»¹. والسبب في ذلك كما قال النورسي «لأن الغلبة على المدنيين إنما هي بالإقناع وليس بالإكراه كما هو شأن الجهلاء الذين لا يفقهون شيئاً فنحن فدائيو المحبة لا مكان بيننا للخصومة»²

3. الابتعاد عن الحرام

إن الاقتراب إلى الحرام سبب في فساد الأخلاق وضرر في المجتمع وذهاب الراحة والطمأنينة في الحياة البشرية. فإن الحاجة كافية ولكن الحرص على الدنيا يجعل الناس يشعرون بالفقر وعدم الكفاية فيأتون الحرام من كل جانب اتباعاً لهواهم. فيجب للقائمين بهذا الجهاد المعنوي أن يبتعدوا عن الحرام حتى لا يتلوثون أنفسهم والناس حولهم بأنواع الضرر بسبب تعرضهم للحرام

قال الأستاذ النورسي «إن المدنية الحاضرة قد أطلقت الأهواء والنوازغ من عقالها، فالهوى حر طليق طلاقة البهائم، بل أصبح يستبد، والشهوة تتحكم، حتى جعلنا الحاجات غير الضرورية في حكم الضرورية. وهكذا مُحيت راحة البشرية؛ إذ كان الإنسان في البداوة محتاجاً إلى أشياء أربعة، بينما أفقرته المدنية الحاضرة الآن وجعلته في حاجة إلى مائة حاجة وحاجة. حتى لم يعد السعي الحلال كافياً لسد النفقات، فدفعت المدنية البشرية إلى ممارسة الخداع والانغماس في الحرام. ومن هنا فسدت أسس الأخلاق، إذ أحاطت المجتمع والبشرية بهالة من الهيبة ووضعت في يدها ثروة الناس فأصبح الفرد فقيراً وفاقداً للأخلاق»³.

فهو يرى بأن سبب فساد الاخلاق وذهاب الراحة والطمأنينة في المجتمع تعرضهم للحرام اتباعاً للشهوات والإسراف مع أن اللذات والأذواق التي يحصل عليها الإنسان عن طريق السعي الحلال ضمن الدائرة المشروعة كافية لسعادته وهنائه وراحته فلا يدع مجالاً للدخول في الحرام.⁴ وإذا كان التعرض للحرام هو منبع الفساد والهلاك واتباع الشهوات طريق إلى ذلك المنبع فالابتعاد عنه وتحكّم الشهوات سبب للصلاح والنجاة

1 صيقل الإسلام ص: 496

2 المرجع السابق

3 الكلمات 842

4 الكلمات ص: 369

النورسي في رسائله كيف أثر الجهاد المعنوي وما ذا يفعله في تحقيق أمن الأوطان، نبينها في نقاط تالية:

١. تأمين الأمن الداخلي

إن الأستاذ النورسي فزق عملية المواجهة، بين الفساد الناشئ من الداخل، والفساد الذي سببه مصدر خارجي. فهو لا يرى فرض التغيير بانتهاج العمل المسلح إلا ضد العدو الخارجي، أما بالنسبة للمجتمع الإسلامي فالجهاد فيه جهاد معنوي غرضه تنوير الفكر، وإصلاح القلوب والأرواح. ففي زمانه الذي انتشر فيه النفاق والفسق يسعى الجهاد المعنوي في تحقيق الأمن الداخلي وتفعيل الدواء للمرض الاجتماعي من الداخل، وهذا كما في قوله «إن المسألة الأساسية في هذا الزمان هي الجهاد المعنوي، وإقامة السد المنيع أمام التخريبات المعنوية، وإعانة الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة. نعم، إن في مسلكتنا قوة، إلا أننا لم نقم باستعمالها إلا في تأمين الأمن الداخلي. لذا قمت طوال حياتي بتحقيق الأمن الداخلي اتباعاً لدستور الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الإسراء: ١٥) (أي لا يجوز معاقبة إنسان بجريمة أخيه أو أحبائه). إن هذه القوة لا يمكن استعمالها إلا ضد الهجمات الخارجية. إن وظيفتنا -وفق دستور الآية الكريمة المذكورة هي الإعانة على ضمان الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة»¹

فالهجمات الخارجية تستوجب مجابتهها بالقوة وأما التخريبات الداخلية فتستوجب مجابتهها بشكل إيجابي بناءً بالإخلاص التام. وقد بين هذا الحال بقوله «إن الجهاد في الخارج يختلف عما هو في الداخل. وقد أحسن إليّ المولى سبحانه وتعالى بملايين من الطلاب الحقيقيين. فنحن نقوم بالعمل الإيجابي البناء بكل ما نملك من قوة في سبيل تأمين الأمن الداخلي. فالفرق عظيم بين الجهاد الداخلي والخارجي في الوقت الحاضر»²

2. بث الثقة التامة في النفس

ففي مثل هذا العصر مع تطور التكنولوجيا وظهور عصر الاتصالات الجماعية نتيجة ذلك، سيدفع الناس للسعي لعرض أفكارهم على الآخرين بطريق البلاغ والإقناع. لذلك إن وسائل الاتصال الاجتماعي صارت وسائل للتدافع بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، وستكون ساحة مبارزة القلوب والعقول، وساحة الكفاح لإقناع الآخرين، وساحة الحرب بين الأفكار والحضارات. والأولوية الآن هي

1 الملاحق ص 400

2 الملاحق ص 401

إخلالهم بالأمن، رغم كثرة طلاب النور وانتشارهم في جميع أنحاء البلاد، فلم يجد ولم يسجل عليهم أحدٌ من الضباط المسؤولين حدثاً، في عشر ولايات وعبر حوالي أربع محاكم ذات علاقة»¹

بل لقد قال ضباطٌ منصفون لثلاث ولايات: «إن طلاب النور ضباط معنويون للأمن في البلاد، إنهم يساعدوننا في الحفاظ على الأمن والنظام لما يجعلون من فكر كل من يقرأ «رسائل النور» بالإيمان التحقيقي حارساً ورقبياً عليه فيسعون بذلك للحفاظ على الأمن العام وسجن «دنيزلي» مثال واضح ونموذج جيد لهذا الكلام، فما إن دخل طلاب النور ورسالة «الثمرة» التي كتبت للمسجونين حتى تاب أكثر من مائتي سجين وتحلوا بالطاعة والصلاح، وذلك في غضون ثلاثة أشهر أو تزيد»²

د - أثر الجهاد المعنوي في تحقيق أمن الأوطان

إن للإيمان دوراً كبيراً في تحقيق الأمان وإن الإيمان استطاع أن يحل مشكلة الإنسان الأمنية بطريقة جذرية ودائمة بتوثيق العلاقة بين الخالق والمخلوق وربط الإنسان بالله ربه وخالقه ومدبر الكون بأجمعه، متمشياً مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها³

فمن آمن بالله جلّ شأنه خالق لهذا الكون العظيم ومدبر له، فإنه يعظم حبه لله تعالى حتى يملك عقله وقلبه وغرائزه ورغباته، فلا يقارب معصية ولا يأتي ذنباً إلا أن يسبقه إلى ذلك جهل وسفاهة أو غضب أو نزوة فيذنب فيبادر إلى التوبة. فمن اعتقد عظمة قدرة الله وسلطانه وأنه لا راد لقضائه ومكره من أحد، يقف عند حدود الله لا يتعداها. فالثبات على الإيمان بالله تعالى والدوام عليه وطاعته سبحانه وتحرى مرضاته ودوام الخوف من الله والحذر من مخالفة أمره في كل عمل وحال، كل ذلك من شأنه أن يكسب الإنسان من الأمن والأمان.⁴

فحقيقة الجهاد المعنوي هي دعوة الناس إلى الإيمان بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة فليلزم القائمون بهذا النوع من الجهاد أن يتسلحوا بسلاح الإيمان والعلم ومبادئه العالية. وقد أشار بديع الزمان

1 للمعات 367

2 للمعات 367

3 د. شوكت عليان، الإيمان وأثر في تحقيق الأمان، مجلة الأمن والحياة العدد 155 ربيع الآخر 1416 هـ ص 37

4 د. شوكت عليان، أثر الإيمان في تحقيق الأمان، مجلة الأمن والحياة، العدد 155، ربيع الآخر 1416 ص 36

عدوك، وأشد ضرراً عليك، تلك هي نفسك التي بين جنبيك، فقاوم هواها، واسع إلى إصلاحها، ولا تعاد المؤمنين لأجلها، واعلم أن صفة المحبة محبوبة لذاتها، كما أن خصلة العداة تستحق العداة قبل أي شيء»¹

فالجهد المعنوي ينجي الإنسان من هذه الخسارة الجسيمة وذلك «إذا رفع هذا الإنسان رأسه واستمع بقلب شهيد لدروس الإيمان من لسان القرآن وتوجه إلى الوجدانية فإنه يستطيع أن يصعد بمعراج العبادة إلى عرش الكمالات والفضائل فيغدو إنساناً باقياً»² ولا يأتي مثل هذا الأثر القوي إلا بالإيمان المتجدد في الجهد المعنوي

4. ترسيخ روح التسامح والشفقة

إن مما يفعله الجهد المعنوي في تحقيق أمن الأوطان هو ترسيخ روح التسامح بين الأفراد ويدراً التعصب وذلك لأن السلاح لهذا الجهد هو العلم والعقل والمبادئ السامية. وقد حاول الإمام النورسي تقوية هذا الروح بين أفراد أمتة كأساس العلاقة بين المسلمين بعضهم مع بعض، وبين المسلمين وأصحاب الملل الأخرى، ويضع الأستاذ دعائم دستور التسامح لتلاميذه حين يقول لهم: «اعفوا عن هفوات إخوانكم، واصفحوا عن تقصيراتهم، وعضوا ألبصاركم عن عيوب بعضهم»³

وهو أول من فعل ذلك قبل تلامذته. فعفى وسامح وأشفق على من ظلمه طيلة سنوات في السجون والمنفى بل دعا لهم بخير وصار العفو والسماحة من دستور حياته. ومن يؤكد إن هذا من أصعب الأمور على النفس إلا لمن فهم بأن جهاد العفو والسماحة أعظم بكثير من اتباع شهوة الغضب بالانتقام وأن صلاح الأمة أكثر أهمية من إجابة أنانية النفس بتمنى هلاك الآخرين.

قال الأستاذ مينا عن هذا، «كانت الشفقة دستور حياتي منذ ثلاثين عاماً، وأساس مسلكي، ومسلك رسائل النور، فإنني لا أتجنب التعرض للمجرمين الذين ظلموني وحدهم، بل لا أستطيع حتى مقابلتهم بالدعاء عليهم؛ وذلك لكي لا أتسبب في إلحاق الضرر بأي شخص بريء، بل إن هذه الشفقة هي التي دفعتني من أن أتعرض، أو حتى أدعو على بعض الفساق، بل الظالمين اللادينيين الذين اندفعوا بحقد شديد في ظلمي؛ وذلك لكي لا أتسبب في ضرر مادي يلحق بالشيوخ والعجائز والمساكين من أمثال

الحرب الثقافية الاقتصادية أكثر من الجهاد المادي.

وهذا ما بينه الأستاذ في كثير من مقالاته حيث قال «إن السلطة المستندة إلى القوة والإكراه كانت هي الحاكمة في سالف الأزمان وهي محكومة بالتدني والانقراض، حيث إنها حصيلة الجهل والوحشية. فأية دولة جرت في عروقها دماء السلطة المستندة فإن سطور صحائف تاريخها تتعق نعيق اليوم بالانقراض»⁴ وبين أيضاً بقوله «فالبشرية في أواخر أيامها على الأرض ستسابق إلى العلوم، وتنصب إلى الفنون، وستستمد كل قواها من العلوم والفنون فيتسلم العلم زمام الحكم القوة⁵ وإن الناس يستلهمون أمضى سلاحهم من جزالة البيان وسحره، ويستلمون أرباب قوتهم من بلاغة الأداء؛ وذلك عند بيان أفكارهم ومعتقداتهم لإقناع الآخرين بها، أو عند تنفيذ آرائهم وقراراتهم»⁶. وبهذا يكون للجهد المعنوي أثر قوي في بث القناعة في نفوس الناس إذا اقترن بحسن البيان وبلاغة الأداء والصبر في المعاملة كما ذكر في القرآن الكريم «فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم»

3. تطهير النفس من الرذائل

إن من أثر الجهد المعنوي في نفس الإنسان هو تطهيره من الرذائل و إنقاذهم من سوء النفس الأمانة بالسوء، ذلك كما قال الأستاذ «إن أخطر شيء في هذا الزمان هو الإلحاد والزندقة والفوضى والإرهاب. وليس تجاه هذه المخاطر إلا الاعتصام بحقائق القرآن. وبخلاف ذلك لا يمكن بحال من الأحوال أن تُجابته هذه المصيبة البشرية التي دفعت الصين إلى أحضان الشيوعية في زمن قصير، ولا يمكن إسكاتهما بالقوى السياسية والمادية. فليس إلا الحقائق القرآنية التي تستطيع أن تدفع تلك المصيبة»⁷ نعم إن هذه الرذائل لا تمكن مواجهتها بقوة السلاح ولكن الكلمات الطيبة المقترنة بالإيمان واليقين والبراهين لها أثر قوي في تطهير النفس والفكر من الرذائل والعداوة.

وقال الأستاذ في في تطهير النفس من العداوة ناصحاً « إن كنت تريد أن تعادي أحدا فعاد ما في قلبك من العداوة، واجتهد في إطفاء نارها، واستئصال شأفتها، وحاول أن تعادي من هو أعدى

1 صيقل الإسلام ص 441

2 الكلمات ص 293

3 الكلمات ص 292

4 الملاحق ص: 265

1 بديع الزمان النورسي، المكتوبات، دار سوزلر للطباعة والنشر، القاهرة، ص 328

2 بديع الزمان النورسي، الكلمات، ص 416

3 بديع الزمان النورسي، اللغات ص 235

جزرية ودائمة بتوثيق العلاقة بين الخالق والمخلوق وربط الإنسان بالله ربه وخالقه ومدبر الكون بأجمعه، متمشياً مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وإن العالم الإسلامي في حاجة لحملة جديدة حديثة تستمد قوتها من الإيمان والفكر والعلم، ولا تحصل تلك القوة بالعنف والسلاح ولكن تحصل بالجهاد المعنوي.

وبما أن حقيقة الجهاد هو إعلاء كلمة الله وإظهار الدين الإسلامي بين الناس بأي وسائل، فللجهاد المعنوي في مثل هذا العصر الذي تقدّمت فيه العلوم والثقافة أثر كبير لأن حقيقة الجهاد المعنوي هو إظهار حقائق الإسلام بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة. ويلزم القائمون بهذا النوع من الجهاد أن يتسلحوا بسلاح الإيمان والعلم ومبادئه العالية وهي الاحترام المتبادل والشفقة والرحمة والابتعاد عن الحرام والحفاظ على الأمن ونبذ الفوضى والغوغائية، والدخول في الطاعة، حتى ينجحوا في عملهم. وللجهاد المعنوي أثر كبير في تحقيق أمن الأوطان منها تأمين الأمن الداخلي، و بث الثقة التامة في النفس، و تطهير النفس من الرذائل، و ترسيخ روح التسامح والشفقة، و إحياء المحبة بين الناس. ويمكن للمسلم معانقة جميع المجتمع والتغيير المتدرج والتجديد على المستوى الأساسي والإصلاح والإنشاء من جديد بالجهاد المعنوي.

المصادر والمراجع

1. سعيد النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحى، القاهرة: شركة سوزلير للنشر (الطبعة السادسة: 2011)
2. سعيد النورسي، بديع الزمان، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحى، القاهرة: شركة سوزلير للنشر (الطبعة السادسة: 2011)
3. سعيد النورسي، بديع الزمان، اللمعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحى، القاهرة: شركة سوزلير للنشر (الطبعة السادسة: 2011)
4. سعيد النورسي، بديع الزمان، الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحى، القاهرة: شركة سوزلير للنشر (الطبعة السادسة: 2011)
5. سعيد النورسي، بديع الزمان، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم الصالحى، القاهرة: شركة سوزلير للنشر (الطبعة السادسة: 2011)
6. شوكت عليان، الإيمان وأثر في تحقيق الأمان، مجلة الأمن والحياة العدد 155 ربيع الآخر 1416 هـ.
7. أحمد محمد سالم، أثر الإيمان في درء العنف، مجلة التقاهم، العدد العاشر، يناير 2012

والد ذلك الظالم أو والدته، أو في الإضرار بأنفس بريئة مثل أولاده، ولذلك فمن أجل أربع أو خمس من الأنفس البريئة لا أستطيع التعرض لذلك الظالم»¹

بهذه الروح العظيمة من التسامح كان الإمام يخشى حتى من إلحاق أي ضرر بأعدائه؛ لأن هذا الضرر يمكن أن يصيب من حولهم من نفوس أقاربهم، وهي نفوس بريئة، وبذلك الروح الفياضة من التسامح كان الإمام النورسي يواجه أعداءه، ويبث ذلك التسامح بين تلاميذه، وهي دعوة فعالة في درء العنف²

5. إحياء المحبة بين الناس

إن للجهاد المعنوي، أثراً قويا في رابطة الإسلام، ثم الرابطة الإنسانية العامة بين البشر، فلا يقتصر الأمر على إشاعة المحبة بين المسلمين، ولكن أيضاً بين المسلمين وجميع الطوائف الأخرى من بني الإنسان، فيقول: «إن أسباب المحبة هي الإيمان والإسلام والإنسانية وأمثالها من السلاسل النورانية المتينة والحصون المعنوية المنيعة»³

وذلك لأن الناس لا يشعر بالضرر والإرهاب والخوف لاتصاف القائمين بالجهاد المعنوي بأخلاق عالية واحترام الآخرين ومحبة اهتداء الناس أجمعين «فصفة المحبة هي ضمان الحياة الاجتماعية البشرية، وهي التي تدفع إلى تحقيق السعادة، وهي أليق للمحبة، وأن صفة العداوة هي عامل تدمير الحياة الاجتماعية وهدمها، وهي أقبح صفة وأضرها. ومن ثم يرى الأستاذ النورسي أن «جوهر الحياة الاجتماعية والإنسانية. ولا سيما للأمة الإسلامية. أساسها: وجود محبة خالصة بين الأقرباء، ووجود رابطة وثيقة بين القبائل والطوائف، ووجود أخوة معنوية وتعاونية نحو إخوته المؤمنين ضمن»⁴

الخاتمة

إن الإيمان هو أكبر مصدر لتحقيق أمن الأوطان وله قوة في حل مشكلة الإنسان الأمنية بطريقة

1 بديع الزمان النورسي، الشعاعات ص 439

2 أحمد محمد سالم، أثر الإيمان في درء العنف، مجلة التقاهم، العدد العاشر، يناير 2012، ص: 338

3 بديع الزمان النورسي، صيقل الإسلام ص 479

4 بديع الزمان النورسي، الشعاعات ص 439

8. الدكتور شكران واحدة، بديع الزمان سعيد النورسي ومفهوم الجهاد في العصر الحديث
المقالة في المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد النورسي ،

9. Şükran Vahide, *Islam in Modern Turkey*, State University of New York
Press, 2005

أسس إيمانية لتحقيق أمن الأمة واستقرارها
قراءة في رسائل النور لبديع الزمان النورسي

Faith Foundations to Achieve the Nation's Security and Stability
Spotlight on Rasa'el ALnour, by Badi ALZaman ALNorassi

إعداد: أ.د/ فيروز عثمان صالح
الأستاذ بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب — جامعة الخرطوم

ملخص البحث

تسعى رسائل النور لحل المشكلات (المادية والمعنوية) التي تواجه إنسان اليوم من خلال نظرة رشيدة للكون والحياة، وتعد مشكلات العنف والإرهاب والعداوة من المشكلات التي تهدد أمن الأمة والبشرية جمعاء. ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة، إذ تعالج هذه القضية الإنسانية الملحة والشائكة. وقد اجتهد الأستاذ سعيد النورسي في تشخيص الداء ثم شرع في وضع الحلول العملية، فأرجع السبب الحقيقي وراء تلك المشكلة إلى الفكر الإلحادي والثقافة المبنية على المنفعة الشخصية، والمدنية الخالية من القيم المعنوية، لذا فقد أكد الأستاذ النورسي على ضرورة إنقاذ الإيمان وحفظه الذي هو أس الأساس للمحبة والأخوة والتعاون، وكذا دعا إلى التمسك بالقيم المعنوية المستخلصة من الوحي الإلهي، منبهاً إلى أن المسألة الأساسية في هذا الزمان هو الجهاد المعنوي، والسعي لإقامة السد المنيع أمام التخريبات المعنوية وإعانة الأمن الداخلي بكل قوة وبشكل إيجابي بناء. وكذلك تكررت الدعوة في رسائل النور للإتحاد المحمدي الذي يربط الأمة بسلسلة نورانية تكون حصناً وسداً أمام التفرق والخصومة والعنف والعداء.

Abstract

Rasa'el ALnour (Messages of the light) are seeking to solve the material and moral problems that face people today through a rational view towards the universe and life. Violence, terrorism and enmity are among the prob-

lems that threaten the security of the nation and the whole humanity. Thus, the importance of this study is stemmed from here, as it addresses this human complicated and critical issue. Ustaz/ Saeed ALNorassi has worked hard in diagnosing the disease then initiated practical solutions, referring the real cause behind this problem to atheistic thought and culture which are based on personal benefit, as well as urbanization lacking moral values. So, Ustaz/ AL-Norassi emphasized the need to save faith and maintain it, which is considered as the basis for love, fraternity and cooperation. He also called for adhering to the moral values derived from the divine revelation, warning that the main issue at this time is the struggle, and endeavor to establish invincible fort in face of moral distortions as well as strongly, constructively and positively assisting the internal security. Rasa'el ALnour also called for to Muhammadan Union, which links the Ummah (nation) with a spiritual chain that would be a safeguard and a fort against division, rivalry, violence and hostility.

الكلمات المفتاحية: العنف، الفكر الإلحادي، الجهاد المعنوي، الوحي الإلهي، التعاون.

المقدمة

الحمد لله القائل (فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)¹ والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين الذي كانت شنته بياناً للقرآن، وسيرته تنزيلاً له على الواقع لإقامة المجتمع الرشيد الآمن المطمئن، وعلى آله وصحبه الأخيار وبعد:

إن عالم اليوم قد تفاقمت مشكلاته وأزماته، وبات بانساً يائساً لا حيلة له، بين من وطأة الفوضى والتنازع والسفه والقلق وانعدام الأمن والأمان والطمأنينة والسلام، وغيرها من المعضلات العويصة والعلل الاجتماعية، فالبرغم من ضخامة المنج ازت العلمية والتكنولوجية، ورغم وسائل الراحة المادية إلا أنها لم تمنح عالم اليوم سعادة مستمرة ولا طمأنينة بل ربما ازدت من رحابة البؤس الروحي واليأس، وازدت من قتام أفق أمله، وضاعفت من مساحات الحيرة والقلق والخوف.

1 سورة الأنعام، الآية 48.

كان الأستاذ النورسي يدرك — والحال هكذا — أن الأمة أمام خيارين: إما المجاهدة والكفاح لإعادة الأمور إلى نصابها وإحياء الأمة وتصويب مسيرتها، وإما الخلود إلى الراحة والدعة والذي يعني الاستسلام للفناء والموت الأبدي. واختار الأستاذ الخيار الأول وأخذ على عاتقه واجب إعادة الأمور إلى نصابها أسوة بالعلماء الربانيين المصلحين المجددين. فالمجتمع الذي يتصدى قادته وعلماؤه لمهمة المراجعة والنقد الذاتي، والتقويم، ومحاصرة الفساد وإصلاح مكامن الخلل، هو مجتمع ينعم أفراده بالأمن والأمان والطمأنينة والسلام والاستقرار، قال تعالى: (فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)¹، وقال جلّ في علاه (فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (2) ، فمن آمن واتقى وأصلح في عمله، نفى الله عنه الخوف والحزن ، وفي مقابل ذلك — أي الترغيب في الإيمان والعمل الصالح تحقيقاً للأمن والسعادة- فإن القرآن الكريم يُنذر المجتمعات التي تتقاعس عن مواجهة الفساد، وإن لم تُشارك في صناعة الفساد، باضطراب أحوالها وبأنه سوف ينال تلك المجتمعات نصيب من الفتنة، والخوف، والاضطراب، والفوضى والبلاء. قال تعالى: (” وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ“)³ أي اتقوا فتنة تتعدى الظالم، فتصيب الصالح والطالح، ولا تختص إصابتها بمن يباشر الظلم منكم)⁵.

‘إنقاذ الإيمان هو المقصد الأساس لرسائل النور لحل أزمات الأمة وإصلاحها:

أدرك الأستاذ النورسي وقد أخذ على عاتقه مسؤولية الإصلاح ومجابهة الفساد، وتسديد وتصويب مسار الأمة والخروج بها من واقعها المؤلم ، وخلص الإنسانية التي افتقدت وأضاعرت الروح والمعنى في قلبها لا يتم إلا باستعادة مصدر قوة الروح وذلك بإنقاذ الإيمان وتحقيق العبودية الخالصة لله، حتى تبقى تلك الروح منفتحة ومقبلة على الخير والفضيلة والصلاح وعمارة الأرض، لذا فقد انطلق الأستاذ في مشروعه النهضوي، من إحياء الإيمان وإصلاح المجتمع على أسس إيمانية دفعاً لها إلى مراقبي

1 سورة الأنعام، الآية 48.

2 سورة الأعراف، الآية 35.

3 سورة الأنفال، الآية 25.

4 محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن كثير، دمشق، ط2، 1998م، ج2، ص342.

أما ما يعود إلينا من سبب فهو: إهمالنا أركان الإسلام وتركنا الفرائض¹

ويقول في الملاحق: (رسائل النور أثبتت اثباتاً قاطعاً: أن الكفر والضلالة، تحقير عظيم للكائنات وظلم شنيع للموجودات، ووسيلة لرفع الرحمة الإلهية ونزول المصائب والبلايا²)

ففي ظل التخريبات الرهيبة والخوف والرعب والقلق والاضطراب الذي تعاني منه البشرية يرى الأستاذ أن أوجب الواجبات هو إنقاذ الإيمان إذ يقول: "لقد أنزلت العدالة الإلهية بالمدينة الدنية التي أهانت الإسلام عذاباً أليماً ومعنوياً ارداها إلى درك الوحوش الجاهلين... فلقد اذقتهم العدالة الإلهية ذلك الخوف الرهيب وقذفت على رؤوسهم قنابل الرعب والرهبه والقلق والاضطراب. إنَّ الأزم شيئاً في مثل هذا الوقت وأجدى عمل وأجدر وظيفة هو إنقاذ الإيمان.."³

لذا فإن رسائل النور تقرر أن أهل الضلالة الذين "لا يكثرثون بالأعراف الشعبية والإسلامية.. يسوق تسعون بالمائة منهم هذا الوطن والأمة — بنفوسهم الأمانة بالسوء- إلى فوضى ضارب أطنابها"⁴.

ويحذر الأستاذ النورسي من أنه إن لم يتم التنبؤ "للقائق القرآنية والإيمانية بدل إضعاف الروح الدينية فإن العالم الإسلامي سيُقهَر أمام الفوضى والإرهاب الذي يتستر تحت ستار الكفر المطلق الذي يسعى لإبادة العالم الإسلامي"⁵.

المسلم الحقيقي والمؤمن الصادق لا يؤيد الفوضى والإرهاب:

إذن فقد أدرك الأستاذ النورسي بنظره الثاقب أن الضلالة والإلحاد والكفر هي بمثابة التربة التي تحتضن بذور شجرة الفتنة التي تُثمر ثمار الفوضى والدمار والهلاك

الكمالات الإنسانية، إذ كان — رحمه الله- يدرك ويعي أن أي مشروع إصلاحى يتخذ من الإيمان ركيزة وقاعدة هو في حد ذاته قوة، تتولد عنها)انبعاثات شتى(على صعيد وحدات الحياة كلها، وتصبغها بألوان الطمأنينة والسكينة والأمن والأمان والسلام.

لذا فإن رسائل النور أخذت على عاتقها وتحملت مسؤولية ومهمة تحفيز المجتمع روحياً وفكرياً، وإعداده لمنازلة الظلم والقهر والغبن والفوضى والخراب، فالرسائل كما يؤكد الأستاذ جعلت المسألة الأساسية في هذا الزمان، إقامة السد المنيع أمام التخريبات المعنوية، وإعانة الأمن الداخلي بكل ما تملك من قوة¹)كذلك يؤكد أن "العلاج الوحيد لإنقاذ الأمة.. في هذا العصر من الفوضى والإرهاب ومن التزدي²

فمقصد رسائل النور وعملها لإنقاذ النظام والأمن والحياة الاجتماعية من الفوضى والإرهاب هو لتحقيق السعادة والسلامة"³(وذلك "بالخدمة الإيمانية البناءة)

⁴(غياب الأمن والسلام مَرَدَه إلى ضلال البشرية وتراجع إيمانها:

يؤكد الأستاذ النورسي أن ضلال البشرية وغياب الإيمان والهدى في قلب الإنسانية هو سبب البلايا ولا سيما الحروب وانعدام الأمن وغياب السلام إذ يقول في الكلمات:" إن ضلال البشرية وعنادها النمرودي وغرورها الفرعوني، تضخم وانتفش حتى بلغ السماء ومسّ حكمة الخلق، وأنزل من السموات العلا ما يشبه الطوفان والطاعون والمصائب والبلايا... تلك هي الحرب العالمية الحاضرة، إذ أنزل الله سبحانه وتعالى لظمة قوية على النصارى بل على البشرية قاطبة، لأن أحد أسبابها التي يشترك فيها الناس كلهم هو الضلال الناشئ من الفكر المادي، والحرية الحيوانية، وتحكم الهوى.

1 بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط3، 1998م، ج1، ص859.

2 بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم ج7، ص124.

3 المرجع نفسه، ج7، ص114.

4 النورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج7، ص234.

5 (المرجع نفسه، ج7، ص304.

1 بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، استانبول، د.ت، ج9، ص505.

2 النورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج7، ص233.

3 النورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج7، ص233.

4 النورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ج9، ص505.

فوضوياً إرهابياً، ولا يمكن دفعه إلى الولاء بالإدارة والنظام)¹

ويؤكد كذلك رحمه الله "أن المسلم يختلف عن أفراد الأمم الأخرى، إذ لو تخلى عن دينه فلا يكون إلا إرهابياً فوضوياً لا يقيدته شيء أياً كان"²

لذا يدعو الأستاذ إلى الاعتصام بحقائق القرآن للسلامة من المخاطر الأمنية والإلحاد، إذ يقول في الملاحق: "إن أخطر شيء في هذا الزمان هو الإلحاد والزندقة والفوضى والإرهاب، وليس تجاه هذه المخاطر إلا الاعتصام بحقائق القرآن"³

وكذلك فإن رسائل النور تؤكد أن مشكلات العالم "والأزمة الخائفة الذي يمر بها العالم والقلق المعنوي... يُجابهه بأسس الإيمان الحيوية لمجتمع قلعة الإيمان، فقلعة الإيمان لا تُسند بأعمدة الكفر النخرة"⁴

وتقرر الرسائل أن الحياة الآمنة مطمئنة تتحقق في الحياة الدنيا بل والآخرة للإنسان إذا صرف عمره في أنشطة وأعمال مشروعة، إذ يقول الأستاذ في الكلمات: "أما إذا صرف- الإنسان- أرسمال عمره ضمن الدائرة المشروعة فسوف يكون نشاطه وعمله ضمن دائرة فسيحة رحبة جداً تمتد إلى الحياة الأبدية الخالدة، وسيعيش سالماً آمناً مطمئناً وأنه لا محالة "يبحر بالإيمان متفرجاً على سفينة الحياة في خضم أمواج الأحداث العاتية بكمال الإيمان والسلام"⁶

المسافة بين الصدق والكذب أصبحت لا تتجاوز الإصبع فكلاهما يباعان في سوق واحدة"⁴ ولا سيما أن "الدعايات السياسية قد أعطت أحياناً رواجاً أكثر للكذب، فبرز

والإرهاب والعنف، ويرى أن إنقاذ الإيمان هو الكفيل بانتشال البشرية من هذا الوضع الرهيب " فالمسلم الحقيقي والمؤمن الصادق لا يكون مؤيداً للفوضى والتخريب، والدين يمنع الفتنة والفوضى

بشدة، لأن الفوضى لا تعترف بحق من الحقوق، وتقلب سجية الإنسانية وآثار الحضارة إلى سجية الحيوان المتوحش"¹.

وقد أصاب الأستاذ ، فالنبي عليه الصلاة والسلام قد شهد بالخيرية لمن رجت خيره وأمنت شره البرية فقال "خيركم من يُرجى خيره، ويؤمن شره، وشركم من لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره"¹. وشهد عليه أفضل الصلاة والسلام في مقابل ذلك بكمال الإسلام والإيمان لمن سلم الناس من بطشه ووحشيته وأشاع بين الناس الأمن والأمان والسلام فقال: " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم"²

فالمعيار في تحقق الإيمان هو مدى ما يُثمر عنه من عمل إيجابي يحقق سلامة المجتمع المسلم ويحفظ أمنه وأمانه، لذا فإن الأستاذ النورسي كان يلقي طلابه درساً إيمانياً مفاده: أنه لا بد من "القيام بالخدمة الإيمانية البناءة والتي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي"³.

ويمضي الأستاذ النورسي فيربط بين المسألة الأمنية والإيمان فيقول: إن المسلم لا يشبه غيره، فالذي يحل ربقة من الدين ليس أمامه إلا الضلالة المطلقة فيصبح⁴

1 النورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم ، ج9، ص481.

2 الترمذي، أبو عيسى محمد بن علي بن سورة، الجامع الصحيح، تحقيق: أحمد محمد شاكر وكمال يوسف الحوت، دار الفكر، بيروت، ط1، 1987م، كتاب الفتن، رقم 2189 وقال: حديث حسن صحيح، الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.ج8، ص183.

3 البخاري، ابو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ضبط وترقيم وفهرسة: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط4، 1990م، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ج1، ص13، رقمه 10.

4 النورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج7، ص234.

1 النورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم، ج9، ص505.

2 المرجع نفسه، ج7، ص306.

3 النورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج9، ص344.

4 النورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، ترجمة: إحسان قاسم، ج9، ص491.

5 النورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم، ج1، ص365.

6 المرجع نفسه، ج1، ص352.

بقاء حياتنا مرهونة بدوام الإيمان والصدق والتساند⁽¹⁾.

أسس المدنية الشرعية تحقق الأمن والسلام بخلاف المدنية الحاضرة:

يؤكد الأستاذ النورسي أن أسس المدنية الشرعية (مدنية القرآن) هي أسس إيجابية ينشأ عنها السلام والأمن والطمأنينة والسعادة والاتحاد والتساند والأخوة والرقي المادي والمعنوي، بينما تقوم المدنية الحاضرة (المدنية الغربية) على أسس سلبية ينشأ عنها الاعتداء والتجاوز والتخاصم والتنازع والتصادم والشقاء والهلاك والدمار وتشويه الإنسان والإنسانية ومسخهما

مسخاً معنوياً، إذ يقول في الكلمات: «إن أسس المدنية الحاضرة سلبية وهي أسس خمسة تدور عليها رحاها. فنقطة استنادها: القوة بدل الحق، وشأن القوة الاعتداء والتجاوز والتعرض، ومن

هذا تنشأ الخيانة.

ودستورها في الحياة: الجدل والخصام بدل التعاون، وشأن الخصام: التنازع والتدافع، ومن هذا تنشأ السفالة. رابطتها الأساس بين الناس: العنصرية التي تنمو على أساس غيرها، وتتقوى بابتلاع الآخرين وشأن القومية السلبية والعنصرية: التصادم المريع وهو المشاهد. ومن هنا ينشأ الدمار والهلاك. وخامستها: هي أن خدمتها الجذابة، تشجيع الأهواء والنوازع، وتذليل العقبات أمامها، وإشباع الشهوات والرغبات. وشأن الأهواء والنوازع دائماً: مسخ الإنسان، وتغيير سيرته، فتتغير بدورها الإنسانية وتمسح مسخاً معنوياً...

أما أسس مدنية القرآن الكريم، فهي إيجابية تدور سعادتها على خمسة أسس إيجابية:

نقطة استنادها: الحق بدل القوة، ومن شأن الحق دائماً: العدالة والتوازن. ومن هذا ينشأ السلام ويزول الشقاء. وهدفها: الفضيلة بدل المنفعة، وشأن الفضيلة: المحبة والتقارب، ومن هذا تنشأ السعادة وتزول العداوة. دستورها في الحياة: التعاون بدل الخصام والقتال، وشأن هذا الدستور: الاتحاد والتساند اللذان تحيا بهما الجماعات. وخدمتهما للمجتمع بالهدى بدل الأهواء والنوازع، وشأن الهدى: الارتقاء بالإنسان

1 النورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج8، ص 417.

الكذب والفساد في الميدان السياسي⁽¹⁾.

الصدق خاصة الإيمان و أسسه وأساس الإسلام وعامل تحقيق الأمن والاستقرار:

تحذر رسائل النور من الكذب الذي بات رائجاً ولا سيما في الميدان السياسي، وتربط رسائل النور بين الكذب والمسألة الأمنية، فتؤكد أن "انعدام الأمن والاستقرار في الوقت الحاضر بالكذب الرهيب الذي تقترفه البشرية بتزييفها وافترائها⁽²⁾، وتقرر أن "الكذب هو الذي خرب الأخلاق العالية... وبه انتشر السم في الإسلام... وبه اختلت أحوال نوع البشر"⁽³⁾ ((ونبه النورسي إلى أن اتخاذ المصلحة والضرورة مطية للكذب وهو سبب انعدام الأمن وانفلات النظام ترى من الهزج والمزج في حال العالم فما شاهد على غلبة ضرر عذر المصلحة⁽⁴⁾).

وإزاء هذه الشرور وانعدام الأمن وغيابه بسبب الكذب يرى الأستاذ النورسي ضرورة قيام البناء الاجتماعي ونظام العالم الإسلامي على أساس الصدق الذي هو أرس الإيمان وأساسه إذ يقول في إشارات الإعجاز: "الصدق هو أساس الإسلامية، وهو خاصة الإيمان، بل الإيمان صدق و أرسه.. وهو ال اربط لكل الكمالات.. وهو الحياة للأخلاق العالية.. وهو محور ترقى الإنسان.. وهو نظام العالم الإسلامي"⁽⁵⁾ (لذا دعا الأستاذ في الخطبة الشامية إلى تمثل الصدق في حياتنا الاجتماعية قائلاً: "علينا أن نُحيي الصدق الذي هو حجر ال ازوية في حياتنا الاجتماعية في نفوسنا ونداوي به أمراضنا المعنوية"⁽⁶⁾ وأبعد من ذلك أكد — رحمه الله — أن شرط استقامة الحياة واستقرارها هو تحقيق الإيمان والصدق ودوامه، إذ يقول في صيقل الإسلام " إن

1 بديع الزمان النورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط1، 1995م، ج8، ص 143.

2 المرجع نفسه، ص60.

3 بديع الزمان النورسي، كليات رسائل النور، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط3، 1999م، ج5، ص 97.

4 المرجع نفسه، ج5، ص 97.

5 النورسي، كليات رسائل النور، إشارات الإعجاز، تحقيق: إحسان قاسم، ج5، ص 97.

6 النورسي، من كليات رسائل النور، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، ص 55.

يجعله آمناً أي ذا أمن¹)). وفي موطن آخر قال (رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام))²(إلحاحاً منه في الدعاء لاستتباب الأمن).

ونراه عليه السلام « قدم طلب الأمن على سائر المطالب المذكورة بعده لأنه إذ انتفى الأمن لم يفرغ الإنسان لشيء آخر من أمور الدين والدنيا »³(ومن جهة أخرى فإنّ " أمن البلاد والسبيل يستتبع جميع خصال السعادة والحياة الكريمة، ويقتضي العدل والعزة والرخاء، إذ لا أمن بدونها، وهو يستتبع التعمير والإقبال على ما ينفع⁴.

لذا فقد جعلها الرسول صلى الله عليه وسلم إحدى ركائز السعادة والحياة الطيبة الثلاث، بل قدّمها على سائر الركائز، إذ قال عليه الصلاة والسلام: « من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها⁵ و⁶

لذا ففي ضوء هدى القرآن والسنة يرى الأستاذ النورسي أن أسس المدنية الحديثة بما يتولد عنها من وحشية وجرائم وعداء وعنّف ودمار هي سبب شقاء الإنسانية، بينما مدنية القرآن تكفل السعادة المتدثرة بثياب الأمن والسلام لغالبية البشرية إن لم يكن كلها. " فالقرآن لا يرضى بمدنية لا تضمن سعادة الجميع وعدالة القرآن تحفظ حق الحياة ولا تضحي بحياة برئ واحد (7)

ويمضي الأستاذ النورسي في التنبيه إلى الأسس الإيمانية الكفيلة بتحقيق الأمن

ورفاهه إلى ما يليق به مع تنوير الروح ومدّها بما يلزم. رابطتها بين المجموعات البشرية: رابطة الدين والانتساب الوطني وعلاقة الصنف والمهنة وأخوة الإيمان.. وشأن هذه الرابطة: أخوة خالصة، وطرد العنصرية والقومية السلبية. وبهذه المدنية يعم السلام الشامل، إذ هو في موقف الدفاع من أي عدوان خارجي¹

ويؤكد الأستاذ النورسي أن المدنية الحاضرة دفعت بغالب البشرية إلى أحضان الشقاء، وأن سعادة هذه المدنية المموهة الزائفة هي لأقلّ القليل من الناس، بخلاف المدنية الشرعية التي تضمن سعادة الجميع، لذا فإنّ الوحشية والحج ارائم والعنف والإرهاب الذي تولد عن هذه المدنية يفوق جميع القرون السابقة، إذ يقول في الكلمات: " إن المدنية الحاضرة... صارت سما زعافاً للإنسانية بدلا من أن تكون لها ترياقاً شافياً؛ إذ ألفت ثمانين بالمائة من البشرية في شقاء، لتعيش عشرة بالمائة منها في سعادة مزيفة، أما العشرة الباقية فهم حيارى بين هؤلاء وهؤلاء... والقرآن الكريم النازل رحمة للعالمين لا يقبل إلا طرازاً من المدنية التي تمنح السعادة للجميع أو الأكثرية... إن مجموع ما ارتكبه البشرية من مظالم وجرائم وخيانات في القرون الأولى، قاءتها واستفرغتها هذه المدنية الخبيثة مرة واحدة. وسوف تصاب بالمزيد من الغثيان في قابل أيامها²)).³

ونلاحظ هنا أن الأستاذ النورسي يربط بين الأمن والسعادة فالأمن شرط لتحقيق سعادة البشرية وطيب عيشها. وقد أصاب الأستاذ إذ إن بسط الأمن في الأوطان دعوة دعا بها إبراهيم عليه الصلاة والسلام، إذ قال فيما حكاها الله عنه في القرآن (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا)⁴فالمقصود بالبلد: مكة المكرمة، إذ دعا لأهله من ذريته وغيرهم أن

1 القرطبي، أبو عبد الله محمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1935م، ص117، الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1995م، ج3، ص140.

2 سورة إبراهيم، الآية 35.

3 الشوكاني، فتح القدير، ج3، ص140.

4 ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج1، ص715.

5 السرب، بكسر السين هو النفس، وبفتحها: المسلك والطريق: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1944م. ج1، ص462، الفيروزآبادي، مجد الدين بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت،

6 ط1، 1995م، ج1، ص108.

7 ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1994م، كتاب الزهد، باب القناعة، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، المكتب الإسلامي، ط1، 1986م، ج2، ص399. رقمه 3340.

1 النورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم، ج1، ص856-855. وانظر أيضا في: بديع الزمان النورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج8، ص359-357.

2 بمعنى أنها ستتقيا قينا أشد وأفزع. نعم!. لقد قاءت واستقرغت بحريين عالميتين حتى لطخت بالدم البر والبحر والهواء، الكلمات، ج1، ص857. هامش)1.

3 المرجع نفسه، ج1، ص856 857.

4 سورة البقرة، الآية 126.

التضحية بالأفراد من أجل سلامة الأمة والجماعة والوطن منبع الجرائم البشعة والدمار والهلاك: يؤكد الأستاذ النورسي أن القانون البشري الأساس في حاضرنا: هو التضحية بالأفراد من أجل سلامة الأمة والجماعة والوطن قانون ليس له ضابط معين، لذا فقد أفلت الساسة المتلاعبين من عقابهم، فاستعملوه بكثرة باسم المصلحة العامة، فنجم عن ذلك فظائع وجرائم لم تعرف البشرية نظيراً لها، إذ يقول في الملاحق: "إن القانون الأساس للسياسة البشرية هو: يضحى بالأفراد من أجل سلامة الأمة، وتفدى بالأشخاص حفاظاً على الجماعة. ويرخص كل شيء في سبيل حماية

الوطن. فجميع الجرائم البشعة التي ارتكبت في البشرية إلى الآن إنما ترتكب بالاستعمال السيئ لهذه القاعدة ولهذا القانون الأساس، فلقد تيقنت من هذا يقيناً قاطعاً. فهذا القانون البشري الأساس ليس له حد معين ولا ضوابط مخصصة، لذا فقد مهد السبيل للتلاعب باستعماله بكثرة² (ويضرب الأستاذ مثلاً لذلك بما حدث في الحربين العالميتين من إبادة لأبرياء باسم المصلحة، وتدمير لمكتسبات الإنسانية وإرثها من التمدن والرقي، إذ يقول: "إن الحربين العالميتين قد نشبتا من سوء استعمال هذا القانون الأساس، فأبادت نهائياً ما توصلت إليه البشرية من رقي منذ ألف سنة، كما سمح هذا القانون بأخذ تسعين بريئاً بجريرة عشرة من الجناة، وأفتى بإبادتهم، كما سمح بتدمير قسبة كاملة لجريمة مجرم واحد، لأغراض شخصية مستترة تحت اسم المصلحة العامة"³) ثم يصف الدواء لذلك السم الزعاف فيدعو لاستبدال تلك القاعدة المدمرة منبع الجرائم والهلاك بقانون أساس للقرآن الكريم نازل من العرش الأعظم، إذ يقول "ولقد وجدت عوضاً عن هذا القانون البشري الأساس الغادر، القانون الأساس للقرآن العظيم النازل من العرش الأعظم وذلك في الآيتين الآتيتين: (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) (سورة الأنعام، الآية 164) (مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا) (سورة المائدة، الآية 32).

1 البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ، ج4، ص344 برقم 5341.

2 النورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج7، ص376.

3 المرجع نفسه، ج7، ص377.

والأمان والسلامة للمجتمعات الإنسانية، فيلفت النظر في رسائله المنورة إلى ظلم السياسة الحاضرة التي تضحي بالأكثرية في سبيل الأقلية، وتهدر دم الأبرياء، بينما عدالة القرآن الكريم لا تهدر دم بريء واحد لأي شيء كان، ولا حتى لأجل البشرية كافة، فالفرد والجماعة سواء في نظر العدالة الإلهية، فضلاً عن ذلك فإنه لو قتل شخص فاسد مغرور بريئاً واحداً ظلماً فإنه يصبح في وضع يؤهله لتدمير العالم والبشرية جمعاء إن استطاع. يقول الأستاذ في الكلمات منبهاً إلى هذه الحقيقة: "إن سياسة المدنية الحاضرة تضحي بالأكثرية في سبيل الأقلية، بل تضحي قلة قليلة من الظلمة بجمهور كبير من العوام في سبيل مقاصدها. أما عدالة القرآن الكريم فلا تُضحى بحياة بريء واحد، ولا تهدر دمه لأي شيء كان، لا في سبيل الأكثرية، ولا لأجل البشرية قاطبة. إذ الآية الكريمة (من قتل نفساً بغير نفس أو فساداً في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً) (المائدة 32)¹ وتضع سرين عظيمين أمام نظر الإنسان:

الأول: العدالة المحضة، ذلك الدستور العظيم الذي ينظر إلى الفرد والجماعة والشخص والنوع نظرة واحدة، فهم سواء في نظر العدالة الإلهية مثلما أنهم سواء في نظر القدرة الإلهية. وهذه سنة دائمة. إلا أن الشخص يستطيع - برغبة من نفسه - أن يضحى بنفسه، من دون أن يضحى به قطعاً، حتى في سبيل الناس جميعاً. لأن إزهاق حياته وإزالة عصمته وهدر دمه بإبطال حق الناس جميعاً شبيه بإزالة عصمتهم جميعاً وهدر دمائهم جميعاً.

والسر الثاني: هو لو قتل مغرورٌ بريئاً دون ورع، تحقيقاً لحرصه وإشباعاً لنزواته وهوى رغباته، فإنه مستعد لتدمير العالم والجنس البشري إن استطاع² (وعدالة القرآن هذه التي أشار إليها الأستاذ النورسي - التي تحفظ حق الحياة للفرد والجماعة على حد سواء ولا تهدر دم بريء واحد - أيضاً أكدت عليها السنة الشريفة فقد قال نبينا الأكرم عليه الصلاة والسلام: "لزوال الدنيا أهون على الله عز وجل من سفك دم مسلم

1 اورخان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، دار الفضيلة، القاهرة، د.ت، ص98، النورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم، ج1، ص856.

2 النورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم، ج1، ص862.

وزر أخرى) (الذي يحقق العدالة الحقّة والاتحاد ولأخوة)¹ (لذا يلزم لأهل السياسة الذين يسعون للحفاظ على سلامة البلاد ومصالحها وإرساء النظام أن يأخذوا هذه الحقيقة بنظر الاعتبار)².

الفكر القومي السلبي قوة مشؤومة تهدد حياة البشرية وتعزز ثقافة العنف:

إسهاماً منه- رحمه الله- في التنبيه والدعوة للأسس الإيمانية والقرآنية التي تكفل الأمن والأمان

والسلامة والطمأنينة للأمة فإنه يُلفت النظر في رسائل النور إلى "الذساتير المقدسة التي هي أساس التعاون الإسلامي والتي هي هدايا سماوية من القرآن الكريم، توثق الرابطة بين المسلمين، وهي: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)³، (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا))⁴ (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ))⁵

ويرى الأستاذ النورسي أن التباين بين البشر في صفات معينة- كاللون والجنس والثروة- هو مدعاة للتعارف والتعاون، فاستناداً إلى قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) ⁶ ، يقرر النورسي: أن الانقسام إلى طوائف وقبائل — كما تعلنه الآية الكريمة - ماهو إلا للتعارف والتعاون لا للتناكر والتخاصم"⁷)، وعند تجاوز مرامي الآية الكريمة- ينشأ الشعور القومي السلبي كما يؤكد الأستاذ "من الحرص على العرق والجنس الذي يسبب التناكر والتعاند"⁸)، فالقومية والعنصرية هي: "فكرة أو اعتقاد أو سلوك يقوم على الفصل بين الناس، أو

1 المرجع نفسه، ج7، ص375.

2 النورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج7، ص 374

3 سورة الحجرات، الآية 10.

4 سورة آل عمران، الآية 103.

5 سورة الأنفال، الآية 46.

6 سورة الحجرات، الآية 13.

7 بديع الزمان النورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط1، 1992م، ج2، ص414.

8 النورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم، ج8، ص 335.

فهاتان الآيتان تُعلّمان القاعدة الجليلة الآتية: لا يؤخذ أحد بجريرة لشخص آخر، ثم إن البرئ لا يُضحى به - حتى من أجل جميع الناس- دون رضاه، ولكن لو ضحى بنفسه بإردته وبرضاه فتلك مرتبة الشهادة: هذه القاعدة الجليلة هي التي تُرسي العدالة الحقّة في البشرية"¹

ويقرر الأستاذ "أن المدنية الحاضرة الغربية، لسلوكها طريقاً مناقضاً لأسس دساتير السماء وقيامها بمناهضتها، فقد طُفح كَيْلُ سيناتها على حسناتها... واضطرب أمن الناس واطمئنانهم، وأُلقوا وأسبنت سعادتهم الحقيقية"²

ويعود ويصف هذا القانون الأساس للمدينة الحاضرة في موضع آخر بأنه "يفني سعادة البشرية وراحتها وعدالتها وسلامتها"³ (وأنه قانون " يجعل الأخوة والمحبة والمواطنة التي هي ركائز الاتفاق والاتحاد هباءً منثوراً "⁴)

ثم يعود ويُنبّه إلى عدالة القرآن الكريم في مقابل ذلك القانون الوحشي فيؤكد "أن القانون العادل الحق والدستور السماوي المقدس وهو الآية الكريمة (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى))⁵ الذي يحقق المحبة والأخوة الصادقة وينفذ الأمة الإسلامية والبلاد من المخاطر... فلا يكون أحد شريكاً في جناية ارتكباها آخر ولو كان أخوه وعشيرته وطائفته وحزبه... فما لم يؤخذ هذا الدستور قانوناً أساساً فإن المجتمع البشري سيتردى برجعية وحشية إلى أسفل سافلين مثل الدمار الفظيع الذي ولدته الحربان العالميتان"⁶ (ويضيف قائلاً: " إن لطلاب القرآن وخدامه إزاء هذه المخاطر الفظيعة لهذه الرجعية الوحشية مئات من قوانين القرآن الأساسية من أمثال (ولا تزر وازرة

1 النورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج7، ص377.

2 المرجع نفسه، ج7، ص377.

3 النورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج7، ص 373.

4 المرجع نفسه، ج7، ص373.

5 سورة الأنعام، الآية 164.

6 النورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج7، ص 374.

على أن العداة ظلم شنيع يُفسد حياة البشرية: الشخصية والاجتماعية والمعنوية، بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة¹).

ويحذر الأستاذ النورسي وينبه إلى ” أن إنماء روح العداة إزاء المواطنين- في البلاد هلاك وأي هلاك وضرر وبيل²“²” فالتباغض والتنافر بين عناصر الإسلام وقبائله- بسبب من الفكر القومي- هلاك عظيم، وخطب جسيم... ونظر هؤلاء بعضهم لبعض نظرة العداة مصيبة كبرى لا توصف، بل أنه جنون أشبه بجنون من يهتم بلسع البعوض ولا يعبأ بالثعابين الماردة³(التي تحوم حوله ⁴).

وينحو الأستاذ بالتحذير من العداة الناجم عن القومية السلبية منحى إيمانياً فيؤكد» أن العداة للإخوان في الدين، وبدوره العداة للإسلام، إنما يمس القرآن،...، لذا فادعاء الغيرة القومية بنية خدمة المجتمع يهدم حجر الازوية للحياتين معاً، فهي حماقة كبرى وليست حمية وغيره قطعاً⁵).

والفكر القومي في أصله نوع من التعصب والأنانية والغرور والانحياز الأعم والعداء، ” والعداء يلزم أحياناً المغالين في التعصب الضلال والباطل⁶“. والله تعالى يقول: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَأَطْلُومٌ كَفَّارٌ)

« فميل الإنسان نحو الظلم لا يحد لا سيما إذا انضمت إلى ذلك الميل الأشكال الخبيثة للأنانية كالإعجاب بالنفس وتحري المصلحة الشخصية والكبر والفساد والغرور، تتولد ج ارائم بشعة لم تجد لها البشرية اسماً ¹).

فالعنصرية والقومية السلبية لا تعرف الحق والعدل إذ تقوم على أساس ظالم، وهي

1 أشار الأستاذ بذلك إلى أطماع أوروبا التي لا تقتر ولا تشبع كالثعابين الضخمة الفاتحة أفواهها للابتلاع. المرجع نفسه، ج2، ص415.

2 النورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، ج2، ص415.

3 المرجع نفسه، ج2، ص415.

4 النورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم، ج8، ص363.

5 المكتوبات، ج2، ص415.

6 النورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم، ج8، ص363.

شعور بالتفوق على الآخرين تدعمه السلطة والقوة، وتبرره صفات خاصة موجودة عند البعض ومحروم منها الآخرون، كاللون والجنس، والثروة والجاه ¹).

ونبه الأستاذ النورسي في المكتوبات إلى أن الفكر القومي فيه ” ذوق للنفس، ولذة تغفل، وقوة مشؤومة ²لذا فمن العسير أن“ يقال للمشتغلين بالحياة الاجتماعية في هذا الوقت: دعوا القومية! ³

ثم بين الأستاذ أن القومية نفسها على قسمين ” قسم منها مشؤوم مضر، يتربى وينمو بابتلاع الآخرين ويدوم بعداوة من سواه... وهذا يولد المخاصمة والنزاع... والثاني القومية الإيجابية وهي نابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية، وهي سبب للتعاون والتساند ⁴لذا فقد أكد في الكلمات أن القومية السلبية هي: ”منشأ الدمار والهلاك ⁵“، وقرر في السانحات من صيقل الإسلام ” أنها تنمو على حساب الآخرين، وهذه شأنها التصادم ⁶“ (فمنع العنصر هو ”التعصب العنصري والأنانية ⁷) كما حذرت الشعاات من رسائل النور.

ويؤكد الأستاذ النورسي أن العداة والحقد والشقاق والتنافر الناتج من الفكر القومي ” ترفضه الحقيقة والحكمة ويرفضه الإسلام الذي يُمثل روح الإنسانية الكبرى، فضلاً

1 محمد عابنة، العنصرية وعلاجها من منظور تربي إسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البرموك، كلية الشريعة، 2004م، نقلا عن عماد عبد الله الشريفي، المؤتمر العالمي التاسع لبيدع الزمان، العلم والإيمان والأخلاق لأجل مستقبل أفضل للإنسانية، ورقة بعنوان: العنصرية والقومية السلبية من خلال كليات رسائل النور، استانبول، 2010م. ص746.

2 النورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، ج2، ص414.

3 المرجع نفسه، ج2، ص414.

4 النورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم، ج8، ص357.

5 بديع الزمان النورسي، كليات رسائل النور، الشعاات، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط1، 1993م، ج4، ص346.

6 النورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، ج2، ص339، بديع الزمان النورسي، من كليات رسائل النور(21)، الإخلاص والأخوة، ترجمة: إحسان قاسم، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط5، 2008م، ص415.

7 النورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، ج2، ص415.

في المنتهى، والنتيجة في السقبل“³).

إذن فالأخوة الإنسانية المستندة على وحدة الأصل تستوجب التعاون والمساندة الذي هو دستور عمل الكون“ فإنه ما من شئ في هذا العالم إلا وكأنه يتطلع إلى الآخر فيغيثه، أو يرى الآخر فيشد من أزره ويعاونه... فيكمل الواحد عمل الآخر،... ويتوجه الجميع جنباً إلى جنب في طريق الحياة“⁴)

وإذا تقرر أن أج ازم الكون تُظهر تحبباً وأنسيةً وتسانداً وتعاوناً فلا بد أن يتحقق ذلك بين مكونات المجتمع البشري، أي شعوبها وقبائلها وأقوامها، ولا يتحقق ذلك بدهاءة إلا بتجاوز الفكر القومي والتمييز العنصري والتعصب العرقي، وكل ما من شأنه أن يوآد العنف والعداء والكرهية.

الانقسام والتنازع بين المسلمين مهآد أمني ومرض اجتماعي فتآك:

إن المجتمعات الإنسانية ولاسيما الإسلامية لا يمكن أن يكتب لها الاستقرار وأن تهناً بالأمن والطمأنينة في ظل الانقسام والفرقة والتنازع وقد وصف الأستاذ النورسي اختلاف المسلمين وتفرقهم وانقسامهم بالواقع الأليم والمرض الفتآك، وأكد أن السبيل لتغيير هذا الداء العضال هو الاسترشاد بنور القرآن والسنة، إذ يقول في اللمعات — على سبيل المثال — وطريق النجاة من هذا الواقع الباطل الأليم، والتخلص من هذا المرض الفتآك، مرض الاختلاف الذي ألم بأهل الحق هو اتخاذ النهي الإلهي في الآية الكريمة: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم))¹ واتخاذ الأمر الرباني في الآية الكريمة (وتعاونوا على البرِّ والتقوى))². دستورين للعمل في الحياة الاجتماعية“³

فالحياة في نظر رسائل النور لا تستقيم دون الوحدة والاتآاد والتساند وتفقد الجماعة مذاقها، ذلك ” أن الحياة نتيجة الوحدة والاتآاد، فإذا ذهب الاتآاد المندمج الممتزج، فالحياة المعنوية تذهب أد ارج الرياح، فالآية الكريمة: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم))⁴ تشير إلى أن التساند والترابط إذا اختل تفقد الجماعة مذاقها“. لذا فإن الأستاذ النورسي يؤكد في رسالة الأخوة ” أن الإيمان بعقيدة واحدة يستدعي حتماً توحيد قلوب المؤمنين بها على قلب واحد، ووحدة العقيدة هذه تقتضي وحدة المجتمع“⁶ (حيث لا يعرف التحيز والعداوة والك ارهية طريقاً إلى مثل هذا المجتمع، ” فالإيمان يؤسس الأخوة بين كل شئ، ولا يشند الحرص والعداوة والحقد والوحشة في روح المؤمن،

دعوى جاهلية تجاوزها الإسلام، يقول الأستاذ النورسي في المكتوبات:“ إن الأسس المتبعة في القومية والعنصرية أسس ظالمة لا تتبع العدالة ولا توافق الحق، إذ لا تسير تلك الأسس عل وفق العدالة، لأن الحاكم العنصري يفضل من هم بنو جنسه على غيرهم، فأنى له أن يبلغ العدالة، بينما الإسلام يجب ما قبله(2) من عصبية جاهلية، لا فرق بين عبد حبشي وسيد قرشي إذا أسلما... إذ لا تكون هناك عدالة قط وإنما تُهدر الحقوق ويضيع الإنصاف“³)

لذا فلا عدالة ولا إنصاف ولا حق ولا أمن ولا أمان ولا سلام يمكن أن تنعم به المجتمعات الإنسانية دون تجاوز النزعات العنصرية والعصبيات الجنسية التي وصفها النورسي بأنها السم القاتل(4)والداء الخبيث(5)والمرض الوبييل(6).

رسائل النور تؤكد على الأخوة الإنسانية والأخوة الإيمانية دفعاً للتنازع والاختلاف والعنف:

جاء الإسلام لتصحيح الأفكار الباطلة والأوضاع المعوجة للمجتمعات الإنسانية، والتي في مقدمتها العصبية والعنصرية التي كانت سببا يحول دون توحيد الناس وتعارفهم وتعاونهم، وسببا في التنازع والاختلاف المفضي إلى افتقاد عنصر الأمن والأمان والطمأنينة والوئام، لذا فقد نهى صلى الله عليه وسلم عن العصبية والتحيز والتعانن والتبعية العمياء قائلاً: ” ليس منّا من دعا إلى عصبية وليس منّا من قاتل على عصبية وليس منّا من مات على عصبية“⁷)

وأكد عليه الصلاة والسلام بأقواله وأفعاله على وحدة الأصل الإنساني وعلى أن المفاضلة بين إنسان وآخر وقوم وآخرين هو التقوى إذ يقول عليه أفضل الصلاة والسلام كما روى مسلم في صحيحه:“ أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى (1)، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم:“ كلكم لأدم وأدم خلق من ت ارب“).

فالإسلام مجتمع كبير يمتد حتى يشمل الإنسانية كلها بجميع أجناسها وألوانها ولغاتها في كل أرض وفي كل مكان وفي كل زمان، لذا فإن الأستاذ النورسي يقرر:“ أنه بسر الإيمان والتوحيد يرى أخوةً بين كل الكائنات، وأنسيةً وتحبباً بين أج ازئها لا سيما بين الأدميين، ولا سيما بين المؤمنين، ويرى أخوة في الأصل والمبدأ والماضي، وتلاقياً

وأبعد من ذلك فقد قرر الأستاذ النورسي أن الوحدة الإسلامية هي: « أوجب الفرائض في هذا الوقت »¹ (لذا فقد كانت الدعوة في رسائل النور ملحة إلى نبذ الخلافات والعداء والعنصرية سعياً لتحقيق الوحدة الإسلامية أو ما أسماه النورسي الاتحاد المحمدي)² (على أساس وحدة الدين).

القيام بالعمل والخدمة الإيمانية البناءة من أجل الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي:

إن المقصد العام للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض وحفظ نظام التعايش فيها وصالحها بصلاح المستخلفين فيها)³ (لذا " فإن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق، وصالح الخلق في تحصيل مقاصدهم ")⁴ (لذا يقول النورسي في الدرس الأخير الذي ألقاه — رحمه الله- قبل وفاته على طلبة النور: " إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البناء وليس السعي للعمل السلبي الهدام، والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن الرضى الإلهي... إننا مكلفون... بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي")⁵.

ولضرورة القيام بعمارة الأرض والأخذ بأسباب الترقى والتحضر في حياة الخلق ومصالحهم، يعد ترك الناس لها كما يؤكد الإمام الشاطبي مدعاة لانخراط النظام)⁶.

لذا فإن الاستخلاف في الأرض في نظر الأستاذ النورسي يعني القدرة على العمارة والإصلاح، لا على الهدم والإفساد، والقدرة على تحقيق العدل والطمأنينة، لا على الظلم والقهر، والقدرة على الارتفاع بالنفس البشرية والنظام البشري، لا على الانحدار بالفرد والجماعة إلى مدارك الحيوان)⁷.

فالإيمان الذي هو شرط تأهل الإنسان لخلافة الله في الأرض، والذي يستغرق النشاط الإنساني كله (الروحي والعقلي والفكري والبدني) لا يتجسد في الواقع المنظور إلا إذا أبرزه العمل الصالح البناء.

لذا كانت دعوة الأستاذ النورسي إلى العمل الصالح البناء القائم على أسس إيمانية والذي أطلق عليه (الخدمة الإيمانية البناءة) عريضة في رسائل النور، وخاصة في درسه الأخير، وتركيزه على هذه المسألة التي تُعين على الحفاظ على أمن وأمان واستقرار البلاد، يدل على عظيم حكمته ونظره الثاقب وحسن ترتيبه للأولويات،

إذ بالدقة يرى أعدى عدوه نوع أخ له...⁽⁷⁾. قد أصاب النورسي بتلك العبارة وأحسن القول " فالعقيدة الروحية التي بينها القرآن الكريم ينعكس نورها على الحياة الاجتماعية وهذا سر قوة الإسلام وسماحته ووحدته " ⁸ (وأمنه وأمانه).

ويصف الأستاذ النورسي بقاء الاختلاف بين المسلمين رغم الدوافع التي ينبغي أن تدفعهم إلى الوحدة— كالخطر الخارجي— " بأنه تدهور مخيف وانحطاط مفتح وخيانة بحق الإسلام والمسلمين " ⁹ (لذا فإن رسائل النور تطالب بوحدة المسلمين إذ " لا قيمة للجماعة المسلمة بلا اتحاد " ¹⁰ وتؤكد أن " الأخوة الإسلامية هي جوهر حياة المسلمين وروحهم ")¹ (فالوحدة تحول بين الأمة والانطفاء والزوال يقول الأستاذ النورسي في صيفل الإسلام: " إن حماية سلسلة الإسلام النورانية وتقوية رابطته التي تجعل المسلمين — بسر الأخوة الإيمانية- كياناً واحداً... هي وحدها نقطة الاستناد " وهي وحدها " نقطة الاستمداد" ... إن قطارت ولمعات النور كلما بقيت متفرقة وظلت متناثرة، جفت بسرعة وأنطفأت حالاً فينادينا رب العزة سبحانه قائلاً: (وَلَا تَفْرَقُوا) ² ((لَا تَقْنَطُوا)) ³ (ليحول بيننا وبين الانطفاء والزوال) ⁴.

وتقرر رسائل النور أنه لا وسيلة لإنقاذ البشرية من ويلات الإرهاب والعنف والفوضى والدمار إلا بوحدة المسلمين، ذلك " أنه لا يصمد أمام هذا الدمار الرهيب إلا وحدة المسلمين المنبثقة من حقائق القرآن، فمثلاً تكون هذه الوحدة وسيلة لإنقاذ البشرية من بلاء الفوضى والإرهاب فإنها تنقذ هذه البلاد أيضاً من سيطرة الأجانب وتنجي الأمة من مغبة الإرهاب، بل لا منقذ لها إلا هذه الوحدة " ⁵

وقد أرسل الأستاذ النورسي رسالة إلى المسؤولين تنبيهاً لهم بأن الوحدة الإسلامية هي العلاج تجاه الإرهاب والفوضى، وذلك في عهد حكومة الحزب الديمقراطي⁶ وقد أيد بديع الزمان تركيا في انضمامها لحلف بغداد عام 1955م، وكتب خطاباً هاماً يُهنئ فيه الرئيس جلال بيار ورئيس الوزاء مندرس ويبلغهما تأييده⁷ (وكان ممّا قال: إنه قضى خمساً وخمسين سنة من عمره لتحقيق المسألة، ومن وسائله لتحقيق الوحدة تأسيس مدرسة الزهراء، فهذه الجامعة الإسلامية، سوف تكون هي وسيلة لتحقيق السلام الشامل والتصالح على عدة مستويات، وازدهار العمل بالدستور القرآني، القائل (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) ⁸ ⁹

النور وخمسمائة ألف طالب من طلابها، قد أصبحوا كقوة معنوية ساندة للأمن ليصدوا تلك القوى الهدامة الرهيبة”³)

ويشهد لما قررته رسائل النور أنها معنية بإنقاذ الإيمان والتعمير وليس التخريب أحد أشهر تلامذة النورسي — مصطفى صغور(4) — إذ يقول: ” حاشا الأستاذ لم يلقنا دروساً غير أخلاقية، ولا دروساً في فن التخريب، بل لقنا دروساً في إنقاذ الإيمان“⁵)

ويؤكد الحقوقي الصحفي والكاتب الأستاذ أشرف أديب في مقاله (بعد فراق طويل) ” أن كل طالب لرسائل النور محافظ طبيعي لنظام وانتظام البلاد وحارس للأمن والأمان، ولم يقع أن تسبب إنسان من طلاب النور الذين بلغوا مئات الألوف عدداً وانتشروا في أرجاء الوطن كافة في حادث مغل بالأمم ”⁶)

وأبعد من ذلك فإن الأستاذ النورسي لعب دوراً إيجابياً في مرات عديدة في ” تهدئة المشاعر المتهيجة لدى الناس، خشية أن يُجَلَّ عوام الناس النظام وأمن البلاد بمداخلتهم في السياسة“⁷)

ومن ذلك أنه — على سبيل المثال — قام بتهدئة المشاعر الثائرة الجياشة للطلاب في جامع بايزيد، وفي المولد النبوي المقام في أيا صوفيا، وكذلك قام بتهدئة ثورة الناس وغضبهم في مسرح الفرح، ولولا خطب الأستاذ وكلماته المهدئة لعصفت عاصفة هوجاء مضرّة بهم وبأمنهم.)

ومن مساعيه الحميدة في الحفاظ على استقرار النظام والأمن وحفظ الدماء تأليفه بين القبائل المتنازعة، ومثال ذلك أنه في أثناء استقارره في مدينة وان(لسنوات، والتي ذهب إليها عام ١٨٩٤م، بجانب قيامه بالتدريس والإرشاد، انشغل في هذه الفترة أيضاً في السعي للصلح بين القبائل هناك، إذ كانت هذه القبائل في نزاعات مستمرة بعضها مع البعض الآخر، ممّا كان يؤدي إلى إراقة الدماء وإلى انتشار العداوة والبغضاء بينها لسنين عديدة، وكانت الإدارة العثمانية تخفق في حالات عديدة وتفشل في الصلح بين هذه القبائل بواسطة المسؤولين، ولكن(بديع الزمان) كان يستطيع بماله من محبة وتوقير لدى نفوس أبناء القبائل ورؤسائها أن ينجح في إزالة الخصومات

فكأنما أراد الأستاذ بذلك أن ينبه إلى أن غاية رسائل النور ومقصدها الأساس هي الخدمة الإيمانية، ووظيفة طلاب النور هي العمل الإيجابي البناء. لذا نجده يردد: إن في مسلكنا قوة، إلا أننا نقيم باستعمالها إلا في تأمين الأمن الداخلي»^١)، ويقول: إنني لم انحن تجاه التحكم والتسلط منذ القدم وهذا ثابت بكثير من الحوادث، فمثلاً عدم قيامي للقائد العام الروسي، وكما أنني لم أعر أية أهمية على أسئلة الباشوات في ديوان المحكمة العسكرية العرفية الذين كانوا يهددونني بالشنق والإعدام... إنني قابلت المعاملات الشائنة بحقي منذ ثلاثين سنة الأخيرة بالرضى والقبول، ذلك من أجل السعي للعمل الإيجابي والاجتناب عن السعي للعمل السلبي... لأن المسألة الأساسية في هذا الزمان هو الجهاد المعنوي، وإقامة السد المنيع أمام التخريبات المعنوية، وإعانة الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة»²).

الجهاد المعنوي لمجابهة التخريبات المعنوية وتحقيق الأمن الداخلي:

يؤكد الأستاذ النورسي أن مسلك رسائل النور دفاع لا اعتداء، تعمير لا تخريب»³) (وينبه مراراً أن مسلك القوة الذي يمتلكه طلاب النور لا يمكن استعماله إلا ضد الهجمات الخارجية أما التخريبات المعنوية الداخلية وتأمين الأمن الداخلي فيجابه بالعمل الإيجابي البناء وبكل ما يمتلكون من قوة)⁴ ويمضي الأستاذ النورسي في تعزيز مبدأ العمل الإيجابي لتأمين وتحقيق الاستقرار والأمن الداخلي من خلال التنويه والتنبية والتأكيد في مواضع عديدة من الرسائل أنّ هذا هو مسلكه ومسلك طلاب النور الأقوياء، الذين أصبحت قوتهم الإيمانية سبباً في الحفاظ على الأمن الداخلي والاستقرار إذ يقول على سبيل المثال في درسه الأخير: قد أحسن إلي المولى سبحانه وتعالى بملايين من الطلاب الحقيقيين، فنحن نقوم بالعمل الإيجابي البناء بكل

ما نملك من قوة في سبيل تأمين الأمن الداخلي)¹ (ويقول رحمه الله في الملاحق: ” لقد تحقق أن رسائل النور وطلابها هم كأف ارد أمن معنويين، يحاولون الحفاظ على الأمن والنظام في البلاد عن عقيدة، وقد نصبوا حارساً في كل قلب مؤمن بإرشاداتهم ونصائحهم، وشعر ضباط الأمن بهذا شعوراً معنوياً، فأظهروا لنا في كل وقت وجه الصداقة ”²) (لذا فيؤكد الأستاذ أنه ” على الرغم من وجود قوى معنوية رهيبة تحاول الإخلال بالأمن والنظام، وعلى الرغم من فعاليتهم ونشاطهم في البلاد كافة،...، لم يستطيعوا الإخلال بالأمن وما سبب ذلك إلا ستمائة ألف من نسخ رسائل

والمؤمن الصادق لا يؤيد الفوضى والإرهاب، فالدين والإيمان يمنعان الفتنة والفوضى بشدة.

3. ترى الرسائل أن انعدام الأمن والاستقرار في زماننا سببه الكذب الرهيب الذي تقتصره البشرية بتزييفها وافتراءاتها، لذا كانت الدعوة ملحة في رسائل النور إلى الصدق، إذ هو خاصة الإيمان ورأسه وأساس الإسلام، وعامل تحقيق الأمن والاستقرار.

4. نهت رسائل النور إلى أسس المدنية الشرعية الإيجابية والتي ينشأ عنها السلام والأمن والطمأنينة والسعادة والاتحاد ودعت إليها. وحذرت من أسس المدنية الحاضرة التي ينشأ عنها الاعتداء والتجاوز والتنازع والشقاء والدمار.

5. تؤكد رسائل النور أن أسس المدنية الحديثة بما يتولد عنها من وحشية وجرائم ودمار هي سبب شقاء الإنسانية، وأن القرآن لا يرضى بمدنية لا تضمن سعادة الجميع أو الأكثرية.

6. تقرر رسائل النور أن عدالة القرآن تحفظ حق الحياة ولا تضحي بحياة بريء واحد، بخلاف السياسة الحاضرة الظالمة التي تضحي بالأكثرية في سبيل الأقلية وتهدر دم الأبرياء.

7. ترى رسائل النور أن التضحية بالأفراد من أجل سلامة الأمة والجماعة والوطن- وهو القانون الأساس في حاضرتنا- هو سبب الهلاك والدمار والجرائم البشعة.

8. الفكر القومي السلبي والعنصرية في نظر رسائل النور قوة مشؤومة ومعاول هدم حضاري تهدد حياة البشرية وتعزز ثقافة العنف. لذا حذرت الرسائل من هذه الداء الخبيث والمرض الويل ووصفت له الدواء.

9. دفعاً للتنازع والاختلاف المفضي إلى غياب الأمن والأمان دعت رسائل النور إلى الأخوة الإنسانية والأخوة الإيمانية.

وإرساء الصلح والتفاهم بينها وبالتالي حفظ الأمن وحقق الدماء. لذلك نجد في إحدى محاكماته يؤكد أن تلاميذ النور وطلابها « لن يتركوا (رسائل النور)... حتى يضرروا بذلك الترك الوطن والشعب والنظام والأمن)4).

فرسائل النور كما يؤكد الأستاذ بجانب خدماتها الإيمانية التي تعود للأخرة فإنها في الوقت نفسه تقدم خدمة جلية أيضاً تعود فائدتها للدنيا وإنقاذ هذه الأمة والبلاد من براثن الفوضى وإنقاذ ضعفاء الجيل المقبل من مخالب الضلالة المطلقة، لأن المسلم لا يشبه غيره، فالذي يحل ربقة من الدين ليس أمامه إلا الضلالة المطلقة فيصبح فوضوياً إرهابياً، ولا يمكن دفعه إلى الولاء بالإدارة والنظام"5).

لذا نجد الأستاذ النورسي يذكر تلاميذه بأنهم لا يملكون سوى سيف النور البتار إذ يقول: "إننا نملك النور وحده، لا المطرقة والصلولجان، فلا بيد منا تعد على حقوق أحد قطعاً، ولكن إذا ما أعتدي علينا، نُظهر النور ونبيّنه، فنحن في حالة نوع من دفاع نو ارني"6)

وهكذا فإن دعوة النور قد أثمرت وأسفرت عن جيل وعن جماعة إيمانية قادرة على عمارة الأرض بالعمل الإيجابي البناء، في كل شعب الحياة وميادينها، ولا سيما ما يتصل منها بجانب الحفاظ على أمن وسلام واستقرار الأمة بل أمن وأمان وسلام المجتمع الإنساني قاطبة.

الخاتمة

من هذه الدراسة التي تتبعنا الأسس الإيمانية الكفيلة بتحقيق أمن واستقرار الأمة من خلال رسائل النور توصلت الباحثة إلى نتائج مهمة ، منها:

1. أنّ رسائل النور أخذت- في ظل تفاقم مشاكل العالم وأزماته- على عاتقها مسؤولية إعداد المجتمع المسلم لمنازلة ومغالبة الظلم والقهر والغبن والفوضى والإرهاب والخرب والدمار.

2. تؤكد رسائل النور أن ضلال البشرية وغياب الإيمان في قلب الإنسانية هو سبب البلى وانعدام الأمن وغياب السلام. وتؤكد أن المسلم الحقيقي

6. ابن حنبل: الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد، مؤسسة قرطبة، مصر، د.ت.
7. خان: وحيد الدين خان، الدين الكامل، الرسالة للإعلام الدولي، مصر، ط1، 1992م.
8. الخطيب: عمر عودة الخطيب، المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1980م.
9. أبو داؤود: سليمان بن الأشعث أبو داؤود السجستاني، سنن أبي داؤود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، د.ت.
10. أبو ربيع: إِبْ اِرهيم أبو ربيع، الإسلام على مفترق الطرق، رحلة في حياة وفكر بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة وتحقيق: محمد فاضل، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، 2005م.
11. الشاطبي: إِبْ اِرهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار المعرفة، بيروت، ط2، د.ت.
12. الشريفيين: عماد عبد الله الشريفيين، المؤتمر العالمي التاسع لبديع الزمان، العلم والإيمان والأخلاق لأجل مستقبل أفضل للإنسانية، ورقة بعنوان: العنصرية والقومية السلبية من خلال كليات رسائل النور، استانبول، 2010م.
13. الشوكاني: محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين الرواية والدارية من علم التفسير، دار ابن كثير، دمشق، ط2، 1998م.
14. الصالحي: إحسان قاسم الصالحي، نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط1، 2010م.
15. ابن عاشور: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

10. يرى الأستاذ النورسي أن وحدة المسلمين هي السبيل لإنقاذ البشرية والأمة من الدمار والفوضى والإرهاب والعنف، لذا أكد أن الوحدة الإسلامية المنبثقة من حقائق القرآن هي أوجب الف ارتض في هذا الوقت.
11. يؤكد الأستاذ النورسي أن مسلك رسائل النور دفاع لاعتداء، تعميم لا تخريب، وأن التخريبات المعنوية وتأمين الاستقرار والأمن الداخلي يجابه بالعمل الإيجابي البناء وبالجهاد المعنوي.

التوصيات: تُوصي الباحثة بإجاء المزيد من الدراسات والمؤتمرات التي تُسهم في حل مشكلات العالم وأزماته ولا سيما المتصلة بأمن واستقرار المجتمع الإنساني.

قائمة المراجع

القرآن الكريم

1. البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ضبط وترقيم وفهرسة: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط4، 1990م.
2. البيهقي: أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1994م.
3. الترمذي: أبو عيسى محمد بن علي بن سورة الترمذي، الجامع الصحيح، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وكمال يوسف الحوت، دار الفكر، بيروت، ط1، 1987م.
4. تيوفانوف: أ.د. تيسفيتان تيوفانوف، ندوة: سؤال الأخلاق في مشروع النورسي، ورقة بعنوان: مبادئ الإنسانية وتحديات العصر في نظرية سعيد النورسي» المغرب، سوزلر للطباعة والنشر، استانبول، 2008م.
5. ابن حبيب: الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري، الجامع الصحيح، مسند الإمام الربيع بن حبيب، تحقيق: محمد إدريس، عاشور بن يوسف، دار الحكمة، بيروت، 1415هـ.

16. علي: اورخان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ت).
17. الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المستنصر من علم الأصول، دراسة وتحقيق: حمزة بن زهير حافظ، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، (د.ت).
18. الفاسي: علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، المغرب.
19. الفيروز آبادي: مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م.
20. القرطبي: أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1935م.
21. ابن المبارك: عبد الله بن المبارك بن واضح، مسند الإمام عبد الله بن المبارك، تحقيق: صبحي البدري السام ارثي، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1407هـ.
22. ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1994م.
23. المناوي: الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط3، 1988م.
24. ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1944م.
25. النورسي: بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور (I) الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، استانبول، ط3، 1998م.

26. النورسي، كليات رسائل النور (2) المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم ، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط1، 1992م.
27. النورسي، كليات رسائل النور (3) اللمعات، ترجمة: إحسان قاسم ، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط1، 1993م.
28. النورسي، كليات رسائل النور (4) الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط1، 1993م.
29. النورسي، كليات رسائل النور (5) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط3، 1999م.
30. النورسي، كليات رسائل النور (6) المثنوي العربي النوري، تحقيق: إحسان قاسم ، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط4، 1999م.
31. النورسي، كليات رسائل النور (7) الملاحق في فقه دعوة النور، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط1، 1995م.
32. النورسي، كليات رسائل النور (8) صيقل الإسلام، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط1، 1995م.
33. النورسي، كليات رسائل النور (9) سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، د.ت.
34. النورسي، الاتحاد الإسلامي، مقتطفات من كليات رسائل النور لبديع الزمان النورسي، (د.ن)، (د.ت).
35. النورسي، من كليات رسائل النور (Iء) الإخلاص والأخوة، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ط5، 2008م.
36. النورسي، من كليات رسائل النور، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط6، 2009م.
37. الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).

أصول العروج إلى عرش الكمالات في رسائل النور للإمام النورسي

إعداد:

البروفيسور: د. يوسف ما ريكو

youssoufoumar@gmail.com

ملخص البحث

تتعلق أرضية هذا البحث كما هو واضح عبر عنوانه في توضيح رؤية النورسي من خلال رسائله النورية للأصول الأربعة التي توصل الإنسان إلى عرش الكمالات، وهذه الأرضية جاءت لتحقيق عملية الإدراك المتكامل بين الذات الإنسانية والمعراج القرآني عن طريق رؤية النورسي وتستحضر مفهوم الكمالية للإنسان من منظور رسائل النور في ضوء حقيقة قرآنية وسنة ربابية. وتستحضر الآليات التي يقترحها الأستاذ النورسي للرفي بالإنسان من الإيمان التقليدي إلى الإيمان الحقيقي. لكي تصل بالعقل الإنساني الذي وصل إلى درجة عالية من التعقيد، إلى الإقناع، والبحث يتطرق للأسس الفلسفية والنظرة الصوفية، فيوضح أن هناك أسبابا جوهرية وعميقة لهذه النظرة الصوفية، ليس فقط من نواح عملية وإجرائية وإنما أيضا من نواح نظرية وتاريخية ومن حيث النظرة العامة للعقل والقلب.

الكلمات المفتاحية: رسائل النور، عرش الكمالات، النورسي، العروج، الروح

ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية

The foundation of This research, as the title makes clear, relates to the clarification of Nursi's vision through his light letters on the four principles that lead man to the throne of perfection. Quranic truth and the divine Sunnah. He evokes the mechanisms proposed by Professor Nursi for the advancement of man from traditional faith to true faith. In order to reach the human mind,

which has reached a high degree of complexity, to persuasion, and research touches on the philosophical foundations and the mystical view, she shows that there are fundamental and deep reasons for this view mystical, not only from practical and procedural aspects, but also from theoretical and historical aspects and in terms of general vision of the mind and heart.

.Keywords: messages of light, throne of perfection, Nursi, Al-Nursi

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيتنا محمد وعلى آله وصحبه وإخوانه
أجمعين؛ وبعد:

رأيتُ - بعد النظر والتأمل - كتابة هذا البحث الموسوم ب: أصول العروج إلى عرش الكمالات في رسائل النور للإمام النورسي؛ وهي محاولة لإبراز نظرية النورسي في منهج دعوته، وهو بحث أردت من خلاله رصد نظرية النورسي، من خلال تقديم دراسة عن أفكاره في رسائل النور، التي فيها تكامل معرفي بين علم الشريعة وعلم الحقيقة.

أسباب اختيار الموضوع:

اخترتُ الكتابة في هذا الموضوع لعدد من الاعتبارات:

الأول: الرغبة في الإسهام -ولو بجهد المقل- في خدمة رسائل النور.

الثاني: أن نظرية رسائل النور، تظهر بشكل جلي في العلوم الإسلامية.

الثالث: أغلب الأبحاث المعاصرة التي تناولت دراسة أفكار النورسي، قدمت دراسات عامة ومجملية للتعريف بالأساسيات، ولم تركز على نظرية أصول العروج إلى عرش الكمالات بشكل المباحث والمطالب.

الرابع: أن الباحثين اهتموا بأفكار النورسي اهتماما بالغا، فقد حرروها وبينوا مسألها غاية البيان، سواء من الناحية المنهجية أو من الناحية الروحية.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث استخدام أكثر من منهج علمي واحد في إعداد هذا البحث، من ذلك المنهج

رصد الإضافات والإبداعات الفكرية التي تميزت وانفردت بها رسائل النور عن غيرها.

الدراسات السابقة:

كان لثلة من الباحثين دراسات حول نظرية النورسي في منهج دعوته، خاصة فيما يتعلق بأنواعها وتطبيقاتها، أما فيما يخص الأصول الأربعة التي توصل الإنسان إلى عرش الكمالات من خلال دراسة الأبعاد المنهجية في دراسة واقع الفكر الإسلام من ناحية التربية الروحية في نظرية سعيد النورسي، فإنني لم أقف بعد البحث والتقيب-عن دراسة تتقاطع مع هذا البحث المتواضع.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث وخاتمة ثم نتائج وتوصيات، وخاتمة.

المبحث الأول: ترجمة موجزة عن الامام النورسي.

المطلب الأول: مولده ونشأته.

المطلب الثاني: وفاته.

المطلب الثالث: وقفة تأملية حول رسائل النور.

المبحث الثاني: وقفات مع الأصول الأربعة إلى عرش الكمالات.

المطلب الأول: منهج محققي الصوفية، المؤسس على تركية النفس وعلى الإشراق.

المطلب الثاني: منهج علماء الكلام (الحدوث والامكان).

المطلب الثالث: مسلك الفلاسفة.

المطلب الرابع: المعراج القرآني وبلاغته المعجزة.

المبحث الثالث: نظرية كمالية الإنسان في رؤية النورسي.

المطلب الأول: الإنسان الكامل في رؤية النورسي.

المطلب الثاني: الإنسان الكامل في أقوال المتصوفة.

الخاتمة: وفيها النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال هذه الدراسة، وأهم التوصيات التي تخدم

غرض البحث..

الاستقرائي والمنهج التحليلي والمنهج المقارن، وذلك بوصف رسائل النور للإمام النورسي، وتحليل منهجها الروحي، والمقارنة بين منهج المتكلمين ومنهج النورسي.

وقد قمتُ بجملة من الخطوات الإجرائية منها:

جمع المادة العلمية من مظانها، غير أنني لم أذكر جميع ما في رسائل النور، وإنما اكتفيت بنماذج منها، وأمثلة مختارة.

وتقّث الأقوال المنقولة وعزوتها إلى مصادرها.

حللتُ المادة العلمية تحليلاً علمياً دقيقاً.

أهمية البحث:

لهذا البحث أهمية من وجوه منها:

- تكمن أهمية البحث في أنه لا توجد دراسة مستقلة لموضوع «الأصول الأربعة».

-إنه دراسة منهجية لتجربة دينية ذات بُعد تاريخي واجتماعي مهم.

-إنه محاولة للوقوف على آثار علامة من علماء تركيا.

-إن البحث يساهم في موضوع يشغل بال كثير من الناس في العالم المعاصر.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف، منها:

إحياء الأبعاد المنهجية في دراسة واقع الفكر الإسلامي من ناحية التربية الروحية في نظرية سعيد النورسي.

الإسهام في تطوير ما يمكن الاستفادة منه من مجهود سعيد النورسي، وذلك من خلال إبراز منهجه من منظور رسائل النور في تطبيق نظرية التكامل المعرفي والروحي.

التعريف بأصول الأربعة التي توصل الإنسان إلى عرش الكمالات، وتوضيح حقيقتها، وأقسامها، وتطبيقاتها.

لقدترك سعيد النورسي رحمه الله من خلفه موسوعة علمية أدبية إيمانية ضخمة، تسد حاجة هذا العصر، وتخطب مدارك أبنائه، وتدحض أباطيل الفلاسفة الماديين، وتزيل شبهاتهم من أسسها، وتثبت حقائق الإيمان وأركانه بدلائل قاطعة، وبراهين ناصعة، جمعت في ثمانية مجلدات ضخام، هي: الكلمات -المكتوبات -اللمعات -الشعاعات -إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز -المثنوي العربي النوري -الملاحق -صيقل الإسلام، وقد ترجمت إلى اللغات العربية والإنكليزية، والألمانية، والأردية، والفارسية، والكردية، والفرنسية، والروسية وغيرها. (1)

المطلب الثالث: وقفة تأملية حول رسائل النور أولاً: موضوعات رسائل النور

يبلغ عدد رسائل النور ١٣٠ رسالة، جمعت في عدة مجلدات، أولها يحمل اسم "الكلمات" ويضم ٣٣ رسالة، يطلق على كل منها كلمة، بدءاً من الكلمة الأولى، ثم الكلمة الثانية، حتى الكلمة الثالثة والثلاثين، وتحدث فيها عن الإيمان، والعبادة، والصلاة، والعلاقة مع الله، والدنيا والآخرة، والجنة والنار، والقرآن، والملائكة، والقدر، وتأديب النفس. (2)

ثانياً: سبب تسميتها برسائل النور

يقول الإمام النورسي في سبب تسميته لرسائل النور: «إن كلمة النور جابتهتي في كل مكان طوال حياتي، ففريقي اسمها «نورس»، واسم والدي المرحومة «نورية»، وأستاذي في الطريقة النقشبندية نور محمد، وأستاذي في الطريقة القادرية نور الدين، وأستاذي في القرآن الكريم نوري، وأكثر من يلازمي من طلابي من يسمون باسم النور «(3)». «وتعد رسائل النور تفسيراً حقيقياً للقرآن، وهي وثيقة الصلة به» (4)

ثالثاً: علاقة رسائل النور بالقرآن الكريم

«إن رسائل النور برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيم له، وهي لمعة براقعة من لمعات إعجازه المعنوي، ورشحة من رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس، وحقيقة ملهمة، وترجمة معنوية نابعة من فيوضاته.» (5) ونجد الإمام نفسه يتحدث عن الأسباب التي دفعته إلى كتابة هذه الفيوضات

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يرفع بهذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

المبحث الأول: ترجمة موجزة للإمام سعيد النورسي

المطلب الأول: مولده ونشأته

بديع الزمان سعيد النورسي شخصية فريدة ومهمة بالنسبة للعالم الإسلامي، كان نموذجاً متقدراً للداعية الإسلامي وهو أحد أبرز علماء الإصلاح الديني والاجتماعي في عصره. ولد في قرية نورس الكردية في ولاية بتليس شرق تركيا سنة (١٨٧٧ - ٢٣ آذار ١٩٦٠)، ولغته الأم هي الكردية، وأجداد التركية لغة الخلافة العثمانية، ودرس القرآن وعلوم الدين في شرقي تركيا، وكان متميزاً بين أقرانه صاحب ذكاء خارق قوي الحافظة، وتنقل بين عدة مدارس في المنطقة لأنها لم تكن تلبى رغباته، وكان يناقش العلماء وهو طالب، فسموه (سعيد المشهور)، حفظ كتاب (جمع الجوامع) في أصول الفقه لابن السبكي خلال أسبوع، وألفية مالك وكتاب «(الجاحي)(1)» في مدة قليلة، وفي مدينة بتليس حفظ (القاموس المحيط) للفيروز آبادي حتى باب السين، وحفظ كتباً أخرى عن ظهر قلب، ولذكائه الخارق ذاعت شهرته فأطلق عليه لقب «بديع الزمان»، ولم يكتب بالعلوم الدينية والعربية بل طالع الكتب العلمية كالفلك والجيولوجيا والرياضيات والفلسفة الحديثة والتاريخ والجغرافيا حتى أفحم أساتذتها المتخصصين(2).

المطلب الثاني: وفاته.

توفي سعيد النورسي رحمه الله في الخامس والعشرين من رمضان المبارك سنة 1379 هـ الموافق 23 مارس 1960م، وتم دفن رفاتة في مدينة أورفة. ولكن السلطات العسكرية الحاكمة لتركيا لم تدعه في قبره إذ قاموا بعد أربعة أشهر من وفاته بهدم القبر ونقل رفاتة بالطائرة إلى جهة مجهولة وبعد أن أعلنوا منع التجول في مدينة أورفة. فأصبح قبره مجهولاً حتى الآن لا يعرفه الناس. (3) رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

1 <https://ilkha.com/arabi/latest/7623> ذكرى- وفاة- بديع- الزمان- سعيد- النورسي

2 النورسي، المكتوبات، دار السنابل الذهبية، القاهرة، ط 1 2013م، ص. 223

3 النورسي، سيرة ذاتية، ص. 235

4 المرجع السابق، ص. 233

5 <https://alwasateia.com>

1 بديع الزمان سعيد النورسي سيرة ذاتية، ص. 122.
2 إحسان قاسم الصالحي: بديع الزمان سعيد النورسي، ص. 6.
3 بديع الزمان سعيد النورسي (قراءة جديدة في فكره المستنير) - تأليف الدكتور جمال الدين فالح الكيلاني بالاشتراك مع الدكتور زياد حمد الصميدعي - الناشر دار الزينقة - القاهرة 2013. ص. 235

انتقخت مقلته فكانت الحقول تخضر لنشيجه وكانت الثمار تزدهي لشهيقه وكانت الرياح تهب الهويني خاشعة عند مسجده فليست تؤذي من غرسه الكريم من شجر ولا ثمر»^(١) ويقول أيضا رحمه الله: «إنما تحتاج لبعض الصفاء لترى. فما كان لفاقد النور أن يبصر شيئاً.»^(٢) ويقول بديع الزمان: «إن طلاب رسائل النور الحقيقيين يرون خدمة الإيمان فوق كل شيء ء فحتى لو منحوا درجة القطبية يفضلون عليها خدمة الإيمان، حفاظا على الإخلاص»^(٣) فرسائل النور كما يقول النورسي: «ليست مسائل علمية عقلية وحدها بل أيضا مسائل قلبية وروحية»^(٤).

المبحث الثاني: وقفات مع الأصول الأربعة إلى عرش الكمالات

يستطرد النورسي في عرض الأربع طرق في الوصول إلى الله تعالى قائلا: "إن أصول المعاريح إلى عرش الكمالات التي تسمى ب «معرفة الصانع» أربعة: أولها: منهج محققي الصوفية، المؤسس على تركية النفس وعلى الإشراق. ثانيها: طريق المتكلمين المبني على «الحدوث والإمكان». فمع أن هذين الأصلين قد تشعبا من القرآن الكريم، إلا أن فكر البشر قد أفرغهما في صورة أخرى مختلفة فأصبحا منهجين طويلين واستشكلا، ولم يبقيا محفوظين من الأوهام. ثالثها: مسلك الفلاسفة المشوب بالشبهات. رابعها وأولها: المعراج القرآني الذي يعلن المرتبة العليا لبلاغة القرآن، والذي هو أسطع تلك الطرق جزالة، وأقصرها استقامة، وأشملها لجميع البشر وضوحا»^(٥) وللبلوغ إلى عرش هذا الأصل هناك أربع وسائل: الإلهام، التعليم، التزكية، التدبر. هذا وإن للقرآن الكريم في معرفة الله سبحانه، وإثبات وحدانيته طريقين: الأول: دليل العناية والغاية. ان جميع الآيات الكريمة التي تعدّ منافع الأشياء، وتذكر حكمتها، هي نساجة لهذا الدليل، ومظاهر لتجلي هذا البرهان. فالمشروع التجديدي «الأصول الأربعة إلى عرش الكمالات» لبديع الزمان النورسي هو على المستوى المنهجي مقارب للتصوف ومفارق له في الآن ذاته. وبيان ذلك يتضح بالمقارنات الآتية. وسأفرد كل قسم من هذه الأقسام بمطالب.

المطلب الأول: منهج محققي الصوفية، المؤسس على تزكية النفس وعلى الإشراق.

الروحية يقول:

« صرفت كل همي ووقتي إلى تدبر معاني القرآن الكريم ، وبدأت أعيش حياة « سعيد الجديد » ، أخذتني الأقدار نفيا من مدينة إلى أخرى..... وفي هذه الأثناء تولدت من صميم قلبي معاني جليلة نبعة من فيوضات القرآن الكريم. أمليتها على من حولي من الأشخاص، تلك الرسائل التي أطلقت عليها « رسائل النور »، إنها انبعثت حقا من نور القرآن الكريم لذا نبع هذا الاسم من صميم وجداني، فأنا على قناعة تامة ويقين جازم بأن هذه الرسائل ليست مما مضغته أفكاره وأنها إلهام إلهي أفاضه الله سبحانه وتعالى على قلبي من نور القرآن الكريم، فباركت كل من استسخها، لأنني على يقين أن لا سبيل إلى حفظ إيمان الآخرين غير هذه السبيل، وهكذا تلقفتها الأيدي الأمانة بالاستسوخ والنشر، فأيقنت أن هذا تسخير إلهي وسوق إلهي لحفظ إيمان المسلمين..... فاستشعرت بضرورة تشجيع كل من يعمل في هذه السبيل امتثالا بما أمرني به ديني....»^(١) ويقول جمال الدين فالح الكيلاني: «كرس النورسي حياته بعد تحوله الحاسم إلى «سعيد الجديد» للقيام بمشروع سماه «إنقاذ الإيمان وخدمة القرآن». يقوم المشروع على تحويل إيمان الناس من مجرد إيمان تقليدي موروث إلى إيمان تحقيقي مشهود، كما يقوم مشروعه في شقه الآخر على تبيان «حقائق» القرآن للناس وأبرزها التوحيد والنبوة والحشر»^(٢). ويقول إحسان قاسم الصالحي مترجم رسائل النور. «كليات رسائل النور التي ألفها بديع الزمان سعيد النورسي تضم تسعة أجزاء سجل فيها الأستاذ النورسي كل ما استلهمه من نور القرآن الكريم من معاني الإيمان وأملاها على محبيه في ظروف عسيرة بقصد إنقاذ إيمان الناس في هذا العصر العصيب بإحياء معاني القرآن ومقاصده في النفوس والعقول والأرواح. فوضع سعيد النورسي في يد الجيل الجديد منهلا ثريا ونبعاً قرآنياً صافياً يحفظ عليهم دينهم وإيمانهم ويظهر قلوبهم وعقولهم مما قد علق بها من الأباطيل.»^(٣) ونجد الأستاذ الدكتور فريد الأنصاري متأثراً برسائل النور فيقول: «عندما عثر الفتى على رسائل النور أدرك انه هو المخاطب بها خصيصا وعلم ان عليه ان ينجز الخطوة الثانية وان يرعي بذورها حتى تؤتي ثمارها وأدرك ان هذه الفلاحة ليست ترتوي بغير دموع العاشقين ومن ثم لم يزل يبكي حتى

1 فريد الأنصاري، عودة الفرسان ص22.

2 المرجع السابق، ص2.

3 لنورسي، الملاحق، قسطموني، ص 218

4 بديع الزمان سعيد النورسي: كليات رسائل النور، المكتوبات، إعداد وترجمة احسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة،

الطبعة السادسة، ص999.

5 النورسي، اللغات، دار السنابل الذهبية، القاهرة، ط 1 2010م.418.

1 بديع الزمان سعيد النورسي (قراءة جديدة في فكره المستنير) -تأليف الدكتور جمال الدين فالح الكيلاني بالاشتراك مع الدكتور زياد حمد الصمديعي -الناشر دار الزنيقة -القاهرة 2013

2 بديع الزمان النورسي، عرفان رشيد شريف، جامعة السليمانية، كلية العلوم الاسلامية، مجلة جامعة الانبار، المجلد 7، العدد 28، ص 437

3 إحسان قاسم الصالحي: بديع الزمان سعيد النورسي، ص6.

2. تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام والمعاصي الظاهرة.

3. تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والذائل الممقوتة والصفات المهلكة.

4. تطهير السر عما سوى الله عز وجل (1).

فإذا استعان الإنسان بذلك الجند حصلت التزكية، ونال ثمارها، وكان من أهل قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس:9) وإذا أهملها كان من أهل قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس:10) (2)

ولتوضيح ضرورة التزكية وأثرها في المحافظة على حقيقة الإنسان وتوازنه يضرب النورسي أمثلة كثيرة عن علاقة قلب الإنسان بالقوى المودعة فيه.

وانطلاقاً من القرآن الكريم، الذي حثَّ في الكثير من آياته على ضرورة التزكية، واتساقاً مع تركيز الأستاذ النورسي على الجانب العملي في «التربية الروحية»، أكد بديع الزمان أنَّ الطرائق إلى الخالق عزَّ وجلَّ كثيرة ومتعددة، لكنَّ مردّها جميعاً إلى القرآن الكريم، ويتابع قائلاً: «وقد استفدتُ من فيض القرآن الكريم طريقاً قصيراً وسببلاً سويًا هو: طريق العجز، الفقر، الشفقة، التفكر».

وتأكيداً على «مركزية التزكية» في منهج الأستاذ النورسي التربوي العملي نراه يشدّد على ضرورة التزكية بوصفها تُمثّل المنبع الأول للطريق الصوفي الصحيح. يقول في ذلك: «أمّا منابع هذه الخطوات الأربعة من القرآن الكريم فهي: ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ﴾؛ تشير إلى الخطوة الأولى (العجز). وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾؛ تشير إلى الخطوة الثانية (الفقر). وقوله: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ تشير إلى الخطوة الثالثة (الشفقة). وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾؛ تشير إلى الخطوة الرابعة (التفكر).

وأخيراً يشدّد النورسي على ضرورة التزكية وأهميتها في الخطوة الرابعة (التفكر)؛ فتزكيئها في هذه الخطوة هي معرفة أنّ عدمها في وجودها ووجودها في عدمها؛ أي إذا رأت ذاتها وأعطت لوجودها وجوداً، فإنّها تغرق في ظلمات عدم يسع الكائنات كلها، كأنّها اليراعة في ضيائها الفردي الباهت في ظلمات الليل البهيم. ولكن عندما تترك الأناية والغرور ترى نفسها حقاً أنّها لا شيء بالذات؛ وإنما هي

1 حجة الإسلام الإمام أبو حامد محمد الغزالي الإحياء 1/126. ص22.

2 المرجع السابق 3/49.

إن التصوف علم يبحث في الأخلاق وتزكية النفس وكيفية تصفيتها من أمراضها و«للوصول إلى الله سبحانه وتعالى طرائق كثيرة، وسبل عديدة. ومورد جميع الطرق الحقّة ومنهل السبل الصائبة هو القرآن الكريم، إلا أن بعض هذه الطرق أقرب من بعض وأسلم وأعم.» (1)

بناء عليه سنحاول في هذا المطلب استخلاص تصور الإمام سعيد النورسي لحقيقة التزكية.

مفهوم التزكية: لغة: تتوارد على مادة (زكا) في اللغة العربية المعاني الآتية:

١ . **النمو والبركة، ومنه قول الشاعر:**

والمال يزكو بك مستكبراً يختال قد أشرق للناظر

2. **الصلاح والتقوى، يقال: رجل زكي، أي تقي صالح.**

3 . **الطهارة، ومنه زكاة المال أي طهارته (2).** اصطلاحاً:

يعرف الغزالي التزكية (3) بأنها: تطهير القلب عما لا يحبه الله عز وجل (4)، وهي بذلك تشكل شرط الإيمان كما نص الرسول على ذلك بقوله: (الطهور شرط الإيمان) (5)، وهو ينفي أن يكون المراد بالحديث مجرد تطهير الظواهر وتنظيفها بإفاضة الماء وإلقائه عليها، مع تخريب الباطن وبقائه مشحوناً بالخبايا والأقدار، بل إن المراد بالتطهير في الحديث كما يفهمه الغزالي يشمل أربع مراتب تشكل بمجموعها حقيقة التزكية الشاملة وتلك المراتب هي:

1. تطهير الظاهر عن الأحداث والأخبار والفضلات، كما نصت على ذلك الأحكام الفقهية والسنة الشرعية.

1 النورسي سيرة ذاتية 210

2 ابن منظور، لسان العرب، (مادة زكا)، 14/358 رقم 9023.

3 يطلق عليها الغزالي كعادته في الكثير من المصطلحات (رياضة النفس) و(تهذيب الأخلاق) و(معالجة أمراض القلب)، انظر: الإحياء 3/48.

4 حجة الإسلام الإمام أبو حامد محمد الغزالي الأربعين في أصول الدين ص78.

5 مسلم، الجامع الصحيح، (كتاب الطهارة)، 1/203 رقم 223.

يعرفه النورسي من خلال استنطاق بعض نصوص رسائل النور، بقوله:.... «تصديق الحقائق الإيمانية بعلم اليقين درجة البداهة والضرورة وبقوة تبلغ درجة من حق اليقين وذلك بفيض من أسرار الوحي الإلهي من جهة الإيمان بالغيب وبطرار برهاني وقرآني يمتزج فيه العقل والقلب معا»^(١) ومن هنا يتضح أن النورسي ينهض بالتعريف التقليدي لعلم الكلام حيث إنه وضع مفهوماً لذلك العلم يختلف عن المفهوم التقليدي له من حيث الغاية والمنهج حيث أنه يرى أن غاية هذا العلم ليس مجرد الدفاع عن العقيدة الإسلامية ضد منتقديها كما جاء في مفهومه التقليدي، بل لقد أضاف النورسي إلى هذه الغاية غاية أخرى وهي تثبيت قواعد الإيمان في القلوب وإبرازها والتمسك بها، فغاية علم الكلام لا تنحصر في الذب عن العقيدة الإسلامية، وهذه هي الغاية التي يتفق فيها مفهوم النورسي لعلم الكلام مع المفهوم التقليدي لذلك العلم أما عن آليات ومنهج ذلك العلم، فنجد النورسي لا يعتمد فقط على منهج المتكلمين القدامى وهو الحجاج العقلي، بل إنما أضاف إليه المنهج القلبي. وتجدر الإشارة هنا أن أسس النورسي في تثبيت قواعد الإيمان يقوم على مخاطبة العقل والقلب معا، وعلى هذا الأساس يقوم منهج علم الكلام عند النورسي. وهنا يتضح أن النورسي يرى أن طرق إثبات الحقائق الإيمانية عديدة ومتنوعة غير أن أسس وأقوى هذه الطرق كما يؤكد النورسي هو طريق علم الكلام، ويرى أن لعلم الكلام طريقتين، الأولى ممدوحة وهي طريق أهل السنة والجماعة، والثانية مذمومة وهي طريق أهل البدع الذين حكموا العقل في كل آرائهم وذلك بسبب افتنائهم بالموروث الفلسفي اليوناني وعلى رأس هؤلاء المعتزلة. وفي هذا الصدد يقول النورسي:«... وكذا أئمة المعتزلة، وهم من علماء الكلام المتبحرين، فلأنهم افتتنوا بالفلسفة وزينتها وأوثقوا صلتهم بها وحكموا العقل، لم يظفروا بسوى درجة المؤمن المبتدع الفاسق». (١) هذه في عجالة أهمية ومكانة علم الكلام في فكر النورسي ومن هنا كان النورسي على قناعة تامة بضرورة بث روح جديدة في علم الكلام يستطيع خلالها مسابرة التطور الفكري والثقافي والقيام بمهمته في الدفاع عن الدين. ولقد وجد النورسي في علم الكلام غايته في إنجاز هذه المهمة.

ومن جملة ما سبق وباعتماد النورسي على القرآن الكريم كأساس أولي في محاولته للنهوض بعلم الكلام، أطلق بعض الباحثين على هذا الطريق الذي سلكه النورسي في محاولته هذه بأنه علم كلام جديد أو علم قرآني مبني على القرآن ويستقي من القرآن المنهج والمصطلح.^٣

1 بديع الزمان سعيد النورسي: -الملاحق، ص79.

2 بديع الزمان سعيد النورسي: كليات رسائل النور، الكلمات، إعداد وترجمة احسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة السادسة، ص99.

3 محسن عبد الحميد: -النورسي متكلم العصر الحديث، ص999

مرآة تعكس تجليات موجدتها الحقيقي، فتظفر بوجود غير متناهٍ، وتربح وجود جميع المخلوقات. (١)

ويمكن تلخيص تصور النورسي للتركيبية . انطلاقاً مما سبق . بأنها الطريق الذي يسلكه المؤمن لتحقيق الكمال، وذلك الطريق كما يراه النورسي صعب ومجهد، فكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه، وبعدت غايته وكثرت عقباته. وكان قدوم بديع الزمان الى طرق التصوف فقطة تحول في حياته التي سجلها التاريخ بأحرف من نور كما حسن في حياة إمام النورسي. أنه لم يقتصر جهوده في الأعمال الاجتماعية بل زكى التصوف من الضلالة والفسوق.

المطلب الثاني: منهج علماء الكلام

أولاً: مفهوم علم الكلام عند علماء الكلام

يعرف «أبو نصر الفارابي» علم الكلام بقوله: «صناعة الكلام ملكة يقتدر بها الإنسان على نصره الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة وتزييف ما خالفها بالأقوال»^(٢) وعرف بأنه: «علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه»^(٣). وقال ابن خلدون يعرفه أنه: «هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية»^(٤). وعرف أيضاً بأنه: «علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام»^(٥). وكذلك عرفه طاش كبري زاده، بأنه «علم يقتدر معه على إثبات الحقائق الدينية بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها وعرف أيضاً بأنه: «باب من الاعتبار في أصول الدين يدور النظر منه على محض العقل في التحسين، والتقيح، والإحالة، والتصحيح، والإيجاب، والتجوز، والاقتدار، والتعديل، والتحوير، والتوحيد، والتفكير»^(٦).

ثانياً: مفهوم علم الكلام عند النورسي

1 <https://islamonline.net>

2 الفارابي، أبو نصر. - إحصاء العلوم. - تحقيق وتقديم عثمان أمين، القاهرة، ط 3، 1968. ص.131.

3 الانجيل مواقف في علم الكلام ص: 7.

4 ابن خلدون المقدمة ص: 458.

5 الجرجاني التعريفات ص: 162.

6 المرجع السابق، ص64.

الفلاسفة المسلمين كالفارابي وابن سينا لم ينالوا إلا أدنى درجات الإيمان لأنهم اتخذوا (الفلسفة اليونانية) أستاذًا لهم (١).

المطلب الرابع: المعراج القرآني وبلاغته المعجزة

يعتبر بديع الزمان النورسي من أبرز المصلحين الذين انطلقوا في تأسيس مشروعهم على القرآن الكريم، ويظهر ذلك جليا من خلال قوله: "إن رسائل النور ليست كالمؤلفات الأخرى التي تستقي معلوماتها من مصادر متعددة من العلوم والفنون فلا مصدر لها سوى القرآن الكريم ولا أستاذ لها إلا القرآن، ولا ترجع إلا إلى القرآن» (ولقد أفرد النورسي في رسائل النور نصوصا عديدة دفعته إلى الاعتماد على القرآن الكريم ونستهل هذه النصوص بتلك التعريفات التي ساقها النورسي للقرآن الكريم، وفي هذا الصدد ذهب إلى القول: أن القرآن الكريم « هو الترجمة الأزلية لكتاب الكائنات الكبير والترجمان الأبدى ألسنتها المتنوعة ومفسر كتاب العالم وكذا هو خريطة مقدسة للعوالم الأخروية الترجمان الساطع لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤون» (٢) ذلك أن «طريق القرآن» عنده - رحمه الله تسلك بالبعد إلى ربه عبر نفسه الواعية، اليقظة، من خلال مسلك الوجود وذلك كمال الابتلاء وكمال التوحيد. (٣) ومن تأمل تعريف النورسي للقرآن يدرك مدى العمق الذي تغلغل إليه التعامل مع القرآن وبالقرآن في حياة النورسي.

فمن سياق هذا النص يتضح لنا أن النورسي يرى أن المعراج القرآني هو الطريق الذي يصفه القرآن الكريم للوصول إلى الله تعالى، ويرى الغزالي اجتماع كل سبل القرآن ومناهجه السلوكية في التبتل (٤)، وهو الانقطاع التام لله تعالى والتفرغ له كما قال تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ (المزمل: ٨) وعمدة السلوك القرآني أمران: الملازمة والمخالفة، أما الملازمة فهي الانشغال التام بذكر الله تعالى، وأما المخالفة فهي ترك كل ما يشغل عن الله، ونتيجة هذا السلوك هي بلوغ الفلاح كما قال تعالى: ﴿

1 412 محسن عبد الحميد، النورسي متكلم العصر الحديث، ص 188 . 195.

2 بديع الزمان سعيد النورسي: -الملاحق، ص 999.

3 بديع الزمان سعيد النورسي: -الكلمات، ص-999 وأنظر أيضا إشارات الإعجاز، ص 99

4 فريد الأنصاري، بديع الزمان النورسي من برزخ التصوف إلى معراج القرآن، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، العدد التاسع، يناير 2014 ص 90

5 التبتل . لغة . يعني الانقطاع، يقال للعابد إذا ترك كل شيء، وأقل على العبادة قد تبتل، أي قطع كل شيء إلا أمر الله وطاعته، انظر: ابن منظور، لسان العرب 11/42 رقم 6643.

المطلب الثالث: مسلك الفلاسفة

لقد اطلع النورسي على مدارس الفلسفة المتنوعة منذ عصر اليونان إلى زمانه، لكنه رفضها ورفض مناهجها المخالفة للإسلام إلا إذا استجابت للدين وانقادت له فحينئذ تنتعش الإنسانية بالسعادة وتعيش حياة اجتماعية سليمة، والحق أن كثرة المدارس الفلسفية وتنوع آراء الرجال فيها دليل على عدم عصمة الفلسفة، فهي اجتهادات العقول البشرية خارج الوحي، وسبب هذا انحرافا في فهم ماهية (أنا) في الإنسان، فقابلوا بالكفر دلائل الوجدانية كلها، فالفلسفة الملحدة إنما هي سفسطة لا حقيقة لها لأنها تجاهلت نظام الكون وأسراره، ولا تجيب على أسئلة العقول وتجاهلها (١)؛ وبذلك حصل الطغيان في (أنا) الإنسان عندما تحول الوهم إلى الحقيقة في جانب الخير، فأنكر ربوبية الخالق، وبدل أن يدرك بعلمه الجزئي علم الله المطلق لم يعترف بوجوده أصلاً، وهكذا نسي (أنا) حكمة خالقه معتقداً بنفسه أنه المالك الحقيقي ولا مالك غيره. ويدخل النورسي في مقارنة واقعية بين نتائج حكمة القرآن وحكمة الفلسفة وما يعطيه كل منهما من تربية للمجتمع الإنساني فيقول: إن حكمة الفلسفة ترى (القوة) نقطة الاستناد في الحياة الاجتماعية، وتهدف إلى (المنفعة) في كل شيء، وتتخذ الصراع دستوراً للحياة، وتلتزم (بالعنصرية) والقومية السلبية رابطة للجماعات؛ أما ثمراتها فهي إشباع رغبات الأهواء والميول النفسية التي من شأنها تأجيج جموح النفس وإثارة الهوى، ومن المعلوم أن شأن القوة هو (الاعتداء)، وشأن المنفعة هو (التزاحم)، وشأن (الصراع) هو (النزاع والجدال)، وشأن (العنصرية) هو (الاعتداء) إذ تكبر بابتلاع غيره وتتوسع على حساب العناصر الأخرى؛ ومن هنا نرى لماذا سلبت السعادة من البشر. وليس موقف النورسي من الفلسفة عدائياً، وإنما هو يميز بين الفلسفة الخادمة والفلسفة الكافرة الجاحدة التي ترفض مبادئ الدين الحق (الوحي الإلهي).

والأستاذ النورسي لا يرفض الفلسفة المادية فقط وإنما يرفض ما يسمى بالفلسفة الإلهية القديمة التي تحولت إلى أبواب من الشرك ممثلة بروادها اليونانيين وتلامذتهم من المسلمين كالفارابي وابن سينا، وإذا كان الإشرافيون الذين هم أرقى الفلاسفة والحكماء فهما يتقوهون بالسخف من الكلام فكيف يكون -يا ترى- كلام من هم دونهم في الفلسفة والحكمة من ماديين وطبيعيين (٢)؛ لكل ذلك يعتقد النورسي أن

1 الكلمات، ص 639.

2 المرجع السابق، ص 640.

3 الكلمات، ص 644.

كتاب العالم. وكذا هو لسان الغيب في عالم الشهادة. وكذا هو أساس وهندسة وشمس لهذا العالم المعنوي الإسلامي. ومرتب لهذا العالم الإنساني. وماء وضيء للإسلام الذي هو الإنسانية الكبرى... ثم إنه للإنسان: كما أنه كتاب شريعة كذلك هو كتاب حكمة، وكما أنه كتاب دعاء وعبودية كذلك هو كتاب أمر ودعوة، وكما أنه كتاب ذكر كذلك هو كتاب فكر، وكما أنه كتاب واحد، لكن فيه كتب كثيرة في مقابلة جميع حاجات الإنسان المعنوية، كذلك هو كمنزل مقدس مشحون بالكتب والرسائل». (١)

بناء على هذا التعريف الجامع البديع لم يقتنع بديع الزمان سعيد النورسي بأي منهج من المناهج في طلبه للمعرفة الكاملة؛ وإنما اتبع مسلك القرآن وحده للوصول إلى الله، لأنه أقرب المسالك وأسلمها من الآفات والمعاطب، وأشمله لبنني الإنسان، يسترسل النورسي في هذا الموضوع ذي الأهمية، فيبسطة في أكثر من رسالة من رسائل النور، مبيناً الفروق الحاصلة بين الذين يستلهمون نهجهم المعرفي من القرآن الكريم، ذلك المنهج الأقوم، والذين يسلكون نهج المعرفة الكلامية العقلية، أو نهج المعرفة الصوفية البرزخية، فيقول: «حقاً! إن معرفة الله المستنبطة بدلائل علم الكلام ليست هي المعرفة الكاملة، ولا تورث الاطمئنان القلبي، في حين أن تلك المعرفة متى ما كانت على نهج القرآن الكريم المعجز، تصبح معرفة تامة وتسكب الاطمئنان الكامل في القلب. نسأل الله العلي القدير أن يجعل كل جزء من أجزاء رسائل النور بمثابة مصباح يضيء السبيل القويم النوراني للقرآن الكريم». (٢)

المبحث الثالث: نظرية كمالية الإنسان في رؤية النورسي

المطلب الأول: الإنسان الكامل في رؤية النورسي

يقول الأستاذ الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله تعالى: «من ألطف ما ورد عن النورسي من خصوصيات اصطلاحية مستنبطة من مفهوم «الإنسان» كما وجده، بتدبره -رحمه الله- القرآن الكريم. وهذا اصطلاح قد لا تجده -بهذا المفهوم- عند غيره، يقول رحمه الله: «ما يُطلق عليه لفظ «الإنسانية» التي هي قصيدة حكيمة منظومة، تعلن إعلاناً لطيفاً جميع تجليات الأسماء الإلهية القدسية». (٣)

إنه تعريف نورسي يعترف الأنصاري بتركيبه من عدة نصوص من أقوال سعيد النورسي، ومنها قوله: «لوصول إلى مرتبة الإنسان الكامل، وذلك بالتوجه القلبي إلى الله طوال سيره وسلوكه، وأثناء

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿(الأعلى: ١٤، ١٥) (١). وقد جمع الأستاذ النورسي الآيات المرشدة إلى طريق السلوك في كتابه (رسائل النور)، ثم شرح تفاصيلها. فالقرآن عند الأستاذ النورسي لا يمكن الاستغناء عنه لأنه «قوت وغذاء للقلوب وقوة وغناء للعقول وماء وضيء للأرواح ودواء وشفاء للنفس... مثاله الخبز الذي نأكله يومياً». لقد أدرك الأستاذ النورسي أن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويقدر على كسب التحدي أمام شبهات الملحدين بما تضمنه من قوة إعجازية كبيرة بل إن القرآن الكريم هو بحر المعجزات «قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآنِ لا يأتونَ بمثلِهِ ولو كانَ بعضهم لبعضٍ ظهيراً».

إن القرآن هو المصدر الأساسي الأول الذي يرجع إليه الإمام سعيد النورسي رحمه الله تعالى في التربية والفكر والحركة، جاعلاً «رسائل النور» قرآنية اللفظ والمعنى من بدايتها إلى نهايتها، بل هي في الختام فيض من حقائق القرآن، كما عبر عن ذلك النورسي نفسه في نص صريح: «لا تحسبن أن ما أكتبه شيء مضغته الأفكار والعقول. كلا! بل فيض أفيض على روح مجروح وقلب مقروح، بالاستمداد من القرآن الحكيم، ولا تظنه أيضاً شيئاً سبباً لتدوقه القلوب وهو يزول. كلا! بل أنوار من حقائق ثابتة انعكست على عقلٍ عليّ وقلبٍ مريضٍ ونفسٍ عمي. إني ما أدري كيف صار عقلي ممزوجاً بقلبي، فصرت خارجاً عن طريق أهل العقل من علماء السلف وعن سبيل أهل القلب من الصالحين، فإن وافقتها فيها ونعمت وإن خالفت في كلامي أي السبيلين منهما فهو مردود عليّ»... إن ما يصادفك في المسائل من صورة البرهان والاستدلال ليس برهاناً حتى يقال: فيه نظر! بل مبادئ حدسية قيدت وعقدت واستحفظت بأنوار اليقين المفاضة من القرآن الكريم». (٢) إنه ومع هذه الصيغة القرآنية النبوية فإن هذا المنهج منهمج تربيوي رائده التمسك الصارم بظاهر الشريعة، وروحه اليقين العملي بأن طريق المعرفة الإلهية الكاملة أشد إيصاداً في وجه من يبتغيها عوجاً عن استقامة الكتاب والسنة، وما هلك من هلك في هذه الطريق، وهام من هام في أودية الأوهام والحلول والاتحاد إلا بجل عقدة الاعتصام بالعلم الموحى به. فهو معيار لا يخطئ عند الإمام النورسي في معرفة الصادقين وتمييز أهل الزُّغل والتخليط: التمسك بظاهر الشريعة كما يتمسك الغريق بخشبة النجاة. لكون القرآن بحسبه: «هو الترجمة الأزلية لهذا الكتاب الكبير للكون، والترجمان الأبدي لألسنتها المتنوعة التاليات للآيات التكوينية، ومفسر

1 النورسي، 2017: 9

2 النورسي، 2013: 424.

3 عودة الفرسان، لفريد الأنصاري، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ص. 22.

1 جواهر القرآن ص 28.

2 النورسي، 2009: ص 287.

الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا» (الأحزاب: ٧٢). فمن الخزينة العظمى لهذه الآية الجليلة، سنشير إلى جوهرة واحدة من جواهرها، وهي أن الأمانة التي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها، لها معان عدة ولها وجوه كثيرة. فمعنى من تلك المعاني ووجه من تلك الوجوه هو «أنا». نعم إن «أنا» بذرة نشأت منها شجرة طوبى نورانية عظيمة، وشجرة زقوم رهيبية، تمدان أغصانها وتنتشران فروعها في أرجاء عالم الإنسان من لدن آدم عليه السلام إلى الوقت الحاضر. هكذا نقترّب من مفهوم الإنسان الكامل المستمد من نظام القرآن الذي يطبع صورة الروح الإنسانية بماهيتها، ويسلك بها مدارج التربية والمجاهدة لاكتساب معناها الكوني، ولتأسيس المشروع الأخلاقي النورسي، متدرجاً من الأخلاق الوحشية فالاجتماعية فالإنسانية وصولاً إلى الأخلاق الإلهية.

المطلب الثاني: الإنسان الكامل في أقوال المتصوفة

اجتمعت الصوفية على وصف النبي صلى الله عليه وسلم بـ «الإنسان الكامل»، وهو مرادف لمصطلح «الحقيقة المحمدية» أو «النور المحمدي» عندهم، ويعني هذا المصطلح عند غلاة الصوفية أن الرسول -محمد صلى الله عليه وسلم- هو قبة الكون، وهو الله المستوي على العرش، وأن السماوات والأرض والعرش والكرسي وكل الكائنات خلقت من نوره، وأنه أول موجود؛ وهذه عقيدة ابن عربي ومن تبعه (١).

وعليه، يقول الجبلي: «اعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الأبد، ثم له تنوع في ملابس، ويظهر في كنانس، فيسمى باعتبار لباس، ولا يسمى به باعتبار لباس آخر، فاسمه الأصلي الذي هو له محمد، وكنيته أبو القاسم، ولقبه شمس الدين، ثم له باعتبار ملابس أخرى أسام، وله في كل زمان اسم يليق بلباسه في ذلك الزمان... فقد اجتمعت به صلى الله عليه وسلم هو في صورة شيخي إسماعيل الجبرتي» (٢). فالإنسان الكامل هو الذي يسوق جميع لطائفه من قلب وعقل وروح إلى مقصودة الأساس وهو عبادة الله مع رغبة جامحة في الترقى من إسلام إلى إيمان إلى إحسان، رغبة في المسارعة إلى الخيرات، رغبة في المسابقة. امتثالاً لما نقرأ في كتاب الله عز وجل: «سابقوا»، ونقرأ ذكر السابقين

1 الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: 1/262

2 الإنسان الكامل: 2/ص167

معاناته الروحية التي تسمو بحياته المعنوية، أي الوصول إلى مرتبة المؤمن الحق والمسلم الصادق، أي نيل حقيقة الإيمان والإسلام لا صورتيهما، ثم أن يكون الإنسان عبداً خالصاً لرب العالمين وموضع خطابه الجليل وممثلاً عن الكائنات من جهة، ووليّاً لله وخليلاً له، حتى كأنه مرآة لتجلياته سبحانه، وفي أحسن تقويم حقاً فيقيم الحجة على أفضلية بني آدم على الملائكة.. وهكذا يطير بجناحي الإيمان والعمل بالشرعية إلى المقامات العليا، والتطلع من هذه الدنيا إلى السعادة الأبدية بل الدخول فيها». (١) ولكي يرقى إلى مرتبة الإنسان الكامل هاته، ينبغي العروج من الإيمان التقليدي إلى الإيمان الحقيقي: «فإن للإيمان حقائق غزيرة جداً؛ إذ ترتبط حقائق كثيرة لأنوار ألف اسم واسم من الأسماء الحسنى، ولسائر أركان الإيمان بحقائق الكون، حتى اتفق أهل الحقيقة على أن أجل العلوم قاطبة وقمة المعرفة وذروة الكمال الإنساني، إنما هو في الإيمان والمعرفة القدسية السامية المنفصلة والمبرهنة النابعة من الإيمان الحقيقي. نعم إن الإيمان التقليدي معروض لهجمات الشبهات والأوهام، أما الإيمان الحقيقي فهو أوسع منه وأقوى وأمتن، وله مراتب كثيرة جداً». (٢) ونحو تربية سلوكية تعرج بالإنسان نحو الكمال، كما يشرحها الأستاذ النورسي: «إن سبباً من أسباب عدم تأثير نصيحة الناصحين في هذا الزمان هو، أنهم يقولون لسبب الخلق: لا تحسدوا، لا تحرصوا، لا تعاندوا، لا تحبوا الدنيا، بمعنى أنهم يقولون لهم: غيروا فطرتكم، وهو تكليف لا يطبقونه في الظاهر، ولكن يقولون لهم: اصرفوا وجوه هذه الصفات إلى أمور الخير، غيروا مجراها، فعندئذ تُجدي النصيحة، وتؤثر في النفوس، وتكون ضمن نطاق إرادة الإنسان واختياره» (٣).

يقول النورسي: «وعدة الإنسان للراقي إلى مرتبة الإنسان الكامل، كل جوارحه المخلوقة لعبادة الله؛ إذ «لو كان الإنسان مجرد قلب فقط، لكان عليه أن يترك كل ما سواه تعالى، بل يترك حتى الأسماء والصفات، ويرتبط قلبه بذاته سبحانه. ولكن للإنسان لطائف كثيرة جداً كالقلب، منها العقل والروح والسر، كل لطيفة منها مكلفة بوظيفة وأمورة بالقيام بعمل خاص بها» (٤). فالوصول إلى معراج التخلق بالأخلاق الإلهية يستدعي متابعة الأستاذ بديع الزمان النورسي في تأويله لقول الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا

1 مفاتيح النور، لفريد الأنصاري، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة.

2 كليات رسائل النور، لبديع الزمان النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة.

3 بديع الزمان سعيد النورسي، ص27.

4 الشعاعات، ص571.

وفوزهم، وذكر المقربين وميزتهم عند الله عز وجل في مقعد الصدق. (١) وهذا الكمال الإنساني أجمله النورسي في هذه العبارة « وبهذا الوعي الإيماني -الذي يؤدي إلى معرفة وجود الكمال المطلق وهو المحبوب المطلق- تُشَبَّعُ المحبة الذاتية الفطرية الشديدة. وبهذا الوعي الإيماني الذي يخص بقاء الباقي السرمدى ووجوده تُعرَفُ كمالات الكائنات وكمالات نوع الإنسان وتُصَلُّ، ويتخلص الافتتان الفطري بالكمالات من الآلام غير المحدودة ويتلذذ ويستمتع. وبهذا الوعي الإيماني يحصل انتسابٌ إلى الباقي السرمدى، وبهذا الانتساب الإيماني تُنتج علاقةً مع جميع ملكه تعالى. »(٢)

من خلال ما سبق نستطيع إن نتحدث عن إنسان متصف بالكمال والمثالية، وننتقل من عالم الخلق إلى عالم الشهود والحق، أو كما عبر على ذلك ابن عربي بقوله: «أن يكون الصوفي إنسانا كاملا وعبدا مثاليا يتجه إلى الله، وينزع إلى الاندماج في عالمه الروحي، وذلك يعني الاتصاف بأخلاق العبودية»(٣).

خاتمة

حاولت هذه الورقة تناول موضوع: أصول العروج الأربعة إلى عرش الكمالات من خلال رسائل النور للإمام النورسي وقد خرج الباحث بهذه النتائج:

أولاً: إن رسائل النور موسوعة علمية ضخمة زاخرة بموضوعات في غاية الأهمية خاصة

النواحي الشرعية.

ثانياً: إن رسائل النور تقوي وشائج الإخوة الإيمانية بتقوية الإيمان.

ثالثاً: لقد غلبت «رسائل النور» على المخيلين بالنظام والفلسفة الملحدة وظهورها على المفاهيم الإلحادية السارية كالفلسفة الطبيعية والمادية.

وانطلاقاً من نتائج الورقة ؛ فالباحث يوصي بما يأتي:

1 النورسي للمعات. 2012: 244.245

2 الكلمات ص 173.

3 كامل مصطفى الشجبي، صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي، بيروت، دار المناهل، 1997، ط 1، ص، 20

1. الاهتمام بالتراث النورسي؛ وخاصة جوانب التربية الروحية.
2. التركيز على ترسيخ الإخلاص في نفوس المؤمنين عن طريق التزكية في ضوء رسائل النور.
3. الاهتمام بالتعليمات الصوفية.
4. الاهتمام بتكوين المرشدين والدعاة، وفق تربية إيمانية، والتدرج في الإصلاح الروحي؛ وفق منظور رؤية الامام النورسي.
5. ربط مضامين رسائل النور بمصادرها الأصلية من القرآن والسنة، حين تدريسها.
6. إدخال نصوص رسائل النور، ضمن المناهج التعليمية في مختلف المراحل التعليمية.

المقترحات. يقترح الباحث القيام بما يأتي:

1. ينبغي الاستمرار في تنظيم المؤتمرات والندوات العلمية فيما يتعلق بمناهج التأليف في العلوم الإنسانية، وخاصة فيما يتعلق بالعلوم الشرعية.
2. ينبغي الاستمرار في تقديم دراسات علمية حول منهج النورسي في تقرير مسائل التصوف السني.
3. القيام بمزيد من الأبحاث حول رسائل النور في مختلف المجالات: عقيدة-أخلاق - تربية - فلسفة - تربية - فقه - علوم.
4. إقامة الدورات العلمية والندوات والمؤتمرات عن آراء المام النورسي.
5. إقامة ملتقيات علمية إقليمية حول رسائل النور باللغات العالمية: العربية والفرنسية والإنجليزية.
6. تنظيم أيام بديع الزمان النورسي في مختلف جامعات مالي وخاصة جامعتنا جامعة أفريقيا الفرنسية العربية بمالي.

للدراستات الحضارية والفكرية، العدد التاسع، يناير 2014.

12. فريد الأنصاري، عودة الفرسان، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة. 2014

13. كامل مصطفى الشبيبي، صفحات مكتفة من تاريخ التصوف الإسلامي، بيروت، دار المناهل، ط1997.

14. محمد قنديل، منهج التربية عند النورسي، مجلة النور: العدد 4، ب.ت.

15. محسن عبد الحميد، النورسي متكلم العصر الحديث. 11 يونيو 2014.

16. مفاتيح النور، لفريد الأنصاري، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة.

دور الإيمان في تحقيق سعادة الدارين - قراءة في رسائل النور -

7. إنشاء مركز بديع الزمان النورسي للبحوث، وتخصيص جائزة تشجيعية لأفضل البحوث حول فكر الإمام النورسي.

8. ترجمة رسائل النور باللغات المحلية، مثلاً كلغة البمبرية والفلانية والسونكية.

المصادر والمراجع:

1. ابن منظور، لسان العرب 11/ رقم 6643.

2. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) جواهر القرآن، المحقق: الدكتور الشيخ محمد رشيد رضا القباني الناشر: دار إحياء العلوم، بيروت الطبعة: الثانية، 1406 هـ - 1986 م عدد الأجزاء: 1.

3. أحمد عبد الموجود، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: 1.

4. بديع الزمان النورسي، المكتوبات، دار السنابل الذهبية، القاهرة، ط 1 2013م

5. بديع الزمان النورسي، اللغات، دار السنابل الذهبية، القاهرة، ط 1 2010م.

6. بديع الزمان النورسي، الكلمات، دار السنابل الذهبية، القاهرة، ط 1 2012.

7. بديع الزمان النورسي، ذو الفقار، دار السنابل الذهبية، القاهرة، ط 1 2009م.

8. بديع الزمان النورسي، كليات رسائل النور، بترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة.

9. سعيد بن مصلح بن محمد القرني، الفكر التربوي عند بديع الزمان سعيد النورسي، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة أم القرى، 1418هـ.

10. الفارابي، أبو نصر. - إحصاء العلوم. - تحقيق وتقديم عثمان أمين، القاهرة، ط 3، 1968

11. فريد الأنصاري، بديع الزمان النورسي من برزخ التصوف إلى معراج القرآن، مجلة النور

حدة ميهوب

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية . الجزائر

الملخص

لقد عاش النورسي - رحمه الله - حياة مليئة بالأحداث و الابتلاءات و المصاعب، و قد أيده الله في كل ذلك بإيمان راسخ، جعله يواجه ما يحدث له بصبر وقبول ورضا واحتساب واستعداد لحياة أبدية و سعادة دائمة. ذلك هو الإيمان الذي صرف النورسي - رحمه الله - حياته لإحيائه في النفوس، و جعل تلك رسالته التي عاش و مات من أجلها حتى يخرج الناس من ظلمات البؤس و الكفر إلى نور الإيمان و السعادة في الدنيا والآخرة؛ فقد رأى في الإيمان حقائق و أنوارا و نقطة استمداد واستناد تتحول بها كل معاني العجز والضعف و الخوف و الألم إلى قوة و أمن و طمأنينة، فتجد السعادة طريقها إلى قلب المؤمن وحياته، و تفتح أمامه أبوابا شتى من الأمل و المحبة مع هذا الكون وهذه الكائنات، و ترفع صور الوحشة و الغربة.

إن الإيمان الذي يغمر الإنسان بهذا القدر من الطمأنينة و الأمل و الأمان و السعادة في الحياة الدنيا تفتح أمامه آفاقا أوسع للسعادة الأخروية في دار الخلود و يكشف أمامه الوجه الحقيقي للموت الذي يصبح بمنظور الإيمان مرحلة للعبور لحياة أبدية و سعادة دائمة يتنعم بها المؤمن بمقتضى الرحمة الإلهية.

Abstract

Al-Nursi - may Allah have mercy on him - lived a life full of events, trials and hardships. Allah supported him in all of that with firm faith, which made him face what happened to him with patience, acceptance, satisfaction, reckoning, and preparation for an eternal life and eternal happiness. That is the faith that Nursi - may Allah have mercy on him - spent his life to revive in the souls, and made that his mission for which he lived and died so that people would emerge from the darkness of misery and infidelity to the light of faith and happiness in this world and the hereafter; He saw in faith facts, lights, and a point of reference and support through which all the meanings of helplessness, weakness, fear and pain are transformed into strength, security

and tranquility, so happiness finds its way to the heart and life of the believer.

It opens for him various doors of friendly feelings and love with this universe and these beings, and drive away images of loneliness and alienation.

The faith that fills a person with this level of tranquility, peace, security and happiness in this worldly life opens up wider horizons for happiness in the hereafter in the abode of eternity, and reveals before him the true face of death, which becomes, from the perspective of faith, a stage of crossing over to eternal life and lasting happiness that the believer enjoys under divine mercy.

مقدمة

إن المتأمل في رسائل النور يجد أن مصطلح «الإيمان» هو الأكثر تكرارا، كما أن هذه الرسائل تدور في فلك هذا المصطلح، وتنطلق منه، وتحتكم إليه، وتتأصل في سبيله، ولقد أفنى الأستاذ النورسي عمره من أجل إنقاذ الإيمان والعمل لحياة أبدية، مادام الإيمان هو وسيلة الفوز بتلك الحياة الأبدية والسعادة في الدارين، فينبغي إذن التفرغ لخدمته ونشره بين الناس وإرشادهم إلى السبيل الذي يحقق لهم الطمأنينة والسعادة.

كما أن الفترة التي عاش فيها النورسي حتمت عليه التفرغ لهذه المهمة وكانت سببا قويا لتوجيه جهوده ودعوته لإنقاذ الإيمان، فقد أعلن عن ذلك قائلا: «إن المهمة الجليلة في هذا الوقت هي خدمة الإيمان، إذ هي مفتاح السعادة الأبدية»¹

ويجعل خدمة الإيمان فوق كل شيء، فيقول: «خدمة الإيمان هي أجل من كل شيء في الكون، فلا تكون لأي شيء كان»²

ولقد كانت رسائل النور هي الثمرة المباركة لجهود النورسي وجهاده الطويل والتي فرغ منها بعد سنوات طوال، وقد جعل خدمة هذه الرسائل ووظيفتها هي إنقاذ الإيمان، ويصف الأستاذ النورسي

1 الملاحق: «ملحق بارلا»، بديع الزمان سعيد النورسي، ت إسمان قاسم الصالحي، ط2، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، 2013، ص72.

2 الملاحق: «ملحق قسطنطيني»، بديع الزمان سعيد النورسي، ص144

خاتمة.

أولاً: مفهوم الإيمان في رسائل النور

المتأمل في رسائل النور يجد أنها تكسب المصطلح - في كثير من الأحيان - كثيراً من المعاني التي قد لا نجدها في غيرها من الكتب و المؤلفات سواء في ذلك المتخصصة أو العامة.

ومن هذه المصطلحات التي اكتسبت معاني جديدة من خلال رسائل النور مصطلح < الإيمان >، فنجد أن الإمام النورسي رحمه الله يتفرد بذكر معاني خاصة لم ترد عند غيره من الأئمة والعلماء.

هذه المعاني تضيء على المصطلح خصوصية قد لاتجدها في غير رسائل النور، ونحن بدورنا سنحاول في هذه العجالة

أن نلقي الضوء على مفهوم الإيمان عند الإمام النورسي من خلال رسائل النور، وهي على النحو التالي¹:

يقول النورسي . رحمه الله .:

1. « فالإيمان نور لوجدان البشر وشعاع من شمس الأزل يضيء دفعة ملكوتية الوجدان بتمامها، فينشر أنسية له مع كل الكائنات... ويؤسس مناسبة بين الوجدان وبين كل شيء... وجميع الحوادث و المصيبات... ويعطيه وسعة يقتدر بها أن يبتلع الماضي و المستقبل، وكما أن الإيمان شعاع من شمس الأزل، كذلك لمعة من السعادة الأبدية أي الحشر، فينمو بضياء تلك اللعة بدور كل الكمال، ونواة كل الاستعدادات المودعة في الوجدان فتنبت ممتدة إلى الأبد فتقلب نواة الاستعداد كشجرة طوبى»²

2. إننا لا نكاد نقف على مفهوم للإيمان بهذا العمق و بهذا الدوق، إذ يبدع الأستاذ النورسي هنا في الحديث عن: المصدر و الأثر، ثم يربطه بالحشر ربطاً في غاية الروعة و المتعة، فيخلق بنا من المبدأ إلى المنتهى في رحلة إيمانية بامتياز .

1 العلاقة بين العلم و الإيمان كما يراها النورسي، نجيب علي السوداني، بحث مقدم ضمن أعمال الملتقى العالمي التاسع لبيدع الزمان سعيد النورسي، استانبول، 2010، ص20.

2 إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بيدع الزمان سعيد النورسي، ت: إحسان قاسم الصالحي، ط2، دار النيل، القاهرة، 2013، ص49.

الأوضاع الصعبة التي تعيشها الكرة الأرضية و التي جعلت الإنسان في مهب الفتن و المحن؛ و يرى أن دواء ذلك بأنه < الإيمان > الذي يتحلّى أهله بمعاني الرضى والتوكل، و من بينهم طلبه النور وكل من التحق بدائرة النور بقلب منيب، إذ تتجلى لهم مظاهر الرحمة الإلهية التي قد تخفى عن غيرهم، و لا يكشفها لهم سوى درس الإيمان الحقيقي الذي أخذوه من النبع الصافي ألا وهو رسائل النور، فلا يقفون على عتبة الإيمان مكتفين بمجرد القول، بل يخلقون في الآفاق، و يغوصون في الأعماق، فتصل درجة إيمانهم إلى مراتب عظمى يتذوقون معها حلاوة الإيمان الذي استقر في قلوبهم و سكنت به همومهم و شغيت به أوجاعهم، وزالت به أشواقهم و رضيت به أرواحهم. فيقول: « إنني أخال أنه في خضم هذه الاهوال و الحرائق التي نشبت في الكرة الأرضية لا يقدر على الحفاظ على سلامة قلبه و راحة روحه إلا أهل الايمان و أهل التوكل و الرضى الحقيقي، ومنهم أولئك الذين انظموا إلى دائرة رسائل النور بوفاء تام، فهم مصانون من تلك الأهوال أكثر من غيرهم، وذلك لانهم يرون أثر الرحمة الالهية وزبدتها ووجهها في كل حادثة وفي كل شيء، لمشاهدتهم الأمور بمنظار نور دروس الإيمان الحقيقي الذي تلقوه من رسائل النور»¹

وبناء على ما تقدم، سنحاول الإجابة على مايلي:

ماهو مفهوم الإيمان عند النورسي ؟ وكيف تكون السعادة الدنوية و الأخروية ثمرة له ؟

أما خطة البحث الإجمالية فتكون كالآتي:

أولاً: مفهوم الإيمان في رسائل النور.

ثانياً: المدرسة اليوسفية وطلاب النور أنموذجاً للسعادة.

ثالثاً:السعادة ثمرة الإيمان.

صور السعادة الدنوية التي يحققها الإيمان.

السعادة الدنوية تقتضي السعادة الأخروية.

1 الملاحق: < ملحق قسطمولي >، ص 128.

بما هو أكثر من ذلك من صور السعادة التي سيلقاها في الجنة.

ثانياً: المدرسة اليوسفية وطلاب النور أنموذجاً للسعادة:

(لقد رسم النورسي في كليات رسائله منهاجاً نورياً استوحاه من القرآن الكريم، يضمن لسالكه لذة لا يشوبها ألم، وسعادة لا يعارضها شقاء. وبهذا المنهج استطاع أن يحول السجن إلى مدرسة إيمانية سماها « المدرسة اليوسفية ». وإن المنهج الذي استطاع أن يحول السجن إلى لذات إيمانية، لقادر أن يحول كل آلام الدنيا إلى لذات، وهموم الدنيا إلى أفراح، و ذلك أن آلام الدنيا مهما بلغت فهي آلام ساعة، كما أن لذاتها لذات ساعة)¹

ويصف النورسي . رحمه الله . السعادة التي كانت تغمره وهو في ظروف السجن القاسية، فكانت أسباب فرحه تتغلب على وحشة السجن وقسوته، فيقول: « عندما كنت أصحح الثمار الفردوسية واليوسفية للأبطال الميامين، جلبت انتباهي تلك الرسالة « الثمرة » حيث بدت لي أهميتها فصرت: لوتضاعفت متاعب السجن كلها مائة ضعف فقد أدت هذه الرسالة أضعافها من الوظائف إذ تستقرى نفسها في شتى الأوساط العامة وتسوق الإيمان حتى للمتعتنين. أيها الشقاء، يامن تضيقون علي الخناق اعملوا ما شئتم واقضوا ما أنتم قاضون فلا أهمية لعملكم كل المصائب التي تنزل بنا هينة تافهة بل إنها عناية إلهية محضة ورحمة بعينها قلت هذا ووجدت السلوان الكامل »²

ولا يكتفي الأستاذ بنفسه بل يسعى لبث هذه الروح في طلبته، ويرفع معنوياتهم ويظهر لهم الوجه الحسن لمعاني الابتلاء ويبيث فيهم الإحساس بالسعادة إزاء المشقات الموصلة للحياة الأبدية، فيخاطبهم قائلاً:

« ثم إن الذين درسوا رسائل النور من أمثالكم المخلصين و فهمومها حق الفهم ، و أدركوا أن الدنيا فانية عابرة، و أنها ليست إلا متجراً مؤقتاً، و الذين ضحوا بما يملكون في سبيل إيمانهم و آخرتهم، واعتقدوا أن المشقات الزائلة التي يعانونها في هذه المدرسة اليوسفية لذاتاً دائمة وفوائد خالدة، قد بدلت - هذه الفوائد - التألم لحالك والبكاء عليكم النابع من العطف الشديد إلى حالة تهنئة وتقدير لثباتكم،

1 اللذة و الألم في فكر بديع الزمان النورسي، محمد كنان ميغة، بحث منشور ضمن كتاب سعيد النورسي عملاق الفكر الديني في العصر الحديث، تحرير إحسان قاسم الصالحي وآخرين، ط1، دار النيل، القاهرة، 2011، ص194.

2 الملاحق «ملحق قسطنوني»، ص 226.

3. « الإيمان هو المنور لنا الحياة الأبدية، والمبشر المضىء لنا السعادة الأبدية، وهو المحتوي على نقطتي الاستناد والاستمداد وهو الدافع لحجاب المأتم العمومي عن وجه الرحمة المرسل على وجه الكائنات، وهو المزيل للآلام الفراقية عن اللذات المشروعة بإراءة دوران الأمثال، ويديم النعم معنى بإراءة شجرة الإنعام»¹

أما هنا فإن الأستاذ يقف على الثمرات الحقيقية التي ينشرها و ينثرها الإيمان على الحياة الدنيا فتزول معها كل معاني الشقاء، وكذا على الحياة الآخرة فتفتح بها أبواب البشرى بالبقاء.

1. « الإيمان الذي هو منبع جميع السعادات.»²

ولا يبقى الأستاذ فرصة لأي شك قد يرتاب معه الإنسان، فيعمم معنى الإيمان و يدخل تحت لوائه أنواع كل السعادات؛ فلا سعادة تتحقق دونه، و إن ظن الإنسان غير ذلك فهو واهم لا محالة.

1. « الإيمان الذي هو محور سعادة الدارين.»³

2. « اعلم يقينا أن أسمى غاية للخلق، وأعظم نتيجة للفطرة الإنسانية هو « الإيمان بالله»... واعلم أن أعلى مرتبة للإنسانية و أفضل مقام للبشرية هو «معرفة الله» التي هي في ذلك الإيمان... و اعلم أن أزهى سعادة للإنس والجن، و أحلى نعمة هو « محبة الله النابعة من تلك المعرفة (... و اعلم أن أسمى سرور لروح الإنسان، وأنقى بهجة لقلبه هو اللذة الروحية المترشحة من تلك المحبة.»⁴

بما أن الأستاذ النورسي يحرص دائماً على ربط الإنسان بالحياة الآخرة، و يفتح أمامه أبواب تلك الحياة و ما تحمله من سعادة أبدية و موعداً للقاء الأحبة و التمتع بكل اللذات، فإنه يحدد مفهوم الإيمان بربطه بسعادة الدارين، لأن الإنسان لم يخلق لسعادة مؤقتة في الحياة الدنيا، بل وعده الخالق سبحانه

1 المثنوي العربي النوري، بديع الزمان سعيد النورسي، ت: إحسان قاسم الصالحي، ط2، دار النيل، القاهرة، 2013، ص146.

2 إشارات الإعجاز، بديع الزمان سعيد النورسي، ص77.

3 الشعاعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط2، دار النيل، القاهرة، 2013، ص323.

4 المكتوبات، بديع الزمان سعيد النورسي، ت إحسان قاسم الصالحي، ط2، دار النيل، القاهرة، 2013، ص271.

لسعادة الدارين فيقول:

فقلت بدوري: « الحمد لله على كل حال سوى الكفر والضلال»¹.

وقد يظن ظان أن ما يعانيه الأستاذ - رحمه الله - وطلبة النور من السجن هين، وأن ما يتعرضون له لا يستحق هذه المبالغة في الحث على الصبر والاحتساب وابتغاء الأجر الآخروي والسعادة الأبدية، فيبدد الأستاذ - رحمه الله - هذه الظنون بوصف حالهم فيقول:

« إنني أعتقد أنه ليس هناك على الكرة الأرضية - حالياً - من يعاني الضيق قلباً وروحاً وفكراً أقل من طلاب النور، لأن قلوبهم وأرواحهم وعقولهم لا تعاني الضيق بفضل أنوار الإيمان الحقيقي. أما المصاعب المادية والمشقات الدنيوية فهم يقابلونها بصدور ملؤها الشكر والصبر لما تعلموه من رسائل النور أنها عابرة وتافهة، حاملة للثواب ووسيلة لانفتاح مجال عمل لخدمة الإيمان وتوسعها فهم يثبتون بأحوالهم أن الإيمان الحقيقي هو مبعث السعادة حتى في دار الدنيا»².

ولا يكتفي الأستاذ النورسي - رحمه الله - بتوجيه هذه النصائح لطلبته حتى يثبتوا ويمضوا في طريق الخدمة الذي يبتغون به عناية عظمى، بل إنه يجاهر بالاعتراض على ذلك الأسلوب وتلك الإساءة التي يتعرض لها وطلبته، ولا يخشى من الإفصاح عن رأيه، إذ يقول في إحدى محاكماته موجهها كلامه لرئيس المحكمة:

« ولماذا لا تتعرضون للإلحاد ولا للشيعوية ولا للفوضى ولا للمنظمات المفسدة العريقة ولا للطورانية العنصرية مع أنها تتعارض مع سياستكم؟ وتتعرضون لأشخاص لا علاقة لهم قطعاً بالسياسة، بل همهم الوحيد سلوك طريق الإيمان والطريق القويم للقرآن، يقرؤون رسائل النور التي تبحث عن الحق والحقيقة لأنها التفسير الحقيقي للقرآن، لكي يخلصوا أو ينقذوا أنفسهم ومواطنيهم من الإعدام الأبدى ومن السجن الإنفرادي»³.

ورغم ما تتعرض له رسائل النور من تضيق، وما يعانيه طلبة النور من ملاحقة وما يعانيه الأستاذ من نفي وسجن ومحاكمات واتهامات باطلة، إلا أنه يستمر في دعوة الناس إلى طريق الإيمان الموصل

« فالذين يريدون تنوق السعادة واللذة حتى في الحياة الدنيا . فضلاً عن الحياة الآخروية . يمكنهم أن يجدها في دروس رسائل النور الايمانية والقرآنية»¹.

ويؤكد الأستاذ على أن العلاقات الاجتماعية والسعي لإنشائها شيء فطري في الانسان، وأن لها دوراً مهماً في حياة الأشخاص وثمرات طيبة، وأحسنها ما كان موصلاً للسعادة ويشجع هذه العلاقات المثمرة بين طلبته فيقول: « ما دامت الصداقة والميل إلى التجمع الأخوي، والجمعية الأخوية هي من أسس الحياة الاجتماعية وضرورة من ضرورات الفطرة الإنسانية، ومن أهم الروابط وأكثرها ضرورة بدءاً من حياة العائلة والقبيلة وصولاً إلى حياة الأمة وإلى الحياة الإسلامية والإنسانية، ونقطة استناد وأنس لكل إنسان تجاه ما يلاقه في الكون من مصاعب لا يستطيع مواجهتها وحده، والتغلب على جميع العوائق والموانع المادية والمعنوية التي تحاول إعاقة من القيام بإيفاء واجباته الإسلامية، ومع أن الصداقة والأخوة التي يجتمع عليها طلاب النور تخلو من أي جانب سياسي، بل هي أخوة صداقة وخالصة ووسيلة إلى خير الدنيا والسعادة في الآخرة»².

ثالثاً: السعادة ثمرة للإيمان:

إن مفهوم السعادة بحسب < النورسي > يأخذ ثلاث مراتب، ففي الدنيا تعني الشعور بالرضا والاطمئنان القلبي والوجداني والعقلي، وفي الآخرة تعني الفوز برضا الله تعالى والتتعم بجنة الخلد والحياة الأبدية معتبراً الموت الموصل لهذه السعادة نعمة عظيمة يجب الشكر عليها... أما أعلى درجات السعادة فهي رؤية الله تعالى في الجنة، تلك الرؤية التي تفوق ساعة في لذتها نعيم ألف سنة في الجنة، وإذا كانت هذه هي الخطوط العريضة للسعادة فإن الوصول إليها لا يتم إلا بالإيمان الخالي من الشبهات والريب وهو ما يطلق عليه النورسي « الإيمان الحقيقي» للتفريق بينه وبين الإيمان التقليدي الذي لا يخرج في حقيقته عن عدم الإنكار أو التصديق الهش الذي لا يلبث أن يترزعزع من إثارة أية شبهة في أي ركن من أركان الإيمان³.

إن الأستاذ النورسي ينطلق من الفطرة البشرية في نزوعها نحو تكوين العلاقات الاجتماعية و

1 الملاحق « قسطموني»، ص 139.

2 الاشاعات، ص 323.

3 السلوك الروحي في مفهوم سعيد النورسي، سراج الدين نبيه، ط1، دار سوزكر، القاهرة، 2015م، ص 266 . 267.

1 الشاعات، ص 330.

2 الشاعات، ص 131.

3 الشاعات، ص 321.

الإلهي، وينال شرفاً يؤهله للضيافة الربانية في الجنة»¹.

ب - الأمان النفسي والطمأنينة:

والحقيقة أن السعادة لا توجد إلا بالإيمان العقلي الذي يعتبر أكبر عامل نفساني لتحقيق السعادة... ذلك لأن الإيمان بحقيقة وجود الله تعالى واليقين بألوهيته يجعلان الإنسان يدرك بأن كل أمر صغير أو كبير هو بيد الله تعالى... وعندما يركن الإنسان بهذا التوجه إلى رعاية الله ربه فإن ذلك كله يؤمن له الراحة والأمان النفسي، ويجعله يشعر بالسعادة فالإيمان الصادق هو العامل الأول والأخير في تحقيق السعادة.²

وهذا ما يؤكد الأستاذ النورسي بقوله: «فما دمت قد ظفرت بنقطة استناد مثل هذه بهوية الانتساب الإيماني، فيمكنك الاستناد والاطمئنان إذن إلى قوة عظيمة وقدرة مطلقة، وحقاً لقد كنت أحس بقوة معنوية عظيمة عندما كنت ألتقى الدرس من تلك الآية الكريمة، فكنت أشعر أنني أملك قوة يمكنني أن أتحدى بها جميع أعدائي في العالم وليس المائلين أمامي وحدهم، لذا رددت من أعماق روحي: «حسبنا الله ونعم الوكيل»³.

إن الإحساس بالثقة و الضياع هو أخطر إحساس قد يستشعره الإنسان، إذ يبقيه رهيناً للمخاوف وضعيفاً لا حيلة له، وعلاج كل ذلك هو < الإيمان > الذي يرفع تلك المخاوف عن قلب الإنسان الضعيف، إذ يحس بقوة معنوية و يظفر بنقطة استناد و استمداد لا تضاهيها قوة، فيعم الإطمئنان و السكينة أرجاء روحه وقلبه و حياته كافة؛ فلا يرهبه بعد ذلك شيء ولا يخيفه عدو.

نعم ، إن من يعتمد بهوية عجزه على سلطان الكون الذي بيده أمر «كن فيكون» فكيف يجزع ويضطرب؟ بل يثبت أمام أشد المصائب، واثقا بالله ربه، مطمئن البال، مرتاح القلب.⁴

ج - تحول الدنيا إلى جنة معنوية للمؤمن:

يقول الأستاذ النورسي - رحمه الله -: «إن أرباب السفاهة والضلال يدوقون في الدنيا نفسها عذاباً

1 الكلمات، ص 346.

2 علم النفس معرفة النفس الانسانية، سميح عاطف الزين، د. ط، دار الكتاب اللبناني/ دار الكتاب المصري، 1991م، مج2، ص319.

3 للمعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط2، دار النيل، القاهرة، 2013م، ص353.

4 مشكلات نفسية للإنسان، خديجة النبراوي، ط2، دار سوزلر، القاهرة، 2002م، ص47.

الأخوية، إنطلاقاً من دائرة العائلة الضيقة إلى دوائر أكثر اتساعاً و امتداداً، و يؤكد أن هذه الميول الفطرية في بناء هكذا علاقات هي التي تعينه على مواجهة المصاعب التي لا تخلو منها الحياة، فيكون الإنسان عوناً لأخيه الإنسان، و يضرب المثال بالأخوة التي يجتمع عليها طلاب النور والتي تخلو من المصالح الدنيوية، بل تترفع عن كل ذلك، و تقدم أنموذجاً رائعاً للأخوة الصادقة التي تسعى لنيل سعادة الدارين.

١ - صور السعادة الدنيوية التي يحققها الإيمان:

أ - شرف الانتساب الإيماني يحقق إنسانية الإنسان:

يقول الأستاذ النورسي رحمه الله: « الإيمان الذي هو عبارة عن الانتساب إلى الصانع - سبحانه - يقوم بإظهار جميع آثار الصنعة الكامنة في الإنسان، فتتبعين بذلك قيمة الإنسان على مدى بروز تلك الصنعة الربانية، ولمعان تلك المرأة الصمدانية، فيتحول الإنسان - الذي لا أهمية له - إلى مرتبة أسمى المخلوقات وينال شرفاً يؤهله للضيافة في الجنة»¹

إن الإيمان يحقق إنسانية الإنسان وينأى به عن الحيوانية واللامعنى، برفعه إياه إلى مرتبة الخلافة في الأرض وترقيته إلى درجة متلقي الخطاب الإلهي، ودون ذلك لا يبقى إلا الجانب المادي الذي يشترك فيه مع كل الحيوانات الأخرى ، إنه وسيلة لعقد الصلة بينه وبين خالقه، ونيل شرف الانتساب إليه والتمتع تبعاً لذلك بكل إيجابيات ذلك الانتساب، من تجلي آيات الخالق الكامنة فيه، ومن الظفر بالسعادة الأبدية والضيافة في الجنة.²

ويزيد الأستاذ النورسي هذه المرتبة السامية توضيحاً وبياناً وتأكيداً لأنها جوهرية ومصيرية، فلا أرفع ولا أسمى من تحقق إنسانية الإنسان، ولا ألد من السعادة التي يحصلها وهو يتمتع بمكانته السامية فيقول: « إن الإيمان - الذي هو عبارة عن الانتساب إلى الخالق سبحانه يقوم بإظهار الصنعة الكامنة في الإنسان فتتبعين بذلك قيمة الإنسان على مدى بروز تلك الصنعة، ولمعان تلك المرأة الصمدانية - فيتحول هذا الإنسان الذي لا قيمة له - إلى مرتبة أسمى المخلوقات قاطبة، حيث يصبح أهلاً للخطاب

1 الكلمات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط2، دار النيل، القاهرة، 2013م، ص349.

2 الإيمان وتجلياته في إسعاد الإنسان وحل إشكالات المدنية المعاصرة، مقاربة في فكر بديع الزمان سعيد النورسي، بحث مقدم ضمن أعمال الملتقى العالمي التاسع لبديع الزمان سعيد النورسي، اسطنبول، 2010م، ص410.

تتوحش ولا تخف من تهديد البلايا بنعراتها، فإن لجام كلِّ بيد خالقك.»¹

جهنميا معنويا، كما أن أهل الصلاح والإيمان يعيشون في جنة معنوية في هذه الدنيا، وبإمكانهم أن يتدقوا طعوم تلك الجنة المعنوية بحواسهم ولطائفهم الاسلامية والإنسانية وبتجليات الإيمان وجلواته، بل يمكنهم الاستفادة من تلك الذات حسب تفاوت درجاتهم الإيمانية.¹

يؤكد الأستاذ هنا أن النعيم و العذاب ليسا مؤجلين للحياة الآخرة، بل إن الحياة الدنيا فيها نصيب من ذلك أيضا، فالمؤمن يعيش في جنة معنوية في الدنيا، و يتدوق طعوم و ملذات تلك الجنة مما أوتي من حواس ولطائف. وعلى العكس تماما يكون الكافر، إذ يجعل الله صنوف العذاب حتى تتحول حياته إلى جهنم معنوية يتجرع فيها مرارة الكفر و الضلال.

إن بديع الزمان سعيد النورسي يعتبر الحياة كلها بالنسبة للمؤمن لذة ومصالحة وسعادة، وأنها بالنسبة إليه صورة مصغرة من نعيم الجنة، وأن الحياة كلها ألم بالنسبة للكافر المعاند، وإن بدا للناظر أنه في سعادة ولذة، لأنها سعادة ولذة موهومة لا حقيقية، ولذة قليلة فانية، وهو وإن بدا عليه آثار السعادة إلا أنه شقي في أعماقه.²

د - الإيمان يحل لغز الكون:

يقول الأستاذ النورسي - رحمه الله -: « ثم تأمل في حال ذلك الشخص إذا كان على الصراط المستقيم واستضاء روحه ووجدانه بنور الإيمان، كيف يرى أنه إذا وضع قدمه في الدنيا وفتح عينيه فرأى تهاجم العاديات الخارجية يرى إذن نقطة استناد يستند إليها في مقابلة تلك العاديات، وهي معرفة الصانع فيستريح، ثم إذا فتش عن استعداداته وآماله الممتدة إلى الأبد يرى نقطة استمداد يستمد منها آماله وتتشرب منها ماء الحياة وهي معرفة السعادة الأبدية، إذ يرفع رأسه وينظر في الكائنات يستأنس بكل شيء، وتجتني عيناه من كل زهرة أنسية وتحبباً، ويرى في حركة الأجرام حكمة خالقها، ويتنزه بسيرها، وينظر نظرة العبرة والتفكر، كأن الشمس تتاديه: « أيها الأخ! لا تتوحش مني، فمرحبا بقدمك! نحن كلانا خادمان لذات واحد، مطيعان لأمره، والقمر والنجوم والبحر وأخواتها يناجيه كل منها بلسانه الخاص وترمز له ب: « أهلا وسهلا » ، أما تعرفنا؟ كلنا مشغولون بخدمة مالك، فلا تضجر، ولا

هنا تتجلى علاقة الإنسان بالكون، بالكتاب المنظور الذي أبدعه الصانع الجليل، وخلق هذا الإنسان و كرمه واستخلفه فيه، وحمّله الأمانة و أنزل إليه الرسالة، ليستدل به على خالقه الذي أحسن كل شيء خلقه، إن هو أحسن القراءة وفهم العلاقة، عرف الطريق، و حقق القصد و المراد، وفهم الغاية من خلق هذه المخلوقات والكائنات، و أدرك مكانته بينها وعلاقته بها.

ويزيد الأستاذ النورسي - رحمه الله - هذه المسألة توضيحا، ويفصل في بيان الألم والشقاء الذي يعانیه كل كافر وجاحد وكيف يزداد طلسم الكون تعقيدا في نظره، ويتضاعف إحساسه بالوحشة والضياح، فيقول: « واعلم أن كل الألم في الضلالة، وكل اللذة في الإيمان ، فإن شئت تأمل في حال شخص: بينما أخرجته يد القدرة من ظلمات العدم وألقته في الدنيا - تلك الصحراء الهائلة - إذ يفتح عينيه مستعظفا، فيرى البلايات والعلل كالأعداء تتهاجم عليه، فينظر مسترحما إلى العناصر والطبائع فيراها غليظة القلب بلا رحمة قد كشرت عليه الأسنان، فيرفع - مستمدا - إلى الأجرام العلوية فيراها مهيبية ومدهشة تهدده كأنها مرامي نارية من أفواه هائلة تمرّ حوالبه، فيتخبر ويخفض رأسه متسترا ويطالع نفسه، فيسمع ألوف صيحات حاجاته وأنين فاقاته، فيتوحش ، فينظر إلى وجدانه ملتجئاً! فيرى ألؤفا من آمال متهيجة ممتدة لا تشبعها الدنيا، فبالله عليك كيف حال هذا الشخص إن لم يكن يعتقد بالمبدأ والمعاد والصانع والحشر؟»²

وبهذه الرؤية الإيمانية عند النورسي فإن الكون المظلم البارد الذي ليس فسه حياة كما يصور دعاة مادية العلم والفلسفة، يصبح بالإيمان كونا ذا حياة وشعور منورا مؤنسا ولذيذا، فتدقيق هذه الثمرة أهل الإيمان شعاعا من لذة الحياة الباقية وهم لا يزالون في الدنيا كل حسب درجته، ويعني هذا أن الإيمان نور لوجدان البشر وشعاع من شمس الأزل ينشر أنسية مع الكائنات، ويؤسس مناسبة بين الوجدان وبين كل شيء، ويلقي في القلب قوة معنوية يقتدر معها الإنسان أن يصارع جميع الحوادث والمصائب.³

كما أن سعادة الانسان تتحقق بجلّ طلسم الكون، وتحوّل الاحساس بالوحشة إلى الأنا إذا استضاء القلب والوجدان والعقل والحواس بنور الإيمان، كذلك يحصّل الانسان سعادة أخرى بعلاقته بالموجودات

1 إشارات الإعجاز، ص34.

2 المرجع نفسه، ص33.

3 السلوك الروحي في مفهوم سعيد نورسي، سراج الدين محمد نبيه، ص264.

1 الخطبة الشامية، سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط7، دار سوزلر، القاهرة، 2013م، ص22 - 23.

2 اللذة والألم في فكر بديع الزمان النورسي، كنعان ميغا، ص 187 - 188.

الأستاذ النورسي يصف تلك النواة قائلاً: «فهذه النواة - حبة القلب - ماؤه الإسلام وضيأؤه الإيمان، فإن اطمأنت تحت تراب العبودية والإخلاص، وسقيت بالإسلام، وانتبهت بالإيمان، أنبتت شجرة نورانية مثالية من عالم الأمر هي روح لعالمه الجسماني، وإن لم تُشَقِّ بقت نواة يابسة منكمشة لاثقة للإحراق بالنار إلى أن تتقلب إلى نور»¹.

و لذلك وجب على أهل الإيمان الذين استتارت قلوبهم وأرواحهم وصدورهم وعقولهم بنور الإيمان و القرآن أن يتمتعوا في هذه الدنيا الفانية بما هو مشروع، ولا يبتغوا لذة زائلة فانية ولا يفرطوا بسعادة دائمة، وذلك لا يكون إلا باتباع طريق الهدى، (الهدى الذي يمنح السعادة لحياة الإنسان في الدارين وينشر فيهما النور والضياء، ويدفع الإنسان إلى الرقي، أما الدهاء الأعور كالدجال فيفهم الحياة على أنها دار خالدة فحسب، لذا يدفع الإنسان ليكون عبدا للمادة، متهاككا على الدنيا حتى يجعله وحشا مفترسا)².

و يعود ما ناله المسلمون عربا وعجما من سعادة دنيوية إلى تسليم أمرهم لله تعالى، والرضا بقضائه وقدره، فقد كانوا يرون الحكمة في المقاصد الكلية، ويتلقون دروس العبرة من الحوادث بدلا من الرهبة والهلع منها³.

2 السعادة الدنيوية تقتضي السعادة الأخروية:

إن اللذة في فكر النورسي منقسمة إلى لذة دنيوية ولذة أخروية، وإن لذات الدنيا التي تظهر في بديع صنع الله تعالى في الكون وفي الحياة من جمال ولطافة في المصنوعات، ولذة في الأطعمة، وبهاء في الألبسة، ورفاهة في المركوبات... كل ذلك يظهر سخاء وجودا لا حد لهما، فلا بد أن يكون لمثل هذا الجود والسخاء المطلقين، ولمثل هذه الخزائن التي لا تنفذ ولمثل الرحمة التي وسعت كل شيء دائر ضيافة، ومحل سعادة خالدة يحوي ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وتستدعي - قطعاً - أن يخلد المتلذذون في تلك الدار، ويظلوا ملازمين لتلك السعادة لئبتعدوا عن الزوال والفرق.

إذ كما ان زوال اللذة ألم فزوال الألم لذة وإلا فاللذة اليسيرة - التي ينغصها الزوال والفرق - في هذه

1 المشوي العربي النوري، بديع الزمان النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط2، دار النيل، القاهرة، 2013م، ص224.

2 اللؤلؤ والمرجان من حكم بديع الزمان سعيد النورسي، مأمون فريز جزار، ط1، دار المأمون، عمان - الأردن، 2013م، ص190.

3 حقيقة مقاصد رسائل النور استمداداتها وامتدادها، عمار جبدل، ط2، دار النيل، القاهرة، 2009م، ص246.

التي تملأ أرجاء الكون الواسع، وفي ذلك يقول الأستاذ النورسي: «من المعلوم أن الإنسان ذو علاقة - من حيث الإنسانية - مع أكثر الموجودات، فيتلذذ بسعادتها ويتألم بمصائبها، ولا سيما مع ذوي الحياة، وبخاصة مع الإنسان وبالأخص مع من يحبهم ويعجب بهم ويحترمهم من أهل الكمال، فهو أشد تألماً بآلامهم وأكثر سعادة بسعادتهم... فكل مؤمن يستطيع أن يكون بنور القرآن والإيمان سعيدا بسعادة جميع الموجودات وبقيائها ونجاتها من العدم وصيرورتها مكاتيب ربانية ويغتم نورا عظيما بعظم الدنيا، فكلٌ يستفيد من هذا النور حسب درجته»¹.

هـ - الاكتفاء والاستغناء بما هو مشروع:

إضافة إلى ما سبق ذكره من صور السعادة التي يحققها الإيمان في حياة المؤمن، نجد الأستاذ النورسي - رحمه الله - يقف عند نقطة جوهرية بين أهل الإيمان و أهل الضلال.

إن الإيمان يقتضي كل معاني القناعة و الرحمة و الشفقة، بخلاف الكفر الذي يبعث على الطمع و الظلم و الأتانية و غيرها من صفات تفضيل الذات الذات و غلبة « الأنا ». ومرد ذلك كله إلى نفوس راضية و قلوب طاهرة و جوارح مصونة يتمتع بها أهل الإيمان. أما أهل الضلالة فقد ختم الله على قلوبهم و ضاقت صدورهم واستوحشت أفئدتهم فلا هم لهم سوى اتباع الهوى و الخضوع للشهوات والإعتداء على شرع الله.

نعم إن أهل الإيمان يتمتعون في هذه الحياة بنفوس منسرحة وصدور رحبة، وكل حياتهم سعادة، ويشعرون بلذة عميقة حقيقية راسخة، بينما أهل الضلالة سيتأجج في قلوبهم جحيم معنوي يعذبهم بلظاه حتى ولو تمتعوا بمباهج الدنيا ولذائذها بيد أن الغفلة وحدها هي التي تحول دون استشعارهم ذلك العذاب الأليم، وهذا الإيمان يقتضي القناعة والمحبة والرحمة والشفقة والكرم وغيرها من الصفات الذاتية الحقيقية التي تتبع منها لذة حقيقية، فمن أراد أن يتمتع بلذة الدنيا والتتعم بسعادتها، فإن اللذائذ المشروعة تغنيه عن كل شيء، فهي كافية لتلبية رغباته².

وبما أن الإنسان هو ثمرة شجرة الخلة، وأنه لابد في الثمرة من نواة - ألا وهي حبة القلب - فإن

1 المكتوبات، ص351.

2 اللذة والألم في فكر سعيد نورسي، كنعان ميغا، ص191.

و تحويل الموت إلى سعادة أبدية، إنما يكون بالإيمان بالله و طاعته ليس إلا!¹»

فما دام أهل الإيمان و الطاعة يرون القبر المائل أمامهم بابا إلى رياض سعادة دائمة و نعيم مقيم. لما منحوا من القدر الإلهي من وثيقة تكسبهم كنوزا لا تقنى بشهادة الإيمان، فإن كلا منهم يستشعر لذة عميقة حقيقية راسخة.²»

لقد وضح الأستاذ النورسي حقيقة الموت ، وكشف عن المعاني الصحيحة له، والتي يجب على المؤمن أن يدركها، حتى يعرف مآله و يرفع عن نفسه وعن قلبه تلك المخاوف التي ارتبطت بالموت في ذهنه، فهو ليس عدما و فراقا أبديا، ونهاية حتمية مخيفة، بل إنه مرحلة و محطة لابد منها في حياة الإنسان، وهو باب القُدوم إلى حياة أبدية، تحمل صورا لا حصر لها من السعادة الدائمة التي يجازي بها الله عباده المؤمنين في جنات النعيم، مع أحبته وإخوانه من أهل الإيمان.

الحياة الآخرة و السعادة الأبدية من مقتضيات الرحمة الإلهية:

يؤكد الأستاذ النورسي على ضرورة وحتمية الحياة الأخرى، و يؤكد أيضا على أن السعادة الأبدية من مقتضيات الرحمة الإلهية فيقول: « إن رحمة خالق الكون وهو الرحمن الرحيم تدل على السعادة الأبدية، نعم، إن التي جعلت النعمة نعمة فعلا، و أنفذتها من النعمة، و نجت المخلوقات من نحيب الفراق الأبدي، هي السعادة الخالدة، و دار الخلود، و هي من شأن الرحمة التي لا تحرم البشر منها. إذ لو لم توهب تلك السعادة ودار الخلود التي هي رأس كل نعمة و غايتها و نتيجتها الأساس، أي لو لم تبعث الدنيا بعد موتها بصورة « آخرة » لتحولت جميع النعم إلى نقم... و هذا يستلزم إنكار الرحمة الإلهية المشهودة الظاهرة بداهة و بالضرورة في هذا الكون و الثابتة بشهادة جميع الكائنات، و التي هي الحقيقة الثابتة الواضحة وضوحا أسطع من الشمس.»³

فما دامت حقيقة الحياة الآخرة أنها تجل عظيم و مقتضى من مقتضيات الرحمة الإلهية، فحري بالإنسان ان يدرك هذه الحقائق التي فتحت أمامه أبواب السعادة الإبدية، و يستفيق من غفلته و إقباله على الميزات الفانية، و يستغل عمره في الالتزام بطريق الإيمان، و هذا ما يؤكد الأستاذ بقوله: « لما كانت الدنيا فانية، و العمر قصيرا.. و الواجبات كثيرة.. و أن الحياة الأبدية تكسب هنا، في الدنيا...

1 الكلمات، ص155.

2 المرجع نفسه، ص 156.

3 المرجع نفسه، ص 603.

الفترة الوجيزة لا يمكن أن تتسجم ومقتضى هذا الجود والسخاء.¹

و من صور السعادة الأخرية التي تتحقق بالإيمان:

كشف الوجه الحقيقي للموت:

يبين النورسي أن إعدام الإيمان بالله و اليوم الآخر يورثان مآسي لا حصر لها، و آلام لا عد لها، و أن الإيمان بهما يطرد الخوف عن الإنسان، بحيث يتحمل أشد المصائب، و تثبت أمامها.²

يقف النورسي - رحمه الله - عند قوله تعالى: فمثلا إن حقيقة الآية الكريمة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ [البروج ١١] «

فيقول:

« هي بشرى السعادة الخالدة تزفها هذه الآية الكريمة إلى الإنسان المسكين الذي يلاقي حقيقة الموت كل حين، فتتقده هذه البشرى من تصور الموت إعداما أبديا، و تتجيه و عالمه و أحبته من قبضة الموت، بل تمنحه سلطة أبدية، و تكسبه سعادة دائمة.»³

نعم إن الموت الذي ارتبط في التصور الخاطئ بكل المعاني القاسية التي صعب على الإنسان تحملها، تتكشف في رسائل النور صورته الحقيقية التي تحيي في الإنسان الأمل، و يصفه الأستاذ بقوله: « إن الموت و الزوال و الفناء و الفراق من الدنيا ليست أبوابا للعدم و السقوط في ظلمات الفناء و الانعدام، بل هي أبواب للقُدوم و الذهاب إلى حضور سلطان الأزل و الأبد، فهذه الإشارة تنجي القلب من دهشة ألم تصور تمزقه مع جميع محبوباته بين أيدي عدمات هائلة غير متناهية، و التفرق بين أنياب فراقات مدهشة.»⁴

و هكذا تتضح الصورة المشرقة للموت، و تتكشف حقيقته، و ما على الإنسان إلا اتباع طريق واحدة موصلة لذلك و هي كما يقول الأستاذ: « إن النجاة من الإعدام الأبدي و الخلاص من السجن الإنفرادي،

1 اللذة والألم في فكر بديع الزمان النورسي، كنعان ميغا، ص190.

2 زياد خليل الدغامين، من قضايا القرآن و الإنسان في فكر النورسي ، ط1، دار سوزلر، القاهرة، 2009، ص168.

3 الكلمات، ص 522-523.

4 المشوي العربي النوري، ص374.

وهي ليست بلا مولى... فللمضيف رب كريم حكيم.. لا يضيع جزاء السيئة ولا الحسنه.. و « لا يكلف نفسا إلا وسعها » وحيث إن السبيل السوي و ما فيه أذى لا يستويان.. ولا يجاوز باب القبر أخلاء الدنيا و جاهها... فلا بد ان أسعد إنسان هو من: لا ينسى الآخرة لأجل الدنيا... ولا يضحى بأخرته للدنيا... ولا يفسد حياته الأبدية من أجل حياة دنيوية... و لا يهدر عمره بما لا يغنيه.. ينقاد للأوامر إنقياد الضيف للمضيف.. ليفتح باب القبر بأمان و يدخل دار السعادة بأمان»¹

يذكرنا الأستاذ أن الدار الفانية هي دار عمل، و أنها ليست هدفا في حد ذاتها، بل هي مرحلة يجتازها الإنسان ليقبل على ما هو خير، و أن من أراد النجاة و التمتع بكل ما أعدده الله لعباده الصالحين في الحياة الآخرة فعليه أن لا يضحى بما هو باق في سبيل ما هو فان، و أن يدرك أن العمر مهما طال قصير، و أن الدنيا مصيرها إلى زوال، و أن السعادة الحقيقية هي في اتخاذ الدنيا مطية للآخرة.

خاتمة

بعد الفراغ من هذا البحث حول « دور الإيمان في تحصيل سعادة الدارين » نتوصل إلى جملة من النتائج، أهمها:

1. نذر بديع الزمان النورسي حياته من أجل مهمة عظيمة و جليلة وهي « إنفاذ الإيمان ».
2. كان يبتغي من وراء ذلك العمل من أجل حياة باقية، و إرشاد الناس لما فيه نجاتهم و سعادتهم في الدنيا و الآخرة
3. تعرض النورسي - رحمه الله - و طلبته إلى شتى أنواع التضيق و الحصار و السجن، و لكن كل ذلك تحول بنور الإيمان إلى منح ربانية و سعادة قلبية تدفعهم للمضي في رسالتهم.
4. تفرد النورسي - رحمه الله - بإعطاء معاني جديدة لفهوم الإيمان و ربطها بالسعادة الدنيوية و الآخروية.

1 رسالة: مرشد الشباب للنجاة يوم الحساب، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إسمان قاسم الصالحي، ط8، دار سوزلر، القاهرة، 2013، ص121.

5. يقدم النورسي - رحمه الله - أشكالا كثيرة و صورا متنوعة من السعادة الدنيوية تشمل الإنسان و الكون والموجودات.

6. يصحح النورسي - رحمه الله - التصورات الشائعة و اليبائسة حول الموت، و يكشف عن وجهه الحسن و أنه مفتاح للسعادة الآخروية و أن القبر باب للولوج إليها.

7. يؤكد النورسي - رحمه الله - أن السعادة الآخروية نتيجة حتمية للرحمة الإلهية، و يدعو الإنسان للسعي للحصول عليها.

قائمة المصادر و المراجع

أولا: قائمة المصادر

1. الكلمات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إسمان قاسم الصالحي، ط2، دار النيل، القاهرة، 2013.
2. الشعاعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إسمان قاسم الصالحي، ط2، دار النيل، القاهرة، 2013.
3. المثنوي العربي النوري، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إسمان قاسم الصالحي، ط2، دار النيل، القاهرة، 2013.
4. المكتوبات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إسمان قاسم الصالحي، ط2، دار النيل، القاهرة، 2013.
5. اللّمعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إسمان قاسم الصالحي، ط2، دار النيل، القاهرة، 2013.
6. إشارات الإعجاز، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إسمان قاسم الصالحي، ط2، دار النيل، القاهرة، 2013.
7. الملاحق، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إسمان قاسم الصالحي، ط2، دار النيل، القاهرة، 2013.
8. الخطة الشامية، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إسمان قاسم الصالحي، ط7، دار سوزلر، القاهرة، 2013.

دور الإيمان في سعادة الإنسان من خلال رسائل النور

أ.م.د. سردار رشيد حمه صالح البينجويني
جامعة السليمانية / العراق

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين. ويعد..

فقد جاء الإسلام بنظام شامل وكامل، وشرّح لنا قوانين تكون سبب السعادة في الدنيا والآخرة، وهي مبتغى وأمل كل إنسان.

والإيمان له دور كبير في سعادة الإنسان، لأنه يبعث السكينة في نفس الإنسان. فلا يحزن على ما فاته، ولا يخاف مما يأتيه في المستقبل.

ونحن في هذا العصر المزدهم بالمشاكل وعدم الاستقرار بأمس الحاجة إلى التوعية من العلماء ومن أصحاب القلوب الطيبة يعيد لنا السعادة، ومن هؤلاء العلماء الصالحين الذين لهم تأثير على القلوب بديع الزمان الشيخ سعيد النورسي -رحمه الله ورفع درجاته- حيث أن من يقرأ رسائله النورانية يجد لها طعما خاصا ولذة إيمانية متميزة، ويحس بسعادة روحية ونفسية، لأنه يخاطب القلوب والعقول. ومن ذلك تركيزه الكثيرة على دور الإيمان في حياة الإنسان وسعادته.

إننا نحن المسلمون مدينون للأستاذ سعيد النورسي، لما بذله من جهد في خدمة الدين الإسلامي، وبما ترك لنا من المؤلفات الكثيرة الممتازة، حيث لا يستغني أحد من المسلمين من علومه وتوجيهاته

9. مرشد الشباب للنجاة يوم الحساب، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط8، دار سوزلر، القاهرة، 2013.

10. صيقل الإسلام، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط2، دار النيل، القاهرة، 2013.

ثانيا: قائمة المراجع

1. الإيمان و تجلياته في إسعاد الإنسان و حل إشكالات المدينة المعاصرة، بحث مقدم ضمن أعمال الملتقى العالمي التاسع حول بديع الزمان سعيد النورسي، استانبول 2010.

2. السلوك الروحي في مفهوم سعيد النورسي، سراج الدين نبيه، ط1، دار سوزلر، القاهرة، 2015.

3. العلاقة بين العلم و الإيمان كما يراها النورسي، نجيب السوداني، بحث مقدم ضمن أعمال الملتقى العالمي التاسع حول بديع الزمان سعيد النورسي، استانبول 2010.

4. اللؤلؤ و المرجان من حكم بديع الزمان سعيد النورسي، ط1، دار المأمون، عمان، الأردن، 2013.

5. اللذة و الألم في فكر بديع الزمان النورسي، كنعان ميغا، ضمن كتاب سعيد النورسي عملاق الفكر الديني في العصر الحديث، تحرير: إحسان قاسم الصالحي و آخرون، ط1، دار النيل، القاهرة، 2011.

6. حقيقة مقاصد رسائل النور: استمداداتها و امتداداتها، عمار جبدل، ط2، دار النيل، القاهرة، 2009.

7. علم النفس و معرفة النفس الإنسانية، سميع عاطف الزين، دط، دار الكتاب المصري، 1991، المجلد2.

8. من قضايا القرآن و الإنسان في فكر النورسي، زياد خليل الدغامين، ط1، دار سوزلر، القاهرة، 2009.

المباركة.

ورغبة في المشاركة في هذا المؤتمر المبارك (المؤتمر العالمي الثاني عشر لبديع الزمان سعيد النورسي/ الإيمان في حياة الفرد والمجتمع). أشارك بهذا البحث بعنوان (دور الإيمان في سعادة الإنسان من خلال رسائل النور). واشتمل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة.

المبحث الأول: دور الإيمان في سلوك الانسان

المبحث الثاني: دور الايمان في زرع السعادة

أسأل الله تعالى التوفيق. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كلمات مفتاحية: الايمان والسعادة, الايمان في رسائل النور, الايمان اساس السعادة

Abstract

The role of faith in human happiness through the messages of light

Praise be to Allah, prayer and peace upon our Master Muhammad and his family and companions to the day of judgment. And after..

Islam has come up with a comprehensive and complete system, and has legislated for US laws that will be the cause of happiness in this world and the hereafter , which is the desire and hope of every human being.

And faith has a great role in human happiness, because it emits Nirvana in the human soul. He does not mourn what he has missed, nor is he afraid of what will come in the future.

And we in this era crowded with problems and instability need many awareness of the scientists and the owners of good hearts restores us happiness, and from these Righteous scientists who have influence on the hearts Badie Zaman Sheikh Saeed Al-Nursi - may Allah have mercy on him and raise his grades- as the one who reads his messages noraniya finds her special taste and And it focused a lot on the role of faith in human life and happiness.

We Muslims are indebted to Mr. Saeed Al-Nursi, for his efforts in the service

of the Islamic religion, and for what he has left us of many excellent writings, where we cannot do without his blessed knowledge and guidance.

This research is entitled (The role of faith in human happiness through the messages of light). The research included an introduction, two researches and a conclusion.

The first building: the role of faith in human behavior

The second topic: the role of faith in the cultivation of happiness

Opening words: faith and happiness, faith in the messages of light, faith the foundation of happiness.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا وحبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين. وبعد..

فقد جاء الإسلام بنظام شامل وكامل, وشرّح للإنسان قوانين وقواعد ما يرتب له سعادته الدنيوية والأخروية -إن تمسك بها-, وهي مبتغى وأمل كل انسان.

والإيمان له دور كبير في هذه السعادة, لأنه يبعث السكينة والاطمئنان والسرور والراحة في نفس الإنسان, كما يجعل الإنسان متوكلا على الله تعالى في أموره كلها. فلا يحزن على ما فاتته, ولا يغتم لما لم يأت به بعد.

ونحن في هذا العصر المزدهم بالمشاكل والأمراض والحروب وعدم الاستقرار بأمس الحاجة إلى عبارات وكلمات ونصائح من أصحاب القلوب الربانية تعيد لنا السعادة, ومن هؤلاء العلماء الربانيين الذين لهم تأثير على القلوب بديع الزمان الشيخ النورسي -رحمه الله ورفع درجاته- حيث أن من يقرأ رسائله النورانية يجد لها طعما خاصا ولذة إيمانية متميزة, ويحس بسعادة روحية ونفسية, لأنه يخاطب القلوب والعقول. ومن ذلك تركيزه الكثير على دور الإيمان في حياة الانسان وسعادته.

وبما أن الشيخ النورسي كان من العلماء الصالحين المخلصين كان لتوجيهاته وكلماته النابعة من القلب أثر بين في نفوس وعقول الناس, وقد قيل: إذا خرج الكلام من القلب أثر في القلب, وإذا خرج

التَّصَدِيقُ بِقَلْبِهِ كَمَا صَدَّقَ بِلِسَانِهِ، فَقَدْ أَدَّى الْأَمَانَةَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ لَمْ يَعْتَقِدِ التَّصَدِيقَ بِقَلْبِهِ فَهُوَ غَيْرُ مُؤَدٍّ لِلْأَمَانَةِ الَّتِي انْتَمَنَ اللَّهُ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنَافِقٌ⁽¹⁾.

ولو تصفحنا ما كتبه استاذنا بديع الزمان النورسي - رحمه الله ورفع درجاته- في رسائل النور نجد كثير الاهتمام بموضوع الإيمان، والتركيز على ما للإيمان من فضل وأثر في سلوك الفرد والمجتمع، وما يعود عليهم بالخير والنعمة والفضل وإن الإيمان يكون حكما على أفعال وأقوال وتصرفات وسلوك الانسان، ويمنعه عن القيام بفعل المنكرات وكل ما يعود بالضرر على النفس والمجتمع وما هو محرم في دينه وعقيدته، فيكون إيمانه كفيلا بزجر النفس الأمارة بالسوء للوقوع في الجرائم والمعاصي والمنكرات وبهذا يسلم من العقوبات. وقد مثل شيخنا النورسي -رحمه الله- ذلك بحال السارق كيف ينهيه إيمانه عن القيام بالسرقة، حيث يقول: «إن السارق فينا في اللحظة التي يمد يده للسرقة يتذكر اجراء الحد الشرعي عليه، ويخطر بباله أنه أمر إلهي نازل من العرش الأعظم، فكأنه يسمع بخاصية الإيمان بأذن قلبه ويشعر حقيقة بالكلام الأزلّي الذي يقول {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ} [المائدة: 38] فيهيج عنده ما يحمله من إيمان وعقيدة، وتثار مشاعره النبيلة، فتحصل له حالة روحية أشبه ما يكون بهجوم يشن من أطراف الوجدان وأعماقه على ميل السرقة، فيتشتت ذلك الميل الناشيء من النفس الأمارة بالسوء والهوى، وينسحب وينكمش، وهكذا بتوالي التذكير هذا يزول ذلك الميل إلى السرقة، إذ الذي يهاجم ذلك الميل ليس الوهم والفكر وحدهما، وإنما هو قوى معنوية من عقل وقلب ووجدان، كلها تهاجم دفعة واحدة ذلك الميل والهوى فيتذكر الحد الشرعي يقف تجاه ذلك الميل زجر سماوي وراذع وجداني فيسكتانه.

إن الإيمان يقيم دائما في القلب والعقل حارسا معنويا أميناً، لذا كلما صدرت ميول فاسدة عن تطلعات النفس والنوازع والأحاسيس المادية قال لها ذلك الحارس الرادع: محظور.. ممنوع.. فيطردها ويهزمها. إن افعال الإنسان إنما تصدر عن تمايلات القلب والمشاعر وهي تنبعث من شدة تحسس الروح وحاجتها، والروح انما تهتز بنور الايمان، فان كان خير يفعله الإنسان، وإلا يحاول الانسحاب، وعندئذ لا تغلبه النوازع والأحاسيس المادية التي لا ترى العقبى⁽²⁾.

كما أن الإيمان يهذب سلوك الشباب الذين لديهم القدرة على ارتكاب الجرائم وفعل المنكرات وتجاوز الحدود، فلو لا الإيمان والخوف من عقاب الله لفعلوا كل ما تهواه أنفسهم ويرتكبوا أنواع الجرائم وظلموا

1 الهروي، محمد بن أحمد- تهذيب اللغة، 15/ 369.

2 النورسي- صيقل الاسلام، ص523.

من اللسان لم يتجاوز الأذان.

ولرغبتي في المشاركة في مؤتمركم الموقر (المؤتمر العالمي الثاني عشر لبديع الزمان سعيد النورسي/ الإيمان في حياة الفرد والمجتمع). والاستفادة من توجيهات شيخنا النورسي من خلال رسائله النورانية ودراساتها بدقة وعمق، لكشف دررها الكامنة. وددت المشاركة ببحث عنوانه (دور الإيمان في سعادة الإنسان من خلال رسائل النور). واشتمل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة.

المبحث الأول: دور الإيمان في سلوك الانسان

المبحث الثاني: دور الايمان في زرع السعادة

أسأل الله تعالى التوفيق. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول: دور الإيمان في سلوك الانسان

إن معرفة كنه الإيمان وأصل معناه وأركانه طريق صحيح ووسيلة سليمة للوصول إلى معرفة أثر الإيمان في سلوك وتصرفات الإنسان، فالإيمان مصدر: آمن يؤمن إيماناً؛ صار ذا أمن، فهو مؤمن⁽¹⁾. وقد اتفق علماء اللغة وغيرهم على أن (الإيمان) يأتي بمعنى التصديق؛ قال تعالى: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} [الحجرات: 14]، وجاء بمعنى (الطمأنينة) كما في قوله تعالى: {وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ} [قريش: 4]، وقال ابن منظور: الإيمان مأخوذ من الأمانة، لأن الله تعالى تولى علم السرائر وثبات العقد، وجعل ذلك أمانة أنتمن كل مسلم على تلك الأمانة، فمن صدق بقلبه ما أظهره لسانه فقد أدى الأمانة واستوجب كريم المآب إذا مات عليه⁽²⁾.

والإيمان: هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان بالشهادتين والأعمال بالجوارح⁽³⁾. فالإيمان في الأصل قول وعمل، والأصل في الإيمان الدخول في صدق الأمانة التي انتمنه الله عليها، فإذا اعتقد

1 ابراهيم مصطفى وآخرون- المعجم الوسيط، 1/28، والدكتور سعدي أبو حبيب - الفاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، ص25.

2 ابن منظور- لسان العرب، 12/ 294.

3 ابن أبي الخير يحيى - الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، 3/ 737.

مختلفون في مصدر السعادة، فمنهم من يجدها بسهولة، ومنهم من يضل الطريق فيبقى يطلبها طول عمره ولا يجدها، كالذي يطلب اللؤلؤ في الصحراء، ولم يعلم بأن اللؤلؤ يكون في البحر.

السعادة حالة معنوية، تهيم على قلوب ونفوس أهلها فتسكنها وتطمئننها. والسعادة الحقيقية ليست بكثرة المال والعيال والأصحاب والأقران والجاه والسلطان، مع اننا لا ننكر بأن هذه الأمور أحيانا تكون عاملا مساعدا للسعادة إذا أضيفت إلى العامل الحقيقي. كما ورد في قول الرسول صلى الله عليه وسلم « مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَيِّءُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ »⁽¹⁾.

والمؤمن يرى السعادة الحقيقية في تسليم العبد لخالقه والإيمان بأن الله يحب عباده ولا يريد لهم الا الخير، وإن ما يقدره الله لعباده من أمر فهو خير له، وإن الإنسان يجازى على أعماله يوم القيامة، فيدخل أهل الإيمان الجنة ليسعدوا ويتنعموا. إذن بالإيمان الحقيقي بالله تعالى وباليوم الآخر وبالقضاء والقدر من الله تعالى ينال الإنسان سعادة الدنيا والآخرة.

وتكتمل سعادة الانسان حين يكون حرا طليقا، لا يشعر بالذل والهوان. والإيمان يهب الانسان هذه الحرية، كما قال شيخنا النورسي: «المؤمن حر في ذاته. فالذي هو عبد لله رب العالمين لا ينبغي له ان يتذلل للناس، بمعنى: كلما رسخ الايمان قويت الحرية»⁽²⁾.

وفي جوابه على سؤال: كيف تكون الحرية خاصة الإيمان؟ يقول الأستاذ النورسي: « الذي ينتسب إلى سلطان الكون برابطة الإيمان ويكون عبدا له تنتزه شفقتة الإيمان عن التجاوز على حرية الآخرين وحقوقهم، مثلما تترفع شهامته الإيمانية وعزته عن التنازل بالتذلل للآخرين والانتقياد لسيطرتهم وإكراههم. نعم، إن خادما صادقا مخلصا للسلطان لا يتذلل لتحكم راع وسيطرتة، كما لا يتنازل أن يفرض سيطرتة على مسكين ضعيف، فبمقدار قوة الإيمان إذن تتلأأ الحرية وتسطح، فدونكم خير القرون، العصر السعيد، عصر النبوة والصحابة الكرام»⁽³⁾

إن الانسان المؤمن يشعر بلذة معنوية حين يلتزم بأوامر دينه، فهو يطلب اجرا على كل حركاته وسكناته الموافقة للشريعة، كما ويجد لذة في تركه للمنكرات والمحرمات، فعن حُدَيْفَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

1 مسند أحمد رقم الحديث (15372)، والأدب لمفرد رقم الحديث (116) والمستدرک على الصحيحين رقم الحديث (7306) وشعب الايمان رقم الحديث (9111).

2 النورسي - صيقل الاسلام، ص 535

3 النورسي - صيقل الاسلام ص 395

الضعفاء، وبخصوص هذا يقول الشيخ سعيد النورسي: « إن الشباب والمراهقين الذين يمثلون محور الحياة الاجتماعية لا يهدىء فورة مشاعرهم، ولا يمنعهم من تجاوز الحدود إلى الظلم والتخريب، ولا يمنع طيش أنفسهم ونزواتها، ولا يؤمن السير الأفضل في علاقاتهم الاجتماعية إلا الخوف من نار جهنم، فلولا هذا الخوف من عذاب جهنم لقلب هؤلاء المراهقون الطائشون الثملون بأهوائهم الدنيا إلى جحيم تتأجج على الضعفاء والعجائز حيث الحكم للغالب، ولحولوا الحياة الإنسانية السامية إلى حياة حيوانية سافلة.»⁽¹⁾.

ومن جانب آخر جرى اهتمام شيخنا سعيد النورسي بموضوع الإيمان باليوم الآخر من خلال رسائل النور، لما للإيمان باليوم الآخر من دور كبير في تقويم سلوك الإنسان وردّه إلى الفطرة التي فطره الله عليها. فيخاطب جميع الأعمار والأجناس بأن يستعدوا لذلك اليوم، يقول النورسي -رحمه الله-: « يهتف الإيمان بالآخرة بأولئك الأطفال قائلًا لهم: دعوا الوقاحة والإهمال، فقدامكم جنة النعيم، فلا تشغلوا أنفسكم عنها بالألاعيب. فيمكن الأخلاق عندهم بإرشاد القرآن الكريم.

ويخاطب الشباب: إن أمامكم نار جهنم فانتهاوا من السكر والعريضة. ويجعلهم يثوبون إلى رشدهم.

ويخاطب الظالم: احذر فإن عذابا شديدا سيحل بك، فيردعه عن الظلم، ويجعله يرضخ للعدالة.

ويخاطب الشيوخ: أباشروا فإن أمامكم شبابا خالدا ذا نضارة، وفي انتظاركم سعادة أخروية دائمة باقية، هي أسمى مما فقدتموه من أنواع السعادة وأعلى منها فاهلوا واسعوا للفوز بها، فيحول بكاءهم إلى بهجة وسرور.

وقياسا على هذا، فإن الإيمان بالآخرة يبين تأثيره الطيب ويرسل شعاع نوره إلى كل طائفة، جزئيا وكليها، عامها وخاصها، قليلها وكثيرها»⁽²⁾.

المبحث الثاني: دور الايمان في زرع السعادة

السعادة مطلب كل إنسان في كل زمان ومكان، والناس باختلاف أفكارهم ومعتقداتهم وتصوراتهم

1 النورسي - الشعاعات، ص 229.

2 النورسي - الشعاعات، ص 284

الوظيفة، بينما الكفر يجعله في الدنيا أيضا في جحيم معنوي سالبا منه السعادة إذ يريه الموت إعداماً أدياً»⁽¹⁾.

ولنور الإيمان آثار على كل مناحي الحياة، وينير للفرد والجماعة طريق السعادة، يذكر الأستاذ النورسي بعض فوائد الإيمان بقوله: «الحمد لله على الايمان بالله، إذ به يخلص الروح من ظلمات الأعدام ووحشة الاكوان ومن المأتم العمومي، ومن، ومن، ومن، ومن الى ما لا يحد من الاهوال المحرقة للروح..»

الحمد لله على نور الايمان الذي ارانا ملجأ، محسناً، كريماً، ودوداً، رؤوفاً، رحيماً؛ إذ الايمان هو المنور لنا الحياة الابدية، والمبشر المضي لنا السعادة الابدية، وهو المحتوي على نقطتي الاستناد والاستمداد، وهو الدافع لحجاب المأتم العمومي عن وجه الرحمة المرسله على وجه الكائنات، وهو المزيل للآلام الفراقية عن اللذائذ المشروعة براءة دوران الامثال، ويديم النعم معنى براءة شجرة الانعام..»⁽²⁾.

وحين ينظر المرء إلى الموت بهذه النظرة الإيمانية يحبب إليه الموت، وإلى هذا يشير بقوله « فنظرت أول ما نظرت إلى الموت المخيف، ورأيت أن الموت لأهل الإيمان تسريح من الوظيفة، والأجل هو بطاقته، فالموت إذن تبديل مكان، ومقدمة لحياة باقية، وباب إليها، وهو إنطلاق من سجن الدنيا إلى بساتين الآخرة، وهو انتظار زمن الوصول إلى ديوان الرحمن الرحيم لاستلام أجره العمل، وهو دعوة إلى دار السعادة. ولما فهمت حقيقة الموت فهما يقينياً أحببته»⁽³⁾. ويقول أيضاً: «فإن انتساب الإنسان بالإيمان، إلى القدير الذي لا نهاية له، وإلى السلطان الرحيم ذي الرحمة الواسعة، ودخوله في عبوديته بالطاعة والشكران، يبذل الأجل والموت من الإعدام الأبدي إلى تذكرة مرور، ورخصة إلى العالم الباقي، فلکم أن تقدروا كم يكون هذا الإنسان متلذذا بحلاوة العبودية بين يدي سيده، وممتنا بالإيمان الذي يجده في قلبه، وسعيداً بأنوار الإسلام، ومفتخراً بسيده القدير الرحيم شاكرًا له نعمة الإيمان والإسلام.»⁽⁴⁾.

وإذا سكن الإيمان قلب العبد يسعد بالموت لأنه يخرج به من سجن الدنيا إلى النعيم، كما يسعد

قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «النَّظْرَةُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومَةٌ فَمَنْ تَرَكَهَا مِنْ خَوْفِ اللَّهِ أَثَابَهُ جَلًّا وَعَزًّا إِيْمَانًا يَجِدُ خَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ»⁽¹⁾. ويشير الأستاذ النورسي إلى هذه الحقيقة بقوله: «إن رسائل النور التي هي تفسير حقيقي للقرآن الكريم، ببيان إعجاز معانيه الجليلة، تبين أن في الضلالة جحيماً معنوياً في هذه الدنيا، كما تثبت أن في الإيمان نعيماً معنوياً في الدنيا أيضاً... كما أن في الحسنات والخصال الحميدة والعمل بالحقائق الشرعية لذائذ معنوية أشبه ما تكون بملذات الجنة»⁽²⁾. ويقول أيضاً: «إن أهل الصلاح والإيمان يعيشون في جنة معنوية في هذه الدنيا، وبإمكانهم أن يتذوقوا طعم لذائذ تلك الجنة المعنوية بحواسهم ولطائفهم الإسلامية والإنسانية وتجليات الإيمان وجلواته، بل يمكنهم الاستفادة من تلك اللذات حسب تفاوت درجاتهم الإيمانية»⁽³⁾.

وقد ذكر الأستاذ النورسي الثمرات والفوائد والأرباح الكثيرة التي يحققها الإيمان بالآخرة، ويحقق له السعادة في الدنيا والآخرة، فيقول: «... مئات الثمرات والفوائد والنتائج التي يحققها الإيمان بالآخرة، منها ما يعود إلى سعادة الإنسان في الآخرة، ومنها ما يعود إلى سعاده في الدنيا»⁽⁴⁾. ثم يعدد بعضاً من هذه الثمرات التي تساعد الإنسان في الوصول إلى الراحة النفسية والسعادة القلبية. فنذكر على سبيل المثال: إن الإنسان يطمع دائماً في البقاء، وإن جميع لذائذ الدنيا لا تشبعه مادام هو على يقين أنه تأتيه لحظة الرحيل عن الدنيا من غير أن يعرف ذلك الموعد. لذلك فهو يفضل الآخرة على الأولى لما فيه من الاستقرار والبقاء، فهو يعمل بجد لكسب الآخرة ويجاهد نفسه من أجلها، ويعدّ نفسه ضيفاً مكرماً في الدنيا، وأنه سيسافر إلى مأواه الحقيقي بعد صدور التأشيرة.

إن الانسان المؤمن لا ينبغي أن يخاف من الموت الذي هو مستكره وثقيل على نفوس الناس. بل يجد في الموت راحة من نصب الدنيا ومتاعبها، وانتقالاً من دار الفناء والمحنة والغرور إلى دار البقاء والرحمة والسرور، ومن دار الشقاء إلى دار السعادة، كل ذلك بفضل الإيمان الراسخ في قلبه. وفي ذلك يقول الأستاذ النورسي: « إن المقايسة بين الكفر والإيمان تقضي في الآخرة إلى الجنة والنار، فإن الإيمان في الدنيا أيضا يحقق نوعاً من الجنة المعنوية، ويجعل المرء يرى الموت نوعاً من التسريح من

1 المستدرك على الصحيحين رقم الحديث 7875، قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ الإسناد ولم يُخرجاهُ »

2 النورسي - صيقل الاسلام ص 483

3 النورسي - صيقل الاسلام، ص 486

4 النورسي - صيقل الاسلام، ص 370

1 النورسي - صيقل الاسلام، ص 519.

2 النورسي - المشوي العربي النوري ، ص 135.

3 النورسي - الشعاعات، ص 21

4 النورسي - الشائعات، ص 261

وقد ذكر الاستاذ سعيد النورسي مقارنة بين حال أهل الإيمان وحال أهل الضلال بخصوص ما يحدث في عالم الدنيا من الحوادث والكوارث وما يترتب عليها من المخاوف والهلع لبعض البشر، فقد ذكر بأن أهل الضلال ينتابهم القلق والهلع والمخاوف لكونهم لا يؤمنون بأن هذه الظواهر والحوادث في قبضة خالق قادر عليم. فيعيشون في دوامة من الخوف والهلع. أما أهل الإيمان فيرون أن ما يحدث لمخلوقات الله تعالى في الكون لا يخرج عن سيطرة خالق حكيم عالم بدقائق الأمور. فإيمانهم بهذا يبعث فيهم السرور والسعادة والأمل والقوة. حيث يقول: فهذه الأمور المتسلسلة المترابطة في الكون سواء منها المادية أو المعنوية تهاجم أهل الضلال الذين حرموا من الإيمان وتهدهم وترهبهم وتحطم قواهم المعنوية، بينما لا تخيف أهل الإيمان ولا تهددهم بشيء بل تبعث فيهم السرور والسعادة والأمل والقوة. وذلك لأنهم يرون الوجود بنور الإيمان، وتلك الحادث المتسلسلة... إنما تتساق إلى وظيفة معينة محددة من قبل صانع حكيم لتؤديها ضمن نظام وحكمة من دون اختلاط ولا تجاوز قط. فيري الإيمان المؤمن: أن كل شيء ينال قبسا من تجليات جمال الله واتقان صنعته سبحانه، ويمنحه قوة معنوية عظيمة بما يفتح له من نماذج للسعادة الأبدية... إذ ينظرون إليها - أي إلى الحوادث- من خلال حقيقة إيمانهم، فيشاهدون إرادة الصانع الحكيم وإدارته وتدبيره إياها ضمن حكمته الواسعة. فيتحررون من المخاوف والأوهام... فينالون بهذا اطمئنانا يسعدهم في الدنيا كذلك، كل حسب درجته.⁽¹⁾

والشيخ سعيد النورسي يُكثر من التمثيل والحكايات في شرح المسائل لتقريب المعنى إلى أذهان الناس، على سبيل المثال فقد أتى بحكاية قصيرة لمعرفة مدى ما في الإيمان من سعادة ونعمة ولذة وراحة، حيث مثل لحال الكافر بنعم الله بمن هو متشائم في الدنيا لا يرى نورا ولا يكون تعبيرة للأمور والمتغيرات الا سلبيا، بينما مثل لحال المؤمن المتقائل بأن الحياة حلوة، وأن الدنيا دار ضيافة والضيف فيها مكرم معزز، ولا بد من التعبير عن كل الأمور بإيجابية. فذكر أن رجلين خرجا لسياحة وتجارة، فمضى أحدهما وكان أنانيا شقيا - تعبيرا عن الكافر أو الجاهل- إلى جهة، ومضى الآخر وهو رباني سعيد - تعبيرا عن الرجل المؤمن العارف بالله- إلى جهة ثانية، فالأول الذي كان أنانيا متشائما لقي بلدا في غاية السوء والشؤم في نظره، جزاء وفاقا على تشاؤمه، حتى اتخذت المملكة كلها في نظره شكل دار مأتم عام جراء كثرة الظلم، فلم يجد لنفسه علاجا لحاله المؤلم المظلم غير السكر لكيلا يشعر به. فظل في عذاب وجداني مؤلم لما يرى -حسب نظره المتشائم- فيما حوله من جنائز مرعبة ويتامى ببيكون بكاء يائسا مريرا.

1 النورسي - صيقل الاسلام ص520.

ببقائه في الحياة ليكثر من العبادة ويتزود للأخرة. فيتساوى عنده البقاء والموت. وفي ذلك يقول الأستاذ النورسي: « فما دامت هذه هي ماهية الموت - من زاوية الحقيقة- فلا ينبغي أن ينظر إليه كأنه شيء مخيف، بل يجب اعتباره تباشير الرحمة والسعادة. حتى أن قسما من أهل الله لم يكن خوفهم من الموت بسبب وحشة الموت ودهشته، وإنما بسبب رغبتهم في كسب المزيد من الخير والحسنات بإدامة وظيفة الحياة»⁽¹⁾..

فالإيمان له دور كبير وأثر واضح على الكبير والصغير في تخفيف المصيبة والخوف من الموت وفراق الأحبة، فالأطفال الذين هم أرق قلبا وأضعف جسما وأشد خوفا من كل شيء، لو لا الإيمان لما يتحملون فراق آبائهم وأمهاتهم وأطفالا أمثالهم بالموت. فإيمانهم بأنهم سوف يلتقون بهم مرة أخرى في الآخرة، وأنهم يكونون في نعيم لما تحملوا مصيبة فراقهم. كذلك الشيخ الذين قد وصلوا إلى حافة القبر، ويتقنوا أن شعلة حياتهم قد تنطفئ عن قرب، وسيغادرون هذه الحياة، فلولا إيمانهم بأن هناك حياة أخرى وأنهم سيلتقون بمن سبقهم إليها من أقربائهم وأحبابهم، لما تحملوا وما تهنوا بالأيام الباقية من حياتهم. وقد أشار إلى ذلك الاستاذ النورسي بقوله: « إن الأطفال... لا يمكنهم أن يتحملوا تلك الحالة التي تبدوا مؤلمة ومفجعة للموت والوفاة إلا بما يجدونه في أنفسهم وكيانهم الرقيق اللطيف من القوة المعنوية الناشئة من الإيمان بالجنة ذلك الإيمان الذي يفتح باب الأمل المشرق أمام طبائعهم الرقيقة التي لا تتمكن من المقاومة والصمود وتبكي لأدنى سبب، فيتمكنون به من العيش بهناء وفرح وسرور، فيحاور الطفل المؤمن بالجنة نفسه: إن أخي الصغير أو صديقي الحبيب الذي توفي، أصبح الآن طيرا من طيور الجنة، فهو إذن يسرح من الجنة حيث يشاء، ويعيش أفضل وأهنا منا. وإلا فلولا هذا الإيمان بالجنة لهدم الموت الذي يصيب أطفالا أمثاله وكذلك الكبار تلك القوة المعنوية لأولئك الذين لا حيلة لهم ولا قوة، ولحطم نفسياتهم، ولدمر حياتهم ونغصها... والشيخ إنما يتحملون ويصبرون وهم على شفير القبر ب (الإيمان بالآخرة). ولا يجدون الصبر والسلوان من قرب انطفاء شعلة حياتهم العزيزة عليهم، ولا من انغلاق باب دنياهم الحلوة الجميلة في وجوههم الا في ذلك الإيمان، فهؤلاء الشيخ الذين عادوا كالأطفال وأصبحوا مرهفي الحس في أرواحهم وطبائعهم، إنما يقابلون ذلك اليأس القاتل الأليم الناشئ من الموت والزوال ويصبرون عليه بالأمل في الحياة الآخرة»⁽²⁾.

1 النورسي - المعات ص244.

2 النورسي - الشعاعات ص 228-229.

يسكن جسمه وروحه ويطمئن قلبه ويعيد إليه السعادة. وفي ذلك يقول: «إن إنزال سكينه الإيمان في قلب من يعاني آلاما معنوية رهيبه للضلالة إذا ما نظر إليه بنظر التوحيد، يجعل ذلك الشخص الفرد العاجز الفاني عبدا مخاطبا لمعبوده العظيم، سلطان الكون ورب العالمين، ويمنح له بذلك الإيمان سعادة أبدية وملكا خالدا جميلا في منتهى السعة والجمال ودارا باقية خالدة، بل يجعل جميع المؤمنين - كل حسب درجته - ينالون من ذلك اللطف العميم والكرم الدائم...»⁽¹⁾.

إن الإنسان حين يشعر بضعفه وعدم قدرته على مواجهة الحياة ومتاعبها ومشاكلها، فيأس ويقنط، ويسود أمام عينيه جميع الألوان، ولا يشعر بسعادة ولا يهنأ بحياة، يتمنى أن يجد منقذا ومخلصا ومعينا يستند إليه ويتقوى به. والمؤمن يدرك بفطرته أنه ضعيف في خلقته ولكنه قوي بربه وخالفه، فهو يستعين بربه في جميع أموره، ويتيقن بأن كل شيء بقدر، وأن ما يقدره الله له خير. فهو سعيد دائما، لأنه في خير دائم. كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَصَابَتُهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»⁽²⁾. فأهل الإيمان متى شعروا بضعف أمان أمر يستعينون بربهم القوي القادر لتسهيل أمرهم، وإلى ذلك يشير الأستاذ النورسي بقوله: « راجعت آية (وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) [آل عمران: 173] فأعلمتني: إنك تستند بهوية الانتساب الإيماني إلى سلطان عظيم ذي قدرة مطلقة... فما دمت قد ظفرت بنقطة استناد مثل هذه بهوية الانتساب الإيماني، يمكنك إذن الاستناد والاعتماد إلى قوة عظيمة وقدرة مطلقة. وحقا كنت أحس بقوة معنوية هائلة كلما كنت أتلقى ذلك الدرس من تلك الآية الكريمة، فكنت أشعر أنني أملك من الاقتدار الإيماني ما يمكنني من أن أتحدى بها جميع أعدائي في العالم»⁽³⁾.

إن الإنسان يحب في الدنيا الحياة، ويحب في الحياة السعادة، ويجد السعادة في الإيمان. فالإيمان هو سعادة حياة الدنيا، كما هو مصدر الوصول إلى السعادة الدائمة الباقية في الآخرة، ولذلك نجد الأستاذ النورسي يشير إلى هذه الحقيقة بقوله: إن أقصى لذة وأبقى سعادة لحياتي هذه، إنما هو في الإيمان. أي الإيمان الجازم بأني مخلوق من خلقني ورباني، فأنا مصنوعه وعبده وتحت رعايته وعنايته ومحتاج إليه كل حين، وهو ربي وإلهي وهو الرحيم والرؤوف بي، فأيماني هذا لذة ما بعدها لذة، لذة كافية وافية دائمة وسعادة خالصة نقية لا يعكرها ألم، ففهمت من تلك الآية الكريمة- (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ

1 النورسي - الشعاعات ص9.

2 صحيح مسلم رقم الحديث (2999) ومسنده أحمد رقم الحديث (18939) وابن حبان رقم الحديث (2896).

3 النورسي - اللغات ص294.

أما الآخر الرجل الرباني العابد لله، فقد لقي في رحلته مملكة طيبة هي في نظره في منتهى الروعة والجمال، فرأى - حسب نظره - كل شيء جميل في هذه المملكة.

فبينما كان الرجل الأول المتشائم منشغلا بألمه وآلام الناس في المملكة. كان الثاني السعيد المتفائل مسرورا مع سرور الناس. فضلا عن أنه غنم لنفسه تجارة حسنة مباركة فشكر ربه وحمده.

وعند عودته إلى أهله، يلقي الرجل الأول فيسأل عنه وعن أخباره، فيخبره عن كل شيء عن أحواله المؤلم. فيقول له الرجل السعيد: يا هذا لقد جننت. فإن ما في باطنك من الشؤم انعكس على ظاهرك بحيث أصبحت تتوهم أن كل ابتسامة صراخ ودموع، وكل تسريح وإجازة نهب وسلب. عد إلى رشك. وطهر قلبك. لعل هذا الغشاء النكد ينزاح عن عينيك. وعسى أن تبصر الحقيقة على وجهها الأبلج... وبعد ذلك بدأ هذا الشقي يراجع نفسه، ويرجع إلى صوابه.⁽¹⁾

ولقد جذب انتباهي - حين قراءتي لرسائل النور - موضوعا في غاية الأهمية، وهو اهتمام الشيخ سعيد النورسي وشدة حرصه على إيمان أقربائه وأحبابه وأصدقائه ومريديه، لأن إيمانهم يخلصهم وينجيهم من الإعدام الأبدي الذي يؤدي بهم إلى الجحيم. فهو يريد لهم السعادة الأبدية ليكتمل سعادته برؤيتهم في لجنة. وهو واثق من أن أهل الإيمان هم السعداء في الدنيا والآخرة. وفي ذلك يقول: «وكذا رأيتني قادرا على الإحساس بسعادة غير محدودة، ناشئة من سعادة جميع أحبائي - الذين أضحى بحياتي وبقائتي بكل رضى وسرور من أجل سعادتهم - وذلك بوساطة الشعور الإيماني والانتساب والارتباط والعلاقة والأخوة، إذ الصديق الرؤوف يسعد بسعادة صديقه الحميم ويتلذذ بها. ولهذا فإنه ببقاء الباقي ينجو جميع ساداتي وجميع أحبائي... ينجون كلهم من الإعدام الأبدي وينالون سعادة سرمدية خالدة، فأحسست هذا بذلك الشعور الإيماني فانعكس علي شيء من سعادتهم وتذوقتها ذوقا خالصا، فغمرتني سعادة عظيمة، بسبب تلك العلاقة والأخوة والارتباط والمحبة»⁽²⁾.

وقد أشار الأستاذ سعيد النورسي إلى حقيقة علاج الإيمان للأمراض النفسية والآلام المعنوية التي لا تكشفها المختبرات التحليلية، وكذلك يعالج الشبهات والشكوك. فحين يستوطن الإيمان في قلب الإنسان

1 ينظر: النورسي - الكلمات ص10.

2 النورسي - الشعاعات ص71.

5. للإيمان دور كبير وأثر واضح على سلوك الإنسان وتهذيبه.

6. إن السعادة الحقيقية لا يمكن تحقيقها من غير الإيمان.

أوكيل { [آل عمران: 173]- كم يكون إذن عبارة (الحمد لله على نعمة الإيمان) عبارة جديرة ولائقة «⁽¹⁾

وخلص الكلام، إن السعادة التامة لا تحصل إلا مع الإيمان الحقيقي، وإن الحياة لا تحلو بغير الإيمان، وإلى هذا أشار الشيخ المرابي سعيد النورسي: «فالحياة.. إن كانت خالية من الإيمان، أو فقد الإيمان تأثيره فيها بكثر المعاصي، فإنها مع متاعها ولذتها الظاهرية القصيرة جدا تذيب الآلام والأحزان والهموم أضعاف أضعاف تلك المتع والملذات... ولكن إذا ما أصبح الإيمان حياة للحياة، وشع فيها من نوره، استتارت الأزمنة الماضية واستضاءت الأزمنة المقبلة، وتجدان البقاء وتمدان روح المؤمن وقلبه من زاوية الإيمان بأذواق معنوية سامية، وأنوار وجودية باقية. بمثل ما يمدهما الزمن الحاضر»⁽²⁾. ويقول أيضا: «لقد علمت يقينا... إن الذوق الحقيقي واللذة التي لا يشوبها ألم، والفرح الذي لا يكدره حزن، والسعادة التامة في الحياة الدنيا إنما هي في الإيمان، وفي نطاق حقائقه ليس إلا. ومن دونه فإن لذة دنيوية تحمل آلاما كثيرة كثيرة»⁽³⁾.

الخاتمة

في ختام هذا البحث المتواضع، أود الإشارة إلى أهم النتائج:

1. إن الأستاذ بديع الزمان النورسي كان عالما ريانيا، صاحب بصيرة.
2. لرسائل النور دور كبير في توعية المسلمين - لاسيما الشباب -.
3. لعبارات الشيخ بديع الزمان أثر بارز في صميم القلوب، وهذا دليل إخلاصه.
4. اهتم بديع الزمان بموضوع الإيمان اهتماما كثيرا في رسائل النور.

1 النورسي - الشعاعات ص 84.

2 النورسي - الكلمات ، ص 159.

3 النورسي - الكلمات ، ص 164.

المصادر والمراجع

1. إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار - المعجم الوسيط- مجمع اللغة العربية بالقاهرة- دار الدعوة.
2. ابن أبي الخير- أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليميني الشافعي (المتوفى: 558هـ)- الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار- المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف- أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية- الطبعة: الأولى، 1419هـ/1999م
3. أبو حبيب- الدكتور سعدي أبو حبيب- القاموس الفقهي لغة واصطلاحا - دار الفكر. دمشق - سورية- الطبعة: الثانية 1408 هـ = 1988 م
4. البخاري- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)- الأدب المفرد- المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي- دار البشائر الإسلامية - بيروت- الطبعة: الثالثة، 1409 - 1989
5. البيهقي- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجْردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)- شعب الإيمان- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجْردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)- حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، - مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند- الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م
6. الحاكم-- أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)- المستدرک علی

الصحيحينتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة:
الأولى، 1411 - 1990

7. النورسي - بديع الزمان النورسي - كليات النور/ صيقل الإسلام- ترجمة: إحسان قاسم-
الناشر: شركة سوزلر للنشر، القاهرة- مصر- الطبعة الثالثة، 2002م
8. النورسي - بديع الزمان النورسي -كليات النور/ الشعاعات- ترجمة: إحسان قاسم-
الناشر: شركة سوزلر للنشر، القاهرة- مصر- الطبعة الثانية، 1993م
9. النورسي - بديع الزمان النورسي -كليات النور/ اللمعات- ترجمة: إحسان قاسم- الناشر:
شركة سوزلر للنشر، القاهرة- مصر .
10. النورسي- بديع الزمان النورسي -كليات النور/ الكلمات - ترجمة: إحسان قاسم- الناشر:
شركة سوزلر للنشر، القاهرة- مصر. الطبعة السادسة - 2011م.
11. النورسي- بديع الزمان النورسي -كليات النور/ المثنوي العربي النوري - ترجمة: إحسان
قاسم- الناشر: شركة سوزلر للنشر، القاهرة- مصر. الطبعة الأولى - 1995م.

دور الإيمان في علاج الانحطاط الأخلاقي عند الإمام النورسي «رحمه الله»

The role of faith in treating moral decadence, according to Imam Nursi
“may God have mercy on him

أ.د. بشير عبد الرزاق سلمان السامرائي

تدريسي في كلية الإمام الأعظم (رحمه الله) الجامعة/ العراق

Iraq \ Prof. Dr BASHEER ABDULRAZZAQ SALMAN AL SAMARAAI
mail:Drbasheer01969@gmail.com

ملخص البحث

الإيمان عند الإمام النورسي هو قبول الحق وتصديقه، وأنه يكتمل بالترقي في كسب العلم والمعرفة، وفي العبودية بالدعاء، وأساس كل العلوم الحقيقية ونورها وروحها هو «معرفة الله»، والإيمان يجعل الإنسان سعيداً؛ لأنه يعرف ما يريد، وله هدف ووجهة وغاية يريد أن يصل إليها، والأساس في نيل هذه السعادة هو الاستقامة والعمل الصالح، والإيمان يغرس في نفس المؤمن أخلاقاً سامية وقدوة صالحة، وأن أهم سبب لانتهيار الأخلاق هو ترك الإيمان واتباع نمط الحياة الغربية الملحدة، فالعلاج أن تعود البشرية إلى الإيمان، والحفاظ على الحياة العائلية التي هي مركز تجمع الحياة الدنيوية ولولبها، فلا سعادة لروح الحياة العائلية إلا بالاحترام المتبادل الجاد والوفاء الخالص بين الجميع، والرأفة الصادقة والرحمة التي تصل إلى حد التضحية والإيثار.

Research Summary

Faith according to Imam Nursi is the acceptance and belief of the truth, and that it is completed by progress in gaining knowledge and knowledge, and in servitude by supplication. Because he knows what he wants, and he has a goal, a destination and a goal he wants to reach, and the basis for attaining this happiness is righteousness and righteous deeds, and faith instills in the believer a sublime morality and a good example, and that the most important reason for the collapse of morals is abandoning faith and following the atheistic Western lifestyle. mankind returns to faith, Preserving family life, which is the center of worldly life and its spiral. There is no happiness for the spirit of family life except with serious mutual respect and pure loyalty between all, and sincere compassion and mercy that reaches the point of sacrifice and altruism.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن الإيمان بكل تفاصيله هو المصدر الأساس في دخول الإسلام، وهو الطريق الواضح الذي يصل بالإنسان إلى محبة الله تعالى والفوز بالجنة، ومحل الإيمان هو القلب، فإذا دخله أصبح الإنسان جوهراً لائقاً للأبدية والجنة.

والبشر يبحثون عن السعادة والأمان والسلامة، وهذا شيء مغرور في فطرتهم، ولا ينالون هذه السعادة وهذا الأمن إلا بالإيمان، والأساس في نيل هذه السعادة هو الاستقامة والعمل الصالح، فلن يستقيم المخلوق ولن يعمل صالحاً إلا إذا عرف الله، فالله تعالى يريد أن يبني الفرد المؤمن مجتمعاً سامياً وسليماً ونبيلاً، فأعطاء الإيمان ليغرس فيه أخلاقاً سامية وقدوة صالحة.

ولا حياة بدون أخلاق؛ لأن الأخلاق أصل كل شيء، فإذا فسدت القيم والأخلاق انهار الإنسان وانحط إلى رتبة الحيوانات المفترسة، بل هو أسوأ منها، والانحلال الأخلاقي هو ظاهرة خطيرة جداً لأنها تُلقِي بظلالها على كل الأفراد وعلى المجتمع وعلى الدولة، والانحلال الأخلاقي هو فقدان جوهر

القيم والمبادئ الإيمانية والأخلاقية، والقيام بكل ما يتنافى مع الآداب العامة، وهذا كله من معاني رسائل النور.

والذي ينظر إلى سبب هلاك الأقسام الماضية مثل قوم نوح، وقوم لوط - عليهم السلام - وغيرهم هلكوا لتخليهم عن الإيمان؛ فلذلك انصرفوا وطغوا وعصوا وفسدت أخلاقهم.

والأنبياء والرسل أرسلهم الله تعالى ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، بتعليمهم الإيمان وبهدايتهم إلى سبيل الرشاد ولنذ الإلحاد والطغيان.

ويعتبر انحلال أخلاق بعض الناس ظاهرة خطيرة جداً، وخاصة في أيامنا هذه في هذا العصر، وتكمن خطورتها في أنها تشمل الأفراد والمجتمع، ففقدان بعض الشباب من البنين والبنات أصل القيم والمبادئ الأخلاقية الإسلامية، وقيامهم بما ينافي آداب الإسلام والآداب العامة، مؤشر خطير لتدمير الحياة كلها وإعمام الفوضى وظهور حياة الغاب بين البشر.

فأردت في البحث أن أشير من خلال رسائل النور إلى العلاقة الوطيدة بين الإيمان والأخلاق فهما صنوان لا ينفصلان، وأردت أن اعرف الجيل الجديد بخطورة الابتعاد عن الإيمان؛ لأنه سيؤدي إلى الانحلال والفساد الأخلاقي ويدمر الحياة.

وقسمت خطة البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة: وكان التمهيد في التعريف بمفردات الموضوع.

والمبحث الأول عن أسباب الانهيار الأخلاقي ومظاهره، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسباب الانهيار الأخلاقي.

المطلب الثاني: مظاهر الانهيار اخلاقي.

والمبحث الثاني: عن علاج الإيمان لانحلال الأخلاق من خلال رسائل النور، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دور الإيمان لإرجاع الإنسان إلى الأخلاق.

المطلب الثاني: دور الإيمان بالنهوض بأخلاق الأسرة.

وشره من الله^(١).

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج.

وأسال الله أن يكون خالصاً لوجهه الكريم.. وصلى الله وسلم على حبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد:

قبل أن أبدأ بالبحث يجب علي أن أعرف بالمفردات التي جاءت في عنوان البحث وهي الآتي:

أولاً: التعريف بالإمام بديع الزمان نور الدين سعيد النورسي، وهو غني عن التعريف؛ لكثرة ما كتب عنه، فهو من رجال الفكر والذكر ودعاة الإصلاح، كُتِبَ له القبول والخلود في قلوب الأمة؛ لأنه مرتبط بالقرآن الكريم حبل الله المتين، الذي يستمد منه أنواره، وهو من حملة رسالة الأنبياء، مقتدياً بهم، وسائراً على سننهم، ومقتبساً أنوارهم، وهو مجدد العصر فعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: (إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها)^(١)، وقد شهد له القاضي والداني بالإخلاص والعمل الصالح، وقد رأى كيف أن كثير من الأمة قد ابتعدت عن الإيمان وفسدت أخلاقهم، فأخذ يكتب ويدعو ويبين أسباب هذا الفساد وكيفيته وضع العلاج المناسب له من خلال رسائل النور.

ثانياً: تعريف الإيمان:

الإيمان في اللغة: (أَمَنَ) الْهَمَزُ وَالْمِيمُ وَالنُّونُ أَصْلَانِ مُتَقَارِبَانِ: أَخَذَهُمَا الْأَمَانَةُ الَّتِي هِيَ ضِدُّ الْخِيَانَةِ، وَمَعْنَاهَا سَكُونُ الْقَلْبِ، وَالْآخِرُ التَّصَدِيقُ. وَالْمَعْنَيَانِ مُتَدَانِيَانِ، الْأَمْنَةُ مِنَ الْأَمْنِ الَّذِي هُوَ الْإِقْرَارُ وَالطَّمَأْنِينَةُ. وَالْأَمَانُ إِعْطَاءُ الْأَمْنَةِ، أَصْلُ الْأَمْنِ طَمَأْنِينَةُ النَّفْسِ وَزَوَالُ الْخَوْفِ^(٢).

الإيمان في الاصطلاح: هو تصديق القلب بالله تعالى، وإذعانه وقبوله بكل ما جاء به النبي ﷺ، وقول باللسان، وتصديق بالجنان، وأركانه: الإيمان بالله وملائكته، وكتبه. ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره

وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله عن الإيمان: (هو الإقرار والتصديق الجازم الكامل، والاعتراف التام بوجود الله تعالى، واستحقاقه وحده العبادة دون ما سواه، واطمئنان القلب بذلك اطمئناناً تُرى آثاره في سلوك الإنسان، والتزامه بأوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه، مع إظهار الخضوع والطمأنينة، وبأن محمداً بن عبد الله رسول الله، وخاتم النبيين، والوثوق بالرسول في كل ما جاء به عن ربه سبحانه وعن دين الإسلام علماً وعملاً، من الأمور الغيبية، والأحكام الشرعية، والانقياد له بالطاعة المطلقة فيما أمر به أو نهى عنه)^(٣).

وتعريف الإيمان للإمام النورسي رحمه الله: (الإيمان: قبول الحق وتصديقه)^(٣).

وذهب الإمام النورسي بأن إيمان الإنسان يكتمل بالتعلم، أي: بالترقي عن طريق كسب العلم والمعرفة، وعن طريق العبودية بالدعاء، وأساس كل العلوم الحقيقية ونورها وروحها هو معرفة الله^(٤).

ويقول أيضاً: (إن الإيمان -الذي هو عبارة عن الانتساب إلى الصانع سبحانه- يقوم بإظهار جميع آثار الصنعة الكامنة في الإنسان، فتتبع ذلك قيمة الإنسان على مدى بروز تلك الصنعة الربانية، ولمعان تلك المرأة الصمدانية. فيتحول هذا الإنسان -الذي لا أهمية له- إلى مرتبة أسمى المخلوقات قاطبة، حيث يصبح أهلاً للخطاب الإلهي، وينال شرفاً يؤهله للضيافة الربانية في الجنة)^(٥).

فالإيمان تشريف للإنسان، ورفع لمقامه، فهو يسمو بنور الإيمان فيكتسب بذلك قيمة تجعله لائقاً بالجنة؛ ذلك لأن الإيمان يربط الإنسان بصانعه، فالإيمان انتساب كبير للموجد سبحانه؛ لذا يكتسب الإنسان بالإيمان قيمة سامية من حيث تجلي الصنعة الإلهية فيه، وظهور آيات نقوش الأسماء الربانية على صفحة وجوده، والإنسان هو صنعة خارقة للخالق الصانع، وهو أعلى الآيات وأرقاها وألطفها.

ثالثاً: تعريف الأخلاق: أما في اللغة: (خَلَقَ) الْخَاءُ وَاللَّامُ وَالْقَافُ أَصْلَانِ: أَخَذَهُمَا تَقْدِيرُ الشَّيْءِ،

1 الأشعري، أبو الحسن، رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، (ص: 155)؛ الحنفي ابن أبي العز، شرح الطحاوية، (2/478)؛ البركتي، التعريفات الفقهية: (ص: 9).

2 أبو حنيفة، الفقه الأكبر: (ص: 55).

3 النورسي بديع الزمان، المكتوبات: (ص: 42).

4 ينظر: النورسي بديع الزمان، الكلمات: (ص: 354 - 355).

5 النورسي بديع الزمان، الكلمات: (ص: 349).

1 أبو داود، سنن أبي داود أول كتاب الملاحم، باب ما يُذكر في قرن المئة (6/349) رقم: (4291)، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط في هامشه: «إسناده صحيح».

2 خليل الفراهيدي العين (8/388)؛ ابن فارس، مقاييس اللغة (1/133)؛ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص: 90).

يفتت الحديد، فهذه الميول إنما هي تجليات الأوامر التكوينية الصادرة من الإرادة الإلهية⁽¹⁾.

فيعد الإمام النورسي أن الأخلاق فطرية، وهي من الأصول لا الفروع، وهي قانون مبني على نظام ونسق متكامل، ومن خلال رسائل النور فإن الأخلاق عند الإمام النورسي هي: نظام القرآن الذي يطبع صورة الروح الإنسانية بماهيتها ويسلك بها مدارج التربية والمجاهدة لاكتساب معناها الكوني، فهو التصور الشمولي للأخلاق، فالأخلاق نظام القرآن ونسقه الكلي، وكل تصرفات البشرية نفسية كانت أو اجتماعية أو وجودية، مع سائر الكائنات إنما هي أخلاق⁽²⁾.

المبحث الأول: مظاهر وأسباب الانهيار الأخلاقي:

المطلب الأول: مظاهر الانهيار الأخلاقي:

من المعروف للقاصي والداني أن هناك انحداراً أخلاقياً كبيراً في مجتمعاتنا الإسلامية اليوم، وبشكل لافت للنظر، حيث غدت المنظومة الأخلاقية هشّة، بل أنها تصل في بعض البلدان إلى الانحلال، وهناك مظاهر والمؤشرات كثيرة تدل على هذا الانحلال، ومظاهر الانهيار الأخلاقي كثيرة ومن أهم هذه المظاهر:

الكذب: هو من أقبح وأسوء الصفات التي يتحلّى بها بعض الناس والكذب يقلل من قيمة صاحبه، ومن المعلوم أنه حرام، وأنه دائماً يجلب الجرائم بأنواعها، قال الله تعالى: {وَأَجْتَبُوا قَوْلَ الزُّورِ} (3)، وقال تعالى: {إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} (4)، وهو من أبغض الأخلاق عند النبي^ص وعند أصحابه^ع فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: مَا كَانَ خُلُقُ أَبِي بَعْضٍ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ^ص مِنَ الْكُذِبِ، وَلَقَدْ «كَانَ الرَّجُلُ يَكْذِبُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ^ص الْكُذِبَةَ، فَمَا يَزَالُ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْظُمَ أَنَّهُ قَدْ أَخَذَتْ مِنْهَا تَوْبَةً» (5).

ويحدثنا الإمام النورسي بجعل مقارنة بين مظاهر الإيمان في عصر الصحابة ومظاهره في العصر

1 النورسي بديع الزمان، المثوي العربي النوري: (ص: 419 - 420).

2 ينظر: النورسي بديع الزمان، إشارات الإعجاز (ص: 8).

3 الحج 30.

4 النحل: 105.

5 الإمام أحمد، مسند أحمد مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها (42/100) رقم: (25183)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في هامشه: «إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين».

وَالْأَخْرُ مَلَأَسَةُ الشَّيْءِ. فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَقَوْلُهُمْ: خَلَقْتُ الْأَدِيمَ لِلسَّعَاءِ، إِذَا قَدَرْتَهُ. وَمِنْ ذَلِكَ الْخُلُقِ، وَهِيَ السَّجِيَّةُ؛ لِأَنَّ صَاحِبَهُ قَدْ قَدَّرَ عَلَيْهِ. وَفُلَانٌ خَلِيقٌ بَكْدَا، وَأَخْلَقَ بِهِ، أَيُّ مَا أَخْلَقَهُ، أَيُّ هُوَ مِمَّنْ يَقْدَرُ فِيهِ ذَلِكَ. وَالْأَصْلُ الثَّانِي: صَحْرَةُ خَلْقَاءِ، أَيُّ: مَلْسَاءَ. لَخُلُقِ: الْخَلِيقَةِ، أَيُّ: الطَّبِيعَةِ، وَالْجَمْعُ: أَخْلَاقٌ، لَا يُكْسَرُ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ⁽¹⁾.

والأخلاق: قال الغزالي: (الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية)⁽²⁾.

وعرّف الجرجاني رحمه الله الخلق بأنه: (عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقاً سيئاً)⁽³⁾.

وحسن الخلق: هو التخلّق بأخلاق الشريعة، والتأدب بآداب الله التي أدب بها عباده في كتابه، وهو هيئة ثابتة راسخة في نفس الإنسان غير عارضة طارئة⁽⁴⁾.

وإذا كان النورسي رجلاً قرآنياً وكان منهجه القرآن، فلا بد أن تكون أخلاقه أخلاقاً قرآنية، ولا بد أن تكون نظريته الأخلاقية كذلك، وارتكز الإمام النورسي في الأخلاق على عنصرين أساسيين وهما: القرآن الكريم والسنة المطهرة ومنها السيرة النبوية، واعتمد على الأصول الأخلاقية وهي العدالة والمحبة، ويرى الإمام سعيد النورسي أن الأخلاق فطرية في الإنسان، وهي التي تحث الإنسان على السير نحو الكمال، فالتدين وحب الخير والتعامل بالصدق في الأقوال والأعمال في الإنسان فطرية، ويقول الإمام النورسي: (... أن الفطرة لا تكذب، ففي البذرة ميلان للنمو، إذا قال: سأنبت، سأثمر، فهو صادق، وفي البيضة ميلان للحياة، إذا قال: سأكون فرخاً، فيكون بإذن الله، وهو صادق، وإذا قال ميلاناً للتجمد في غرفة من ماء: سأحتل مكاناً أوسع، فلا يستطيع الحديد - رغم صلابته - أن يكذبه، بل صدق قوله

1 ابن فارس، مقاييس اللغة (2/ 213 - 214)؛ ابن منظور، لسان العرب (10/ 86).

2 الغزالي، محمد أبو حامد، إحياء علوم الدين، (3/53).

3 الجرجاني، التعريفات (ص: 101).

4 ينظر: عدد من الباحثين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (5/1584) (5/ 1584).

عن أداء المسؤولية الملقاة على عاتق الشخص، ومهما كان هذا الشخص، وكلما كانت المسؤولية أعظم كانت الخيانة عن عدم أدائها أعظم، والخيانة من صفات المنافقين، عن أبي هريرة قال الرسول: (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ)⁽¹⁾.

ويقول الإمام النورسي وهو يتحدث عن مرض اجتماعي خطير: (إنَّ اشدَّ القبائل تأخرًا يدركون معنى الخطر الداهم عليهم، فتراهم ينبذون الخلافات الداخلية، وينسون العداوات الجانبية عند إغارة العدو الخارجي عليهم).

وإذ تقدّر تلك القبائل المتأخرة مصلحتهم الاجتماعية حقّ قدرها، فما للذين يتولون خدمة الإسلام ويدعون إليه لا ينسون عداوتهم الجزئية الطفيفة فيمهدون بها سبيل إغارة الأعداء الذين لا يحصرهم العدّ عليهم؟! فلقد ترأصف الأعداء حولهم وأطبقوا عليهم من كل مكان.. إنَّ هذا الوضع تدهورٌ مخيف، وانحطاط مفعج، وخيانة بحق الإسلام والمسلمين)⁽²⁾.

فهذا جزء من منهج الإمام النورسي الذي يصلح دواءً لهذه الأمة الضائعة، والذي نلاحظه اليوم من تشي سوء الأخلاق في المجتمع والتلفظ بالألفاظ النابية التي تخدش الحياء، والتدخين المعطن من المراهقين، بل وحتى تعاطي المخدرات والأقراص المخدرة وغيرها، والكلام البذيء في الأماكن العامة والخاصة، دون أدنى احترام للآخرين، فعن أبي مسعود، قال: قَالَ النَّبِيُّ: (إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَأَصْنَعْ مَا شِئْتَ)⁽³⁾.

المطلب الثاني: أسباب الانهيار الأخلاقي:

أسباب الانهيار الأخلاقي كثيرة، لكن من أهمها هو ترك الإيمان واتباع نمط الحياة الغربية الملحدة، التي ركز عليها الإمام النورسي رحمه الله وسمى أصحابها الذين يدعون إليها: «معاول الهدم ومطارق التخريب»، وهذا ما بينه بقوله: (ثم إن هناك ثلاث مسائل هي: الحياة.. الشريعة.. الإيمان:

وأن مسألة «الإيمان» هي أهم هذه المسائل الثلاث وأعظمها في نظر الحقيقة، بيد أن «الحياة» و«الشريعة» تدوان في نظر الناس عامة وضمن متطلبات أوضاع العالم أهم تلك المسائل، ولما كان

1 متفق عليه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق (1/16) رقم: (33)؛ ومسلم، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق (1/78) رقم: (59).

2 النورسي بديع الزمان، المكتوبات: (ص: 333).

3 البخاري صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إذا لم تستحي فاصنع ما شئت (8/29) رقم: (6120).

الراهن فيقول:

(... ففي عصر النبوة السعيد وخير القرون على الإطلاق، عُرضت في سوق الحياة الاجتماعية أمور، فبديهى أن يسعى الصحابة الكرام نحو الصدق والخير والحق لما يملكون من فطر صافية وسجايا سامية، وبديهى كذلك أن ينفروا ويتجنبوا كلَّ ماله نتائجُ وخيمة وشقاء الدنيا والآخرة كالكذب والشر والكفر، فالتقوا حول راية الرسول الكريم، وتجنبوا مهازل مسيلمة الكذاب الذي يمثل الكذب والشر والباطل).

بيد أن الأمور تغيرت تدريجيًا وبمرور الزمن فلم تبق على حالها كما هي في قرون الخير، فتقلصت المسافة بين الكذب والصدق رويدًا رويدًا كلما اقتربنا إلى عصورنا الحاضرة حتى أصبحا مترادفين متكاتفين في العصر الحاضر، فصار الصدق والكذب يُعرضان معا في معرض واحد، ويصدران معا من مصدر واحد ففسدت الأخلاق الاجتماعية واختلت موازينها، وزادت الدعايات السياسية إخفاء قبح الكذب المرعب وستر جمال الصدق الباهر)⁽¹⁾.

يقارن الإمام النورسي في هذا الكلام بين عصرين: عصر الصحابة الكرام الذين كانوا يعيشون مع النبي، وعصرنا الحالي، فعصر الصحابة كان نقيًا خاليًا من الشوائب؛ لأن إيمانهم راسخ، ومحبتهم لرسول الله عظيمة، فكانوا يميزون بين الصواب وغيره، وبنوا نفوسهم على الصدق وتجنبوا الكذب، أما عصرنا هذا فهو ملئ بالكذب، وتغيرت بعض من الأعراف والتقاليد الاجتماعية وغيرها.

ومن مظاهر الانحطاط الأخلاقي: الخيانة والخداع، يقول الإمام النورسي: (سيكون زمان يُخفي الضدَّ ضدَّه، وإذا باللفظ ضد المعنى في لغة السياسة، وإذا بالظلم بليس قلنسوة العدالة، وإذا بالخيانة ترتدي رداء الحمية بثمن زهيد، ويُطلق اسم البغي على الجهاد في سبيل الله، ويسمى الأسر الحيواني والاستبداد الشيطاني حرية)⁽²⁾.

يذكر الإمام النورسي هذا وهو ينطبق على عصرنا هذا، فتنمائل الأضداد، وتبادل الصور والمقامات والمواضع، وتتقابل الأسماء، فالخيانة من الأخلاقيات التي حرمها الإسلام، وحاربها، وهي النقايس

1 النورسي بديع الزمان، الكلمات: (ص: 481).

2 النورسي بديع الزمان، الكلمات، اللوامع: (ص: 834).

والكلمة الثانية الظالمة الحريصة الشوهاء هي التي هارت بترقيّات البشر فأوشك أن تنهار بها في نار الهزج والمزج. والمستأصلُ والدواء لتلك الكلمة ليس إلا «حُرمة الربا». فتأمل!(¹).

يحذر الإمام بديع الزمان في هذا الكلام من (الأنا)، التي كانت سبب خراب البشرية، والتي هي داء خلقي عضال، فشخص المرض ووضع العلاج لها، فعلى الإنسان أن يتوازن فطريًا، ويرتقي بمدارج الصلاح الخلقي، فالإنسان مخلوق مثل بقية المخلوقات يستوي وإياهم للخضوع لصفة الخالقية، فهو ضعيف فقير عاجز محتاج.

ويؤكد الإمام النورسي أن مخالفة الشريعة والجهل بها من أسباب تردي الأخلاق مما يؤدي إلى النفاق والعياذ بالله فيقول: (... وإنما الذي أردنا إلى هذا الوضع وحال بيننا وبين إعلاء كلمة الله هو مخالفتنا للشريعة الغراء نتيجة «جهلنا» بها، و«الضرورة» -أي الفاقة الشديدة- التي أثمرت سوء الأخلاق وسوء المعاملات و«الاختلاف» الذي انتج الأغراض الشخصية والنفاق، فاتحادنا هجوم على هذه الثلاثة من الأعداء الظلمة(²).

مما يحزن أن المسلمين يسبغون من ضعف إلى ضعف، ويخرجون من جهل إلى جهل، والعلة الحقيقية لما هُم فيه إنما هي الجهل بالشريعة الإسلامية، وإهمال تطبيقها على كمالها وسموها، ولا يعلمون أنّ تشبّثهم بالقوانين الوضعية الفاسدة هو الذي أفسدهم، وأورثهم الضعف والذلة.

المبحث الثاني: علاج الإيمان لانحلال الأخلاق من خلال رسائل النور: المطلب الأول: دور الإيمان في علاج الأخلاق الفردية:

إن الإيمان يهدف أن يلتزم الإنسان بالأخلاق الحميدة، إرضاءً لله عز وجل، لا لمحمدة من أحد، أو لمنفعة معينة، ويهدف أيضًا إلى بناء مجتمع يقوم على التراحم والتعاون والإيثار وحب الخير للناس، من خلال علاقات حسنة للناس من أقارب أو مسلمين أو غير مسلمين، بل وحتى مع الحيوان والجماد، أما النظم الغربية الداعية إلى الإلحاد فهدها أن ينسلخ الإنسان عن القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة، فهو يدعو إلى الحيوانية الشهوانية، فيضع الإمام النورسي العلاج الفعال فيقول:

(والقرآن الكريم النازل رحمة للعالمين لا يقبل إلا طرازًا من المدنية التي تمنح السعادة للجميع أو

تغيير أوضاع المسائل الثلاث كلها دفعة واحدة في الأرض كافة لا يوافق سنة الله الجارية في البشرية، فإن ذلك الشخص المنتظر لو كان موجودًا في الوقت الحاضر لاتخذ أعظم تلك المسائل وأهمها أساسًا له دون المسائل الأخرى، وذلك لئلا تُفقد خدمة الإيمان نزاهتها وصفاءها لدى الناس عامة؛ ولكي يتحقق لدى عقول عوام الناس -الذين يمكن أن يُستغفلوا ببساطة- أن تلك الخدمة ليست أداة لأي مقصد آخر.

ثم إن معاول الهدم ومطارق التخريب تعمل منذ عشرين عاما مقترفة أشد أنواع الظلم وأقسى ضروب التعسف لإفساد الأخلاق حتى ضاعت الثقة والوفاء إلى درجة لم يعد يوثق بشخص واحد من كل عشرة أشخاص، بل من كل عشرين شخصًا.

فتجاه هذه الحالات المحيرة لابد من ثبات عظيم وصلابة تامة ووفاء خالص وغيره على الإسلام تفوق كل شيء.. وبخلافه ستبقى خدمة الإيمان عقيمة بائرة، وتكون ضارة، بمعنى أن أخلص خدمة وأسماءها وأهمها وأولها بالتوفيق هي الخدمة السامية التي يعمل فيها طلاب رسائل النور(¹).

فالإمام النورسي يرى أن الإيمان هو الأهم ويحذر من معاول الهدم والتخريب المتمثلة بالإلحاد؛ لأن الإلحاد هو الذي يفسد الفطر السليمة فتفسد الأخلاق والحياة.

ونذكر الإمام كلامًا بديعًا في كلامه عن وجوب الزكاة وحرمة الربا فيقول:

(إنّ هناك كلمتين اثنتين هما منشأ جميع ما آلت إليه البشرية في حياتهم الاجتماعية من تردٍ في الأخلاق وانحطاط في القيم، وهما منبع جميع الاضطرابات والقلقل،... والكلمتان هما:

الكلمة الأولى: «إن شبعث، فلا عليّ أن يموت غيري من الجوع».

الكلمة الثانية: «اكتسب أنت لأكل أنا، واتعب أنت؛ لأستريح أنا»

فالكلمة الأولى الغدّارة النّهمة الشنعاء هي التي زلزلت العالم الإنسانيّ فأشرف على الخراب. والقاطع لِعرق تلك الكلمة ليس إلا «الزكاة».

1 النورسي بديع الزمان، المكتوبات (ص: 340 - 341)؛ النورسي بديع الزمان، إشارات الإعجاز (ص: 52)..

2 النورسي بديع الزمان، السيرة الذاتية: (ص: 123).

1 النورسي بديع الزمان، الملاحق: ملحق قسطنطيني: (ص: 129).

وَالْآخِرَةَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ⁽¹⁾، الآية صريحة وواضحة فهي تبشر بالعذاب الأليم في الدنيا، وكذلك في الآخرة لمن يحبون أن تشيع الفاحشة في المجتمع المسلم، فكيف بمن يتجاوزون مجرد الحب إلى الممارسة الفعلية لعملية نشر الفاحشة، أكان بفتح أبواب لها، أم اتخاذها حرفة أو تجارة، أم بتعمد نشر أخبارها كي يتجرأ الناس عليها.

وربط الإمام النورسي رحم الله الإيمان بالأخلاق من خلال المثال في القصة الجميلة في الكلمة الثانية من الكلمات فقال: (إن كنت تريد أن تعرف مدى ما في الإيمان من سعادة ونعمة، ومدى ما فيه من لذة وراحة، فاستمع إلى هذه الحكاية القصيرة: خرج رجلان في سباحة ذات يوم، من أجل الاستجمام والتجارة، فمضى أحدهما وكان أنانياً شقيماً إلى جهة، ومضى الآخر وهو رباني سعيد إلى جهة ثانية، فالأناني المغرور الذي كان متشائماً لقي بلداً في غاية السوء والشؤم في نظره، جزاءً وفاقا على تشاؤمه، حتى إنه كان يرى -أيماً أتجه- عجزاً مساكين يصرخون ويولولون من ضربات أيدي رجال طغاة قساة ومن أعمالهم المدمرة، فرأى هذه الحالة المؤلمة الحزينة في كل ما يزوره من أماكن، حتى اتخذت المملكة كلها في نظره شكل دار مآثم عام. فلم يجد لنفسه علاجاً لحاله المؤلم المظلم غير السكر، فرمى نفسه في نشوته؛ لكيلا يشعر بحاله، إذ صار كل واحد من أهل هذه المملكة يتراءى له عدواً يتربص به، وأجنبياً يتنكر له، فظل في عذاب وجداني مؤلم لما يرى فيما حوله من جنائز مُرعبة ويتامى بيبكون بكاءً يائساً مريراً.

أما الآخر، الرجل الرباني العابد لله، والباحث عن الحق، فقد كان ذا أخلاق حسنة بحيث لقي في رحلته مملكة طيبة هي في نظره في منتهى الروعة والجمال، فهذا الرجل الصالح يرى في المملكة التي دخلها احتفالات رائعة ومهرجانات بارعة قائمة على قدم وساق، وفي كل طرف سرورا، وفي كل زاوية حورا، وفي كل مكان محاريبٍ ذُكر، حتى لقد صار يرى كل فرد من أفراد هذه المملكة صديقا صدوقا وقريبا حبيبا له. ثم يرى أن المملكة كلها تعلن -في حفل التسريح العام- هتافات الفرح بصيحة مصحوبة بكلمات الشكر والثناء. ويسمع فيهم أيضا أصوات الجوقة الموسيقية وهي تقدّم ألقانها الحماسية مقترنة بالتكبيرات العالية والتهليلات الحارة بسعادة واعتزاز للذين يُساقون إلى الخدمة والجندية، فبينما كان ذلك الرجل الأول المتشائم منشغلا بألمه وآلام الناس كلهم، كان الثاني السعيد المتقائل مسرورا مع سرور الناس كلهم فرحا مع فرحهم، فضلا عن أنه غنم لنفسه تجارة حسنة مباركة فشكر ربّه وحمده.

ولدى عودته إلى أهله، يلقى ذلك الرجل فيسأل عنه وعن أخباره، فيعلم كل شيء عن حاله فيقول

1 النور: 19.

الأكثرية، بينما المدنية الحاضرة قد أطلقت الأهواء والنوازع من عقالها، فالهوى حر طليق طلاقة البهائم، بل أصبح يستبد، والشهوة تتحكم، حتى جعلتنا الحاجات غير الضرورية في حكم الضرورية، وهكذا مُحيت راحة البشرية؛ إذ كان الإنسان في البداوة محتاجا إلى أشياء أربعة، بينما أفقرته المدنية الحاضرة الآن وجعلته في حاجة إلى مائة حاجة وحاجة، حتى لم يعد السعي الحلال كافياً لسد النفقات، فدفعت المدنية البشرية إلى ممارسة الخداع والانتغماس في الحرام. ومن هنا فسدت أسس الأخلاق، إذ أحاطت المجتمع والبشرية بهالة من الهيبة ووضعت في يدها ثروة الناس فأصبح الفرد فقيرا وفاقدا للأخلاق.

والشاهد على هذا كثير، حتى إن مجموع ما ارتكبه البشرية من مظالم وجرائم وخيانات في القرون الأولى قاءتها واستقرغتها هذه المدنية الخبيثة مرة واحدة، وسوف تصاب بالمزيد من الغثيان في قابل أيامها ومن هنا ندرك لِمَ يتوانى العالم الإسلامي في قبولها ويتحرج، إن استكافه منها له مغزى يلفت النظر⁽¹⁾.

جعل الإمام النورسي هذا الكلام في موازنة بين الحضارة الحاضرة والشريعة الغراء، والدهاء العلمي والهدى الإلهي، فالتزويد السريع للحاجات من مخلفات المدنية الحديثة، فقد أفقدت الناس التمييز بين الضروريات والكماليات ومعظمها لا يقضى إلا على حساب حاجات آخرين؛ فصار المسرف مقلدا لغيره في الشعور بالازدياد المستمر في الاحتياجات، وأما ما تدعو إليه الحضارة الغربية الملحدة هو الانحطاط الأخلاقي، فكثرت عندهم المظالم والجرائم والخيانات؛ لأنه إذا كان الإله خرافة فكل شيء مباح.

ويقول وهو يتحدث عن أخلاقيات الصحافة: (... ونشطت الصحافة في نشر الابتذال في الأخلاق والاستهزاء بالدين، فانتشرت كتب الإلحاد، وحلت محل كلمات «الله، الرب، الخالق، الإسلام» كلمات «الطبيعة، التطور، القومية التركية.. الخ»⁽²⁾.

يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا

1 النورسي بديع الزمان، الكلمات: (ص: 842).

2 النورسي بديع الزمان، السيرة الذاتية: (ص: 255).

فالتلميذ المخلص للفلسفة «فرعون» ولكنه فرعون ذليل، إذ يعبد أخس شيء لأجل منفعته، ويتخذ كل ما ينفعه رباً له، ثم إن ذلك التلميذ الجاحد «متمرد و عنود» ولكنه متمرد مسكين يرضى لنفسه منتهى الذل في سبيل الحصول على لذة، وهو عنود دنيئ إذ يتذلل ويخضع لأشخاص هم كالشياطين، بل يقبل أقدامهم! ثم إن ذلك التلميذ الملحد «مغرور، جبار» ولكنه جبار عاجز لشعوره بمنتهى العجز في ذاته، حيث لا يجد في قلبه من يستند إليه. ثم إن ذلك التلميذ «نفعي ومصليحي» لا يرى إلا ذاته. فغاية همته تلبية رغبات النفس والبطن والفرج، وهو «دساس مكار» يتحرى عن مصالحه الشخصية ضمن مصالح الأمة.

بينما تلميذ القرآن المخلص هو «عبد» ولكنه عبد عزيز لا يستذل لشيء حتى لأعظم مخلوق، ولا يرضى حتى بالجنة تلك النعمة العظمى - غاية لعبوديته لله، ثم إنه تلميذ «متواضع، لين هين» ولكنه لا يتذلل بإرادته لغير فطره الجليل ولغير أمره وإذنه، ثم إنه «فقير وضعيف» موثق بفقره وضعفه، ولكنه مستغن عن كل شيء بما آخزه له مالكه الكريم من خزائن لا تنفذ في الآخرة، وهو «قوي» لاستناده إلى قوة سيده المطلقة، ثم إنه لا يعمل إلا لوجه الله، بل لا يسعى إلا ضمن رضا بلوغا إلى الفضائل ونشرها.

وهكذا نفهم التربية التي تربي بها الحكمتان، لدى المقارنة بين تلميذيهما⁽¹⁾.

قال الله تعالى: **﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾**⁽²⁾.

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: **﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾** (أي: تجاوز الحد في العصيان، قيل: نزلت في النضر وابنه الحارث، وهي عامة في كل كافر آثر الحياة الدنيا على الآخرة)⁽³⁾.

ويؤكد الإمام النورسي: أن صاحب الإيمان هو الذي يرتقي إلى الإنسانية الصحيحة فيقول: (إن اكتمال الإنسانية وارتقاؤها إلى الإنسانية الحقّة إنما هو بالإيمان وحده)⁽⁴⁾.

1 النورسي بديع الزمان، الكلمات: (ص: 143).

2 النورسي بديع الزمان، النازعات: 37 - 41.

3 القرطبي، تفسير القرطبي: (19/207).

4 النورسي بديع الزمان، الكلمات: (ص: 304).

له: «يا هذا لقد جُننت! فإن ما في باطنك من الشؤم انعكس على ظاهرك، بحيث أصبحت تتوهم أن كل ابتسامة صراخ ودموع، وأن كل تسريح وإجازة نهب وسلب. عُذ إلى رُشدك، وطهر قلبك، لعل هذا الغشاء النكد ينزاح عن عينيك، وعسى أن تبصر الحقيقة على وجهها الأبلج، فإن صاحب هذه المملكة ومالكها وهو في منتهى درجات العدل والمرحمة والريوية والاقتدار والتنظيم المبدع والرفق.. وإن مملكة بمثل هذه الدرجة من الرقي والسمو مما تريك من آثار بأع عينيك.. لا يمكن أن تكون بمثل ما تريه أوهاؤك من صور».

ويعد ذلك بدأ هذا الشقي يراجع نفسه ويرجع إلى صوابه رويدا رويدا، ويفكر بعقله ويقول متندما: «نعم لقد أصابني جنون لكثرة تعاطي الخمر.. ليرض الله عنك، فلقد أنقذتني من جحيم الشقاء».

فيا نفسي! اعلمي أن الرجل الأول هو «الكافر» أو «الفاسق الغافل». فهذه الدنيا في نظره بمثابة مأتم عام، وجميع الأحياء أيتام سيكون تألما من ضربات الزوال وصفعات الفراق⁽¹⁾.

فيرى الإمام النورسي أن صاحب الإيمان هو الذي يتحلى بالخلق الحسن والتعامل الطيب، أما الآخر وهو الكافر أو الفاسق، فهو صاحب الأخلاق الرديئة، وجاء في الحديث عن أبي ذرّ، أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ لَهُ: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)⁽²⁾.

ويعد الإمام النورسي التربية الأخلاقية بمثابة تربية للإرادة، والأخلاق رصيد الإنسان المستنير، والتربية الأخلاقية هي التي تتبع تطور الإنسان، ومسألة السلوك الأخلاقي تعد بمثابة الركيزة الأساسية التي يقوم عليها أي نشاط إنساني، فهي القوة التي تنظم الحياة الاجتماعية من كل جوانبها، والأخلاق ليست مجموعة من القوانين المجردة، بل هي أسلوب في التعامل مع الآخرين في جميع شؤون الحياة، يقول الإمام النورسي:

(الأساس الثاني للوصول إلى مدى الفرق بين التربية الأخلاقية التي يُرَبِّي بها القرآن الكريم تلاميذه، والدرس الذي تُلقِّنه حكمة الفلسفة، نرى أن نضع تلميذيهما في الموازنة:

1 النورسي بديع الزمان، الكلمات: (ص: 10 - 11).

2 الترمذي، سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرته الناس (3/423) رقم: (1987)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

السجن إياها.. فإنه سيعود بفوائد جَمَّةٍ إلى حياته وإلى مستقبله وإلى بلاده وإلى أمته وإلى أحبائه وأقاربه، فضلاً عن أنه يكسب شباباً خالداً في النعيم المقيم بدلاً من هذا الذي لا يدوم خمسَ عشرة سنة.

هذه الحقيقة يبشِّر بها ويخبر عنها عن يقين جازم جميع الكتب السماوية وفي مقدمتها القرآن الكريم.

نعم، إذا ما شكر الشاب على نعمة الشباب - ذلك العهد الجميل الطيب - بالاستقامة على الصراط السوي، وأداء العبادات، فإنَّ تلك النعمة المهداة تزداد ولا تنقص، وتبقى من دون زوال، وتُصبح أكثر متعةً وبهجة.. وإلا فإنَّها تكون بلاءً ومصيبةً مؤلمة ومغمورةً بالغم والحزن والمضايقات المزعجة حتى تذهب هباءً فيكون عهد الشباب وِبَّالاً على نفسه وأقاربه وعلى بلاده وأمته.

هذا وإن كل ساعة من ساعات المسجون الذي حكم عليه ظلماً تكون كعبادةٍ يومٍ كاملٍ له؛ إن كان مؤدياً للفرائض، ويكون السجن بحقه موضع انزواء واعتزال من الناس كما كان الزهاد والعباد ينزويون في الكهوف والمغارات ويتفرغون للعبادة. أي يمكن أن يكون هو مثل أولئك الزهاد.

وستكون كل ساعة من ساعاته إن كان فقيراً ومريضاً وشيخاً متعلقاً قلبه بحقائق الإيمان وقد أناب إلى الله وأدى الفرائض، في حكم عبادة عشرين ساعة له، ويتحول السجن بحقه مدرسة تربية إرشادية، وموضع تحابب ومكان تعاطف، حيث يقضي أيامه مع زملائه في راحة فضلاً عن راحته وتوجه الأُنظار إليه بالرحمة، بل لعله يفضل بقاءه في السجن على حريته في الخارج التي تنتال عليه الذنوب والخطايا من كل جانب، ويأمن بما يتلقَى من دروس التربية والنزكية فيه. وحينما يغادره لا يغادره قاتلاً ولا حريضاً على أخذ الثأر، وإنما يخرج رجلاً صالحاً تائباً إلى الله، قد غنم تجارب حياتية غزيرة، فيصبح عضواً نافعاً للبلاد والعباد، حتى حدا الأمر بجماعة كانوا معنا في سجن «دنيزلي» إلى القول، بعدما أخذوا دروساً إيمانية في سمو الأخلاق ولو لفترة وجيزة من رسائل النور: «لو تلقى هؤلاء دروس الإيمان من رسائل النور في خمسة أسابيع، فإنه أجدى لإصلاحهم من إلقاءهم في السجن خمس عشرة سنة»⁽¹⁾.

الشباب هم عماد الأمة وعصب نهضتها، فإذا سقت أخلاقهم سقت الأمة، لأن من أبرز أسباب سقوط الأمم والحضارات انهيار الأخلاق، كما أننا يجب علينا أن ندرك أخطاءنا في إهمال شبابنا، وتفرغهم عن أعمال الحياة النافعة، وتوفير وسائل الفساد لهم، إنَّ عدم إشغالهم بأمور الحياة النافعة

1 النورسي بديع الزمان، الكلمات: (ص: 163 - 164).

ثم ينصح الشباب بالابتعاد عن سوء الخلق ويوصيهم بحفظ أنفسهم من الرذائل، كما يوصيهم بقراءة رسائل النور فيقول:

(إنَّ عروق الشباب تنبض لهوى المشاعر، وتستجيب لها أكثر مما تستجيب للعقل وترضخ له. وسورات الهوى - كما هو معلوم - لا تُبصرُ العُقبى، فتفضِّلُ درهماً من لذة حاضرة عاجلة على طينٍ من لذة آجلة؛ فيُقدِّمُ الشابُ بدافع الهوى على قتل إنسان بريٍّ للتلذذ بدقيقة واحدة من لذة الانتقام، ثم يقاسي من جزائرها ثمانية آلاف ساعة من آلام السجن.. والشاب ينساق إلى التمتع لساعة واحدة في اللهو والعبث - في قضية تخص الشرف - ثم يتجرع من ورائها آلام ألوف الأيام من سجن وخوف وتوجس من العدو المتربص به.. وهكذا تضيع منه سعادة العمر بين قلق واضطراب وخوف وآلام.

وعلى غرار هذا يقع الشباب المساكين في ورطاتٍ ومشاكلٍ عويصةٍ كثيرة حتى تحوّل أطفاف أيام حياتهم وأحلامها إلى أمرٍ الأيام وأقساها، وفي حالة يُرثى لها. ولا سيَّما بعد أن هبَّت عواصفُ هوجاءٍ من الشمال تحمل فتناً مدمرة لهذا العصر؛ إذ تستبيح لهوى الشباب الذي لا يَرى العُقبى أعراض النساء والعداوى الفاتنات وتدفعهم إلى الاختلاط الماجن البذيء، فضلاً عن إباحتها أموال الأغنياء لفقراء سفهاء.

إن فرائض البشرية كلّها لترتعد أمام هذه الجرائم المنكرة التي تُرتكب بحقها.

فعلى الشباب المسلم في هذا العصر العصيب أن يشمروا عن ساعد الجد لينقذوا الموقف، ويسألوا السيوف الألماسية لحجج «رسائل النور» وبراهينها الدامغة - التي في رسالة «الثمره» و«مرشد الشباب» وأمثالهما - ويدافعوا عن أنفسهم، ويصدّوا هذا الهجوم الكاسح الذي شُنَّ عليهم من جهتين.. وإلا فسيضيع مستقبل الشباب في العالم، وتذهب حياته السعيدة، ويفقد تنعمه في الآخرة، فتقلب كلّها إلى آلامٍ وعذاب؛ إذ سيكون نزيل المستشفيات، بما كسبته يداه من إسراف وسفاهة.. ونزيل السجون، بطيشه وغيبه.. وسيبكي أيام شيخوخته بكاءً مرّاً ويزفر زفرات ملؤها الحسرات والآلام.

ولكن إذا ما صانَ نَفْسَه بتربية القرآن، ووقاها بحقائق «رسائل النور» فسيكون شاباً رائداً حقاً، وإنساناً كاملاً، ومسلماً صادقاً سعيداً، وسلطاناً على سائر المخلوقات.

نعم، إن الشاب إذا دفع ساعة واحدة من أربع وعشرين ساعةً من يومه في السجن إلى إقامة الفرائض، وتاب عن سيئاته ومعاصيه التي دَفَعَتْه إلى السجن، وتجنّب الخطايا والذنوب مثلما يجنبه

الأول على أخلاق الإنسان، ولها التأثير الأول على أخلاق الإنسان وتربيته، وهي المقياس في التعامل بين الزوجين، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي...) (١)، كما هو بين جميع أفراد العائلة، يقول الإمام النورسي:

(إن الحياة العائلية هي مركزُ تجمُّع الحياة الدنيوية ولولبها وهي جنَّةُ سعادتها وقلعُتها الحصينة وملجأها الأمين، وأن بيت كل فرد هو عالمه وديناه الخاصة، فلا سعادة لروح الحياة العائلية إلا بالاحترام المتبادل الجاد والوفاء الخالص بين الجميع، والرأفة الصادقة والرحمة التي تصل إلى حد التضحية والإيثار. ولا يحصل هذا الاحترام الخالص والرحمة المتبادلة الوفيَّة إلا بالإيمان بوجود علاقات صداقة أبدية، ورفقة دائمة، ومعية سمردية، في زمن لا نهاية له، وتحت ظل حياة لا حدود لها، تربطها علاقات أبوة محترمة مرموقة، وأخوة خالصة نقيّة، وصداقة وفيّة نزيهة، حيث يحدث الزوج نفسه: «إن زوجتي هذه رفيقة حياتي وصاحبتي في عالم الأبد والحياة الخالدة، فلا ضير إن أصبحت الآن دميمة أو عجوزاً، إذ إن لها جمالاً أبدياً سيأتي، لذا فأنا مستعد لتقديم أقصى ما يستوجبه الوفاء والرأفة، وأضحى بكل ما تتطلبه تلك الصداقة الدائمة».. وهكذا يمكن أن يكنَّ هذا الرجل حباً ورحمة لزوجته العجوز كما يكنَّه للحوار العين، وإلا فإن صحبةً وصداقةً صورية تستغرق ساعة أو ساعتين ومن ثم يعقبها فراق أبدي ومفارقة دائمة لهي صحبة وصداقة ظاهرية لا أساس لها ولا سند، ولا يمكنها أن تعطي إلا رحمةً مجازية، واحتراماً مصطنعاً، وعطفاً حيواني المشاعر، فضلاً عن تدخُّل المصالح والشهوات النفسانية وسيطرتها على تلك الرحمة والاحترام فتتقلب عندئذ تلك الجنَّة الدنيوية إلى جحيم لا يطاق) (٢).

الأسرة هي اللبنة الأساسية في تكوين المجتمع، فمن مجموع الأسر يتكون المجتمع، وصلاح الأسرة صلاح للمجتمع، وفسادها فساد؛ لذلك اهتم الإسلام اهتماماً كبيراً فيها، ويجب أن تكون مبنية على المودة والرحمة، وهذه المودة والرحمة يجب أن تكون على الأسرة كلاً، خاصة إذا ارتوى بعذب أخلاقيات الإسلام المختلفة، والتي يصير الأعداء على سلبنا إياها، وهي أعلى ما نملك.

لكن للإمام النورسي يوصي بأن يجعل نيته في حبه لأسرته وتعامله معهم لله تعالى، فعليه أن يستشعر هذا، ثم يوصي ببر الوالدين وجعل محبتهم من محبة الله تعالى فيقول: (ثم إنَّ محبتك للوالدين

1 الترمذي، سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب في فضل أزواج النبي (6/192) رقم: (3895)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

2 النورسي بديع الزمان، الكلمات (ص: 103 - 104).

والأعمال الفاضلة قد فرغهم للأعمال الصارّة، وإنَّ تزويدهم بالمادّة قد ساعدتهم على ارتكاب الأعمال السيئة.

ويوصي بأخذ الحيطة والحذر من الأعداء فيقول:

(إخوتي الأعزاء الصادقين! إنني محظوظ وشاكر لله بوجودي قريباً منكم وفي بناية واحدة (من السجن)، رغم أنني لا أقابلكم وجهاً لوجه، وأحياناً يخطر إلى قلبي أخذ تدابير لازمة دون اختيارٍ مني، فمثلاً:

لقد أرسل الماسونيون إلى الزنزانة المجاورة لنا سجيناً جاسوساً وكذاباً، ولما كان التخريب سهلاً -ولا سيما في مثل هؤلاء الشباب الطائشين - علمت أن الزنادقة يسعون لبث الفساد وهدم الأخلاق إزاء قيامكم بالإرشاد والإصلاح، لما لمست من هذا المدعو أدنى مؤلماً وإفساداً لأولئك الشباب.

فيا إخوتي!

يلزم - بل في غاية الضرورة - أخذ الحذر الشديد تجاه هذا الوضع، وعدم إبداء مشاعر الاستياء من المسجونين السابقين قدر الإمكان، وعدم فسح المجال ليستاءوا منكم، والحيلولة دون حدوث التفرقة والثنائية، مع التحلي بضبط النفس والتجمل بالصبر، ويلزم على إخواننا المحافظة على قوة التساند والأخوة وذلك بإبداء التضحية وترك الأنانية والتواضع قدر الإمكان) (١).

قال الإمام البغوي رحمه الله في قوله تعالى: { وَخُذُوا حِذْرَكُمْ } (أي: راقبوا العدو كي لا يتغفلوكم، والحذر ما يُتَّقَى به من العدو) (٢)، ويرشد الإمام الشباب أن يصلح كل واحد نفسه، ويصلح علاقته بخالفه، فإن صلاح الفرد هو صلاح المجتمع، كما يرشدهم إلى التكاتف والتعاون وضبط النفس والصبر.

المطلب الثاني: دور الإيمان في علاج الأخلاق الاجتماعية:

الأسرة هي نواة المجتمع والبيئة الأولى في التأثير على المفاهيم المعرفية لدى الطفل، ولها التأثير

1 النورسي بديع الزمان، الشعاعات: (ص: 350 - 351).

2 البغوي، تفسير البغوي (1/694).

المُسْلِمِينَ⁽¹⁾، ثم يوصي الإمام النورسي بالأولاد ومحبتهم فيقول: (أما محبة الأولاد فهي كذلك محبة الله تعالى وتعود إليه، وذلك بالقيام برعايتهم بكمال الشفقة والرحمة بكونهم هبة من الرحيم الكريم)⁽²⁾.

فينبغي أن نعيد النظر في كثير من أشكال تربيته لأبنائنا، وأن نشعرهم بحبنا ونسمعهم الكلام الطيب، كما علينا أن نزرع الخلق الحسن في قلوبهم بالحب والبعد عن القسوة والعنف، وأن نشعرهم بالأمن، ثم بالقنوة، فعندما يرى الطفل أبويه صادقين يتعلم منهم، كما ينبغي علينا أن نمدحهم إن فعلوا سلوكاً حسناً عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنْ الْوَلَدِ مَا قَبِلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَتَنَزَّرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ»⁽³⁾.

ومن عظيم وصايا الإمام النورسي وصية محبة الزوجة فيقول:

(ثم إن محبة الزوجة وهي رفيقة حياتك، فعليك بمحبتها على أنها هدية أنيسة لطيفة من هدايا الرحمة الإلهية، وإياك أن تربط محبتك لها برياط الجمال الظاهري السريع الزوال، بل أوثقها بالجمال الذي لا يزول ويزداد تألقاً يوماً بعد يوم، وهو جمال الأخلاق والسيرة الطيبة المنعزة في أنوثتها ورقتها، وإن أحلى ما فيها من جمال وأسماء هو في شفتها الخالصة النورانية، فجمال الشفقة هذا، وحسن السيرة يدومان ويزدادان إلى نهاية العمر، وبمحبتهم تُصان حقوق هذه المخلوقة اللطيفة الضعيفة، وإلا تفقد حقوقها في وقت هي أحوج ما تكون إليها، بزوال الجمال الظاهري)⁽⁴⁾.

نعم فالزوج والزوجة سكن وراحة، قال الله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا)⁽⁵⁾، وقال تعالى: (لَوْ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)⁽⁶⁾، سكنون شطر هذه النفس الإنسانية إلى الشطر المكمل راحة واطمئنان وألفة واستئناس واستيطان، لولاه لكانت الحياة وحشة وغربة وقلقاً.

1 الأحقاف: 15.

2 النورسي بديع الزمان، الكلمات: (ص: 750).

3 متفق عليه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (8/7) رقم: (5997)؛ مسلم صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمة الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك (4/1808) رقم: (2318).

4 النورسي بديع الزمان، الكلمات: (ص: 751).

5 الأعراف: 189.

6 الروم: 21.

واحترامهما، إنما يعودان إلى محبتك لله سبحانه؛ إذ هو الذي غرس فيهما الرحمة والشفقة حتى قاما برعايتك وتربيتك بكل رحمة وحكمة، وعلامة كونهما محبة لوجه الله تعالى، هي المبالغة في محبتهما واحترامهما عندما يبلغان الكبر، ولا يبقى لك فيهما من مطمع. فتكثر من الشفقة عليهما والرحمة لهما رغم ما يشغلانك بالمشاكل ويتقلان كاهلك بالمشقة. فالآية الكريمة: {إِنَّمَا يُبَلِّغُنَّ عَنْكَ الْكِبَرِ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} ⁽¹⁾، تدعو الأولاد إلى رعاية حقوق الوالدين في خمس مراتب، وقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا⁽¹⁾، تدعو الأولاد إلى رعاية حقوق الوالدين في خمس مراتب، وتبين مدى أهمية برهما وشناعة عقوقهما..

وحيث إن الوالد لا يقبل أن يتقدمه أحد سوى ابنه إذ لا يحمل في فطرته حسداً إليه مما يسد على الولد طريق مطالبة حقه من الوالد؛ لأن الخصام إما ينشأ من الحسد والمنافسة بين اثنين أو ينشأ من غمط الحق، فالوالد سليم معافى منهما فطرة، لذا لا يحق للولد إقامة الدعوى على والده، بل حتى لو رأى منه بغياً فليس له أن يعصيه ويعقه، بمعنى أن من يعق والديه ويؤذيها ما هو إلا إنسان ممسوخ حيواناً مفترساً⁽²⁾، فالله تعالى لا يرضى عن الإنسان حتى يرضى والده، فقد جاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ)⁽³⁾، يقول المناوي: (لأنه تعالى أمر أن يطاع الأب ويكرم، فمن امتثل أمر الله، فقد بر الله وأكرمه وعظمه فرضى عنه، ومن خالف أمره غضب عليه)⁽⁴⁾، وكذا حكم الوالدة، بل هو أولى، فقد ورد أيضاً (رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ وَسَخَطُهُ فِي سَخَطِهِمَا)⁽⁵⁾.

والوالدان هما وصية الله تعالى للإنسان: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

1 الإسراء: ٢٣-٢٤.

2 النورسي بديع الزمان، الكلمات: (ص: 749).

3 الترمذي، سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء من الفضل في رضا الوالدين (3/374) رقم: (1899).

4 المناوي، فيض القدير: (4/33).

5 الطبراني المعجم الكبير للطبراني، عبد الله بن عمرو بن العاص، يكنى أبا محمد ذكر سنه، ووفاته، ومن أخباره: (ص: 494) رقم: (14368).

الاحتمالات بكثرة تتخوف النساء فطرةً خوفاً حقيقياً من غير المحارم. وتتجنبهن جبلةً، فتنبهها خلقها الضعيفة تنبيهاً جاداً، إلى التحفظ وتدفعها إلى التستر، ليحول دون إثارة شهوة غير المحارم، وليمنع التجاوز عليها، وتدلها فطرتها على أن حجابها هو قلعها الحصينة وخذقها الأمين.

ولقد طرق سمعنا: أن صباغ أهدية قد تعرض لزوجة رجل ذي منصب دنيوي كبير، كانت مكشوفة المفاتن، وراودها نهاراً جهاراً في قلب العاصمة «أنقرة»! أليس هذا الفعل الشنيع صفةً قوية على وجوه أولئك الذين لا يعرفون معنى الحياء من أعداء العفة والحجاب؟!⁽¹⁾.

الحجاب له أهمية كبيرة في الإسلام؛ ولذا أمر الله تعالى الفتاة المسلمة بارتدائه، فهي تستر نفسها وتحفظها، وهي بلبسه تكرم نفسها من أن تكون سلعةً رخيصةً، تمتد إليها أيدي العابثين، ولتصون كرامتها، فلا تقع في مصائد البشر ونياتهم الخبيثة، كما هو إعلان للعالم أجمع أنها فتاة تعظم دينها، وتحترم أمر ربها؛ بل وتحترم نفسها، وأنها فتاة لا ترضى بالأعمال التي لا ترضي الله، فصار بذلك حجابها سبباً لحفظها من السوء والفواحش.

ومن توجيهات الإمام النورسي رحمه الله لطالبات النور هو عدم كشف المرأة مفاتها أمام محارمها فضلاً عن الغريب فيقول:

(إنّ الإنسان لا يمكنه أن يحمل فطرةً شعوراً دنيئاً حيوانياً تجاه المحارم -كالأخت-؛ لأن سيماء المحارم تُشعر بالرافة والمحبة المشروعة النابغين من صلة القربى، فهذا الشعور النبيل يحدّ من ميول النفس الشهوية، إلّا أن كشف ما لا يجوز كشفه كالساق، قد يثير لدى النفوس الدنيئة حساً سافلاً خبيثاً لزوال الشعور بالحرمة، حيث إن ملامح المحارم تُشعر بصلة القرابة، وكونها محرماً وتتميز عن غيرهم؛ لذا فكشف تلك المواضع من الجسد يتساوى فيه المحرم وغيره، لعدم وجود تلك العلامات الفارقة التي تستوجب الامتناع عن النظر المحرّم، ولربما يهيج لدى بعض المحارم السافلين هوى النظرة الحيوانية؛ فمثل هذه النظرة سقوط مربع للإنسانية تقشع من بشاعتها الجلود)⁽²⁾.

على المرأة أن تحفظ نفسها، ولا تظهر زينتها، والمراد بالزينة ما تترنن به المرأة خارج عن أصل خلقتها، ولا يستلزم النظر إليه رؤية شيء من بدنها، من ظاهر الثياب؛ لأن الثياب زينة لها خارجة عن أصل خلقتها، وهذا إذا كان النظر بغير شهوة، وكان الناظر يأمن على نفسه وعلى محرمه الفتنة، أما إذا كان يخاف الشهوة على نفسه أو عليها فلا يحل له النظر؛ لأن النظر بشهوة نوع من الزنا، والزنا بذوات المحارم أغلظ من الزنا بغيرهن، وما حرم عليها كشفه لمحارمها حرم عليها إظهاره وتجسيمه

1 النورسي بديع الزمان، اللغات: (ص: 275 - 276).

2 النورسي بديع الزمان، اللغات: (ص: 277 - 278).

ثم يوصي النساء بالحجاب فيقول:

(إنّ الحجاب أمر فطري للنساء، تقتضيه فطرتهن؛ لأنّ النساء جُبلن على الرقة والضعف، فيجدن في أنفسهن حاجةً إلى رجل يقوم بحمايتهن وحماية أولادهن الذين يؤثرونهم على أنفسهن، فهن مسوقات فطرياً نحو تحبيب أنفسهن للآخرين وعدم جلب نفرتهم وتجنّب جفائهم واستئقالهم.

ثم، إنّ ما يقرب من سبعة أعشار النساء: إما متقدمات في العمر، أو دميمات لا يرغبن في إظهار شبيهن أو دمامتهن، أو أنهن يحملن غيراً شديدة في ذواتهن يخشين أن تعضل عليهن ذوات الحُسن والجمال، أو أنهن يتوجّسن خيفةً من التجاوز عليهن وتعرضهن للتهم.. فهؤلاء النساء يرغبن فطرةً في الحجاب حذراً من التعرض والتجاوز عليهن وتجنباً من أن يكنّ موضع تهمة في نظر أزواجهن، بل نجد أن المُسيئات أحرص على الحجاب من غيرهن.

وربما لا يتجاوز الاثنتين أو الثلاث من كل عشر من النساء هن: شاباتٌ وحسناوات لا يتضابقن من إبداء مفاتنهن! إذ من المعلوم أنّ الإنسان يتضابق من نظرات من لا يحبه، وحتى لو فرضنا أن حسناء جميلة ترغب في أن يراها اثنان أو ثلاثة من غير المحارم، فهي حتماً تستنقل وتنزعج من نظرات سبعة أو ثمانية منهم، بل تنفر منها.

فالمرأة لكونها رقيقة الطبع سريعة التأثر تنفر حتماً - ما لم تقصد أخلاقها وتتبدّل - من نظرات خبيثة تُصوّب إليها والتي لها تأثير مادي كالمسمّ - كما هو مجرب - حتى إننا نسمع: أن كثيراً من نساء أوروبا وهي موطن التكشف والتبرج، يسكنن إلى الشرطة من ملاحقة النظرات إليهن قائلات: إن هؤلاء السفلة يزجوننا في سجن نظراتهم!

نخلص مما تقدم:

أنّ رفع المدنية السفيهة الحجاب وإفساحها المجال للتبرج يناقض الفطرة الإنسانية. وأن أمر القرآن الكريم بالحجاب -فضلاً عن كونه فطرياً- يصون النساء من المهانة والسقوط، ومن الذلة والأسر المعنوي ومن الرذيلة والسفالة، وهن معدن الرأفة والشفقة والرفيقات العزيزات لأزواجهن في الأبد.

والنساء - فضلاً عما ذكرناه - يحملن في فطرتهن تحوفاً من الرجال الأجانب، وهذا التخوف يقتضي فطرةً التحجب وعدم التكشف، حيث تنتنص لذة غير مشروعة لتسع دقائق بتحمل أذى حمل جنين لتسعة أشهر، ومن بعده القيام بتربية ولدٍ لا حامي له زهاء تسع سنين! ولوقوع مثل هذه

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. ابن فارس أحمد الرازي، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر - بيروت، 1399هـ - 1979م.
2. ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط: 3، 1414هـ.
3. أبو حنيفة النعمان بن ثابت، الفقه الأكبر، مكتبة الفرقان - الإمارات العربية، ط: 1، 1419هـ - 1999م.
4. أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، المحقق: شعيب الأرنؤوط - مَحْمَد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط: 1، 1430هـ - 2009م.
5. الأشعري علي بن إسماعيل أبو الحسن، رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، المحقق: عبد الله شاکر محمد الجنيدى، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1413هـ.
6. الإمام أحمد بن حنبل، مسند أحمد، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1421هـ - 2001م.
7. البخاري محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: 1، 1422هـ.
8. البركتي محمد عميم الإحسان المجددي، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، ط: 1، 1424هـ - 2003م.
9. البغوي الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 1، 1420هـ.
10. الترمذي محمد بن عيسى، الجامع الكبير = سنن الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف،

بالملابس الضيقة أو الشفافة، لأن المرأة يجب عليها ستر عورتها بما لا يشف ولا يصف من الثياب.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة المباركة بين رسائل النور وكتب العلماء توصلت النتائج الآتية:

أولاً: عرف الإمام النورسي الإيمان بأنه قبول الحق وتصديقه، وأنه يكتمل بالترقي في كسب العلم والمعرفة، وفي العبودية بالدعاء، وأساس كل العلوم الحقيقية ونورها وروحها هو «معرفة الله»، ويرى أن الأخلاق فطرية في الإنسان.

ثانياً: يرى الإمام النورسي في زمننا المعاصر أن الكذب والصدق صارا يُعرضان معاً في معرض واحد، وفسدت الأخلاق الاجتماعية واختلت موازينها، وزادت الدعايات السياسية إخفاء قبح الكذب المرعب وستر جمال الصدق الباهر، وانتشرت الخيانة.

ثالثاً: ركز الإمام النورسي على أن أهم سبب لانهايار الأخلاق هو ترك الإيمان واتباع نمط الحياة الغربية الملحدة، ويرى إنَّ تَرَدِّي الأخلاق وانحطاط القيم هما منبع جميع الاضطرابات والقلاقل.

رابعاً: يرى الإمام النورسي أن علاج البشرية هو الإيمان، فصاحب الإيمان يتحلّى بأحسن الأخلاق، ويعد التربية الأخلاقية بمثابة تربية للإرادة، والأخلاق رصيد الإنسان المستتير.

خامساً: يعد الإمام النورسي السلوك الأخلاقي هو الركيزة الأساسية التي يقوم عليها أي نشاط إنساني، فهي القوة التي تنظم الحياة الاجتماعية من كل جوانبها، والأخلاق ليست مجموعة من القوانين المجردة، بل هي أسلوب في التعامل مع الآخرين في جميع شؤون الحياة.

سادساً: الإمام النورسي يدل الشباب على العلاج ويحثهم على تربية القرآن وبقراءة رسائل النور، وأن يشمروا عن ساعد الجد لينقذوا أنفسهم ويدافعوا عنها، وأن يستقيموا ويعبدوا الله.

سابعاً: يرى الإمام النورسي إن الحياة العائلية هي مركزُ تجمّع الحياة الدنيوية ولولبها، فلا سعادة لروح الحياة العائلية إلا بالاحترام المتبادل الجاد والوفاء الخالص بين الجميع، والرأفة الصادقة والرحمة التي تصل إلى حد التضحية والإيثار.

ثامناً: يوصي الإمام النورسي أن يجعل الإنسان نيته في حبه لأسرته وبره بوالديه وتعامله معهم لله تعالى، كما يوصي طالبات النور عدم كشف المرأة مفاتنها أمام محارمها.

الصالح، دار سوزلر للنشر، - القاهرة، ط: 7، 2013م.

دار الغرب الإسلامي - بيروت، 1998م.

11. الجرجاني علي بن محمد، التعريفات، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط: 1، 1403 هـ - 1983م.

12. الحنفي ابن أبي العز محمد بن علاء، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: 10، 1417 هـ - 1997م.

13. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

14. الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط: 1، 1412 هـ.

15. الطبراني سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط: 2.

16. عدد من المختصين بإشراف الشيخ: صالح بن عبد الله إمام وخطيب الحرم المكي، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: دار الوسيلة - جدة، ط: 4.

17. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، إحياء علوم الدين: دار المعرفة - بيروت.

18. القرطبي محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط: 2، 1384 هـ - 1964م.

19. مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ = صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

20. المناوي محمد عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط: 1، 1356 هـ.

21. النورسي بديع الزمان سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق: إحسان قاسم

22. النورسي بديع الزمان سعيد، السيرة الذاتية، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، دار سوزلر للنشر - القاهرة، ط: 7، 2014م.

23. النورسي بديع الزمان سعيد، الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، دار سوزلر للنشر - القاهرة، ط: 7، 2014م..

24. النورسي بديع الزمان سعيد، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، دار سوزلر للنشر - القاهرة، ط: 7، 2013م.

25. النورسي بديع الزمان سعيد، اللغات، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، دار سوزلر للنشر، - القاهرة، ط: 7، 2014م.

26. النورسي بديع الزمان سعيد، المثنوي العربي النوري، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، دار سوزلر للنشر - القاهرة، ط: 7، 2014م.

27. النورسي بديع الزمان سعيد، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، دار سوزلر للنشر - القاهرة، ط: 7، 2014م..

28. النورسي بديع الزمان سعيد، الملاحق: ملحق قسطنطيني، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، دار سوزلر للنشر - القاهرة، ط: 7، 2014م.

29. النورسي بديع الزمان سعيد، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، دار سوزلر للنشر، - القاهرة، ط: 7، 2014م.

علاقة الإيمان بالأخلاق في ضوء فكر بديع الزمان النورسي: «من خلال رسائل النور»

أ. محمد أرازو - المملكة المغربية
أستاذ في التعليم العتيق ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تطوان/ المغرب.
mohamed.said.ararou@gmail.com

ملخص

لقد انصب هذا البحث على قضية غاية في الأهمية ونالت حظها الكبير في فكر هذا الرجل العبقري والإمام اللوذعي، ألا وهي علاقة الإيمان بالأخلاق.

فكما لا يخفى أن الإيمان هو ذروة التكريم الرباني للإنسان، فالله تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة وأتم تقويم وأجمل شكل، ثم وهبه العقل الذي هو النور الإلهي كي يستضيء به في سلوكه طريق الحق والهداية، لذا وجب على هذا الإنسان أن يبحث في المقصد والغاية التي خلق من أجلها وهي تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى، فهو خليفة الله في الأرض لكونه يتميز عن غيره من المخلوقات بأن عبوديته لله اختيارية وليست اضطرارية، ولا سبيل للإنسان للترقي إلا إذا تخلق بأخلاق الإيمان، فأخلاق الإيمان هي وحدها الكفيلة بتخليص الإنسان من الجريان وراء غرائزه والنزول لدرجة الحيوانية، فهو في خلقته مكون من أمرين: الأول: مادته الطينية، والثاني: هي الروح.

لذا فإن الإمام النورسي رحمه الله يعتبر أن مجرد دخول الروح على مادة الإنسان الطينية كاف لإعطاء الإنسان صفة الإنسية، وصفة الإنسانية كافية هي الأخرى لإعطائه كماله اللائق به، غير أن الكمال لا يتحقق إلا بالترقي في منازل أخلاق الإيمان وكمالاته، وهذه الكمالات ليست كمأ من وجهة نظر النورسي بل تتلخص في كمالين: نوعي، ووظيفي، وذلك لأن للروح الإلهي حركتين في البدن:

حركة تحقق فيها الروح للإنسان كماله النوعي.

حركة ثانية تأصلت فيها صلة الروح بالنفس لتتأهل النفس لاستقبال الوحي الإلهي.

Summary

This research has focused on a very important issue that won its great fortune in the thought of this genius man and imam Al-Luthi, which is the rela-

tionship of faith with morals.

Just as it is no secret that faith is the pinnacle of divine honor for man, God Almighty created man in the best form, the most perfect rectification, and the most beautiful form. It was created for it, which is the realization of pure servitude to God Almighty.

Therefore, Imam Nursi, may God have mercy on him, considers that the mere entry of the soul into the clay substance of man is sufficient to give man the quality of humanity, and the character of humanity is also sufficient to give him the perfection that befits him..

مقدمة

لا شك أن الإيمان هو ذروة التكريم الرباني للإنسان، فالله تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة وأتم تقويم وأجمل شكل، ثم وهبه العقل الذي هو النور الإلهي كي يستضيء به في سلوكه طريق الحق والهداية، لذا وجب على هذا الإنسان أن يبحث في المقصد والغاية التي خلق من أجلها وهي تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى، فهو خليفة الله في الأرض لكونه يتميز عن غيره من المخلوقات بأن عبوديته لله اختيارية وليست اضطرارية، ولا سبيل للإنسان للترقي إلا إذا تخلق بأخلاق الإيمان، فأخلاق الإيمان هي وحدها الكفيلة بتخليص الإنسان من الجريان وراء غرائزه والنزول لدرجة الحيوانية، فهو في خلقته مكون من أمرين: الأول: مادته الطينية، والثاني: هي الروح.

إن الإمام النورسي رحمه الله يعتبر أن مجرد دخول الروح على مادة الإنسان الطينية كاف لإعطاء الإنسان صفة الإنسية، وصفة الإنسانية كافية هي الأخرى لإعطائه كماله اللائق به، غير أن الكمال لا يتحقق إلا بالترقي في منازل أخلاق الإيمان وكمالاته، وهذه الكمالات ليست كمأ من وجهة نظر النورسي بل تتلخص في كمالين: نوعي، ووظيفي، وذلك لأن للروح الإلهي حركتين في البدن:

حركة تحقق فيها الروح للإنسان كماله النوعي.

حركة ثانية تأصلت فيها صلة الروح بالنفس لتتأهل النفس لاستقبال الوحي الإلهي.

وبهذين الكمالين تحصل الإنسان على منزلة الشرف والتكريم الأولى، فهو من جهة النوع أفضل الخلق، ومن جهة الوظيفة شرفه الله تعالى بمهة الخلافة في الأرض تلك المهمة التي يقوم بها نيابة عن

بمواشييه من المرعى شد أفواها لئلا تأكل من مزارع الآخرين حين عودتها من المرعى، وقد توفي ميرزا رحمه الله تعالى في العشرينات، ودفن في مقبرة قرية نورس وشاهد قبره مكتوب عليه مرزه⁽¹⁾.

وقد تكلم عن سيرته الذاتية فقال: اسمي: سعيد، ولقبني: بديع الزمان، واسم والدي: ميرزا، ولا أنتسب إلى سلالة معروفة، شافعي المذهب أحد مواطني الدولة العلية العثمانية، اشتريت في الحرب العالمية الأولى بصفة قائدٍ للمتطوعين، ووقعتُ أسيراً بيد الروس في بتليس، ثم فررت من الأسر وعدتُ إلى إستانبول، وقد أصبحت عضواً في دار الحكمة الإسلامية منذ تأسيسها، فقدتُ إجازتي العلمية التي أخذتها من الشيخ محمد الجاللي في أثناء الأسر⁽²⁾.

كان الإمام كثيراً ما يطلق على نفسه خادم القرآن الكريم، كما أنه يقول: «أعلم أنني أقول مادمت حيا، كما قال «مولانا جلال الدين الرومي»⁽³⁾، قدس سره: ما دمت حيا فأنا خادم القرآن الكريم؛ لأنني أرى القرآن الكريم منبع كل الفيوض، وما في آثاري من محاسن الحقائق، ما هو إلا من فيض القرآن الكريم، فهذا لا يرضى قلبي أن يخلو أثر من آثاري من ذكر نبذ من مزايا إعجاز القرآن الكريم»⁽⁴⁾.

ويقول الإمام: إنني سوف أظل خادماً للقرآن طوال حياتي حتى أنه أجاب الحاكم في آخر محكمة له، إنني لست أهلاً لكلمات الثناء التي أضفاها عليّ موكلّي المحترمون، إذ إنني لست سوى خادم عاجز للقرآن ولالإيمان، ليس عندي ما أقوله سوى هذا⁽⁵⁾.

1 إحسان قاسم أوصالحي، نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي، (القاهرة: دار سوزلر للنشر، 2010 م) ص14.

2 بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، السيرة الذاتية، ترجمة: إحسان قاسم أوصالحي، ط7 (مصر - القاهرة: دار سوزلر، 2014م) ج9، ص58.

3 جلال الدين الرومي الحنفي كان من أئمة السادة الخنفية فقيها أصوليا نحويا بارعا دينيا زاهدا له كرامات وأحوال مشهورة عنصاحب (المتنوي) المشهور بالفارسية المستغني عن التعريف، وصاحب الطريقة المولوية، ولد في بلخ (بفارس) سنة(604هـ) عرف بالبراعة في الفقه وغيره من العلوم الإسلامية، فتولى التدريس بقونية في أربع مدارس توفي سنة(672هـ) ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت852هـ)المحقق: محمد عبد المعيد ضان، ط2(صيدر اباد/ الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1392هـ - 1972م) ج1، ص352.

4 بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، المتنوي العربي النوري، ج6، ص163.

5 بديع الزمان سعيد النورسي وتحديات عصره، إبراهيم سليم أبو حليوه، ص34.

الله عز وجل تشرفيا له، ليتصرف في كل ما استخله فيه تصرف المالك المطاع.

ولا شك أن الإمام النورسي في تقريره للعلاقة بين الإيمان والأخلاق ينطلق من القرآن الكريم والسنة والسيرة النبويتين، معتبرا ذلك هو السبيل الوحيد لتكوين الفرد الصالح الذي هو اللبنة الأولى لتكوين المجتمع الصالح الناجح، ويجلي ذلك آيات قرآنية كثيرة منها قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [الحجرات: ١٣].

وسأقسم هذا البحث وفق المحاور الآتية:

- ما المعالم الأساسية التي ميزت حياة بديع الزمان النورسي؟
- ما مفهوم الإيمان في نظر الإمام النورسي؟
- ما العلاقة بين الإيمان والأخلاق في فكر النورسي؟
- كما سأختمه بخاتمة؛ مشتملة على ما توصل إليه البحث من استنتاجات.

المحور الأول- ما المعالم الأساسية التي ميزت حياة بديع الزمان النورسي؟

إن لكل زمان رجاله، ولكل عصر مجددوه، وشاء الله عز وجل أن يكون أحد هؤلاء الكبار هو الإمام المفكر الكبير ورائد الإصلاح في القرن العشرين سعيد النورسي، وقبل الدخول في صلب الموضوع ينبغي أن نبرز معالم من سيرة هذا العلم الهمام.

فهو سعيد ميرزا بن علي بن خضر بن ميرزا خالد بن ميرزا رشان، ولد في قرية(نورس) وهي إحدى قرى قضاء (خيزان) التابع لولاية (بتليس)^(١)، شرقي الأناضول سنة (١٢٩٣هـ/١٨٧٧م). وكان والده صوفيا ورعاً يُضرب به المثل، لم يَطعم حراماً، ولم يُطعم أولاده من غير الحلال، حتى إنه إذا ما عاد

1 محافظة (بتليس) أو بدليس: هي إحدى محافظات تركيا تقع في منطقة شرق الأناضول . عاصمتها مدينة بدليس تبلغ مساحتها 8,413 كم2 ويبلغ عدد سكانها 388,678 نسمة كما يبلغ معدل الكثافة السكانية 46/كم2 تقع في شرق تركيا غالبية سكانها من الأكراد ، ينظر : كوردستان له جابكراوة عوسمانليه كاندا ، فيصل دباغ ، (أربيل- كوردستان: دار آراس للنشر والتوزيع، 2004م) ص36.

ملابس العلماء، وكيف أكون عالماً وأنا مازلت صبياً»⁽¹⁾.

وغيرهم كثير مما كان له الأثر الكبير في تكوينه العلمي وإبراز شخصيته الفذة.

وبعد أن استوى على سوقه وأصبح إماماً يشار له بالبنان واشتهر بالعلم والمعرفة والذكاء والفتنة والمقدرة العلمية المتميزة عن سواه ذاع صيته، مما أدى إلى تزايد الأنتظار إليه حتى بدء طلبه العلم يقصدونه للتلمذ على يديه والأخذ منه، فمن الواجب أن نذكر بعض أولئك الذين حملوا رسائل النور وأوصلوها لنا، فلا يسعني أن أذكرهم كلهم ولكن سوف أذكر أبرزهم:

1. ملاً أحمدي جانو: «هو من أوائل طلبة الإمام النورسي يعد من الشخصيات المباركة التي أنجبتها الولايات الشرقية، كان يشارك الإمام في كثير من مجالسه، توفي عام 1925م»⁽²⁾.

2. عبد الرحمن بن عبد الله: هو ابن شقيق الإمام النورسي ولد في قرية نورس عام 1903م، وتوفي سنة 1928م، حيث دفن في قرية ذي الفضل قرب أنقرة بعد أن لازم النورسي سنوات عدة كما كتب تاريخ حياة النورسي في عام 1918م، ونشره بكتاب طبع في اسطنبول⁽³⁾.

وهذا لا يعني أن تلاميذه ينحصلون فيما ذكر بل إن الحديث عنهم وعن العلوم التي بثها فيهم يحتاج إلى إفراجه بالأسفار والمجلدات، وما ذكر هنا هو مجرد تمثيل ليس إلا.

المحور الثاني- ما مفهوم الإيمان في نظر الإمام النورسي؟

للإيمان أكثر من تعريف عند الأستاذ النورسي، ومن حيثيات مختلفة، فمن جانب علاقته مع المعرفة والعلم وحصوله، فإن الإيمان عند الإمام النورسي ليس عبارة عن المعرفة المجردة ولا يحصل بالعلم وحده وهذا ما يؤكد بقوله: «إن الإيمان لا يحصل بالعلم وحده، إذ إن هناك لطائف كثيرة للإنسان لها حظها من الإيمان فكما أن الأكل إذا ما دخل المعدة ينقسم ويتوزع إلى مختلف العروق حسب كل عضو من الأعضاء، كذلك المسائل الإيمانية الآتية عن طريق العلم إذا ما دخلت معدة العقل والفهم، فإن كل لطيفة من لطائف الجسم: كالروح والقلب والسر والنفس وأمثالها، تأخذ منها وتمتصها حسب درجاتها، فإن فقدت لطيفة من اللطائف غذائها المناسب فالمعرفة إذن ناقصة مبتورة، وتظل تلك اللطيفة

1 أورخان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، ص12.

2 نجم الدين شاهينر، الشهود الأواخر شهادات ومشاهدات عن بديع الزمان سعيد النورسي، ج1، ص34.

3 بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي ج2، ص609.

نشأ سعيد النورسي في بيئة قروية متواضعة، وفي أحضان والدين شديدي الورع⁽¹⁾.

ويواصل متحدثاً عن نفسه قائلاً: «فأخذت مخايل الذكاء والنبوغ تظهر عليه منذ العاشرة من عمره، حيث كان دائم السؤال والاطلاع لكل ما استغلق عليه فهمه، فكان يحضر مجالس الكبار ويصغي إلى ما يدور بينهم من مناقشات في مسائل شتى ولا سيما علماء قريته الذين كانوا يجتمعون في منزل والده، منذ طفولته وهو لا يريد إلا رضى الله تعالى والفوز برضوانه، وكان أنوفاً عزيز الجانب لا يقبل الضيم وينفر من الظلم من صغره»⁽²⁾.

لقد رحل النورسي إلى أماكن عديدة في أول بداية طلبه للعلم، مما جعله يلتقي بعدد من العلماء والمدرسين، ومن أهم الشيوخ الذين التقى بهم وتلمذ على أيديهم وأخذ منهم العلم كما ذكر ذلك بقوله: «أني قد أخذت دروساً من ثمانين ألف شخص»⁽³⁾ أبرزهم:

1. أخوه الأكبر عبدالله: «هو الأخ الكبير للإمام النورسي ودرسه أيام صباه ثم تتلمذ عليه بعد أن شاهد نبوغه»⁽⁴⁾.

2. محمد أمين أفندي: كان إمام في قرية تاغ⁽⁵⁾، حيث كلف الإمام النورسي أن يلبس زي العلماء (الجبة) ولكنه رفض وقال له: «إني لم أبلغ بعدُ الحلم، فلا أجدني لائقاً بلبس

1 جوانب من حياة بديع الزمان سعيد النورسي، إحسان قاسم الصالحي، جهود بديع الزمان النورسي في تجديد الفكر الإسلامي 17 و18 مارس 1999، ص19.

2 علي القاضي، ماذا تعرف عن بديع الزمان سعيد النورسي، (دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م) ص5.

3 أي: أنه قد أخذ الدرس من كل ما حوله حتى من الذباب، حيث يقول: «إني رأيت نفسي مغرورة بمحاسنها. فقلت: لا تملكين شيئاً! فقالت: فاذا لا أهتم بما ليس لي من البدن... فقلت: لا بد أن لا تكوني أقل من الذباب... فإن شئت شاهد أ فأنظري إلى هذا الذباب، كيف ينظف جناحيه برجليه ويمسح عينيه ورأسه بيديه! سبحان من ألهمه هذا، وصيره إستانداً لي وأفحم به نفسي: السيرة الذاتية، بديع الزمان سعيد النورسي، ص65.

4 كليات رسائل النور، الشعاعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط7(مصر- القاهرة: دار سوزلر، 2014م) ج4، ص674.

5 قرية تاغ: تقع في مدينة وان التركية، وتبعدُ القرية عن قرية (نورس) مكان مولد الاستاذ حوالي ساعتين مشياً على الأقدام. الشهود الأواخر شهادات ومشاهدات عن بديع الزمان سعيد النورسي، نجم الدين شاهينر، ترجمة: مأمون رشيد عاكف، (د.ط) - القاهرة: دار سوزلر، 2012م) ج1، ص22.

أن القرآن الكريم هو رائد، رسائل النور ومنها ومرجعها وشمسها⁽¹⁾ وكنزها وأساسها، وإن رسائل النور لا مصدر لها سوى القرآن الكريم، ولا أستاذ لها إلا القرآن الكريم، ولا ترجع إلا إلى القرآن الكريم، من حيث هو منبع الأدب الخالص، والحكمة البالغة والحق الساطع، والحقيقة الواسعة، والسامية، والتربية الكاملة، فالقرآن الكريم هو أهم مرشد، وأرشد مهدي، وأعلم إمام، وأنفع دواء، وأقوى دليل، وأقطع برهان، وأقوم مربي، وأقدس أستاذ على الإطلاق⁽²⁾.

إن نظرة الإمام النورسي نظرتة للإسلام كانت باعتباره ديناً للإنسانية، ويعتبر أن القرآن الكريم هو المربي لهذا العالم الإنساني، لأنه الكتاب الوحيد المقدس الذي يحقق جميع الحاجات الإنسانية، ويخاطب جميع الطوائف البشرية، ويربيهم أحسن تربية، فالقرآن الكريم يربي الناس ويذكرهم نفوسهم، ويصفي قلوبهم، ويمنح الأرواح انكشافاً ورقياً، والعقول استقامة ونوراً، والحياة حياة وسعادة⁽³⁾.

إن حياة الناس وسعادتهم إنما تكون بتربية القرآن الكريم، وتعليم القرآن الكريم، ودروس القرآن الكريم، تلك الدروس الإيمانية التي ترشد إلي أعظم الحقائق وأعمقها، وأسمى العلوم وأدقها، وأهم المعارف وأوسعها، بأسلوب سهل، وبيان واضح، وبرهان ساطع، ودليل قاطع، وطريقة ميسرة لجميع الناس، وملائمة لمختلف الأفهام⁽⁴⁾.

لأن القرآن الكريم يدعو الناس جميعاً إلى الإيمان الذي يبعث الرجاء، ويشيع النور، وينشد السلوى، ويمنح السعادة، ويسمو بالأخلاق، ويتوجه إلى إصلاح البلاد والعباد، ويرتقي بهم إلى مرتبة الإنسانية الحقة التي لا تكتمل ولا تتحقق إلا بالتربية التي تسقى بماء الإسلام، وتشع بنور الإيمان، وتسطف بفيض القرآن، وهي التربية التي جاء بها «مركز دائرة الإسلام، ومنبع أنوار الإيمان⁽⁵⁾». ولهذا وجدت رسائل النور على أن المصدر الاصل في نهج النورسي هو القرآن الكريم وما عده فهو مكمل أو مفسر للقرآن الكريم، وسيأتي ذكر المصادر المكمل في موضوع الاخلاق لاحقاً.

يركز النورسي على قضية الاختلافات الفطرية، والمكتسبة بين البشر في التعليم، فيركز جداً

1 بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص169/170.

2 بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص208.

3 بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ج1، ص511.

4 المصدر نفسه، ص514.

5 بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص516.

محرومة منها¹.

كما يعرفه من جانب آخر بأنه: «نور وهو قوة أيضاً، فالإنسان الذي يظفر بالإيمان الحقيقي يستطيع أن يتحدى الكائنات ويتخلص من ضيق الحوادث مستنداً إلى قوة إيمانه... إن الإيمان يجعل الإنسان إنساناً حقاً، بل يجعله سلطاناً، لذا كانت وظيفته الأساسية: الإيمان بالله تعالى والدعاء إليه... يتضح من هذا أن وظيفة الإنسان إنما هي التكامل (بالتعلم)؛ أي: الترقى عن طريق كسب العلم والمعرفة والعبودية بالدعاء... وهذا يعني أن وظيفته الأساسية هي التحليق والارتقاء بجناحي «العجز والفقر» إلى مقام العبودية السامية. إذن فلقد جاء بهذا الإنسان إلى هذا العالم لأجل أن يتكامل بالمعرفة والدعاء... فأساس كل العلوم الحقيقية ومعدنها ونورها وروحها هو معرفة الله تعالى، كما أن أس هذا الأساس هو الإيمان بالله جل وعلا².

إننا نجد الإمام النورسي قد اهتم كثيراً في رسائل النور ببيان الإيمان الأخلاقي ودوره في ترقية وإصلاح المجتمعات الإنسانية، وتحقيق الأمن والسلام والسعادة للبشرية.

ومن خلال التأمل في مسيرة الإصلاح في فكر ومشروع الإمام النورسي رحمه الله، فإننا نجد أنه كان يرى أن الأمل في إصلاح الأحوال، إنما يكمن في تربية جيل معاصر على قاعدة الإيمان وقوة العبادة، واستناداً إلى الأخوة والتمسك بالفضيلة.

إن الإيمان الأخلاقي عند الإمام النورسي له أصول مستمدة من حياته التربوية التي خاضها والتي دائماً ما كان متمسكاً بها ويحاول أن يجعل أسسها عملية في المناهج العلمية.

مما لا شك فيه أن مصادر الإيمان التربوي لدى الإمام النورسي يرجع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية والسيرة المطهرة، فقد كان رحمه الله يؤكد دائماً على ارتباط الإيمان التربوي بالقرآن الكريم الذي تعلقت به، واندفعت منه واستند إليه، ونالت من فيضه، من حيث هي تفسير له، ومن حيث هي أنوار مستقاة منه، ومن حيث هي دروس قرآنية، وعلوم الحياة، ومعارف جما، ترشد العقل، وتنبه القلب، وتصون الشرف وترقي الوجدان، وتتقذ الإيمان، ولذلك فقد كان من الطبيعي أن يؤكد النورسي على

1 بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ص426.

2 راجع: الكلمة الثالثة والعشرون . الكلمات . كليات رسائل النور، ص355-352.

الدين إلا عبارة عن شجرة أصولها في الأرض ثابتة وذلك هو الاعتقاد الذي لا يتزعزع بالشك، واليقين الذي لا يشوبه الريب، وأما أغصانها المرتفعة فتلكم هي شرائع الله العملية، وأما قمة القمم فهي ثمار الشجرة وهي أخلاق الإيمان التي توصل صاحبها إلى مقام الإحسان، لذا فإن نظرية الإمام النورسي انصبت على تغير الواقع من خلال ربط الإيمان بالأخلاق.

إن كلمة الأخلاق في المفهوم اللغوي تعني: السجية والطبع والمروءة والدين⁽¹⁾، وهذا التعريف اللغوي يبين لنا أن الخلق هو الطبع والسجية التي قدر عليها العبد، وأما تعريف الخلق بأنه الدين فإن ذلك لما بينه وبين الخلق من الاقتران، وأن أحدهما لا ينفك عن الآخر.

وأما مفهوم الأخلاق من الناحية الاصطلاحية فقد ذكر له العلماء عدة تعريفات، نذكر منها ما ذكره الإمام الغزالي رحمه الله إذ عرف الخلق بأنه: عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية⁽²⁾.

قال الدكتور عبد الكريم زيدان⁽³⁾ رحمه الله في تعريف الأخلاق: بأنها مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس، وفي ضوئها وميزانها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح، ومن ثم يقدم عليه أو يحجم عنه⁽⁴⁾.

يعد الإمام سعيد النورسي الأخلاق هي: نظام القرآن الكريم الذي يطبع صورة الروح الإنسانية بماهيتها، ويسلك بها مدارج التربية والمجاهدة لاكتساب معناها الكوني، ومن ثم فإن المنظومة الأخلاقية التي وضع أسسها النورسي، تستوحي الأخلاق القرآنية والأخلاق المحمدية جميعها، ولذلك فهي تتسم بالعموم والكلية والشمول، فقد شملت علاقة الإنسان بخالقه وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وعلاقة الإنسان بكل عناصر الكون ومكوناته...⁽⁵⁾، ويرى النورسي أن: الأخلاق عزة لأن من أراد العبودية الخالصة لرب العالمين لا ينبغي له أن يذل نفسه فيكون عبدا للعبيد، وحيث أن كل إنسان راع في ملكه وعالمه فهو مأمور بالتخلق بأخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم) وأحيا سنته الشريفة كما أن الإفراط

على الفروق الفردية بين الأشخاص؛ فما ينفع لشخص ما قد لا ينفع لآخر، ويضرب لذلك مثلا فيقول: «الأدوية تتعدد حسب تعدد الأدواء، ويكون تعددها حقا. وهكذا الحق يتعدد. والحاجات والأغذية تنتوع، وتتوعدا حق... وهكذا الحق ينتوع. والاستعدادات ووسائل التربية تتشعب، وتشعبها حق... وهكذا الحق يتشعب. فالمادة الواحدة قد تكون داءً ودواءً حسب مزاجين اثنين... إذ تعطى نسبية مركبة وفق أمزجة المكلفين، وهكذا تتحقق وتتركب»⁽¹⁾.

لقد أدرك النورسي أن الإنسان كائن ميتافيزيقي⁽²⁾ ولا يشبع حاجاته العقلية والروحية والعاطفية إلا بالتوحيد... فأية نظرية مادية أو عقلية أو علمانية لم ولا ولن تقدر على إشباع هذه الحاجة العميقة. لقد أدرك النورسي أن الفرد لا بد أن يعبد إلها... كما جاهد رحمه الله في العمل على تجريد الفكر من المعلومات غير الحيوية وغير العملية، وغير الحقيقية، وإفساح المجال لمقابلاتها الإيمانية، وجعل نفسه نموذجا لذلك التجريد... كما وفق في التوفيق العقلي بين ما تتركه الحواس وما لا تتركه، وذلك بغرس الإيمان بالغيب في الوعي البشري دون تصادم مع واقعات الحس ومقررات العقل المنطقي السليم ونتائج العلوم التجريبية اليقينية القطعية، فوسع من أفق الواقع المكاني والزمني في وعي الإنسان... وقد أزاح أمامه بعون القرآن كل شبهات الماديين وأوهامهم وظنونهم وأهوائهم... ومن فضل ما وضعه من شروط للتوصل إلى الحقيقة: الشروط الوجدانية والعقلية والروحية والأخلاقية كتجنب الغفلة، والمعصية، والغرور، والتعصب، والوهم، والنفي اللامسؤول، والافتراض أو التظهير غير العلمي أو غير المتناسك.. كما دعا إلى تنقية كتب التراث من التفسيرات والآراء التي دحضها العلم بيقينه⁽³⁾.

المحور الثالث- ما العلاقة بين الإيمان والأخلاق في فكر النورسي؟

مفهوم الأخلاق وربطها بالإيمان:

ركز الإمام النورسي رحمه الله في مشروعه الإصلاحية على ربط الأخلاق بالإيمان، لأنه كان يرى أن الإيمان المجرد لا يعود له أثر لا على الفرد ولا على المجتمع، لذا فإن الأخلاق هي ثماره⁴، فما

1 بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص850.

2 ميتافيزيقي: مفرد متعلق بالغيبيات. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عيد الحميد عمر، ص2143.

3 محمد رشدي رشيد، ملامح تربوية في رسائل النور، بحث ضمن كتاب: بديع الزمان سعيد النورسي (مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الإسلامي) ص76.

4 بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ص426.

لَا أُدْرِي مَا فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ حَتَّى أَتَانِي أَعْرَابِيَّانِ يَخْتَصِمَانِ فِي بِنْرِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا، فَطَرْتُهَا»
أَيِ ابْتَدَأْتُهَا^(١).

ويوضح لنا النورسي أن الانسان مجبولة فطرته على التدين والسعي وراء الخير والاخلاق المحمودة، والاخلاق المذمومة هي حالات شاذة والاخلاق هي الحالة السائدة والغالبة في هذا النظام الكوني ووجود الاخلاق السيئة إنما وجدت للتعرف على أبعاد وماهية الحق والخير والجمال والحسن.

القرآن: يقول الإمام بديع الزمان رحمه الله تعالى: «إن أصول الأخلاق في القرآن الكريم عالية علو ما جاء في كتب الديانات الأخرى جميعها، و إن أهم نتيجة يمكن استنباطها هي تأثير القرآن العظيم في الأمم التي أذعنت لأحكامه، فالديانات التي لها ما للإسلام من السلطان على النفوس قليلة جداً، وقد لا تجد ديناً اتفق له ما اتفق للإسلام من الأثر الدائم»^(٢).

السنة النبوية: إن القارئ المتمق لرسائل النور يرى من خلالها حبا واضحا للنبي ٢ وسنته؛ وأن الرسائل قد كتبت بمداد الحب النبوي؛ فهي سهلة الوصول إلى شغاف القلوب ، ومن ثم يقول النورسي فيها: «إن آثار محمد ٢ وسيرته المباركة وتاريخ حياته تشهد أنه قد اجتمعت فيه الخصال العالية كافة، ومن شأن امتزاج كثرة من تلك الأخلاق توليد عزة النفس، التي تولد شرفا ووقارا يترفعان عن سفاسف الأمور، كترفع الملائكة وتنزههم عن الاختلاط بالشياطين، فالأخلاق السامية كذلك لا تسمح أصلا بتداخل الحيلة والكذب بينها، بل تنتزه وتترأ وتترفع عنها، بحكمة التضاد فيما بينها»^(٣).

لذا فإن «الزمان الماضي والزمان الحاضر؛ أي: عصر السعادة النبوية والمستقبل يتضمنان براهين نيرة على النبوة، ويرددان بلسان واحد برهان ذاته ٢ بأنه معدن الأخلاق العالية وداعيا لصدق ودلال النبوة»^(٤).

إذ إن محبة المسلمين لنبيهم لا تكتمل سوى باتباع سنته، إذ إن مقياس اتباع السنة رهين بدرجة

1 الرازي محمد بن أبي بكر الحنفي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5(بيروت- صيدا: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، 1420هـ / 1999م) ج1، ص241.

2 بديع الزمان سعيد النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص273.

3 بديع الزمان سعيد النورسي، صقيل الإسلام، ص133.

4 بديع الزمان سعيد النورسي، صقيل الإسلام، ص132.

والتفريط في الأخلاق يفسدان الاستعدادات والمواهب. وهذا الإفساد ينتج العيبية، وهذه العيبية مناقضة للحكمة الإلهية المهيمنة برعاية المصالح والحكم حتى على أصغر شيء في العالم^(١).

إن كثيرا من الأحكام الدينية، والتشريعات القرآنية، التي دأب بعض الكتاب على تصنيفها، جعلها النورسي من صميم الأخلاق، وأصولها، ومن هذا الفهم الشامل للأخلاق تحدث النورسي عن الصدق والشورى والعدل والتعاون والأخوة والأمل والتواضع والاجتهاد والوفاء والعفة والمحبة والشكر وغيرها، بل إنه خصص لبعضها رسائل مستقلة، كما نبه على خطورة الأخلاق الذميمة مثل الكذب والرياء والنفاق والظلم والتفريق والتعصب والتكبر والأنانية واليأس والاستبداد والتكاسل والعداوة والشر والخيانة. ويستدل على صدق ما وصل إليه بحضارة الإسلام فيقول: «أما المدنية التي بنيت على أساس التشريع الإسلامي والأخلاق المحمدية الرفيعة، فإنها مبنية على الحق والفضيلة والرابطة الدينية والتعاون والهدى ، وهذا ما يؤدي إلى العدالة والتوازن والمودة والأخوة والمسالمة والاتحاد وترقي الإنسان وهذا هو سر التزام الناس بالقانون التشريعي الإسلامي حيث عمقه الخلق الرفيع»⁽²⁾.

إن الاخلاق في منظور الإمام النورسي هي لب الإيمان، وفي هذا الصدد يأتي قوله: «إن إصابة الأمة في قلبها إنما هو من ضعف الدين، ولن تنعم بالصحة إلا بتقوية الدين، أما مسلكتنا فهو التخلق بالأخلاق المحمدية ٢ وإحياء السنة النبوية، ومعلمنا في الحياة: الشريعة الغراء، وإذا كانت الأخلاق فطرة فطر عليها الإنسان، فإن دور الدين يتمثل في تثبيت هذه الفطرة وتهذيبها»⁽³⁾.

1. مصادر الأخلاق عند الإمام النورسي:

تتجلى لنا من خلال النص السابق ماهية المصادر التي استند إليها الأستاذ النورسي رحمه الله في مشروعه الكبير، وهي:

- **الفطرة:** (الْفَطْرَةُ) بِالْكَسْرِ الْجُلْفَةُ، وَ(الْفَطْرُ) الشَّقُّ يُقَالُ: (فَطَرَهُ فَاَنْفَطَرَ)، وَ(تَفَطَّرُ) الشَّيْءُ تَشَفَّقًا، وَ(الْفَطْرُ) أَيْضًا الْإِبْتِدَاءُ وَالْإِخْتِرَاعُ، وَبَابُ الْأَرْبَعَةِ نَصَرَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ t عَنْهُ: (كُنْتُ

1 بديع الزمان سعيد النورسي، صقيل الإسلام، ص500.

2 بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص598.

3 بديع الزمان سعيد النورسي، صقيل الإسلام، ص501.

الزهراء وذلك عن طريق (رسائل النور) التي لو لم يخلف غيرها لكانت كافية في إبراز عظمة هذه الشخصية الفذة.

- ركز الإمام النورسي في مشروعه الإصلاحية على الجانب الإيماني ومن ثم ربطه بالأخلاق، فالتربية الإيمانية الأخلاقية هي منهج الله في كتابه وعلى لسان أنبيائه ورسوله، لذا فإن الإمام النورسي لم يبع عن ذلك بديلاً.
- إن المصدر الأساس في مشروع الإمام النورسي هو القرآن الكريم (الكتاب المسطور)، يضاف إليه الكون الفسيح العظيم الذي هو: (الكتاب المنظور)، وأما السنة والسيرة النبويتين فليس هما إلا تطبيق عملي وتجلي واقعي لهذين المصدرين.
- الإنسان هو خليفة الله في الأرض وعليه أن يمتثل أمر خالقه وصانعه ورازقه الذي خلقه للخلافة في الأرض وعمارتها لذا وجب عليه أن يفرد خالقه وخالق الكون كله بالعبادة والطاعة.
- لا مناص للمسلمين للارتقاء والتقدم في عصر العلم والتكنولوجيا إلا بالالتشبث بالأخلاق الإيمانية والتأدب بالآداب الإسلامية، فما الأخلاق إلا ثمرة الإيمان وذروة سنامه.
- مصادر الأخلاق عند الإمام النورسي هي: الفطرة، والقرآن، والسنة النبوية. وكان من سمات التربية في رسائل النور: العمومية وطابعها الإنساني، والجمع بين الظاهر والباطن أو البدن والعقيدة.

التخلق بأخلاق r.

1. سمات التربية في رسائل النور:

إنه يمكن للباحث تحديد سمات التربية التي انطوت عليها رسائل النور فيما يلي:

- **طابعها الإنساني:** حيث يمتاز الفكر التربوي عند النورسي بطابعه الإنساني، فالتربية التي تقوم بتقديمها رسائل النور تربية إنسانية، جامعة لكل الإنس، وشاملة للبلاذ والعباد، ومفتوحة لكل إنسان، وممتدة في مختلف المواضيع، ومستمرة لنطاق الحياة.
- تعطي رسائل النور تربية نورانية، صالحة إلى كل إنسان، وتشتع في جميع المواضيع بواسطة النور الذي تحمله، والرسائل التي تنقلها، الدوائر التي تتصل بها، والوسائل التي تبلغ إليها، والطلاب الذين تعلقوا بحبها، وتعلموا منها، وأخلصوا لها فتحولت معهم كل الوسائل إلى مدارس نورانية.
- **جمعها بين الظاهر والباطن:** إن التربية في رسائل النور تربية أخلاقية وروحية تعمل على تزكية النفوس و تحقيق السعادة للبشر عن طريق التوازن والاستقامة، والفضيلة والمساواة.

مراسلات النور تحمل بجانبها دروساً في التربية الإيمانية التي تم بالاعتقاد والأخلاق كمبدأ الحياة الإنسان الفردية والاجتماعية أما في الحياة الفردية: فتؤكد الدراسة الإيمانية على تربية الإنسان على عبادة الله وحده، ولا يخضع لغير الله، ولا يعمل سوى لوجه الله، وهو غني رغم فقره، لأنه مستغن بالله عن جميع الأشياء، وهو قوي رغم ضعفه، لأنه مستند إلى قوة الله المطلقة، وهو عبد عزيز، وتلميذ متواضع، وإنسان سلس هين، متخلق بأخلاق الله، وهو يشاهد جميع عباد الله الصالحين إخواناً له، فيدعوا لهم، ويشتاق إليهم، ويسعد بسعادتهم.

خاتمة

إنني في نهاية هذا البحث المختصر أستخلص أهم الاستنتاجات المتوصل إليها والتوصيات التي نراها مناسبة لمشاريع قادمة بمشيئة الله تعالى.

- يعد الإمام النورسي علم من أعلام الأمة وإمام من الأئمة مفكر كبير ومصالح عظيم، كان له دور بارز في النهضة الإسلامية سواء على مستوى التعليم أو الاجتماع.
- لقد حقق الإمام النورسي الكثير من الأهداف من خلال إنشاء المدارس وأبرزها مدرسة

الازدهار الفكري والحضاري. وبالأخلاق الحميدة يتقوى الإيمان و تزيد شعلته توهجا.

وتناول المبحث الأخير وسائل اكتساب مكارم الأخلاق فتجلى من خلاله أن وسائل اكتساب مكارم الأخلاق كثيرة ومتعددة منها: سلامة العقيدة والاقناع الفكري والقنوة الصالحة والحرص على صحبة السالكين في منهج الحق و قراءة القرآن بتدبر وتعقل، وإدامة النظر في رسائل النور وغيرها من الوسائل التي تكسب مكارم الأخلاق.

أما الخاتمة فتناولت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

مقدمة

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام , القائل في محكم تنزيله , في وصف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم,) وإنك لعلی خلق عظیم (, ثم الصلاة والسلام على النذير البشير, خاتم الأنبياء والمرسلين, القائل: « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا... » وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الأخلاق الإسلامية من أهم ما جاءت بها الشريعة الإسلامية لترسيخها وتثبيتها بين الأفراد والمجتمع ؛ لأن بها تستقيم الحياة وتنتشر المودة والرحمة, والسعادة. وهي ملازمة لقوة الإيمان فكلاهما يؤثر في الآخر ويتأثر به؛ لذا فالدين القيم والأخلاق الفاضلة ضروريان لكل مجتمع ليرتفع بهما إلى أعلى المستويات ويرتقي بهما إلى أعلى الدرجات, وحين يتخلى أي مجتمع عنهما يرتكس إلى أسفل الدرجات.

ولله در العلامة النورسي إذ يقول: «...إن الإيمان يقيم دائما في القلب والعقل حارسا معنويا آمينا, لذا كلما صدرت ميول فاسدة عن تطلعات النفس والنوازع والأحاسيس المادية قال لها ذلك الحارس الرادع محذور.. ممنوع.. فيطردها ويهزمها. »¹

ونظرا إلى أهمية العلاقة بين الإيمان و الأخلاق في الإسلام فقد أفردتها علماء المسلمين بالتأليف والتصنيف قديما وحديثا, وبيّنوا أهميتها ومكانتها وأثرها في الفرد والمجتمع.

ويعتبر العلامة النورسي, بديع زمانه وفريد دهره من أهم العلماء المعاصرين الذين اهتموا بموضوع علاقة الإيمان بالأخلاق, فخصص له حيزا كبيرا في رسائله القيمة وبين أهميته, ودوره في تقدم المجتمع

1 الخطبة الشامية ص: 73

علاقة الإيمان بالأخلاق من خلال رسائل النور

أ.د. عبد الرحمن محمد ميغا

أستاذ بكلية الشريعة والقانون بالجامعة الإسلامية بالنيجر
ونائب رئيس الجامعة للشؤون الإدارية والمالية

ملخص البحث

يتكون هذا البحث من ثلاثة مباحث وخاتمة

تناول المبحث الأول مفهوم الإيمان والأخلاق في رسائل النور وتبين من خلاله أن مصطلح الإيمان في رسائل النور له معان كثيرة ومتعددة لكن كلها تلتقي في معنى التصديق الحقيقي واليقيني بالله سبحانه وتعالى والانتساب إليه وما يتبع ذلك. و أن مفهوم الأخلاق في كليات رسائل النور يرجع إلى معنى تربوي خصوصي فهو تنقيح لماهية الإنسان من شوائب الأناية الوجودية.

وأن الإيمان والأخلاق لهما أهمية كبيرة في حياة الفرد والمجتمع؛ فالإيمان منبع القوة والأمل والقناعة والسعادة، ومكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية لا يستغني عنها أي مجتمع فمتى قامت حميت الفضيلة و روعيت حقوق الناس سلما وحرّيا وعاش الجميع في أمن وسلام,

وتناول المبحث الثاني علاقة الإيمان بالأخلاق فظهر من خلاله أن العلاقة بينهما علاقة جدلية فكلاهما يؤثر في الآخر فكما كانت أخلاق المجتمع عالية كلما قوي إيمانه وكما انحطت أخلاقه ضعف إيمانه

فبالإيمان تتقوى الأخلاق وتتوطد وأصر المحبة بين أفراد المجتمع، وتحصل الألفة المؤدية إلى

الإيمان بالله:» هو النور الحاصل بالتصديق بجميع ما جاء به النبي عليه السلام تفصيلا في ضروريات الدين وإجمالاً في غيرها.¹

الإيمان بالله: « هو التصديق مع اليقين...»²

الإيمان بالله: « نور يقذفه الله تعالى في قلب من يشاء من عباده...»³

الإيمان: هو « دواء مقدس لكل داء...»⁴

الإيمان هو: « الانتساب إلى الصانع سبحانه...»⁵ وغيرها من المدلولات التي يعطيها العلامة النورسي لمصطلح الإيمان، ككونه نور الكون والوجود، ومنور الحياة الأبدية، والمبشر المضىء والسعادة الأبدية للناس، وحياة الحياة⁶، وأسمى العلوم وأدقها⁷، وأساس الحياة⁸، ومنبع جميع السعادات، ومنبع الخلق الحسن والخصال الحميدة ومنشؤها⁹.

ثانياً- مفهوم الأخلاق:

إن من أجال النظر في رسائل العلامة النورسي سيجد أنه أعطى الأخلاق مفهوماً أوسع وأشمل؛ حيث اعتبر كثيراً من الأحكام الدينية والتشريعات القرآنية التي اعتاد كثير من الكتاب على تصنيفها خارج مفهوم الأخلاق من صميم الأخلاق وأصولها؛ ولهذا فالأخلاق من خلال رسائله تعني: « نظام القرآن الذي يطبع صورة الروح الإنسانية بماهيتها، ويسلك بها مدارج التربية والمجاهدة لاكتساب معناها الكوني»¹⁰.

1 إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ص: 51

2 نفسه ص: 67

3 نفسه ص: 51

4 الملاحق في فقه دعوة النور ص: 108

5 الكلمات ص: 349

6 يراجع: المثنوي العربي النوري ص: 136-135

7 يراجع: الكلمات ص: 478

8 يراجع: الشعاعات ص: 135

9 يراجع: سيرة ذاتية ص: 258/ إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ص: 77

10 مفاتيح النور: الدكتور فريد الأنصاري ص: 318، 320-368

وتقهقره، وأعطاه مفهوماً واسعاً شاملاً لا تكاد تجده عند غيره وتناوله بشكل متميز حري أن يدرس؛ ولهذا رأينا أن نشارك في هذا المؤتمر العلمي الدولي بمساهمة متواضعة بعنوان: « علاقة الإيمان بالأخلاق من خلال رسائل النور » ضمن المحور الأول (الإيمان في حياة الفرد) من محاور المؤتمر، والمؤتمر تنظمه مؤسسة اسطنبول للثقافة والعلوم بإسطنبول، وهو الثاني عشر حول الأستاذ النورسي ورسائل النور.

و قد تناولنا الموضوع في ثلاثة مباحث وخاتمة

ففي المبحث الأول تحدثنا عن مفهوم الإيمان والأخلاق وأهميتهما في فكر النورسي.

وفي المبحث الثاني: بينا العلاقة القائمة بين الإيمان والأخلاق من خلال رسائل النور

وفي المبحث الثالث: ذكرنا وسائل اكتساب الأخلاق من خلال رسائل النور

وفي الخاتمة ذكرنا أهم النتائج التي توصلنا إليها.

المبحث الأول: مفهوم الإيمان والأخلاق وأهميتهما.

تمهيد

إن أي مجتمع لا يمكن أن يعيش أفراداً بأمان وانسجام ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة.

فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية لا يستغني عنها أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية؛ لأن بها يتم إصلاح الفرد الذي هو الخطوة الأولى في إصلاح المجتمع كله، وهذه الأخلاق لا تتم إلا إذا اقترنت بالإيمان بالله وصدق صلى الله عليه وسلم **عندما قال:** لا إيمان لمن لا أمانة له « فما الإيمان والأخلاق وما أهميتهما في فكر النورسي؟

أولاً- مفهوم الإيمان:

إن مصطلح الإيمان في رسائل النور له معان كثيرة ومتعددة وكلها تلتقي في معنى التصديق الحقيقي واليقيني بالله سبحانه وتعالى والانتساب إليه وما يتبع ذلك. ومن مدلول الإيمان في رسائل النور ما يلي:

هـ- الإيمان بالله يمد الإنسان بنظرة متميزة ومتفائلة تجاه العالم، فالمؤمن بالله يرى الكون « كتابا بليغا، كتبه الأحد الصمد، ومدينة منسقة عمرها الرحمن الرحيم ، ومعرضا بديعا، أقامه الرب الكريم لإشهار مصنوعاته؛ فيبعث بهذا البيان حياة في تلك الجمادات ويجعل بعضها يسعى لإمداد الآخر، وكل جزء يغيث الآخر ويعينه كأنه يحاوره محاورة ودية صميمة...»¹

و- الإيمان بالله يحل طلسم الكون ولغزه ويزود المؤمن بالإجابات الشافية عن تلك الأسئلة المحيرة حول الكون وما فيه من موجودات. فالإيمان يكشف السر المغلق التي حارت الفلاسفة وضلت الأمم.²

ز- الإيمان بالله يحدث توازنا في عقل الإنسان وعواطفه ويربطه بخالقه بوثاق شديد وينسب إليه، ويسمو به إلى أعلى العليين فيكسب بذلك قيمة تجعله لائقا بالجنة.³

ح- الإيمان يؤدي إلى تقوية الأواصر والروابط الاجتماعية وتوثيق عرى المحبة والمودة بين أفراد المجتمع، يقول العلامة النورسي: «...إن الإيمان بعقيدة واحدة يستدعي حتما توحيد قلوب المؤمنين بها على قلب واحد، ووحدة العقيدة هذه تقتضي وحدة المجتمع...»⁴

2- أهمية الأخلاق:

أ- إن أي مجتمع لا يستطيع أفرادها أن يعيشوا متفاهمين متعاونين سعداء مالم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة أو القيم الإسلامية.

ب- مكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية لا يستغني عنها أي مجتمع، ومتى نفذت الأخلاق التي هي الوسط الذي لا بد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان ، تفكك أفراد المجتمع وتصارعوا ثم أدى بهم إلى الانهيار والدمار، ولله در القائل:

وإنما الأمم بالأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ج- الأخلاق تسلك بالروح الإنسانية مدارج المجاهدة، ذلك أن التخلق لا يحصل إلا بالمجاهدة

1 نفسه ص: 527

2 يراجع الشعاعات ص: 14/ الكلمات ص: 26

3 يراجع: الكلمات ص: 348/ الأمثال في رسائل النورسي: د الشفيح الماحي أحمد ص: 106

4 المكتوبات ص: 341

وهكذا يظهر أن مفهوم الأخلاق في كليات رسائل النور يرجع إلى معنى تربوي خصوصي ، فهو تنقيح لماهية الإنسان من شوائب الأناثية الوجودية. إذ هو تجلية وتصفية لروح الإنسانية حتى تبدو مرآتها على أعلى حقائقها، من حيث كونها أكمل رمز للعبودية.¹

ثالثا- أهمية الإيمان والأخلاق في فكر النورسي:

1- أهمية الإيمان:

إن الإيمان له أهمية كبيرة في الإسلام عامة وفي فكر النورسي خاصة ، ومن أهمية الإيمان:

أ- أن الإيمان نور يضيء الكون وما فيه يقول العلامة النورسي: «... الإيمان نور يضيء الإنسان وينوره، ويظهر بارزا جميع المكاتب الصمدانية المكتوبة عليه و يستقرؤها، كذلك فهو ينير الكائنات أيضا وينقذ القرون الخالية والآتية من الظلمات الدامسة...»²

ب- الإيمان منبع القوة والأمل والقناعة والسعادة، يقول العلامة النورسي مبرزا هذه الميزة: «... الإيمان هو نور وقوة أيضا. فالإنسان الذي يظفر بالإيمان الحقيقي يستطيع أن يتحدى الكائنات ويتخلص من ضيق الحوادث، مستندا إلى قوة إيمانه، فيبحر متفجرا على سفينة الحياة في خضم أمواج الأحداث العاتية بكمال الأمان والسلام...»³

ج- الإيمان يجعل الإنسان إنسانا حقيقيا وسلطانا على ما في الكون والوجود، يقول العلامة النورسي: « أن الإيمان يجعل الإنسان إنسانا حقا، بل يجعله سلطانا؛ لذا كانت وظيفته الأساس الإيمان بالله تعالى والدعاء إليه...»⁴

د- الإيمان يقود الإنسان إلى سعادة الدارين، يقول العلامة النورسي: « فالإيمان إذن يقتضي التوحيد، والتوحيد يقود إلى التسليم، والتسليم يحقق التوكل، والتوكل يسهل الطريق إلى سعادة الدارين...»⁵

1 يراجع نفسه ص: 332

2 الكلمات ص: 350

3 نفسه ص: 352

4 نفسه ص: 354

5 نفسه ص: 352-353

المبحث الثاني: العلاقة بين الإيمان والأخلاق:

إن علاقة الإيمان بالأخلاق علاقة جدلية أو متلازمة، فكلاهما يؤثر في الآخر، فكلما كانت أخلاق الإنسان عالية، كلما قوي إيمانه، وكلما انحطت أخلاقه ضعف إيمانه، وهذا يدل على أن هناك علاقة وطيدة بين الإيمان و الأخلاق.

فالخلق الحسن منبعه العقيدة الصافية، وهو ثمرتها؛ ولذا أهميته لا تقل عن أهمية العقيدة الإسلامية في حياة المسلم. ثم إن الالتزام بمكارم الأخلاق هو السبيل إلى تحقيق العبودية لله تعالى. كما أن الإيمان هو الينبوع الذي يستقى منه الأخلاق الفاضلة، وهي بدورها تقود الإنسان إلى العمل الصالح.

إذ الإيمان هو أساس الأخلاق الحسنة والأخلاق الفاضلة هي أساس العلم الصحيح والعلم الصحيح هو أساس العمل الصالح.

و نظرا إلى هذه العلاقة الوطيدة القائمة بين الإيمان والأخلاق نجد نصوصا كثيرة تبينها، منها: قوله صلى الله عليه وسلم: « لا إيمانَ لِمَنْ لا أمانةَ لَهُ ولا دينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ »¹، وقوله أيضا: « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا... »²

وهكذا يظهر أن هناك علاقة وطيدة بين الإيمان والأخلاق فلا يمكن الفصل بينهما بل هما وجهان لعملة واحدة، فلا إيمان بدون أخلاق ولا أخلاق بدون إيمان.

فبالإيمان تتقوى الأخلاق وتتوطد أواصر المحبة بين أفراد المجتمع، وتحصل الألفة المؤدية إلى الازدهار الفكري والحضاري. وبالأخلاق الحميدة يتقوى الإيمان و تزيد شعلته توهجا.

و مما يجدر بالذكر هنا هو أن حامل الخلق الحسن لا يلزم أن يكون مؤمنا اطراداً، نعم من لوازم الإيمان الخلق الحسن ولكن ليس من لوازم الخلق الحسن الإيمان، فهي كالهواء والماء والرزق قسمها الله تعالى على الجميع من غير أن يكون للإيمان فيه دخل، فالأخلاق مقسومة على الخلق فطرة كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ

1 مسند الإمام أحمد: ج3 مسند أنس بن مالك رضي الله عنه

2 سنن الترمذي ج4 باب ما جاء في حق المرأة على زوجها

والعزم على مواجهة عدوى الفساد الأخلاقي، وينخرط الإنسان بذلك في صراع مع الشهوات الحيوانية التي تنثور في نفسه.

د-دلت التجارب الإنسانية والأحداث التاريخية أن ارتقاء القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لارتقائها في سلم الأخلاق الفاضلة، وأن انهيار القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لانهايار أخلاقها.¹

ه- متى قامت الأخلاق الإسلامية حميت الفضيلة و روعيت حقوق الناس سلما وحرما وعاش الجميع في أمن واطمئنان.²

و- عناية الإسلام بالأخلاق وحث المسلمين على التحلي بها؛ لما له من أهمية في بناء المجتمع و حمايته. ومن النصوص الحاتة على التحلي بمكارم الأخلاق:قوله صلى الله عليه وسلم: « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق... »³، وقوله صلى الله عليه وسلم: « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا »⁴،وسئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الإيمان أفضل قال: «الخلق الحسن... »⁵

ولأهمية مكارم الأخلاق في الإسلام يرى العلامة بديع الزمان أنها أهم معجزة أعطيت لنبيينا محمد صلى الله عليه وسلم بعد القرآن؛ ولهذا أثر في كل من عاصره أو سمع به.⁶

وهكذا يظهر أن الإسلام أولى أهمية بالغة للقيم الأخلاقية؛ لأن ميزان هذه القيم متى ارتفع بين الناس قلت حاجاتهم إلى القوانين الملزمة، ومتى ضعف في النفوس فإن الحاجة تبرز إلى بدائل تحتمي بها الأمم. وبالتالي تظهر الحاجة إلى القوانين الصارمة التي تهدف إلى أن تكون كفيلة باستقرار الأوضاع.

1 يراجع: الأخلاق الإسلامية وأسسها: عبد الرحمن حسن حنيفة الميداني ج1 ص: 35-29 الطبعة الأولى 1979/1999 دار القلم دمشق- بيروت

2 يراجع: مقدمة في القانون الدولي الإنساني في الإسلام للأستاذ الدكتور زيد بن عبد الكريم الزيد ص: 30-29

3 المستدرك على الصحيحين ج2 ص:670 حديث رقم: 4221

4 سنن الترمذي ج5 ص:5 حديث رقم: 1195 باب ما جاء في حق المرأة على زوجها

5 شعب الإيمان للبيهقي ج6 ص: 242 حديث رقم:8015

6 يراجع: صيقل الإسلام ص: 507 وما بعدها

ومن كلماته النيرة التي تدل على أن الدين ترسخ الأخلاق في الإنسان «...إن الإيمان يقيم دائما في القلب والعقل حارسا معنويا أميناً، لذا كلما صدرت ميول فاسدة عن تطلعات النفس والنوازع والأحاسيس المادية قال لها ذلك الحارس الرادع محظور.. ممنوع.. فيطردها ويهزمها. «¹ وأن «أسباب المحبة هي الإيمان والإسلام والإنسانية وأمثالها من السلاسل النورانية المتينة والحصون المعنوية المنيعه...»²

وهكذا يظهر من خلال هذه النصوص المرصوفة التي تقوي بعضها بعضا كالبنيان , والمقتطفة من رسائل النور أن الإيمان له علاقة وطيدة بالأخلاق ، وأن أي خلل في أحدها يؤثر في الأخرى. والله در الحكيم الهندي غاندي حين قال: « إن الدين ومكارم الأخلاق هما شيء واحد لا يقبلان الانفصال... ولا يفترق بعضها عن بعض فهما وحدة لا يتجزآن , وأن الدين كالروح للأخلاق, والأخلاق كالجسم للروح. وبعبارة أخرى, الدين يغذي الأخلاق وينميها وينعشها كما أن الماء يغذي الزرع وينميها »³

كما يفهم من هذه النصوص أيضا أن الإيمان ومكارم الأخلاق عند بديع الزمان ضرورتان اجتماعيتان , وأنه لا يمكن لأي مجتمع يريد التوازن في حياته أن يعيش بدونهما, وأن التحلي بهما يؤدي إلى سعادة المجتمع وتقدمه وانسجامه والاعتزاز بالنفس والتواضع, وأن أي خلل فيهما , يؤدي إلى خلل في المجتمع وفساده. وأن الإيمان والأخلاق والخصال الحميدة تبقى حصنا حصينا للمسلم في هذا الوقت الذي يتسم بالدمار , أخلاقيا وروحيا, وبإثارة هوى النفس الأمارة بالسوء وبإطلاق الهوى من عقالها.⁴

هذا ويعتبر رسائل العلامة النورسي مراجع مهمة في قضايا الإيمان والأخلاق لا يستغني عنها أي داعية أو باحث في مجال العقيدة والأخلاق , حيث تربط الأخلاق بالإيمان والعمل ,وتحث على التحلي بمكارم الأخلاق وتبين فوائدها وثمارها وطريقة كسبها وترسيخها وتتفر من الأخلاق المذمومة وتشخص مضارها. إنها بحق رسائل عالية تناولت علاقة الإيمان بالأخلاق بعمق وجدية نادرة وبشكل متميز , تعبر عن شخصية العلامة النورسي ومدى تأثره بالقرآن, وهي أيضا رسائل في القمة في تفسير بعض قضايا القرآن, و تعليم الأخلاق والفضيلة.

1 الخطبة الشامية ص: 73

2 نفسه ص: 52

3 الإعداد الروحي والخلقي للمعلم والمعلمة: الدكتور محمد جميل بن علي الخياط ص: 69

4 الملاحق ص: 169

يُعْطِي الْمَالَ مَنْ يُحِبُّ، وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ، إِلَّا مَنْ يُحِبُّ «¹.

وفي رسائل النور هناك نصوص نيرة كثيرة تبين هذه العلاقة الوطيدة التي تربط جانب الأخلاق بالإيمان أو بالعقيدة. ولنجني من ثمار أشجاره الطيبة ودرره ما يؤكد هذا الجانب , يقول العلامة النورسي: «إن الغاية القصوى للإنسانية والوظيفة الأساسية للبشرية هي التخلق بالأخلاق الإلهية, أي التحلي بالسجايا السامية والخصال الحميدة – التي يأمر بها الله سبحانه – وأن يعلم الإنسان عجزه فيلتجئ إلى قدرته تعالى ويرى ضعفه فيحتمي بقوته تعالى , ويشاهد فقره فيلوذ برحمته تعالى وينظر إلى حاجته فيستمد من غناه تعالى ويعرف قصوره فيستغفر ربه تعالى , ويلمس نقصه فيسبح ويقس كماله تعالى »²

ويوضح العلامة بديع الزمان هذه الفكرة في مكان آخر من كلماته بقوله: «... كونوا عباد الله المخلصين , متحلين بأخلاق الله محتمين بحماة معترفين في قرارة أنفسكم بعجزكم وفقركم وقصوركم »³.

فهدف وجود الإنسان في هذا الكون كما يرى العلامة النورسي هو التحلي بالأخلاق الإسلامية السامية والخصال الحميدة التي يأمرنا بها الله. وهذا الأمر بدوره يقودنا إلى تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى التي تعد الغاية الأسمى لوجودنا في هذه الأرض يقول سبحانه وتعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ...)⁴.

ويرى العلامة النورسي أن ضعف الأخلاق في المجتمع الإسلامي في الوقت الراهن يرجع إلى ضعف الدين, ومن درر كلامه ما يؤكد هذا «... إن إصابة الأمة في قلبها, إنما هو من ضعف الدين, ولن تنعم بالصحة إلا بتقوية الدين...»⁵.

1 . أخرجه الإمام الحاكم في المستدرک على الصحيحين: ج 1 ص: 88 حديث رقم 95 كتاب الإيمان , وقال الذهبي في التلخيص: صحيح الإسناد.

2 الكلمات ص: 642

3 نفسه ص: 643

4 سورة الذاريات آية رقم: 56

5 الخطبة الشامية ص: 85 / السيرة الذاتية: ص: 102

ونفر من بعضها. يقول سبحانه(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)¹ فمن جاهد نفسه لاكتساب فضائل الأخلاق اكتسبها.

وفي تنمية الأخلاق بالممارسة والمجاهدة يقول العلامة النورسي: إن «.. نشوء الحسيات العالية , ونمو الأخلاق إنما هو بالمجاهدة , وتكامل الأشياء إنما هو بمقاومة الأضداد ومزاحمتها. ألا ترى أن حكومة إذا جاهدت ينمو فيها الجسارة , وإذا تركت انطفت..»²

٤- اختيار البيئة الصالحة: إن البيئة لها دور كبير في تكوين الشخص خلقيا وعلميا وثقافيا واجتماعيا, وقديما قالوا: « الإنسان ابن بيئته »؛ ولهذا ينبغي للإنسان أن يختار البيئة الصالحة لتنمية أخلاقه , عن طريق التحلي بالعادات الحسنة ومحاكاة الطيبين من الناس , حتى يصبح الخلق الحسن عادته ودينه ويمسي جزءا منه.

٥- القدوة الصالحة: إن القدوة الصالحة هي المثال الواقعي للسلوك الأمثل , وهذا المثال قد يكون حسيا يقتدى به وقد يكون حاضرا في الذهن بأخباره وسيره ؛ ولهذا يرى العلامة النورسي أن إدامة النظر في سيرته صلى الله عليه وسلم الذي يعد أفضل نموذج للاقتداء وأكمل مرشد للاتباع والسلوك , وإجالة النظر في سيرة أصحابه رضوان الله عليهم مما يكسب الإنسان مكارم الأخلاق. كما يرى أنه يجب على كل إنسان يريد أن يتخلق بأخلاق القرآن أن يتبع سيرته صلى الله عليه وسلم وسنته الشريفة. ³ يقول سبحانه وتعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْأَخِرَ...⁴)

٦- اللزوم على العبادات والمحافظة عليها:

إن اللزوم على العبادات والمواظبة عليها مما يهذب النفس وينقيها ويبعد عنها الرذائل, ويرسخ فيها العقائد ويربيها وينميها, وبدون اللزوم على العبادات يكون آثار العقائد ضعيفة.

فالمواظبة على الصلاة مثلا وأدائها في وقتها وفي الجماعة بخشوع وتدبر مما يربي في الإنسان الأخلاق الفاضلة وينميها ويبعدها عن ارتكاب المعاصي يقول سبحانه وتعالى) وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ

المبحث الثالث: وسائل اكتساب مكارم الأخلاق من خلال رسائل النور:

لقد خلق الله البشر على طبائع مختلفة, ووهبهم أو أودع فيهم- فطريا- مكارم الأخلاق , لكنهم متفاوتون في هذه الهبة الإلهية.

وهذه المكارم التي جبلوا عليها منها ما هو غريزي , ومنها ما هو مكتسب, ينمى ويربى , بعدة وسائل.

وفي رسائل العلامة النورسي نصوص عديدة نيرة تبين الوسائل الناجعة لاكتساب مكارم الأخلاق وتنميتها, ومن هذه الوسائل:

١- سلامة العقيدة: إن العقيدة السليمة لها أثر كبير في تهذيب النفس وتقويم اعوجاجها وقلع كل ما فيها من الرذائل وتوجيهها إلى نهج السلوك القويم,حتى تصبح ديدنة في الإنسان. إذ الإيمان القوي النابع من العقيدة السليمة تثبت الأخلاق الفاضلة وتغرسها في نفس الإنسان. يقول العلامة النورسي:«...إن الإيمان دائما يقيم في القلب والعقل حارسا معنويا, أمينا...»¹

كما أن الإيمان يعطي الإنسان قوة معنوية يصارع بها جميع الحوادث والمصائب, ويكسب الإنسان عزة النفس والشفقة في نفس الوقت والترفع عن الدنيا²

٢- الإقناع الفكري: إن إقناع الإنسان بالمفاهيم الإيمانية والأخلاقية التي جاء بها الدين الإسلامي الحنيف عن طريق النظر في تعاليمه ومقاصده يدفع الإنسان إلى التحلي بهذه الأخلاق الفاضلة التي يدعو إليها الإسلام ويحث عليها, والتخلي برذائلها التي ينفر منها.

٣- التدريب العملي والرياضة النفسية: إن التدريب العملي والممارسة التطبيقية لفضائل الأخلاق ومجاهدة النفس فيها, مما يكسب الإنسان مكارم الأخلاق؛ ولذا اعتمد الإسلام على المجاهدة في تربية المسلمين في بعض المواقف , فرغب في بعض الأعمال التي تبدو شاقة لتهذيب النفس وتطهيرها

1 سورة العنكبوت آية 69

2 إشارات الإعجاز ص: 207

3 للمعات ص:96-94/ الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن حبنكة الميداني ج1ص: 216-214

4 سورة الأحزاب آية رقم: 21

5 سورة العنكبوت آية رقم:45

1 الخطبة الشامية ص:73/ إشارات الإعجاز ص:147

2 إشارات الإعجاز ص: 52-51, 106

٩- إِبْشَارُ الْحَيَاةِ الْآخِرِيَّةِ عَلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وتذكرة الموت وملاحظة فناء الدنيا وزوالها، مما يكسب الإنسان القناعة ويكسر فيه شهوة حب الدنيا والطمع في زهرتها.

١٠- معرفة الشخص بقصوره في قرارة نفسه ، وترك الإعجاب بالنفس والغرور مما يكسب الإنسان مكارم الأخلاق.

11- الحرص على صحبة السالكين في منهج الحق، وربط عرى المحبة معهم ، والسير خلفهم ، وترك شرف الإمامة لهم مما يكسب الأخلاق الفاضلة.

12- ترك دواعي الحسد والمنافسة والأحاسيس النفسانية التافهة التي تؤدي إلى التباغض والتناحر.¹

١٣- قراءة القرآن بتدبر وتعقل وإدانة النظر فيه مما يهدي الإنسان إلى الحق وإلى الطريق المستقيم والتخلي بمكارم الأخلاق لقوله تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ...^٢

١٤- إدانة النظر في رسائل النور التي تعد تفسيراً مهماً للقرآن وبرهاناً باهراً له ولمعة براءة من لمعات إعجازه ورشحة من ذلك البحر الذي لا ساحل له مما يرقق القلب ويكسبه مكارم الأخلاق.^٣

الخاتمة

هذا بعض ما تيسر قطفه من كليات رسائل بديع الزمان النورسي في هذا الموضوع وهي رسائل حافلة بنصوص قيمة في مجال علاقة الإيمان بالأخلاق وغيره من الموضوعات التي تعد مواضيع ذات أهمية بالغة لتقدم المجتمع وحل قضاياها في الوقت الراهن.

وبعد هذه الجولة السريعة التي قمنا بها في رياض كليات رسائل النور نستنتج ما يلي:

- إن الإيمان له علاقة وطيدة بالأخلاق، فكل منهما يؤثر في الآخر ؛ لذا لا يمكن الفصل بينهما، فهما وجهان لعملة واحدة.

- إن أهم ما ينبغي أن يتحلى به الإنسان في الوقت الراهن الذي يتسم بإثارة الشهوات هو التقوى ،

1 للمعات ص: -212 247 / إشارات الإعجاز ص: 147

2 سورة الإسراء آية رقم: 9

3 الملاحق ص: 146-225 / سيرة ذاتية ص: 525

كما أن المواظبة على الصيام مما يهذب النفس ويستقيم السلوك، وينشئ الأخلاق الفاضلة في الإنسان من رحمة وبر وصلة وانضباط. كما أنه يقوي الأمانة والعزيمة والإرادة ويعلو الهمة، ويؤدي إلى التقوى الذي يحتاج إليه المسلم في كل أحواله، يقول سبحانه و تعالى(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ^١

ومن آراء العلامة النورسي النيرة في هذا أن صيام رمضان ، تتوجه إلى تربية النفس وتزكيتها وإلى القيام بالشكر تجاه النعم الإلهية.. وإلى تهذيب النفس الأمانة بالسوء، وتقويم أخلاقها، وجعلها تتخلى عن تصرفاتها العشوائية، وأن بالصوم يروض الإنسان لسانه على الصوم من الكذب والغيبة ويرطب لسانه بتلاوة القرآن وذكر الله سبحانه والتسبيح بحمده ويغض بصره عن المحرمات ويسد أذنه عن الكلام البذيء وغيرها من الذنوب والصغائر التي تؤثر في عمل الإنسان. فالصوم إذن علاج ناجع لهلع الإنسان وقلة صبره ، ووسيلة فعالة لتهذيب النفس وكسر شهوتها وكسب مكارم الأخلاق.^٢

كما أن إعطاء الزكاة إلى مستحقيها وانسراح الصدر عند إخراجها مما يكسب الإنسان مكارم الأخلاق ويقطع فيه الأخلاق الرذيلة، ويجعله يتعود على البذل والعطاء و يتخلق بأخلاق الله تعالى.^٣

٧- اتخاذ مبدأ الشورى في الحياة مما يكسب الإنسان بعض الأخلاق الفاضلة وفي هذا يقول العلامة النورسي: «...إن الشورى الحق تولد بالإخلاص والتساند إذ إن ثلاث ألفات هكذا (١ ١ ١) تصبح مائة وإحدى عشرة فإنه بالإخلاص والتساند الحقيقي يستطيع ثلاث أشخاص أن يفيدوا أمتهم فائدة مائة شخص. ويخبرنا التاريخ بحوادث كثيرة أن عشرة رجال يمكنهم أن يقوموا بما يقوم به ألف شخص بالإخلاص والتساند الحقيقي والشورى فيما بينهم »^٤

٨- الامتثال بالأوامر واجتناب النواهي مما يكسب الإنسان الخلق الحسن ويرسخ في قلبه الأخلاق

الفاضلة.

1 سورة البقرة آية رقم: 183

2 يراجع: المكتوبات ص: 521-513

3 إشارات الإعجاز ص: 55-54

4 الخطبة الشامية ص: 60

بالتطبيقية والقول بالعمل وتشخص الداء وتقدم الدواء الناجح ، وتبين المشاكل والمعضلات وتقدم الحلول والبدائل المناسبة. ومن تنزه فيها فسيجد أنه في حذقة، شهية المورد، منتحة الأحقوان، تغدق على الجوال بين ربوعها آيات الحكمة، وعظات اليقظة وترياق الغفلة فهي سر مكنون ، وكنز مأمون، وتجارة لن تبور . جزى الله مؤلفها عن المسلمين خير الجزاء وأجزل ثواب ناشريها، ونفع بها جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاريها. أمين

هذا ما تيسر جمعه في هذه العجالة فما كان صوابا فمن الله ، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

المصادر والمراجع

1-القرآن الكريم: مصحف المدينة النبوية، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

2-الأخلاق الإسلامية وأسستها: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني الطبعة الخامسة 1420 هجرية/ 1999م دار القلم - دمشق.

3-الأمثال في رسائل النور: د الشفيح الماحي أحمد الطبعة الأولى 1427/ 2006 دار سوز للطباعة والنشر استانبول تركيا

4-أبحاث المؤتمر العالمي السادس لبديع الزمان سعيد النورسي: العولمة والأخلاق في ضوء رسائل النور (البحوث العربية) طبعة شركة نسل للطبع والنشر 2004 استنبول - تركيا

5- الإعداد الروحي والخلقي للمعلم والمعلمة: إعداد الدكتور محمد جميل بن علي الخياط طبعة دار الفيلة للثقافة الإسلامية.

6-الخطبة الشامية للعلامة بديع الزمان سعيد النورسي ، ترجمة وتحقيق إحسان قاسم الطبعة الأولى 14021/ 2001 منشورات الأحمديّة للنشر

7-سنن الترمذي ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر طبعة المكتبة الفيصلية مكة المكرمة.

8-شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغول الطبعة الأولى ، 1410 دار الكتب العلمية - بيروت

9-كليات رسائل النور: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: بديع الزمان سعيد النورسي تحقيق إحسان قاسم الصالح، الطبعة الرابعة 2004 منشورات شركة سوزلر للنشر، فرع القاهرة- مصر

والصدق الذي يعد أس أساس الإسلام وواسطة العقد في حياة الإسلام الاجتماعية.

- إن الإيمان والأخلاق ضرورتان اجتماعيتان لا يمكن لأي مجتمع أن يعيش في أمن وسلام ووثام وتوازن بدونهما.

- إن ترسيخ الإيمان ومكارم الأخلاق في المجتمع من أهم القضايا التي ينبغي للمسلمين أن يهتموا بها في تربيتهم في الوقت الراهن الذي انقلبت فيه الموازين فتقلصت المسافة بين الصدق والكذب رويدا رويدا حتى أصبحا مترادفين متكاتفين.

- إن التحلي بالإيمان وبمكارم الأخلاق ، يؤدي إلى سعادة المجتمع الإسلامي، وخروجه من هذه الأزمة التي يعيشها، وأن الالتزام بهما هو البلسم الشافي لكل المعضلات التي يعاني منها المسلمون حاليا.

- إن التحلي بالأخلاق الإسلامية وتطبيقها في الوقع العملي لهو أفضل وسيلة لانتشار الإسلام واستقطاب الآخرين إليه.

- إن أفضل عمل مؤثر يقدمه المسلمون للآخرين وأجمل صورة يرسمها المسلمون للإسلام، وأعلى هدية يهديها المسلمون لليوم للعالم هي التخلق بأخلاق القرآن والالتزام بها قولاً وفعلاً وسلوكاً.

- إن القدوة بالنبي صلى الله عليه وسلم واتخاذ النموذج الأمثل في الإيمان وحسن الخلق يجعل المسلمين قدوة للبشرية جمعاء .

- يعتبر الخلق الحسن من أهم المعجزات التي أعطيت للنبي صلى الله عليه وسلم بعد القرآن الكريم؛ لذا ينبغي الاقتداء به في كل أخلاقه وسلوكه.

- تعد رسائل العلامة النورسي مراجع مهمة في كسب الإيمان و التحلي بالأخلاق الفاضلة، لا يستغني عنها أي داعية أو باحث في مجال قضايا الإيمان والأخلاق.

- إن رسائل النورسي تشخص مدى قوة إيمان صاحبها وتأثره بالقرآن الكريم والسيرة النبوية العطرة، وهي رسائل لها تأثير كبير على كل من قرأها وتأمّلها. وقد أدت دورا مهما في توجيه الحياة الاجتماعية وتوجيهها سليما في عصر النورسي وبعده. وهي أيضا رسائل قيمة في مجال الأخلاق ، تربط النظرية

العلاقة بين الإيمان و الأخلاق خلال دراسة كليات رسائل النور

للإمام بديع الزمان سعيد النورسي
أ.د. محمد مسيح الرحمنالجامعة العالية، كولكاتا، الهند

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم
بإحسان إلى يوم الدين.

إن عبادات الإسلام ليست طقوساً مبهمه، وإنما هي تمارين تعلم الإنسان الأخلاق والثبات عليها،
وتعوده الارتقاء في درجاتها، هذه ما كشف القرآن والسنة، من ذلك قوله تعالى «إن الصلاة تنهى عن
الفحشاء والمنكر» (العنكبوت) ، وفي الحديث «إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطع
بها على خلقي، ولم يبيت مصرًا على معصيتي، وقطع النهار في ذكري، ورحم الأرملة والمسكين وابن
السييل ورحم المصاب»¹، وقال تعالى: «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها»²، وقال أيضاً:
«كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون»³، وقال النبي صلى الله عليه وسلم
«ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث»⁴، وقال تعالى: «فلا رفث ولا فسوق
ولا جدال في الحج»⁵.

1 مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب الصلاة، باب علامة قبول الصلاة.

2 سورة التوبة: الآية:103.

3 سورة البقرة: الآية: 183

4 أخرجه البخاري: (1904)، ومسلم(1151)، والترمذي(764)

5 سورة الأحزاب الآية: 197م.

10- كليات رسائل النور : سيرة ذاتية: بديع الزمان النورسي، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي،
الطبعة الرابعة 2004 منشورات شركة سوزلر للنشر . فرع القاهرة- مصر

11-كليات رسائل النور : الشعاعات: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي،
الطبعة الرابعة 2005 منشورات شركة سوزلر للنشر، فرع القاهرة- مصر

12- كليات رسائل النور: صيقل الإسلام: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم
الصالحي، الطبعة الرابعة 2004 منشورات شركة سوزلر للنشر، فرع القاهرة- مصر

13-كليات رسائل النور: الكلمات: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ،
الطبعة الرابعة 2004 منشورات شركة سوزلر للنشر، فرع القاهرة- مصر

14-كليات رسائل النور: اللمعات: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي،
الطبعة الرابعة 2004 منشورات شركة سوزلر للنشر، فرع القاهرة- مصر

15-كليات رسائل النور: المثوي العربي النوري، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، ، الطبعة الثالثة
2003 منشورات شركة سوزلر للنشر فرع القاهرة- مصر .

16-كليات رسائل النور: المكتوبات: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي،
الطبعة الرابعة 2004 منشورات شركة سوزلر للنشر، فرع القاهرة- مصر

17-كليات رسائل النور: الملاحق في فقه دعوة النور: بديع الزمان سعيد النورسي ترجمة إحسان
قاسم الصالحي ، الطبعة الرابعة 2004 منشورات شركة سوزلر للنشر، فرع القاهرة- مصر

18-المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري تحقيق: مصطفى
عبد القادر عطا الطبعة الأولى ، 1411 - 1990 دار الكتب العلمية - بيروت

19-مسند الإمام أحمد وبهامشه كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال طبعة المكتب الإسلامي
بدون تاريخ

20- مفاتيح النور: الدكتور فريد الأنصاري طبعة 2004 منشورات مركز النور للدراسات والبحوث
بإستانبول - تركيا ومعهد الدراسات المصطلحية فاس- المغرب

وجوهر الدين وعقيدة المسلم، يرتكز على التصديق القلبي والقول اللساني، والعمل التطبيقي.¹

مفهوم الإيمان عند الإمام النورسي: «الإيمان هو الانتساب إلى الصانع سبحانه. فتتعين بذلك قيمة الإنسان على مدى بروز تلك الصنعة الربانية، فيتحول هذا الإنسان إلى مرتبة أسمى المخلوقات قاطبة، حيث يصبح أهلاً للخطاب الإلهي، وينال شرفاً يؤهله للضيافة الربانية في الجنة.»

ويقول في موضع آخر: «علم أن الإيمان إكسير يقلب فحم المادة الفانية أماساً مصنعاً مرصعاً باقياً بمعناه بنسبته إلى الصانع الباقي. والإنسان بالكفر يعكس فينتكس، إذ كما أنه يوجد في مصنوعات البشر ما تكون قيمة مادته خمسة دراهم، وقيمة صنعته ألوف الدنانير، وتتزايد القيمة بكون صانعه شخصاً مشهوراً خارقاً عتياً.»

ويقول أيضاً «فالإيمان نسبة ينسب الإنسان إلى مالكة، وجهة النسبة إنما تنظر إلى الصنعة فيكون مدار النظر حينئذ إلى المصنوعة والصنعة. فبالإيمان تزيد قيمة الإنسان إلى أن تصير الجنة ثمنه، وتكون الخلافة رتبته، ويطبق على حمل الأمانة، وأما الكفر فهو قاطع النسبة، وقاطع الوصلة. فإذا انقطعت النسبة استتر الصنع، وانتكست الصنعة واختفى التجلي، وظهرت المادة، وانقلبت المرآة وسقطت القيمة إلى درك يتمنى الكافر العدم، أو ينقلب تراباً.²

خلال هذه الأقوال للإمام النورسي يمكن أن نستخرج النتائج ما يلي:

الأول: يربط الأستاذ النورسي الإيمان بالانتساب إلى الله تعالى انتساباً كلياً، فيصبح بذلك الإنسان مكلفاً، يربط مع خالقه علاقة تمتاز بصفة الخصوصية في مقابل العلاقة العامة التي تربط الخالق بمخلوقاته.

الثاني: الإيمان يرتفع به الإنسان إلى مقام الكائن المكلف، وتبعاً لذلك يضمن لنفسه مقام الشرف

1 لسان العرب، ابن منظور، المجلد 13، دار صادر بيروت. كتاب التعريفات للجرجاني، مكتبة لبنان، ط: 1990م.

2 www.nurolie.com: المثوي العربي الرسالة 13 بديع الزمان النورسي. موقع النورسي

www.nuoline.com: كليات رسائل النور: المكتوبات بديع الزمان النورسي. ترجمة: الأستاذ

إحسان قاسم الصالحي. موقع:

www.nurolie.com: الكلمة 24. الغصن 3 الأصل الثاني. موقع النورسي.

لقد كان رسول الله وهو النبي الإسلام، وقدوة المسلمين، مثلاً أعلى للخلق الحسن، وترجمة عملية لكل ما جاء في القرآن، فتوارث الناس عنه الأدب وما زالوا، وانتشر الإسلام برقيه وما زال، فما من خلق أمر الإسلام به، إلا وكان رسول الله على درجة الكمال فيه، لقد كان سمحاً لا يبخل، شجاعاً لا ينكص، عدلاً لا يجور، صدوقاً لا يكذب، أميناً في كل أحوله لا يخون «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة»¹، وما حكاه عنه أعداؤه قبل أصحابه يشهد له، وفي سيرته وسننه مجال فسيح، وميدان واسع لمن أراد أن يعرف.

تشتمل هذا البحث على خمسة مباحث ومقدمة وعلى خلاصة بسيطة كما تلي المقدمة:

المبحث الأول: مفهوم الإيمان.

المبحث الثاني: مفهوم الأخلاق.

المبحث الثالث: القيم الإسلامية وأثرها في سلامة النفس البشرية.

المبحث الرابع: القيم الإسلامية وأثرها في التقدم الحضاري.

المبحث الخامس: العلاقة بين الإيمان والأخلاق عند الإمام النورسي

ثم أخيراً: خلاصة البحث.

المبحث الأول: مفهوم الإيمان:

الإيمان لغه: «من الأمان والأمانة وقد آمنت فأنا آمن وآمنت غيري من الأمان والأمان، والأمن ضد الخوف والأمانة ضد الخيانة. والإيمان ضد الكفر: بمعنى التصديق ضده الكذب. يقال آمن به قوم وكذب به قوم. وفي الاصطلاح الشرع: عرفه الجرجاني في كتابه «التعريفات» بقوله: هو الاعتقاد بالقلب، والإقرار باللسان. قيل من شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق، ومن شهد ولم يعتقد فهو منافق، ومن شهد ولم يعمل واعتقد فهو فاسق، ومن أخل بالشهادة فهو كافر. فالإيمان إذن هو مدار الاختلاف،

1 سورة الأحزاب الآية: 21.

والتي يمكن سردها على النقط التالية:

الأول - مبدأ الفطرة: ذلك أن الإنسان مفطور على التدين، والخير، والصدق، والتعارف، والانسجام مع بني جلدته.

الثاني - مبدأ التدين: فإذا كانت الأخلاق فطرة فطر عليها الإنسان، فإن دور الدين يتمثل في تثبيت هذه الفطرة وتكميلها وتهذيبها.

الثالث - مبدأ الشمولية: إن المنظومة الأخلاقية التي اشتملت عليها رسائل النور، تتسم بالشمولية، والعموم، فقد شملت علاقة الإنسان بخالفه، وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان، بل شملت علاقة الإنسان بكل عناصر الكون ومكوناته.

الرابع - مبدأ العلمية: تناول النورسي للأخلاق تناول قرآني ديني، وتناول علمي في وقت واحد، والدين والعلم لا يتعارضان.

الخامس - مبدأ النسبية: يتجلى توظيفه لهذا المبدأ في أماكن عديدة، ومتفرقة من رسائل النور، حيث ينظر إلى الأخلاق بكونها تزيد وتنقص، وتتغير باختلاف الأشخاص والأحوال.

السادس - مبدأ الواقعية: يوظف النورسي هذا المبدأ مثلاً في معالجته لعدد من القضايا الفكرية والأخلاقية ويمكن أن ندعوه أيضاً بمبدأ السياق، ومفاده أنه ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار اختلاف الظروف والسياقات، وتنوعها، فلكل سياق حكم، ولكل مقام مقال.

السابع - مبدأ الانتظام والانسجام: تتسم رسائل النور للشمول، والنسقية والانسجام، وقد اعتمد النورسي هذا المبدأ في دراسته للأخلاق.

كانت هذه لمحة موجزة عن المنظومة الأخلاقية كما صاغها الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي،

والرفعة، فيصبح ذا قيمة عالية تخول له أهلية خلافة الله في أرضه وتحمل أمانته التي كلفه بها وبالتالي الفوز بالجنة. وخلاصة الأمر أن النورسي في حديثه عن الإيمان يخاطب الوجدان، كما يخاطب العقل، ويحرك الأول من خلال الكتاب المقروء، ويقنع الثاني من خلال الكتاب المنظور، ويتجلى هذا في توظيفه لآيات من القرآن الكريم في مخاطبته للمؤمنين ليزدادوا إيماناً، وحثه على تدبر هذا الكون سعياً منه لإقناع الماديين والطبيين.

المبحث الثاني: مفهوم الأخلاق.

تعريف الأخلاق عند الإمام النورسي «نظام القرآن الذي يطبع صورة الروح الإنسانية بماهيتها ويسلك بها مدارج التربية والمجاهدة لاكتساب معناها الكوني». هذا إذن هو التصور الشمولي لمفهوم الأخلاق لدى النورسي.

أما الإمام النورسي ينظر إلى الأخلاق على أنها أصول لا فروع، وعلى أنها قانون بمعنى أنها نظام مطرد ونسق كلي، وليست أحوالاً تقبل الحدوث كما تقبل التخلف، وعلى أنها ضوابط لتكليف السلوك الإنساني تكييفاً تربوياً. فإذا قلنا: «النظافة من الإيمان» فمعنى هذا أنه لا يمكن أن نتصور مؤمناً ليس نظيفاً، فهذا الخلق أصل لا يمكن الاستغناء عنه.

وكون الأخلاق تطبع صورة الروح بماهيتها، معناه أنها تنقية لماهية الإنسان من شوائب الأنانية الوجودية، وذلك بتجلية صورة الروح الإنسانية وتصفيتها، حتى تبدو مرآتها على أجلي حقائقها من حيث كونها أكمل رمز للعبودية.

والأخلاق تسلك بالروح الإنسانية مدارج المجاهدة، ذلك أن التخلق لا يحصل إلا بالمجاهدة والعزم على مواجهة عدوى الفساد الأخلاقي، وينخرط الإنسان بذلك في صراع مع الشهوات التي تثور في نفسه.

أما كون الأخلاق تكسب الروح الإنسانية معناها الكوني، راجع إلى أن الإنسان مؤهل لمهة كونية كبرى هي الإمامة التبعية. إذ جعله الله إماماً للعابدين، ولسائر السائرين من الخليفة أجمعين. كما هو مشار إليه في آية الأمانة: «إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقنا منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً».

لابد من توضيح المبادئ العلمية، والقوانين الكلية، التي بنى عليها النورسي منظومته الأخلاقية،

الإيمان والصلاح وقبولهم للكفر والشر مع منافاة ذلك لمنطق العقل، وضرورات أصل الخلقة، يقول المولى - سبحانه وتعالى - في حديثه القدسي الشريف: «إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فأنتهم الشياطين فاحتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم»¹.

ومما لا شك فيه أن المحنة التي يمر بها العالم أجمع اليوم، ويعاني منها أشد المعاناة هي أزمة روحية، منشؤها كفره بالقيم الأخلاقية والمثل العليا التي جاء بها الدين، لا نجاة لهذا العالم مما يرتكس فيه إلا بالعودة إلى تلك القيم، و تلك المثل التي يهتدي إليها بفطرته، ومتى اهتدى العالم إلى هذه الفطرة اهتدى إلى الإسلام، لأن الإسلام هو دين الفطرة.

وعناية الإسلام بالقيم الأخلاقية وتتميتها في طبيعة النفس البشرية، إنما تكمن في ثلاثة اتجاهات هي: كمن ذات نفسه، فهو يشعر بالرقابة على سلوكه وتصرفاته سواء شاهده الناس، أم كان بعيداً عن أعين الناظرين، لأنه يدرك تمام الإدراك أن الحق - سبحانه وتعالى - مطلع عليه فهو: «يعلم السر وأخفى»².

2- الاهتمام بتربية النفس البشرية على المحبة والمودة، وتنمية العلاقات الاجتماعية في طبيعتها.

لأن الإنسان اجتماعي بطبعه، والمحور الخلق في الإسلام يدور حول احترام فردية الفرد، والثقة في قدرته على التمييز بين الخير والشر بما أوتي من عقل وفكر، وهذه الفردية ملزمة بمجتمع، وتعد مسؤولية شخصية عن تحقيق العدل والخير فيه، وحرية الفرد فيها التزام خلقي في حدود صالح الجماعة وغيرها.

3- الاهتمام بتربية النفس البشرية على ممارسة السلوك الذي يحقق هذه القيم الأخلاقية.

ولا يتأتى هذا التهذيب للنفس البشرية إلا باتباع وامتثال ما أمر به المولى - سبحانه وتعالى - واجتتاب ما نهى عنه يقول الحق - سبحانه وتعالى -: «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم»³.

ويقول سبحانه جل شأنه في محكم آياته: «من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك

والتي استقى معالمها من الكتاب والسنة، وجعل لها مبادئ علمية وقوانين كلية تأطرها»¹.

المبحث الثالث: القيم الإسلامية وأثرها في سلامة النفس البشرية.

إن القيم الأخلاقية في الإسلام لا تتفصم عن غيرها من القيم الروحية والنفسية والاجتماعية، لأن الهدف الأسمى من العقائد والشعائر والعبادات هو بناء الأخلاق، ولم ترد في القرآن الكريم أو في السنة النبوية الكريمة عبارة إلا وهي مرتبطة غاية الارتباط بالجانب الأخلاقي ومهتمة به.

والإسلام لم يجعل من العقيدة مجرد مشاعر وجدانية لتربية الوجدان، ولا مجرد وسائل تهييية تسمو بالروح فقط، وإنما يربط بين هذه القيم جميعها ربطاً وثيقاً محكماً، فلا عقيدة منفردة عن العبادة ولا عبادة منعزلة عن الأخلاق ولا أخلاق منفصلة عن الإيمان وتلعب الوراثة والبيئة دورها في تنمية القيم الخلقية للفرد، وقد وضع الإسلام نظاماً ومنهجاً فريداً لأسس التربية الخلقية، لأنه يريد أن يضمن للفرد حتى قبل ميلاده وعاء صالحاً، ومنبتاً حسناً ينتج منه، وهذا الوعاء هو ما يطلق عليه في العالم الحديث، اسم: «قانون الوراثة» صفات الوالدين هي التي ستكون محور التربية فيما بعد وفي هذا الشأن يقول صلى الله عليه وسلم: تخيرو لنطفكم، فإن العرق دساس « ، ويقول عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام مبيناً أثر البيئة في تربية الفرد: «ما من مولود يولد إلا على الفطرة»²

وأما البيئة الفاسدة ففيها خطر شديد على الفطرة، حيث تمسخها وتتسرد بها، وتخلف فيها من العلل ما يجعلها تعاف العذب، وتستسيغ الفج، وذلك هو السر في انصراف فريق من الناس عن

1 مفاتيح النور، نحو معجم شامل للمصطلحات المفتاحية لكليات رسائل النور لبديع الزمان النورسي. د. فريد الأنصاري، بمشاركة كل من مركز دراسات رسائل النور بإستانبول ومعهد الدراسات المصطلحية. 2004م.

- الكونية الأخلاقية بين علوم القرآن وعلوم الإنسان، دراسة في نظرية الأخلاق عند الأستاذ النورسي، فريد الأنصاري.

- نظرة سعيد النورسي إلى عصر النهضة وعلم الكلام، د. عادل محمود بدر.

- بديع الزمان سعيد النورسي: نظرة عامة عن حياته وأثره، إحسان قاسم الصالحي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط: 1999م.

- المنظور الأخلاقية عند النورسي، أبوبكر الغزاوي، المؤتمر العالمي السادس لبديع الزمان النورسي، العولمة والأخلاق في ضوء رسائل النور، إسطنبول، تركيا. 20020924.

2 رواه مسلم.

1 رواه مسلم.

2 طه: 7.

3 آل عمران: 31.

والقيم الإسلامية الدافعة إلى الحضارة ليست قيماً مستقلة بذاتها، وإنما هي قيم ذات فعاليات إيجابية في واقع المجتمع، ويمكن أن يقاس مدى فاعلية هذه القيم من حيث القوة والضعف، بالنظر إلى سلوك الأفراد الذين يعتنقونها ويسيروا على هديها، ووفقاً لمبادئها ومنهجها، فليس في الإسلام تفرقة بين القيم الذاتية والقيم الخارجية.

وهذا هو ما يميز الإسلام عن بقية الأديان، والمذاهب والفلسفات الأخرى، فالإسلام يرى أولاً وذلك ليجعل النفوس مهينة لتلقي أحكامه ثم يدعو الناس إليها ثم يقيم من أنفسهم حراساً عليها.

والإسلام لا يحفل ولا يعني بالمعاني المجردة، حيث إنه دين عمل أساساً فهو عندما يحكم على الفرد إنما يحكم بما يتمثل في سلوكه العملي من القيم لأن سلوكه تابع عما بداخله من مبادئ، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿قل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾¹

إن القيم الأخلاقية هي التي تعصم المجتمعات من الانحلال وتصون الحضارة والمدنية من الضياع، ودونها لا تنهض الأمم، ولا تقوى الدول مهما بلغت من العلم والازدهار فالعلم والأخلاق لا تستغني عنهما المجتمعات ولا تستغني المبادئ والقيم عن الضمائر الحية، التي لها أثرها الفعال في حماية النفس البشرية.

ولا يكون متوافقاً مع نفسه ومع مجتمعه ولكي يكون بعيداً عن الصراع والقلق والتوتر النفسي وجب أن يكون القيم والمعايير والمعتقدات والمبادئ الخلقية التي تستخدمها في الحكم على دوافعه وسلوكه - والتي يهتدي به في أفعاله وتصرفاته كافة - أن تكون قد أكسبت لديه صفة الاستقرار النسبي، وليس هناك أدنى تعارض أو تناقض بين بعضها والبعض الآخر، حيث إن ذلك كله يعد حصيلة التطبيع الاجتماعي.

ويعد استقرار القيم وإنسجامها، العامل الأساسي والفاعل في الاستقرار والانفعال لدى جميع الأفراد.

وبقدر ما تكون هذه القيم جزءاً متكاملًا مع الكيان النفسي للفرد بقدر ما يسود المجتمع من طاقات إنسانية خلاقة جديدة يدفع عجلته نحو التقدم والازدهار.

1 التوبة: 105.

عليهم حفيظاً¹

ويقول سبحانه وهو أصدق القائلين: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾²

إن الناظر في مدى عناية الإسلام بهذه القيم الأخلاقية يرى أن الهدف منها هو: تنمية السلوك الخلقي، على أساس شموله لما ينظم علاقة الفرد بنفسه، وعلاقته بغيره من الناس ومن الجماعات، وعلاقته بالكون، طبقاً لما أكدته الإسلام، كما أنها تهدف إلى سعادة الإنسان عن طريق إرضاء خالقه سبحانه عزوجل، بحيث تصبح الأخلاق هي ذلك النشاط الذي يربط بين تعاليم الإسلام والإنسان فرداً وجماعة، وحيث تتحول هذه التعاليم إلى حياة يومية تمارس.

إذا كان النظام الأخلاقي في الإسلام شاملاً وكاملاً فإنه من الضروري أن تكون القيم الأخلاقية شاملة ومتكاملة، بحيث تلبي غرائزه وحاجاته الكامنة في طبيعته النفسية، وبذلك يتكامل الجهاز النفسي والعضوي في الإنسان، وليست عناية الإسلام بهذه القيم الأخلاقية قائمة إلا على اعتبار أنها الأساس في التربية والتدريب والتهديب، وهي في الوقت نفسه أسلوب علاجي ووقائي.

المبحث الرابع: القيم الإسلامية وأثرها في التقدم الحضاري:

تعد الحضارة الإسلامية حضارة أخلاقية، تجمع بين الفكر والعمل، بيد أنها لا تقدر الفكرة ولا ترفعه فوق العمل، كما هو الحال والشأن في الحضارة اليونانية القديمة.

والحضارة الإسلامية حضارة تجمع بين الناحية المادية والناحية الروحية في الأفراد وترى أن المجتمع المتكامل، هو المجتمع الذي لا يحمل الحوافز المادية إلى جانب الحوافز الروحية في عملية التطور، ومن هنا كانت الأمة الإسلامية الآخذة بهذه الحضارة أمة وسطاً، يقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء﴾³

1 النساء: 80.

2 حشر: 7.

3 البقرة: 143.

لقد جاء الإسلام ليخرج الناس من ظلمات الكفر والجهل والظلم والفساد إلى نور الإيمان والعلم والعدل والسلام وليجليهم بالإخلاق الحميدة والمثل العالية وما ورد في سنة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته من أقوال وأفعال وأمثال. و يدور مجمل كلام الأستاذ بديع الزمان النورسي حول الإيمان وإحيائه، وتجديده، والثبات عليه، وجعله أساس التفكير، ومنبع القيم والأخلاق، ومحدد المسير الصحيح، ونقطة التساند، والانطلاق نحو الأفضل.

خلاصة البحث

في النهاية يمكن أن نلخص إلى أن النورسي رحمه الله قد بدأ مشروعاً إصلاحياً وتربوياً واتخذ ركائزه الأساسية من القرآن والسنة. وكان وراءه أهداف عالية من تصحيح العقائد الإسلامية وإخراج الناس من ظلمات الوهم والخرافة إلى نور العلم والمعرفة وتقوية إيمان المسلمين وتحليتهم بالأخلاق النورانية الحسنة وتعويدهم على مجاهدة النفس. ويتضح لنا من خلال دراستنا لمفهوم الإيمان والأخلاق في فكر النورسي أنه لا أخلاق من دون إيمان، فبالإيمان تتقوى الأخلاق وتتوطد وأواصر المحبة بين أفراد المجتمع، وتحصل الألفة المؤدية إلى الازدهار الفكري والحضاري وبالأخلاق الحميدة يتقوى الإيمان وتزيد شعلته اتقاداً.

يتضح لنا من خلال دراستنا لكليات رسائل النور للإمام بديع الزمان النورسي أنه جعل الإيمان أساس التفكير ومحور المسير والانطلاق الصحيح نحو الصراط المستقيم ومنبع القيم والأخلاق. ونري في فكر النورسي أنه لا أخلاق دون إيمان، فبالإيمان تتقوى الأخلاق وأواصر الحب بين الناس وكذلك يكمل الإيمان بالأخلاق الحميدة والعادات الحسنة.

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى اله وصحبه أجمعين

ومن الضروري لتفهم العلاقات الاجتماعية، وإدراك عواقب السلوك، أن يكون هناك الثواب والعقاب الذي يعود على الذات.

كما أن الإسلام يهدف أول ما يهدف إلى خلق مجتمع واع، يسعد به أبنائه، مجتمع صالح يكثر في الخير، ويتضاءل فيه الشر، مجتمع يجب أن يخضع سلوك الفرد فيه خضوعاً كلياً وجزئياً لتوجيهات القرآن الكريم والسنة الشريفة حتى يسعد مجتمعه وترقى به أمته وينعم بحياة هانئة في دنياه، سعيدة في آخره.

المبحث الخامس: العلاقة بين الإيمان والأخلاق عندالإمام النورسي:

علاقة الأخلاق بالإيمان علاقة طردية، فإذا زاد الإيمان، ارتقت الأخلاق وقربت من الكمال بنفس قدر زيادة الإيمان، وإن ضعف الإيمان ضعفت الأخلاق، هذا ما قرره النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر من حديث وموقف، قال صلى الله عليه وسلم «الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد، والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل»¹. وقال «أحسن الناس إسلاماً أحسنهم خلقاً»²، «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»³، «الحياة والإيمان قرناء فإذا رفع أحدهما رفع الآخر»⁴، «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»⁵.

و ورد في حديث أن امرأة حكم بالنار لها لإيذاء جيرانها مع أنها كانت كثيرة الصوم والصلاة، وفي يد آخر أن امرأة حكم بالجنة لها للطفها ورفقها بجيرانها مع أنها كانت قليلة الصوم والصلاة. وجاء في حديث آخر أن المفلس هم من يأتي بأعمال صالحة كثيرة يوم الدين لكن تعدى أذاه غيره، فقد شتم وسب وخان وغدر وظلم، فتبطل سيئاته حسناته، فإن فنيت حسناته حمل على ظهره ما بقي من سيئاته حتى يلقي في النار.

1 مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ماجاء في حسن الخلق، كتاب الأدب.

2 روه السيوطي في الدر المنثور، 7512، والزبيدي في اتحاف السادة المتقين 480\7.

3 رواه أبو داؤود: 4682، والإمام أحمد250\2.

4 أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (297\4)، والحاكم في المستدرک(58) والبيهقي في شعب الإيمان

5 متفق عليه.

وشرحه في مواضع كثيرة من كتاباته وأكثر من ذكره ونكّر به من يقرؤه بحيث إنه إذا أمعن فيه سهل له الأمر ودفعه ذلك إلى الاستعداد الكامل للحياة الآخرة التي هي تهذم الذات وتمنع عن المحرمات والمهلكات وتجلب للإنسان الخيرات والسعادات تلو السعادات، ويؤكد كذا الشيخ على أن لا يقول أحد بأنه من مات فقد فقد من هذه الدنيا أو ماتت روحه، إنه يعبر عن الموت بما دعا به النبي عليه السلام أن يجعل الله له الموت راحة من كل شرّ، فالموت لا شقّ أنه خير للإنسان كائناً من كان، فإذا كان مؤمناً فللقاءه بربه وتقربه إليه، وإذا كان مسلماً فإسقاماً فلائنه يمسه عن المزيد من الوقوع في الذنوب فلا يطول عقابه، كذا الكافر يدفع عنه الموت ما كان يقدر له من الذنوب في حال حياته فيخفف الله في عذابه لقلّة ما صدر منه.

يذكر الشيخ الموت في كلّ مكان من كتاباته ويشرحه بأن الموت في حقيقته تسريح وإنهاء لوظيفة الحياة الدنيا، وهو تبديل مكان وتحويل وجود، ويعرّفه بدعوة إلى الحياة الباقية الخالدة ومقدمة لها.¹

من العبارة هذه يتضح بعض من آراء الشيخ عن مفاهيم الموت وما يؤكّد عليه من أبدية الحياة وأنّ الحياة لا نهاية لها، وكلّ من قرأ كتاباته حول الموت وأبديته ومعانيه عنده أدرك لا محالة أنّ الموت ليس عدماً، ويقرّ به القرار على مفارقة الأقارب والخلان ولا يتأسف، فكأنّ الأستاذ يشوّق الموت إلى المومنين بكلامه العذب الجميل ويحببه إليهم بإيراد الأمثلة المختلفة الرائعة التي يأتي بها لشرح هذا المعنى، فحيناً يذكر أنه نعمة من نعم الله، ثم يشرح كيف هو نعمة إلهية، فعلى قوله الموت إنقاذ للإنسان من أعباء وظائف الحياة الدنيا ومن تكاليف المعيشة المثقلة، وحيناً يعدّ الموت بشاراً عظيمة في ضوء الآيات القرآنية، وهو عنده أبواب للقدوم والذهاب إلى حضور سلطان الأزل والأبد.²

وعنده كما أنّ الحياة برهان الأحدية، ودليل وجوب الوجود، فالموت دليل السرمدية والبقاء.³ وهو يقلّل من قيمة هذه الحياة الدنيا التي يفنى فيها كلّ شيء، ولكلّ لذة فيها زوالاً، وزوالها ألمّ، بل تصور الزوال ألم أكبر، إذ في الوجه الثاني ليست الحركة دورية بل حركة مستقيمة، ففيها اللذة محكومة بالموت الأبدية.⁴

1 كما في المكتوبات، في المکتوب الأول

2 نفس المصدر.

3 المثوي العربي النوري، ص 65

4 نفس المصدر، ص 118

مفاهيم الموت وأبدية الإنسان

كما يراها الشيخ الأستاذ النورسي رحمه الله

طلحة نعمت الندوي

بهار شريف - بهار، الهند

كان الأستاذ الشيخ بديع الزمان سعيدالنورسي رحمه الله تعالى من نوابغ الزمان وأفذاذ الرجال الذين قلما يوجد بهم الدهر، وكان شيخاً رانياً بمعنى الكلمة، سار على نهج سلكه من قبل ريانيون ودعاة ألزموا أنفسهم بالتذكير والوعظ، من أمثال ذي النون المصري والشيخ فضيل بن عياض وأبي القاسم القشيري وابن أبي الدنيا وغيرهم من الزهاد ورجال الموعظة والتذكير، وأهمّ شيء في ما يردع الإنسان من اللذات هو ذكرالموت الذي تحدث عنه النبي صلى الله عليه وسلم في مواضع من أحاديثه الشريفة، واشتغل العلماء والمحدثون بشرحها وتوضيحها، فقد أكد النبي عليه السلام في عدد من أحاديثه على تتكرالموت دائماً وأنه هو هادم اللذات، وقد أكثر من ذكره بين أصحابه حتى حبه إليهم وأثار فيهم روح الفداء والتفاني في سبيل الله، لأنهم أيقنوا بأنه ليس عدماً بل هو حياة جديدة لم تخطر على قلب أحد.

فليس الموت هو شيء يخافه الإنسان بل هو جسر يصل الحبيب بحبيبه وقنطرة يعبرها العبد إلى بارئته الكريم، وإذا أيقن بهذا وحصل له الإيقان الكامل على ذلك، فلا يستبعد أن لا يهمه موت أحد من أحبته، ولا يشقّ عليه بل يراه خيراً، ودائماً يكون في انتظار لمن يأتي به إليه، ولا يزال يشاق إلى لقاء ربه، ويستيقن بأنه ليس فقداناً وفراقاً للأحبة ومفارقة أبدية، بل هو انتقال الروح إلى عالم آخر من هذا العالم، ومن مبادئه أن لا يرجع صاحبه من هناك ولا يتكلم أحداً ولكن لا بدّ لكل واحد من أن يزوره ولو بعد مدة، والروح هي لا تموت وإنما يموت الجسد، ولا يتعدى ذلك تكسر الأجساد وانكسارالعظام، ولكن الروح عست أن تكون قد تخففت من أعباء الحياة الدنيا.

فعنوان أبدية الحياة الإنسانية هذا من أهمّ الموضوعات التي تناولها الشيخ النورسي رحمه الله،

إنه يرى الموت لأهل الضلال فراقاً أبدياً أليماً من جميع الأحبة، وخروجاً من جنة دنيوية كاذبة إلى وحشة سجن انفرادي للقبر، وضياح في تيه سحيق، بينما هو يراه لأهل الهداية وأهل القرآن رحلة إلى العالم الآخر، ووسيلة إلى ملاقاتة الأحبة والأصدقاء القدامى وواسطة إلى دخول الوطن الحقيقي ومنازل السعادة الأبدية، ودعوة كريمة من سجن الدنيا إلى بساتين الجنان، وانتظار لأخذ الأجرة للخدمات تقضلاً من الرحمن الرحيم، وتسريح من تكاليف الحياة وإجازة من وظيفتها، وإعلان الانتهاء من واجبات العبودية وامتحانات التعليم والتعليمات¹

إن الشيخ يدقق في الآيات التي تتحدث عن الرجوع إلى الله تعالى ثم يسردها ويحقق أن هذه الآيات تدل على أن الموت خير للمؤمن ووسيلة للقاء ربه، والفرق والفناء من الدنيا ليست أبواباً للعدم، يقول: إن في إكثار ذكر القرآن لمال (إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ) (وَالِيَهُ تَرْجَعُونَ)، (وَالِيَهُ الْمَصِيرُ) (وَالِيَهُ مَأْب) بشارة عظيمة، وتسليية جسيمة - وان تضمنت للعاصي تهديداً - إذ تقول هذه الآيات للناس: إن الموت والزوال والفناء والفرق من الدنيا ليست أبواباً للعدم والسقوط في ظلمات الفناء والاندعام، بل هي أبواب للفنوم والذهاب إلى حضور سلطان الأزل والأبد. فهذه الإشارة تُنجي القلب من دهشة ألم تصوّر تمزُّقه مع جميع محبوباته بين أيدي عدمات هائلة غير متناهية، والتفرق بين أنياب فراق مدهشة. فانظر إلى دهشة جهنم المعنوية المندمجة في الكفر!.. إذ بسر «أنا عند ظن عبدي بي» ظن الكافر هكذا، فصوّر فطره ظنه عذاباً أبدياً عليه. ثم انظر إلى درجة تفوق لذة اليقين بلقاء الله، حتى على الجنة»،²

ويخاطب غيرالمسلم وينبهه على ما يقومون به من قلب الحقيقة قائلاً، «إنك لا تقلب، بل تبدل الموت الذي هو تبديل لمكان في نظر المؤمن إعداماً أبدياً».³

وما من خلق فيه الحياة عند الأستاذ النورسي رحمه الله إلا وهو كثر موظفٍ وعبدٍ قد أمر بالقيام بوظائف تكاليف الحياة، والتي تسجل تلك الوظائف كتسيحات وتحميدات بحساب خالق الموت والحياة وباسمه، وحقوق الحياة وغاياتها إنما ترجع إليه سبحانه، ويكفي لشهوده وقت من الأوقات، بل تكفي النيّة الحالية بالقوة، كما هو في نية النوى والبذور، فما الموت على قول الأستاذ إلا ترخيص وتحرير واذن وترويح ودعوة حضور، كما جاء في القرآن الكريم «ثم إلى ربهم يُحشرون»، ثم إن من كمال رحمته تعالى أنه لا يُبقي ذوي الحياة في أرذل العمر، ولا يديمهم في شدائد العمر في الشرائط المزعجة،

1 الكلمات، 38. وفي المکتوب العشرين من المکتوبات وفي الكلمة العشرين أجاد الشيخ في مبحث الموت وأطنب.

2 المثنوي العربي النوري، ص 367

3 المثنوي ص 243

وهو يشرح الآية الكريمة التي فيها ذكر الموت، «ثم يميتكم»، فقد أجاد في الشرح أيما إجادة وأحسن فندرج العبارة بكاملها حتى يقدرا للقراء مكانته فيقول في شرحها «إن آية «خلق الموت والحياة» تدل على أن الموت ليس إعداماً وعمداً صرفاً، بل تصرفاً، وتبديل موضع، وإطلاق للروح من المحبس. وكذا إن ما وجد في نوع البشر إلى الآن من أمارات غير معدودة، وتجم من إشارات غير محدودة؛ ألفت إلى الأذهان قناعة وحسباً بأن الإنسان بعد الموت يبقى بجهة، وأن الباقي منه هو الروح. فوجود هذه الخاصة الذاتية في فرد دليل على وجودها في كمال النوع للذاتية، ومن هنا تكون الموجبة الشخصية مستلزمة للموجبة الكلية، فحينئذ يكون الموت معجزة القدرة كالحياة، لا أنه عدمٌ علته عدمٌ شرائط الحياة.

فإن قلت: كيف يكون الموت نعمة حتى نُظَم في سلك النعم؟

قيل لك: من عدة وجوه:

أولاً: لأنه مقدمة للسعادة الأبدية، ولمقدمة الشئ حكم الشئ حسناً وقبحاً.

وثانياً: لأن الموت نجاة للشخص بخروجه عن نظير المحبس المشحون بالحيوانات المضرة إلى صحراء واسعة.

والسبب الثالث أنه باعتبار نوع البشر نعمة عظيمة؛ إذ لولاها لوقع النوع في سفالات مدهشة. ورابعاً باعتبار بعض الأشخاص هو نعمة مطلوبة إذ بسبب العجز والضعف لا يتحمل تكاليف الحياة وضغط البليات فالموت فوزله.

وأما «ثم يميتكم» بدل «تموتون» فإشارة كما مر إلى أن الموت تصرف عظيم للقدرة بمقياس القدر، ألا ترى أن من استوفى عمره الطبيعي ثم انتهى إلى الأجل أقل قليل. فيتيقظ الذهن إلى أن الموت ليس نتيجة طبيعية، فالموت انحلال الجسد لا فناء الروح.¹

يغلب على الشيخ نشوة وطرب وهو يذكر الموت وينصح إخوانه ويحثهم على الاهتمام به فينادى ويهتف قائلاً: «وعليك بالموت، والموت المنجر إلى الحياة أولى من هذه الحياة المنقلبة إلى الموت».²

1 إشارات الإعجاز، ص 214

2 المثنوي العربي.

الذي ينشأ من الموت والزوال، ويصبرون عليه بالأمل في الحياة الآخرة، ولولا هذا الإيمان بالآخرة لشعر هؤلاء الآباء والأمهات - الذين هم أجدر بالشفقة والرأفة والذين هم في أشد الحاجة إلى الطمأنينة والسكينة والحياة الهادئة - ضراماً روحياً واضطراباً نفسياً وقلقاً قلبياً، ولصاقت عليهم الدنيا بما رحبت، ولتحولت سجنًا مظلماً رهيباً، ولانقلبت الحياة لهم إلى عذاب أليم.¹

ويتحدث رسالة الحشر في قوة اليقين بالآخرة وصرامتها وشدة الإيمان بما أخبر به الصادق الأمين عليه السلام، ويؤكد على الحشر بأن القدرة الإلهية وحكمتها المطلقة، التي تحيي جنائز الأشجار الميتة وهياكلها المنتصبه، وهي لا تعد ولا تحصى على سطح الأرض في كل ربيع، وفي كل سنة، بأمر «كن فيكون» وتجعلها علامة على البعث بعد الموت فتحشر ثلاث مائة ألف نوع من طوائف النباتات وأمم الحيوانات وتشرها، مظهرةً بذلك منات الألوف من نماذج الحشر والنشور ودلائل وجود الآخرة.²

يبدو الشيخ في كلمته هذه مؤمناً قوي الإيمان، كأنه شاهد الآخرة بأم عينيه، ولما نشاهد أمثال هذه القوة في الدار الآخرة، وهي التي لو لاها لما كان للإنسان أن يقر له القرار على فرق هذه الدنيا الفانية، وذلك ما يؤكد ويشر حه في ما بعد حيث يذكر بعد ما شرح طرق ظهور حقيقة الموت من طرق ثلاثة:

إن ظهور هذه الحقيقة، حقيقة الموت والقبر، بالطرق الثلاثة المتقدمة، ينبئ بها مائة وأربعة وعشرون ألفاً من المخبرين الصادقين، وهم الانبياء الكرام عليهم السلام الحاملون لواء تصديقهم الذي هو معجزاتهم الباهرة.. وينبئ بها مائة وأربعة وعشرون مليوناً من الأولياء الصالحين، يصدقون ما أخبر به أولئك الأنبياء الكرام، ويشهدون لهم على الحقيقة نفسها بالكشف والذوق والشهود. وينبئ بها ما لا يعد ولا يحصى من العلماء المحققين، يثبتون ما أخبر به أولئك الأنبياء والأولياء بأدلتهم العقلية القاطعة البالغة درجة علم اليقين، وبما يصل إلى تسع وتسعين بالمئة من الثبوت والجزم. فالجميع يقررون بأن النجاة من الإعدام الأبدي، والخلاص من السجن الانفرادي، وتحويل الموت إلى سعادة أبدية، إنما تكون بالإيمان بالله وطاعته، وليس هناك غير ذلك من الطريق.³

ولكن هناك فرق بين موت المؤمن وموت الكافر، فهو ليس للكافر إلاّ عدماً محضاً، لأنه ليس له في

1 نفس المصدر الدليل الثاني.

2 نفس المصدر.

3 نفس المصدر.

كما يرخص الواله الولوع بالأزهار والمتلذذين بالخضراوات من الوظيفة التي صارت كلفة وكدره بعد ما كانت لذة، فاستخدمهم صانغهم وسيدّهم في فترة تشوّقهم مع موافقة شرائط الحياة والتسهيل في الحمل لتكاليف الحياة وأعباءها،. فإنّ تعبّس في وجوههم شرائط الحياة بأمثال الشيب والشتاء واستيلاءها بتحوّلات الشؤن وانطفاء مصباح شوقهم، أمدهم رحمة الرحمن بالإذن والإمهال، إلى أن يرسل أمثالهم فينسجون على منوالهم فيسبّحون مولاهم، بيندوون في أعمالهم من حيث انتهت أعمال أسلافهم ومن سبقهم.¹ ويشبع الكلام عن الفعالية الحكيمة لله تعالى ويتحدث عنها بتفصيل ثمّ يستلفت الأنظار مستدلاًّ به على أبدية الحياة وشرح حقيقة الموت فيقول: «أفلا تشير هذه الفعالية الحكيمة إلى أنّ ذلك الصانع يجوز - بل يجب - أن ينسج من الأشياء السائلة السريعة في سيل الزمان، ومن الأيام الميتة والأعوام الماضية والأعصار الخالية نسائج غيبية، ومنسوجات أخروية بمكوك الليل والنهار والشمس والقمر في اختلاف الملويين وتحوّل الفصول؟ كما نسج في الإنسان الذي هو فهرسة العالم ما يؤيد هذا، إذ يُبقي دقائق حياته الماضية الفانية بين منسوجات حافظته ومكتوباتها، فيكون الفناء والموت في هذه الشهادة الضيقة، انتقالاً باقياً وبقاء صافياً في دوائر عوالم الغيب، وقد نسمع من منابع الوحي «أنّ دقائق عمر الانسان تعود إليه»؛ فإما مظلمة بالغفلات والسيئات، وإما مضيئة بمصابيح الحسنات المعلقة في حلقات الدقائق».²

والموت مثل الخريف الذي ليس هو عدماً وفناء دائماً بل كما تتساقط الورقات ثمّ تخضر البساتين وتعود إليها نضارتها، ويمثل بذلك بقوله إنك ستفهم أن الموت والانذار الذي يصيب في الخريف مخلوقات الربيع والصيف الجميلة، ليس فناءً نهائياً، وإعداماً أبدياً، وإنما هو إعفاء من وظائفها بعد إكمالها وإيفائها، وتسريح منها، وهو إفساح مجالٍ وتخليئةٍ مكانٍ لما يعقبه في الربيع الجديد من خلق جديد، فهو استعداد لما سيحلّ من الموجودات المأمورة الجديدة، كما يعدّه الشيخ أنه تنبيه رباني لذوي المشاعر الذين أنسّتهم الغفلة مهامهم، ومنعهم السكر عن الشكر.³

والمزيد من البيان على أبدية الحياة على قوله . وإن كان محدوداً عند من يؤمن بالآخرة . هو أنّ الشيوخ الذين عادوا كالأطفال وأصبحوا مرهفين للحسّ في أرواحهم، إنما يقابلون ذلك اليأس القاتل الأليم

1 نفس المصدر.

2 نفس المصدر ص 355

3 الكلمات، الكلمة العاشرة - الأساس السادس.

الإنسان معلماً قلبه بين الرجاء والخوف، أن تكون في كل دقيقة تمرّ بالإنسان إمكان حدوث الموت أو استمرار الحياة، وعلى هذا يرجح عشرون سنة من عمر مجهول الأجل على ألف سنة من عمر معلوم الأجل.¹

إن حقيقة الآية الكريمة «إن الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير» (البروج: 11) ومعناها كما يشرح الشيخ، هي بشرى السعادة الخالدة، تزفها هذه الآية الكريمة إلى الإنسان المسكين الذي يواجه حقيقة الموت كل حين من الأحيان، فتتقذه هذه البشرية من تصور الموت إعداماً أبدياً، وتتجيه - وجميع أحبته - من قبضة الغناء، بل تمنحه سلطة أبدية، وتكسبه سعادة دائمة. فلو تكررت هذه الآية الكريمة ملياراً من المرات لا يعد تكرارها من الإسراف قط، ولا يمس بلاغتها شيئاً.

فبالخلاصة أن الإيمان مثلما ينقذ الإنسان من الإعدام الأبدي أثناء الموت، كذلك ينقذ دنيا كل شخص من ظلمات العدم والانعدام والعبث، بينما الكفر - ولا سيما الكفر المطلق - يعدم ذلك الإنسان ويفنيه، ويزيل عالمه الخاص بالموت، ويلقيه في ظلمات جهنم المعنوية محولاً لداوند حياته آلاماً وغصصاً.²

إنه يدعو إلى التفكير في الحياة والموت وحقيقتيهما ويثبت أن كل من يدقق النظر في حياته ويفكر ملياً في نفسه يدرك أن هناك روحاً باقية.

ويمثل بالتمثيل الشائع ويستلقت الأنظار بما يوضحه ويشرحه . وما أجمل وأحسن من كلام يقوله عن الروح . من أن كل روح رغم التبدل والتغير الجاري على الجسم عبر سني العمر تظل باقية بعينها دون أن تتأثر، ويشاهده كل واحد بداهة، لذا فما دام الجسد يزول ويستحدث - مع ثبات الروح - فلا بد أن الروح حتى عند انسلاخها بالموت انسلاخاً تاماً، وزوال الجسد كله، لا يتأثر بقاؤها ولا تتغير ماهيتها، فهي تبقى ثابتة رغم هذه التغيرات الجسدية، وكل ما هنالك هو أن الجسد يبذل أزياءه تدريجياً طوال حياته مع بقاء الروح، أما عند الموت فيجرد نهائياً وتثبت الروح، فعلى قوله لا نقدر فحسب بل بالمشاهدة نرى أن الجسد قائم بالروح، ومعنى ذلك أن ليست الروح قائمة بالجسد، وإنما الروح قائمة ومسيطرة بنفسها، ومن ثم فتفرق الجسد وتبعثره بأي شكل من الأشكال وتجمعه لا يضر باستقلالية الروح ولا يخل

1 نفس المصدر، الكلمة الخامسة والعشرون.

2 نفس المصدر.

الآخرة من نصيب، فعلى قوله ما دام الموت لا يفنى من الوجود، ويمكنه أن يحل بنا في كل وقت، وأن القبر لا يُلغى بابه، وأن البشرية تغيب وراءه قافلة إثر قافلة، وأن الموت نفسه بحق المؤمنين ما هو إلا تذكرة تسريح وإعفاء من الإعدام الأبدي - كما وضّح ذلك بالحقيقة القرآنية - وإنه بحق الضالين السفهاء إعدام أبدي كما يشاهدونه أمامهم؛ إذ هو فراق أبدي عن جميع أحبّتهم وأقربهم بل الموجودات كلها، فلا شك في أن أسعد إنسان هو من يشكر ربه صابراً محتسباً في سجنه مستغلاً وقته أفضل استغلال.

ويقول الشيخ بمثل هذا الكلام عن نفسي في كل صرامة وقوة إيمانية ولا يخاف منه لحظة بل يفرح كأنه من ربه على ميعاد، فهو حنما يخاطب أهل الدنيا وأهل الحكم الملحدين يصرح بأن الموت عندكم الفراق الأبدي ليس عندنا، ويذكر نكتة توحيدية في كلمة «هو» ويشرحه فيذكر أن فيه كذلك مدار استمداد يستغيث به لقضاء حاجاته وتلبية رغباته وآماله كافة، فكما ينتسب كل إلى سيده ويفخر بشرف انتسابه إليه، ويعتز بمنزلته لديه، كذلك فإن انتساب الإنسان بالإيمان إلى القدير الذي لا نهاية لقدرته، وإلى السلطان الرحيم ودخوله في عبوديته بالطاعة والشكر أن يبذل الأجل والموت من الإعدام الأبدي إلى تذكرة مرور ورخصة إلى العالم الباقي! فلكم أن تقدروا، كم ينال هذا الإنسان لذة العبودية بين يدي سيده، يمتن بالإيمان الذي يجده في قلبه، مفتخراً بسيده القدير الرحيم شاكرًا له نعمة الإيمان والإسلام.¹

والموت هو نعمة لأنه يبين تعالى للإنسان المؤمن - بنور الايمان - إن الموت ليس إعداماً بل تبديل مكان، وأن القبر ليس فوهة حفرة عميقة بل باب لعوالم نورانية، وأن الدنيا مع جميع مباحها في حكم سجن ضيق بالنسبة لسعة الآخرة وجمالها ورونقها وحسنها، فلا شك أن الخروج من سجن الدنيا والنجاة من ضيقها إلى بستان الجنان الأخروية، والانتقال من منغصات الحياة المادية المزعجة إلى عالم الراحة والطمأنينة وطيران الأرواح، والانسلاخ من ضجيج المخلوقات وصخبها إلى الحضرة الربانية الهادئة المطمئنة الراضية، سياحة بل سعادة مطلوبة بألف فداء.²

وإن السر في عدم التصريح بالموت هو أنه لو كان أجل الإنسان معلوماً وقته، لقضى هذا الإنسان المسكين نصف عمره في غفلة تامة، ونصفه الآخر مرعباً مدهشاً مثل من يساق خطوة خطوة إلى حبل المشنقة، بينما تقتضي المحافظة على التوازن المطلوب بين الدنيا والآخرة ومصلحة أن يبقى

1 نفس المصدر، الكلمة الرابعة عشرة.

2 نفس المصدر.

جزء صغير لا يزول من جسد الإنسان وهو بمثابة بذرة - وإنَّ الله سبحانه يعيد وينشر من هذا الجزء الصغير جسد الإنسان كاملاً يوم الحشر ويبعث إليه روحه.¹

والشيخ يذكر أنَّ الاستيقان بأبدية الموت يداوي كذلك الجروح التي يتركها الموت، والذي يتلقاه أهل الضلالة فراقاً أديماً عن الأحبة جميعاً، بما يذكر ويبين من أن الموت مقدمة الوصال واللقاء مع الأحبة الذين رحلوا إلى عالم البرزخ والذين هم الآن في عالم البقاء، ويثبت أن ذلك الفراق هو عين اللقاء،² كما يزيل أعظم خوف يكاد يصيب الإنسان بإثباته أنَّ القبر باب مفتوح إلى عالم الرحمة الواسعة، وإلى دارالسعادة الأبدية، وإلى روضات الجنات، ومملكة النور للرحمن الرحيم،³ ويشرح أنَّ سياحة البرزخ التي هي أشدُّ ألماً وأشقَى سياحة عند أهل الضلالة، هي أمتع سياحة وأنسها وأسرَّها إذ ليس القبر فم ثعيان مرعب مدهش، بل هو باب إلى روضة من رياض الجنة وطريق إليه.

كما أنَّ الشيخ يشرح بعض الآيات التي تتعلق بالحشر والنشر شرحاً علمياً مقنعاً يؤكد على أبدية الحياة⁴ فيقول في شرح «لا إله إلا هو كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»: إنَّ الموت كالحياة برهان ساطع للربوبية، وهو حجة في غاية القوة على الوجدانية، مثل الحياة، إذ بدلالة الآية الكريمة «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ» إنَّ الموت ليس عدماً، ولا إعداماً، ولا فناً، ولا لعبة العبث، ولا انقراضاً بالذات من غير فاعل، بل هو تسريح من العمل من لدن فاعل حكيم وربِّ رحيم كريم، وهو استبدال مكان بمكان، وتغيير جسد بجسد، وانتهاءً من وظيفة، وانطلاق من سجن الجسد، وخلق منتظم جديد وفق الحكمة الإلهية.⁵

ويقول في النافذة الرابعة والعشرين من الكلمات: «نعم، كما أنَّ الموجودات الحية المبتوتة في الأرض كافة، تشير بحياتها إلى الخالق الحكيم وإلى وحدانيته، كذلك تلك الأحياء تشهد بموتها على بقاء ذلك الحي الباقي ودوامه، كما تشير إلى وحدانيته جلَّ شأنه، وإنَّ الأحياء مثلما تدلُّ بوجودها على الخالق الحيِّ فإنَّها تشهد بموتها على سرمدية الحيِّ الباقي وعلى وحدانيته، وإنَّ النظام الرائع الباسط نفوذه وتسلطه على الأرض بأسرها والذي يبدو لنا من خلال مظاهره عياناً يشهد شهادة على الصانع

1 نفس المصدر، الكلمة الثانية والثلاثون

2 نفس المصدر.

3 نفس المصدر

4 نفس المصدر، الكلمة الثالثة والثلاثون

5 نفس المصدر.

بها أصلاً. فالجسد عش الروح ومسكنها وليس بردائها، وإنما رداء الروح غلاف لطيف وبدن مثالي ثابت إلى حدِّ ما ومتناسب بلطافته معها، ولأجل هذا لا تتعزى الروح تماماً حتى في حالة الموت بل تخرج من عَشِّها لابساً جسدها المثالي وأرديتها الخاصة بها.¹

وكما أنَّ هناك مقتضى ومبزرراً للقيامة والحشر، وأنَّ الفاعل الذي يُحدث الحشر قادر مقتدر، كذلك فإنَّ هذه الدنيا لها القابلية للقيامة والحشر كذلك، فالدعوى لقابلية الدنيا وجدارتها تنحصر في أربع مسائل:

الأولى: أنَّ موت هذا العالم ممكن وليس ذلك محالاً.

الثانية: وقوع ذلك الموت فعلاً.

الثالثة: من الممكن بعث الدنيا المندثرة وتعميرها بصورة «الآخرة».

الرابعة: وقوع هذا البعث وهذا التعمير فعلاً.

أما شرح المسألة الأولى فهو أنه من الممكن أن يموت هذا العالم ويفنى هذا الكون، وذلك إن كان الشئ داخلاً في قانون التكامل، ففي كل حالة إذن هناك نشأة وارتقاء وهذا يعني أن له عمراً طبيعياً في كل حالة، وأنَّ العمر الطبيعي ينمَّ عن أجل طبيعي له على كل حال، وهذا يدلُّ على أنَّ جميع الأشياء لا يمكن أن تتجو من الموت، وهذا ثابت بالاستقراء العامِّ والتتبع الواسع.²

وكما أنَّ الإنسان هو عالم مصغر لا خلاص له من الانهيار، كذلك العالم، فإنَّه إنسان كبير لا فكاك له من قبضة الموت، فلا بدَّ أنه سيموت ثمَّ يبعث أو ينام ويفتح عينيه فجر الحشر، فما أجهل من ينكر مثل هذه الواضحة الجلية وما أشدَّه حمقاً وبلاهة وبلاهة!!³

ويزيد في الشرح فيقول عن مرتبة الحشر - الذي يلزم العموم الإيمان به - بأنها هي أنَّ الناس بعد الموت تذهب أرواحهم إلى أماكن أخرى وأجسادهم تبلى وتضيع وتتفكك إلاَّ عجب الذنب - الذي هو

1 نفس المصدر، الكلمة السادسة والعشرون

2 نفس المصدر الكلمة التاسعة والعشرون.

3 نفس المصدر

اللتين هما من غير شيء أن يتدخلا في أمر الحياة على الأرض؟ إن كنت صادقاً وراغباً في نجاتك نفسك من هذه الورطة، فادن من الحقيقة وقل: إن الطبيعة إن كانت شيئاً موجوداً فهي كُرَّاس القدرة الإلهية ليس غيره شيء، أما المصادفة فهي ليست إلا ستارالحكمة الإلهية الخفية الذي يستر جهلنا.

كما يهتف حسب عادته وينادي في مكان من كتاباته«الموت بتبديل مكان وتحويل موضع وخروج من سجن الى بستان، فليطلب الشهادة من يريد الحياة، والقرآن الكريم ينص على حياة الشهيد.¹

وما هو الشهيد وما معناه؟؟، يشرحه قائلاً: الشهيد الذي لم يذق ألم السكرات بل يُعد نفسه حياً، وهو يرى نفسه هكذا، إلا أنه يجد حياته الجديدة نزيهة طاهرة أكثر من قبل، فيعتقد أنه لم يموت، والنسبة بين الأموات والشهداء شبيهة بالمثال الآتي:

رجلان يتجولان في الرؤيا في بستان زاهر جامع لأنواع اللذائذ.

أحدهما يعرف أن الذي يراه هو رؤيا، لذا لا يستمتع كثيراً، وربما يتحسر، والآخر يظن أن ما يراه في الرؤيا حقيقة في عالم اليقظة فيستمتع ويتلذذ حقيقة.

الرؤيا ظلُّ عالم المثال، وعالم المثال ظلُّ عالم البرزخ، ومن هنا تتشابه دساتير هذه العوالم وقوانينها.²

ويشرح في اللغات ما يواجه الكافر من أسى وحسرة بعد الموت ولا شأن له بالحياة الحقيقية وكيف يشرح الحياة عندما يجادل مؤمن وما هو حاله في ذلك، فبين أن الكافريعد أن تزحج من كفره المطلق أمام النذر السماوية القرآنية تردى في كفر مشكوك، فإذا سئل: كيف تستطيع العيش مع الموت والزوال اللذين تدعى أنهما انعدام أبدي؟ فهل يتمكن من الحياة ويتمتع بها من كان يسير بخطاه إلى جبل المشنقة؟ يجيب: لا، ليس الموت عدماً، بل هناك احتمال للبقاء بعده، ذلك بعدما أخذ حظّه من شمول نور القرآن للعالمين ورحمته لهم فبدأ يتشكك في كفره المطلق، أو إنه يدسّ رأسه في رمل الغفلة كالنعامة، كي لا يراه الأجل ولا ينظر إليه القبر، ولا يرميه الزوال بسهم!. فهو مثل النعامه حينما يرى الموت والزوال عدماً يحاول أن ينفذ نفسه من تلك الآلام بالتمسك والتشبث بما أخبر به القرآن الكريم والكتب السماوية جميعها إخباراً قاطعاً من «الإيمان بالآخرة» والذي أورثه احتمالاً للحياة بعد الموت.

1 نفس المصدر، اللوامع.

2 نفس المصدر.

التقدير، فعندما يسدل الشتاء كفته الثلجي الأبيض على وجه الأرض الربيعي، وتموت الأحياء التي كانت تزخر بالحياة فوقها؛ فإنّ منظر هذا الموت يلفت نظر الإنسان الى أبعد من اللحظة الراهنة، فيركب متنّ الخيال ليذهب بعيداً إلى أغوارالماضي الذي راحت إليه جناز كل ربيع راحل، فتفتح عندئذ أمام النظر مشاهد من الموت والحياة بشكل أوسع وأكبرمن هذا المنظر المحدد في الحاضر الراهن.¹

وحسب الحكمة التي تتضمنها الآية الكريمة«وَيُخَيِّئُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» الأرض الحية هذه بموتها تلفت النظر إلى التأمل في معجزات القدرة الإلهية التي توشي جناحي الزمن؛ الماضي والمستقبل، فيعرض الله سبحانه بهذا الموت أمام أنظارالإنسان آلافاً من الأربعة بدلاً من ربيع واحد، فبدلاً من أن تشهد على قدرته سبحانه معجزة واحدة وهي هنا الربيع الحاضر تشهد عليها بهذا الموت الذي حلّ في الربيع الحاضر أُلوف المعجزات.

فكل ربيع من تلك الألوف من الأربعة، يشهد شهادة أقوى على الوحدانية من الربيع الحاضر، لأنّ الذي ارتحل إلى الماضي قد ارتحل إليه بأسباب قدومه الظاهرة التي ليس لها صفة البقاء، فالأسباب التي تذهب وتأتي ليست لها إذن تأثير قط في إحلال ربيع جديد عقب الربيع الراحل، بل التقدير ذو الجلال الذي لا يحول ولا يزول هو الذي خلقه من جديد وربطه بحكمته بالأسباب الظاهرة، وأرسله على الصورة الرائعة إلى عالم الشهود وساحته.

أما وجوه الأرض التي ستأتي في المستقبل، والمزهرة بالربيع النابض بالحياة، فهي تشهد شهادة أقوى من شهادتها على الربيع الحاضر، لأن كل ربيع يأتي في المستقبل إنما يأتي إليها من العدم، ومن غير شيء، ويبعث إلى المكان المعين، ومن ثمة تُحمَل عليه وظيفة خاصة.²

هذه هي تحليلات الشيخ للحياة الباقية فيا الله ما أحسن وأجمل هذا الكلام العلمي الرصين العذب، وبعد شرحه كل ذلك وبسطه في البيان ينادي الغافلين والمتغافلين قائلاً

«يا أيها الغافل المطموس في أحوال الطبيعة، والغارق فيها! إن من لا تظهر يد حكمته وقدرته في المستقبل الآتي كله، كيف يستطيع أن يتدخل في حياة هذه الأرض؟ فهل يمكن للمصادفة والطبيعة

1 نفس المصدر.

2 نفس المصدر.

إنه يخاطب أهل الضلال والكفر مقارعاً لهم ويقول إن ما يتخيله الناس إعداماً إنما هو لأجل أنه لا يعرف الآخرة فيقول: إنك تتخيل الموت إعداماً أبدياً لعدم معرفتك بالآخرة، فكأن لك كياناً مريضاً ذا جروح وشروخ بحجم الدنيا، مما يحتم عليك قبل كل شيء أن تبحث عن المعالجة التامة والشفاء الحقيقي لكيانك المعنوي الكبير الذي تتسخه العلل غيرالمحدودة والكوم غير المعدودة، فما أظنك تجدها إلا في معالجة الإيمان وبلسمه الشافي، واعلم أن أقصر طريق لبلوغ ذلك العلاج هو الاطلاع من نافذتي «العجز والفقر» اللتين تتفتحان بتمزيق المرض المادي لحجاب الغفلة واللتين جُبل الإنسان عليهما، وبالتالي تبلغ معرفة قدرة القادر ذي الجلال ورحمته الواسعة.¹

فوصف لنا الشيخ ههنا العلاج الناجع، وكيف نعرف قدرة الله تعالى يشرحه بمثال ويأتي له بدواء يكفي ويشفي.

وسئل الشيخ، إنك تعدّ الموت مخلوقاً كالحياة، وتعتبره نعمة إلهية، ولكن الملاحظ أن الموت انحلال وعدم وتفسخ، وانطفاء لنور الحياة.. فكيف يكون «مخلوقاً» وكيف يكون «نعمة»؟

وأجاب عنه بأن الموت في حقيقته إنهاء لوظيفة الحياة الدنيا، وهو تبديل مكان وتحويل وجود، وهو دعوة إلى الحياة الباقية الخالدة ومقدمة لها؛ إذ كما أن مجئ الحياة إلى الدنيا هو بخلق وبتقدير إلهي، كذلك ذهابها من الدنيا هو أيضاً بخلق وتقدير وحكمة وتبدير إلهي؛ لأنّ موت أبسط الأحياء - وهو النبات - يُظهر لنا نظاماً دقيقاً وإبداعاً للخلق ما هو أعظم من الحياة نفسها، فموت الأثمار والبذور والحبوب الذي يبدو تفسخاً وتحلاً هو في الحقيقة عبارة عن عجن لتفاعلات كيميائية متسلسلة في غاية الانتظام، وامتزاج لمقادير العناصر في غاية الدقة والميزان، بحيث إن هذا الموت الذي لا يرى فيه هذا النظام الحكيم والدقة الرائعة، هو الذي يظهر بشكل حياة نامية للسنبل وللنبات الباسق المثمر، وهذا يعني أن موت البذرة هو مبدأ حياة النبات الجديدة، أزهاراً وأثماراً.. بل هو بمثابة عين حياته الجديدة؛ فهذا الموت إذن مخلوق منتظم كالحياة.

أما كيف يكون الموت نعمة؟..

وأجاب بأربعة وجوه فقط من أوجه النعمة والامتنان الكثيرة للموت.

أولها: الموت إنقاذ للإنسان من أعباء وظائف الحياة الدنيا ومن تكاليف المعيشة المثقلة. وهواب

1 المكتوبات، المكتوب الأول.

وإذا ما قيل له: فما دام المصير إلى عالم البقاء، فلم إذا لا تؤدي الواجبات التي يفرضها عليك هذا الإيمان كي تسعد في ذلك العالم؟.

فإنه يقول بسبب كفره المشكك: ربما ليس هناك عالم آخر، فلم إذن أرهق نفسي؟! فعندما تواجهه مشقة التكاليف الدينية، يتراجع ويتشبث باحتمالات كفره المشكك ويتخلص من تلك التكاليف والأعباء.¹

فبرهن الشيخ ههنا أن الذي لا يؤمن بالآخرة إيماناً قوياً ولا يجري إلا وراء حطام الدنيا ولا يهتم بالفرائض فهو شبه الكافر وإن لم يكن كافراً، ويعبر الشيخ عن فكرته بالكفر المشكوك دون الكفر المطلق لأنّ الذي يعرض عن الآخرة كأنه لا يؤمن بها.

وكذا يصرح الشيخ في مقام آخر من كتاباته بأن الموت للمؤمن إعفاء وإنهاء من كلفة ووظيفة الحياة وأعباءها، وليس هو موتاً وتفسخاً وسجناً، وهو كذلك تسريح من العبودية التي هي تعليم وتدريب في مجال ابتلاء الدنيا، وهو باب وصال لالتقاء تسعة وتسعين من الأحنّة والخلائن الراحلين إلى العالم الآخر، وهو وسيلة للدخول في رحاب الوطن الحقيقي الأصلي والمنزل الأبدي للسعادة الخالدة، وهو دعوة للانتقال من سجون الدنيا إلى بساتين الجنة وحدائقها وروضاتها، وهو الفرصة الواجبة لتسلم الأجرة إزاء الخدمة المؤداة، تلك الأجرة التي تنهال عليه من خزينة فضل الخالق الرحيم.²

فما دامت هذه هي ماهية الموت - نظراً إلى حقيقتها - فلا ينبغي أن يُنظر إليه كأنه شيء مخيف، بل يجب اعتباره تباشيراً للرحمة والسعادة، حتى أن قسماً من «رجال الله» لم يكن خوفهم من الموت بسبب التوحش منه والفرع له، وإنما بسبب رغبتهم في كسب المزيد من الخيرات والحسنات بإدامة وظيفته الحياة.³

وينادي على عاداته في موضع كذلك ويهتف: نعم، إن الموت لأهل الإيمان باب الرحمة، وهو لأهل الضلالة بئر مظلمة ظلاماً أبدياً.⁴

1 للمعات، ص 48

2 نفس المصدر، اللعة الثالثة عشرة.

3 نفس المصدر.

4 نفس المصدر، اللعة 25

إنَّ الشيخ نظر إلى الزوال والفناء فرأى أنَّ زوال الأشياء إنما هو تجديد لها ولأمثالها، فهو تجديد ممتع، وهو مظاهر حكيمة لجمال الربوبية، فالموجودات تؤدي به وظيفة المرأة إزاء الجمال الدائم الخالد، ثم نظرياً إلى الجهات الست فرأى أنها نورانية بسر التوحيد بل نورانية إلى حدِّ يكاد سنا نورها يخطف بالأبصار، حتى رأى أنَّ الزمان الماضي لم يعد مقبرة عظيمة بل انقلب إلى المستقبل ليكون مجالس نورانية مستنيرة ومجالس الأحبة ومناظر نورانية تزيد على الألوف.¹

ويقول أخيراً «إنه على غرار هاتين المادتين نظر إلى الوجوه الحقيقية لآلاف المواد، ورأى أنها لا تورث إلا السرور والفرح».²

ولكنه يؤسفه أنَّ مثل هذه البراهين الواضحة لا تكفي لعامة الناس والرجال المتوربين وتذهب جهوده في إقناعهم بالأمثلة سدى، فيذكر أنه مع تلك الجهود في الوقت الذي لا ينبغي أن يتأثر يقين المؤمن ولا يشوب إيمانه أي نوع من أنواع الشك والتردد، نرى أنَّ ما يثيره فلاسفة أوروبا من شبهات وجحود في هذا العصر قد جلب الحيرة إلى بعض المنكوبين المفتونين بهم، فأزال يقينهم وأباد سعادتهم الأبدية وأوقعهم في شقاء وتعاسة؛ ذلك لأنَّ إنكارهم هذا حوّل معنى «الموت» الذي يصيب يوماً ثلاثين ألفاً من الناس من معناه الحقيقي الذي هو إنهاء وظيفة الإنسان على الأرض، إلى صورة الإعدام الأبدي والفناء النهائي والنهاية المرعبة المخيفة، وأصبح القبر - الذي لا ينعلق بابه - يسم لذات حياة ذلك المنكر وينغص عليه عيشه بالأم مبرحة ملوحاً له بالعدم الرهيب دائماً وبإعدامه الأبدي.³

يقول الشيخ أنه لقد أثبتت رسائل النور إثباتاً جازماً - بغيض من نور القرآن الكريم - أنَّ لهذه المعضلة علاجاً، وخالصته هي:

أن الموت إما هو إعدام أبدي، أو هو تسريح من العمل للذهاب إلى عالم آخر أفضل، وجواز سفر للدخول إلى قصور السعادة بشهادة الإيمان ووثيقته.

أما القبر فهو إما سجن انفرادي مظلم وبئر سحيقة، أو هو باب إلى روضات خالدة ومضيف منور بعد السراح من سجن الدنيا.

وصال في الوقت نفسه مع تسعة وتسعين من الأحبة الأعزة في عالم البرزخ، فهو إذن نعمة عظيمة كبيرة!

ثانيها: إنه خروج من قضبان سجن الدنيا المظلم الضيق، ودخول في مراعاة الحبيب الباقي وفي كنف رحمته الواسعة، وهو تنعم بحياة فسيحة خالدة مستنيرة لا يزعجها خوف، ولا يكدرها حزن ولا هم ولا يخالطها ألم.

ثالثها: إنَّ الشيخوخة وأمثالها من الأسباب الداعية لجعل الحياة صعبة ومرهقة، تبين مدى كون الموت نعمة تفوق نعمة الحياة. فلو تصورت أنَّ أجدادك مع ما هم عليه من أحوال مؤلمة قابعون أمامك حالياً مع والديك اللذين بلغا أُرذل العمر، لفهمت مدى كون الحياة نعمة، والموت نعمة، بل يمكن إدراك مدى الرحمة في الموت ومدى الصعوبة في إدامة الحياة أيضاً بالتأمل في تلك الحشرات الجميلة العاشقة للأزهار اللطيفة، عند اشتداد وطأة البرد الفارس في الشتاء عليها.

رابعها: كما أنَّ النوم راحة للإنسان ورحمة، ولا سيما للمصابين والمرضى والجرحى، كذلك الموت - الذي هو أخو النوم - رحمة ونعمة عظيمة للمصابين ببلايا يائسة قد تدفعهم إلى الانتحار.

أما أهل الضلال، فالموت لهم كالحياة نعمة عظيمة وبلاء جسيم وعذاب في عذاب.¹

ويقول مرة أخرى في موضع: «ورأيت أنَّ الموت لأهل الإيمان تسريح من الوظيفة، والإجل هو بطاقته، فالموت إذن تبديل مكان، ومقدمة لحياة باقية، وباب إليها، وهو انطلاق من سجن الدنيا إلى بساتين الآخرة، وهو انتظار زمن الوصول إلى ديوان الرحمن الرحيم لاستلام أجره العمل، وهو دعوة إلى دار السعادة».²

ثمَّ يقول إنه إنما يشرح معنى الموت لك لأنك لما فهمت حقيقة الموت فهماً يقيناً أحببته، وهو سرَّ نجاح حياتك الدنيا والأخرى ومدار سعادتك.³

1 نفس المصدر.

2 الشعاعات، الشعاع الثاني.

3 نفس المصدر.

1 نفس المصدر.

2 نفس المصدر.

3 نفس المصدر.

الذين لا يملكون أي نصيب من العلم ومن الاختصاص، إنهم مشبعون بالحق ولا علم لهم بالمعنويات ولا يهتمون بها.¹

كما هو ينادي بأعلى صوته: إنني موقن كل اليقين ولا يخالجنى أدنى شك في أن الموت بالنسبة لنا تسريح وتأشيرة دخول إلى عالم الطمأنينة والسعادة، ولنا آلاف البراهين من رسائل النور على ذلك، وحتى إن كان الموت إعداماً ظاهرياً لنا فإن مشقة ساعة من الزمان تتحول بالنسبة لنا إلى سعادة ومفتاح للرحمة وفرصة عظيمة للانتقال إلى عالم النقاء والخلود، ولا شك أن حقيقة الموت التي ظلت تفرغ هذه المدنية مائة مرة إلى المقابر، لا بد أن تكون لها غاية ومطلب فوق غاية العيش والحياة، وأن محاولة الخلاص من براثن ذلك الإعدام الأبدي هي قضية في مقدمة القضايا الإنسانية، بل هي من أهم الضروريات البشرية وأشدّها إلحاحاً.

إنه يبشر الناس يخاطبهم: بشراكم، الموت ليس إعداماً ولا عبثاً ولا انقراضاً ولا انطفاء ولا فراقاً أبدياً، كلاً فالموت ليس عدماً ولا مصادفة ولا انعداماً ذاتياً بلا فاعل، بل هو تسريح من لدن فعال حكيم رحيم، وتبديل مكان... وشوق نحو السعادة الخالدة... أي هو باب وصال لعالم البرزخ، عالم يجمع تسعة وتسعين بالمائة من الأحباب.²

إنه وجد بنور القرآن الكريم وجه الموت الذي يربع الجميع ويتوهم أنه مخيف جداً، وجد وجهه الحقيقي بالنسبة للمؤمن صبور منور، على الرغم من أن حجاب مظلّم والستر الذي يخيفه يكتنفه السواد القبيح المرعب.³

إنه تدبر في الآية الكريمة «كل نفس ذائقة الموت»، فخرج منها بأن البشرية قاطبة إنما هي كالنفس الواحدة فلا بدّ أنها ستموت كي تبعث من جديد، وأن الكرة الأرضية كذلك نفس وسوف تموت وتنقضي عجائبه كي تتشكل بصورة «الآخرة».⁴

ويقول: رأيت الدنيا التي هي محبوبة وحلوة ومعشوقة الغفلة ويظن أنها دائمة، رأيتها تجري مسرعة إلى الفناء، ولكي انغمس في الغفلة وأخادع نفسي ولّيت نظري شطر أدواق المنزلة الاجتماعية ومقامها

1 نفس المصدر.

2 المکتوبات، المکتوب العشرون، ص 278

3 للمعات، اللمعة السادسة والعشرون، ص 325

4 نفس المصدر.

ونكر أنني مثلما قلت ذلك لإخواني الطلبة، أقول كذلك للمسجونين:

إن من عرف الله وأطاعه سعيدي ولو كان في غياهب السجن، ومن غفل عنه ونسيه شقي ولو كان في قصور مشيدة، فلقد صرخ مظلوم ذات يوم بوجه الظالمين وهو يعتلي منصة الإعدام فرحاً جداً وقائلاً: إنني لا انتهي إلى الفناء ولا أعدم، بل أشرح من سجن الدنيا طليقاً إلى السعادة الأبدية، ولكني أراكم أنتم محكومين بالإعدام الأبدي لما ترون الموت فناء وهدماً، فأنا إذن قد تأثرت لنفسي منكم، فسلم روحه وهو قير العين يردد: لا إله إلا الله.

إنه يقول في خطاب له في كل قوة وحماسة إيمانية ويبيّن أن الموت ليس لنا موتاً ولكنه للكافر موت: «إننا أيها السادة على يقين تام لا يتزعزع بأن الموت بالنسبة لنا - بسر القرآن الكريم - ليس إعداماً أبدياً بل تذكرة تسريح.. بينما يعدّ هذا الموت بالنسبة لمعارضينا وبالنسبة للسائرين في درب الضلالة موتاً أكيداً وإعداماً أبدياً (إن لم يكن يؤمن بالآخرة إيماناً لا شبهة فيه).. أو أن هذا الموت يعدّ بالنسبة إليه سجنًا انفرادياً أبدياً ومظلماً (إن كان يؤمن بالآخرة ولكنه منغمس في حياة السفاهة والضلالة)»¹.

هو يسأل الناس في كل جدية واهتمام كأنما انكشفت له الآخرة: إنني أسألكم: أتوجد في هذه الدنيا مسألة أكبر من مسألة الموت؟.. أهنالك مسألة إنسانية أهم وأكبر من هذه المسألة؟ فكيف إذن يمكن أن تستغلّ هذه المسألة من أجل شيء آخر؟.. ومادام من المستحيل أن يكون هناك شيء آخر أهم من هذه المسألة، إذن فلم أنتم منشغلون بنا هكذا؟

إننا لا ننظر إلى أشدّ عقوبتكم وأقصاها إلا أنها تسريح وتذكرة سفر إلى عالم النور، لذا فإننا ننتظرها بثبات كامل، ولكننا نعلم علم اليقين أن الذين وقفوا ضدنا وأصدروا الأحكام ضدنا سيلقون عن قريب عقابهم بالإعدام الأبدي وبالسجن الانفرادي، ذلك العقاب المرعب، إننا موقنون من ذلك وكأننا نشاهدهم في عذابهم هذا كما نشاهدكم أنتم في هذا المجلس، إننا نشاهدكم هكذا ونتألم كثيراً من الناحية الإنسانية من أجلهم، وإننا على أتم استعداد لإثبات هذه الحقيقة المهمة والبرهنة عليها وإفحام أكبر المنكرين لها وإلزام أشدّ المتمردين عليها، وإننا على أتم استعداد لقبول أي عقاب كان إن لم أقم بهذا الإثبات أوضح من الشمس في رابعة النهار، وأمام أكبر علمائكم وفلاسفتكم، وليس فقط أمام المختصين من هذه اللجنة

1 نفس المصدر.

منهج بديع الزمان النورسي في علاج مشكلة القلق

محمد الهادي وناس
جامعة الزيتونة- تونس

ملخص

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على منهج الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي في حل مشكلة من أعوص المشكلات النفسية التي تتعرض للإنسان وتحول دون تحقيق سعادته وراحته النفسية المنشودة ألا وهي مشكلة القلق. والحقيقة أن هذه المشكلة يعاني منها الكثير من الناس اليوم ولا سيما مع فشو وباء كورونا في هذا العصر وهو ما يكسي البحث أهمية بالغة. ولعل الطريف في هذا البحث أنه يتطرق إلى بحث مسألة نفسية عند عالم ديني جليل لم يعرف عنه أنه ينتمي إلى دائرة المعالجين النفسانيين. وللإجابة عن سؤال البحث الذي يتطلع إلى بيان حقيقة القلق عند الأستاذ النورسي وتوضيح الكيفية التي عالج بها الأستاذ هذه المشكلة النفسية، عمل الباحث على تتبع هذه المسألة في ثنايا رسائل النور مستقرنا الأسس المنهجية للأستاذ النورسي في معالجته لمشكلة القلق بعد أن بين حقيقة القلق عنده فضلا عن عقد مبحث أول يهتم فيه بتوضيح كلا الداليتين اللغوية والاصطلاحية لكلمة القلق التي يدور في فلكها بحثنا.

الكلمات المفتاحية: منهج - بديع الزمان النورسي - القلق - علاج - رسائل النور

Badi'uzzaman Nursi's approach to treating the problem of anxiety

Written by the researcher: Mohamed hedi Ouannes

Zaitouna university. Tunisia

الرفيع الذي حظيت به اسطنبول والذي خدعت به نفسي وهو فوق حدي وطوقي من حفاوة وإكرام وسلوان وإقبال وإعجاب، فرأيت أن جميعها لا تصاحبني إلا إلى حدّ باب القبر القريب مني، وعنده تنطفئ..... ورأيت أنّ رياءً ثقيلاً وأثرة باردة وغفلة مؤقتة تكمن تحت الستار المزركش للسمعة والصيت التي هي المثل الأعلى لأرباب الشهرة وعشاقها ففهمت أنّ هذه الأمور التي خدعتني حتى الآن لن تمنحني أيّ سلوان ولا يمكن أن أتمس فيها أيّ قيس من نور.¹

هذا غيض من فيض مما أورده الشيخ وكّرره في كتاباته عن الموت، عن معانيه وحقيقته وأبدية الحياة، لعلّ ذلك قد كشف الشيء مما يستيقن به الشيخ، وكيف يرى الموت، كأنه يراه رأي العين، ومن سبر أغوار كتاباته لا بدّ أن يقوم منها وينصرف والموت عنده أحبّ شيء وأكثر شوقاً إليه دون الخوف والتوحش منه والتألم على فراق الأحبة والتأسف على ما فاتته وأحبته من نعم الدنيا ولذائدها، وما أحوجنا نحن المسلمين إلى هذا لفقدان حبّ الموت وغلبة الخوف منه، على العكس مما كان يتمتع به الصحابة الكرام، حتى كانوا بأنفسهم دهشة للأمم لحبهم للموت ومغامرتهم له، واشتهر عنهم أنّ الموت أحبّ إليهم من الخمر للسكرى، ونادوا بأعلى أصواتهم

ولست أبا لي حين أقتل مسلماً على أيّ شقّ كان في الله مصرعي

ونحن قد تحقق فينا قول رسولنا الأعظم صلى الله عليه وسلم أنّ تداعي الأمم عليكم إنما تكون لأجل أنه يدخل فينا الوهن وهو حبّ الدنيا وكرهية الموت، وذلك ما أخرجنا وأذلنا أمام العالم كله حتى نرى مصيره بأعيننا، ولا يذهب ذلك إلا بحبّ الموت، ولا يتمّ هو إلا بأنّ نستحضر لذة الحياة وأنّ الوفاة ليس عدماً بل هو رخصة مرور.

اللهمّ وفقنا لما تحبّ وترضى واجعل آخرتنا خيراً من الأولى.

1 نفس المصدر.

Abstract

The research aims to shed light on the approach of Ustad Bediuzzaman Sa'id al-Nursi in solving one of the most difficult psychological problems that confront man and prevent him from achieving his desired happiness and psychological comfort, which is the problem of anxiety. The truth is that this problem suffers from many people today, especially with the outbreak of the Corona epidemic in this era, which is what gives research into this urgent issue of great importance. Perhaps the funny thing about this research is that it deals with the research of a psychological issue for a distinguished religious scholar, about whom it is not known that he belongs to the circle of psychiatrists.

In order to answer the research question that sought to clarify the reality of anxiety in Ustad Nursi and to clarify how the Ustad dealt with this psychological problem, the researcher worked to trace this issue in the folds of the Risa'il Al-Nur, reading the methodological foundations of Ustad Nursi in his treatment of the problem of anxiety after he showed the reality of anxiety with him as well as A first topic was held in which it is concerned with clarifying both the linguistic and idiomatic connotations of the word anxiety, which revolves in the orbit of our research.

keywords: approach – Nursi - anxiety - treatment - Risale-i Nur

تمهيد

لا غرو أن المشكلات النفسية من أخطر المشكلات التي تواجه الفرد باعتبار أنها تتعلق مباشرة بالجانب النفسي والغير المحسوس للإنسان، نظرا لما يمكن أن تلحقه من تأثيرات سلبية على حياته الشخصية والاجتماعية فتحول دون بلوغ آماله من النجاح والسعادة. والقلق النفسي يعد من بين أبرز هذه المعضلات التي تنخر كيان البشرية منذ قرون وتستنزف قدراتها وملكاتهما وتعيقها عن التقدم مما جعل الحاجة ماسة وملحة لفهم هذه المشكلة وتكسيكها من قبل العديد من الباحثين والمفكرين الذين يسعون إلى مساعدة الإنسان وإسعاده.

إن الحديث عن معالجة المشكلات النفسية للإنسان لم يكن حديث حضارة بعينها فحسب وإنما هو طرح قضية تكتسي طابعا إنسانيا شموليا أدلت كل الحضارات بدلوها فيها على اختلاف مبادئها وتصوراتها للنفس البشرية. وتعتبر الحضارة الإسلامية من أبرز هذه الحضارات التي أسهمت في عملية فهم هذا الضرب من المشكلات وحلها انطلاقا من نصوص الإسلام التأسيسية حيث ينضوي تحت

لوائها العديد من الأساتذة والعلماء اللذين عالجوا هذه المسألة الإنسانية وجعلوها ضمن مهم اهتماماتهم مثل الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي (ت 1960م) صاحب رسائل النور التي حققت انتشارا واسعا على الصعيد العالمي.

من هنا تتبدى أهمية هذا البحث حيث يسعى إلى تسليط الضوء على منهج الأستاذ بديع الزمان النورسي في حل مشكلات الإنسان النفسية وتحديدًا مشكلة القلق التي يعاني منها الكثير من الناس اليوم ولا سيما مع فشو وباء كورونا في هذا العصر. ولعل الطريف في هذا البحث أنه يتطرق إلى بحث مسألة نفسية عند عالم ديني جليل لم يعرف عنه أنه ينتمي إلى دائرة المعالجين النفسانيين. وللإجابة عن سؤال البحث سيعمل الباحث على تتبع هذه المسألة في ثنايا رسائل النور مستقرًا الأسس المنهجية للأستاذ في معالجته لمشكلة القلق بعد أن يبين حقيقة القلق عنده فضلا عن عقد مبحث أول يهتم فيه بتوضيح كلا الدالتين اللغوية والاصطلاحية لكلمة القلق.

المبحث الأول: «القلق» في اللغة والاصطلاح

يجدر بالباحث الذي يروم الوقوف على منهج الأستاذ بديع الزمان النورسي في حل مشكلة القلق النفسي أن لا يهمل الكلمة التي تدور في فلكها هذه الدراسة بأكملها بل ينبغي عليه الاهتمام بالتعريف بها في اللغة وذلك بالرجوع إلى مادة (قلق) ومعانيها في المراجع والمعاجم اللغوية فضلا عن الاهتمام بهذا اللفظ من جهة الاصطلاح العلمي وهو ما سيجلي بدوره مفهوم القلق ويوضح دلالاته أكثر.

١. لغة

تعيد كلمة القلق في المعاجم اللغوية معنى الانزعاج والاضطراب الذي يعيشه الإنسان من جراء حدث ما أثر عليه سلبا فحال دون شعوره بالسكينة والاطمئنان، قال ابن فارس (ت 395هـ) «القاف واللام والقاف كلمة واحدة تدل على الانزعاج. يقال قَلِقَ يَقْلُقُ قَلْقًا»¹.

وتستعمل كلمة القلق ويقصد بها الحيوانات إذا كانت في حال غير ساكنة ومستقرة كما يعبر بها عن الحال الغير ثابتة للجمادات، يقول الزمخشري (ت 538هـ) في أساس البلاغة «قلق: رجل قلق بالكسر نزق، وامرأة قلقة ومقلاق، وجارية قلق وشاحها، وهي مقلاق الوشاح، وناقاة مقلاق الوضين، وسيرتها حتى قلق وضينها، وأقلقت إليك وُضن الركائب. وقلق محور البكرة. وقلق المريض على فراشه. وأقلقتني

1 ابن فارس أحمد، مقاييس اللغة، دار الفكر للنشر والتوزيع، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دت، 5/23.

بَيَّيْ وَحَزْنِي إِلَى اللَّهِ^١، وقوله تعالى «وَلَا تَحْزِنُوا»^٢، «لَا تَحْزَنُ»^٣ فليس ذلك بنهي عن تحصيل الحزن، فالحزن ليس يحصل بالاختيار، ولكن النهي في الحقيقة إنما هو عن تعاطي ما يورث الحزن واكتسابه وإلى معنى ذلك أشار الشاعر بقوله:

من سره أن لا يرى ما يسوءه *** فلا يتخذ شيئاً يبالي له فقدا

وأيضاً فحث على للإنسان أن يتصور ما عليه جبلت الدنيا، حتى إذا ما بغتته لم يكثرث بها لمعرفة إياها ويجب عليه أن يروض نفسه على تحمل صغار النوب ليتوصل بها إلى تحمل كبارها^٤.

وهكذا نخلص إلى أن الإنسان هو موضوع القلق بامتياز وأن كلمة القلق تعبر عن مشكل نفسي يعترى ذلك الإنسان مع ما يستصعبه من شعور سلبي يغشاه ممتزجا بالحزن والاضطراب مما يؤخر الإنسان ويبعده عن الحركة والفعالية في الحياة، غير أننا إذا نظرنا قبلة معجم اللغة العربية المعاصر فإن القلق سيجمل معنا إيجابياً ليفسر بكونه استعداد فطري لا يقنع بما هو كائن ويتطلع إلى ما وراءه، فهو مبعث حياة وحركة وعامل تقدم وتطور^٥.

٢. اصطلاحاً

يندرج مبحث القلق «Anxiety» ضمن الحقل الفلسفي الأخلاقي النفساني الذي يهتم بتفكيك دقيق العقبات والأزمات التي من الممكن أن تحول دون تقدم الفرد وسعادته وقد قدم الكثير من الفلاسفة افاداتهم في هذا الموضوع ولكن قبل أن نمر لعرض هذه الافادات من المهم الإشارة إلى أن القلق يعتبر من أكثر المشاعر والاحساسات الضارة التي شاعت في الناس تصيبهم بالحرع وتسلب سكينتهم ذلك أن تشعب سبل الحياة في هذا العصر وتعدد المسؤوليات وتزايد التبعات الملقاة على عاتق الفرد منا لا تعفيه من القلق، ولا تخليه من الهم والكدر، وتوزع الذهن وبلبله خاطر والتوجس من المستقبل وهي

1 سورة يوسف: 86.

2 سورة آل عمران: 139.

3 سورة الحجر: 88.

4 الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان داوودي، دار القلم، 4/2009، ص231.

5 راجع معجم اللغة العربية المعاصر على الرابط الآتي:

<https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%82%D9%84%D9%82>

الحزن والخوف والفرح. وبه شفق وقلق^١.

يؤكد صاحب لسان العرب (ت 711هـ) على ما ذهب إليه سلفه من اللغويين بل ويزيد شرحاً وبيانا حيث يعتبر أن القلق هو «الانزعاج يقال بات قلقاً وأقلقته غيره، (...) وقلق الشيء قلقاً، فهو قلق ومقلق، وكذلك الأنتى بغير هاء، قال الأعشى:

رَوَحْتُهُ جَيْدَاءُ دَانِيَةُ الْمَرْ *** تَع لَا خَبَةَ وَلَا وَمَقْلَاق

وامرأة مقلق الوشاح أي لا يثبت على خصرها من رفته، وأقلق الشيء من مكانه وقلقه حرّكه، والقلق ألا يستقر في مكان واحد، وقد أقلقته فقلق وفي حديث علي رضي الله عنه: أقلقوا السيوف في الغمد أي حرّكوها في أعمادها قبل أن تحتاجوا إلى سلهما ليسهل عند الحاجة إليها^٢.

كما كانت العرب تستخدم لفظ القلق للدلالة على معنى الاضطراب في العقد أو القلادة المتكونة من حبات اللؤلؤ فتقول القلقلي ويشرح الزبيدي (ت 1205هـ) معنى هذه الكلمة فيقول بأنها «ضرب من القلائد ومنه قول علقمة بن عبده:

مُحَالٌّ كَأَجْوَزِ الْجِرَادِ وَلُؤْلُؤٌ *** مِنَ الْقَلْقَلِيِّ وَالْكَيْبِيسِ الْمُلُوبِ»^٣

يُفهم من هذه الافادات أن القلق حالة تطرئ على من يتصف بالثبات والتوازن تتسم بالاضطراب والانزعاج وتطلق على الإنسان كما تطلق على غيره من الحيوانات والجمادات، وما يهمننا في هذا البحث هو تلك الحالة النفسية التي تعرض للإنسان يتخللها إحساس بالضيق والحرع وقد يصاحبه بعض الألم والحزن. وفي هذا السياق يشير الأصفهاني إلى خطورة الحزن الذي ينتج عن القلق مبيناً حقيقة وكيفية النجاة منه قائلاً «الحزن والحزونة خشونة في الأرض وخشونة في النفس لما يحصل فيه من الغم، وبيضاده الفرح (...) قال تعالى «تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا»^٤، «قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو

1 الزمخشري محمود، اساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، تحقيق محمد باسل عيون السود، د.ت، 2/137.

2 ابن منظور محمد، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، 6/248.

3 الزبيدي محمد مرتضى، تاج العروس، تحقيق محمود محمد الطناحي، دار التراث العربي، الكويت، د.ت، 8/193.

4 سورة التوبة: 92.

بالمخاطر بعيدة عن تحقيق ما يصبوا إليه من الكمال والسعادة، أحس بالقلق والغم، كراكب سفينة بلج البحر، تعصف به الرياح من كل جانب فلا يجد أمامه شاطئاً أميناً يلتجئ إليه، ولا معيناً ينقذه من الشقاء. وما القلق الذي يشعر به المرء في هذه الحالة إلا حنين نفس مستغيثة، تتشد الاستمرار فلا تحصل عليه، وتطلب الاطمئنان فلا تجده»¹.

وبعد الوقوف على مصطلح القلق من الجهة الفلسفية تجدر الإشارة إلى القول بأن خطورة القلق لا تتمثل في التعرض لهذا الشعور بالألم والانقباض والحزن فحسب وإنما يمكن أن تتطور خطورته أيضاً حسب شخصية الأفراد المصابين كما يقرر المعالجون النفسانيون، ذلك أنه قد يشتد هذا الإحساس حتى يصبح مرضاً، كما في نفوس أصحاب الوسواس اللذين تغلب عليهم السوءاء، وتستحوذ على عقولهم التصورات المؤلمة التي لا سبيل إلى دفعها، فلا يخطر ببالهم عند القصد إلى العمل إلا ما قد يسببه لهم من شر وتختلف استجابة النفوس لهذه المشاعر تبعاً لاعتبارات عديدة لنكون أمام نوعين من النفوس نفس قلقة ترزح تحت وطأة المشاعر السلبية ونفس أخرى مطمئنة تتعامل بالخير وتتوكل على الله².

ويعرف عبد الستار إبراهيم في كتابه القلق قيود من الوهم القلق فيقول «هو انفعال يتسم بالخوف والتوجس من أشياء مرتقبة تنطوي على تهديد حقيقي أو مجهول، ويكون من المقبول أحياناً أن نقلق للتحفز والنشط ومواجهة الخطر، ولكن كثيراً من المواقف المثيرة للقلق لا يكون فيها الخطر حقيقياً بل متوهماً ومجهول المصدر (...). ولذلك كان مشكل القلق أكثر شيوعاً بين هذه الفئة من الناس التي يطلق عليها العلماء اسم «العصابيين» أي هذه الفئة التعيسة من البشر التي تتوجس شراً من كل موقف، ويعيش أفرادها لهذا في انزعاج دائم وخوف»³.

ولشرح هذه الحالة من الذعر والخوف التي يحس بها ذلك المصاب من جراء هذا المشكل النفسي أكثر يقول لالاند في معجمه واصفاً هذا الشعور بأنه يؤثر على «الفاعل ليخاف من عمله الشخصي، وهو يتألم من فكرة القيام به. إن هذا الخوف يوقف العمل وقفاً نهائياً وليس بكيفية آنية، كما في حالة الراحة أو الإحساس بالتعب ويمكن تحديد مواضع هذا الوقف للعمل وهذا القلق في مستوى المكروهات فهما عندما يشعلان عدداً كبيراً من الأفعال يصارح الإنسان حيواناً محاصراً، يحاول النفاذ على التوالي من كل المخارج فلا يجد واحداً منها لم يعد قادراً على الإتيان بأي فعل ولا على الرغبة في أي فعل،

1 صليبا جميل، المعجم الفلسفي، 200-199/2.

2 م ن، ص199.

3 إبراهيم عبد الستار، القلق قيود من الوهم، ص11. بتصرف

كلها مرادفات لمصطلح القلق على إطلاقه كما يقول صاحب كتاب دع القلق وابدأ الحياة.

من هنا يمكننا فهم معنى القلق باعتباره تجربة يعيشها الفرد وتعبير عن حال مفعمة بالضيق والضغط وعدم القدرة على الانبساط والاضطراب المطرد فالقلق مشاعر تعاش وحال يمر بها أغلب الأشخاص ولا يمكن اختزال معناه في مجرد كلام وتوصيف تنظيري محدود قال فرويد (ت 1939م) «لعللي لا أحتاج شخصياً أن أعرفكم بموضوع القلق، لكن كل واحد منا دون استثناء قد عانى واختبر هذا الإحساس أو على الأحرى هذه الحالة الوجدانية مرة أو أكثر في حياته»⁴.

وإذا شئنا فهم حقيقة هذه الحالة النفسية المزعجة للإنسان يمكن العودة إلى معجم لالاند الفلسفي للوقوف على العلاقة التي تربط القلق بمشاعر الحزن والاكتئاب، يقول لالاند (ت 1992م) «يطلق القلق عادة منذ عدة أعوام على الاكتئاب أو المخافة الماورائية والأخلاقية، «إن الفلاسفة المعاصرين بعد ما استرسلوا ردحا من الزمن في استعمال كلمة كآبة ومخافة، راحوا يستعملون اليوم كلمة قلق (...) تدليلاً على هذا الوعي لمصيرنا الذي يجتذبنا من العدم كل لحظة، فاتحاً أمامنا مستقبلاً يتقرر فيه وجودنا»⁵، ليتمثل القلق أو الحزن العميق كما يسميه هذا الفيلسوف في جملة من الظواهر الوجدانية التي يسودها إحساس داخلي بالقهر والانقباض، يصاحب عادة الخوف من عذاب أو تعاسة خطيرين ووشيكين، يشعر المرء أمامهما بالعجز عن دفعهما»⁶.

كما يتحدث الدكتور جميل صليبا في معجمه الفلسفي عن القلق فيقول في لحظة أولى بأن للقلق معنى خاص وهو الشعور بالضيق أو الانزعاج الذي يسبق الفعل الإرادي، وله درجتان أولاً درجة الانزعاج وعدم الرضا وثانيتها درجة الجزع والكره⁷، ويواصل بيانه لهذا المصطلح في لحظة ثانية معتبراً أن «القلق عند المتأخرين من فلاسفة الأخلاق وعلماء النفس استعداد تلقائي للنفس يجعلها غير راضية بالواقع، فإذا تطلع المرء إلى الأحسن والأفضل ونظر إلى حياته الواقعية فوجدها محفوفة

1 كارينجي ديل، دع القلق وابدأ الحياة، تعريب عبد المنعم الزيايدي، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، ص16. بتصرف

2 إبراهيم عبد الستار، القلق قيود من الوهم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، ص11.

3 لالاند أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب أحمد خليل أحمد، منشورات عويدات، بيروت - باريس، 2001/2، 1/70.

4 راجع م ن، 1/70.

5 راجع صليبا جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، 1972م، 200-199/2.

فإلى جانب براعته العلمية التي استوعبت علوم الشريعة من أصولها وفروعها وأضافت لها العلوم الحديثة مثل الحساب والفيزياء والبيولوجيا وغيرها، يمتلك الأستاذ شجاعة وإخلاصاً منقطع النظير لا سيما في الوقوف في وجه الباطل رداً له إحقاقاً للحق، تشهد بذلك مواقف كثيرة في مسيرته النضالية مواقف كلها معبرة عن عدم الرضوخ لإرادة العدو ومخططاته العدوانية التي تستهدف وحدة الأمة الإسلامية وسلامتها وإن كلفه ذلك ما كلفه من المشاق والآلام والضغوطات المقلقة.

تقلب الأستاذ النورسي طوال مسيرته النضالية في الدفاع عن الأمة الإسلامية وإنقاذ الإيمان وتبليغ حقائق القرآن بين صنوف شتى من الضغوطات والمصاعب حتى خبرها وخبرته. فإذا قلنا على سبيل المثال المنفى والغربة -ولعلهما أفسى ما يمكن أن يواجه المرء في حياته- فالأستاذ عرفهما جيداً بل ويعرف ما ينتاب الواحد منا من مشاعر وأحوال أثناء منفاه فهو الذي نفي إلى منطقة بعيدة منعزلة لا يصلها القاصد إلا بالقارب¹، يقول النورسي «كنت في منفاي ذلك الأسر الأليم، بقيت وحدي منفرداً منعزلاً عن الناس على قمة جبل «جام» المظلة على مراعي «بارلا» (...) إذ بشيخوختي تشعرنني بألوان وأنواع من الغربة المتداخلة (...) حيث لا أثر ولا صوت سوى ذلك الصدى الحزين لحفيف الأشجار وهممتها»².

تعرض الأستاذ النورسي لوحشة الغربة وتجرع آلامها جرعة تلو جرعة ولعل وقوعه في الأسر الروسي إبان هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى يعد أوضح دليل على معاناته الشديدة ويروي لنا ذكرياته في هذا الأسر المقض فيقول «كان الأرق يصيبي كثيراً في تلك الليالي الحالكة السواد، المتسريلة بأحزان الغربة القاتمة، حيث لا يسمع إلا الخريف الحزين لنهر «فولغا»، والأصوات الرقيقة لقطرات الأمطار، ولوعة الفراق في صفير الرياح (...) في تلك الليالي المظلمة الطويلة الحزينة وفي ذلك الجو الغامر بأسى الغربة، ومن واقعي المؤلم جثم على صدري بأس ثقيل نحو حياتي وموطني، فكلمنا التقت إلى عجزني وانفرادي انقطع رجائي وأملتي (...) قال قلبي باكياً: أنا غريب أنا وحيد أنا ضعيف أنا عاجز أنشد الأمان أطلب العفو أخطب العون في بابك يا إلهي»³.

لا تقتصر معاناة الأستاذ النورسي على مواجهة ضغوطات وصعوبات المنفى والغربة فحسب وإنما

1 راجع الصالحي إحسان قاسم، نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، 1/2010، ص43.

2 النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، ص123.

3 م ن، ص159.

لم يعد قادراً على العيش أو احتمال حياته الشخصية، إن الحزن المطبق يجلب فكرة الموت والمحاولات الانتحارية»¹.

هكذا يتضح جلياً أن القلق مشكل خطير من شأنه أن يفتك بالإنسان من الداخل قبل أن يظفر بخارجيه لاسيما أولئك الذين يعانون من مشاكل وأمراض جسدية لأن القلق «قد يبدو للوهلة الأولى أن ضرره ينحصر في أنه مجرد إحساس بالقلق ولكن القلق في وسعه أن يلزم أشخاصاً فراشهم وهم يعانون شتى صنوف الأمراض، ويستطيع أن يسلب أناساً كل بهجة الحياة بل أن يقضي على أعمالهم وموارد أرزاقهم، وهو يجر في أذنيه حتماً غيره من الاحساسات الهدامة كالخوف والبغضاء، وفقد الثقة بالذات وغيرها مما ينأ بالإنسان عن السعادة»² على حد تعبير إبراهيم عبد الستار.

ولكن ما حقيقة هذا المشكل النفسي وبواعثه عند الأستاذ بديع الزمان النورسي؟

المبحث الثاني: حقيقة القلق وبواعثه في رسائل النور

عالج الأستاذ النورسي في رسائله مشاكل ومسائل إنسانية كثيرة واهتم بالإنسان المعاصر بجميع مشاغله وكان للمجال النفسي فيها نصيب مرموق³، تناول الأستاذ بدءاً من تأملاته لنفسه والتي خبر في معاملتها الداء والدواء معاً. ويأتي هذا المبحث ليبين حقيقة القلق وبواعثه في النفس البشرية عند الأستاذ بديع الزمان مقسماً على ثلاثة مطالب أولها يهتم ببيان تجربة النورسي مع القلق في مسيرته النضالية عارضاً لأهم صور القلق في حياته ويعالج مطلب الثاني مفهوم القلق في ضوء رسائل النور ليبرز المطلب الأخير بواعث ذلك القلق النفسي الذي يسلب النفس سكينتها وراحتها.

١. صور من القلق في مسيرة النورسي

تكتسب سيرة بديع الزمان سعيد النورسي (ت 1960) أهميتها من خلال تجسيدها لحياة ومعاناة العالم الرياني المخلص في تعاطيه مع واقع إسلامي مهدد بالنفي والاستئصال. ولقد تميز الأستاذ بديع الزمان النورسي بروح فدائية لا تبخل عن نصره الإيمان ونصرة حقائق القرآن بالنفس والمال والأهل،

1 إبراهيم عبد الستار، القلق قيود من الوهم، ص11.

2 م ن، ص13.

3 راجع الصالحي إحسان قاسم الصالحي، رسائل النور أنموذج متكامل لتقديم الإسلام إلى الإنسان المعاصر، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، اسطنبول، 2020، ص38.

القلق والاضطراب والخوف والضييق ألقاظ يستعملها الأستاذ النورسي كلها في رسائله للدلالة على مشاعر الإنسان وحالته النفسية غير المتزنة والتي غالبا ما تصيب المرء جراء توفر محفزات وأسباب معينة تنشط المراكز الحيوية المركبة في خلايا الإنسان لإيجاد مثل تلك الأحاسيس والمشاعر والتي يمكن تقسيمها إلى ضريين محمود والأخر مذموم. ولكن قبل الولوج إلى فهم هذين النوعين من القلق جدير بالذكر هاهنا أن الأستاذ في نظره إلى مشكلة القلق نظر بمنظار أوسع وأدق، فلاحظ أن هذه المشكلة في الأساس هي نتاج لعدم الإيمان بالله تعالى وعدم التقيد بمنهجه في شعاب الحياة، ليكون القلق ثمرة خبيثة يجدها الملحد كلما سعى في طريق الظلال وابتعد عن دائرة الإيمان بالله الواحد الأحد.

أ. القلق ثمرة خبيثة في طريق الكفر والإلحاد

كثيرا ما بين الأستاذ النورسي في رسائله وأكد على أن الملحد والمنكر لوجود الخالق تعالى يعيش في قلق وضنك من الحياة شديد وإن كان ظاهر حاله يوحي بالعيش في السعادة فهي سعادة زائفة لا يمكنها أن ترقى إلى تطمين لطائفه واستعداداته الإنسانية التي تنتد البقاء والخلود وتفر من الزوال والعدم الأبدي الذي ينتظر ذلك الكافر في محطة الموت، ذلك أن هذا الملحد الذي تردى في ظلمات الضلالة كما يقول النورسي «يرى دوما بعينه أن الموجودات وجميع أحبائه سائرون إلى العدم والفرق الأبدي، فكل شيء أمامه بهذا الكفر إلى زوال، فالذي يرى بالكفر هذا، كيف لا يتقطر قلبه ولا ينسحق تحت ضغط هذا الألم؟ بل كيف يسمح له كفره أن يتمتع بالحياة ويتذوقها؟¹

ومن تجليات القلق في طريق الإلحاد أيضا أن يرى سالكه كل تلك الكائنات المحيطة به وجميع الحادئات التي تقوم أمام ناظره متسريلة في ظلمات قاتمة كأنها وحوش ضارية وأشباح مخيفة تريد الفتك به والانقضاض عليه مما يجعله في حالة من الفزع والجزع النفسي المهلك حيث لا حيلة في مواجهته إلا بمزاولة بعض اللذائذ المؤقتة وعن طريق تنشيط قواه الحيوانية التي لا تفكر في العاقبة وتتغلب على لطائفه وملكاته الإنسانية.

لتقريب هذه الحالة النفسية المضنية من الأذهان يضرب الأستاذ النورسي مثلا في كلماته لرجلين يسافران إلى عاصمة سلطان عظيم ويدخلان قصره المليء بالعجائب، أحدهما يعرف السلطان ويأتمر بأمره وأما الثاني «فلا يعرف السلطان ويريد أن يسكن في القصر خلسة ويمضي حياته بغصب الأموال فيعمل في حديقة القصر ولكن إدارة تلك الحديقة وتديبيرها وتنظيم وارداتها وتشغيل مكائنها وإعطاء أرزاق

1 النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، للمعات، ص111.

لقي الأستاذ آلاما ومحنة أخرى ولعل أهمها يتمثل في مكابدة السجن والسجن الانفرادي والذي يلحق بصاحبه ألوانا من التعذيب النفسي تقف الكلمات حائرة في وصفه والتعبير عنه ويذكر النورسي بعضا من تلك المعاناة في سجن دينزلي والتي تقاومت مع لحوق الضرر بأصدقائه الأبرياء بقوله «ساقونا إلى سجن دينزلي وزجوني في ردهة كبيرة ذات عفونة ورطوبة شديتين فوق ما فيها من برد شديد، فاعتراني حزن وألم شديدان من جراء ابتلاء أصدقائي الأبرياء بسببي»¹.

ولعل الآلام المنجزة عن السجن تعد بسيطة إذا تعلق الأمر بالحديث عن معاناة عذاب الإقامة الجبرية التي واجهها النورسي في مدينة أميرداغ حيث كانت العيون تترصده من كل جانب مما ألحق به الشعور بالضييق والقلق الشديد إلى درجة أن قال بلسان المتعب المثقل بالآلام والجروحات «مللت الحياة نفسها وتأسفت لخروجي من السجن، بل رغبت من كل قلبي في أن أعود إلى سجن دينزلي أو أدخل القبر حيث السجن أو القبر أفضل من هذا اللون من الحياة»².

هكذا يمكن أن نقف على مدى الصعوبات والمضايقات النفسية التي كان يعانها الأستاذ النورسي طوال مسيرته مثل المنفى والغربة والسجن والإقامة الجبرية وإن لم يأتي الباحث على ذكرها بشكل كامل لضيق المقام ليخلص في نهاية المطاف إلى أن النورسي استطاع أن يكتسب خبرة نفسية قيمة في مواجهته لمختلف هذه المتاعب ستجعله فيما بعد يتحدث عن هذه الآلام والضغوطات النفسية حديث مجرب من عاش حيثيات تلك المشاكل النفسية وخبرها لا حديث دارس لها بين صفحات الكتب فحسب.

وفضلا عما ما تقدم يمكن القول بأن النورسي يعد رجلا حساسا قلقا مهموما بهموم أمته لا يقلق لآلامه الشخصية بقدر ما يقلق على أمته وقابل أيامها لذلك تراه يقول «إنني أستطيع أن أتحمّل كل آلامي الشخصية، ولكن آلام الأمة الإسلامية سحقتني، إنني أشعر بأن الطعنات التي وجهت إلى العالم الإسلامي وجهت إلى قلبي أولا، ولهذا ترونني مسحوق الفؤاد»³. ولكن ما حقيقة القلق عند بديع الزمان النورسي؟

٢. حقيقة القلق عند بديع الزمان النورسي

1 م ن، ص376.

2 النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، ص406.

3 م ن، ص167.

النفسية ذلك أن «ما يستشعره الإنسان من لهفة إلى الحقيقة وتوق إليها يجعله دائم القلق والاضطراب ما لم يبلغها. فلا يجد الاطمئنان والسكون إلا بتوحيد الله ومعرفة الله سبحانه ذلك لأن سلوك سبيل الكفر الذي فيه ما لا يحد من الاضطرابات والمشاكل محال، ولا حقيقة له أصلاً. بينما التوحيد فيه من السهولة المطلقة من خلق الموجودات بهذه الكثرة والإبداع بحيث لا يدع للإنسان مجالاً إلا سلوكه، ولا غرو أنه أصيل وحقيقي» على حد تعبير النورسي¹.

ويواصل الأستاذ شرح فكرته في التخلص من مشكلة القلق مؤكداً على ضرورة التعرف على خالق الأكوان والتقرب إليه وذلك للخلاص مما يعاني منه أناس كثيرون من داء القلق واضطراباته الخطيرة فيقول بنبرة المرشد الحاذق «لا خلاص للقلوب والأرواح من قبضة القلق الرهيب، ومن دوامات الاضطراب والخوف، ومن ضماً الضلالة وحرقة نار البعد عن الله إلا بمعرفة خالق واحد أحد، إذ ما يسلم أمر القلوب والأرواح، وأمر كل الموجودات إلى خالق واحد أحد حتى تجد راحتها، وتحظى بخلاصها من تلك الزلازل النفسية المدمرة وتسكن من ذلك القلق وتستنقر وتطمئن»².

فالإنسان الذي تعرف على خالقه في هذا الكون الواسع سيكون في سعادة غامرة وسرور عالي حيث ستفك عنه أوهامه ومخاوفه من كل الكائنات بل ويحقق بتوحيد ربه ومعبوده معها الانسجام التام³ ذلك أنه سيلتحق بدائرة ذكر عظيمة ومجلس تهليل مبارك ويكون مرتاح البال موكلاً أمره للقدير العليم فلا يحمل فوق ظهره آلام الماضي وأهوال المستقبل وإنما سيبتسم في وجه البلاء راضياً ومتوكلاً ومسلماً لخالقه الحكيم.

يقول الأستاذ النورسي في كلماته «إن الإنسان الذي يظفر بالإيمان الحقيقي يستطيع أن يتحدى الكائنات ويتخلص من ضيق الحوادث، مستنداً إلى قوة إيمانه فيبحر متفجعاً على سفينة الحياة في خضم أمواج الأحداث العاتية بكمال الأمان والسلام قائلاً: توكلت على الله ويسلم أعباءه الثقيلة أمانة إلى يد القدرة للقدير المطلق، ويقطع بذلك سبيل الدنيا مطمئن البال في سهولة وراحة حتى يصل إلى البرزخ ويستريح، ومن ثم يستطيع أن يرتفع طائراً إلى الجنة للدخول إلى السعادة الأبدية»⁴.

1 النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الكلمات، ص778.

2 م ن، ص777.

3 النبراوي خديجة، مشكلات نفسية للإنسان، دار سوزلر، القاهرة، 2/2002، ص68.

4 النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الكلمات، ص352.

حيواناتها الغريبة وأمثالها من أمورها المرهقة دفعته إلى الاضطراب الدائم والقلق المستمر حتى أصبحت تلك الحديقة الزاهية الشبيهة بالجنة جحيماً لا يطاق إذا يتألم لكل شيء يعجز عن إدارته، فيقضي وقته بالآهات والحسرات»¹.

إن إنكار وجود الخالق تعالى وهيمنة قدرته على الكائنات والسير في طريق الكفر والجحود لله تعالى يخلع عن الإنسان إنسانيته الحقبة ويجعله في وحشة من الكون وجميع الكائنات المسبحة لله فلا ينسجم معها في العبودية للمعبود الواحد وينصرف إلى عبادة هواه ونفسه الأمارة بالسوء وهو ما يجعله يتردى إلى دركات الحيوانية أو أسفل فتراه يفيض قلقاً واضطرابات نفسية يقول الأستاذ النورسي حاكياً أحوال بعض الشباب البعيد عن منهج الله «إن أمثال هؤلاء الشباب سيؤول حالهم إلى في غالب الأمر إلى المستشفيات، بسبب تصرفاتهم الطائشة وإسرافاتهم وتعرضهم لأمراض نفسية أو إلى السجون وأماكن الإهانة والتحقير بسبب نزواتهم وغرورهم أو إلى الملاحية والخمارات بسبب ضيق صدورهم من الآلام والاضطرابات المعنوية والنفسية التي تنتابهم»².

هكذا يتضح جلياً أن مشكلة القلق تتبلور أساساً في طريق الكفر والضلال وتلازم ذلك الملحد الذي ينكر وجود الخالق تعالى ويصرف الخلق والإيجاد إلى الطبيعة والأسباب مما يجعله أمام مشاكل ومصاعب لا نهاية لها حيث ستكون كل الكائنات في مواجهته تريد الانقراض عليه حتى ملكاته واستعداداته الفطرية ستصبح وبالا عليه، فالعقل مثلاً ذلك الجهاز السامي إذا تخطى في وحل الضلالة والكفر فإنه يصبح آلة تعذيب ووسيلة إزعاج، بما يجمع من آلام الماضي الحزينة ومخاوف المستقبل الرهيبة وأما إذا استعمل بسر التوحيد فإنه يصبح مفتاحاً ثميناً بحيث يفتح الكنوز الإلهية السامية وألوفاً من خزائن الكون.

ب. التعرف على الله مضاد حقيقي للقلق

وإذا رمنا الحديث عن مضادات حقيقية لما يعيشه ذلك الإنسان من سورات الألم القاسي والقلق الرهيب الناشئ من إنكار وجود الله ووحدانيته فإنه لا حل ولا دواء له غير الإيمان برب السماوات والأرض والاعتراف بوحدانيته والتسليم له والعودة عن طريق الكفر الذي يفضي للمشاكل والاضطرابات

1 النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الكلمات، ص544.

2 النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الكلمات، ص160.

العيش ومشاقه «كنت شديد القلق لاحتمال انفرط تساند طلاب النور وأكثرهم فقراء وتزعزعهم أمام هذه الحالات الرهيبة من هموم العيش التي أثقلت كاهل الفقراء والقحط الذي ألم بالناس»¹.

ينبه الأستاذ النورسي في رسالة المرضى على خطورة القلق السلبي الذي عادة ما يصيب المريض، فيعكر حالته أكثر مما يلحق بنفسيته الدمار وبروحه الاندثار، فالمريض إذا ما قلق على وضعيته الصحية سرعان ما يصاب بالحزن، والحزن كما هو معلوم أحب الأحوال التي يريد أن يحققها الشيطان في وجدان بني آدم، لأن ذلك سيكون مدخلا جيدا لتهويل المصائب وإتقال كاهله بالأوهام، ولذلك يذكر النورسي دائما المبتلى بضرورة عدم القلق الذي يزيد من حجم المصائب والأمراض يقول «فكلما استعظمتها جفلت منها، لأنك إذا ما تأسفت عليها تستعظم وتكبر حتى تتضخم ويصيبك الرعب منها، وإذا ما زدتها بالقلق والأوهام فتتوأمت بعد أن كانت واحدة لأن صورتها الوهمية التي في القلب تنقلب إلى حقيقة ثم تعود تنتزل بصرياتها الموجهة على القلب»².

ترى ماهي بواعث هذا القلق النفسي الذي يسلب الإنسان هدوءه وطمأنينته عند النورسي؟

٣. بواعث القلق النفسي من منظور النورسي

إن لمتتبع لمسألة التخلص من القلق النفسي الهدام في ثنايا رسائل النور أن يقف على ثلاثة عوامل أساسية تكمن وراء عملية بث القلق وبعثه في أعماق النفس البشرية حيث لم يفتأ الأستاذ بديع الزمان النورسي يشير إليها مرارا وينبه على خطورتها في مواضع عديدة من رسائله مخاطبا بها الشباب والشيوخ على حد سواء، ولئن اجتمعت بواعث القلق النفسي هذه حسب منظور الأستاذ على إثارة مشاعر الخوف في الإنسان فإنها تنفرد من حيث موضوع الخوف الذي يجده الباحث تارة خوف من المستقبل وتارة ثانية خوف من الأمراض والمصائب وثالثة خوف من الموت ودخول القبر.

أ. الخوف من المستقبل

يرى الأستاذ النورسي أنه لا ينبغي الخوف من المستقبل ما دام في صدر الإنسان وقلبه إيمان بالله الواحد الأحد الذي خلق الكون وخلق الإنسان ضيفا وموظفا في الأرض يعمرها ويسعى فيها بمنهج خالقه تعالى فالمستقبل وفق هذا التصور «ليس مؤلما ولا مقلقا وليس محلا للوحشة ولا واديا مظلما مخيفا، بل هو بنور الإيمان منازل سعادة أبدية للرحمن الرحيم ذي الجلال والإكرام الذي وسعت رحمته

1 م ن، ص195.

2 النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الكلمات، ص856.

وبلغة ضرب المثل يعبر الأستاذ النورسي عن هذه الحقيقة فيشير إلى أن الذي «يعرف السلطان ويعد نفسه ضيفا عليه ويعتقد أن جميع الأعمال في القصر والحديقة تدار بسهولة تامة، بنظام وقانون على وفق برنامج ومخطط. يلقي الصعوبات والتكاليف إلى قانون السلطان، مستقيدا بانسراح تام وصفاء كامل من متع تلك الحديقة الزاهرة كالجنة. ويرى كل شيء جميلا حقا، استنادا إلى عطف السلطان ورحمته، واعتمادا على جمال قوانينه الإدارية ويقضي حياته في لذة كاملة وسعادة تامة»¹. ولكن ألا يعاني المؤمن من القلق وهل أن حياته من هذا الداء خلاء؟

ج. القلق السلبي والقلق الإيجابي

يعتبر الإنسان من الكائنات القلقة باعتبار تميزه بملكة العقل والتفكير التي تجعله باحثا محبا للمعرفة ودائم التفكير، فهو معرض للقلق بطبيعة تكوينه التي فطره الله عليها، ولكن القلق يكون نوعان كما يقرر أهل الاختصاص² منه ما يذم ومنه ما يحمده نظرا في آثاره المترتبة على الإنسان. فالقلق السلبي هو الذي ينشئ في الإنسان وسرعان ما يصبح عائقا له عن التقدم ومباشرة دوره في الحياة بشكل سليم، وأما القلق الإيجابي فهو على العكس تماما، حيث يكون محفزا للإنسان ومقدما له في شتى مجالات الحياة، لذلك يمكن أن نصف النوع الأول من القلق بأنه نفسي مدمر والثاني بالمعرفي المقدم.

إن المؤمن الذي تحقق إيمانه بالله تعالى وارتقى في درجات المعرفة بالشؤون الربانية بعيد عن أن يصاب بالقلق والضغوطات النفسية لقوله تعالى في محكم تنزيله « أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ »³ وإنما قلقه يكون إيجابيا فيما من شأنه أن تحمد عقباه ويجلب الخير والمصلحة، قلق على مصير الأمة الإسلامية مثلا وقلق في تحري نجاح الخدمة الإيمانية وسلامتها من مكائد الأعداء يقول الأستاذ «كنت أعاني من الصعوبات الجمة في إخفاء الرسائل في غضون السنوات الثماني عشرة التي مرت ولا سيما في هذه السنوات الست هنا وكنا نعاني جميعا من القلق والاضطراب على الرسائل»⁴.

ويقول في موضع آخر موضحا قلقه على العلاقة التي تربط طلاب النور وتعاونهم أمام صعوبات

1 م ن، ص544.

2 راجع إبراهيم عبد الستار، القلق قيود من الوهم، ص13-12.

3 سورة الرعد: 28.

4 النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الملاحق، ص158.

ولتذكير المريض بأهمية تجنب القلق حيال ما أصابه وعدم فتح الباب لتسلط الأفكار السلبية عليه ورفع معنوياته لمواجهة هذا التحدي يقول الأستاذ النورسي موجهًا نظر المريض إلى الجهة الإيجابية في المرض «أيها المريض العاجز، لا تقلق اصبر، فإن مرضك ليس علة لك بل هو نوع من الدواء، ذلك أن العمر رأس مال يتلاشى، فإن لم يستثمر فسيضيع كل شيء، وبخاصة إذا انقضت بالراحة والغفلة وهو يحدث الخطى إلى نهايته، فالمرض يكسب رأس مالك المذكور أرباحًا طائلة، ولا يسمح بمضيه سريعًا، فهو يبطل خطوات العمر، ويمسكه ويطوله حتى يؤتي ثماره، ثم يغدو إلى شأنه»¹.

ويرى النورسي أنه لا فائدة مرجوة من القلق أمام المصائب والأمراض والتفكير فيها والخوف منها والذي من شأنه أن يضاعف خطرهما بما تفرزه من أوام وأفكار سلبية لذلك يوصي المبتلى بالمرض بقوله «فإن كنت يا أخي مبتلى بتداعي الأفكار فإياك إياك أن تقلق أو تجزع بل عد إلى حالتك الفطرية حالما تنتبه لها»². ففي كل مصيبة أو مرض يصاب بها الإنسان جهة خير لا بد من تحريها والتأمل فيها مليا وعدم السماح للقلق بتغيير تلك الوجهة الإيجابية إلى ما لا يحمد عقباه من الأوهام التي سرعان ما تتطبع على صفحة القلب لتكون حقيقة في قابل الأيام «فلعل مصيبة درجة نعمة كدرجات الحرارة التي تتداخلها البرودة لذا ينبغي الشكر لله بالتفكير فيما هو أعظم، ورؤية النعمة في الأصغر. وإلا إذا نفخ فيها واستعظمت فإنها تعظم، وإذا أقلق من أجلها تتوأمت وانقلب مثالها الوهمي في القلب إلى حقيقة تسحق القلب»³ على حد تعبير الأستاذ النورسي.

ج. الخوف من الموت ودخول القبر

لا تقتصر بواعث القلق في النفس البشرية على الشعور بالخوف من المستقبل والخوف من المرض والمصائب فحسب وإنما تشتمل على الخوف من الموت ودخول القبر بل أن هذا الخوف يعد الأثني والأشد على النفس باعتباره يمثل نقطة النهاية لحياة ذلك الإنسان الذي لا يؤمن بالحياة الآخرة ويرنو للبقاء والخلود في الآن نفسه، ليعيش في قلق مستمر رغم ما يبشره من لذائذ جزئية مؤقتة وفي هذا الصدد يتساءل الأستاذ النورسي في عجب «هل يمكن أن تزيل سلطنة الدنيا كلها مع ما فيها من متع ولذائذ ما يعانيه الإنسان من اضطراب وقلق في انتظار دوره في كل لحظة للدخول إلى القبر إذا كان

كل شيء وأحاط كرمه بكل شيء»¹.

والحقيقة أن الذي يمتلكه الخوف من المستقبل هو ذلك الفاقد للإيمان بالله تعالى، البعيد عن التسليم والإذعان للتعاليم الربانية في مباشرة الحياة، والمطلق العنان لنفسه وهواه فيشابه الحيوان، ويجمع ما لا طاقة له به من الحسرات والآلام وهو يحسبها منافع ومسرات، فما يلبث حتى يهاجمه القلق والمخاوف المقضنة من كل جهة، يقول الأستاذ «أيها الإنسان لقد خرج شيء من ماضيك ومستقبلك من الغيب بحكم ما تحمله من عقل، فأنت محروم كليًا مما تنتعم به الحيوانات من راحة وإطمئنان بانسدال ستار الغيب أمامهما، فالحسرات والآفات الناشئة مما مضى وأنواع الفراق الأليم والمخاوف الناجمة من المستقبل تزيل لذتك الجزئية وتبيدها وتهوي بك في درجة أدنى بكثير من الحيوان من حيث اللذة»².

هكذا يؤكد الأستاذ النورسي على أهمية الإيمان الذي ينور الماضي والمستقبل للإنسان ويخلصه من أسئلته الوجودية من أين؟ وإلى أين؟ ولماذا؟ بتطمين قلبه وادخال السكينة على روحه وجميع لطائفه الإنسانية وهو ما لا يتسنى لمحمد معدم الإيمان حيث سيكون الماضي له ساحة موحشة رهيبة مظلمة ميتة والمستقبل يصب على رأسه الملحد مطر السوء من الآلام الموجهة والقلق الشديد والاضطرابات العنيفة حتى يجعل جميع لذائذ الجزئية السفهية آثرا بعد عين³.

ب. الخوف من المرض والمصائب

كما يمكن أن تتبعث مشاعر القلق في النفس نتيجة إصابة الإنسان بمرض ما أو نزول مصيبة به، فما أن يبدأ بالتفكير في ما أصابه وما حل به من بلاء حتى يفتح الباب لدخول الأوهام النفسية والوساوس الشيطانية التي تضخم من حجم المصيبة في عينه وهو ما يصيبه بالجزع والفرح لأن «الخوف من الأمراض والفرح منها ينبع من كون المرض أحيانا وسيلة للموت والهلاك، ولكون الموت بنظر الغفلة مرعبا مخيفا ظاهريا، فإن الأمراض التي يمكن أن تكون وسائل له، تبعث على القلق والاضطراب»⁴.

1 النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الشعاعات، ص234.

2 م ن، ص236.

3 م ن، ص234.

4 النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، اللغات، ص296.

1 م ن، ص290.

2 م ن، ص291.

3 النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، المكتوبات، ص601.

النبوية في الاستشفاء من الضغوطات النفسية والمشاعر السلبية، وثانيها يكمن في مهارة الأستاذ في الولوج إلى أعماق النفس والجولان في مساحاتها الجوانية سابرا لأدوائها ودقيق مشاكلها، وأما ثالثها فيظهر مدى أهمية المحاور والتحاور عند النورسي في تجاوز المشاكل النفسية وتعديل الأفكار، لتحقيق الطمأنينة والانتشاء الروحي المنشود بعيدا عن فزع الاضطرابات ووطأة القلق النفسي.

1. التعامل مع روح القرآن والسنة النبوية

أ. مع القرآن الكريم

إن الحديث عن علاقة الأستاذ النورسي مع القرآن الكريم هو حديث عن علاقة محب بحبيبه، محب لا تتوقف محبته ولا تضمر مشاعره ولا تضاهى همته في الشغف بحبيبه، فتراه تارة يأتيه متشوقا ومتشوقا للتعرف على أسراره والاطلاع على مكنوناته، وتارة أخرى تراه بين يديه طارحا لهما، شاكيا أحواله التي أصابها من الاضطرابات والقلق والضغوطات ما أصابها، فما يلبث حبيبه أن يمد يده بالدواء والعلاج المناسب من صيدلية آياته الكريمات، ولا ريب فهذا هو القرآن الكريم تنزيل من حكيم حميد « وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا »¹.

إن تعامل النورسي مع القرآن الكريم تعامل يتجاوز أسوار اللفظ ليعانق حرارة المعنى، ويدخل في عمق الأثر الروحي للنص القرآني المعجز حيث تنطلق تلك الروح القرآنية النورانية الخارقة في مداواة ما حل بذلك القلب المكلم من آفات وأمراض واقع متأزم، قال الدكتور سليمان عشارتي «حين يشتكي النورسي علته للآية ويطلق بابها بانكسار عميق مرده وطأة الشعور بالعدم وباللامصير، تشرع الآية «حسبنا الله ونعم الوكيل» في الرد عليه لا بالتطمين والتشجيع الفوري الانعاشي أو الاستنقاذي، وإنما تبادر إلى تخلية قلبه واستقراغه وإعادة تحليلته وشحنه، فلذا هي تحيله فورا من خلال عرض الشاهد الحيوي إلى موقف يجتمع فيه مع الحقيقة الغائبة، ويتواجه مع المشهد الذي توعد له فيه كل لفظة في السياق بما يسكن جنانه ويعيد إليه السلوى»².

ومع الشعاع الرابع يمكن الوقوف على نموذج استشفائي يبين تداوي الأستاذ النورسي واستمداده من أنوار آية «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»³ لما لحقه وأصابه من قلق الشيب والغربة والمرض الذي زلزل كيانه

فاقدا للإيمان والعبادة»¹.

يعتبر النورسي أنه وعلى عكس الملحد تماما، يعيش المؤمن في حالة من الاطمئنان والراحة النفسية من هذا الباب، حيث لا تجده يهرب من الموت ولا يخاف من دخول القبر لأنه يعده استئنافا لحياة جديدة بخصائص أخرى تحفها الرحمة واللطف من كل مكان ويعبارة الأستاذ الموت في نظر المؤمن «خروج من قضبان سجن الدنيا المظلم الضيق المضطرب، ودخول في رعاية المحبوب الباقي وفي كنف رحمته الواسعة، وهو تنعم بحياة فسيحة خالدة مستتيرة لا يزعجها خوف، ولا يكدرها حزن ولا هم»².

هكذا يكتسب الإيمان بالآخرة أهمية كبرى حيث يحول بين الإنسان والدخول في موجات من القلق والاضطرابات النفسية ولعل الشيوخ والمتقدمين في السن هم أول المستفيدين من أنوار ذلك الإيمان «فلولا الإيمان بالآخرة لشعر هؤلاء الآباء والأمهات اللذين هم أجدر بالشفقة والرأفة واللذين هم في أشد الحاجة إلى الاطمئنان والسكينة والحياة الهادئة، ضراما روحيا واضطرابا نفسيا وقلقا قلبيا، ولضاقت عليهم الدنيا بما رحبت، ولتحولت سجنا مظلما رهيبا، ولا انقلبت الحياة إلى عذاب أليم قاس»³.

المبحث الثالث: أسس منهجية النورسي في حل مشكلة القلق النفسي

لكل عالم منهجه وطريقته في حل ما يعرض له من المسائل والاشكاليات، ومنهج الأستاذ النورسي في معالجة مشكلة القلق النفسي -في ما يرى الباحث- منهج متميز يجمع بين الأصالة والابداع فضلا عن معالجته الدقيقة والمشخصة لكل حالة تعرض له تجده يعالج هذه المشاكل النفسية استنادا إلى نصوص الإسلام التأسيسية ليتمتع أسلوبه بحيوية فائقة أو بشيء من الروحانية الخارقة المستمدة من أنوار الوحي والتي يستنير بها النورسي في العروج إلى أعماق النفس الإنسانية قراءة لأسرارها الدقيقة وسبرا لأغوارها العميقة وبحثا عن أنسب العلاجات لها.

ولمتأمل في منهجية الأستاذ النورسي في حل مشكلة القلق النفسي يمكنه الخلوص إلى أنها منهجية تقوم على ثلاثة أسس في غاية الأهمية، أولها يتمثل في استثمار النورسي لنصوص القرآن والسنة

1 النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الكلمات، ص156.

2 م ن، ص157.

3 النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الكلمات، ص103.

1 سورة الإسراء: 82.

2 عشارتي سليمان، المعنى القرآني في رسائل النور، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، 1/2009، ص75.

3 سورة آل عمران: 173.

يعرف لنا المالك الرحيم الكريم بما فيه -أي بيت العالم- من أشياء، قس هكذا لكي تقدر بنفسك قيمة الصلوات عليه ولذتها»¹.

هذا التعلق بالرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام جعل النورسي يعيش مع التوجيهات السامية والارشادات القيمة لمن لا ينطق عن الهوى فينفذ إلى أسرارها ويستمد منها ما يخفف به وطأة القلق والأسى بل ويزيلها لتحل مكانها أحوال مفعمة بأنوار الأمل والبشر، ولعل مثال ذكر الأستاذ بـ«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت، وهو على كل شيء قدير وإليه المصير»² خير دليل على هذا الاستمداد النوري.

يقول الأستاذ معبرا عما وجدته في بحر كلمة «له الحمد» «هذه الكلمة تفوح أملا وتقطر بشرى شافية وتقول: أيها الإنسان لا تحسب أنك مالك نفسك كلا لأنك لا تقدر على أن تدير أمور نفسك، وذلك حمل ثقيل وعبء كبير، ولا يمكنك أن تحافظ عليها فتتجيبها من البلايا والرزايا وتوفر لها لوازم حياتك، فلا تجر نفسك إذن الآلام سدى، فتلقي بها في أحضان القلق والاضطراب دون جدوى، فالمالك ليس لك وإنما لغيرك، وذلك المالك قادر وهو رحيم، فاستند إلى قدرته، ولا تتهم رحمته»³.

وللأحاديث النبوية في توجيهات الأستاذ النورسي للمبتلين والمصابين بالأمراض آثار واضحة، خاصة عندما يبين حقيقة المصائب التي تحمل في ثناياها عطايا رحمانية ومنح ريبانية، ومقدمة النصيحة في الآن ذاته بترك القلق حيال المصائب، «فالمصيبة التي تنتاب الإنسان عند المرض ليست بمصيبة حقيقية، بل هي لطف رباني لأنه تطهير للإنسان من الذنوب وغسل له من أدران الخطايا (...). بل هي منحة إلهية لتطمين القلب وإفراغ السكينة فيه، وذلك بدفع الغفلة التي تصيب الإنسان، وإشعاره بعجزه و فقره الكاملين في جبلته»⁴ على حد تعبير النورسي، وهو ما يعبر عن استناده من المعاني الراقية للحديث النبوي «ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطايا كما تحات ورق الشجر»⁵.

كما تتجلى استفادة الأستاذ النورسي من حديث الرسول عليه الصلاة والسلام الذي يصف فيه حال

1 النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، للمعات، ص405.

2 النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، المكتوبات، ص272.

3 م ن، ص275.

4 النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، للمعات، ص16.

5 البخاري، الصحيح، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرضى، حديث رقم: 5323.

موحيا له بتقهقر وجوده إلى العدم ولكن ما إن قام بالرجوع إلى هذه الآية الكريمة رجوع تدبر وتأمل بمنظار إيماني دقيق حتى حُل اضطرابه وشُفي من ظلمات ذلك القلق الشديد.

يعلمنا الأستاذ النورسي وهو بين يدي «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» أهمية اللجوء إلى الآيات القرآنية والاعتصام بها اعتصاما من شأنه أن يفتح لنا آفاقا إيمانية واسعة ويخلصنا من ضيق المكان والمشاعر، يقول «رأيت: أن وجودي الذي هو ذرة صغيرة جدا، مرآة لوجود غير محدود، ووسيلة للظفر بأنواع من وجود غير محدود بانبساط غير متناه، وهو بمثابة كلمة حكيمة تثمر من أنواع الوجود الكثيرة الباقية ما هو أكثر قيمة من وجودي وأعلى منه نفاسة حتى إن لحظة عيش له من حيث انتسابه الإيماني ثمين جدا، وله قيمة عالية كقيمة وجود أبدي دائم. فعلمت كل ذلك بعلم اليقين، لأني أدركت بالشعور الإيماني أن وجودي هذا أثر من آثار واجب الوجود وصنعة من صنعه وجلوة من جلواته. فنجوت من ظلمات لا حد لها تورث أوهام موحشة، وتخلصت من آلام لا حد لها نابعة من افتراقات وفراقات غير متناهية»¹.

ب. مع السنة النبوية

إن الناظر في ثنايا كلام الأستاذ بديع الزمان النورسي وهو بصدد معالجة مشكلة القلق والاضطراب النفسي يلاحظ مدى تأثيره برسول الله صلى الله عليه وسلم. وليس من المبالغة في شيء، القول بأن كلمات وأخلاقيات الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام تجري من النورسي مجرى الدم في العروق، وهذا جلي في التعامل الممثل للسنة النبوية للأستاذ مع الحوادث التي تعرض له سواء منها المفرحة أو المترحة وهذا الفضل إنما تأتي للأستاذ بمدى احترامه للسنة النبوية المشرفة فهو في تلقيه للحديث إنما يتعامل مع روح السنة باعتبارها وحيا مقدسا وكذلك يضع مقام الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في مقام التقديس والمحبة بعيدا عن مشكلات نقد النص ومعايير قبول الرواية ورداها.

ولإدراك مدى تعلق الأستاذ النورسي بالرسول عليه الصلاة والسلام، ومكانته الرفيعة عنده، وأهمية الصلوات عليه، يضرب لنا هذا المثال الرائع قائلا «فلو دخل شخص بيتا خاليا مظلما موحشا كالدنيا المظلمة الموحشة بالغفلة كم سيأخذه الرعب والدهشة والاضطراب؟ ولكن كم يسره ويؤنسه ويفرحه وينوره لو رأى أن شخصا قد تصدر ذلك البيت يعرف مالكة بجميع ما فيه؟ فما بالك لو كان هذا الشخص هو الحبيب المحبوب والأنيس المؤمنوس وهو الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام، متصدر بيت العالم

1 النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الشعاعات، ص79.

الإساءة وأنه لم يؤدي واجباته أمام خالقه فيزيد من قلقه.

الشهداء الذين يتوفون في سبيل الله وتتعمهم بالجنة حيث يقول بأن «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت»¹. فيعلم الطفل الصغير الذي ابتلي بوفاة أخ له أن يصبر ويصابر نفسه بأن يتذكر أن أخوه سينال ثواب الشهداء وذلك بكلمات بكلمات رائعة تفيض إيمانا بالجنة ونعيمها فيحاور الطفل نفسه «إن أخي الصغير أو صديقي الحبيب الذي توفى أصبح الآن طيرا من طيور الجنة فهو إذن يسرح من الجنة حيث يشاء ويعيش أفضل وأهنا منا»².

2. مهارة الاستبطان النفسي لدى النورسي

تتبدى مهارة الاستبطان النفسي³ لدى الأستاذ النورسي من خلال إبحاره المتكرر في الفضاء الجواني للإنسان. ذلك الفضاء الواسع الذي تقطن فيه -وهو يسير في أرجائه الممتدة ويكشف عن أطرافه المعتلة- إلى خطورة علة القلق والتي تتغذى من داء الوسوسة، تلك الجرثومة التي تنخر عالم الإنسان الداخلي وتسهم في تدميره بفعالية مما جعل النورسي دائم الارشاد للمريض بأهمية تجنب القلق الذي يضاعف المرض ويجعله مرضين لأن القلق يمكنه أن يطيل في عمر المرض المادي وذلك من خلال تنشيطه لمرض معنوي يسنده ويقويه⁴.

تتأول الأستاذ النورسي مسألة الوسوسة في أكثر من موضع في رسائله⁵ وهو ما يشير إلى خطورة هذه المعضلة النفسية وسلبيتها على النفس الإنسانية وقد تناولا دقيقا ينم عن براعة نفسية عالية لا تكتفي بتعيين المشكلة وتشخيصها فحسب وإنما تصف المرهم والدواء المناسب لها أيضا. ولعل أبرز نقطة أراد الأستاذ توضيحها بخصوص الوسوسة أن مصدرها الأول هو الشيطان ذلك الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس ويرنو إلى إفساد علاقة العبد بربه حيث يهيء للعبد أنه مسيء بل دائم

1 مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياها إلا الدين، حديث رقم: 1878.

2 النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الكلمات، ص102.

3 يعتبر الاستبطان الطريقة الوحيدة تقريبا القادرة على سبر أغوار الوعي والتعرف على الأنا فبواسطة الاستبطان ينعكس الشعور على نفسه ويصبح موضوعه تحليل الاحساس الداخلي أو ما يدور في الداخل من شعور وعواطف وخيالات وبتعبير آخر الاستبطان عبارة عن وعي الحالات الداخلية، إنه الإحساس بالإحساس، بل إن الاستبطان لا يعني مجرد وعي احساس أو شعور ما بل أيضا وصف الظاهرة النفسية وتحليلها. راجع معن زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، 1/1986، 1/54.

4 راجع النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، اللمعات، ص297.

5 راجع الكلمات المقام الثاني للكلمة الحادية والعشرون واللمعة الخامسة والعشرون من اللمعات.

يقول الأستاذ في وصف هذه الحالة النفسية بأنها قد تكون «لمة شيطانية قريبة من القلب. لذا فإن ضرر الوسوسة إنما هو في توهم الضرر، أي إن ضرره على القلب هو ما نتوهمه نحن من أضرارها. لأن المرء يتوهم تخيلا لا أساس له كأنه حقيقة، ثم ينسب إليه من أعمال الشيطان ما هو بريء منه، فيظن أن همزات الشيطان هي من خواطر قلبه هو، ويتصور أضرارها فيقع فيها، وهذا هو ما يريده الشيطان منه بالذات»¹.

كما تتجلى خطورة الوسوسة في الأفكار السلبية والصور الذهنية الخاطئة التي تعرض في القلب لأن المعاني تنتج عنها صور ذهنية بشكل متوفق يقول الأستاذ النورسي في هذا الصدد «عندما تتلطف المعاني من القلب تنتفخ في الخيال مجردة من الصور، وتكتسي الاشكال والصور هناك والخيال هو الذي ينسج دائما ولأسباب معينة نوعا من الصور ويعرض ما يهتم به من الصور»² وأمام هذا المشكل يقترح النورسي حلا جذريا لتخطر هذه الأفكار السلبية فيقول بأنه «كما لا يؤثر في صلاتك ولا يفسدها ما في خوفك من نجاسة، بل يكفي لها طهارة حسية وبدنية كذلك لا تضر مجاورة الصور الملوثة بالمعاني المنزهة والمقدسة»³.

في لفظة أخرى يحاول الأستاذ -بملاحظاته العلاجية النفسية- حل مشكلة دقيقة يسببها التناقض بين الأفكار السلبية والإيجابية التي تطرأ على ذهن الإنسان فتسلبه الاستقرار وتجعله في تغير مضطرب من حال إلى حال وهذه حال يفقد معها الموسوس السيطرة على أفكاره مما يجعله أميل إلى الأفكار السلبية والتي من شأنها أن تجعله عرضة لما يكره من الخواطر. يقول النورسي مرشدا «إياك إياك أن تقلق أو تجزع بل عد إلى حالتك الفطرية حالما تنتبه لها. ولا تشغل بالك قائلا: لقد قصرت كثيرا.. ثم تبدأ بالتحري عن السبب.. بل مر عليها مر الكرام لئلا تقوى تلك العلاقات الواهية العابرة بتركيزك عليها، إذ كلما أظهرت الأسي والأسف وزاد اهتمامك بها انقلب ذلك التخطر إلى عادة تتأصل تدريجيا حتى تتحول إلى مرض خيالي»⁴.

1 النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الكلمات، ص304.

2 النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الكلمات، ص304.

3 م ن، ص304.

4 م ن، ص306.

للإقناع، ومن البديهي أن يسلك الأستاذ النورسي -بوصفه وريثاً من ورثة الأنبياء- طريق الحوار في كثير مما يعرض له من مشاكل في شعاب الحياة، يقول الدكتور أبو بكر العزاوي «إذا كان القرآن الكريم قد عني عناية فائقة بالحوار، فكيف لا يكون النورسي رجل حوار وكيف لا تكون رسائل النور حوارية في منهجها وأسلوبها وهي تفسير قيم للقرآن الكريم»¹.

يتمتع الحوار في رسائل النور بحضور قوي يمتد على رسائل بأكملها مثل اللمعة الخامسة والعشرون التي تتوجه إلى المرضى والمبتلين، ويظهر التماثل في صور شتى فتارة يكون ذاتياً في شكل مناجاة يحاور فيها الأستاذ نفسه ويكون تارة أخرى موضوعياً مع طرف آخر في شكل مناظرة أو مناقشة أو جواباً على سؤال. والجدير بالذكر أن الأستاذ النورسي اعتمد على هذا الأسلوب في مواجهة المشكلة النفسية معالجا لحالات القلق والفرع النفسي وذلك من خلال تعديله لأفكار المصاب بتلك المشاعر وسيعرض الباحث في ما يأتي ثلاثة نماذج مهمة هي بمثابة جلسات نفسية- حاور فيها الأستاذ النورسي نفسه الفلقة ثم المريض القلق ثم شيخ كبير يرهب ركوب الزورق لنستبين مدى فعالية الحوار في المعالجة النفسية وأثره في تطمين النفس ونفي القلق والفرع والاضطراب عنها.

حوار الأستاذ النورسي مع نفسه القلقة

يقول الأستاذ النورسي في كتاب سيرة ذاتية حاكيا حواراً مع نفسه الجزعة والتي كثرت عليها المصائب والمشاق «في هذه الأوقات التي نجد فيها الضيق والعنت، أزعجتني نفسي الجزعة الفارغة من الصبر (...). يا نفسي لقد أخذت نصيبك من الأذواق -في غضون ثلاث وسبعون سنة- أكثر مما أخذها تسعون بالمائة من الناس فلم يبق لك بقية فيها، أنت ترومين دوام الأذواق وبقاءها وهي فانية أنية لذا تبكين عشر ساعات عن ضحك دام دقيقة واحدة. إن المظالم التي أتت عليك، والمصائب التي نزلت بك تنطوي على عدالة القدر. فيظلمونك بما لم ترتكبه بينما القدر يؤدبك بيد تلك المصيبة -بناء على أخطاء خفية- ويكفر عنك خطاياك»².

ويواصل الأستاذ محاورته لنفسه القلقة بهدف إقناعها وتعديل أفكارها وإضفاء روح من الإيجابية عليها قائلاً «يا نفسي الجزعة، لقد اقتنعت قناعة تامة -بمئات من تجاربك- أن المصائب الظاهرية ونتائجها تنشق عن ثمرات عناية إلهية في منتهى اللذة. فالآية الكريمة « وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ

ويواصل الأستاذ في رسالة المرضى تقديم إرشاداته إلى المصاب بهذا الضرب من الوسوسة موهناً من كيد الوسوسة بقوله «ولكن لا، لا تخش أبداً، إنه ليس بمرض قلبي لأن هذه الهواجس النفسية والتخطر الخيالي هي في أغلب الحالات تتكون رغماً عن إرادة الإنسان، وهي غالباً ما تكون لدى مرهفي الحس والأمزجة الحادة. والشيطان يتغلغل عميقاً مع هذه الوسواس (...). واعلم أنه لا مسؤولية في تداعي الأفكار، لأنها لا إرادية غالباً، إذ لا اختلاط ولا تماس فيها، وإنما هي مجرد مجاورة ولا شيء بعد ذلك»¹.

ويسلط الأستاذ النورسي الضوء على مشكل يعاني منه الكثير من الناس وهو الوسوسة في العبادات وتحري الكمال فيه والذي يعتبر وجهاً من الوجوه الوسوسة التي تضر ولا تنفع ولذلك نجده ينصح الموسوس قائلاً «إياك أن توسوس في صحة عملك، ولكن إياك أن تغتر به أيضاً، لأنك لا تعلم علم اليقين أهو مقبول عند الله أم لا؟ واعلم أن الإسلام دين الله الحق، دين يسر لا حرج فيه (...). فإن أدركت تقصيراً فتلافه بالاستغفار»².

هكذا يثبت الأستاذ النورسي جدارة نفسية يتمكن بها من استبطان النفس باحثاً عن الخلل وسابر أعراضه ليختم جلسته النفسية بتقديم المراهم المناسبة لتجاوزه، ويدعم هذا ما يقرره الدكتور سليمان عشراتي حيث يقول «أب النورسي يقابل بين أعراض الابتئاس وسوانح الابتهاج، بحيث أضحت الرسالة جلسة أو برنامجاً من جلسات التحليل النفسي، التي تقتش البواطن، وتحل العقد، وتورث البرء»³. ولكن ماهي مكانة الحوار في منهج النورسي في معالجة مشكلة القلق النفسي؟

3. أثر الحوار في تعديل الأفكار

يكتسب الأسلوب الحوارية أهميته من خلال ما يوصله المحاور إلى نفس المحاور من معارف وحقائق كانت غائبة عنه وتعظم أهميته إذا حصل الاقتناع بتلك الأفكار المراد الإقناع بها ثم العمل وفقها. والحوار في الحقيقة هو أسلوب نبوي أخذ به الأنبياء عليهم السلام في محاوره أقوامهم ودعوتهم إلى الله، من هنا يمكن أن ندرك لماذا عني القرآن الكريم عناية كبيرة بالحوار وذلك أنه الأسلوب الأفضل

1 م ن، ص306.

2 النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الكلمات، ص307.

3 عشراتي سليمان، المعنى القرآني في رسائل النور، ص24.

1 العزاوي أبو بكر، سعيد النورسي رجل الحوار والإقناع، مطبعة وراقه بلال، فاس، 1/2019، ص22.

2 النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، ص423.

كما تتجلى أهمية الحوار في تغيير الإدراك وتخليص الإنسان من مشاعر الخوف والقلق في محاوره قيمة أجرها الأستاذ النورسي مع شيخ يرهب ركوب الزورق ونص المحاوره كامله كالاتي «جنت ذات مساء إلى جسر اسطنبول وبصحبتي عالم جليل -رحمه الله- يتهيب ركوب الزورق، ولكننا لا نجد وسيلة النقل سوى الزورق ونحن مضطرون إلى الذهاب إلى جامع أبي أيوب الأنصاري، فألححت عليه، إذ لا حيلة لنا إلا ركوبه، فقال: أخاف ربما نغرق؟

قلت له: كم يقدر عدد الزوارق التي تغرق في هذا الخليج؟

قال: ربما ألف زورق.

قلت: كم زورقا يغرق في السنة؟

قال: زورق أو اثنان وقد لا يغرق شيء في بعض السنين.

قلت: كم يوم في السنة؟

قال: ثلاثمائة وستون يوم في السنة.

قلت: إن احتمال الغرق الذي استحوذ على ذهنك وأثار فيك الخوف هو احتمال واحد من بين ثلاثمائة وستون ألف احتمال، فالذي يخاف من هذا الاحتمال لا يعد انسانا ولا حيوانا. ثم قلت له: كم تقدر أن تعيش بعد الآن؟

قال: أنا شيخ كبير ربما أعيش عشر سنوات أخرى.

قلت: إن احتمال الموت في كل يوم، أي لك ثلاث آلاف وستمائة احتمال للموت، فليس أمامك اذن احتمال واحد من بين ثلاثمائة ألف احتمال -كما في الزورق- وإنما احتمال من بين ثلاثة آلاف احتمال، فلربما يقع هذا الاحتمال هذا اليوم، فما عليك إلا الهلع والبكاء وكتابة وصيتك»¹.

خاتمة

في نهاية المطاف يمكن القول بأن القلق يعد من أخطر المشاكل النفسية التي تتهدد الإنسان اليوم

1 النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، المكتوبات، ص528-527.

خَيْرٌ لَكُمْ»¹ تلقن درس حقيقة يقينية، تذكرني دائما هذا الدرس القرآني، ثم إن الناموس الإلهي الذي يدبر عجلة الكون ذلك القانون القدري الواسع العظيم لا يبديل لأجلك. اتخذني هذا الدستور السامي دليلا: من آمن بالقدر أمن من الكدر ولا تلهثي وراء لذائذ مؤقتة تافهة كالطفل الغرير. فكري دوما أن الأدواق الفانية تورث فيك حسرات وآلاما معنوية، بينما الآلام والمشقات تورث لذائذ معنوية وأتوبة أخروية، فإن لم تكوني بلهاء يمكنك أن تتحري عن الأدواق المؤقتة للشكر وحده وما أعطيت الذات إلا للشكر»².

حوار الأستاذ النورسي مع المريض القلق

ويجلس الأستاذ النورسي مع المريض الذي يعاني من آلام المرض لغرض تخفيف وطأة المرض عنه ومساعدته في الحصول على الشفاء فيعقد معه حوار يتوسل به إلى تغيير ادراكه حول المرض ومذكرا إياه في ذات الوقت في الوجه المنور للمرض «أيها المريض الشاكي من الألم، أسألك أن تعيد في نفسك ما مضى من عمرك وأن تتذكر الأيام الهانئة اللذيذة السابقة من ذلك العمر والأوقات العصبية والأليمة التي فيه. فلا جرم أنك ستنتطق لسانا أو قلبا: إما ب «أوه» أو «آه»، أي إما ستنتفس الصعداء وتقول: الحمد لله والشكر لله أو ستنتهد عميقا قائلا: وا حسرتاه وا أسفاه. فانظر كيف أن الآلام والنوائب التي عانيت منها سابقا عندما خطرت بذهنك غمرتك بلذة معنوية، حتى هاج قلبك ب الحمد لله والشكر له، ذلك لأن الألم يولد لذة وشعورا بالفرح»³.

ليخلص صاحب رسائل النور في نهاية الحوار إلى نتيجة رائعة يقنع بها المريض ويجعلها نصب عينيه فيخفف من آلام المريض ويجعله في عداد الشاكرين لا الشاكين «إن الألم الناتج من يوم مرض مؤقت يوفر لذة معنوية لثواب أيام عدة فضلا عن اللذة المعنوية النابعة من الخلاص منه، فتذكر جيدا نتيجة المرض المؤقت الذي تعانیه وفكر في الثواب المرجو المنتشر في ثناياه، وتشبث بالشكر وترفع عن الشكوى»⁴.

حوار الأستاذ النورسي مع شيخ يرهب ركوب الزورق

1 سورة البقرة: 216.

2 النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، ص423.

3 النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، اللغات، ص293.

4 م ن، ص293.

بيروت.

مسلم بن حجاج، صحيح، دار ابن كثير، ١٩٩٣.

الزمخشري محمود، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

صليبا جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، ١٩٧٢م.

الزبيدي محمد مرتضى، تاج العروس، تحقيق محمود محمد الطناحي، دار التراث العربي، الكويت.

الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان داوودي، دار القلم، ٢٠٠٩/٤.

ابن منظور محمد، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

معجم اللغة العربية المعاصر على الرابط الآتي:

<https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%82%D9%84%D9%82>

كارينجي ديل، دع القلق وابدأ الحياة، تعريب عبد المنعم الزيايدي، مكتبة الخانجي، القاهرة.

النبراوي خديجة، مشكلات نفسية للإنسان، دار سوزلر، القاهرة، 2/2002.

إبراهيم عبد الستار، القلق قيود من الوهم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

لالاند أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب أحمد خليل أحمد، منشورات عويدلت، بيروت - باريس، 2/2001.

الصالحى إحسان قاسم، نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، 1/2010.

رسائل النور أنموذج متكامل لتقديم الإسلام إلى الإنسان المعاصر، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، اسطنبول، 2020.

عشراتي سليمان، المعنى القرآني في رسائل النور، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، 1/2009،

معن زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، 1/1986.

العزاوي أبو بكر، سعيد النورسي رجل الحوار والإقناع، مطبعة وراقه بلال، فاس، 1/2019.

وقد وضع الأستاذ النورسي في كثير من المواضع من رسائله خطورة القلق الذي من شأنه أن يقود الملحد إلى هاوية الانتحار فيكون من الخاسرين في الدنيا والآخرة، كما نبه صاحب الرسائل في الآن نفسه إلى أن المؤمن قد يصيبه من هذا البلاء نصب إذا لم يتسلح بالإيمان التحقيقي ويوثق علاقته بخالق الأرض والسموات راضيا وصابرا وشاكرا ومتوكلا. ويبقى القلق بنوعيه النفسي والمعرفي مهددا للإنسان عموما إذا لم يعي الإنسان بأنه كائن قلق فيستفيد من دافعية ذلك القلق في شعاب الحياة دون التخلي في الآن نفسه عن السعي للحد من القلق النفسي السلبي.

كما تجدر الإشارة إلى القول بأن الأستاذ النورسي يمتلك منهجا قويا في معالجته للمشاكل النفسية استطاع به الوصول إلى الكثير من الناس ومساعدتهم على التداوي، ذلك أنه منهج يقوم على روح حيوية وحيية واضحة يستمد منها قوة تأثيره ودقة معالجته للحالات المرضية أضف إلى ذلك ما اكتسبه الأستاذ في تجاربه النفسية من مهارة استبطانية تمكنه من الولوج بسهولة إلى أعماق النفس الإنسانية للنظر فيما يقلقها ويعكر صفوها فضلا عن توظيف تقنية جد مهمة في المعالجة النفسية وهي المحاور مع المريض والتي تأتي أكلها بجودة عالية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

النورسي بديع الزمان سعيد، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، القاهرة، 6/2014

كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، القاهرة، 6/2014

كليات رسائل النور، الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، القاهرة، 6/2014

كليات رسائل النور، اللمعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، القاهرة، ٦/٢٠١٤

كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، القاهرة، ٦/٢٠١٤.

كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، القاهرة، ٦/٢٠١٤.

البخاري، الصحيح الجامع، دار الحديث المصرية.

ابن فارس أحمد، مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للنشر والتوزيع،

2. التمسك الكامل لمعايير الكتاب والسنة في الأعمال والأحوال الشخصية، والالتزام الكامل بأحكامهما وأخلاقياتهما ومبادئهما التي لا تأتي إلا بخير جمة وبركات غزيرة،
3. تكوين الانضباط النفسي المستقر والتوازن الروحي التام تجاه تقلبات العصر وما يقع بين فينة وأخرى من الأحداث الجسام،
4. التخلق الخلق بالأخلاق الإسلامية الرفيعة في جميع الملابس والمناسبات.
5. التزود ببصيرة إيمانية من خلال ما يفيض على المرء من بركات الإيمان والإسلام وعمل الصالحات،
6. المقاومة الصلبة الشديدة تجاه ما يواكب المؤمن من خلال أحداث الحياة المعاصرة المرعبة المفزعة.
7. قراءة أحداث الكون وتصاريفه قراءة إيمانية رشيدة سديدة في ظلال الأسماء الحسنى وفهم مغزى تلك الأحداث على ضوء تجليات الأسماء الإلهية والصفات الربانية.
8. عدم الركون إلى زخارف هذه الحياة السائلة الزائلة وعدم الاغترار بزينتها ومغرياتها، والتجنب عن أدناسها وأرجاسها.

وسنوافي بمشيئة الله تعالى على التفصيلات اللازمة من خلال البحث.

الكلمات المفتاحية في البحث:

الوعي ، الإيمان ، أثر ، الأدلة ، الدليل ، القرآن ، وجود الله ، سعيد النورسي ، رسائل النور ، شخصية المؤمن ، الكفر .

تمهيد:

إن علماء الأمة الإسلامية بمنزلة أطباء نصحاء للأمة. فكما يداوي ويعالج الطبيب الناصح مرضاه بأقصى ما في وسعه من الأدوية النافعة والمعالجات المفيدة كذلك العلماء الربانيون يقدمون لأمة الإسلام أقصى ما يمتلكونه من المعالجات العلمية والدعوية لاسترشاد الناس إلى الطريق الأقوم والسبيل الأسلم في السلوك إلى الله. ولا شك أن لكل عصر مناهجه في التفكير ولكل عالم مواهبه في الدعوة إلى

الوعي الإيماني وآثاره في تكوين شخصية المؤمن عند النورسي

أ.د. محمد خليل جيجك

أستاذ الدراسات العليا
(قسم التفسير)
كلية العلوم الإسلامية
جامعة أنقرة يلدريم بيازيد
أنقرة - تركيا

بسم الله الرحمن الرحيم

(ملخص)

إن جهود النورسي كانت منصبة نحو تكوين وعي إيماني كامل لدى الإنسان المعاصر بما استهدف لغزوات فكرية شرسة وتشكيكات عقديّة كثيفة ويحاول تحقيق ذلك الوعي من خلال الحجاج والنقاش وإثبات جميع دعاواه الإيمانية بالأدلة المبنوثة في مختلف جنابات هذا الكتاب المنظور مستعينا في ذلك ومستضيئاً بشتى آيات الكتاب المسطور .

ويجهد النورسي رحمه الله نفسه ويتعب قلمه بما جمع من آلاف الأدلة المزبورة في جميع رسائله وسائر مؤلفاته. ومن خلال إلقاء نظرة إجمالية على حصيلة هذا الجهد المبارك يستبين أن النورسي كان يستهدف من تكوين هذا الوعي الإيماني المستتير لدى الإنسان المسلم تحقيق هذه النتائج التالية:

1. تكوين شخصية إسلامية متماسكة مقاومة لفتن العصر ومتصلبة تجاه أعاصير شكوك الإلحاد والإنكار ،

مختلف نواحي العلوم الإسلامية من أدب، وتفسير، وكلام، وأخلاق، ومنطق، وفلسفة، ونظرة اجتماعية سديدة، وتقويم بديع لما يجري على الساحة من الأحداث، وبالرغم من سعة زاده في التفكير والاستنتاج من الأحداث وغير ذلك فبالرغم من كل ذلك وبالرغم من أنه كان مقتدرا على تأليف نافعة مفيدة في مختلف جوانب الحياة وفي تقويم مختلف تلك الأحداث التي كان يعيش في غمارها لكنه لم يستهوه بريق تلك المجالات الفكرية التي لو أُلّف النورسي فيها لعد من عظماء الحكماء الفلاسفة بل نجده وجه جميع قصده وهمته، وكثف كافة سعيه وعمله على إثبات وجود الخالق أولا، وإثبات سائر المسائل الإيمانية والاستدلال والاحتجاج على صدقها وحقيقتها وأنها صواب محض وحق بحث من الاتجاه العقلي والمنطقي ثانيا، ومن ثم إثبات أن الإسلام بكافة أركان عقيدته، وعامة أحكام شريعته، وجميع جوانب حياته هو دين الله الحق الوحيد ورسالة الله الأخيرة الصادقة الحقة إلى البشرية عامة ثالثا. ومن هنا كان للنورسي في هذا المجال جولات وصولات خاصة ربما لا تجدها بهذه الكثافة وهذا الإلحاح والإلحاف، ولا تجده بهذا المستوى الرفيع من الإقناع المنطقي والإمتاع العقلي عند غيره من العلماء والدعاة عبر التاريخ الإسلامي كله فهو طيب الله ثراه ملاً فجوة واسعة وسد هوة فسيحة كان أعداء الدين والعقيدة نقبوها وفتحوها بحيث سهل على أعداء الإسلام والإنسانية أن يدخلوا منها على حريم الإسلام ويلوثوا كرامته وينسوا عرضه النقي فوقف النورسي في وجه تلك الهجمات ثابتا لا يتزعزع وصامدا لا يترنح. وكل ذلك لأن الإنسان ابن يومه. فالشيخ النورسي كان ابن يوم عسير من أيام الإسلام فتأهب لتلك العسرة أهبتها وأعد لها عدتها، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

إن الشيخ النورسي رحمه الله حصّل بهذا الجهد الإيماني الدؤوب والسعي العقائدي الحثيث نتائج ملموسة في واقع حياة المسلمين، وكوّن بذلك وعيا إيمانيا قويا رفيعا أنتج نتائج طيبة وأبرز آثارا قوية لها ما لها من الثمار الكريمة والفوائد العميمة. فلنخلص ضمن هذه الكلمة العجلى ما حاول النورسي أن يبثه بين صفوف المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من الوعي الإيماني الرفيع ومن أثره الحميدة الطيبة فيما يلي:

1. تكوين الوعي الإيماني الرفيع

إن الشيخ النورسي كان على وعي تام -لما يتمتع به من بصيرة نافذة وقرحة وقادة- بما يجري على ساحة العصر في العالم الإسلامي عقب الحربين العالميتين وأثر الثورة الصناعية، وخصيصا عقب اندلاع الثورة البلشفية في روسيا من تقلبات في الرؤى، والأفكار، والمعتقدات، ومقاربة الأحداث، وكان يرى عن كثب ما يدب إلى البشرية من ديبب الإلحاد والجحود. فأخذ يتأهب لها، ويعد لها عدتها. فكان يصرح حتى يفهم القاصي والداني أن الدين (الإسلام) حياة للحياة ونورها وأساسها وأن إحياء الأمة إنما

الله فكم من عصر له ثقافته الخاصة وله مستواه المحدد من التفكير والعلم والعرفان لا يوافق العصور الأخرى، كما أن لكل عالم نهجا خاصا و سبيلا مخصوصا يخالف الآخرين. ولا يمتري عاقل ان هذه العصور الأخيرة بدأ من عصر الثورة الصناعية أو عصر التنور - على حد تعبيرهم - أتى بانقلابات جذرية في التفكير والرؤى ومقاربة الأحداث وتقويم الوقائع. وأهم ميزات عصور ما بعد التنور هو التقويم الوضعي والرؤى الجحودية والمقاربة الإلحادية في جميع ما يمسه العقيدة وكافة ما له صلة بالنظر إلى الكون والخالق، كما أن من أبرز ميزات هذه النظرة (وسنذكرها فيما بعد بالنظرة المعاصرة) الكبر والبطر والاستنكار والاستكبار تجاه توجيه أحداث الكون بطبيعة وجودها إلى خالق الكون ودلائها عليه. فتقافة هذه الحقبة الزمنية - بأهم ميزاتها وفي غالب أحوالها وأقسامها- ثقافة ملحدة كافرة، ونظرتها إلى أحداث الكون وتصاريفه وتدبيره نظرة ملحدة جاحدة. وهذه النظرة الملحدة سرت إلى معظم أقطار العالم وبلاده وأقاليمه. والرقى الذي تحقق في كثير من مجالات الحياة سبب في غطرسة وكبر وعجب غريب لدى الناس بحيث صارت هذه الغطرسة خصيصة فارقة للناس المعاصرين في جل أمورهم، ومناسباتهم، وملابساتهم. كما سببت إلى جانب انخلاع غالبيتهم عن المعتقدات الدينية انخلاعهم عن معظم قيمهم الإنسانية، ومبادئهم الأخلاقية، وأواصرهم الأسرية، بسبب انخلاعهم من العقيدة والكثير من الأسس الأخلاقية. وكوّن أبناء هذه الحقبة الزمنية لهم قوالب فكرية ومبادئ ثقافية بحيث أن كل ما يخالف تلك القوالب الفكرية أو يصاد رؤاهم الثقافية إلى الكون والأحداث فهو مردود منبوذ لا وزن له عندهم وليس له أي اعتبار.

وتجاه أمثال هذه التطورات السيئة الغير المتوقعة يتوجه إلى الناس عامة وإلى المسلمين خاصة ويتوجب أن يأخذوا حذرهم، ويتخذوا التدابير اللازمة للحد من تقشي منابع السوء والفساد في المجتمع إذ لا ريب أن أهم وأعظم منابع السوء والظلم والبربرية والوحشة والقسوة في المجتمعات القديمة والحديثة هو الكفر والإلحاد والتخلي عن القيم الأخلاقية لاغير. ومن جراء ذلك اتخذ علماء المسلمين وخصيصا علماء أصول الدين أصلا علميا بنوا عليه الكثير من الأعمال العلمية وهي أنه إذا ضعفت ناحية من نواحي العقيدة الإسلامية في أي بلد ما يجب على أهل ذلك البلد أن يتزودوا من المسائل العلمية والأدلة المقنعة والحجج القوية ما يدفعون به الضعف والخور في ذلك الجانب ويتبنتوا لعقلاء الناس أنه حق وصدق¹.

فانطلاقا من كل ما مضى نجد الشيخ النورسي طيب الله ثراه بالرغم من وفرة زاده العلمي في

1 راجع: الغمراوي محمد الزهري، السراج الوهاج على متن المنهاج، تحقيق عبد الغني مستو، المكتبة العصرية، بيروت 2008\1428، ص 502.

الإيماني الرفيع وآثاره الحميدة في حياة الفرد المؤمن والمجتمع المؤمن. علما منا أن أخطر ما يقاسيه الأمة الإسلامية في العقود الأخيرة هو الخلل العقلي والدغل التفكيرى والفساد العقدي والضعف الإيماني والسفالة الأخلاقية التي لها ما لها من النتائج السيئة السلبية، والآثار المفسدة المدمرة في حياة الفرد المسلم، والأسرة المسلمة، والجماعة المسلمة، والمجتمع المسلم من مختلف الجوانب.

1- تكوين شخصية إسلامية متماسكة مقاومة لفتن العصر ومتصلبة تجاه أعاصير شكوك الإلحاد والإنكار

إن من أهم ما يعتني به النورسي في خطابه الدعوي عبر رسائله هو تكوين شخصية إسلامية متماسكة قوية تستطيع أن تقاوم مغريات العصر من الشهوات والأهواء والذنوب والمعاصي. ولا جرم أن الطريق الوحيد للوصول إلى ذلك في هذا العصر المتميز بالإلحاد وفصل الدين عن الحياة وانتشار الثقافة الإلحادية في معظم الأوساط البشرية، وطغيان الأهواء والشهوات والنزوات على العقول والمدارك هو الإيمان الراسخ المعتمد على دعائم الحجاج والافتتاح القائم على الاستدلال والخطاب المنطقي الواضح. وهو ما يصرف الشيخ النورسي عليه معظم جهوده الدعوية وهو القسم الغالب من مضامين خطابه في كافة كتاباته أيضا. وللنورسي في هذا السياق عطاء بالغ وثرى شامل، وهو في ذلك كالمنبع الفياض يفيض بآلاف الحجج الدامغة والدلائل القاهرة. يقول رحمه الله في هذا السياق: يوجد في زماننا هذاحالتان مرعبتان مدهشتان:

الأولى: إن مشاعر الإنسان الحاضر التي تؤثر لذة حاضرة بوزن درهم على أنقال من اللذة المؤجلة تغلبت على التفكير وعلى المنطق السليم. ومن هذا إن طريق تنجية أرباب السفاهة والغواية من سفاهتهم وضلالهم هو الغلبة على مشاعرهم الحسية بإقناعهم وإرائتهم أن في نفس تلك اللذة آلاما¹ مريرة قد أشار إلى طرف منها قول الله سبحانه: **﴿الَّذِينَ يَسْتَجِبُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾** [إبراهيم: 3] فيذهب النورسي يستنبط من إشارات الآية معنى لطيف وعلى ضوء ذلك المعنى اللطيف يشبه اللذائذ الدنيوية الحاضرة بقطعات الزجاج الذي هو متاح للانكسار كل وقت، ويشبه نعم الآخرة ولذائذها بالماس. ويمضي يقول: إن الطريق الوحيد للخلاص من إيثار هذه اللذائذ الفانية الزائلة على النعيم السرمدي الدائم ولخلاص المؤمنين من خطر حب الدنيا ومتابعة أهل الأهواء هو إرائتهم وإقناعهم بما في هذه الحياة قبل الآخرة من الآلام المريرة

1 المصدر السابق ص 6.

يكون بإحياء الدين. والإسلام هو الذي أدرك هذا، وأن رقي أمتنا إنما يكون على درجة تمسكها بدينها، وأن انحطاطها يكون على درجة إهمالها لدينها بخلاف الأديان الأخرى.¹ فأمثال هذه الخطابات كونت لدى المطلعين عليها وعيا إمانيا وثقة نفسية وبصيرة في الرؤية.

كما كان يرى ما يأتي به تطورات العصر من الغرور والغطرسة والإلحاد والجحود في مجال المعتقدات الدينية عامة والإسلامية خاصة، وكان يرى أن الملحدون بكافة أطرافهم من الاشتراكيين والشيوعيين إلى الليبراليين والعلمانيين كيف يصلون بشدة وقوة على المعتقدات الدينية بحذافيرها يستخدمون في ذلك كافة ما لديهم من الإمكانيات العلمية، والقوى السياسية، والآليات الفكرية مع استخدام ما يتأتى لهم من وسائل العنف الفكري والمادي بدون هواده ويشككون في كل ما يمت للدين عامة وللإسلام خاصة بصلة. فكان الشيخ الملهم الشيخ النورسي يشاهد جميع ذلك وما ستأتي به في المجتمع الإسلامي من الويلات والثبور يرى ذلك بنظراته المستقبلية فأخذ يحسب لها حساباتها، ويتجهز لها بما في وسعه من آليات الدفاع عن الدين الحنيف الفكرية والعلمية والأخلاقية دون أن يتشبث بأي شيء من المواجهة الفعلية لأي شيء منها. وكان الشيخ الملهم يرى أن أقوى ما يمكن أن يدفع شدة هذه الموجة الإلحادية العارمة عن العالم الإسلامي هو الدفاع العلمي والفكري عن الإسلام وإثبات حقائق الإسلام بالحجاج المنطقي السليم فيقول لأبرهنن للعالم أن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها². فمن هنا كان النورسي يحاول بجميع ما أوتي من قوة وطاقة في جميع رسائله وسائر كتاباته أن يثبت بالحجاج العقلي والاستدلال العلمي الهادئ أن في الإيمان جنة معنوية، وفي الكفر جهنما معنوية، وأن في الحسنات والأعمال الصالحة والعمل بحقائق الشريعة لذائذ معنوية تضاهي لذائذ الجنة، كما أن في المعاصي والذنوب واللذائذ المحرمة آلاما معنوية.³ وهذا هو ما يتطلبه إنسان العصر الحاضر. إذ تقدم الإنسان في شتى المجالات العلمية والفلسفية والتكنولوجية جعله يتغطرس ويتكبر تجاه ما لا يوافق هواه الفكري.

وسنحاول بدورنا أن ننتاول في هذا البحث الأعجل ما يكونه النورسي عبر رسائله من الوعي

1 النورسي سعيد، السيرة الذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، الطبعة الأولى، إستانبول 1998\1419، مع تصرف، ص 91.

2 النورسي، السيرة الذاتية، ص 66.

3 Nursî Said, İman ve küfür Muvazeneleri, Envar Neşriyat, İstanbul 2013, s.6

وبيان وإثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم إثباتا مدعما بالحجج الرصينة والبراهين الواضحة تحمل أهمية كبيرة جدا.¹ ولذا يرى الشيخ النورسي أنه ينبغي أن يكون (إثبات) الحقائق الإيمانية أول مقصد وأسبغ في هذا الزمان وأن تكون الأمور الأخرى في الدرجة الثانية والثالثة والرابعة.²

وهذه أمور مهمة لها دور كبير في تكون الشخصية الإسلامية القوية المتماسكة المتوازنة. وكان من جملة أديته الخاصة: اللهم اجعلنا من أهل السعادة والسلامة والقرآن والإيمان.³

وحيثما يسعى النورسي لذلك له في أسلوبه الكلامي وصياغته البيانية ميزة لا تجده عند الآخرين حيث إن النورسي رحمه الله كان يتمتع بنسبة عالية من الإشراق الروحي والعرفان الرباني وانعكس ذلك على معظم كتاباته. وكان جملة من فمّن أبرز ما تجده في أسلوبه البياني أنه ركبه تركيبة خاصة لم نجدها عند الآخرين وهو المزج بين البيان العرفاني النابع من إشراقه الروحي ذلك البيان الذي انعكس عليه من قرائته العرفانية لثتى صفحات الكون وأحداثه ووقائعه وبين البيان العلمي الذي انعكس عليه من علمه الغزير. فالنورسي حينما يريد أن يثبت الكثير من الحقائق الإيمانية يقرأ الكون في ظلال الأسماء الإلهية والتدابير الربانية.⁴ وهذا ما يضيف على كلامه صبغة عرفانية وميزة تامة من آثار الإشراق الروحي الذي إنما يناله الصفوة الخالص من عباد الله.

2- التمسك الكامل بمعايير الكتاب والسنة:

إن الإسلام لم يأت لتصحيح عقيدة مجردة من واقعات الحيات والتزاماتها شأن بعض الأديان الأخرى بل جاء أخذًا بمجامع الحياة كلها بين ذراعيه الحائنين. صحح القيدة أولاً ثم نزل إلى سائر نواحي الحياة وشعبها المختلفة المتنوعة يوجهها وينظمها ويرتبها وينسقها ويفصلها ويقسمها ويشرح لها. فبمختصر القول إن الإسلام جاء من أول يوم نزل لينشئ حياة جميع بني البشر جميعا لا فرق بين عربي وعجمي ولا بين فقير وغني: **﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾** [الأعراف: 158] وحتى لا يبقى توجيهات الإسلام الحكيمة معلقة بين الأرض والسماء بلا واقع تطبق فيه كان لابد أن يكون بين ظهراني الناس أسوة واقعية يقتدي

والبؤس والشقاء.¹ وبهذا يشير النورسي إلى أن طريق اكتساب الشخصية القوية إنما هو بالإقناع من طريق الحجاج والاستدلال.

الحالة الثانية: إن في دنيانا المعاصرة عم الكفر المطلق وطم كما انتشر في يومنا هذا الكفر الجحودي العنادي الذي نشأ من بعض ممارسات العلوم الرياضية فاشتد تمرد صاحبه واشتد عتوه وعصيانه في وجه الحق. وكل هذا يتطلب مزيد الاعتناء وبالغ الاهتمام باثبات القضايا لإيمانية بحجج علمية قوية حتى يتأتى لنا كسر شوكة هذا الكفر وكسر عوده إريا إريا.² هذا ما يراه النورسي الشيخ الملمه في رؤيته إلى دنيا المسلمين في العصر الحديث مضيفا إلى ذلك أن مهمته الأساسية هي خدمة القرآن الكريم والوقوف بصرامة وحزم في وجه الكفر المطلق الذي يودي بالحياة الأبدية، ويجعل من الحياة الدنيا سما زعافا وجحيما لا تطاق. والمنهج الفريد في ذلك إظهار الحقائق الإيمانية الناصعة المدعمة بالأدلة والبراهين القاطعة التي تلزم أشد الفلاسفة والمتزندقة تمردا على التسليم.³ فجميع جهود النورسي المنصبة على إثبات العقائد الإسلامية إنما تستهدف في نهاية المطاف تكوين شخصية إسلامية متماسكة قوية. وذلك بسرد الأدلة العقلية والنقلية، وبيان العواقب السيئة للكفر والمعاصي، والمقارنة بين نفسية المؤمن ونفسية الكافر، وغير ذلك مما هو ماثوث عبر جميع كتاباته. فمثلا إن الأستاذ النورسي رحمه الله ذكر أهمية الصلاة،⁴ وفوائد الإيمان بالله،⁵ والإيمان بالغيب،⁶ وما يكسبه الإيمان للقلوب المؤمنة من طمأنينة وسعادة وسكينة وشرح فوائد العبادة وبركات التقوى في حياة المرء المؤمن ووقع على مكانتها العظيمة وتأثيرها البالغ العميم في الحياة الإنسانية في مواضع متفرقة من رسا⁷، وخصص لها البعض من مقالاته وكلماته والكثير من كتاباته. وللنورسي انطلاقة أخرى إذ يرى من اللازم الضروري أن يفسر القرآن الكريم وفق متطلبات العصر وإلجأته. ومن هنا يرى أن إيضاح

1 نفس المصدر السابق.

2 انظر المصدر السابق ص 10-9.

3 النورسي سعيد، السيرة الذاتية، تعريب إحسان قاسم صالح، دار سوزلر، الطبعة الأولى، إستانبول 1998-1419، ص 390.

4 انظر مثلا: المصدر السابق، ص 21-20.

5 انظر مثلا: المصدر السابق، ص 33-30.

6 انظر مثلا: المصدر السابق، ص 16-14.

7 انظر مثلا: المصدر السابق، ص 40-35.

1 النورسي ، السيرة الذاتية، ص 428.

2 النورسي ، السيرة الذاتية، ص 309.

3 المصدر السابق، ص 40.

4 انظر مثلا: المصدر السابق، ص 65-62.

ويتوجه قلبه من (فيض) هذا التذکر إلى الشارع الحقيقي فيجد نوعا من (لذة) العبادة والسكينة.¹ إن الشيخ النورسي وإن لم يستعمل بعض مصطلحات علم النفس وقوالبه وقواعده لكنه يفيد ذلك قريبا من التصريح إذ بكلا ذينك التصور والتذکر ينطبع في نفسية المرء المؤمن الإيمان وامتداداته المعنوية ويتكون لدى المؤمن شخصية إيمانية قوية لأنه يكون المرء بذلك على تواصل نفسي وترابط روحي مع معالم الإسلام الكبرى. ثم يواصل النورسي في إيقاعاته البالغة على ما لمتابعة السنة في حياة المسلم من مكسب ومكانة عظيمة فيقول: بناء على هذا السر العظيم إن من جعل متابعة السنة النبوية دأبا ودينا له فإنه (يكتسب ربحا عظيما ونفعا عميما إذ) يحول عاداته إلى العبادات ويجعل جميع أيام عمره مثمرا مأجورا.²

وللشيخ الملهم الأستاذ النورسي أساليب متنوعة لها إيجابيات مختلفة في التأكيد على أهمية متابعة السنة: يرى النورسي أن السنة السنوية كلها أدب لا يوجد أي جزئي منها إلا وتحته أدب (إنساني) ونور (رباني) لأنه صلى الله عليه وسلم أفصح عن ذلك بقوله أدبني ربي فأحسن تأديبي. إن من تنبه للسيرة النبوية وعلم السنة السنوية يعلم جازما أن الله سبحانه جمع في حبيبه المصطفى أنواع الأدب³ الإنساني الرفيع فمن ترك اتباع السنة ترك الأدب وحرّم من كثير من الألفاظ⁴ والفيوضات والخير والبركات.

فهذه القيسات التي قبسناها واللقطات الطفيفة التي التقطناها من كتابات النورسي في موضوع متابعة السنة التي هي قطرة من ديمة أو رشفة من غديرة تعبر عن اعتناء النورسي البالغ بمتابعة السنة النبوية وتشعر أن عند النورسي جهدا خاصا في تكوين وعي إيماني راسخ حول النظرة إلى السنة النبوية وأن النورسي أنه لا يمكن أن يتكون شخصية إيمانية قوية بدون الاهتمام بالسنة ومتابعتها. ونرى من خلال ذلك أن الشيخ النورسي رحمه الله يرى، ويعلم، ويعلن على رؤوس الأشهاد بين جميع الخلائق أن من لم يهتم بسنة المصطفى لا يمكن أن يتكون له شخصية إيمانية قوية، وأن من ترك متابعة السنة حرم من كثير من الخير والهدى والتقى، وأن متابعة السنة هي البوابة الوحيدة التي يصل المرء منها بالله سبحانه. كما يرى النورسي أن السنة النبوية (بآثارها وبركاتها وفوائدها وثمراتها) هي النموذج الساطع

1 نفس المصدر.

2 نفس المصدر.

3 المصدر السابق، ص 54.

4 نفس المصدر.

به الناس في صبحهم وعشائهم في جميع ملابساتهم الشخصية والاجتماعية ومن جراء ذلك كان من ضروريات الحياة أن يكون النبي بشرا سويا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: 721] وقال جل في علاه: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلْنَبَّسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: 916] فهذا الرسول البشر جاء ليعلم الناس دينهم ونظام حياتهم. وبعد ذلك صار تعاليم الكتاب وأعمال الرسول بوصلة كريمة للناس في محياهم ومعاشهم وصارت مراعاة تلك التعاليم القرآنية والأعمال المصطفوية في الأعمال والأحوال الشخصية، والالتزام الكامل بأحكامهما وأخلاقيتهما ومبادئهما معيارا حكما وقسطاسا مستقيما في تقويم المؤمن من خلال ما يطبقه من رعاية أوامر الكتاب والسنة التي لا تأتي إلا بخير جمّة، وبركات غزيرة.

فمن جراء ذلك إن الشيخ النورسي رحمه الله يؤكد تأكيدا بالغا على أهمية متابعة السنة النبوية في حياة العبد وكان من أهم ما يحرض عليه هو اتباع أوامر الكتاب والسنة وخصص له رسالة خاصة باسم مراقبة السنة. فكان من أكبر وأعظم أهداف الشيخ النورسي هو نشر روح متابعة الكتاب والسنة إذ يقول أن اتباع السنة له أهمية على الإطلاق وعلى الخصوص حينما تستحوذ البدع على شؤون المسلمين فلاتباعها أهمية أخص¹ ثم يستمر النورسي انطلاقا من اقتناعه الشخصي لأهمية السنة في حياة المسلمين قائلا إن المتابعة لأدب صغير من آداب السنة السنوية تشعر بوجود جانب هام من التقوى وتدل على قوة إيمانية لأن متابعة السنة مباشرة تذكر بشخصية رسول الله. وهذا التذکر لرسول الله ينقلب إلى سكينه ربانية² ولذة روحانية يجدها المرء المؤمن بمتابعة السنة المصطفوية في ملابساته اليومية وعبر ممارساته الشخصية. وهذا يأتي بخير عظيمة لدى المؤمن ويسبب له وقاية عظيمة من التردّي في مهاوي الكفر والضلال. يمضي الشيخ النورسي في الإفصاح عما لمتابعة السنة النبوية من الخير والبركة قائلا: إنه تنقلب بمتابعة السنة الملابس الاعتيادية البسيطة والأعمال الفطرية الطبيعية كالمأكل والمشرب والمنام إلى العمل الشرعي والعبادة المأجورة عليها. لأنه يتذکر في ذلك العمل الاعتيادي اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ويتصور أن ذلك العمل الاعتيادي أدب من آداب الشريعة الإسلامية، كما يتذکر أن المصطفى عليه صلوات ربي وتسليماته هو صاحب الشرع ومبلغه،

1 Nursi Said , Lem'alar, Envar Neşriyat, İstanbul 2014, s. 49-50

2 المصدر السابق، ص 50.

على إثبات أن تحقيق انضباط نفسي تام وتوازن روحي كامل إنما يمكن بإيمان راسخ منبثق من اقتناع نفسي وطمأنية قلبية وسكينة روحية بين عامة المسلمين. فبين للناس من خلال مختلف كتاباته وخطاباته أن مقتضى رحمة الله التامة العامة الشاملة الكاملة أن تكون الشرائع والسنن والآداب والأخلاق التي أنزلها على رسوله وأمره بتبليغها وتطبيقها على أفضل درجات العطاء والغناء في تحقيق التوازن الروحي والانضباط النفسي للناس.

ومن جراء ما هنالك إن الشيخ النورسي يحاول بكل جهده وقواه أن يبين للناس ما يأتي به الإسلام جملة، وأوامره ومنهياته تفصيلاً من الفوائد الجملة والمصالح العظيمة التي إنما بها فحسب يفوز المرء المؤمن بالاتزان الروحي والانضباط النفسي فيذكر لذلك أدلة كثيرة، ويؤكد له منطقاً رشيداً وقولاً سديداً بما يأتي به من المقارنات المنطقية السديدة بين نفسية المؤمن ونفسية الكافر. ولا ننسى أن خطاباته في هذا الطرف خطابات متعددة الجوانب إذ لها جوانب علمية، وجوانب دعوية، وجوانب حكمية، وجوانب نفسية، و... إلى آخر. يقع بين فينة وأخرى من الأحداث الجسام، ذلك كتاباته وخطاباته المتعددة.

4- قراءة أحداث الكون وتصاريفه قراءة إيمانية رشيدة سديدة في ظلال الأسماء الحسنى وفهم مغزى تلك الأحداث على ضوء تجليات الأسماء الإلهية والصفات الربانية.

إن الله سبحانه ركب في خلقه الإنسان تركيباً عجيبة لم يفز بها فيما نعلم من بين مخلوقات الله ذوات الشعور والإدراك كالملائكة والجن والإنس سوى الإنسان إذ جعل له كيانه مادياً وكيانه معنوياً، وجعل له كيانه محسوساً ملموساً وكيانه مستوراً خفياً، وجعل له خصائص ظاهرة وخصائص باطنة، وجعل له ظاهراً وباطناً، وجعل له شعوراً ظاهرياً وشعوراً باطنياً. كما جعل ببالغ حكمته وعجيب قدرته لكل من تلك الكيانات والخصائص المتقابلة المتخالفة مميزات يتميز بها كل من الآخر، ووسائل بها تتكشف أو يعلم وجوده أو بها يكون فاعلاً عاملاً وبدونها يكون خاملاً عاطلاً.

فمن أهمها أنه سبحانه جعل للإنسان كيانه روحياً غيبياً لا ينكشف إلا بالرياضات البدنية والروحية والعبادات الدائمة المستمرة. وبانكشاف ذلك الكيان الغيبي الماورائي للإنسان يفتح أعين الإنسان في هذا الكون فيرى ما لا يراه الآخرون ويقرأ قراءة غير قراءة الآخرين. وهذا الوضع الغير المعتاد والذي يمكن أن نسميه بـ«الإشراق الروحية» إنما يوصل إليها عبر رياضة نفسية شاقة وعبادات مستمرة فإذا حصل هذا الوضع للإنسان يرى فيما حوله من الموجودات ما لا يراه الآخرون، ويفهم منه ما لا يفهمه الآخرون، ويدرك من أحداث الكون وتقلباته من العبارات والإشارات ما لا يدركه الآخرون، ويستخرج من تصاريه الكون من الدروس والعبر ما لا يستخرجه الآخرون.

والممثل اللامع للرحمة الإلهية.¹ ومن أراد أن يستبين نظرة النورسي إلى السنة فعليه بقراءة مرقاة السنة التي جمع فيها معظم مقولات النورسي وكتابات حول السنة، ومكانتها، وبركاتها، وآثارها، وعوائدها، وفوائدها في الواقع المعيش في حياة المسلمين.

3- تكوين الانضباط النفسي المستقر والتوازن الروحي التام تجاه تقلبات العصر وما يقع بين فينة وأخرى من الأحداث الجسام،

إن من أهم ما يتسم به الوعي الإيماني الرفيع الذي يحاول النورسي أن يحققه من خلال جهوده الدعوية ومن خلال خطاباته الإيمانية، وكتاباته الاستدلالية هو أن يتكون لدى قارئ كتابات النورسي وخطاباته بما يستلهمه منها من مختلف الدلائل والبراهين التي هي في وجه الكفر الجحودي كالبراهين حالة روحية متزنة وانضباط نفسي مستقر تجاه تقلبات العصر واضطرابات العقيدة التي يبتئس منها معظم الناس وخصيصاً ضعاف العقول والعقيدة وخفاف الكيس والحقيبة من الزاد العلمي والرصيد المعرفي. نعم! يشاهد كل ذي بصر وبصيرة أن مغريات النفس والأهواء التي تجعل النفس في ميادين المنهيات والشهوات، وفي مجالات الأهواء والهوسات راضية لا تدفع، وجامحة لا تكبح جعلت الإنسان المعاصر في دوامة من الاضطرابات النفسية والقلق والاكتئاب وعدم التوازن الروحي. وهو يشكل أكبر مشاكل الإنسان المعاصر. إضافة إلى الاضطراب الذي يعيشه على مستوى العلاقات الأسرية والاجتماعية وإدارة الممارسات الاقتصادية كالإسراف والتبذير والنبخل وكتسلط سفهاء الناس على رقاب الأموال وتسلط ظلمتهم على رقاب العباد فهذه وأمثالها من المشاكل الفردية والأسرية والاجتماعية أفسدت التوازن الروحي والاستقامة النفسية لإنسان اليوم، وأثرت تأثيراً بالغاً في تفكك الأسرة بحيث تكاد الأسرة أن تكون قصة انتهت وحكاية مضت. فلا بد من معالجة شاملة وكاملة تعالج هذه المشاكل معالجة الآسي الحكيم والطبيب النطاسي الفهيم. وهو إنما يتحقق على هدي الله الذي خلق الإنسان وخلق جميع ماله من الأحوال والأعمال والأفعال، فعلم كل صغيرة وكبيرة مما يصلحه أو يفسده، ومما يضره أو ينفعه، ومما يستقيم له أو لا يستقيم ووضع على أساس إصلاح تلك الحالة الطارئة التي فيها كل الخلل والدغل وإزاحة جميع أسباب الدعارة والفساد العقائد القويمة والأوامر الحكيمية والشرائع المصلحة والقوانين المسددة والقواعد الجامعة لجميع معاني الخير والبر بالإنسان فرداً وأسرته وجماعته ومجتمعاً. فكان العلامة النورسي على بصيرة تامة من جميع هذا فصرف قواه العلمية وطاقاته النفسية

1. Nursi Sait, Lem'alar, Envar Neşriyat, İstanbul 2014, s. 102

وتصاريه، وذراته إلى مجراته في ضوء اسم الله «النور»¹ وهكذا يستمر النورسي في شرح قرآنته للكون في ظلال معظم الأسماء الإلهية المتنوعة في كتاباته المتعددة المتنوعة المتفرقة. وليس ذلك إلا مما يستولي على جميع كيان النورسي من الإشراق النفسي و العرفان الروحي والفيض الرباني حيث يعلم من كتاباته وأنواع شرحه وبياناته أن النورسي لا يرى في مختلف صفحات الكون وأحداثه، وتصاريه، وتدابيره إلا ظلال وآثار أسماء الله الحسنى وصفاته العليا فيعلم من ذلك أن النورسي قريب بذاك مما يسمى عند الصوفية بمرتبة «وحدة الشهود» إذ يشهد بشهادة كتاباته وخطاباته في كل شيء آثار علم الله، وحكمته، وعظمته وقدرته.

وهكذا نرى أن النورسي ينفخ في روحانية المؤمن بما كتب ورتب وشرح وأوضح من دلائل التوحيد وبراهين الربوبية وعيا إيمانيا رفيعا يمتلك خصيصتين هامتين وميزتين خاصتين قلما تجتمعان عند أحد. إحداهما أن كتابات النورسي في هذا الصدد في أعلى المستويات العلمية فحوى ومضمونا. وثانيتهما أنها في أعلى المستويات البيانية إقناعا وإلزاما. وهاتان الخصيصتان هما اللتان جذبتا إلى كتابات وخطابات النورسي آلاف القلوب والعقول وجعلتا تلتق حول رسائله في الشرق والغرب مآت الألوف.

وما كونه النورسي من هذا الوعي الإيماني الرفيع أنتج آثارا عظيمة في نهاية الأهمية وغاية نباهة الشأن. وقد لمسنا فيما سبق البعض منها بالشرح والبيان لمسات خفيفة لطيفة مثل لمسة نسيم الصبا أو أخف. وليس هذا فقط بل أنتج هذا الوعي الإيماني الرفيع الذي كان النورسي يستهدف منه تكوين جيل قرآني فريد بل كان يستهدف إصلاح الإنسانية جمعاء لو وجد أدنا صاغية وقلوبا واعية أنتج آثارا حميدة ونتائج رشيدة أخرى غير التي سبقت. وهيا بنا نجملها فيما يلي. إن الوعي الذي يكونه كتابات النورسي وخطاباته إذا استقر في القلوب، وسكنت له النفوس، واطمأنت به العقول يولد لدى المرء من الآثار الحميدة والاتجاهات السديدة والثمرات المباركة آثارا كثيرة تستولي على كيان المرء فتأخذه من حقيقته وتجذبه بضمعيه وتجعله:

1. في وسط الصراط المستقيم بالتحلي بفضائل الأعمال، وصالح الأحوال، والافتداء بأهل الصلاح والنجاح.

2. ويجعله هذا الوعي على مستوى عال من التقوى ومراقبة الأخرى بحيث لا يركن إلى زخارف

1 النورسي سعيد، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، الطبعة الأولى، إستانبول 1992\1412، ص 211-220.

فكل هذه الأمور هي ما نراه ملموسا محسوسا في قراءة النورسي للكون عامة ولما حوله من بعض الكوائن خاصة. ومما كان النورسي يتمتع به من تلك الإشراق الروحية المستمرة في معظم أوقاته كان له في عامة أحداث الكون وتصاريه قراءة خاصة غير قراءة الآخرين، وكان له في مسيرته الروحية ومطالعته النفسية استنباطات خاصة غير استنباطات الآخرين، ومقاربات غير مقاربات الآخرين. إنك ترى النورسي وهو يتعجر في مناجاته التي أوردتها في بعض خلواته بعبارات وأساليب ملؤها التفكير والتدبر الذي ينم عن تغلغل النورسي في أبعد أغوار الكون ملتقما ما في تلك الأبعاد البعيدة من دلائل الوجدانية وبراهين الصمدانية.¹ فمثلا حينما ترى النورسي يقرأ الكون في ظل اسم الله «القيوم» مستطردا من خلال تلك القراءة المشرقة إلى آثار أسماء الله الأخرى يأخذك العجب كل مأخذ وتستولي على جميع كيانك الدهشة والحيرة، يشرح ذلك في قرابة عشرين صفحة بكلام علمي رصين وأسلوب علمي حكيم.² يتغلغل النورسي إلى أعماق الكون وإلى أدق الموجودات وأصغرهما ملتقما من خلال ذلك الكثير من حقائق التوحيد الإلهي وخصيصا تجليات الاسم الذي هو بصدده بيانه وشرحه وهو اسم «القيوم» الذي يسري في الكون سريان الروح في الجسد.³ فهو يرى بما يستحوذ على جميع كيانه من الإشراق الروحي أن جميع الأشياء وخصيصا كافة ذوي الحياة كلمة ربانية في غاية الأهمية، ورسالة صمدانية، وقصيدة ربانية، وإعلان إلهي، ومجال لقراءة عامة ذوي الشعور...⁴ إن النورسي حينما يقرأ الكون في ظلال الأسماء الإلهية يكون كبركان عظيم يتعجر بجلاميد عظيمة وصخور كبيرة من بحر حقائق التوحيد، لا يهدأ، ولا ينطفئ، ولا تسكن ساكنته. كما يرى أن الإنسان ذلك الكائن الصغير مع علمه القليل وقدرته الضئيلة وملكه الظاهري فحسب وإرادته الجزئية، وبنائه لمنزله مرآة لملك، وقدرة، وصنعة، وإرادة صانع هذا الكون وبنائه... إذ يرى ذلك الإنسان بما في نفسه مما سبق نقوش الأسماء الإلهية المتعددة كلا على حدة.⁵ وكمثال آخر لذلك إنه رحمه الله خصص الكلمة السادسة عشرة لقراءة الكون قراءة متأنية بأحداثه

1 انظر: النورسي، اللغات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، الطبعة الأولى، إستانبول 1993\1413، ص 458-515.

2 انظر: المصدر السابق، ص 341-356.

3 انظر مثلا المصدر السابق، ص 341، 343.

4 المصدر السابق، ص 345.

5 المصدر السابق، ص 354.

ورسالة «معراج السالكين» نفس الأسلوب الذي اتبعه الشيخ النورسي في مؤلفاته.¹

بدلاً من الخاتمة

إن النورسي نسيج وحده في العلوم الظاهرة والعرفان الباطني والإشراق الروحي والتطور العقلي و البصيرة القلبية. وإلى جانب هذه الثراء المعرفية كان للشيخ النورسي اليد الطولى في الرؤية المستقبلية فيما يسير المجتمع نحوه في غمار أحداث القرن العشرين وتقلباته التي تتكون وتتغير في أقرب من لمح البصر. فرأى ببصيرته المستنيرة أن الإلحاد المطلق أخذ يكشر أسنانه على معظم المجتمعات. فجعل النورسي يعد له عدته ويتأهب له أهفته بتكوين كيان حجاجي واستدلالي متاح لأن يحقق للمجتمع المسلم فرادى وزرافات وعيا إيمانيا عاليا قادرا على تحقيق الصمود في وجه أعاصير الفتن والمفاسد. فاكتشف النورسي في الدعوة أسلوبا جديدا مزيجا من البرهان والخطابة واللغة العرفانية النابعة من الإشراق الروحي والتطور القلبي.

وبذلك الأسلوب الجديد الذي يتميز عن أسلوب الآخرين صياغة ومضمونا استطاع النورسي أن يكون لدى قارئه وعيا إيمانيا رفيعا وثقة إيمانية صلبة انبثق من ذلك الوعي كثير من النتائج الطيبة والآثار الحميدة التي تحمد عقباها من الانضباط النفسي، والتوازن العملي، والاطمئنان الروحي، والإصلاح الخلقي، والاستقامة السلوكية، ومتابعة السنة النبوية، والتخلق بمعاييرها، والصمود في وجه الكفر والباطل، والثبات تجاه الفتن والفساد، والتجنب عن سيئات الأعمال وشرب الخصال وقبيح الفعال.

فجهود النورسي المكثفة في ميادين إثبات العقائد الإيمانية صارت ضربة قاصمة للكفر والإلحاد وذويه ووقعت كجلاميد صخور صلبة في طريق الكفر والجحود.

ثبت المصادر

بعد القرآن الكريم

المصادر العربية:

الغمرائي محمد الزهري، السراج الوهاج على متن المنهاج، تحقيق عبد الغني مستو، المكتبة العصرية، بيروت 1428.

1 فمثلا انظر: الغزالي حجة الإسلام أبو حامد محمد، الحكمة في مخلوقات الله، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، دار الفكر، الطبعة الأولى، بيروت 1416\1996، ص 46-7، معراج السالكين، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، 52-61.

هذه الحياة السائلة الزائلة، ولا يعتر بزينتها ومغرياتها، ويتجنب عن أدناسها وأرجاسها، ويبتعد عن غرورها وشروورها،

3. التخلق الخلق بالأخلاق الإسلامية الرفيعة في جميع الملابس والمناسبات وممارسات الحياة، والعض بالنواجذ على قيم الإسلام الإنسانية والأخلاقية والإيمانية الرفيعة، اللتي هي محض الإنسانية وبحت الفضيلة والنبيل والكرامة والسعادة للإنسان.

4. التزود ببصيرة إيمانية مستنيرة من خلال ما يفيض على المرء من بركات الإيمان والإسلام وعمل الصالحات، بحيث يرى بنور تلك البصيرة الإيمانية المستنيرة موارد الحكمة ومخازن الفضيلة ومنابع الهداية ومصادر الاستقامة. إن البصيرة الإيمانية الراسخة لدى المؤمن تجعله مرشد الإنسانية، وناشر الحكمة، وباني الحضارة، وصانع الفضيلة. ومن هنا قال الله سبحانه: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } [البقرة: 269]

5. المقاومة الصلبة الشديدة تجاه ما يواكب المؤمن من خلال أحداث الحياة المعاصرة المرعبة المفزعة من زخارف الحياة وشهواتها ونزواتها ومغرياتها ومحرضاتها، بحيث لا يلتفت إليها هو ولا تستهويه هي.

6. الصمود في وجه الكفر والباطل والثبات تجاه الفتن والفساد.

فما نجده عند هذا الشيخ الملهم من إلحاح بالغ على ما أعربنا عنه من الوعي الإيماني الرفيع وجهد جهيد نحو تحقيق آثاره الحميدة يتأتى لنا أن نعلن -ولو بشيء من المبالغة والكنابية- على رؤوس الأشهاد وفي كل منتدى وناد: إن كل كلمة، وكل جملة، وكل مقطع، وكل رسالة، وكل كتاب من النورسي بقديمتها وحديثها تستهدف إما مباشرة أو بواسطة إلى غرس الإيمان في القلوب، وزرعها في العقول، وبث آثاره الحميدة الرشيدة من التقوى والورع وتجنب المعاصي والمنكرات على جميع صفحات حياة الإنسان المؤمن فردا وجماعة في ضرائها، وسرائها، وبؤسها، ونعيمها، وظاهرها، وباطنها. معظم مساعي الدعوة والمصلحين والعلماء الريانيين عبر التاريخ الإسلامي متوجهة إلى هذا الهدف العالي والغالي. ترى لمحات من ذلك في بعض رسائل حجة الإسلام الإمام الغزالي (ت 505) فإن هذا الإمام الهمام اتبع في بعض رسائله كرسالة «الحكمة في مخلوقات الله»، ورسالة «قواعد العقائد في التوحيد»

بالمعهد العالي للدراسات التطبيقية ، الكاف . تونس.

4. الإيمان ومواجهة الإلحاد على ضوء رسائل النور - دراسة حول النظر الاسمي والحرفي وأثرهما على قضية القيمة البيئية :- محمد عصام الدين ، جامعة دار السلام كوتنور . إندونيسيا .

5. الايمان ودوره في تأسيس السلام الاجتماعي في فكر الإمام النورسي: د. رشيد محمود رشيد ، جامعة الموصل ،كلية العلوم الإسلامية/العراق.

6. دور الإيمان في تعزيز الأمن الأسري عند الإمام النورسي: الدكتور حميد مسرار ، جامعة محمد الأول ، وجدة . المغرب.

7. سُئِلَ المحافظة على الإيمان في الأزمات - رؤية من خلال رسائل النور - : د. زياد صالح حميد ، دكتوراه في تخصص العقيدة والفكر الإسلامي ، مدرّس في كلية العلوم الإسلامية ، جامعة صلاح الدين - أربيل - العراق .

- دور الايمان في تأسيس السلام الاجتماعي.

- دور الايمان في تأسيس العدالة والسلام والنظام.

- دور الايمان في الاسرة.

- الايمان وحب الدنيا.

- التوازن بين الدنيا والاخرة

- دور الايمان في اصلاح المساجين.

- تنشئة جيل محافظ امام تحديات هذا العصر.

- الايمان ومواجهة الاديان غير السماوية (الاحاد).

- وسائل التواصل الاجتماعي في العصر الحديث.

النورسي سعيد، **السيرة الذاتية**، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، الطبعة الأولى، إستانبول 1998\1419.

النورسي، **اللمعات**، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، الطبعة الأولى، إستانبول 1993\1413.

النورسي سعيد، **الكلمات**، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، الطبعة الأولى، إستانبول 1992\1412.

الغزالي حجة الإسلام أبو حامد محمد، **الحكمة في مخلوقات الله**، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، دار الفكر، الطبعة الأولى، بيروت 1996\1416

الغزالي، **معراج السالكين**، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي. دار الفكر، الطبعة الأولى، بيروت 1996\1416

المصادر غير العربية:

.Nursî Said, **İman ve küfür Muvazeneleri**, Envar Neşriyat, İstanbul 2013.

.Nursî Said , Lem'alar, Envar Neşriyat, İstanbul 2014 .

٢. الايمان في حياة المجتمع:

1. أثير الإيمان في إصلاح السلوك من خلال رسائل النور - المساجين أنموذجاً :- د. خير الله حسن محمد عبدالله الكاسكاني ، جامعة صلاح الدين ،كلية العلوم الإسلامية ، العراق . أربيل.

2. الإيمان حصن الأسرة وقلعتها المنيعه: د.حبيبة أبو زيد ،كلية الشريعة جامعة ابن زهر ، أكادير . المغرب.

3. الإيمان وأثره في تأسيس السلام الاجتماعي - دراسة تطبيقية على رسائل النور :- . بحث مشترك من الأستاذين :- أ.د.علي بن العجمي العشي ، أستاذ مشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة قطر ، ود.سالم المساهلي ، أستاذ أول مميز درجة استثنائية

ثم ختم البحث بجملة من النتائج استنبطت من كلام الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته.

نسأل الله ﷻ الإخلاص والقبول في عملنا هذا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.
الكلمات الافتتاحية: الإيمان ، السجن ، بديع الزمان ، رسائل النور ، مدرسة يوسفية.

أثر الإيمان في إصلاح السلوك من خلال رسائل النور

- المساجين أنموذجاً -

إعداد

د. خير الله حسن محمد عبدالله الكاسكاني
العراق ، أربيل ، جامعة صلاح الدين ، كلية العلوم الإسلامية
الايميل: xairullahasan@yahoo.com

مستخلص البحث

عنوان البحث هو: (أثر الإيمان في إصلاح السلوك ، المساجين أنموذجاً من خلال رسائل النور) ، وهو مقسم إلى مبحثين ، وتحت كل مبحث جملة من النقاط الفرعية ، وكالاتي:

المبحث الأول: مفهوم السجن وأهميته وتاريخه في حياة الأستاذ النورسي.

والمبحث الثاني ، الكلام فيه عن محاور العمل الإيماني في السجون وآثارها عند الأستاذ النورسي ، من نحو: الدعوة ، والأخوة الإسلامية ، والإصلاح ، ودفاعات الأستاذ في السجون.

وقد تحدّث الباحث بشكل مبسّط عن: (أثر الإيمان في إصلاح السلوك ، المساجين أنموذجاً من خلال رسائل النور) ، فوقف من أجل هذا عند بعض من النصوص المتعلقة بالسجن والمسجونين.

وبيّن الباحث أن الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله تيقّن بـ: « أن المسجونين هم في أمسّ الحاجة إلى ما في «رسائل النور» من سلوان حقيقي وعزاء خالص. ولاسيما أولئك الشبان الذين تلقوا صفعات التأديب ولطامات التأنيب بنزواتهم وأهوائهم. ففضوا نضارةً عمرهم في السجن، فحاجة هؤلاء إلى النور كحاجتهم إلى الخبز».

ABSTRACT

After dividing the research into the scientific method followed, the researcher followed his research in the tagged with (The Effect of Faith in the Behavioral Drawing, Prisoners as a Model through the Messages of Light) to the research, and under each research a set of demands, which are as follows: The first topic: the concept of prison and its importance and history in the life of Professor Nursi. (Youssefia School, Imprisonment of the Greats of Islam, Functional Period of Imprisonment and Exile in the Place of Professor Nursi, Badi Al-Zaman's Delivery of the Bitter Reality in Prison, Faith Solace for Prisoners in the Letters of Light). The second topic: Themes of faith work in prisons and their effects according to Professor Nursi. (Dawa, Islamic brotherhood, reforming criminals, Nursi's defenses in prisons, happiness is not dependent on freedom for Nursi). The researcher spoke in a simplified way about: (The Impact of Faith in the Risa'il al-Nur), which was written and written by Professor Badi'uzzaman Saeed al-Nursi, may God have mercy on him. The researcher, Professor Badi' al-Zaman, Saeed al-Nursi, may God have mercy on him, stated that he was certain that: "The prisoners are in dire need of what is in the "Risala al-Nur" of real solace and pure consolation. Then the research concluded with a set of results that were deduced from the words of Professor Badi'uzzaman Saeed Nursi, may God have mercy on him and grant him peace in his vast gardens. We ask God ﷻ sincerity and acceptance in this work of ours, for He is the Guardian of that and the One who is able to do it.

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين. أما بعد:

فقد ذكر الله في كتابه العزيز قصة النبي الداعية السجين يوسف u، وقد أفردت لهذه القصة العظيمة سورة سميت باسمه؛ حيث اشتملت هذه السورة على تفاصيل حياة يوسف u منذ الصغر إلى أن مكّنه الله في الأرض.

إن السجن الذي أدخلوا فيه يوسف u وسيلة دعوية اختاره بنفسه، كي يعيش عزيزاً، مرفوع الرأس شامخاً، وبعيداً عن الوقوع في المعاصي والآثام، وليكون داعيةً إلى الخير، وناهياً عن الشر في السجن.

كما قال الله u في القرآن الكريم: (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرَفْتُ عَلَيَّ كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿33﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (1)).

ولا شك أن قصة يوسف u خير دليل على أن السجن والبلايا والمصائب في حياة الداعية تحمل في طياتها خيراً كثيراً، قد لا يعلمها الدعاة إلى الله ﷻ في بداية الأمر، ويظهر أثر هذا الخير بمرور الأيام.

ولذلك يعتقد بعض الناس أنه: (لما ذكر السجن، وكان سبباً ظاهراً في الإهانة، شرع سبحانه يقص من أمره فيه ما حاصله أنه سبب الكرامة، كل ذلك بياناً للغلبة على الأمر والاتصاف بصفات القهر. مع ما في ذلك من بيان تحقق ما تقدم به الوعد الوفي ليوسف عليه الصلاة والسلام وغير ذلك من الحكم) (2).

ولو قرأنا السيرة الذاتية للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله وأطواره المتعددة نصل إلى نتيجة مقاربة، فكل أطوار حياة بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله شبيهة بأطوار حياة نبي الله u

يوسف u إذ كان في السجن: لطف في عنف، ونعمة في طي بلية ونقمة، ويسر في عسر، ورجاء في يأس، وسائق القدر ربما يسوق الفرد إلى المقذور بعنف، وربما يسوقه بلطف.

بعد توفيق الله u لنا اخترنا هذا الموضوع للكتابة عنه، كي نشارك في أعمال المؤتمر الثاني عشر الموقر بورقة عنوانها: (أثـر الإيمان في إصلاح السلوك من خلال رسائل النور، المساجين أنموذجاً).

سبب اختيار الموضوع: إن البقاء على التواصل مع الله وشد المساعي للبقاء على الإيمان واستلهم الحقائق من هذا العسر من العيش، يحتاج إلى رسوخ وصلابة وعلم وعمل، فدراسة دعوة الأستاذ في السجن وإصلاحاته تحت هذا الطرف الزماني والمكاني وعند هذه الشدائد ضرورة قصوى، وحاجة ملحة، وأمر مهم في غاية الأهمية.

ونقـسـم البحث _ إن شاء الله _ إلى مبحثين، وتحت كل مبحث جملة من النقاط، وكالاتي:

المبحث الأول: مفهوم السجن وأهميته وتاريخه في حياة الأستاذ النورسي. وقد تكلمنا تحت هذا العنوان على مسائل، وهي: السجن مفهومه وأهميته في فكر الأستاذ النورسي، وبيان أن السجن مكان عظماء الإسلام، ووقفنا حول مسألة تاريخية متعلقة بالمدة الزمنية للسجن و النفي للأستاذ النورسي، عدم تسليم بديع الزمان للواقع المرير في السجن، وأخيراً السلوان الإيماني للسجناء في رسائل النور.

والمبحث الثاني، عنوانه: محاور العمل الإيماني في السجون وأثارها عند الأستاذ النورسي. وأهم هذه الأعمال هي: الدعوة، وتوطيد الأخوة الإسلامية، وإصلاح المجرمين، ووقفة عند دفاعات النورسي في السجون، وبيان أن السعادة ليست منوطة بالحرية.

سائلين الله أن يعطينا الإخلاص والقبول في عملنا هذا، ويوفّقنا لما فيه الخير.

المبحث الأول

مفهوم السجن وأهميته وتاريخه في حياة الأستاذ النورسي

تمهيد وتوطئة:

ينبغي أن نعلم جيداً أن العصر الذي عاش فيه الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله عصرٌ كثرت فيه الفتن، وتكالبت فيه الأعداء على مركز الخلافة الإسلامية من كل صوب وحذب، حاملين

1 سورة يوسف: الآية: 33 - 34.

2 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم عمر البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1424 هـ، 2002 م، 4 / 59.

وان إخواننا الحديثي العهد في المدرسة اليوسفية هم أحوج الناس إلى السلوان الذي تورثه (رسائل النور) وان العاملين في دوائر العدل هم اشد حاجة من الموظفين الآخرين إلى القواعد و الدساتير السامية التي تتضمنها (رسائل النور) ، وان أجزاء هذه الرسائل تؤدي لكم مهمتكم خارج السجن وبكثرة كاترة وان فتوحاتها لا تتوقف، وان كل ساعة فانية هنا في السجن تصبح بمثابة ساعات من العبادة الباقية.

ينبغي لنا -وفق النقاط المذكورة- ان نتجمل بالصبر والثبات شاكرين خالقنا مستبشرين ازاء هذه الحادثة⁽¹⁾.

ومن جانب آخر فإن الأستاذ يرى بأن البقاء في السجن فيه خير كثير وفوائد جمة ، إذ يقول رحمه الله:(انني اعتقد ان بقاءنا هنا إلى العيد فيه خير كثير وفوائد جمة.إذ لو أفرج عنا لحرمانا من خيارات هذه المدرسة اليوسفية، فضلاً عن اننا سننشغل بامور دنيوية في هذا الشهر المبارك شهر رمضان الذي هو شهر أخروي بحت، وهذا مما يخل بحياتنا المعنوية)⁽²⁾.

ثانياً: السجن مكان عظام الإسلام:

ولذلك عندما يتحدث الأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله عن السجن لطلابه المسجونين معه، يذكرهم بأن: السجن والبقاء فيه دأب عظام الإسلام، من العلماء الريانيين، والدعاة الصادقين، والمجاهدين المخلصين للأمة الإسلامية. ويقول في بيان ذلك: (مادام الإمام الأعظم « أبو حنيفة النعمان »، وأمثاله من الأئمة المجتهدين، قد أودوا بالسجن وتحملوا عذابه، وأن « الإمام أحمد بن حنبل « وأمثاله من المجاهدين العظام قد عذبوا كثيراً... وقد ثبت الجميع أمام تلك المحن القاسية، وكانوا في قمة الصبر والجلد، فلم يُبد أحدهم الضجر والشكوى، ولم يتراجع عن مسألته التي قالها، وكذا علماء عظام كثيرون، وأئمة عديدون لم يتزلزلوا قط أمام الآلام والأذى الذي نزل بهم، بل صبروا شاكرين لله تعالى، مع أن البلاء الذي نزل بهم كان أشد مما هو نازل بكم، فلا بد أن في أعناقكم دين الشكر لله تبارك وتعالى شكراً جزيلاً ، على ما تتحملونه من العذاب القليل والمشقة اليسيرة النازلة بكم في سبيل حقائق عديدة للقرآن الكريم مع الثواب الجزيل والأجر العميم)⁽³⁾.

معهم نوايا سيئة لإسقاطها ، ومسح آثارها من العالم الإسلامي.

ولذلك فإن الداعية الناظر والمؤمن الفطن لأحوال العالم الإسلامي في هذه الدنيا يدركان تماماً بأن: (للمآسي الدامية في تاريخ الشعوب ، وللأحداث والمنعطفات عن المسارات الأصيلية في حياة الأمم ، رجالاً عظاماً ، وعباقرة أفاضاً. تمتد يد العناية الإلهية لتبعث بهم في وسط هذا الضجيج الهائل ليُمسكوا بناصية الأحداث ، ويحولوا بين شعوبهم ، وبين السقوط في مهاوي الضياع ، والانفلات الزهيب من دائرة تاريخهم وحضارتهم. وبديع الزمان النورسي هو أحد من هؤلاء العظام ، ألقى الله تعالى على كاهله مسؤولية النهوض بتجديد الحياة في الإيمان الزاكد في القلوب. وبعبه التصدي لهذا التيار الجارف المكتسح ، الذي كاد يسليخ الشعب التركي المسلم عن تاريخه ودينه وإسلامه.

من خلال دراسة حياته نستطيع أن نؤكد حقيقةً من أعظم حقائق التاريخ ، وهي: أن هذا الدين الإلهي العظيم دين حيوي خالد قادر على العطاء في كل زمان ومكان.

إن هذه الحيوية قادرة على أن تنهض بالشعوب والأمم ، وتلقي بين أيديها بزمام العالم إذا توافرت لها القلوب الواعية السليمة، والعقول الذكية، والأذهان المتفتحة والإخلاص الكامل والعمل الجاد⁽⁴⁾.

أولاً: مفهوم السجن وأهميته في فكر الأستاذ النورسي:

يبين الأستاذ لطلابه حكمة القدري الإلهي في سوقهم للسجن بصورة التهئة ، وسماه المدرسة اليوسفية لما له من الآثار الحميدة على دعوة رسائل النور وطلابه داخل السجن وخارجه ، فضلاً عن أناس أدخل الله الإيمان في قلوبهم بواسطة هذا القدر من خلال الأستاذ وطلابه المسجونين ، يقول الأستاذ: (اخوتي الأعزاء الأوفياء!

لا أعزيكم بل أهنئكم، إذ مادام القدر الإلهي قد ساقنا إلى هذه المدرسة اليوسفية الثالثة لحكمة اقتضاها، وانه سيطعمنا قسماً من أرزاقنا دعتنا إلى هنا. ومادامت تجاربنا القاطعة قد علمتنا -لحد الآن- ان العناية الإلهية لطيفة بنا وقد جعلتنا ننال سر الآية الكريمة: ﴿ وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ﴾ البقرة:216.

1 الشعايات: بديع الزمان النورسي، ترجمها: إحسان قاسم الصالحي، ص: 524.

2 الشعايات: بديع الزمان النورسي، ترجمها: إحسان قاسم الصالحي، ص: 669.

3 للمعات: بديع الزمان النورسي، ترجمها: إحسان قاسم الصالحي، ص: 373، مرجع سابق.

1 نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي: إحسان قاسم الصالحي دار سوزلر، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2010، ص: 6.

لسنوات عدة وتسميميه، لم يستسلم للواقع السيء ، بل تيقن أن في كل ذلك الأمور خيراً كثيراً كما يقول رحمه الله: (ثم إنني في الوقت الذي كنت في أمس الحاجة إلى الإخلاق إلى الراحة وعدم الاهتمام بهموم الدنيا والابتعاد نهائياً عن البرد. فإن قيام هؤلاء بنفسي - في هذه الفترة من البرد بالذات - وتهجير من مدينة لأخرى بما يفوق تحملي، ومن ثم توقيفي والتضييق عليّ بأكثر من طاقتي، وبما يشعر أنه حقاً دفين وأمر متعمد مقصود. كل ذلك ولد عندي غيظاً وامتعضاً غير اعتيادي تجاه هؤلاء. ولكن العناية الإلهية أغاثتني فنبهت القلب إلى هذا المعنى: إن للقدر الإلهي - الذي هو عدل محض - حصّة عظيمة جداً فيما يسلطه عليك هؤلاء البشر من الظلم البين، وإن رزقك في السجن هو الذي دعاك إلى السجن، فينبغي إذاً أن تقابل هذه الحصّة بالرضى والتسليم.

وإن للحكمة الربانية ورحمتها حظاً وافراً أيضاً كفتح طريق النور والهداية إلى قلوب المساجين وبت السبلوان والأمل فيهم، ومن ثم إحراز الثواب لكم ؛ لذا ينبغي تقديم آلاف الحمد والشكر لله - من خلال الصبر - تجاه هذا الحظ العظيم.

وكذا فإن لنفسك أنت أيضاً حصتها، حيث إن لها ما لا تعرف من التقصيرات، فينبغي مقابلة هذه الحصّة أيضاً بالاستغفار والتوبة والإنابة إلى الله وتائب النفس بأنها مستحقة لهذه الصفة⁽¹⁾.

خامساً: السلوان الإيماني للسجناء في رسائل النور:

وبهذا الخصوص يقول الأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله: (إنّ المسجونين هم في أمس الحاجة إلى ما في «رسائل النور» من سلوان حقيقي وعزاء خالص. ولاسيما أولئك الشبان الذين تلقوا صفعات التأديب ولطامات التائب بنزواتهم وأهوائهم. ففضوا نضارة عمرهم في السجن، فحاجة هؤلاء إلى النور كحاجتهم إلى الخبز)⁽²⁾.

ويقول رحمه الله أيضاً بهذا الصدد: (اخوتي الأعزاء الأوفياء وزملائي في السجن!

أولاً: لا تقلقوا من عدم مواجهة بعضنا البعض الآخر، فنحن نتواجه معنى في كل وقت. فإن قرأتم أية رسالة تحصلون عليها أو تستمعون إليها، فإنكم تشاهدونني وتتجاوزون معي خلال تلك الرسالة بصفة خادم القرآن العظيم بدلاً من شخصي الاعتيادي. علماً أنني كذلك أواجهكم خيالاً في جميع

ثالثاً: المدة الزمنية للسجن والنفي للأستاذ النورسي:

إن الأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله من الدعاة إلى الله U الذين سُجِنُوا مرّات عديدة ، إذ سُجِنَ من قبل السلطات الحاكمة في تركيا آنذاك، كما أخذ إلى روسيا أسيراً ومسجوناً.

ولمعرفة مرات اعتقاله ومدة بقائه في السجن سألت الأخ (طورغاي أبي)⁽¹⁾، فأجابني وأفادني بـ: إن عدد مرات اعتقال الأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله ثلاث مرات، وأول مرة أُعتقل وسُجِنَ كان في سجن « أسكي شهر »، يوم: 20 نيسان 1935 م، وأُفرج عنه في يوم: 27 آذار 1936 م.

والمرة الثانية هي السجن في سجن « دنزلي » يوم: 20 أيلول 1943 م، وأُفرج عنه يوم: 15 حزيران 1944 م.

وثالث المرات أُعتقل وسُجِنَ في سجن « أفيون » في يوم: 21 كانون الثاني 1948 م، وأُفرج عنه يوم: 20 أيلول، 1949 م، ومجموع مدة البقاء في السجن تبلغ: « 41 » شهراً «، ولو نُوزِعَ مدة بقائه في السجن على السنوات، يكون ثلاث سنوات وستة أشهر بالتاريخ الميلادي)⁽²⁾.

رابعاً: عدم تسليم بديع الزمان للواقع المرير في السجن:

وإن من المكائد التي مارسوها ضد الأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله، كي يتخلى عن الدعوة إلى الله U، أشياء أخرى كانت مريرةً للغاية، وغير إنسانية في الجملة، فمثلاً: (قاموا بتسميمه « 19 » تسع عشرة مرة في السجن، وبعض طلابه القداماء يقولون: « 21 » إحدى وعشرون مرة ، وبقصد موته، ولكن الله U حفظه بحفظه، وكانت جملة حياته بين النفي والسجن والاعتقال « 28 » ثمان وعشرين سنة ، من بين تلك السنوات « سنتين ونصف » في روسيا بين السجن والنفي والمراقبة الجبرية)⁽³⁾.

ومع ذلك الظلم الذي مورس ضد الأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله من السجن والنفي

1 سمعت هذه الأعداد ونقلتها من الأخ « طورغاي أبي »: وهو من طلاب النور القداماء، والأوقاف المشهورين في تركيا، وهو يسكن في مدينة قونيا ، وهو أخذها من المصادر النورية باللغة التركية غير مترجمة إلى العربية.

2 سمعت هذه الأعداد ونقلتها من الأخ « طورغاي أبي »، وهو أخذها من المصادر التركية غير مترجمة.

3 سمعت هذه الأعداد ونقلتها من الأخ « طورغاي أبي »، وهو أخذها من المصادر التركية غير مترجمة.

1 للمعات: بديع الزمان النورسي، ترجمها: إحسان قاسم الصالحي، ص: 364 - 365.

2 الكلمات: بديع الزمان النورسي، ترجمها: إحسان قاسم الصالحي، ص: 162.

فإنه يشعر في روحه وقلبه فرحاً وبهجة من زوالها حتى ينطلق لسانه ب: الحمد لله والشكر له، فقد ولت البلايا تاركَةً ثوابها. فيشرح صدره ويرتاح.

أي أنّ ألماً مؤقتاً لساعة من الزمان يترك لذة معنوية في الروح، بينما لذة مؤقتة لساعة من الزمان تترك ألماً معنوياً في الروح، خلافاً لذلك⁽¹⁾.

المبحث الثاني

محاوِر العمل الإيماني في السجون وآثارها عند الأستاذ النورسي

تمهيد وتوطئة:

دعوة الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله (دعوةً كريمةً جامعةً ، لا تعرف التعصّب ، ولا تؤمن بالفرقة ، تمدّ الأيدي الحانية إلى المسلمين جميعاً ، تحرص على تحريك الإيمان في قلوبهم ، وبذر بذور المحبة في نفوسهم ، ولا تتعرّض بأحد ، ولا تقول إلا الخير ،... ولا تؤمن بتجريح الهيئات والأشخاص ، ولا تثير الخصومات. ولا تعود إلى الصّراعات الماضية ، تعتزّ بالماضي ، وتحتضن الحاضر، وتتشد المستقبل ، وتحفر الخندق الواحد للأمة الواحدة ، وتوجّه أسلحتها المادية والمعنوية إلى الكفر والإلحاد. تؤمن بالعمل الدؤوب ، وتتنكر للثرثرة الفارغة ، تعشق التواضع والفصاحة ، وتكره الكبرياء والحذقة ، والاستعلاء على الآخرين. كان هدوؤه حركةً ، وعزلته ثورةً ، وبنائه هدماً ، وقيوده حركةً ، ومرضه صحّةً ، وسجنه دعوةً ، ونفيه مدرسةً⁽²⁾).

ومن خلال النقاط الآتية ضمن هذا المبحث نحاول تسليط الضوء على محاور عمل الأستاذ للإصلاح في السجون وآثارها ، وهي في:

أولاً: الدعوة:

الأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله قام بأعمال دعوية داخل السجون، مع ما كان عليه من

أدعيتي وفي كتاباتكم وعلاقاتكم. وحيث إننا معاً ونعمل ضمن دائرة واحدة، فكأننا نتواجه دائماً.

ثانياً: نقول للقادمين الجدد من طلاب رسائل النور في هذه المدرسة اليوسفية الحديثة:

لقد ثبت بحجج قوية وبإشارات قرآنية أوقفت الخبراء وألجأتهم إلى الاستسلام: « ان طلاب النور الصادقين ستختم حياتهم بالحسنى ويدخلون القبر بالإيمان.. وان كل طالب -حسب درجته- يكون شريكاً لمكاسب جميع إخوانه المعنوية ولأدعيتهم، وذلك بفيض أنوار الاشتراك المعنوي النوري، كأنه يؤدي العبادة ويستغفر بألف لسان ..».

فهاتان الفائدتان والنتيجتان المهمتان، وفي هذا الزمان العجيب تزيلان جميع الصعاب والمشقات. وهكذا تريح رسائل النور طلابها هذين الربحين العظيمين بثمن زهيد جداً⁽¹⁾.

ويبين الأستاذ النورسي نصائحاً ثلاثاً لمن ابتلوا بالسجن من طلاب النور الذين رافقوا أستاذهم قائلًا لهم مسلياً: (أيها الإخوة الأعزاء الأوفياء! لقد رأيت أنوار سلوان ثلاثة، أبينها في نقاط ثلاث للذين ابتلوا بالسجن ومن يقوم بنظارتهم ورعايتهم ومن يعينهم في أعمالهم وأرزاقهم.

النقطة الأولى: إن كل يوم من أيام العمر التي تمضي في السجن، يمكن أن يكسب المرء ثواب عبادة عشرة أيام، ويمكن أن يحوّل ساعاته الفانية -من حيث النتيجة- إلى ساعات باقية خالدة.. بل يمكن أن يكون قضاء بضع سنين في السجن وسيلة نجاة من سجن أبدي لملايين السنين.

فهذا الربح العظيم مشروط لأهل الإيمان بأداء الفرائض والتوبة إلى الله من الذنوب والمعاصي التي دفعته إلى السجن، والتوجه إليه تعالى بالشكر صابراً محتسباً. علماً أن السجن نفسه يحول بينه وبين كثير من الذنوب.

النقطة الثانية: إن زوال الألم لذة، كما إن زوال اللذة ألمٌ.

نعم، إن كل من يفكر في الأيام التي قضاها بالهناء والفرح يشعر في روحه حسرةً وأسفاً عليها، حتى ينطلق لسأته بكلمات الحسرات: أواه.. آه.. بينما إذا تفكر في الأيام التي مرت بالمصائب والبلايا

1 الكلمات: بديع الزمان النورسي، ترجمها: إحسان قاسم الصالحي، ص: 493.

2 النورسي متكلم العصر الحديث: البروفيسور: محسن عبد الحميد ، شركة سوزلر ، القاهرة ، الطبعة الأولى، 2002 ، ص: -251 250.

1 الكلمات: بديع الزمان النورسي، ترجمها: إحسان قاسم الصالحي، ص: 506.

ثانياً: الأخوة الإسلامية:

ينصح الأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله طلابه دائماً على طي صفحة النزاعات والشقاق والمشاكل بينهم في السجن وغيره ، فيقول رحمه الله: (فأنتم يا إخوتي محتاجون ومكلفون في هذه العواصف الهوج، أكثر من أي وقت آخر بالحفاظ على ترابطكم واتحادكم وغيض النظر عن تقصيرات إخوانكم، وعدم نشر الانتقاد فيما بينكم.

حذار حذار أن يمتعض أحدكم من الآخر، فلا ينتقدن أحدكم الآخر، وبخلاف ذلك فإن إظهاركم ولو قليلاً من ضعف يستغله أهل النفاق فيلحقون بكم أضراراً بليغة⁽¹⁾).

ويحث الأستاذ النورسي رحمه الله دائماً طلابه على الأخوة دائماً في السجن وغيره ، بحيث يسرّ بتساند الإخوان ويحزن بالشقاق بينهم قائلاً: (إخوتي الاعزاء الصديقين!

ان انجع علاج في هذه الدنيا، ولا سيما في هذا الزمان، وبخاصة للمبتلين بالمصائب، ولطلاب النور الذين انتابهم ضجر شديد ويأس قاتم هو: تسلية أحدهم الآخر، وادخال السرور في قلبه، وامداد قوته المعنوية وضمان جراحات الضيق والحزن والسأم، وتلطيف قلبه المغوم، كأخ حقيقي مضح. إذ الأخوة الحقّة والاخروية التي تربطكم لا تتحمل التحيز والاعاظة.

فأنا اعتمد عليكم كلياً واستند اليكم، وانتم على علم بقراري وعزمي بانني عازم على ان اضحي مسروراً لأجلكم أنتم بروحي، لا براحتي وحيثيتي وشرفي وحدها، بل قد تشاهدون هذا مني فعلاً، حتى انني اقسم لكم: انه منذ ثمانية أيام يتألم قلبي من عذاب شديد، من جراء حادثة تافهة سببت دلالةً ظاهرياً بين ركنين من أركان النور وإحزان احدهما الآخر بدلاً من السلوان. فصرختُ روحي وقلبي وعقلي معاً، وبكت قائلة:

اواه! اواه! الغوث الغوث يا أرحم الراحمين، احفظنا واجرنا من شياطين الجن والانس، واملاً لقلوب اخواني بالوفاء التام والمحبة الخالصة والاخوة الصادقة والشفقة الكاملة⁽²⁾).

ويصرّ الأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله بالحفاظ على الأخوة الإسلامية حتى في السجن

المرض ، ومن بين تلك الجهود الدعوية التي قام بها هو العمل على توثيق عُرى الأخوة بين المسجونين، وتخفيف الضغوطات النفسية عليهم. فهو بنفسه يذكر لنا هذه الجهود ويقول: (عندما كنت أسيراً في شمالي روسيا، قبل خمسة عشرة عاماً، في قاعة مصنع كبير، مع تسعين من ضباطنا، كانت المناقشات تحدث والاصوات تتعالى نتيجة الضجر وضيق المكان، وكنت أهدئهم حيث كانوا جميعاً يحترموني. ثم عيّنْتُ خمساً من الضباط، لإقرار الهدوء وقلت لهم: إذا سمعتم الضوضاء في أية ناحية أسرعوا إليها... وحقاً لقد انتهت الضوضاء نتيجة هذا العمل⁽¹⁾).

فكان أحد أعمال بديع الزمان النورسي رحمه الله في السجن في روسيا هو إلقاء المحاضرات الإسلامية للمسجونين، ويقول متحدثاً عن ذلك: (وعلى الرغم من أن الروس كانوا ينظرون إليّ بصفة قائد للمتطوعين الأكراد... إلا أنهم لم يمنعونني من إلقاء الدروس. فكنت ألقياها على معظم زملائي الأسرى من الضباط البالغ عددهم تسعين ضابطاً، حتى إن القائد الروسي استمع مرة إلى الدرس، فحسبه درساً سياسياً، لجهله باللغة التركية، ومنعني مرة واحدة فقط، ولكنه سمح لي بعد ذلك. ثم إننا جعلنا غرفة - في التكنة التي كنا فيها - مسجداً لأداء الصلاة جماعةً، وكنت أئم الجماعة، ولم يتدخلوا في ذلك قط. ولم يمنعوننا من الاختلاط والاتصال بعضنا مع البعض، ولم يقطعوا عنا المراسلات.

بينما أرى هؤلاء الذين يفترض فيهم أنهم إخواني في الدين وفي الوطن يمنعونني من الدرس بغير سبب، مع أنني أحاول أن أفيدهم في الإيمان، وهم يعلمون أنني قد قطعت علاقتي مع الدنيا والسياسة. حتى إنهم وضعوني في الأسر طوال ست سنوات - وليس ثلاث سنوات - بل في أسر مشدّد، إذ منعوني عن الاختلاط بالناس، ومن إلقاء الدروس، بل حتى من إلقاء الدروس الخاصة في غرفتي الخاصة. علماً إنني أحمل شهادةً في ذلك، وحالوا بيني وبين المراسلات، بل منعوني حتى عن الإمامة في المسجد الذي عمّرته بنفسي، والذي كنت أئم الجماعة فيه طوال أربع سنوات. فحرموني من ثواب الجماعة، بل منعوني عن أن أئم جماعة متكونة من ثلاثة إخوة في الآخرة كنت أئمتهم دوماً.

فضلاً عن ذلك لو ذكرني أحدهم بخير، يغضب الموظف المراقب عليّ، ويحاول بشتى الوسائل أن يهون من شأنني، ويشدّد من المضايقات كي يحصل على تكريم من أمرية والنقاتهم إليه⁽²⁾).

1 للمعات: بديع الزمان النورسي، ترجمها: إحسان قاسم الصالحي، ص: 398.

2 المكتوبات: بديع الزمان النورسي، ترجمها: إحسان قاسم الصالحي، ص: 97 - 98.

1 الملاحق في فقه دعوة النور: بديع الزمان النورسي، ترجمه: إحسان قاسم ، ص: 195.

2 الشعاعات: بديع الزمان النورسي، ترجمها: إحسان قاسم الصالحي، ص: 547.

رابعاً: دفاعات النورسي في السجن:

لقد سجل الأستاذ النورسي بطولات عدة في دفاعاته أمام المحاكم وما أثير حول أقواله وأفعاله ودعوته السلمية من بهتان وادعاء غير مدلل ، وهنا نقف عند مقتطفات من دفاع الأستاذ النورسي امام محكمة آفيون ، إذ ردّ على لائحة الادعاء وأثبت حقائق عدة مهمة تتعلق بحقيقة دعوة النور ورد الشبهات وكيفية العمل وغيرها من مهمات المسائل ، حيث قال: (بعد صمت دام ثمانية عشر عاماً، اضطررت إلى إعادة تقديم هذه الدعوى رداً على لائحة الادعاء، رغم تقديمها إلى المحكمة وتقديم صورة منها إلى المراجع العليا في آنقرة. أدناه خلاصة لدفاع قصير -هو الحقيقة عينها- قد قلته للمدعين العامين وضابطي الشرطة الذين أتوا لتحري منزلي في (قسطنوني) ثلاث مرات، وقلته أيضاً لمدير الشرطة ولثلاثة من أفراد الشرطة -في المرة الثالثة- ولمحكمة (دينزلي وآفيون). فليكن معلوماً لديكم ان ما قلته لهم هو:

إنني أعيش معتكفاً ومنزويًا منذ عشرين سنة. فطوال ثماني سنوات في (قسطنوني) بقيت مقابل مخفر الشرطة وكذا الحال في بقية الأماكن، كنت طوال هذه الفترة تحت المراقبة والترصد الدائم. وقد تحرّوا منزلي عدة مرات، ومع ذلك لم يعثروا على أية أمانة لها علاقة بالدنيا او بالسياسة. فلو كان لي شيء من التدخل بها لكانت الشرطة والعدلية تعلم به، أو علمت به ولكن لم تعر له بالأ، بمعنى انهم مسؤولون اكثر مني.

فما دام الأمر هكذا فلم تتعرضون لي إلى هذا الحد دون داع إليه وبما يلحق الضرر بالبلاد والعباد. علماً انه لا يُتعرض في الدنيا كلها للمنزوين المعتكفين المنشغلين بأخرتهم.

نحن طلاب النور آلينا على انفسنا الآ نجعل من (رسائل النور) أداة طيعة للتيارات السياسية، بل للكون كله. فضلاً عن ان القرآن الكريم قد منعنا بشدة من الاشتغال بالسياسة.

نعم، ان مهمة رسائل النور الأساس هي: خدمة القرآن الكريم، والوقوف بصرامة وحزم في وجه الكفر المطلق الذي يودي بالحياة الأبدية ويجعل من الحياة الدنيا نفسها سماً زعافاً وجحيماً لا تطاق.

ومنهجها في ذلك: هو إظهار الحقائق الإيمانية الناصعة المدعمة بالأدلة والبراهين القاطعة التي تلتزم اشد الفلاسفة والمتزندقة تمرداً على التسليم بالإيمان. لذا فليس من حقنا ان نجعل رسائل النور أداة لأي شيء كان، وذلك لأسباب:

قائلاً: (إخوتي المسجونين الأعزاء الجدد والقدامى! لقد بثت على قناعة تامة من أن العناية الإلهية هي التي ألفت بنا إلى ههنا وذلك لأجلكم أنتم، أي إن مجيئنا إلى هنا إنما هو لبث السلوان والعزاء الذي تحمله «رسائل النور» إليكم.. وتخفيف مضايقات السجن عنكم بحقائق الإيمان.. وصونكم من كثير من بلايا الدنيا ولأوائها.. وانتشال حياتكم المليئة بالأحزان والهموم من العبثية وعدم الجدوى.. وإنقاذ أخرتكم من أن تكون كدنياكم حزينة باكية.

ألا فقولوا مع هؤلاء الإخوة حديثي العهد بالسجن الذين يحملون مثلكم بطولة فطرية وشهامة وغيره. قولوا أمام الهيئة ببطولة معنوية عظيمة في هذا الوقت: «ليست الآلات الجارحة البسيطة وحدها، بل لو سلمتم إلى أيدينا أسلحة نارية أيضاً فلا نتعدى على أصدقائنا وأحبائنا هؤلاء الذين تكبوا معنا، حتى لو كان بيننا عداءً أصيل سابق. فقد عفونا عنهم جميعاً، وسنبذل ما في وسعنا ألا نجرح شعورهم ونكسر خاطرهم، هذا هو قرارنا الذي اتخذناه بإرشاد القرآن الكريم وبأمر أخوة الإسلام وبمقتضى مصلحتنا جميعاً» ، وهكذا تُحوّلون هذا السجن إلى مدرسة طيبة مباركة⁽¹⁾.

ثالثاً: إصلاح المجرمين:

أراد المعاندون بسجن الأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله تحقيق أمرين:

أولاً: الصدّ عن دعوته إلى الإسلام وحقائق القرآن الكريم.

ثانياً: الإهانة والإذلال، ولكن هيهات بين ما أردوا، وبين ما رأوا منه من الصبر والثبات والاستقامة والمروءة.

ولكن نتيجة دعوته في السجن كانت أموراً ، منها: (تاب كثيرٌ من المجرمين، كان بينهم بعضٌ من حُكم عليهم بالإعدام لارتكابهم جرائم القتل مثل السجنين « طاهر »، الملقّب « ب » « القصاب » الذي كان يخشاه المسجونون. فقد كان ضخم الجثة، قويّ الجسم متهوراً، وبعد زيارة واحدة للأستاذ في غرفته، تبدل تماماً. وبشكل أثار دهشة الجميع من مسجونين وحراس ومسؤولي السجن. فقد غدا شخصاً وديعاً، لا يؤذي أحداً، يؤدّي الصلاة في أوقاتها، قليل الكلام محباً⁽²⁾).

1 الكلمات: بديع الزمان النورسي، ترجمها: إحسان قاسم الصالحي، ص: 169.

2 النورسي متكلّم العصر الحديث: البروفيسور: محسن عبد الحميد، ص: 37 - 38.

دليل على صدق ما نقول⁽¹⁾.

خامساً: السعادة ليست منوطة بالحرية:

يبين الأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله أن السعادة الحقيقية ليست منوطة بالحرية فقط، فكم من حرٍّ يعيش عيشة السجن من الألم والأحزان، ومن قلب اللذائذ لديه من النعم إلى النقم، نتيجة البعد عن الله U. وكم من السجناء يعيشون في أجواء من الاطمئنان القلبي وفرح الحقيقي، نتيجة إطاعة الله U والعمل وفق أوامره A.

ولذلك يذكر لنا الأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله هذين النوعين من الحياتين المناوئتين ويقول: (ومثلما قلت ذلك لإخواني الطلبة، أقول كذلك للمسجونين:

إن من عرف الله وأطاعه سعيداً ولو كان في غياهب السجن، ومن غفل عنه ونسيه شقي ولو كان في قصور مشيدة.

فلقد صرخ مظلوم ذات يوم بوجه الظالمين وهو يعتلي منصة الإعدام فرحاً جذلاً وقائلاً: إنني لا أنتهي إلى الفناء ولا أعدم. بل أترج من سجن الدنيا طليقاً إلى السعادة الأبدية، ولكني أراكم أنتم محكومين بالإعدام الأبدي لما ترون الموت فناءً وعدمياً. فأنا إذن قد تأرت لنفسي منكم. فسلم روحه وهو قرير العين يردد: لا إله إلا الله⁽²⁾.

تحمل تلك النصائح للأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله بخصوص المسجونين سلواناً لقلوبهم، وأملاً لفكهم عن الأسر، وتخفيفاً للضغوطات النفسية عليهم، نتيجة الأسر والبعد عن الأهل والأحباب والعيش بين الجدران والمنافذ، وبهذا الخصوص يقول رحمه الله:

(أيها المساكين المبتلون بمصيبة السجن! ما دامت دنياكم حزينه باكية، وأن حياتكم قد تعكرت بالآلام والمصائب، فابدلوا ما في وسعكم كيلا تبكي آخرتكم، ولتفرح وتحلو وتسعد حياتكم الأبدية. فاغتموا يا إخواني هذه الفرصة، إذ كما إن مرابطة ساعة واحدة أمام العدو ضمن ظروف شاقة يمكن أن تتحول إلى سنة من العبادة، فإن كل ساعة من ساعاتكم التي تقاسونها في السجن تتحول إلى ساعات

أولاً: كي لا تحول الحقائق القرآنية التي تفوق الألماس نفاسة إلى قطع الزجاج المتكسر في نظر أهل الغفلة، حيث توهمونها كأنها دعاية سياسية تخدم اغراضاً معينة، وكي لا نمتهن تلك المعاني القرآنية القيمة.

ثانياً: ان منهج رسائل النور الذي هو عبارة عن: الشفقة والعدل والحق والحقيقة والضمير ليمنعنا بشدة عن التدخل بالأمور السياسية أو بالسلطة الحاكمة. لأنه إذا كان هناك بعض ممن ابتلوا بالإلحاد واستحقوا بذلك العقاب فإن وراء كل واحد منهم عدداً من الأطفال والمرضى والشيوخ الأبرياء. فإذا نزل بأحد أولئك المبتلين المستحقين للعقاب كارثة أو مصيبة، فإن أولئك الأبرياء أيضاً سيحترقون بنارهم دون ذنب جنوه. وكذا لان حصول النتيجة المرجوة أمر مشكوك فيه، لذا فقد مُنعنا بشدة من التدخل في الشؤون الإدارية بما يخل بأمن البلاد ونظامها عن طريق وسائل سياسية.

ثالثاً: في زمن عجيب كزماننا هذا، لا بد من تطبيق خمسة أسس ثابتة، حتى يمكن إنقاذ البلاد وإنقاذ الحياة الاجتماعية لأبنائها من الفوضى والانقسام. وهذه المبادئ هي:

1. الاحترام المتبادل
2. الشفقة والرحمة
3. الابتعاد عن الحرام
4. الحفاظ على الأمن

1. نبذ الفوضى والغوغائية، والدخول في الطاعة.

والدليل على ان رسائل النور في نظرتها إلى الحياة الاجتماعية قد ظلت تثبت وتحكم هذه الأسس الخمسة وتحترمها احتراماً جاداً محافظة بذلك على الحجر الأساس لأمن البلاد، هو ان رسائل النور قد استطاعت في مدى عشرين عاماً ان تجعل أكثر من مائة ألف رجل أعضاء نافعين للبلاد والعباد دون ان يتأذى او يتضرر بهم أحد من الناس. ولعل محافظتي (إسبارطة وقسطموني) خير شاهد وابرز

1 الشعاعات: بديع الزمان النورسي، ترجمها: إحسان قاسم الصالحي، ص: 385.

2 الكلمات: بديع الزمان النورسي، ترجمها: إحسان قاسم الصالحي، ص: 177.

عن الحياة بين الناس ، وصاروا في اعتزال عن مجريات الحياة الطبيعية ، فالزمن والمكان مناسبان للشعور بالنقص والتقرب إلى ذي الجلال وجبر الماضي بالرجوع إلى رحمة الله والتهيئة للمستقبل القريب أو البعيد بروحية قوية وصلابة متينة.

4. إن السجن عند الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله: « مدرسة يوسفية » ، وأن البقاء فيه « دأب عظماء الإسلام » من العلماء الربانيين، والدعاة الصادقين، والمجاهدين المخلصين للأمة الإسلامية ، وقام الأستاذ بأعمال في السجن تمكن من خلالها تقديم أنجع الأدوية لهذه الفئة بما يضمن لهم السعادة الآتية والمستقبلية ، منها: دعوتهم إلى مائدة الإيمان والقرآن ، وتشجيعهم للحفاظ على روح الأخوة الصادقة ، وتقديم الدواء المعنوي للمحتاجين منهم ممن اقترفوا الجرائم وساروا في الظللة سابقا ، وغيرها من الإصلاحات.

ثبت المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم:

1. الشعاعات: بديع الزمان سعيد النورسي: ترجمها: إحسان قاسم الصالحي، شركة: RNK للنشر، الطبعة الأولى، إسطنبول، 2014 م.
2. الكلمات: بديع الزمان سعيد النورسي: ترجمها: إحسان قاسم الصالحي، شركة: RNK للنشر، الطبعة الأولى، إسطنبول، 2014 م.
3. اللغات: بديع الزمان سعيد النورسي: ترجمها: إحسان قاسم الصالحي، شركة: RNK للنشر، الطبعة الأولى، إسطنبول، 2014 م.
4. المكتوبات: بديع الزمان سعيد النورسي: ترجمها: إحسان قاسم الصالحي، شركة: RNK للنشر، الطبعة الأولى، إسطنبول، 2014 م.
5. الملاحق في فقه دعوة النور: بديع الزمان سعيد النورسي: ترجمها: إحسان قاسم الصالحي، شركة: RNK للنشر، الطبعة الأولى، إسطنبول، 2014 م.
6. نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي: إحسان قاسم الصالحي دار سوزلر، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2010.
7. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم عمر البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1424 هـ، 2002 م.
8. النورسي متكلم العصر الحديث: البروفيسور: محسن عبدالحמיד ، شركة سوزلر ، القاهرة ، الطبعة الأولى، 2002.

كثيرة هناك إذا ما أديتم الفرائض، وعندها تتحول المشقات والمصاعب إلى رحمةٍ وغفرانٍ (1).

الخاتمة والنتائج

هذه أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث المختصر:

1. عاش الأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله داعيةً إلى الله لا بصدق وإخلاص في حياته سواء كان مسجوناً أو حراً طليقاً ، ولم يتوان في العمل الدؤوب من أجل الحق وإثبات الحقائق الإيمانية. وقد أعطى الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله الأولوية للقضايا الكبرى التي يتعلق بها مصير الأمة الإسلامية أو الفرد المسلم في الدنيا والآخرة ، وكان بين تلك القضايا الجوهرية « إنقاذ الإيمان » ، وفي الحفاظ على هذه القضية الجوهرية كانت حياته موزعةً بين النفي من وطنه ، والسجن والتعذيب والتسميم والمراقبة الجبرية إلى أن انتهت المهلة أمامه ورجع إلى مرضات الله وحنانه. وقد ركز الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله في « رسائل النور » على تربية المسلمين تربيةً إيمانيةً ، مقتنعاً: بأن التربية الإسلامية الصحيحة هي السد المنيع أمام مكائد الأعداء ضد أهل الإيمان ، ولذلك ربى جيلاً فريداً في عصره.

2. إن « الإيمان » التحقيقي الذي أعطاه الله ʏ وأكرمه به الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله لهو: الأمان والضمان باستقامته على الحق والصدع به داخل السجن وخارجها ، وجعل الله ʏ بذلك الإيمان: عدم تسليم بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله للواقع المرير في السجن في أحلك الظروف التي مرّ بها الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله ، فتبين أن هذا الإيمان التحقيقي بالله ʏ لهو أنجع علاج ، وأقوى وسيلة في إصلاح سلوك الإنسان ، سواء كان في السجن أو غيره ، وإن المسجونين بحاجة إلى الاهتمام بهم ، والسعي الجاد لإصلاحهم بكل وسيلة شرعية ممكنة.

3. إن في « رسائل النور » سلوانا إيمانياً خالصاً لفئات المجتمع ، ومن بين تلك الفئات المنسية: هم « المسجونون » ، الذين أبعدهم تصرف فعلي أو قولي خطأ أو بهتان الفاسدين

1 الشعاعات: بديع الزمان النورسي، ترجمها: إحسان قاسم الصالحي، ص: 497.

لاستخلاص الهدايات لذلك كله من القرآن الكريم. قال رحمه الله: «لأبرهنن للعالم أن القرآن الكريم شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها».

لقد عاين الأستاذ النورسي الأحداث العالمية الكبرى في القرن العشرين الميلادي، واطلع على الأفكار والفلسفات التي وجهت الفكر البشري، وخاصة الفكر الغربي، وتتبع آثارها على العالم الإسلامي، وعلى المسلمين في جميع أنحاء العالم، وتوجه إلى ذلك كله بالدراسة والتحليل، والمحاورة العلمية الهادئة.

وخلاصة مشروعه أن الإيمان هو الملاذ الآمن للإنسان، وهو القلعة الحصينة التي يحتمي بها الإنسان، وبها يرتشف الإنسان الجمال المادي والمعنوي، بالانتساب إلى الله تعالى الخالق الجليل الجميل، ومعرفة أسمائه، ومشاهدة تجليات أسمائه وآثار أفعاله، والتشوف إلى لقائه، وما ترتب عن ذلك الاعتقاد من لزوم طاعة الله ووجدان الجمال في عبادته، ويغدو الكون كله معرضاً لتجليات جلال الله وجماله، ومسجداً تلهج فيه الموجودات بذكره والانتساب إليه.

والأسرة فضاء جميل تتجلى فيه تجليات جمال الله وآثار رحمته ورأفته، فهي بالإيمان موطن المودة والرحمة والسكينة، وهي أساس البناء المادي والمعنوي، الفردي والاجتماعي. وكل تساهل في أمر الأسرة مآله الضياع والتمزق النفسي والاجتماعي، وهذا أحد أسباب الركود في العالم الإسلامي في العصر الحاضر.

وفي هذا السياق وقف الأستاذ النورسي متفكراً في المجتمع الإسلامي المعاصر، متدبراً حاله، مستشرفاً مآله، فرأى أن أحد أسباب الركود والخلل في العالم الإسلامي في العصر الحاضر، ما تسرب إلى أفكار كثير من المسلمين من الفلسفات التي توجهت إلى الأسرة بالهدم، واعتبرتها نظاماً بدائياً لا يناسب الزمن المعاصر، وأنها قيد على حرية المرأة والرجل، وأن حمل المرأة وولادتها وإرضاعها، ووظيفة بدائية تجاوزها الزمن، وأن تكاليف الأسرة ورعاية الأبناء عبء على الرجل يمنع من انطلاق قواه الإبداعية والإنتاجية التي يجب أن توجه إلى خدمة المجتمع والدولة. ولقد تمكنت هذه الأفكار في الفكر الإنساني المعاصر، واعتبرت مثالا للفكر «التنويري الحديث» الذي يخلص الإنسانية من عصور التخلف والانتحطاط. وهكذا قدمت هذه الأفكار عن الأسرة في ثوب جميل، هو التقدم والبحث العلمي، وفي شعار نبيل، هو تحرير المرأة واسترجاع حقوقها، وتحليل الرجل من أعباء ثقيلة. وصاحب ذلك دعاية إعلامية متقنة. ولهذا قبلها كثير من الناس ودخلت إلى العالم الإسلامي وصادفت فيه حال الضعف الفكري والركود، فقبلها كثير من الناس، بل سوغها أهل الفكر والثقافة. وتسربت هذه الأفكار إلى العالم الإسلامي من مدخلين اثنين هما تركيا ومصر.

الإيمان حصن الأسرة وقلاعها المنيعت

د. حبيبة أبو زيد

كلية الشريعة جامع ابن زهر بأكادير. المغرب

البريد الإلكتروني: h.abouzid@uiz.ac.ma أو Akioui1966@gmail.com

ملخص البحث

في سياق مشروعه العلمي والتربوي والحضاري الذي جعله الأستاذ بديع الزمان النورسي هدف حياته، وحشر له جهوده، ووقف عليه تفكيره وطاقته، وجمعه في خدمة الإيمان ونشر أنوار القرآن الكريم، اهتم رحمه الله ببيان آثار الإيمان، وتقديم الدليل للعالم على جمال الحياة بالإيمان. ولهذا تتبع رحمه الله أحوال الإنسان في الحياة، فرداً، وأسرة، ومجتمعاً. وكانت الأسرة موضع عنايته ومحل اهتمامه، من جهة بيان مكانتها، ودورها في الاستقرار النفسي لأفرادها، وفي استقرار المجتمع وأمنه.

ويأتي هذا البحث لإبراز عناية الأستاذ النورسي بالأسرة، وبيان أثر الإيمان في قوة بنائها وراحة أفرادها، وكيف تتحول الأسرة بالإيمان، إلى فضاء تملؤه قيم الجمال والمودة، وتزينه معاني البهاء والرقرة والرحمة، وكيف يمتد عمر الأسرة ويرتقي يوماً بعد يوماً، حتى يبلغ غايته في قمة السعادة في الدار الآخرة.

الكلمات المفتاحية: الأسرة ، رسائل النور ، النورسي ، الإيمان ، مكانة الأسرة

المقدمة والتمهيد

الأستاذ بديع الزمان النورسي، علم بارز من أعلام الفكر الإسلامي المعاصر، وكتابه كليات رسائل النور مشروع إصلاح كبير وعميق، رصد فيه رحمه الله مشكلات الإنسان المعاصر عامة، وضبط فيه معضلات الفكر الإسلامي خاصة، ثم اجتهد رحمه الله للتنبيه إلى مواضع الخلل، واستجمع قواه

حضارتهم وثقافتهم فيجب على الأمريكيات أن ينجبن المزيد من الأطفال. وفي الوقت الذي لا يوجد فيه أي ضمان بأن تستطيع الحوافز الحكومية تغيير عقلية النساء، فإن بالإمكان بناء الانحياز نحو الأسرة ونحو الأطفال، وإعادة ذلك الانحياز إلى السياسة القومية... امنحوا الحرية للنساء ليخترن ما إذا كن يرغبن في النقاء في بيوتهن مع أطفالهن، وينجبن المزيد من الأطفال. أمريكا لا تحتاج إلى المزيد من العمال، أمريكا تحتاج إلى مزيد من الأطفال.¹

وفي استشراف دقيق لمآل الفلسفات المادية، وآثار الاستخفاف بالأسرة، وآثاره على المجتمع يقول الأستاذ علي عزت بيغوفيتش: «تسير «بيوت المسنين» جنباً إلى جنب مع «بيوت الأطفال» المحرومين... فبيوت المسنين وبيوت الأطفال تنكروا بالميلاد والموت الصناعيين. كلاهما تتوفر فيه الراحة وينعدم الحب والدفع. وكلاهما مضاد للأسرة، وهما نتيجة للدور المتغير للمرأة في الحياة الإنسانية. وبينهما ملمح مشترك هو زوال العلاقة الأبوية: ففي الحضارة أطفال بلا آباء، وفي دور المسنين آباء بلا أطفال. وكلاهما المنتج «الرائع» للحضارة والمثل الأعلى في كل طوبيا.²

أما الأستاذ النورسي فقد انتبه لهذا قبل نحو قرن، في بداية القرن العشرين الميلادي، لما كانت هذا الأفكار تأخذ بعقول كثير من أهل الفكر والسياسة في تركيا وفي العالم العربي، خاصة في مصر، فيأخذونها مأخذ الإعجاب، ويعدونها المثل الأعلى للاقتباس والدخول في ركب «الحضارة والتقدم». ولم تكن الوسائل الجميلة والشعارات النبيلة التي تقدم بها هذه الأفكار لتضلل الأستاذ النورسي، كما ضل بها كثير من أهل عصره. وإنما جعل رحمه الله ينظر بعمق إلى ما وراءها من المقاصد الخفية والغايات المستورة، ويستشرف مآلاتها السيئة جداً، ويرصد نتائجها على أحوال المجتمعات المسلمة. وأول ما رصد من ذلك أن هذه الأفكار، إنما هي معاول لهدم الأسرة، وتصنع بنائها، وفي تصدع الأسرة فساد عريض، وانحراف كبير، وإن انحلال الأسرة المسلمة ضربة قاصمة لكيان الأمة.

قال رحمه الله: «لما كنت في هذه السنة معتزلاً الناس مبتعداً عن الحياة الاجتماعية، نظرت إلى الدنيا... فتأسفت من الأعماق وقلت: أو دب الفساد في هذه الحياة أيضاً (يعني الحياة الأسرية) إن الحياة الأسرية هي قلعة الإنسان الحصينة، ولاسيما المسلم، فهي كجنته المصغرة ودينه الصغيرة. فتشت عن السبب الذي أدى إلى فسادها، وعلمت أن هناك منظمات سرية تسعى لإضلال الشباب وإفسادهم بتدليل سبل الشهوات أمامهم وسوقهم إلى السفاهة والغواية لإضلال المجتمع الإسلامي،

1 «موت الغرب» ص 434 - 435.

2 «الإسلام بين الشرق والغرب» ص 265.

وفي السنين الأخيرة، وبعد نحو قرن من دخول هذه الفلسفات المستخفة بالأسرة إلى العالم الإسلامي، بدأ أهل الحكمة في العالم، في الغرب وغيره، يستشرفون الآثار المدمرة لهذه الأفكار على المجتمعات. وخالصة ما انتبه إليه أهل الحكمة، أن تصدع الأسرة وانحلال عقدها خطر كبير على حياة الإنسان، وجعلوا يستشرفون المآلات المدمرة للفكر المادي الذي يستخف بالأسرة. من هؤلاء مثلاً الكاتب والسياسي الأمريكي باتريك جيه بوكانن¹ في كتابه «موت الغرب». ومن أغراض الكتاب التنبيه إلى مآل المجتمع الأمريكي والغربي خاصة، بسبب ضمور مكانة الأسرة لما سادت الفلسفات التي تعتبر الأسرة قيماً على حرية المرأة، وبسبب غلبة الهوس الاستهلاكي، وشيوع فلسفة التحلل الخلقي والحرية الجنسية. ولبيان خطورة الأمر اعتبر ذلك طريقاً لموت المجتمع، لأنه بتصدع الأسرة يتحلل الرجل والمرأة من مسؤوليات الزواج والحمل والولادة والتربية، وبسبب التحلل الخلقي والحرية الجنسية يولد أبناء خارج مؤسسة الأسرة، فيبقى جزء من المجتمع من غير رعاية نفسية ولا تربية بحنو الأمومة وشفقة الأبوة. ويتحول المجتمع إلى آباء بلا أبناء، وأبناء بلا آباء. ومآل ذلك كله التمزق الاجتماعي، والانحراف النفسي والخلقي، وانتشار الجريمة، وشيخوخة المجتمع لأنه يتوقف عن التكاثر والتناسل. وفي تتبع لهذه الظاهرة وبيان أسبابها يقول باتريك جيه: «الاشتراكية التي كانت النشوة السعيدة للمثقفين الأوروبيين لأجيال خلت، هي السبب... وإذا استطاع الاشتراكيون الأوروبيون تحرير الأزواج والزوجات والأطفال من مسؤوليات الأسرة فإنهم بذلك قد اجتثوا الحاجة إلى الأسرة، وبناء على ذلك بدأت الأسرة تختفي، وعندما تذهب الأسر تذهب أوروبا معها.²» وذكر منظمات وهيئات تدعو إلى تدمير الأسرة لأنها رمز التخلف والاضطهاد والجور. وذكر من الأسباب أيضاً شيوع الفلسفة المادية في التعليم، ونبذ الدين، واعتماد نظرية التطور الطبيعي، وتفسير الطبيعة بالطبيعة نفسها، فلا قيم ثابتة، ولا أخلاق معتبرة.³

وذهب إلى أن الحضارة والثقافة إنما تحفظ بحفظ النسل وتربيته ورعايته، ولا يتم ذلك إلا بالأسرة واستقامة بنيانها، وانسجام أفرادها، فيوجه الكلام إلى أمته فيقول: «فإذا كان الأمريكيون يرغبون في حفظ

1 ولد سنة 1938م، وكان من كبار المستشارين لرؤساء الولايات المتحدة.

2 «موت الغرب» ص 35. والكتاب فيه تحيز واضح للحضارة الغربية، لأنه في سياق تحذير الغرب من شيخوخة المجتمع، وازدياد عدد سكان الغرب من أصول غير غربية، وغلبة الأجناس الأخرى في العالم في آسيا وإفريقيا، فيعتبر خصوبة هذه المجتمعات خطراً على الغرب؟؟؟ والذي يهمنا من الكتاب التنبيه إلى الآثار المدمرة لتحقير الأسرة، وتصدعها.

3 ينظر ص 107 - 115

الأسرية هي قلعة الإنسان الحصينة،¹ وهذا أصل طبيعي بدهي لا تنكره الفطرة الإنسانية، ولا يجحده العقل السليم. ومعنى ذلك أنها الفضاء الطبيعي الذي يحصن المجتمع، بتحصين أفراد. فطبيعة الخلقة، توجب أن يولد كل فرد من تزواج بين الذكر والأنثى، وتوجب أن ينشأ في حضن أمه، وتحت رعايتها، فيرضع من لبنها، ويشم من رائحتها، ويرتوي من شفقتها، وينال من حديها، ويلتذ من ملامعتها، ويتسلى من حديثها، فكل ذلك حاجات فطرية طبيعية، ليس للإنسان خيار فيها ولا قدرة له على تعديلها، فهذه هي البداية الطبيعية السليمة لكل فرد، وبخلاف ذلك لا يستقيم نمو الفرد.

وبالنسبة للمسلم خاصة يعتبر النورسي، أن الأسرة جنة المسلم المصغرة ودنياه الصغيرة.

وهذا الأصل يزداد تألقاً بالإيمان، عندما يستحضر الزوجان أن الأسرة فضاء للطاعة ومجال للعبادة، بالوفاء بالحقوق المتبادلة، ونشر المودة والسكينة، وأن الله تعالى يتولاهما بعنايته ويشملها برعايته. قال الله تعالى: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا رَحِيمًا.» (النساء: 1).

ولهذا حينما ذكرت الأسرة في القرآن الكريم نجدها موصوفة بأوصاف البهاء وبمعاني الجمال، بألفاظ راقية في غاية الزينة والجمال، ليفيد أن الأسرة التي يقترن فيها الزوجان على تقوى من الله ورضوان، هي الفضاء الآمن للسكينة والموضع المناسب للتربية والتنشئة. من ذلك قوله تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ.» (الروم: 21) وجعل ذلك موضع التفكير ومحل التدبر، لأن مصالح الأسرة عظيمة، وفوائدها الخاصة والعامة جليلة في الحال والمآل، فهي السبب الوحيد لبقاء النسل وحفظ النوع، ومحل السكن للزوجين، وهي موطن التربية، وبها يتقى المجتمع مفاصل الانحراف والجريمة، وقد تأكد هذا بوضوح في العصر الحاضر، وأثبتت الدراسات في مجال الجريمة وأسبابها، وتعاطي الممنوعات وجذورها، وانحراف الأحداث وعمله، أن تصدع الأسرة سبب أساس لكل هذه المفاصل. ولهذا فالأسرة المستقرة الآمنة أمان للفرد وللمجتمع، ووقاية لهما من المفاصل. وهذا كله هو الذي عبر عنه الأستاذ النورسي هنا بقوله الجامع كأنه يقرر قاعدة: «الحياة الأسرية هي قلعة الإنسان الحصينة».

فهذا هو الأصل الطبيعي الواقعي الذي أقام عليه الأستاذ النورسي نظام الأسرة، وهو أصل قائم على جمال الفطرة، وبهاء الخلقة في أصلها الذي جبلها عليه الخالق الجميل. ومعنى ذلك أن إنسانية

والإضرار بالدين الإسلامي، كما أحسست أن منظمات أيضا تعمل في الخفاء وتسعى جادا مؤثرا لدفع الغافلات من النساء اللطيفات إلى طرق خاطئة آثمة، وأدركت أن ضربة قاصمة على هذه الأمة الإسلامية تأتي من تلك الجهة.»¹

ويربط هنا بين الأسباب ومسبباتها، فالسبيل إلى اضطراب النظام العام للأمة هو اضطراب الأسرة، والسبيل السالك إلى اضطراب الأسرة هو تعديل أفكار النساء، وحملهن على الانحراف عن فطرة الأنوثة، وأن يتمردن على الأمومة، ويتضجرن من الحياة الزوجية.

فالأسرة هي الركن الأساس للتربية والبناء الاجتماعي، وهي فضاء الاستقرار النفسي، وهذا ما عبر عنه النورسي هنا لما اعتبر الأسرة قلعة الإنسان الحصينة، ولا سيما المسلم، فهي جنته المصغرة. وإن أي تأثير على استقرار الأسرة مؤثر لا محالة على الأحوال العامة للأمة، ولهذا ذكر النورسي هنا «إن ضربة قاصمة على هذه الأمة الإسلامية تأتي من تلك الجهة» يقصد من جهة الاستخفاف بالأسرة وتصدع بنائها وتفكك أوصالها.

ومن هنا كان للأسرة مقام خاص في مشروع الأستاذ النورسي الإصلاحية، وأول ما بدأ به التنبيه إلى وجود منظمات سرية توجه معاول الهدم للأسرة المسلمة من خلال التأثير على المرأة المسلمة، تحت شعارات الحرية وحقوق المرأة، ثم بين رحمه الله الوصف الكلي الجامع الذي يجب أن توصف به الأسرة وهو كونها «قلعة الإنسان الحصينة»، وعمد إلى تحرير مقصد الزواج والغاية من الأسرة، ثم توجه إلى ركن الأسرة وهو المرأة والأمومة، ببيان مكانتها ووجوب العناية بها وتشريفها، ليخلص إلى أن كل هذه القواعد مشروطة بإحاطتها بالإيمان، وامتزاجها بالمعاني الروحية الجميلة، فبالإيمان تحفظ كل هذه القواعد.

المبحث الأول

الحياة الأسرية هي الفضاء الطبيعي الآمن للإنسان

أول ما أكد عليه الأستاذ النورسي ترسيخ الأصل العام والركن الأساس الذي يضمن الاستقرار النفسي والمادي للفرد، وبهية الأمن الاجتماعي، وهو ما عبر عنه بتعبير جميل راق بقوله: «إن الحياة

وإنجاب النسل، أما اللذة الحاصلة من قضاء الشهوة فهي أجرة جزئية تمنحها الرحمة الإلهية لتأدية تلك المهمة¹ أي إن المقصد الأهم والغاية الأصلية المرجوة من الزواج وتكوين الأسرة هو بقاء النوع الإنساني، وأما الميل النفسي والرغبة في نيل اللذة، فإنما هو وسلية.

2. العناية بركن الأسرة وتشريفه: وهو الأمومة:

إن من أهم أسباب تصدع الأسرة في العالم المعاصر الاستخفاف بالأمومة والحط من قدر الأم، فتهدم بذلك الركن الأساس للأسرة. إن الأمومة من أسمى المعاني وألطف الهدايا الإلهية، ومعدن نفيس وعملة نادرة. يقول الأستاذ النورسي في بيان قوة الأمومة وسمو معناها: « إنَّ فداء الأم بروحها إنقاذاً لولدها من الهلاك من دون انتظار لأجر، وتضحيتها بنفسها بإخلاص حقيقي لأولادها باعتبار وظيفتها الفطرية، تدلان على وجود بطولة سامية رفيعة في النساء، بحيث يستطعن أن ينقذن حياتهن الدنيوية والأخروية بانكشاف هذه البطولة وانجلائها في أنفسهن..... في الوقت الحاضر، إنَّ أكرم شيء وأهم أساس في التربية الإسلامية وأعمال الآخرة، إنما هو «الإخلاص» فمثل هذه البطولة الفائقة في الشفقة تضم بين جوانحها الإخلاص الحقيقي.»²

إن الأمومة فطرة في المرأة، وهي وظيفة سامية شريفة من وظائفها. والأمومة اسم جامع لكل معاني الجمال والبهاء، والرقّة والشفقة، والمودة والسكينة. وإن الاستخفاف بالأمومة والحط من قدرها، سبب تصدع الأسرة في العالم المعاصر، وتصدع الأسرة أساس لكثير من المفاصل الاجتماعية التي تهدد استقرار المجتمعات المعاصرة. فتهدم ركن الأمومة يتهدم بناء الأسرة.³ إن الفلسفات المادية المعاصرة لا تقيم للمرأة وزناً إذا كانت راعية لأبنائها، ووفية لزوجها، وقائمة على أسرتها، إنما يرتفع قدرها فقط في خدمة رجال غير زوجها في المصانع، ورعاية أطفال غير أطفالها في رياض الأطفال ودور الحضانات.

ولقد تنبه النورسي لهذا الخطر، وعرف ما تحفل به الحضارة المعاصرة من الاستخفاف بمقام الأمومة، فتوجه إلى أبناء عصره بالنصح والتنبيه إلى وجوب رد الاعتبار لهذا الركن العظيم الذي تقوم عليه الأسرة.

وإن رعاية الأمومة يقتضي العناية بالمرأة بالتربية والتعليم، بنتاً وشابة، ثم رعايتها وتشريفها زوجة

1 «الكلمات» ص 474.

2 «اللمعات» ص 310

3 ينظر: «عوائق النهضة الإسلامية» للأستاذ علي عزت بيغوفيتش ص 50 - 52.

الإنسان إنما تتحقق بالأسرة.

وبعد تثبيت ضرورة الأسرة لحياة الفرد والمجتمع، جاء الأستاذ النورسي لبيان أركان قيام الأسرة، حتى يتماسك بناؤها ويستمر عطاؤها، وتدوم مصالحها، فوضع رحمه الله المعالم الكبرى لبناء الأسرة واستقرارها ومنه تصدعها وخرابها.

المبحث الثاني

معالم بناء الأسرة وأركان نظامها وأسس قوتها

من خلال بيان أهمية الأسرة يمكن استخلاص هذه المعالم عند النورسي وهي: ضبط مقصد الزواج، وتشريف الأمومة ورعايتها، وإحاطة الأسرة بسياج الإيمان.

1. ضبط مقصد الزواج والتميز فيه بين الوسائل وبين الغايات

إن تحديد المقصد من الزواج وتحرير الغاية المرجوة من تأسيس الأسرة، هو أول الأسس في استقرارها وقوة بنائها. فقد جعل الشارع الحكيم من الزواج أصلاً لنظام تفرع العائلة وتكوين النسل، وقد أبدع العلامة الطاهر بن عاشور في بيان مقاصد الزواج في الشريعة الإسلامية وسماها نظام العائلة، فقال: (ولم تزل الشرائع تعنى بضبط أصل نظام تكوين العائلة الذي هو اقتران الذكر بالأنثى المعبر عنه بالزواج أو النكاح، فإنه أصل تكوين النسل وتفرع القرابة بأصولها وفروعها. واستتبع ذلك ضبط نظام الصهر، فلم يلبث أن كان لذلك الأثر الجليل في تكوين نظام العشيرة فالقبيلة فالأمة، فمن نظام النكاح تتكون الأمومة والأبوة والبنوة، ومن هذا تتكون الأخوة... ومن امتزاج رابطة النكاح برابطة النسب والعصابة تحدث رابطة الصهر. وجاءت شريعة الإسلام مهيمنة على شرائع الحق... ولا جرم أن الأصل الأصل في تشريع أمر العائلة هو إحكام أصرة النكاح).¹

وهذا النظام إنما يحفظ ببقاء التنازل والتوالد ضمن مؤسسة الأسرة، ولهذا كان المقصد الأصلي الأول للزواج حفظ النسل وبقاء النوع. وهذا المعنى هو الذي لاحظته الأستاذ النورسي لما ميز بين الداعية المادية الشهوية، وبين المباغي والمعاني الأصلية للزواج، وأن حصول اللذات الحسية وسائل وبواعث جبلية مقصودة لغيرها قال رحمه الله: «إن الحكمة من الزواج والغاية منه إنما هي التكاثر

1 «مقاصد الشريعة الإسلامية» للطاهر بن عاشور ص: 173.

ومعنى ذلك أن القلعة الحصينة للأسرة هو الإيمان، فهو الذي يضيف على الأسرة الجمال والبهاء. يقول الأستاذ النورسي: «إن الحياة العائلية هي مركز تجمع الحياة الدنيوية ولولبها، وهي جنة سعادتها وقلعتها الحصينة وملجؤها الأمين. وإن بيت كل فرد هو عالمه وديناه الخاصة، فلا سعادة لروح الحياة العائلية إلا بالاحترام المتبادل الجاد والوفاء الخالص بين الجميع، والرأفة الصادقة والرحمة التي تصل إلى حد التضحية والإيثار. ولا يحصل هذا الاحترام الخالص والرحمة المتبادلة الوفية إلا بالإيمان بوجود علاقات صداقة أبدية، ورفقة دائمة، ومعية سرمدية في زمن لا نهاية له، وتحت ظل حياة لا حدود لها، وتربطها علاقات أبوة محترمة مرموقة...إلا فإن صحبة وصداقة صورية...ومن ثم يعقبها فراق أبدي ومفارقة دائمة، لهي صحبة وصداقة ظاهرية لا أساس لها ولا سند، لا يمكنها أن تعطي إلا رحمة مجازية، واحتراما مصطنعا، وعظفا حيواني المشاعر، فضلا عن تدخل المصالح والشهوات النفسانية وسيطرتها على تلك الرحمة والاحترام، فتقلب عندئذ تلك الجنة الدنيوية إلى جحيم لا يطاق»¹ ومعناه أن رابطة الزوجية التي تبتق عنها رابطة الأسرة تقوم وتتقوى بالمعاني الروحية وجميل الخصال الإسلامية، وهي أيضا بالإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر، علاقة دائمة سرمدية تمتد إلى الدار الآخرة.

فأساس الأسرة هو المحبة والاحترام المتبادل بين الزوجين: وأساس المحبة هو الإيمان. «إن محبة الزوجة وهي رفيقة حياتك، فعليك بمحبتها على أنها هدية أنيسة لطيفة من هدايا الرحمة الإلهية. وإياك أن تربط محبتك لها برياط الجمال الظاهري السريع الزوال، بل أوثقها بالجمال الذي لا يزول ويزداد تألقا يوما بعد يوم، وهو جمال الأخلاق والسيرة الطيبة المنغرزة في أنوثتها ورقتها. وإن أحلى ما فيها من جمال وأسماء هو شفقتها الخالصة النورانية. فجمال الشفقة هذا، وحسن السيرة، يدومان ويزدادان إلى نهاية العمر. وبمحبتهم تصان حقوق هذه المخلوقة اللطيفة الضعيفة، وإلا تفقد حقوقها في وقت هي أحوج ما تكون إليها بزوال الجمال الظاهري»²

وفي بيان الصفات السامية في النساء التي ينبغي أن تكون محل تعلق ورعاية يقول النورسي إن النساء: «معادن ثمينة للشفقة والرأفة، ومصادر لطيفة للحنان والرحمة... فيجب النظر إلى المرأة نظر الرحمة والشفقة وليس نظر الهوى والشهوة»³

1 الكلمات «ص 105 - 106

2 الكلمات «ص 765

3 الكلمات «ص 476

وأما، فكل هذه مقامات سامية للمرأة، يقول الأستاذ النورسي عن المرأة المسلمة: «إن العلاج الناجع لإنقاذ سعادة النساء من الإفساد في دنياهن وأخراهن معا، وإن الوسيلة الوحيدة لصون سجاياهن الراقية اللاتي في فطرتهن من الفساد، ليس إلا في تربيتيهن تربية دينية ضمن نطاق الإسلام الشامل»¹

وفي تجربة الأستاذ النورسي في حياته، ومكانة أمه يقول: «نعم! إن أول أستاذ الإنسان وأكثر من يؤثر فيه تعليماً، إنما هو والدته. أقسم بالله إن أرسخ درس أخذته، وكأنه يتجدد علي، إنما هو تلقينات والدتي رحمها الله ودروسها المعنوية، حتى استقرت في أعماق فطرتي وأصبحت كالبذور في جسدي، في غضون عمري الذي يناهز الثمانين رغم أنني قد أخذت دروساً من ثمانين ألف شخص، بل أرى يقينا أن سائر الدروس إنما تبنى على تلك البذور. بمعنى أنني أشاهد درس والدتي - رحمها الله - وتلقيناتها لفطرتي وروحي وأنا في السنة الأولى من عمري، البذور الأساس ضمن الحقائق العظيمة التي أراها الآن وأنا في الثمانين من عمري»²

3. تحصين الأسرة في قلعة الإيمان وإحاطتها بجماله:

لما كانت الأسرة فضاء لبقاء النسل، والسكن والاستقرار النفسي، والتربية والرعاية المادية والمعنوية للناشئة، فلا بد من ضمان استقرارها ودوام بقائها، واتقاء تصدعها. وإن حفظها واستقرارها ودوامها، إنما يحصل بإقامتها على الأسس المعنوية الجميلة، واعتبار الحاجات المادية وسيلة لها وليست غاية. وهذا إنما يحصل بالإيمان.

ومن أسباب اضطراب الأسرة واختلال العلاقة بين الرجل والمرأة، التعلق بالجمال الظاهر، جمال الصور والأجساد في غفلة عن جمال المعاني والأرواح وحسن الخلق. من هنا يقرر النورسي أن الجمال الحقيقي الدائم هو جمال المعاني والأخلاق، لأن البقاء للمعاني والأرواح والزوال للأجساد والأشباح. وإن الأسرة إنما تولد من أجل النمو والاستمرار، وتنشأ للبقاء وليس للزوال. ولما كان جمال الصور والأجساد يزول ويفنى بفناء أيام العمر، وبزوال الحياة الدنيا، فإن بقاء الأسرة يمتد إلى الدار الآخرة. وهنا أبداع الأستاذ النورسي بجمالياته وعمق أفكاره.

1 للمعات ص 310.

2 «سيرة ذاتية» ص 43، «المعات» ص 309

فالحياة الأسرية مرحلة تشوف إلى لقاء الله في الدار الآخرة حيث يستكمل الزوجان وذريتهما غاية اقتترانهما بالدخول في رحمة الله تعالى. يقول الأستاذ النورسي:

« أما النتيجة الأخروية لمحبة الزوجة المؤسسة على حسن سيرتها وجميل خصلتها ولطيف شفقتها، والتي تصونها عن النشوز، وتجنبها الخطايا والذنوب، فهي جعل تلك الزوجة الصالحة محبوبة ومُحِبَّةً وصديقة صدوقة وأنيسة مؤنسة في الجنة، جمالها أبهى من الحور العين، زينتها أزهى من زينتهن، حسنهما يفوق حسنهن، تتجاذب مع زوجها أطراف الحديث، يستذكرن أحداث أيام خلت، هكذا وعد الرحيم الكريم، فمادام وعد، فسيفي بوعده حتما.»¹

خاتمة

إن الأسرة نظام واقتران بين الزوجين على تقوى من الله ورضوان، غايته حفظ النسل وبقاء النوع، ورعاية النشأ، وضمان الاستقرار المادي والنفسي، في انتظار الانتقال إلى الدار الآخرة لاستكمال جمال هذا الاقتران في مستقر رحمة الله تعالى، حيث النعيم الكامل والسعادة التامة. وركن هذا النظام هو الأمومة، وجمالها هو حسن السيرة وبهاء المعاني والقيم، وقلعتها الإيمان بالله تعالى والتشوف إلى لقاءه والفوز بنعيمه.

وهذه هي حقيقة المحبة الزوجية وسر دوامها وبقائها، بخلاف ما إذا قامت العلاقة على المصلحة الدنيوية والشهوية الحسية المادية، فهي إلى انهيار لا محالة بزوال المصلحة الدنيوية، وتغير الزينة الجسدية الظاهرة، لأن الأجساد والصور في تغير وفناء، أما المعاني السامية والمقاصد الشرعية فباقية إلى ما بعد الفناء الجسدي الدنيوي لأن البقاء للمعاني والأرواح يقول رحمه الله: «أما محبتك لزوجتك وهي رفيقة حياتك، فلأنها قد أسست على حسن سيرتها وطيب شفقتها، وكونها هبة من الرحمة الإلهية، فستوليها حبا خالصا ورأفة جادة، وهي بدورها تبادل ذلك هذه المحبة مع الاحترام والتوقير، وهذه حالة تزداد بينكما كلما تقدمتما في العمر، فتقضيان حياة سعيدة هنيئة بإذن الله. ولكن لو كان ذلك الحب مبنيا على جمال الصورة الذي تهواه النفس، فإنه سرعان ما يخبو ويذبل، وتفسد الحياة الزوجية أيضا.»¹

إن من مقتضيات الإيمان معرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، والإيمان باليوم الآخر والتشوف إلى لقاء الله تعالى والدخول في كنفه ونيل رضوانه في مستقر رحمته. وهذا ما يحمل المؤمن على اعتبار ذلك كله في كل أفعاله وتصرفاته، ومنها أسرته التي يحمله الإيمان بالله وباليوم الآخر على أن يجعل آثار زواجه وأسرته تمتد إلى الدار الآخرة، فتكون المودة المتبادلة في الأسرة قائمة على أساس متين هو كونها سببا للفوز برضوان الله تعالى في الدار الآخرة، فتكون الأسرة زرعاً يحرث في الدنيا ويتم تعهده بالرعاية والصيانة، وفي الدار الآخرة يحصد آثاره وهي نيل رضوان الله تعالى. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ» (الطور: 21). وهذا ما يحمل على التعلق بالجمال الباقي، جمال الأخلاق والمعاني، فهو الذي تمتد آثاره إلى الدار الباقية، أما جمال الصورة والظاهر فهو سبب ووسيلة.

يقول الأستاذ النورسي: « إن الزوج الرشيد لا يبني محبته لزوجته على جمال ظاهري زائل لا يدوم عشر سنوات، بل عليه أن يبني مودته لها على شفقتها التي هي أجمل محاسن النساء وأدومها، ويوثقها بحسن سيرتها الخاصة بأنوثتها، كي تدوم محبته لها كلما شابت تلك الزوجة الضعيفة، إذ ليست صاحبته ورفيقتة في حياة دنيوية مؤقتة، وإنما هي رفيقته المحبوبة في حياة أبدية خالدة...»

2

1 الكلمات « 771

2 اللغات « 310 - 311

1 الكلمات « 776

Abstract

One of the general purposes of legislation in Islam is to preserve the order of the world and its goodness with the goodness of its people, and perhaps the most prominent feature of the goodness of the world is the rule of social peace as an expression of the value of peaceful coexistence among human beings, which renounces the manifestations of racism, intolerance and feelings of hatred and animosity, and ward off evil. Therefore, belief in God was the foundation of the psychological, emotional and mental construction of man, and the basis of the rules of human society, and this is only because the belief in monotheism removes what is in the hearts of the believers from the diseases of arrogance, arrogance and transcendence.”Say: O People of the Book Come to a word between us and you worship none but God does not involve the thing does not take each other as lords besides God, if they turn away, say, take note fist Muslims (64 Al-Imran). It is the meanings of faith in security and safety and the Secretariat, which do not do peace Imam Said Nursi emphasized these meanings in Risa’il al-Nur, highlighting the effects of the ray of faith and his words in spreading the spirit of peace and preventing the dangers of violence in its various forms, which is what this research seeks to elucidate.

الإيمان وأثره في تأسيس السلام الاجتماعي

دراسة تطبيقية على رسائل النور

أ.د. علي بن العجمي العشي

أستاذ مشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر

د. سالم المساهلي

أستاذ أول مميز درجة استثنائية بالمعهد العالي للدراسات التطبيقية بالكاف،
تونس

الملخص

من المقاصد العامة للتشريع في الإسلام، حفظ نظام العالم وصلاجه بصلاح أهله، ولعل أبرز ملامح صلاح العالم، سيادة السلام الاجتماعي بوصفه تعبيراً عن قيمة التعايش السلمي بين البشر، بما ينبذ مظاهر العنصرية والتعصب وشعور الكراهية والتباغض، ويدرأ مفاصد التنازع والاحتراب. لذلك كان الإيمان بالله ولأركان البناء النفسي والوجداني والعقلي للإنسان، وأساس قواعد الاجتماع البشري، وما ذلك إلا لأن عقيدة التوحيد تنزع ما في صدور المؤمنين من أمراض الكبر والاستكبار والتعالي، فلا أرياب ولا خضوع ولا احتكام إلا لله مصداقاً لقوله تعالى «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» (64 آل عمران). ومن معاني الإيمان الأمن والأمان والأمانة، التي لا قيام للسلام المجتمعي من دونها. وقد أفاض الإمام سعيد النورسي في تأكيد هذه المعاني في رسائل النور، مبرزاً آثار شعاع الإيمان وكلماته في إشاعة روح السلام والوقاية من مخاطر العنف بأشكاله المختلفة، وهو ما يسعى هذا البحث لاستجلائه.

كلمات مفتاحية: الإيمان - السلام الاجتماعي - السلم - سعيد النورسي

مقدمة

الإطار العام للبحث:

تتنزل هذه المحاولة في إطار منهج الذكر الذي نحتاج إليه دائماً لمراجعة مساراتنا الثقافية والحضارية تجديداً للصلة بالمنابع الروحية والمعنوية التي تثبت انتماءنا وترسخ هويتنا وتوجه رسالتنا الاجتماعية، واستمداداً لمعاني الإنسانية النبيلة والقيم الأخلاقية السامية التي تشكل المعين الذي لا ينضب لوعينا التاريخي أمة رسالية على درب الرحمة والملحمة. إن ما يجتاح العالم اليوم من اضطراب أخلاقي وفكري وحضاري، وما يتهدده من انهيارات اجتماعية ونزعات أصولية وجنوح طاغوتية وتمييز عنصري، يدعونا لوقف تأمل نستشعر فيها دورنا بوصفنا أمة إسلامية تحملت رسالة الاستخلاف والرحمة والهداية الربانية، في انتشار الناس من دروب النية والانحراف عن جادة الإنسانية، ولعل الله سبحانه يقيض لعباده برحمته ولطفه من يرفع مشعل النور وشمس الحقيقة ليضيء للناس طريق الحق والرشد، إماماً يهدي للتي هي أقوم، وإذا كان الرسول محمد عليه الصلاة والسلام قدوتنا، فلا شك أن

التَّقافي الجارف، والاحتلال الظَّالم، منافحا بالكلمة والشعور ومكافحا بالانخراط في الجندية، فحقَّق من الوعي التقافي لدى الأجيال ما ملأها ثقةً في دينها وثقافتها، وزرع من بذور الاعتزاز بالهوية وكرامة الذات ما أثمرت به تركيا الحديثة. فكيف تستطيع الأمة الإسلامية اليوم، - وحالها أفضل من خلال بشائر الثورات - أن تستكمل مشروع تحررها الشامل وتستردِّ مقامها الرسالي، في تصفية تركة الاحتلال البغيض الذي ورث النُخب الفرقة والخلاف والعداوات الإيديولوجية، لتبني سلامها الاجتماعي ووحدتها الوطنية من خلال ثقافتها الوطنية الأصيلة ومشاعليها الذاتية في التنمية الحقيقية، بعيدا عن هيمنة القوى الغازية؟

وكيف لها أن تستعيد دورها الرسالي في إشاعة السلام الاجتماعي بين العالمين في كونية عادلة لا هيمنة فيها ولا استتباع؟

أهمية البحث:

يقول عزّ من قائل: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضَلُّهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ - إبراهيم، 24 - 25)، ولا شك أنّ مدلول الكلمة الطيبة أوسع سعة معاني القرآن بحقيقته ومجازه، فالكلمة فكرة وشعور وأداء اجتماعي، لأنها مرتبطة بوجود الإنسان وعقله وعمله، وما كانت الشهادتان إلا عبارة كلام. من هناك كانت كلمات الإمام سعيد النورسي بذور وعي نابض بالحياة أدى إلى تكوين أجيالٍ حملت مشعل تثبيت الإيمان وإنقاذه من جمود الحروف. إنّ الكلمات مكتوباتٌ بوهج الروح وهنّ شعاعاتٌ ولمعاتٌ وإشاراتٌ، توقظُ الشّعور وتتبه العقل وتشجذ الإرادة وتدفع إلى الفعل. ألم تكن الرسالات السماوية كلها كلماتٍ حولها الرُّسل والأنبياء إلى علاماتٍ وحركاتٍ اجتماعيةٍ ؟ ألم تكن مشاريع المصلحين رسائلٍ وكلماتٍ موحيةٍ وموجهةٍ ؟ هنا تأتي أهمية البحث في رسائل النور بوصفها معينا لا ينضب لانجاس الدلالات والإلهامات، ذلك أنها لم تكن كلماتٍ سيّارةٍ وعابرةٍ، ككلامنا اليومي، ولكنها كانت تلد مضمخةً بوجود عارفٍ بالله مقتبسٍ من نور الإيمان ما يجعل كلماته نفاتٍ روحٍ ونبضاتٍ قلبٍ وزهراتٍ تجرّية حية في استكناه أسرار الوجود واختبار الواقع الاجتماعي، بحرص المصلح المخلص والأب الحاني والمُربي المُحب. فكيف لا نقترّب من هذا النبع في واقع جفّ فيه الكلامُ نفاقاً وسطحيةً، وضمّر فيه الشّعورُ تهاوؤاً وبروداً واطمحل فيه الصدقُ بخلا وفُتورا ؟ إنّ لكلمات النورسي حرارة المؤمن الواثق بالله، ودفء المطمئن إلى وعده تعالى، وفيها بُرهان العاقل المثقّف النبهي، ونهج الناصح الوفي، المتبع بإحسان إلى أنوار الوحي وسنة النبي صلى الله عليه وسلم. إنه تثبيتُ الله لأوليائه في قوله تعالى: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا

من اهتدى بهديه واستنّ بسنته يظلّ من الذين أشار إليهم صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»⁽¹⁾.

إننا هنا في حضرة أحد أعلام الأمة البارزين الذين طبقت شهرتهم الآفاق، لا بوسائل الإعلام المأجورة وإنما بآثاره وأعماله وكفاحه وتلاميذه الذين تشربوا على يديه أنوار الإيمان فحملوها ألوية سلام ورسائل نورٍ تخترق حُجب الظلام الذي ران على الكون، مبشرةً بالحقيقة الكونية الكبرى وهاديةً إلى طريق الإيمان الحق، لإنقاذ البشرية من غفلتها وسهوها الوجودي، ولتطهر نفوس الناس من أمراض الكراهية والتباغض والأحقاد والتنافس المحموم الداعي إلى العداوات والفتن، هاديةً إلى السلام النفسي والاجتماعي والأخوة الإنسانية الراشدة. ذلك هو الإمام سعيد النورسي شعاعُ الرحمة الرّبانية وبُرهان أنوار القرآن الكريم وصيقل الإيمان والإسلام، الذي نحاول أن نقترّب من مقامه النوراني في هذه الوقفة، باحثين عن مكامن الدرّ في هذا البحر الزّاهر المترامي من أمواج النور، مقتسبين ما يساعذ البشرية على انتهاز مسالك السلام الاجتماعي، شفاءً من أمراض العداوات والفتن والحروب.

إشكالية البحث:

إنّ ما شهدته البلاد الإسلامية في القرون الأخيرة من انهيار وتفكك، وخصوصاً زمن التمدد الاستعماري إبان سقوط الخلافة وبعده، يجعل الأمل في استفاقة الأمة وقيامها من كبوتها أمراً صعباً، قايماً لما كانت تمتلكه الدول الغازية من إرادة هيمنة مسلحة بالقوة العلمية والتقنية والعسكرية. فهل كانت البلاد الإسلامية والعربية وقتها قادرة على مواجهة ذلك الرّحف الغربي الهائل وبيتها يوشك أن ينهدّ ومجتمعاتها مشتتة وثقافتها جامدة ووجدانها فاتر وريحها باهتة؟ أضف إلى ذلك الخلافات التي نشأت بين النخب السياسية والثقافية، بين متطّع منبهر بوعود الحضارة الغربية، وبين متمسك بهوية تقليدية لا تقدر على الحضور الندي. كان الأمر يتطلب إرادة صلبة وعزيمة فولاذية ووجداناً نابضاً بالإيمان الحيّ الواثق، وهو ما تجسّد في شخصية الإمام سعيد النورسي وجعله يندفع في مواجهة التيار

1 أخرجهُ أبو داود في سننه . كتاب الملاحم . باب ما يذكر في قرن المائة . حديث رقم (4291) . ص 674 . وأخرجهُ البيهقي (ت 458هـ) في «معرفة السنن والآثار» . تحقيق السيد أحمد صقر . نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، دت، 1/137 . وأخرجهُ البيهقي أيضاً في كتابه «مناقب الشافعي» . تحقيق السيد أحمد صقر . دار النصر للطباعة . القاهرة . ط/1 . 1391هـ . 1970م . 1/53 . وأخرجهُ الحاكم النيسابوري (ت 405هـ) في المستدرک على الصحيحين . دار الفكر . بيروت . لبنان . د . ت . كتاب الفتن والملاحم . 4/522 .

” آمن بالشّيء صدق، والإيمان إظهارُ الخضوع والقبول للشريعة ولما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم، واعتقاده وتصديقه بالقلب، واثق أهل العلم أنّ الإيمان معناه التصديق، قال تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ . الحجرات 15، والأمن، ضدّ الخوف والأمانة ضدّ الخيانة»⁽¹⁾. ”أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف، وأمن على وجهين أحدهما، متعدياً بنفسه، يُقال آمنته أي جعلت له الأمن، ومنه قيل لله مؤمنٌ. والثاني غير متعدٍ ومعناه صار ذا أمين. والإيمان إذعانُ النفس للحق على سبيل التصديق باجتماع ثلاثة أشياء، تحقيقُ بالقلب وإقرارُ باللسان وعملُ بالجوارح، قال تعالى: وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» [الحديد 19] ⁽²⁾.

أما اصطلاحاً فقد «عرّف الجرجاني الإيمان في كتاب التعريفات، فقال: الإيمان في اللغة: التصديق بالقلب، وفي الشرع: هو الاعتقاد بالقلب، والإقرار باللسان، قيل من شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق، ومن شهد وعمل ولم يعتقد فهو فاسق، ومن أخلّ بالشهادة فهو كافر»⁽³⁾.

وفي الكشاف يذكر الثّانوي «أنّ الإيمان في اللّغة التّصديقُ مطلقاً، والتّصديقُ اللّغويُّ هو اليقينيُّ على ما يجيء في محله فالظنّيُّ ليس بكافٍ في الإيمان.. وهو معرفة الله تعالى مع توحيدهِ بالقلب»⁽⁴⁾.

وعزفه الأثري قائلا: «فسمّى الإيمان عند أهل السنة والجماعة؛ كما أجمع عليه أئمتهم وعلمائهم، هو تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية»⁽⁵⁾

وحقيقة الإيمان الشرعي أنه (ما في القلب والأعمال الظاهرة لازمة لذلك، لا يتصور وجود إيمان القلب الواجب مع عدم جميع أعمال الجوارح، بل متى نقصت الأعمال الظاهرة كان لنقص الإيمان الذي في القلب) ⁽⁶⁾.

1 ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، دار المعارف القاهرة، مادة أمن 1/141

2 الرزاعب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، كتاب الألف ص33

3 الجرجاني علي بن محمد، معجم التعريفات، دار الفضيلة، مادة الإيمان ص37

4 الثّانوي محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مادة إيمان، 1/297

5 الأثري عبد الله، الإيمان، حقيقته، خوارمه، نواقضه، عند أهل السنّة والجماعة، مدار الوطن للنشر، دار اليسر القاهرة 2011، ص13

6 ابن تيمية تقي الدين، الإيمان، المكتب الإسلامي بيروت لبنان، ط5، 1996، ص157

يَشَاء). سورة إبراهيم 27.

منهج البحث:

تتطلبُ كتاباتُ الثّورسي قدرًا كبيرًا من النّباهة والتّأمّل، لذلك اعتمدنا المنهج التحليلي في تفسير المفاهيم والمصطلحات التي ارتكز عليها في بيان رؤيته وأفكاره وإشاراتهِ المتعلقة بموضوع الإيمان في صلبهِ بالواقع الإنساني، محاولين استنتاج أبعاده ودلالاتهِ الثّقافيّة الواقعيّة وآثاره الاجتماعيّة. كما وظّفنا المنهج الاستقرائي لتتبع مختلف آراء الثّورسي وأفكاره المتعلقة بحقيقة الإيمان في تجلياتهِ الشعوريّة والعقليّة والواقعيّة. كما كان لا بدّ من اعتماد المنهج التّاريخي لاستجلاء آثار اللحظة التاريخيّة في توجيه أفكار الإمام الثّورسي نحو أهدافه الإحيائيّة والإصلاحيّة، من خلال قراءته المتجدّدة والتّويريّة لرسالة الإسلام في جدله المستمرّ مع الزّمان والمكان، ولم يكن هناك بُدّ من الاستعانة بالمنهج الانتروبولوجي لرصد علاقة أفكار سعيد الثّورسي بواقع الإنسان المسلم، وبالمرحلة الثقافيّة والحضاريّة التي عاشتها الأُمّة في تفاعلها مع الواقع الحضاري المحليّ والعالميّ.

أهدافُ البحث:

نسعى من خلال هذه الورقة إلى الاطلاع على إحدى زوايا الفكر التّويري للإمام الثّورسي، المتمثّلة في تركيزه على تفعيل شعور الإيمان ومعانيه وأبعاده السلوكيّة لإشاعة أنوار حقيقته في الوجود، بما ينتشلُ البشريّة من ظلمة الانكباب على وجهها، في صراعها الدائم مع الحاجات الماديّة التي لا تنتهي، والتي تدفعها إلى المنافسة المحمومة والتّنازع والتّعادي والكراهية والاحتراب، ليفتح وجدانها وبصيرتها على فسحة الحقيقة المطلقة، لمعاني السّلام الرّوحي والنّفسي والاجتماعي، الذي يعيدُ للإنسان معناه المفارق وعمقه الوجداني ونبعه الرّبّاني. نسعى إلى ذلك من خلال النّظر في مدوّنة رسائل الثّور بما تمثّله من رصيد فكري وغنى دلالي وثرء معنوي، يفتّح على النّظر الواثق بالله والأمل في التّغيير نحو الأفضل. ولعلّ الهدف الأبرز لهذه الورقة يكمنُ في استمداد الطّاقة الكامنة في ثنايا كلمات الإمام، من أجل استعادة روحانيّة مشروعه الإصلاحي، بإحياء الإيمان وإنعاش الفكر وشحذ العزم، لدعم السّلام الدّخلي لشعبنا بتركيز مصالحة ثقافية بين نُخبها على أساس مفردات الهويّة الجامعة، وتلبية مطالب الناس في الأمن الثقافي والاقتصادي والاجتماعي، بما يحقّق اكتفاءها وعزّتها وكرامتها، ويشجّعها على الإسهام في بناء السّلام العالمي بدعم حرّيّة الشّعوب ومقاومة الاحتلال والنّزعات العنصريّة.

مدخل مفاهيمي:

١ - الإيمان لغةً واصطلاحاً:

البقرة 208“ وقوله: « وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ » الأُنفال 61“ وهو ما أكد عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ..(1) ». ذلك ما عبّر عنه سيّد قطب بقوله: «إِنَّ الدخول إلى الإسلام وحده كافٍ لأن يجعل المسلم يدخل في عالمٍ كلّهُ سِلْمٍ وسلام، وطمأنينة ووثاق وثقة واطمئنان، لا حيرة ولا قلق ولا شرود ولا ضلال، سلام مع النفس والضمير ومع العقل والوجدان، سلام مع الناس ومع كلّ ما في الوجود»(2)..

٣ - السِّلْمُ الاجتماعي:

“السلم الاجتماعي توافر الاستقرار والأمن والعدل الكافل لحقوق الأفراد في مجتمع ما، أو بين مجتمعاتٍ أو دول”⁽³⁾

”هو ذلك الاستقرار التامّ والتعايش بين شعوب وأعراق مناطق مختلفة، نتيجة التفاهم وحسن الجوار واحترام الرأي الآخر، وتقبل تعايش الأقليات مع بعضها وحلّ الخلافات بالتوافق دون عنف“⁽⁴⁾ يُراد بمفهوم السِّلْم إشباع تلك الحاجة الفطريّة لكلّ إنسان على الأرض، وهي الحالة الطبيعيّة التي تشكّل ذلك الانسجام والتآلف بين الناس لتقضي إلى حالة من الهدوء والتفاهم المُشترك، ذلك أنّ طبيعة النفس البشريّة تميل إلى نبذ الكراهية والعداوة والحقد، لأنها معاكسة للفطرة ولأنّ الإنسان مدني بطبعه“⁽⁵⁾.

٤ - التعايش السلمي:

”التعايش كلمة تعني المشترك مع الآخرين، ولا يكون التعايش إلا بوجود الألفة والمودة، ولا يعيش الإنسان مع غيره إلا إن وجد بينهما تفاهم ورغبة بعيشة مشتركة، لحمتها الألفة، وسداها المودة والثقة“⁽⁶⁾،معنى هذا أنّ العيش المشترك لا يكون إلا على أساس الثقة والاحترام المتبادلين بطوعية واختيار، والذي يهدف إلى اجتماع يتفق عليه الطرفان أو الأطراف التي ترغب في تقبل بعضها

«مبدأ التعايش والتفاهم والتسامح مع الآخرين على اختلاف قومياتهم وعقائدهم وألوانهم، هو جزء من عقيدة المسلم التي تقوم على إيمانه بالوحدة الإنسانية لأنّ الناس كلّهم عيال الله.“⁽⁷⁾

٢ - السلام لغة واصطلاحاً:

”السِّلَامُ في الأصل السِّلَامَةُ يقال سَلِمَ يَسْلُمُ سَلَاماً سَلَامَةً ومنه قيل للجنة دار السِّلَامِ لأنها دار السِّلَامَةِ من الآفات، (1). ”السِّلَامُ والسِّلَامَةُ: البراءة والعافية، يقولون: سلامٌ عليكم، فكأنه علامة المسالمة وأنه لا حرب هنالك، ومعنى السِّلَامِ الَّذِي هو مصدر سَلِمْتُ أَنَّهُ دعاءٌ للإنسان بأن يسلم من الآفات في دينه ونفسه، وتأويله التَّخْلِيسُ“⁽²⁾،والسِّلْمُ من المسالمة، تقول: أنا سلم لمن سالمني وتسالما تصالحا والمسالمة المصالحة⁽³⁾“، و«السِّلْمُ والسِّلَامَةُ التَّعَرِّي من الآفات الظَّاهرة والباطنة، قال تعالى: بِقَلْبٍ سَلِيمٍ الشعراء ٨٩، والسِّلَامُ إسم من أسماء الله تعالى: لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ الأنعام ١٢٧، السِّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِمُّ الحشر 23، وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا. الفرقان ٦٣، أي نطَلُبُ السِّلَامَةَ، والسِّلْمُ إسمٌ بإزاء الحرب والإسلام الدخولُ في السِّلْمِ وهو أن يسلم كل واحد من أن يناله من ألم صاحبه..“⁽⁴⁾،أما في الاصطلاح فالسلام الاجتماعي «يعني غياب كلّ مظاهر العنف والقهر والخوف في المجتمع، والسلام لا يعني فقط غياب الحرب كما أنه ليس مجرد ظاهرة سياسية، ولكنه يعبر عن عملية اجتماعية متعدّدة المستويات، إذ تتضمن السِّلَام على مستوى العائلة والمجتمع وعلى المستوى الإقليمي والدولي، كما يتناول السِّلَام الداخلي أي النفسي، وهذا النوع ضروري من أجل وجود عالم سلمي“⁽⁵⁾

فالسِّلَام حالة شعوريّة وسلوك اجتماعي يعكس حالة السكينة النفسية والوثاق بين الناس، وشكّ أن المجتمع البشري يتكوّن من مجموعة أفراد مختلفين في الأفكار والمذاهب والمواقع الاجتماعيّة والوظائف، ولكن ذلك لا يدعو ضرورة إلى التناحر أو الصّراع، إذ يكفي المجموعة البشريّة الاتّفاق على ميثاق أو عَقد اجتماعي ينظّم العلاقات بينها، فيحدّد الحقوق والواجبات، ويضمن المساواة والعدالة بين الجميع في كنف الشفافية والنظام، كي تستقرّ الجميع ويتألفوا. إنّ السِّلْم بمفرداته واشتقاقاته المختلفة تعبيرٌ عن توقٍ فطريّ وطبيعيّ في الإنسان للعيش في أمانٍ وطمأنينة وهدوء ومصالحة مع النفس ومع الآخرين، وهو ما يزخر به النّصّ القرآني من مثل قوله تعالى«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً

1 مسلم، الإيمان/ بين تقاضل الإسلام وأيّ أموره أفضل، 1/5، رقم الحديث 41

2 قطب سيّد، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط7، 1/298.

3 البديوي، الحوار وبناء السِّلْم الاجتماعي، ص 12

4 الغروي، السلم الاجتماعي في القرآن والحديث، ص 18.

5 القيسي محمد وائل، السِّلْم المجتمعي، المقومات وآليات الحماية، نيوي أنموذجاً، مركز نون، 12 أكتوبر 2017.

6 هاني المبارك وشوقي أبو خليل، الإسلام والتعايش والتفاهم بين الشعوب، دار الفكر المعاصر بيروت، ط2، ص 12.

7 المرجع نفسه، ص 17.

1 ابن الأثير، غريب الحديث، تح أحمد طاهر الزاوي، مؤسسة إسماعيليان، إيران، ط4، 2/393.

2 ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، دار المعارف القاهرة، مادة سلم ص 2078

3 ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، 12/297.

4 الزاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، كتاب السنين، ص 317

5 أشرف عبد الوهاب، التسامح الاجتماعي بين التراث والتغيير، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 2006، ص 82

التباغض والتنافر بين عناصر الإسلام وقيادته . بسبب من الفكر القومي . هلاك عظيم، وخطب جسيم، إذ أنهم أخرج ما يكون بعضهم لبعض، لكثرة ما وقع عليهم من ظلم وإجحاف، ولشدة الفقر الذي نزل بهم ولسيطرة الأجانب عليهم، كل ذلك يسحقهم سحقاً، لذا فإن نُظِر هؤلاء بعضهم لبعض نظرة العداة مصيبة كبرى لا توصف، بل إنه جنون أشبه ما يكون بجنون من يهتم بلسع البعوض ولا يعبأ بالتعابين الماردة التي تحوم حوله⁽¹⁾. إنّه يخاطبُ أمةً تتهددها قوى الهيمنة المحيطة بها والمدججة بسلاح العلم والتقنية، لذلك لا يحق لها أن تثير ما بينها من اختلافات طبيعية داخلية، وأن تجعلها مدعاةً للتنازع والصراع وتمزيق أواصر الأخوة الدينية والاجتماعية، لأن ذلك يشجع أعداءها على التفخ في نار الفتن والخلافات لتعميق الفجوة بينها واختراقها من أجل السيطرة عليها وعلى مقدرات أرضها. وقتها تصبح تلك المجتمعات التي نخرتها الفتن مهياًةً للانقياد للقوى الخارجية والاستقواء بها على أبناء دينها وقومها.

بات واضحاً أن الدول والمجتمعات مخترقةً من قبل قوى الاستتباع والهيمنة، ساعدها في ذلك ما وجدته من أبناء تلك المجتمعات والدول من قابلية للتفاعل معها والتجاوب مع رغباتها ومخططاتها الاستتباعية. يسمي الإمام النورسي الأمور بأسمائها ويشير إلى دور النزعات القومية في بلبله واقع المجتمعات الإسلامية، مبيناً أن تلك الدعوة المناقضة للإسلام تتسلخ من تراثها الثقافي والحضاري حين تقلد دعوات القومية في الفكر الغربي، ذلك أن المجتمع الإسلامي ليس فيه خصومة بين الدين والوطن ولا بين الإسلام والقومية، يقول: "لا تكون الأخوة القومية مهما كانت قوية إلا ستاراً من أستار الأخوة الإسلامية. وبخلافه، أي إقامة القومية بديلاً عن الإسلام، جنابة خرقاء أشبه ما يكون بوضع أحجار القلعة في خزينة ألماس وطرح الألماسات خارج القلعة"⁽²⁾.

المطلب الثاني: الإيمان والإيمان التحقيقي عند النورسي:

الفرع الأول: الإيمان:

يشع نور الإيمان داخل كيان الإنسان المؤمن فيملاً وجدائه انشراحاً ويغمر نفسه طمأنينةً، فإذا المحيط من حوله ناطق بمعاني التوحيد، مستبح باسم البديع المدبر الحكيم، متناسق الحركات منسجم الأداء. حينها تتفتح البصيرة الإيمانية ليرى الإنسان بعيني قلبه بدائع المشاهد الناطقة بالألفة والأنس، ويُدرِك أن الطبيعة بكل ما فيها من آلاء مسخرة لخدمته، فيتخلص من شعور الرهبة والوحشة والخوف تجاه الطبيعة، ويحس أنها كتاب الله المفتوح ونعمه المهداة الممهدة للإنسان، ذلك أن: «نور الإيمان بالله

المبحث الأول التعارف بين الناس غاية الخلق

المطلب الأول: أصالة الكرامة البشرية:

خلق الناس من أصل واحدٍ ولخالق واحد على أرضٍ جامعة، بما يعني ضرورة تلاقيهم وتعایشهم وتآلفهم، لما يجمع بينهم في أصل التكوين وحاجة بعضهم إلى بعض. وكان التكليف الرباني للإنسان بالخلافة دافعاً لتعاون البشر من أجل تعمير الأرض وبناء المجتمع الإنساني على أساس المصالح والمنافع المشتركة. من هنا ينطلق الإمام النورسي ليحدد أرضية الاجتماع البشري وسقته مستنداً إلى قوله تعالى: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليمٌ خبيرٌ» الحجرات ١٣، لتتجلى حقيقة القدر الإلهي الذي خلق الناس وجعلهم مختلفين، لا لتعميق اختلافهم وخلافهم، وإنما لإثراء الوجود الإنساني من خلال السعي إلى التعارف والتواصل، ذلك أن التشابه التام والتطابق المطلق لا يدعون إلى الرغبة في التقارب. فإذا كان الخالق سبحانه واحداً ومكان العيش واحداً والمصير واحداً، فلم التنافر والتباعد، بل إن كل ذلك «يقضي الأخوة والمحبة والوحدة، بمعنى أن الانقسام إلى طوائف وقبائل - كما تعلنه الآية الكريمة - ما هو إلا للتعارف والتعاون لا للتناكر والتخاصم»⁽¹⁾.

وإذا كانت البشرية على تنوع اختلافاتها العرقية والثقافية والحضارية مدعوة إلى التعارف بنص الآية فمن باب أولى أن تكون الأمة الواحدة التي جمعها عقيدة التوحيد وعلمها النبي القدوة وسددها الشرع الحنيف وجمعها الرسالة الواحدة، أقرب إلى التماسك والتكافل والتضامن والوحدة، وألا تعود إلى ما كانت عليه من شتات وفرقة وتنافر ونزاع قبلي. يشير الإمام النورسي إلى الأمراض النفسية والفكرية والاجتماعية التي أصابت الأمة مبرراً أثر التباغض والخلافات السياسية والإيديولوجية في تشتيت شمل الأمة وإرباك مسيرتها وتخريب أسس بنائها الاجتماعي، يقول في لهفة المصلح الناصح: «إن

1 النورسي، المكتوبات، ص 415

2 النورسي، المكتوبات، ص 416

1 النورسي سعيد: المكتوبات، دار سوزلر للنشر، القاهرة 2011، ص 413 . 414.

البالغ درجة البدهاءة والصّرورة، وبقوة تبلغ درجة اليقين، وذلك بفيض سرّ من أسرار الوحي الإلهي من جهة الإيمان بالغيب، وبطران برهانيّ وقرآنيّ يمتزج فيه العقل والقلب معا⁽¹⁾

يبدو التّورسي من خلال هذا التّفصيل الواضح لطريق الإيمان التّحقيقي ناطقاً عن تجربة ذاتية، ذلك أنّه يتعمّق في بيان طريقتين يؤدّيان معا إلى تلك الدرجة الإيمانية، ولعلّ الطريقتين يشتركان في استبداء ملكات الإنسان مجتمعة كالقلب والعقل والشّعور سبيلاً لبلوغ مرتبة اليقين. إنّ الهدف المركزيّ للتّورسي من خلال الحرص على إحياء الإيمان هو تحويله إلى طاقة خلاقة وحرارة وجدانية وإرادة فاعلة في الواقع. فالغاية هي إصلاح الفرد والمجتمع من خلال تفعيل معاني الإيمان وتحريرها من الفهم التقليديّ البارد الذي عزل الشّعور الإيمانيّ عن التأثير في الحياة، وجعله مجرد معرفة سطحية لا تلامس الفعل ولا تُخالط الممارسة اليومية وكأنّها شأن أخرويّ بحت.

ثمّ يعود التّورسي إلى البدايات من نشأة الإسلام، مدكراً بأفضال عقيدة التّوحيد في تأليف القبائل العربية المتقاتلة والمشتتة المتنافرة، والتي أصبحت بفعل الدّعوة الإسلاميّة أمة واحدة، ذات رسالة خالدة، ارتقت فيها من هامش التّاريخ والحضارات إلى ريادة العالم وقيادة البشريّة نحو قيم جديدة للأخوة الإنسانية والتعايش على أساس مبادئ الحرّيّة والمساواة والعدالة. إنّ ذلك الامتزاج بين عقيدة التّوحيد، بمعانيها السّامية، بمشاعر النّاس، هو الذي أعلى لواء الأخوة الدّينية محتوية أخوة الدّم والعشيرة، ومهيمنة عليها، على نحو سما بالشّعور الإنساني وارتقى به نحو معاني الكرامة البشريّة المجردة عن الانتماء الضيق للعرق أو المذهب أو اللون أو الجنس. يؤكّد الإمام التّورسي ذلك في روحانيّة عالية بقوله: «لقد تحدّثتم العالم أجمع منذ ستمائة سنة بل منذ ألف سنة من زمن العباسيين، وأنتم حاملو راية القرآن والناشرون له في العالم أجمع. وقد جعلتم قوميتكم حصناً للقرآن وقلعة للإسلام، وألزمتم العالم إزاءكم الصّمت والانقياد، ودفعتم المهالك العظيمة التي كادت تودي بحياة العالم الإسلامي، حتى أصبحت مصداقاً حسناً للآية الكريمة: «فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ»⁽²⁾.

إنّ المخزون النفسيّ للشعوب الإسلاميّة وما ترسّخ في وجدانها عبر قرون من الرّمن مؤن روحانيّة الإيمان والاعتقاد، لا يمكن لدعوى القوميّة توظيفه واستثماره، ذلك أنّها منسلخة من شموليّة الرّؤية

سبحانه، والنظرة إلى الكون لأجله، يجعل الأشجار بل حتى الأحجار كأنّها أصدقاء مؤنسون فضلاً عن ذوي الشّعور من عباده، حيث يمكن لتلك الموجودات أن تتكلم معنا - بلسان الحال - بما يسلينا ويروّح عنّا⁽¹⁾. إنّ هذا التّصوّر العميق لمعاني الإيمان في فكر التّورسي، يتعدّ عمّا سبق من مفاهيم محدودة، قصرت الإيمان على الاعتقاد القلبي والافتناع العقلي، دون أن تحوّل إلى رؤية ثقافية وفلسفيّة وجودية ونمط سلوكي. من أجل ذلك اجتهد التّورسي في توسيع دائرة فهم مسألة الإيمان بوصفه أساس التّصوّر الثقافي الإسلامي، وأبرز قواعد التّوحيد ومرتكزاته. وبذلك لا يكون الإيمان مجرد موضوع للدرّس وإنّما يصبح تجربة حياتية تتجلّى فيها قيم التّوحيد بأبعاده المختلفة، الفكرية والشّعورية والفنيّة والجمالية، وتتشّع آثاره في الواقع الحياتيّ المعيش. كما يصيرُ الفعلُ الإيمانيّ مراقي يتدرّج المؤمن في سلّمها بقدر صدقه وإخلاصه في تلقّي لطائفه وإشارته وأسراره، بكلّ ما لديه من مدارك ومؤهلات، فالإيمان كما يرى التّورسي: «أسمى العلوم وأدقّها، ومعرفة الله هي أوسع العلوم وأنورها، والأحكام الإسلاميّة هي أهمّ المعارف وأكثرها تنوعاً، فمن الألزم إذاً أن يكون الدّرس الذي يتلقّاه النّاس درساً يوائم فهم كلّ منها، والحال أن الدّرس واحد، وليس مختلفاً، فلا بدّ إذاً من وجود طبقات من الفهم في الدّرس نفسه، فكل طائفة من النّاس تأخذ حظّها من الدّرس من مشهد من مشاهد القرآن⁽²⁾».

الفرع الثاني: الإيمان التّحقيقي:

إنّ انتقال حقيقة الإيمان من المعرفة النظريّة والتّصديق القلبي، إلى التجربة التي يحضّر فيها الإنسان بكلّ مكوناته المعنويّة والماديّة، روحاً ونفساً وعقلاً وسلوكاً، هو الذي جعل التّورسي يُطلق على أسمى درجات التّرقّي الإيماني مصطلح (الإيمان التّحقيقي)، يقول في الملاحق: «أما هذا النوع من الإيمان التّحقيقي، فلا يتوقّف في حدود العقل فحسب، بل يسري إلى القلب وإلى الرّوح وإلى لطائف أخرى، فيترسّخ فيها رسوخاً قوياً، لا تصل إليه يد الشيطان أبداً⁽³⁾».

وحيث نتساءل عن معنى هذا الإيمان ومتطلّباته وطريق الوصول إليه يجيبُ التّورسي: «إنّ إحدى طرق الوصول إلى هذا الإيمان التّحقيقي هو بلوغ الحقيقة بالولاية الكاملة بالكشف والشّهود، وهذا الطريق إيمان شهوديّ يخصّ أخصّ الخواصّ، أمّا الطريق الثّاني فهو تصديق الحقائق الإيمانية بعلم اليقين

1 التّورسي، سيرة ذاتية، دار سوزلر القاهرة 2011، ص 263

2 التّورسي، الكلمات، دار سوزلر القاهرة 2011، ص 473

3 التّورسي، الملاحق، ملحق قسطنوني، دار سوزلر القاهرة 2011، ص 104

1 التّورسي، الملاحق، م، ن، ص 105

2 التّورسي، المكتوبات، ص 416

الإسلامية واتساع عقيدة التوحيد لكافة الناس أعرافا وأجناسا. إن التوحيد الإسلامي أوسع أفقا وأصدق تأثيرا في الوجدان والفكر والسلوك من نزعات القومية العنصرية التي تعتمد رؤية انعزالية عرقية مغلقة، بما يقوي شعور الفرقة والتباعد بين الشعوب، ويعلي كلمة الزعيم والقائد مكان كلمة الله. يقول الإمام النورسي في هذا السياق: «إن الحمية في السياق القومي العنصري يمكن أن تغري عرقا أو تنفع فئة لأنها لا تعتمد قاعدة الأخوة الإنسانية وإنما الرابطة الذموية»⁽¹⁾.

المبحث الثاني مساوئ التعادي بين أفراد الشعوب

المطلب الأول: مرض الكراهية:

سبق أن تعرّضنا لحقيقة الوجود البشري القائم على التعارف والتآلف بناء على قاعدة الإيمان بالكرامة البشرية وقيم التعايش السلمي تحت سقف الإيمان بعقيدة التوحيد بما تعنيه من تآلف وتسامح يتجاوز منطق الانتماء العرقي أو الجنسي أو الديني، غير أن تلك الدعوة الأزلية الأبدية للبشر جميعا إلى الكلمة السواء، لم تسمعها أذان بها وقرّ ولم ترها أعين عليها غشاوة ولم تقهها قلوب في أكنة، غمرتها الأهواء وتحكمت فيها وملأت عليها أنانيتها عالم الإدراك. من هناك نشأت الأمراض في المجتمعات الإنسانية حين استسلمت لدواعي الغرائز والرغبات والاكتهاء بإشباع مطالب الجسد. فهل تستطيع نفوس مكّبة على وجوهها اتأقلت إلى الأرض، أن ترتقي إلى ما يجمع الناس ويؤلف القلوب ويعمق التواصل الإنساني؟

لا يمكن لنفوس جفّ نبغ الإيمان فيها وجعلت الاستهلاك والإشباع المادي غايتها القصوى، أن ترتفع عن حمية التناحر من أجل تلك المكاسب، وهو ما يولد الخلاف والنزاع والتعادي بسبب الرغبة الجامحة في تلبية المطالب المادية التي تتحكم في المشاعر وتعمي على البصائر والضمان، فيسود التنافس المحموم بين الناس وينظم العلاقات على أساس المصالح المادية وحكم الأقوى. ذلك ما أكده الإمام في أكثر من موضع برسائل النور التي منها قوله: «إن العدا ظلم شنيع يفسد حياة البشر: الشخصية والاجتماعية والمعنوية، بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة»⁽¹⁾. وما ذلك إلا لأن العدا يصادم الطبيعة الإنسانية وحقيقة الاجتماع البشري وقاعدته القائمة على أساس التعارف، ويجافي قيم الأخوة الإنسانية الراسخة في وجدان الإنسان وطبيعته، ويؤدي إلى التنافر والتنازع، ويورث الأحقاد والضغائن. إن العدا كما ترفضه الطبيعة البشرية السليمة ترفضه الحقيقة والحكمة، ويرفضه الإسلام الذي يمثل روح الإنسانية الكبرى»⁽²⁾..

1 النورسي، المكتوبات، ص 339

2 النورسي المكتوبات، ص 339

1 النورسي، المكتوبات، ص 420

والسلام، بدلا مما يزرعه التعادي والتنافر والتنافس المحموم، وأن الاحتكام إلى كونيّة عادلة قائمة على القبول بالتنوّع والاختلاف واحترام الخصوصيات الثقافية وإشاعة قيم الحوار بين الأديان والتعايش السلمي، هو الطريق الأسلم لضمان سلام دائم بين الدول والشعوب، فلا هيمنة ولا عنصرية ولا اعتداء. يقول الإمام النورسي: «ما أظلم من يُعرض عن تلك القيم النبيلة جميعاً ويفضّل عليها أسبابا واهية أو هن من بيت العنكبوت، تلك التي تولّد الشقاق والنفاق والحقد والعداء، فيوغر صدره عداءً وغلاً حقيقياً، أليس هذا إهانة لتلك الروابط التي توحد؟ واستخفافاً بتلك الأسباب التي توجب المحبة؟ وتعسفاً على تلك العلاقات التي تقرض الأخوة؟»⁽¹⁾.

دأب الإمام النورسي في بناء آرائه ودعوته على الانطلاق من العامّ إلى الخاصّ، إذ ينطلق من تشريح الحالة العالميّة وحاجة الشعوب إلى الإيمان الدّيني الذي يدعو للسّلام والتّقارب على أساس قيم الاحترام والتّكافؤ، ثم يعود إلى تطبيق ذلك على الواقع الإسلامي الذي خفت فيه نور الإيمان ومزقته الأهواء وأدماه التّخلّف والاستبداد. إن النورسي يدرك جيّداً أنّ المجتمعات الإسلاميّة أقرب من غيرها للتآلف والوفاق والوحدة، لما تمتلكه من شعور إيمانيّ ومخزون نفسي وتراث أخلاقي جامع، يمكنها من استعادة وعيها ورشدها واستئناف مسيرتها الثقافيّة والحضاريّة الرّساليّة، ويمنعها من الانسياق وراء نزعات التّفرقة والخلاف والفتنة، الرّاجعة إلى أسباب واهية، كالنزعات الإيديولوجيّة الوافدة والتّعربات العنصريّة المدمّرة لقيم الشراكة والتّعايش. إنّ الحلّ بالنّسبة إلى الإمام النورسي قائم على التّنازل المتبادل والتّجاوز والتّغاضي والتّسامح والعفو والبحث عمّا يجمع، وهو كثير. هو يدعو إلى التّسلّح بالإيمان الذي يورث خُلُق التّرفّع عن أمراض النفوس من أنانية وتباغض وكرهية واستبدالها بالتّواضع لشركاء الذين والوطن، والاجتهاد في التّقريب والتّأليف ورأب الصدع، يقول: «إن أردت أن تغلب خصمك فادفع سيئته بالحسنة، فبها تخمد نار الخصومة. أما إذا قابلت إساءته بمثلها فالخصومة تزداد. حتى لو أصبح مغلوباً. ظاهراً. فقلبه يمتلئ غيظاً عليك، فالعداء يدوم والشحناء تستمر. بينما مقابلته بالإحسان تسوقه إلى الندم، وقد يكون صديقاً حميماً لك، إذ أن من شأن المؤمن أن يكون كريماً، فإن أكرمته فقد ملكته وجعلته أخوا لك، حتى لو كان لثيماً. ظاهراً. إلا أنه كريم من حيث الإيمان»⁽²⁾.

المطلب الثالث: داء العنصريّة والتّعصّب:

إن من أخطر الأدواء التي تصيب النفوس والمجتمعات هي الفراغ الرّوحي الذي لا سبيل لدرئه إلّا

1 النورسي، المكتوبات، ص 341

2 النورسي، المكتوبات، ص 343

ككيف لمشاعر العداوة والجفاء والضغينة أن تقيم مجتمعاً بشرياً سليماً يسوده التّعارف واللقاء واحترام التنوّع والاختلاف؟ فحين يخلو وجدان الإنسان من شعور الإيمان ويترك قيادة نفسه لنزعاته وغرائزه العدوانيّة ويطفئ نور البصيرة الإيمانيّة والعقل ويقطع حبل التّواصل، فإنّه يلقي بالمجتمع البشري بأكمله في حُمى التّزاع ويؤدي به إلى التهلكة. يشبّه النورسي المجتمع بالسّفينة قائلاً: «العداء والحقد يؤدّي حتماً إلى الرغبة في إغراق سفينة الوجود، أو حرق بناء كيانه، وما هذا إلا ظلم شنيع وغدر فاضح»⁽¹⁾. بهذا استطاع الإمام النورسي باتّصاله الوثيق بمشكاة النّبوة أن يستمدّ معاني الحديث النّبوي الشريف الذي يشبّه المجتمع البشريّ بالسّفينة، إذ روى النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نُؤدّ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»⁽²⁾.

إنّ الغرق هو نتيجة التّهاون في مقاومة المفسدين والمخزيين للاجتماع الإنساني، بأمراض النفوس وإشعال الفتن وزرع العداوات وتوريث الأحقاد. فالأسلم للجميع إذن أن يثوبوا إلى الرّشد، ويتعالوا على الأنانيّة والمصالح الفئويّة والرّغبات الشّخصيّة، ليفتح أبواب التّواصل على معاني اللّقاء والتّعاون والتّحابب، من أجل مصلحة المجموعة البشريّة، لأنّ العداء مرضٌ خبيث يدمر العلاقات ويقطع التّواصل، وهل ينجح المجتمع البشريّ إذا ترسّخت فيه مشاعر التّنافر والجفاء وانتشرت روح العداوة والتّباغض؟ إنّ النتيجة تكون حتماً صراعاً مستمراً وحروباً مدمّرة ونزاعاتٍ تأتي على كلّ شيء، ولعلّ الحريين العالميتين دليل واضح على أنّ طغيان العداوة والرّغبة في الهيمنة والاستبداد بالرّأي وقطع سبل الحوار، يؤدّي إلى التّمار الجماعي.

المطلب الثّاني: وباء العداء:

لا ينفك الإمام النورسي عن الإشارة والتنبيه إلى حاجة البشريّة قاطبة إلى الاستثمار في مشاعر الإيمان وكلمة التّوحيد الجامعة، بما يؤلّف ولا يفرّق من المبادئ الإنسانيّة والأخلاقيّة، وينكّر دائماً أن الإيمان يُثمّر ثقافة المسالمة والحوار والتّناقص ويدعو لإثراء الاجتماع البشري بالأمان والأمن والثّقة

1 النورسي، المكتوبات، ص 340

2 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، (3/ 139)، رقم 2493

الأهواء، موقظاً بصائرهم وقلوبهم، محرّكا غيرتهم الدينيّة، فإذا بالمعاني تتساب رقرقة سلسبيلا، صادرة من نبع إيمانيّ شفاف، لا همّ له غير الإخلاص في خدمة دينه وأمتّه وشعبه، لا يحركه طموح سياسي ولا طائفوي ولا مذهبي، متعالٍ عن الأطماع والأغراض، فإذا القلوب مشدودة إليه بخيبتها الإيمانيّ الرّفيع، ليقول: «يا معشر أهل الإيمان! إن قوتكم تذهب أدراج الرّياح من جزاء أغراضكم الشخصية وأنانيّكم وتحزيبكم، فقوة قليلة جداً تتمكّن من أن تديكم الذلّ والهلاك. فإن كنتم حقاً مرتبطين بملة الإسلام فاستهدوا بالدستور النّبوي العظيم: (المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنَيانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً)، وعندما فقط تسلمون من ذلّ الدنيا وتتجون من شقاء الآخرة»⁽¹⁾..

بالإيمان، فنزعة التّعصب والعناد والمكابرة، وتغييب منطق العقل السليم، حيث يتعالى كلّ طرف على الآخر معتدّاً برأيه وموقفه، منغلقاً على مقدّماته واستنتاجاته، يؤدّي إلى انسداد الآفاق وتعميق الاحتقان. وكثيراً ما أدت هذه الحالات إلى التّفكك الاجتماعي والحروب الأهليّة والفتن المدمرة، خصوصاً إذا وجدت لها سنداً وداعماً خارجياً مترتباً ماكرًا، ينفخ في نار الخلافات ويوظّفها لمصلحة إقليمية أو دولية. وإذا كان الاختلاف طبيعياً بين الناس، وهو إغناء وإثراء للتّوّع وتوسيع لمعاني الحقيقة، فإنّ الاستناد إليه لتبرير الفرقة والتنازع والشقاق، يُعدّ مبالغة لا داعي لها، حيث يقع فهم أثر (اختلاف أمتي رحمة)، فهما متعسفاً يبيح التناذب والتجافي، والحال أنّ المقصود هو القبول بالتّوّع واختلاف الآراء التي تحكمها الشورى وأدب الاختلاف، وليست تلك التي يسعها العناد والمكابرة والتّعصب، يقول الإمام النّورسي مبرزاً الأثر السّلبّي لغياب الإيمان: «إن الاختلاف الوارد في الأثر هو الاختلاف الإيجابي البناء المثبت. ومعناه: أن يسعى كل واحد لترويج مسلكه وإظهار صحة وجهته وصواب نظرتّه، دون أن يحاول هدم مسالك الآخرين أو الطعن في وجهة نظرهم وإبطال مسالكهم، بل يكون سعيه لإكمال النقص ورأب الصدع والإصلاح ما استطاع إليه سبيلاً. أما الاختلاف السّلبّي فهو محاولة كل واحد تخريب مسلك الآخرين، مبعثه الحقد والضغينة والعداوة، وهذا النوع من الاختلاف مردود أصلاً»⁽¹⁾. ، بهذا المعنى تشتدّ الحاجة إلى تجديد الشّعور الإيمانيّ وإحيائه للتّوّقي من تلك الأمراض.

ولا يغفل الإمام النّورسي عن التذكير الدائم بحبل الإيمان بالله المُنفذ من الغفلة والسّهو والانحراف، وهو عقيدة التّوحيد. لذلك يرى أنّ المجتمع لا يسلم من آفة الخلاف المذموم إلا بالاحتكام إلى شعور الإيمان، لما يوقّره من سكينه وطمأنينة تطفئ نار الهوى وتحدّ من غلواء النّفس الأمارة بالسّوء، فإذا المؤمنون إخوة حقاً وواقعاً، مغمورين بمشاعر الإيمان الجامع، منصتين إلى نداء العقيدة التّوحيديّة، خاضعين لمنطق العقل وآلية الشورى، ليتبينوا مكن الصّواب، يقول النّورسي رحمه الله: «أيها المؤمنون! إن كنتم تريدون حقاً الحياة العزيزة، وترفضون الرضوخ لأغلال الذل والهوان، فأيقوا من رقدتكم، وعودوا إلى رشدكم، وادخلوا القلعة الحصينة المقدسة: (إنما المؤمنون إخوة الحجرات 10)»⁽²⁾. يستنفر الإمام النّورسي شعوره الإيمانيّ الصادق وعباراته الخصبة المعطرة بوجودان الإيمان، في أسلوب أدبيّ عذب رفيع، ليخاطب المؤمنين مُحيياً فيهم شعورهم الإيمانيّ، نافضاً عن نفوسهم ماران عليها من غبار

1 النورسي، المكتوبات، ص 347

2 النورسي، المكتوبات 349

1 النورسي، المكتوبات 350

الزُهبة والإحساس بالقلق والعبثية. إنَّ الإيمان باتِّحاد الإنسان بالله واستناده إليه رفض للاتحاد بالهامشية والاعتزَاب، ذلك هو الشكل المرتضى والفهم المعقول الذي يعطي للسيرورة البشرية بعدها المعنوي العميق وقاعدتها العقلية الصلبة، وغايتها الانتمائية وأفقها المفتوح. ولكن كيف يتحقَّق ذلك عملياً وواقعياً في رأي الإمام النُّورسي؟

المطلب الثاني: الصِّدْقُ والإِخْلَاصُ:

الصِّدْقُ اصطلاحاً مطابقة الخبر للواقع والباطن للظاهر والقول للفعل، كما أنَّه أهمُّ المبادئ التي تقوم عليها العلاقات البشريَّة التي تروم النجاح والاستمرار، والصِّدْقُ أسُّ القيم الأخلاقيَّة في الإسلام وفي جوهر الإنسانيَّة السامية، فكيف لا تكون له الأهميَّة اللازمة في دائرة القيم الإسلاميَّة وخصوصاً في عقيدة التَّوْحِيد. يقول الإمام النُّورسي: «الصِّدْقُ أساس الإسلام وواسطة العقد في سجاياه الرِّفِيعَة، ومزاج مشاعره العلويَّة»⁽¹⁾، وهل يطمئنُّ قلبُ المؤمن بغير الصِّدْق، وهل تسكن النَّفْسُ بغير النَّقَّة التَّامَّة والتَّسليم الكامل للخالق؟ هنا تتَّضح قيمة الصِّدْق في شعور الإيمان فتجلوه من شوائب الشُّكِّ والوهم وتخلَّصه من البرود المعرفي ليصبح حرارة تسري في دماء المؤمن تملؤه حيويَّة واندفاعاً إيجابياً للفعل. ولا يكتمل الصِّدْق دون إيمان وإخلاص، بما هو صفاء الجوهر وخلوص النِّيَّة وسلامة القصد من أيِّ تردُّد، حيث لا يمكن لأَيِّ عملٍ أن ينجح أو يستقيم إذا خلا من الإخلاص بما هو قصدٌ جادٌ لا يَدُخِرُ جهداً في الإتيان والنَّصح من أجل إخراج العمل على وجهه المطلوب. وقد عبر الإمام النُّورسي عن الحاجة الملحة للنَّاس جميعاً إلى الإخلاص فقال: «فنحن مضطَّرون إليه، بل مكلفون به تكليفاً، وأحوج ما نكون إلى ترسيخ سرِّ الإخلاص في ذاتنا، إذ لو لم نُفَرِّقْ به لضعاف مَنَّا بعض ما كسبناه من الخدمة المقدَّسة، ولما دامت ولا استمرَّت خدمتنا، ثم نحاسب عليها حساباً عسيراً، حيث نكون مَمَّنَّ يشملهم النهي الإلهي وتهديده الشديد في قوله تعالى: (وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا. البقرة 41)، بما أخللنا بالإخلاص فأفسدنا السعادة الأبدية، لأجل مطامع دنيوية دنينة،.. إرضاء لمنافع شخصية جزئية تافهة، أمثال الإعجاب بالنفس والرياء، ونكون أيضاً من المتجاوزين حقوق إخواننا في هذه الخدمة ومن المتعديين على نهج الخدمة القرآنية، ومن الذين أساءوا الأدب فلم يقدروا قدسية الحقائق الإيمانية وسموها حق قدرها»⁽²⁾.

يظهر جلياً أنَّ قيمة الإخلاص مرجعها إلى صدق الإيمان ومدارها تفعيله في الواقع، ولا يمكن للمجتمع أن يرتقي في سلْم الحضارة دون بناء وجداني قائم على إيمان حيٍّ وعزيمة صادقة مخصصة،

1 النُّورسي، صيقل الإسلام، دار سوزلر القاهرة 2011، ص 475

2 النُّورسي، اللغات، دار سوزلر القاهرة 2011، ص 241

المبحث الثالث

الإيمان نهجُ السَّلام الاجتماعي عند النُّورسي

المطلب الأوَّل: فعاليَّة الإيمان:

يرى الإمام النُّورسي الإيمان روح الحياة وجوهر الوجود، وهو الهدفُ المركزيُّ من الخلق بوصفه تعبيراً عن النفخة الإلهية في الإنسان وعهده الانتمائيَّ الأبدِيَّ. فالإيمان ليس مجرد معادلة رياضيَّة لحلِّ لغز الوجود وإجابة عن سرِّ الخلق، ولكنَّه أسمى معنى وأعمق دلالة عن حقيقة الوجود البشريِّ. والواقع أن افتقاد الإنسان للهدف والغاية التي تحكم مسيرته الوجودية، هو الذي يُوَدِّي إلى انحطاطه وتداعيه النفسي والأخلاقي، ليصبح مجرد آلة وأداة في دورة الإنتاج والاستهلاك اليومي، محدود الآفاق، مسكوناً بالرتابة والقلق واللهفة، مغترِباً وفاقداً للانتماء والسكينة والاطمئنان. في حين يفسر الإيمان العالم ويعطيه معناه ويثمن دور الإنسان فيه، وعلى هذا النحو فقط، يصبح الإيمان فسحة نفسية وأمل في المستقبل وإرادة مبدعة باتجاه التغيير الحقيقي والمستمر، على اعتبار أن ما هو كائن ليس نهائياً وأنَّ ما يمكن أن يكون، ليس مستحيلًا. يقول النُّورسي: «إنَّ هذا الإنسان البائس الذي يتلوَّى ألماً من فقد مولاة وحاميه، ويضطرب من تهاة حياته وعدم جدواها، عاجز وضعيف بين جموع البشرية المنكودة.. لا يغنيه عما يعانیه سلطان الدنيا كلها، فما أشدُّ بؤس هذا الإنسان المضطرب في دوامة حياة فانية زائلة وبين جموع سائبة من البشر إن لم يجد مولاة الحق، ولم يعرف مالكة وربّه حق المعرفة! لو وجد ربّه وعرف مولاة ومالكة لالتجأ إلى كنف رحمته الواسعة، واستند إلى جلال قدرته المطلقة.. ولتحولت له الدنيا الموحشة روضة مؤنسة، وسوق تجارة مريحة»⁽¹⁾.

وعندما يفتح في ذهن الإنسان ووجدانه هذا الأفق الفسيح، وتتسع دائرة التعقل والنَّباهة والإدراك، وتتقد شعلة الشوق إلى الجواهر والمعاني، يصبح الإيمان تجربة عملية تقاوم الفراغ والجفاف والإحباط والسلبية، وتشعر بوابات الأمل ليتحول وجود الكائن البشري إلى حيوية غائبة، ينتقي فيها حضوره الماديِّ الاستهلاكيِّ، وتتقلَّص دائرة المصادفة والاعتباط والفوضى، كما ينحسر فضاء الوهم وتمحي

1 النُّورسي، المكتوبات ص 289

المطلب الرابع: المحبة:

الكراهية والعداوة شعور سلبي منقبض يتأسس على العداوة وطمس معاني الخير في الآخرين ونفي إيجابياتهم، ويورث الضغينة والحقد ويزرع الفتن والحروب. أما عاطفة المحبة فهي قيمة تمد القلب والشرايين بدفق الحياة ومعاني البشر والأمل، فتملأ الوجود حركة منتجة وتغمر العلاقات الإنسانية ألفة وسلاماً، ولذلك لا ينتعش ذلك الشعور إلا في قلب مؤمن، يقول النورسي منوهاً إلى تلك المعاني الشريفة في قيمة المحبة: «إن صفة المحبة هي ضمان الحياة الاجتماعية البشرية، وهي تدفع إلى تحقيق السعادة، وصفة البغضاء والعداوة هي عامل تدمير الحياة الاجتماعية، وهي أقبح صفة وأضرها وأجدر أن تتجنب وينفر منها»⁽¹⁾.

والمحبة في فكر الإمام النورسي تتبع من وجدان الإيمان لأتھا طاعة ومحبة لله أولاً، ولذلك تشع على جميع علاقات الإنسان الاجتماعية، بدءاً بمحبة الإنسان للوالدين واحترامهما، طاعة الله سبحانه الذي زرع في قلبيهما الرحمة والشفقة حتى قاما برعايته وتربيته بكل رحمة وحكمة. وكذلك الشأن بالنسبة إلى محبة الأولاد فهي كذلك محبة لله تعالى وتعود إليه، وذلك بالقيام برعايتهم بكمال الشفقة والرحمة لكونهم هبة من الرحيم الكريم. وتأتي محبة الزوجة بوصفها رفيقة الحياة وسند المسؤولية الأسرية، في تربية الأبناء والقيام بشؤون العائلة، إلى أن تتسع دائرة المحبة لتشمل ذوي القربى والأجوار وأبناء الأمة قاطبة والناس جميعاً، على أساس الإيمان بكونهم خلق الله وعليه التواصل معهم دون حسابات إلا من ظلم. يقول النورسي في إخلاص معنى المحبة: «إياك أن تترك ثغرة يدخل منها حب لغير الله في باطن قلبك، وقل اللهم ارزقنا حبك وحب ما يقربنا إليك. وهكذا فإن جميع ما ذكرناه من أنواع المحبة، إن وجهت الوجهة الصائبة على الصورة المذكورة آنفاً، أي عندما تكون لله وفي سبيله، فإنها تورث لذة حقيقية بلا ألم. وتكون وصلاً حقاً بلا زوال، بل تزيد محبة الله سبحانه وتعالى، فضلاً عن أنها محبة مشروعة وشكر لله في اللذة نفسها، وفكر في آلائه في المحبة عينها»⁽²⁾. هكذا يظهر الاختلاف بين حيوية المشاعر الإنسانية وآثارها البناءة، وبين عدمية شعور الكراهية وآثاره المدمرة، وكيف لقلب خالٍ من الإيمان أن تجد المحبة إليه سبيلاً؟ يثير النورسي هذه المعاني ويقارن بينها، إدراكاً منه لما تحتاجه الأمة رأياً لصدع الفرقة والتشتت، وإصلاحاً لذات البين، نتيجة ما فشا فيها من خصومات ونزاعات بسبب الخلافات المذهبية والمآرب السياسية التي زرعت بذور الشقاق بين مفاصل المجتمع وورثت

إذ بالإخلاص ينتقي التهاون والتراخي والغش ويكون الحرص أشد على بذل الوسع والطاقة في سبيل إنجاز العمل على شكل لا عيب فيه ولا نقص. ولا يخفى واقع الأمة الإسلامية المتخلف بسبب الكسل والتهاون وضعف الإرادة وفقر العزيمة، فإذا هي عالمة على المجتمعات المتقدمة في أكثر من مجال، بسبب حالة الانهيار الاجتماعي التي من أسبابها التخاذل والتراخي والغفلة.

المطلب الثالث: الأخوة:

الأخوة شعور بالانتماء إلى سند اجتماعي، يشد الأزر ويسند الظهر ويشترك في تحمل المسؤولية، ويبادر إلى مد يد العون دن تكلف ولا من ولا أذى. ومن معاني الأخوة الانسجام النفسي والتكاتف والتضامن الاجتماعي، حيث تكون الجماعة متلاحمة يشد بعضها بعضاً كالبنيان المرصوص، فتدوب الأنانية وتضمحل الفوارق وتختفي الخلافات، ويتخ جميع من أجل هدف واحد، وليس هناك رابطاً يوثق رابطة الأخوة إلا الإيمان، يقول الإمام النورسي: «إن أساس مسلكنا ومنهجنا هو «الأخوة» في الله، وإن العلاقات التي تربطنا هي الأخوة الحقيقية، وليست علاقة الأب مع الإبن ولا علاقة الشيخ مع المريء.. وما دام مسلكنا هو «الخليقة» فمشرنا إذا «الخلّة». والخلّة تقتضي صديقاً صدوقاً، ورفيقاً مضحياً، وأخاً شهماً غيوراً.. وأس الأساس لهذه الخلّة هو «الإخلاص التام». فمن يقصر منكم فيه فقد هوى من على برج الخلّة العالي، ولربما يتردى في واد سحيق، إذ لا موضع في المنتصف»⁽¹⁾. فما أروع التعبير عن الأخوة بالخلّة التي تعني امتزاج المشاعر حين تتخلل العاطفة وتأتلف القلوب بشعور الإيمان وتلتقي الطباع بالتقارب والتواجد والمشاركة. وهل تتجج المجتمعات في بناء صروحها الحضارية من دون تلاحم وشعور إيماني بين الناس، وهو ما يتجاوز ما يُطلق عليه الشعور الوطني، ذلك أن الإيمان بالأخوة أعمق ملامسة للمشاعر وأصدق انسجاماً واصطفافاً من أجل البناء، وإذا كان الشعور الوطني يجمع الأفراد على أساس مشروع وطني قد يقع الاختلاف في تقييمه سياسياً، فإن شعور الأخوة منبعه الإيمان والشعور بالأمانة الإلهية في قوله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ الْحَجْرَاتِ 10»، فلا أخوة دون إيمان ولا إيمان دون أخوة. إن أبعاد معاني الأخوة تتجاوز الحسابات السياسية والمصالح العاجلة، وهو ما يجعلها وثيقة الصلة بالإيمان الذي لا ينفصل فيه الواقع عن الغيب، فإذا الأخوة تعبدت حين تكون جرساً على التحام الصفوف كما الشأن في الصلاة، حيث لا مداخل للشيطان، ولا رغبات شخصية أو مصالح فردية.

1 النورسي، صيقل الإسلام، ص 478

2 النورسي، الكلمات، ص 766

1 النورسي، المعات، اللعة الحادية والعشرون، ص 245

الخاتمة

حاولنا في هذا البحث استجلاء معاني الإيمان في علاقته بالسلام الاجتماعي، من خلال فكر الإمام سعيد النورسي في رسائل النور. وقد كانت مساحة النظر شاسعة لما تقيض به رسائل النور من معاني ودلالات وإشارات غزيرة وكثيفة ما يجعل الباحث في فضاء غير محدود لانبجاس المعاني وتوالد الأفكار التي فاضت بها رسائل النور، في شتى المحاور والأغراض الفكرية.

ولعل أبرز سمة لرؤية سعيد النورسي للسلام الاجتماعي اعتماده على شعور الإيمان الحقيقي الذي يتجاوز جدل المتكلمين إلى الفعل الاجتماعي. فلا قيمة للإيمان في رأيه إلا إذا تخلص من ريقه النظر المجرد وانتقل إلى واقع الناس تجربةً عمليةً تصبح فيها العقيدة أداءً اجتماعيًا مؤلفاً للقلوب وموحدًا للسلوك في إطار قيمة السلام.

والسلام اسم من أسمائه الحسنى تعالى ولا يكتمل الإيمان إلا إذا جسّد المؤمن تلك الأسماء قدر جهده في واقعه المعيش.

وعلى ذلك فالإيمان في فكر النورسي مدار الوجود الإنساني فهو قاعدة الأمان النفسي والأمن المجتمعي وهو داعية التعايش السلمي والمناعة الكاملة ضد مشاعر الكراهية والتنازع والاحترا ب، بما يحفظ السلم الأهلي ويثري العلاقات الإنسانية بمشاعر المحبة والمودة والصدق والتعاون. وكم تحتاج المجتمعات المسلمة اليوم إلى تفعيل هذه الرؤية في مجتمعات تقعد شيئاً فشيئاً روحها العقدية وحرارتها الإيمانية، وهو ما أورث في كثير من المجتمعات التفكك وانتشار مظاهر التعصب والتشدد والعنف والجريمة.

فهرس المصادر والمراجع

1. أبو داوود سليمان السجستاني، سنن أبي داوود، دار الرسالة العالمية.
2. السخاوي محمد بن عبد الرحمن، المقاصد الحسنة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1979
3. الألباني محمد ناصر الدين، سلسلة الأحديث الصحيحة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض
4. بن منظور جمال الدين، لسان العرب، دار المعارف القاهرة، د.ت.
5. الزاغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، د ت
6. الجرجاني علي بن محمد، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع القاهرة، د ت

العداء الدائم للأجيال. وبهذه المحبة بين أفراد الأمة يمكن سيادة المجتمعات الإنسانية ونشر قيمة المحبة تأمينا للسلام العالمي.

المطلب الخامس: الأمل:

والأمل شعورٌ يملأ الوجدان ثقةً في الممكن، ويحصن الإنسان ضدّ التشاؤم، وهو طمأنينةٌ وتطلّعٌ يستبشرُ بالمستقبل ويثقُ في تغييرِ الحالِ إلى الأفضل. فقد تعترى الإنسان حالاتٌ من القلقِ ممّا يعيشه في ذاته أو ما يجري حوله، فيشعر بالإحباط واليأس، غير أنّ الموقف السليم يقتضي ألاّ يستسلم الإنسان إلى دواعي القنوط من تغييرِ الحالِ إلى الأفضل. وذلك لأنّ اليأس يزيدُ في تعقيدِ الحالةِ النفسيةِ ويعمّقُ الانقباضَ والانطواء، ممّا يؤثّر سلباً في معنويات الإنسان وجداناً وفكراً، وفي جسده من خلال ما يلجأ إليه من مظاهر الخمول والعجز. ولمعالجة هذا المرض النفسي يفتح النورسي باب الأمل الذي يشرحه قائلاً: «الأمل هو شدة الاعتماد على الرحمة الإلهية والثقة بها»⁽¹⁾. يملك سبحانه مفاتيح الغيب، ويصرف الأقدار، ويدبر الأمر بالليل والنهار، فإذا توكل عليه المؤمن حقّ توكله وأخذ بالأسباب انفتحت أمام مغاليق الأبواب. إنّ الأمل في تبدل الأحوال في المستقبل نتيجة طبيعية للإيمان الراسخ بالله، كما أنه يدفع المؤمن إلى الخروج من دائرة الجمود والاستسلام العاجز للواقع، ويحرّضه على المبادرة والفعل، ومقارعة الصعاب بقلبٍ جسورٍ وإرادة صلبة وعزم لا يلين، ثقةً في رعاية الله ورحمته.

وإذا كان المسلمون في عصر النورسي أو في غيره من العصور قد أحسوا من أنفسهم عجزاً أو تقصيراً تجاه أنفسهم وأوطانهم ودينهم، فإنّ الواجب عليهم ألاّ ينهاروا ويقعدوا عن المحاولة لاستعادة المبادرة والتخلص من واقع التخلف. ذلك ما حرص النورسي على تأكيده في لحظة تاريخية ركن فيها المسلمون إلى القناعة السلبية والرّضى بما هم فيه من أوضاع لا ترتقي إلى مقام الإسلام. إنّ دعوة الإمام النورسي الإنسان إلى تغيير شعوره التواصلي وأسلوب تعامله مع واقعه المعيش باستصحاب وجدان الأمل والثقة في الله والنفس، والنظر إلى المستقبل بعين التفاؤل والبشر، هو قاعدة الحياة البشرية التي لا يمكنها أن تستقيم مع مشاعر اليأس والقنوط، فالتفاؤل والأمل شحنة تملأ وجدان الإنسان حرارة وحيوية واندفاعاً، فيخرج من دائرة الضيق النفسي إلى فسحة الممكن.

1 النورسي، صيقل الإسلام، ص 462

الإيمان ومواجهة الإلحاد على ضوء رسائل النور؛ دراسة حول النظر الاسمي والحرفي وأثرهما على قضية القيمة البيئية

محمد عصام الدين

جامعة دار السلام كونتور . إندونيسيا

ishommudin@unida.gontor.ac.id

ملخص البحث

المشكلة الأكاديمية في هذا البحث هي ما رآه بعض الباحثين من أن أزمة البيئة ليست الا المشكلة الانبريقية الفنية، ولا تتعلق بنظر الإنسان وتصوره لقيمة البيئة، مع أن البعد النظري هو الأساس للمعاملة مع البيئة. ونظرا لهذه المشكلة امتاز الأستاذ النورسي عن غيره في نظريته حول هذه القضية، ويمكن ان نفرضها أن المشكلة الإنسانية والبيئية نبعث من مشكلة النظر، فمشكلة النظر هي بعينها مشكلة الإيمان. من هذ المنطلق، حدد الباحث المسألة على صيغة الاستفهام؛ فما هي العلاقة بين الإيمان، والنظر، والقيمة البيئية وثلوث البيئة من خلال رسائل النور؟ سيستخدم الباحث المنهج الاستقرائي وتحليل المحتوى لحل تلك المشكلة. وأما نتيجة هذا البحث فهي تظهر في أن المعضلات البيئية والإنسانية في عالمنا اليوم مستندة إلى الفلسفة الطبيعية والمادية، حيث انها ترى الموجودات بالنظر الاسمي المفاضة من الكفر المطلق والإلحاد، حيث غرقوا في ذات النقوش دون المعنى بل يعتبرونها عديم المعنى والمغزى ، فعجز الطبيعيون آنذاك من قراءة الموجودات على حقيقتها ، لذلك دعا الأستاذ النورسي الى الثورة الإيمانية المسمى بإنقاذ الإيمان، وأثبت برسائل النور نظرية الإيمان الحقيقي التي تقيض النظر الحرفي، إذ يرى هذا النظر أن الموجودات - ذات المعزى والمزايا - تتوجه إلى الذات المقدسة تعالى أكثر من أن تتوجه إلى ذات نفسه، بل أبداع الأستاذ نظرية جديدة يمكن تسميتها بـ «بقاء القيمة». وأما الفروض الجديدة من خلال هذا البحث، فهي: أن أزمة البيئة هي أزمة النظر، وأزمة النظر هي أزمة الإيمان، والطريق الوحيد لحل أزمة البيئة هو تجسيد الإيمان الحقيقي، فشتان بين طريق الإيمان اليقيني والإلحاد المحالي.

الكلمة المفتاحية: النظر الحرفي، النظر الاسمي، الإيمان الحقيقي، الكفر المطلق، القيمة البيئية.

7. الشّهانوي محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1 1996
8. الأثري عبد الله، الإيمان، حقيقته، خوارمه، نواقضه، عند أهل السنّة والجماعة، مدار الوطن للنشر، دار اليسر القاهرة 2011
9. ابن تيمية تقي الدين، الإيمان، المكتب الإسلامي بيروت لبنان، ط5، 1996،
10. ابن الأثير، غريب الحديث، تحقيق أحمد طاهر الزاوي، مؤسسة إسماعيليان، إيران، ط/4،
11. أشرف عبد الوهاب، التسامح الاجتماعي بين التراث والتغيير، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ط 2006.
12. النيسابوري مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار الكتب العلمية بيروت لبنان
13. قطب سيد، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط7.
14. بدوي طه، السلام الاجتماعي والتعايش السلمي، دار غريب للطباعة والنشر
15. الغروي محمد، السلم الاجتماعي في القرآن والحديث، دار الأضواء للطباعة والنشر.
16. القيسي محمد وائل، السلم المجتمعي، المقومات وآليات الحماية، نينوبأ نموذجاً، مركز نون، 12 أكتوبر 2017.
17. هاني المبارك وشوقي أبو خليل، الإسلام والتعايش والتفاهم بين الشعوب، دار الفكر المعاصر بيروت، ط2، د.ت.
18. النورسي سعيد المكتوبات، دار سوزلر للنشر، القاهرة 2011.
19. النورسي، سيرة ذاتية، دار سوزلر القاهرة 2011.
20. النورسي ، الكلمات، دار سوزلر القاهرة 2011.
21. النورسي، الملاحق، ملحق قسطموني، دار سوزلر القاهرة 2011.
22. البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار بن كثير بيروت لبنان.
23. النورسي، صيقل الإسلام، دار سوزلر القاهرة 2011.
24. النورسي، اللغات، دار سوزلر القاهرة 2011.

Abstract

The academic problem of this research is that the environmental crisis is still considered a technical problem that has no relationship at all with the aspect of the view of environmental values. The worldview is the principle of environmental activity. In this case, Nursi in Risal-e nur has a unique theory that became the hypothesis of this research; namely, the environmental problem is a faith problem. Then, how about the relation of faith, view of life, environmental values, and environmental crisis?. The researcher will analyze this problem by the induction method and content analysis. The findings of this study are that the environmental crisis and even the humanitarian crisis in risal-e nur is caused by the philosophy of naturalism, where this philosophy has an 'isim view' which originates from absolute infidel (kufr muthlaq). As a logical consequence, this philosophy assumes that the environment only has a very limited economic value, eliminating various meaningful values. Nursi led the faith revolution movement by initiating the concept of 'tauhid tahqiqy' which became the axis of the 'harfy view'. This view assumes that the environment does not only have intrinsic value but has a variety of meaningful values. Nursi even introduced a new theory of environmental ethic, namely 'eternity of value'. The new thesis of this research is that the environmental crisis is a crisis of worldview, while the crisis of worldview is a crisis of faith, so the way to solve environmental problems is the faith revolution movement by internalizing 'tauhid tahqiqy'.

Keyword: 'isim view', 'harfy view', 'tauhid tahqiqy', absolute infidel, environmental values.

خلفية البحث ومقدمته

لا زال هت أزمة البيئة من الموضوعات الأساسية التي تفرض نفسها على المتخصصين في فن البيئة وهم بصدد تناول مشكلاتهم البحثية، ولا زلنا حتى الحاضر نفتقر لوجود نظرية حقيقية تقنعنا لمعالجة تلك المعضلة، ربما كان السبب الحقيقي والذي يفضله نعاني من هذا القصور، أن بعض الباحثين في فن البيئة يذهب إلى أن أزمة البيئة ليست الا مشكلة فنية أنبريقية بحتة ، في حين ذهب بعضهم الآخر إلى أن يعالج المشكلة ابتداء من منطلق نظري وتصوري، وبين الموقفين يتباين موقف

آخر يحاول أن يبتعد بقدر الامكان من أي مذهب مسبق ويبدأ من الجانب العقدي الإيماني^١. وهنا تنشأ المشكلة الأكاديمية؛ هل نبدأ من البعدي الفني الانبريقي ، أم من البعد النظري التصوري أم من البعد العقدي الإيماني؟، ووضع المشكلة على هذه الصورة يكشف بوضوح اختلاف مداخل المعالجة النظرية للعلاقة بين ظواهر أزمة البيئة والنظر والعقيدة.

كانت رسائل النور للعالم الكبير، «السعيد المشهور»، «الإمام العلامة»، «الإمام المجدد»^٢، بديع الزمان سعيد النورسي قدس سره مرجعا رئيسيا ومصدرا أوليا في هذا المجال، حتى لقب الأستاذ بـ«العالم البيئي الكبير Great Environmentalist» عند بعض الباحثين^٣. وقد كثرت البحوث والمقالات العلمية كتبها أبناء الفكر ورجال الثقافة من زاوية فكرتهم الأكاديمية المتباينة حول البيئة في فكر النورسي ومن خلال طروحات رسائل النور، فتقول الباحثة حبيبة أبو زيد أن لرسائل النور «سياحة فكرية روحية، وتأملات عقلية، ونظرات عميقة في أجزاء الكون والبيئة... فالعالم تجليات لجلال الله وجماله»^٤، فترى مفهوم الكون والبيئة عميقا، وزاد الباحث قادر جان أنتون أن حل أزمة البيئة بـ«التوجه العلمي الكوني» وهي تنظير العلوم الكونية من رسائل النور بديلا للعلوم الحاضرة، وأبدع العالم البيئي إبراهيم أزدмир بالبحث الجديد عن فلسفة البيئة على نظر النورسي، وفيه تحليل عن القضايا الرئيسية البيئية من حقيقة الحياة والموجودات والطبيعات والإنسان ونحو ذلك^٥، ثم فصل داود أيدوس عن قراءة

1 عبد المجيد عمر النجار، قضايا البيئة من منظور إسلامي، (الدوحة؛ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٤): ص: 12 على جمعة، البيئة والحفاظ عليها من منظور الإسلام، (الفاهرة: الوابل الصيب، 2009)، ص: 67-68.

2 عاصم الحسيني، سيرة إمام مجدد قيسات من حياة الإمام العلامة بديع الزمان سعيد النورسي، (إسطنبول: مؤسسة دار الأنوار، 2019).

Richard C. Foltz and Fredrick M. Denny, Islam and Ecology a Bestowed Trust, Harward 3 University Press, 2003; Davud Aidus, The Approach to The Environment Question of The Qur'an And Its Contemporary Commentary, The Risale-I Nur, he Said "The occasion he prevented his students disturbing flies, let alone killing them, is more than enough to under-stand what a Great Environmentalist Bediuzzaman was

4 حبيبة أبو زيد، ثقافة البيئية في الفكر الإسلامي من خلال مدرسة بديع الزمان سعيد النورسي، مجلة النور، السنة السابعة، يوليو 2016، العدد 14، ص: 108

5 قادر جان أنتون، الخلفية البراديغماتية لأزمة البيئة والتوجه العلمي الكوني عند سعيد النورسي، مجلة الثقافة جامعة دار السلام كوتنور، العدد 10، النمرة 1 مايو، 2014 م، ص: 201-222

Özdemir, D.. "Bediuzzaman Said Nursi's Approach To The Environment." (1998); Parid 6 Ridwanuddin, Eko-Teologi dalam pemikiran Badiuzzaman Sa'id Nursi, Tesis Fakultas Fal-safah dan Peradaban Program Studi Ilmu Agama Islam Universitas Paramadina Jakarta, 2016

الأمر عكسياً إذا حمل الإنسان إيماناً واعتقاداً يقينياً ، فينظر على إثر ذلك إلى الأشياء نظر الحرف، ومعاني الأشياء والبيئة وماهيتها آنذاك تكون وفق المعنى الحرفي، فتكون أزمة البيئة ومعضلاتها ليست أزمة ذاتية مادية، ومشكلة الكفر المطلق لا تبدأ حلها من الجانب المادي، بل تبدأ من الجانب المعنوي ، وهو «إنقاذ الإيمان»¹

من أجل هذا، أراد الباحث ان يناقش طبيعة العلاقة بين نظري الاسمي والحرفي ، وعلاقتها مع الإيمان التحقيقي والكفر المطلق ، وأثر ذلك على قضية القيمة البيئية، ودخول هذا الموضوع في مبحث الإيمان ومواجهته للإلحاد ، لأن مبدأ النظر الإسمي هو الإلحاد ، ومبدأ النظر الحرفي هو التوحيد، وسيقسم الباحث بحثه الى مباحث ثلاثة ؛ الأول منها عن النظر الاسمي من حيث المفهوم واللوازم والآثار على أزمة البيئة، والثاني عن النظر الحرفي من حيث المفهوم واللوازم والآثار على رعاية البيئة، والثالث عن القيمة البيئية. وفي ختام البحث هناك الخاتمة وفيها أهم النتائج. نسأل الله التوفيق والسداد.

المبحث الأول

النظر الاسمي: مفهومه، ولوازمه، وآثارها على أزمة البيئة

مفهوم النظر الاسمي:

إن الاسم أو الحروف كما هو المعروف من المصطلحات النحوية، ولكن يعطى الأستاذ معنا جديداً على زاوية علم الحقيقة. إذا كان معنى الاسم « ما دلّ على معنى في نفسه غير مقترب بزمان»²، فالنظر الاسمي إلى البيئة وعناصرها بل الموجودات هو النظر إلى نفسها وذاتها وليس إلى المعنى الآخر من الجانب المعنوي الرياني. ومثل الأستاذ للنظر الاسمي كمن نظر الى المرأة التي كانت «زجاجة المرأة معنئ مقصود»³، وليس المعنى المقصود صورة وجهه فيها. فإذا نظر الإنسان جمال الكون نظراً اسماً، قال «ما أجمل هذا!»⁴؛ ففرق الناظر في بحر جمال الكون لا في جمال المكون، بل حتى يعبد ذات الكون، «بحيث يجعل الذين لا يرون بإيمانهم... هذه النظافة لهذا العالم الدنيوي بل قد يعبدونه»⁵.

النورسي لاستخلاف الإنسان في الأرض مع تفسير الاستاذ لاسم القدوس الذي هو أساس دستور النظافة في العالم، واهتم صالح يوجل تنظير سعيد النورسي حول رعاية الحيوانات التي لها الجانب الروحي الباطني الذي هو أسمى من الجانب الجسدي^٦. والحاصل، قد أجادت تلك البحوث السابقة في تعمقها عن مفهوم البيئة والكون وعناصرها على ما هو به من زاوية رسائل النور، ولها أهمية كبرى ينبغي الاعتناء بها من قبل الحركة البيئية في العالم، وذلك دليل على أهمية هذا المجال ووسعته نظرياً وعملياً في رسائل النور.

وأما القيمة البيئية ، فهي قضية ذات أهمية ، بحيث تحير البيئيون الغربيون في درك حقيقتها؛ هل لعناصر البيئة غير الإنسان من الحيوانات والنباتات والجمادات قيمة؟ والمذهب المعتبر لديهم أن القيمة الذاتية موجودة في كيان جميع عناصر البيئة، وهي لا تتعلق بمعيار حاجة الانسان المادية والمالية ، بل موجودة ذاتية مستقلة، وهذه القضية تتعلق بأخلاقية البيئة على أن المعاملة مع البيئة تدور مع تلك القيمة وجوداً وعدمياً، والجدير بالذكر أن القيمة تكون ذاتية للموجودات عند الغرب ، وستغيب القيمة بغياب جسم البيئة وجرمها، فيتعرف النورسي مفهوم «بقاء القيمة وفناء المادة»^٧ الذي لا يصل اليه البيئيون الغربيون.

من ذلك المنطلق، بقيت القضية المهمة حول البيئة في رسائل النور الذي لم يبحثها البحوث السابقة أو على الأقل أنها قد تبحث إشارة أولمحة، وهي مسألة النظر والإيمان وعلاقتها بالقيمة البيئية، هذا لأن ماهية البيئة والكون الذي يبحثها الباحثون السابقون العباقرة ليست إلا فرعا من نوع النظر، والنظر ليس إلا فرعا من نوع الاعتقاد أو الإيمان بواجب الوجود، فإذا حمل الانسان الكفر المطلق ينظر آنذاك الى الأشياء نظراً اسماً ، وسيكون معاني الأشياء والبيئة وماهيتها حينئذ على المعنى الاسمي، ويكون

1 Davud Aidus, The Approach to The Environment Question of The Qur'an And Its Contem- porary Commentary, The Risale-I Nur

2 Shalih Yucel, An Islamic Perspective of the Natural Environment and Animals: Said Nursi and his Renewalist Philosophy, (UMRAN – International Journal of Islamic and Civilizational Studies), p. 55-69 <https://doi.org/10.11113/umran2018.5n2.236>

3 Rowan Taylor, "Forms Of Capital And Intrinsic Values", Chemosphere (1996) Vol. 33, No. 3 9, pp. 1806

4 بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: دار سوزلر للنشر، الطبعة السادسة، 2013)، ص: 365

1 بديع الزمان سعيد النورسي، للمعات ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: دار سوزلر للنشر، الطبعة السادسة، 2013) ص: 147

2 بديع الزمان سعيد النورسي، المثوي العربي النوري، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: دار سوزلر للنشر، الطبعة السادسة، 2013)، ص: 117

3 بديع الزمان سعيد النورسي، للمعات، ص: 158

4 بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: دار سوزلر للنشر، الطبعة السادسة، 2013)، ص ، 141

5 بديع الزمان سعيد النورسي، للمعات ، ص ، 141

عبادات، والنظر يقبل علوم الاكوان معارف إلهية¹. وهنا نقطتان ، وهما: الأولى «الأشياء» ، فيها عناصرالبيئة من الحيوانات والأشجار والتراب وغيرها، والثانية «علوم الأكوان» وفيها علم البيئة. فالافتضاء للنقطة الأولى أن ماهية أشياء البيئة الحقيقية التي هي تجليات الاسماء الحسنى وذات المعنى غير المحدود تتغير وتتبدل بنظر الاسم إلى هاوية الذات المحدود ويضيع حقيقتها «فيا لضياع الحقائق في الأيادي الوضيعة»² فالافتضاء للنقطة الثانية أن علم البيئة الذي يبحث عن ظواهر البيئة يتأكد ويتقوى الى التعمق والغرق في البحث عن ظواهر البيئة الفني الانبريقي بحت، ولن يصل الى الجانب المعنوي الميتافيزيقي للعناصر البيئة.

الثاني، أن النظر الاسمي مرادف للنظر التقليدي الذي يرى المحال ممكنا، قاس الاستاذ قدس الله سره النظر التقليدي بنظر الشيخ الهرم الذي يحلف على أنه رأى الهلال، مع أن ما رآه ليس هلالاً بل شعرة بيضاء تدلت من الحاجب ، فأصبحت هلالاً في نظره ، «النظر التقليدي يرى المحال ممكناً.... لقد أصبحت حركات الذرات شعرات مظلمة لأهداب العقل، أسدلت على البصر المادي واعتمته، فلم يعد يرى الفاعل لتشكيل الانواع كلها. وهكذا تقع الضلالة، فأين حركات الذرات من نظّم الكون؟. ان توهم صدور تلك الانواع من تلك الحركات محال في محال»³. بمعنى أن النظر الاسمي لن يصل إلى حقيقة المنظور على ما هو عليه. وإذا كان المنظور هو الكون والبيئة، فلا يصل الناظر الى معناها الحق بل يصل الى غيره، هذا لأن النظر الإسمي بني على النظر المادي وتحجب عقلية العقل.

الثالث، النظر الاسمي نظر محدود على مدى جرم الاشياء المحدودة وصورها ، ويصل الى المعنى الواحد فحسب « إن كل مصنوع الذي هو حرفٌ من كتاب القُدرة، يدلّ على وجوده ونفسه بمقدار جِرمه ونفسه وبوجه واحد، وهو وجوده الصوري»⁴. ولو كان النظر الإسمي واحداً في إعطاء المعنى ولكن دقيقاً في ذات البيئة المادية، ولكن مع غفلة الأشياء الكثيرة المعنوية، بمعنى للنظر الاسمي ضحلة من الحقيقة، وهذا كما فعله فلاسفة الطبيعة والعلماء معاصرون الغربيون المشهودة في كتبهم من «انها أحكمّ فيما يعود إلى الكائنات في أنفسها، مع أنها أوهنُ من بيت العنكبوت فيما يعود إليها بالنسبة

1 بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، ص: 117

2 بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص: 854

3 بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص: 829

4 بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، ص: 395

وُبني هذا النظر على مسلمات «حساب الأسباب» عمادا وأساسا على جنب،¹ وفكرة الطبيعة على جنب آخر،² مع أن الوسائط والأسباب ليسا الا مرايا تصرف قدرة الخالق، وفي نفس الوقت عري هذا النظر عن عماد الإيمان والتوحيد. فلذلك يعتبر النظر الاسمي للبيئة الذي هو منبع الأزمة هو النظر الكفري الذي يتمسك له الكافر والفلاسفة الطبيعيون، ذكر الأستاذ قدس الله سره هذا بقوله «وأما نظرُ الكافر إليها، فقصدي اسمي؛ لتدل على معنى في نفسه»³، وزاد في موضع آخر «أما نظرة الفلسفة الميتة فهي تنظر على الأغلب بالنظر الاسمي إلى الموجودات، فتزلّ قدمها إلى مستنقع الطبيعة»⁴. وجاء هذا النظر من الشك والوهم ، لأن الشك «لايفرق بين المصدرية والمظهرية، بين المنبعية والمعكسية، وبين المعنى الاسمي والحرفي، وبين الذاتي والتجلي»، كما قاله الأستاذ⁵، ويكون هذا النظر نظر غفلة ، لأنها لا تناسب الفطرة، والأستاذ يبين هذا ويقول: «نظر الغفلة ينظر أولاً وبالذات إلى الذاتي الاسمي والمصدرية، فيتوهم الصنعة الإلهية طبيعةً طاغوتية»⁶، وهو أيضا «نظر الأنانية والغرور» لانه ينظر على وجه نظر (أنا) المالك للربوبية.⁷

والحاصل أن النظر الاسمي هو النظر العاري عن البعد الإيماني الرباني الإلهي، وفي نفس الوقت هو النظر الكفري ونظر الغفلة ونظر الأنانية والغرور، لأن هذا النظر ينظر الى جميع الأشياء كونيا أم بيئيا من منطلق الأسباب والطبيعة الخالقة لا المخلوقة.

١. لواحق النظر الإسمي وطبيعته:

هناك اللوازم للنظر الاسمي للبيئة والموجودات؛ الأول، أن القاعدة المقررة التي بناها الأستاذ هي: أن النظر يغير ماهية البيئة والموجودات، وما أدق هذا التعبير «ان النظر والنية يغيران ماهيات الاشياء، فيقلبان السينات حسناً ، كما يقلب الاكسيّر التراب ذهاباً، كذلك تقلب النية الحركات العادية

1 بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، ص: 117

2 بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص: 854

3 بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، ص: 395

4 بديع الزمان سعيد النورسي، اللّمعات، ص: 157

5 . بديع الزمان سعيد النورسي ، المثنوي العربي النوري ، ص 183.

6 بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، ص: 183

7 بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص ، 551

ليس الا الماكنة الميتة لا قيمة لها،¹ وحقق العالم في علم النفس لآيننج (R.D Laing) أن الفلسفة المادية تميت الأرض، لأنها تزيل لطائف الإنسان أمثال الروح والنفس والقلب ونحوها.²

المبحث الثاني

النظر الحرفي: مفهومه، ولوازمه، وآثاره على رعاية البيئة

إن النظر الاسمي الكفري الذي حملته الفلسفة الطبيعية هو علة أزمة البيئة الحقيقية وعين المشكلة كما وضحناه سابقاً ، فعلاج تلك المشكلة ينبغي أن يبدأ من الجانب النظري أولاً ، وهو فرع من الاعتقاد الصحيح، فالعلاج يكون بالإيمان والرؤية التوحيدية.

مفهوم النظر الحرفي:

وهذا النظر ضد النظر الاسمي ،وقد سماه الأستاذ بأسامي منها «النظر الحرفي» أو «المعنى الحرفي»،³ أو «المنظرة القرآنية»،⁴ أو «نظر التوحيد»،⁵ أو «النظر التحقيقي»،⁶ أو «نظر ثانوي». ⁷ سمي بالنظر الحرفي لان الموجودات في نظر الناظر تدل «على معاني في غيرها» كما هو المعروف في المصطلح اللغوي وفي تعريف الحرف عند النحاة ، فهي «تعبّر عن معاني تجليات الأسماء الحسنی والصفات الجلیلة للخالق العظيم سبحانه، فكأنها مكتوبات ريبانية تاليات للأسماء الحسنی». ⁸ ويمكن تسميتها ب نظر التفكير والتدبر حيث قال الأستاذ تلميحا «في دقة الملاحظة والتفكير العميق من حيث الصنعة والاتقان». ⁹

Frijof Capra, The Web of Life; A New Understanding of Living System (London: Flamingo, 1997), p.4, 19, 23: Frijof Capra, The Turning Point, Science, Society, and Rising Culture, (London: Flamingo, 1983), p.2

R.D Laing, dalam Frijof. Capra, Uncommon Wisdom (New York: Simon and Shuster, 1988) 2 p.133. "Galileo's program offers us a dead world: Out go sight, sound, taste, touch, and smell, and along with them have since gone esthetic and ethical sensibility, values, quality, "soul, consciousness, spirit

3 بديع الزمان سعيد النورسي، للمعات، ص: 157

4 بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: دار سوزلر للنشر، الطبعة السادسة، 2013)، ص: 669

5 بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، ص: 117

6 بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص: 829

7 بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، ص: 395

8 بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، ص: 117

9 بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص: 854

إلى صانعها».¹ فتبحث المسائل البيئية الكونية بحثاً مفصلاً ذاتياً مادياً وعار عن الحقيقية، «..تفصيل ذكر نقوش كتاب الكون وحروفه، في حين لا تعير معناه ومغزاه اهتماماً كبيراً». ² حتى قرر الأستاذ في القواعد الفكرية «إن التوغل في الماديات تبدل في المعنويات وظل سطحياً فيها». ³

النظر الإسمي منبع تلوث البيئة:

ترى رسائل النور أن الفلسفة المادية والطبيعية تنظر إلى الأشياء بالنظر الاسمي الذي بني على مسلمات الأسباب والطبيعة، وهذه الفلسفة هي منبع الفساد في الأرض وعينها، حيث ذكر الأستاذ تلميحا «الفلسفة الطبيعية طاعون معنوي حيث سببت سريان حمى مهلكة في البشرية وعرضتها للغضب الإلهي»،⁴ «وغضب الكائنات»،⁵ والواقع كانت هذه الفلسفة مذهبا ذهب إليه الغرب المعاصر ومعيارا لبناء حضارتهم وثقافتهم، فتؤدي الى الهلاك «حتى وغلبت سيئات المدنية حسانتها، وصار سببا لمشقة أكثر البشر وشقاوتهم». ⁶ هذا لان الفلسفة المادية والكفر المطلق لهم تصور مهلك للعالم.

وكما هو المكتوب في القاعدة بناها الأستاذ أن «الفضل ما شهدته الأعداء». ⁷ وشهادة علماء البيئة الغربية وفلاسفتهم تؤكد بيان الأستاذ من خطر الفلسفة المادية على العالم والبيئة والمجتمع الحضري، وقد نبهت إلى هذا الكثير من الغربيين ، فهذا راحيل كارسون (ت. 1964م) (Rachel Carson) يرى أنها لاتناسب مع الفطرة الإنسانية،⁸ ودقق فريجوف جفرا Frijof Capra (و. 1939 م) ويرى أنها لا تستطيع حل شتى المعضلات المتنوعة، ولا يتسع ايفاء مشكلات العولمة، بل علة جوهرية للإشكاليات البيئية وعينها، حيث فصلت بين صورة المادة وقيمتها و ورأت أن الأرض بل الكون عند هذا المذهب

1 بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، ص: 395

2 بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص: 501

3 بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: دار سوزلر للنشر، الطبعة السادسة، 2013)، ص: 31

4 بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص: 864

5 بديع الزمان سعيد النورسي، للمعات، ص: 117

6 سعيد النورسي، المثنوي العربي، ص: 627

7 سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالحي (القاهرة: دار سوزلر للنشر، الطبعة السادسة، 2013)، ص: 140

8 Rachel Carson, Silent Spring, (New York: Mariner Book, 2002), p.6,8

من التوحيد الحقيقي يثبت الحضور مع الله في كل لحظة ونفس وينافي المغفلة.^١ فيكون أساس النظر الحرفي هو: مشاهدة تجليات الأسماء الحسنى وطغراء الخالق تعالى، وختم المالك الأبدى، المضروب في الموجودات من البيئة والحياة أجمع.

لواحق النظر الحرفي وطبيعته:

النظر الحرفي يغير ماهية الأشياء من أنها مرآة لتجليات الاسماء الحسنى، بينما النظر الإسمي يغير ماهية الأشياء من أنها يضيع حقيقة البيئة في زاوية الوضعية المادية، فالنظر الحرفي يغير العلوم الكونية البيئية «معارف إلهية»؛ بمعنى أن مصادر هذه العلوم وموضوعاتها وطريق نيلها لها منهج خاص متغير عن المنهج الغربي ، وأما عناصر البيئة من الانسان والحيوانات والمحيط الحيوي الذي موضوع هذا العلم ، فلها مفهوم خاص من أنها: «نقوش المصور الجليل ولمعة القصد والاتقان في نظامه وحكمته».^٢

ومن جهة أخرى فإن النظر الحرفي هو النظر الحقيقي الذي ينظر إلى الأشياء كما هي، ويرى الممكن ممكنا والمستحيل مستحيلا والحق حقا والباطل باطلا، بينما كان النظر الاسمي التقليدي يرى المحال ممكنا،^٣ لذلك أن هذا الناظر يصل الى مرتبة علم اليقين أو عين اليقين بل حق اليقين «القاطع»،^٤ الذي لا يأتيه الشك والريب بعده، و ما أجمل قوله «إن الحق أغنى من أن يدلس ، ونظر الحقيقة أعلى من أن يدلس عليه، ونظرة النفاذ منزه من أن يلتبس عليه الخيال بالحقيقة».^٥ هذا لأن من ينظر إلى البيئة والأشياء بالنظر الحرفي ، سينظر إليها بمشاعر الانسان الكلي، وهو المفاض من «الايان الحقيقي فلا توقف على حدود العقل فحسب، بل يسرى إلى القلب وإلى الروح وإلى السر وإلى لطائف أخرى، فيترسخ فيها رسوخا قويا بحيث لا تصل يد الشيطان إليها ابدا».^٦

ومن جهة تالثة فإن النظر الحرفي أحكم في إعطاء المعنى الحقيقي ولكنه ضعيف في الظاهر،

لتسهيل الفهم مثل الاستاذ النوسي هذا النظر بمن رأى صورته في المرآة، فالناظر بالنظر الحرفي لا ينظر الى ذات المرآة التي هي الزجاجية ولكن ينظر الى شيء آخر وهو صورة الوجه في تلك الزجاجية؛ «فصورة الشخص هي المقصودة».^١ وإذا رأى المؤمن جمال البيئة والكون والعالم، يفهم أن هذا الجمال من أثر الجمال السرمدى، فيقول «ما أجمل خلقَ هذا»،^٢ حتى يدفع الناظر إلى القول «فتبارك الله احسن الخالقين» (المؤمنون: ١٤).^٣ تقديرا وتوقيرا لخالق جمال البيئة.

وعين هذا النظر ومنبعه هو التوحيد العالى أو توحيد المتقين ، وهو الذي سماه الأستاذ ب «التوحيد الحقيقي» أو «التوحيد لأهل الحقيقة». وعرفه الأستاذ بأنه «الإيمان بيقين أقرب ما يكون إلى الشهود، بوحدانيته سبحانه، وبصنوع كل شيء من يد قدرته، وبأنه لا شريك له في ألوهيته، ولامعين له في ربوبيته، ولأنه له في ملكه، إيمانا يهب لأصحابه الاطمئنان الدائم وسكينة القلب، لرؤيته آية قدرته وختم ربوبيته ونقش قلمه، على كل شيء. فيفتح شباك نافذ من كل شيء إلى نوره سبحانه».^٤ وفي عبارة أخرى يبين الأستاذ أن المؤمن الحقيقي يشهد جميع الأشياء من الموجودات . بما فيها عناصر البيئة . على أنه آية القدرة الإلهية، ويرى ختم الربوبية وطغراء المالك الأزلي عليه: «أن تُقرأ الكتابة الموجودة على كل رزمة من رزم البضاعة، وتُعرف الطغراء الموجودة على كل طول، ويُعلم الختم الموجود على كل معلّم. أي كل شيء في هذه الحالة يدل ضمنا على ذلك المالك».^٥

ويتجسد النظر الحرفي إلى كيان المؤمن مع نظرية تجليات الأسماء الحسنى بأن يسند نظره إلى عناصر البيئة من الحياة والإحياء «بحسابه تعالى» ضد «حساب الأسباب».^٦ وفصل الأستاذ أن المراد بحسابه تعالى هو على حساب التجلي كما قال «بواسطة تجلي الأجدية الجامعة، وبواسطة كون الحياة نقطة مركزية لتجلي الأسما التي هي أشعة شمس الأزل والأبد»،^٧ فيكون النظر الحرفي المستنبط

1 بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص: 158

2 بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص، 141،

3 بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص: 158

4 بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات ص: 326

5 سعيد النورسي، المكلمات، ص؛ 326

6 بديع الزمان سعيد النورسي، المثوي العربي النوري، ص: 117

7 بديع الزمان سعيد النورسي، المثوي العربي النوري، ص: 58

1 بديع الزمان سعيد النورسي، المثوي العربي النوري، ص: 341

2 بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص: 854

3 بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص: 829

4 بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص: 182

5 بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص: 260

6 بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: دار سوزلر للنشر، الطبعة السادسة، 2013)، ص: 104

« بسر التوحيد يفهم أن الكون برمته كتاب صمداني ينطوي على معاني عميقة غزيرة »^١ ، **الحكمة**
« إن حكمة وجود كل شيء، وغاية فطرته، وفائدة خلقه، ونتيجة حياته كلا منها إنما على أنواع »^٢
الإبداع والإتيقان « إن الخلق في كل شيء ولاسيما في الأحياء هو في منتهى الإبداع وغاية الإتيقان »^٣
، **وظائف ومهمة** « إن مثل هذه الأنواع من الحيوانات التي تتكاثر نسخها بكثرة هائلة، لها وظائف مهمة. فالكتاب يُطبع طبعا كثيرة نظراً لقيمه »^٤؛

موقع التوحيد والكفر من القيمة البيئية:

ولا يمكن تحقيق هذه القيمة وتحريها الا بنظر الإيمان والتوحيد. «إنه بسر التوحيد تتحقق مزايا الكون وكمالاته، وتُدرك الوظائف الراقية للموجودات، وتتقرر نتيجة خلق المخلوقات، وتُعرف أهمية المصنوعات. وتُبرز ما في هذا العالم من مقاصد إلهية، وتُظهر حكمة خلق ذوي الحياة وسر وجود ذوي المشاعر...». ° وحقق قائلا «لايشاهد إلا في مرآة التوحيد؛ بوساطة التوحيد ونور تجليات الأسماء الإلهية المتمركزة في ملامح الجزئيات الموجودة في أقصى نهايات شجرة الكائنات»^٦. أما الشرك والكفر المطلق والنظر الاسمي فلا يرى من تلك القيم إلا القليل، بل تهبط بقيمة عناصر البيئة وتحرقها وتنكرها بل تكذبها. «فالشرك والكفر جريمة بشعة تتعدى على جميع كمالات الكائنات وتتجاوز على جميع حقوقها الرفيعة وتتعرض لجميع حقائقها السامية»^٧. ووازنت رسائل النور في مفهوم القيم للبيئة بين هاتين الزاويتين تفصيليا، ولكن سيذكرها الباحث مجملًا.

أنواع القيمة ومراتبها وموقع النظر منها:

قسم الاستاذ النورسي القيمة للبيئة وغايات وجودها وأنواع نتائجها الى المقامات والاقسام؛ الأولى القيمة المتوجهة الى ذات الشيء، والثانية القيمة المتوجهة الى ذوي الشعور، والثالثة القيمة المتوجهة الى الصانع.

لأن حقيقة الأشياء ليست صورتها المادية، بل هي المعاني الاخرى المستتبطة بنوع من التدبر والتفكير، والنظر الحرفي ينظر الى الأشياء على حساب التوحيد الحقيقي لا على حساب الاسباب الوضعي، فلا يرى حرف الأشياء انه حرف بل ينظر الى أن للحروف كاتب له صفات خاص، فلا ينظر الى حروف البيئة ، بل يرى من خلفها كاتب البيئة ، وهو الخالق المصور جل وعلا، فالحقيقة المعنوية ليست منحصرة في جسم البيئة المحدود ، ولكن لاتحصى في خالق البيئة، قال الاستاذ «اذ بينما يدل الحرف الواحد على وجوده ويعبر عن نفسه بمقدار حرف فإنه يعبر عن أوصاف كاتبه بمقدار سطر»^١. «كذلك إن كل مصنوع الذي هو حرف من كتاب القدرة، يدل على نقاشه الأزلي بوجوه متنوعة كثيرة، وينشد من أسمائه المتجلية على ذلك المصنوع، بمقدار قصيدة طويلة». والنظر الحرفي يرى البيئة وهو «لايستتبع اللوازم، أي ولايستتبع لوازم الحكم فلا يتغلغل ذهن ناظره في دقائق»^٢ البيئة صورة مادية، ولكن يتحقق ذهن الناظر في دقائق العبرة كما يراه المتكلمون.

المبحث الثالث

القيمة البيئية بين النظر الإسمي والحرفي

مصطلحات القيمة البيئية ومرادفاته:

من الأهمية هنا بيان وإثبات أن نوع النظر يؤثر في إعطاء معنى القيمة للبيئة، والنظر الى القيمة يلزم المعاملة معها. وللاستاذ مصطلحات كثيرة لكلمة القيمة البيئية منها **الأهمية والقيمة** « «وقد اكتسب في نظري كل شيء حي من حيث انسابه إلى المالك الجليل وعبوديته له ألوف الدرجات الرقية من الأهمية والقيمة»^٣ ، **والغاية والأهداف** « إن لوجود كل غايات، ولحياته أهدافا ونتائج، فهي ليست بمنحصرة على الغايات والمقاصد التي تتوجه إلى الدنيا أو في الوجود نفسه »^٤ ، **المعنى او المعاني**

1 بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص: 480

2 بديع الزمان سعيد النورسي، المثوي العربي النوري، ص: 395

3 بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: دار سوزلر للنشر، الطبعة السادسة، 2013)، ص: 12

4 بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص: 79

1 بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص: 13

2 بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص: 527

3 بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص: 226

4 بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص: 376

5 بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص: 13

6 بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص: 8

7 بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص: 14

من نظر إليها من الانسان والجن والملائكة والحيوانات، وقد عرضها البارئ عز وجل. فماهية قيمة البيئة في هذه الطبقة هي «أن كل شيء بمثابة رسالة ربانية زاخرة بالحقائق، وقصيدة تتضح لطفا ورقة وكلمة تُفصح عن الحكمة»¹. وفصل الأستاذ في اللغات بقوله «ان كل شيء في الوجود بمثابة آية جلية، ومكتوب رباني، وكتاب بليغ، وقصيدة رائعة، يستطيع كل ذي شعور ان يطالعها ويتعرف من خلالها على تجلّي اسماء الفاطر الجليل، أي ان كل شيء يعبر عن معانيه الغزيرة لقرائه الذين لا يحصيهم العد»². والزبدة هنا هي: أن القيمة الثانية هي القيمة بغيرها، أي أن اعتبار هذه القيمة هو المجال المعنوي ينتسب الى الصفات الإلهية وليس المجال المادي الذاتي.

فلا يمكن تحصيل هذه المعاني الا بالنظر الحرفي، لانه قد سبق الذكر أن النظر الحرفي يحول ماهية الأشياء، فمعاني عناصر البيئة وماهيتها لا على حساب ذواتها وجسمانيتها، ولكن على حساب تجليات الأسماء الحسنى كما حققه الأستاذ «أن الحقائق الحقيقية للأشياء، انما هي الاسماء الإلهية الحسنى، أما ماهية الاشياء فهي ظلال تلك الحقائق.... بل الحقائق الحقيقية انما هي تجليات تلك الاسماء»³. فنظرت رسائل النور من هذه الزاوية الى دقائق معاني البيئة وعمقها، بحيث لم يسبقه غيره من العلماء والمتخصصين في العلوم الكونية المعاصرة، حتى تعرف وتضبط عناصر البيئة تفصيلا، ولم يرى في فهرت إيكولوجيا وجيوكرافيا وجيلوجيا، واعتادارا أنه لا يمكن كتابتها في هذه الورقة المحدودة⁴، ولكن سيذكر ملخصا.

وما أجمل تعريف الكون على ضوء رسائل النور أنه «كتاب صمداني ينطوي على معاني عميقة غزيرة، وأن الموجودات بأسرها مجموعة مكاتب سبانية في منتهى الإعجاز، وأن المخلوقات بجميع طوائفها جنود ربانية في غاية الانتظام والهيبة، وأن المصنوعات بجميع قبائلها -ابتها من الميكروب والنمل إلى الكركدن والنسر وإلى الكواكب السيارة- موظفات دوبات مأمورات جادات

الأولى، نظراً الكفر المنبثق في النظرالإسمي، بأن قيمة البيئة والأشياء توجد باعتبار ذاتها وحاجات الانسان المادية إليها فحسب، وهذا ما نقدته رسائل النور من أن هذه القيمة «... ليست بمنحصرة -كما يتوهم أهل الضلالة- على الغايات والمقاصد التي تتوجه إلى الدنيا أو التي تنحصر في الموجود نفسه»¹. ومثال القيمة الذاتية للبيئة «كالتمتع والتلذذ وقضا الحياة والبقا فيها بهنأ، وغيرها من المقاصد الجزئية»². ولم يصل النظر الاسمي الكفري الى القيمة الأخرى التي هي «أعظم من قيمته الذاتية بألوف المرات»³. والقيمة الذاتية قيمة محدودة مؤقتة حيث أنها تعتبر باعتبار الذات الجسمي، حيث «كانت فائدة خلق الشيء في نفسه واحدة»⁴، وتنتهي حين ينتهي ذلك الذات «حتى يمكن أن يتسلل إليها العبث وعدم القصد»⁵.

وعبر علم البيئة المعاصرة هذه القيمة ب «القيمة الذاتية» intrinsic value الذي أوجده وأكده «أرني نائيس» بعد أن رأى الغرب بأن للبيئة قيمة دنيوية فحسب وليس لها قيمة ذاتية. هذا يعني إذا كانت البيئة لا تعطى الربح المالي الى الانسان فلا تعتبر أن لها القيمة، فيتأتى عدم الالتفات إليها. وأما إذا نظر الى أن للبيئة قيمة بأن تعطي إليه المنفعة المالية، فيأخذها أخذ الإسراف حتى يهلكها ويفسدها، فيتأتى التلوث والهلاك البيئي⁶. ولكن الجدير بالذكر هو أن القيمة الذاتية تكون للموجودات عند الغرب من أول القيم الاربعة على لمعات رسائل النور، ولن يصل إلى القيمة الثلاثة الأعلى منها.

الثانية، القيمة التي تتوجه الى ذوي الشعور، يعني أن عناصر البيئة الحية وغير الحية من صغار الحيوانات وكبارها، من شتى الشجيرات والنباتات وأنواع الجمادات لا توجد لأجل مصالح الانسان المادية فحسب كما ظنها البيئيون المعاصرون، وإنما -على منظار التوحيد- محل مطالعة وتأمل وعبرة لكل

1 بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص: 79

2 بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص: 79

3 بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص: 14

4 بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص: 527

5 بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص: 79

Rowan Taylor, "Forms Of Capital And Intrinsic Values", Chemosphere (1996) Vol. 33, 6 No. 9, pp. 1806; Sandler, R. (2012), "Intrinsic Value, Ecology, and Conservation". Nature Education Knowledge 3(10):4; Carl Talbot, "Deep Ecology", Encyclopedia of Applied ethics, Volume 1, (Academic Press, 1998), p. 747

1 بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص: 79

2 بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص: 527

3 بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص: 736، 739

4 بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص: 484

لهذه المخلوقات قيمة مالية للإنسان وليس لها قيمة ايكولوجيا، ولكن أجاب الأستاذ بنظره الحرفي أن لهذه المخلوقات قيمة غالية «فلا يطرأ عليها عبث ولا انتقا النفع البتة. أي إن أولى غايات كل شيء هو: إعلانه وإظهاره -بحياته- ووجوده- معجزات قدرة صانعه، وأثار صنعه، أمام أنظار عناية مليكه ذي الجلال». ¹ وتبدل المخلوقات واضطرابها قافلة قافلة لغرض عظمي تسمى بـ«طلمس الكائنات»، وهي مظهر «الفعالية الربانية» «والخلاقية الإلهية» «والشؤون الإلهية المقدسة» التي تورث الاحوال الإلهية المقدسة صعب تعبيرها بلغة البشر المحدود، ويمكن الإشارة، « تلك الشؤون التي يعجز التعبير عنها ولم يؤذن لنا بالإفصاح عنها بل ربما يشار إليها بأسماء الرضى المقدس والافتخار المقدس واللذة المقدسة». ²

وأبدع الاستاذ مفهوم القيمة الجديدة من خلال هذه النظرة، ويمكن أن نصلحها بنظرية «بقاء القيمة المعنوية مع فناء الذات الجسمية»، هذا رغم أن ذات عناصر البيئة والمخلوقات تفنى ، ولكن بقيت قيمتها المعنوية، أو ترك وجودا أخرى كثيرة التي لا تقتصر في هذا المحيط الحيوي ولكن يصل الى البيئة السرمدية، وعبر الأستاذ عن هذا بقوله: «...وهذه الموجودات الجليلة، مظاهر سيالة، ومرابا جؤالة، لتجدد تجليات انوار ايجاده سبحانه بتبدل التعينات الاعتبارية أولاً: مع استحفاظ المعاني الجميلة والهويات المثالية. وثانياً: مع انتاج الحقائق الغيبية والنسوج اللوحية. وثالثاً: مع نشر الثمرات الأخروية والمناظر السرمدية. ورابعاً: مع اعلان التسيحات الربانية وإظهار المقترضات الاسمائية. وخامساً: لظهور الشؤون السبحانية والمشاهد العلمية». ³ أجل ما أبدعه الأستاذ من دقيق مفهوم القيمة البيئية ، هو مما أفاضه الله على قلبه من السنوحات الإلهية.

وإذا نظر الانسان إلى الكون والبيئة بالنظر الاسمي أو بنظر الكفر، فهو لا يرى تلك القيمة الغالية الا القيمة الاولى التي تتوجه الى الذات أو المصالح المادية للإنسان، وغاب عن عين الناظر القيمة الثانية الغالية المتوجهة إلى ذوي الشعور، فضلا عن القيمة العالية المتوجهة الى الصانع، كيف يكون وجود القيمة المتوجهة الى الصانع مع الإنكار في وجودها؟. لكون الكفر بنظره الإسمي يقوم بـ «إهباط

تأتمر بأمر السلطان الأزلي»، ¹ وأنه «الكتاب الكبير»، ² و«القرآن المعنوي»، ³ «فالكائنات شجرة، والعناصر أغصانها، والنباتات أوراقها، والحيوانات أزهيرها، والأناسي ثمراتها»، ⁴ «في ضوء سر الأحدية - ليس كلاً يستعصي على التجزئة وحدها بل أيضاً هو كلاً من حيث الماهية» ⁵ ونحو ذلك.

وأما معاني عناصر البيئة والمحيط الحيوي في زاوية النظر الحرفي مفصلاً ، فهو يتبين من خلال تعريف الارض ، من أنها «قلب الكون ومركزه من حيث المعنى، ومعرض جميع المصنوعات المعجزة، وموضع تجلي الأسماء الحسنى كلها، ومحشر الأفعال الربانية المطلقة ومرآتها، وسوقا واسعة لإبراز الخلاقية الإلهية المطلقة، ونموذجاً مصغراً لمصنوعات عالم الآخرة الواسع الفسيح، ومصنعا يعمل بسرعة قصوى لإنتاج منسوجات خالدة، وموضع عرض لنماذج المناظر السرمدية المتبدلة بسرعة فائقة، ومزرعة ضيقة مؤقتة لاستنبات بذيرات تُربى بسرعة للبياتين الخالدة الرائعة». ⁶ وأما الحيوانات والنباتات فقد قال عنها الاستاذ: «هذه النباتات المتلونة والحيوانات المتنوعة في حديقة الأرض خوارق صنعيته وبراهين ألوهيته، وهذه الأزهار المنورة والأشجار المثمرة في هذه الجنان معجزات قدرته ودلائل رحمته، وهذه الشجرة بأوراقها وأثمارها في هذه الروضة معجزات قدرته». ⁷ وأما التراب «أنها لا يرى في الكائنات شيء مثل التراب في تجليات الربوبية والفعالية، والخلاقية، والمظهرية». ⁸ أه

الثالثة، هي القيمة التي تتوجه الى الصانع، يرى الاستاذ من صغار المخلوقات من أمثال المكروبات التي عمرها لا يتجاوز لحظة أو لحظات ، بل منها يكفيه باستعداد الحياة من دون الحياة مثل البذور التي لم تتسنبل، فالسؤال هنا: هل لأمثال هذه المخلوقات قيمة؟. الجواب أن النظر الاسمي يرى انه ليس

1 بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص: 13

2 بديع الزمان سعيد النورسي، اللّمعات، ص: 433

3 النورسي، المثوي العربي النوري، ص: 281

4 بديع الزمان سعيد النورسي، المثوي العربي النوري، ص: 325

5 بديع الزمان سعيد النورسي، اللّمعات، ص: 501-502

6 بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات ، ص: 400

7 النورسي، المثوي العربي النوري، ص: 252

8 النورسي، المثوي العربي النوري، ص: 795

1 بديع الزمان سعيد النورسي، اللّمعات، ص: 534

2 بديع الزمان سعيد النورسي، اللّمعات ، ص: 527

3 بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص: 365

3. الحفاظ على البيئة ورعايتها يدور مع الإيمان وجوداً وعمداً، ومن هنا نقول أن الإيمان والتوحيد هو أولى الأولويات لمعالجة أزمات البيئة ، بل لديه الجواب على جميع الأسئلة في عالمنا اليوم.

4. رسائل النور فيها معالجات ناجعة ثلاث متطلبات العصر وتطلعاته ، فهي نابعة من القرآن ومنه معينه وإليه مرجعه ، فعلى أهل الحق أن يهتموا بها وبطروحاتها الفكرية والإيمانية ، فهي تقي بالغرض لمنهجها القويم الجامع بين العقل المضيء والقلب المنور ، يقول الأستاذ الدكتور عمار جبيل في هذا الشأن: «ألف بديع الزمان سعيد النورسي رسائل النور المكونة من ثلاث وثلاثين رسالة في فترات متنوعة ومختلفة إجابة عن أسئلة فرضها الواقع الفكري والحضاري المتحرك باستمرار، وهي أسئلة على تنوعها تتمحور حول فكرة مركزية مفادها «إثبات الحقائق الإيمانية وتثبيتها» نجح الأستاذ بفضل الله في الحصول على مبتغاه؛ فأسس لتوجه جديد قوامه التفكير الإيماني والذكر الإيماني المترجم في عمل إيماني»¹.

لائحة المصادر والمراجع

بديع الزمان سعيد النورسي. 2013. **المكتوبات**. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. القاهرة: دار سوزلر للنشر. الطبعة السادسة.

2013. **الكلمات**. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. القاهرة: دار سوزلر للنشر. الطبعة السادسة.

2013. **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**. تحقيق إحسان قاسم الصالحي. القاهرة: دار سوزلر للنشر. الطبعة السادسة.

2013. **الشعاعات**. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. القاهرة: دار سوزلر للنشر. الطبعة السادسة.

2013. **اللغات**. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. القاهرة: دار سوزلر للنشر. الطبعة السادسة.

2013. **المثنوي العربي النوري**. تحقيق إحسان قاسم الصالحي. القاهرة: دار سوزلر للنشر. الطبعة السادسة. ص: 247

2013. **الملاحق**. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. القاهرة: دار سوزلر للنشر. الطبعة السادسة.

1 عمار جبيل، رسائل النور استمدادها وامتدادها، (استطبول: دار النيل للطباعة والنشر، 2009)، ص: 6

قيمة الكائنات»، أو «إهانة وتحقير للكائنات»،¹ و«استهانة بالموجودات واستخفاف بها»،² وعليه فإن «... الشرك والكفر جريمة بشعة تتعدى على جميع كمالات الكائنات ، وتتجاوز على جميع حقوقها الرفيعة وتعرض لجميع حقائقها السامية»،³ و«اتهام الموجودات بالتقاهة وتحقير بالقيمة»،⁴ و«تخفى جميع معجزات القدرة»،⁵ و«لا فائدة لكون، حتى «يغيب الكائنات على الكافر».⁶

الخاتمة

من خلال هذا البحث ، وقفنا عند جملة من النتائج ، يمكن حصر أهمها في الآتي:

1. إن رسائل النور تعطي شيئاً جديداً في قضية أزمة البيئة، ومفاده هو: أن مشكلات البيئة نابعة من مشكلة الكفر المطلق ، وذلك بسبب نظره الاسمي الذي يكون نموذجاً للفلسفة الطبيعية والنظرة المادية الخالية للمعنويات التي خلف هذه البنية المادية ، إذ يرى هذا النظر الكون والبيئة برؤية مادية بحتة ، فتهبط بقيمتها وماهيتها المعنوية قاطبة ، بل يكون المصير إلى هاوية العبث وعدم المعنى ، بل لاغاية في إيجادها أصلاً، بينما هناك النظر المقابل ، وهو النظر بمنظار التوحيد التحقيقي ، والمتمثل في نظره الحرفي إلى الكائنات ، بحيث يرى من خلاله الكائنات رؤية معنوية عميقة دقيقة ، وذو مغزى ، بل لهذه النظرة قيمة ألماسية ، لأنها تعطي المعنى لكل شيء.

2. إن نظر الكفر يؤدي الى التعامل مع البيئة تعامل الإفساد المهلك، بينما نظر التوحيد يؤدي إلى التعامل معها تعامل الرعاية والحفظ ، فإذا نظر الإنسان إلى البيئة على أنها ذات المغزى والمعنى العميق ، فبديهياً يلزم تصرفه معها الاحترام والإجلال لخالقها ومدبرها ، وليس لذات البيئة وجانبها المادي وحصر النظر فيه. فرؤية الكفر المطلق هو سبب أزمة البيئة ، لأنها تعضل قيمة البيئة ومعناها، ومعالجة هذه الأزمة تكون بتجسيد رؤية الإيمان التحقيقي في فكر الإنسان وكيانه ونظره.

1 بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات ، ص: 65، 78

2 بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص: 268

3 بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات ، ص: 14

4 بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات ، ص: 34

5 بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات ، ص: 148

6 بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات ، ص: 65، 78

2014.. صيقل الإسلام. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. القاهرة: دار سوزلر للنشر. الطبعة السادسة.

حبيبة أبو زيد، ثقافة البيئة في الفكر الإسلامي من خلال مدرسة بدیع الزمان سعيد النورسي، مجلة النور، السنة السابعة، يوليو ٢٠١٦، العدد ١٤)

عبد المجيد عمر النجار، قضايا البيئة من منظور إسلامي، (الدوحة؛ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٤)

على جمعة، البيئة والحفاظ عليها من منظور الإسلام، (القاهرة: الوابل الصيب، ٢٠٠٩)، ص: ٦٧-٦٨

عمار جيدل، رسائل النور استمدادها وامتدادها، (استنبول: دار النيل للطباعة والنشر، 2009)، ص: 6

عاصم الحسيني، سيرة إمام مجدد قبسات من حياة الإمام العلامة بدیع الزمان سعيد النورسي، (إسطنبول: مؤسسة دار الأنوار، 2019).

Capra, Frijof. *The Web of Life; A New Understanding of Living System*, (London: Flamingo. 1997)

The Turning Point, Science, Society, and Rising Culture, (London: Flamingo, 1983)

Carl Talbot, “Deep Ecology”, *Encyclopedia of Applied ethich*, Volume 1, (Academic Press, 1998), p. 747

Davud Aidus, *The Approach to The Environment Question of The Qur'an And Its Contemporary Commentary, The Risale-I Nur*, Prosiding dalam simposium “*The Fourth International Symposium on Bediuzzaman Said Nursi: A Contemporary Approach Toward Understanding the Qur'an: The Example Of Risale-I Nur*”, Istanbul, Turkey, 20–22 September 1998.

Özdemir, D.. “Bediuzzaman Said Nursi’s Approach To The Environment.” (١٩٩٨); Parid Ridwanuddin, *Eko-Teologi dalam pemikiran Badiuzzaman Sa'id Nursi*, Tesis Fakultas Falsafah dan Peradaban Program Studi Ilmu Aga-

ma Islam Universitas Paramadina Jakarta, 2016

R.D Laing, dalam Frijof. Capra, *Uncommon Wisdom* (New York: Simon and Shuster, 1988)

Rachel Carson, *Silent Spring*, (New York: Mariner Book, 2002), p.6,8.

Richard C. Foltz and Fredrick M. Denny, *Islam and Ecology a Bestowed Trust*, Harward University Press, 2003

Rowan Taylor, “*Forms Of Capital And Intrinsic Values*”, *Chemosphere* (1996) Vol. 33, No. 9, pp. 1806

Sandler, R. (2012), “*Intrinsic Value, Ecology, and Conservation*”. *Nature Education Knowledge* 3(10):4

Shalih Yucel, *An Islamic Perspective of the Natural Environment and Animals: Said Nursi and his Renewalist Philosophy*, (UMRAN - International Journal of Islamic and Civilizational Studies), p. 55-69 <https://doi.org/10.11113/umran2018.5n2.236>

Abstract

Imam Nursi - may God have mercy on him - is inspired by his reformist approach from the beacon of prophet hood, so he begins with the soul, establishes faith for it, relying on true knowledge and acting on it, pleading with sincerity and piety. The truth is for them in what suits the understandings and the age, and if they respond, he pledges them to education and training, until he turns them into valid models that can reform others, then this applies to the whole community. And for this he endured all harm he found with patience and striving, without alienating violence, but rather with the doctor's sympathy for the patient. And defending society against the external danger to the soul and the precious, without conflicting and opposing those who work in the same way with diligence, even if it contradicts his diligence.

الايان ودوره في تأسيس السلام الاجتماعي في فكر الإمام النورسي

د. رشيد محمود رشيد
جامعة الموصل/ كلية العلوم الإسلامية/العراق

المخلص

إن الإمام النورسي-رحمه الله- يستلهم منهجه الإصلاحية من نبراس النبوة، فيبدأ بالنفس يثبت لها الإيمان معتمداً العلم الحق والعمل به، متوسلاً بالإخلاص والتقوى، ثم يبني على ذلك ببذل أقصى الجهد، مستعيناً بصدق التوكل على الله عز وجل، ويبدأ إصلاح غيره عن طريق تبليغ الحقيقة لهم بما يناسب الأفهام والعصر، فإن استجابوا فإنه يتعهدهم بالتعليم والتدريب، حتى يحولهم إلى نماذج صالحة يمكنها من إصلاح غيرها، ثم يسري ذلك في المجتمع كله.

وتحمّل في سبيل ذلك كل ما يجد من أذى بالصبر والمجاهدة، دون عنف منفر بل بمدارة الطبيب للمريض. ومدافعاً عن المجتمع ضد الخطر الخارجي بالنفس والنفيس، من غير تخالف وتضاد مع من يعمل في نفس السبيل باجتهاد وإن خالف اجتهاده.

الكلمات المفتاحية: الإيمان، السلام الاجتماعي، فكر، الإمام النورسي.

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد ومقدمة

إن الباري عز وجل تعهد هذه الأمة بالحفظ والرعاية بإرسال المجددين لأمرها كما نص على ذلك الحديث الشريف⁽¹⁾، وقد بلغت الأمة في نهاية قرنها الثاني عشر للهجرة من الضعف والهوان ما جعل الأمم تتكالب عليها، فكان أن بعث الله فيها من علمائها من يقوم المعوج، ويصلح لها ما فسد من أمرها، والإمام النورسي هو من أبرز هؤلاء المجددين.

وفي هذا البحث سأحاول بإذن الله إيجاد العلاقة بين عمل الإمام النورسي من خلال مؤلفاته وحياته الشخصية، في التركيز على الإيمان ومحاولة تجديده في نفوس الناس من خلال أساليب القرآن الكريم مع وسائل عصره وأثر ذلك الإيمان في صناعة السلام الاجتماعي في فترة شهدت حروباً عالمية وأهلية في محيطه مع ما كان يعانيه جسد الأمة من تمزق وتفرق.

يعرّف الإمام بديع الزمان-رحمه الله- الإيمان بقوله: «قبول الحق وتصديقه»⁽²⁾. فيتمثل بانقياد

1 الحديث أخرجه أبو داود في السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: (إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا)، برقم(4291).

2 النورسي، بديع الزمان، المكتوبات (42).

المطلب الأول: الإخلاص:

الإخلاص يعرفه العز بن عبد السلام (ت:660هـ): « أن يفعل المكلف الطاعة خالصاً لله وحده لا يريد بها تعظيماً من الناس ولا توقيراً، ولا جلب نفع ديني، ولا دفع ضرر دنيوي»⁽¹⁾. ولذا كان المنافق بعيداً عن الإخلاص، أما المرابي فإنه يشكو من علة في إيمانه، فلا يتحقق الإخلاص إلا لذي إيمان صادق.

لقد أخذ الإخلاص حيزاً كبيراً في فكر وجهد الإمام النورسي فلم يزد التأييد الإلهي في مواقف كثيرة إلا زيادة شكر وتذلاً للباري سبحانه ومعرفةً بوظيفته الدعوية، يقول رحمه الله عن ذلك: «أنا أشكر ربي الجليل بما لا نهاية له من الشكر أنه لم يجعلني أعجب بنفسي، لذا لا أتطلع إلى مثل هذه المقامات الشخصية التي تفوق حدي بدرجات لا تعد ولا تحصى، بل لو أعطيت مقامات رفيعة أخروية فإنني أجد نفسي مضطراً إلى التخلي عنها لئلا أخل بالإخلاص الذي في النور هكذا قلت للخبراء وسكتوا...»⁽²⁾. يؤكد ذلك مدى أهمية الإخلاص ومحوريته في حياة النورسي، وحرصه على أن لا يخدش.

حتى أنه يحاول تبرير المظاهر التي جلبت الأنظار إليه فيقول: « لقد ظهرت حالات جلبت الأنظار إلي، ولكنها كانت خارجة عن إرادتي واختياري، حتى بدت كأنها نوعٌ من جلب الإعجاب، وما كانت إلا من قبيل عدم تكذيب حسن الظنّ الذي كان يحمله الناس نحوي»⁽³⁾.

ويحذر بديع الزمان رحمه الله طلاب النور من العجب والغرور لما لها من عواقب وخيمة على الدعوة وعلى العلاقة بين أفراد المجتمع وهو يعلمهم الإخلاص في سلوكه فيوصي بتجنب «أنا» في طريق الخدمة القرآنية « فلا تقولوا: أنا! بل قولوا: نحن.»⁽⁴⁾ وقد كان قدوتهم وقائدهم في ذلك.

ويحث طالب النور في موضع آخر على تجنب قواعد الإخلاص كما يتجنب الحيات والعقارب، شارحاً الإخلاص الذي يجب أن يتحلى به طلاب النور بقوله: «يا إخوة الآخرة! ويا أصحابي في خدمة القرآن! اعملوا - وأنتم تعلمون - أن الإخلاص في الأعمال ولاسيما الأخروية منها، هو أهم أساس، وأعظم قوة، وأرجى شفع، وأثبت مرتكز، وأقصر طريق للحقيقة، وأبرز دعاء معنوي، وأكرم وسيلة للمقاصد،

1 سلطان العلماء، العز بن عبد السلام، قواعد الاحكام (1: 123).

2 النورسي، بديع الزمان، سيرة ذاتية (62).

3 النورسي، بديع الزمان، سيرة ذاتية (26).

4 النورسي، بديع الزمان، المكتوبات (541).

الإنسان الباطني- أي القلبي-، والظاهري- أي بالقول والعمل- لخالقة، والإيمان رابط ونسبة بين الإنسان وصانعه الجليل، يكتسب الإنسان به قيمة سامية، وبقوة إيمانه يبرز آيات نقوش الأسماء الربانية في صفحة حياته وسيرته.

يقول النورسي -رحمه الله-: «إن الإنسان يسمو بنور الإيمان إلى أعلى عليين فيكتسب بذلك قيمة تجعله لائقاً بالجنة، بينما يتردى بظلمة الكفر إلى أسفل سافلين فيكون في وضع يؤهله لنار جهنم، ذلك لأن الإيمان يربط الإنسان بصانعه الجليل ويربطه بوثاق شديد ونسبة إليه، فالإيمان إنما هو انتساب لذا يكتسب الإنسان بالإيمان قيمة سامية من حيث تجلي الصنعة الإلهية فيه وظهور آيات نقوش الأسماء الربانية على صفحة وجوده أما الكفر فيقطع تلك النسبة وذلك الانتساب»⁽¹⁾.

وقد التزم النورسي -رحمه الله- بتعريفه للإيمان في ذاته وحياته.

ووفق ما تقدم قسمت هذا البحث إلى مبحثين:

المبحث الأول في حقيقة الإيمان في رسائل النور وتجلياته الظاهرية والباطنية والذي يقابل الجزء الأول من التعريف: «قبول الحق».

والمبحث الثاني في دور الإيمان في السلام الاجتماعي من خلال أنموذج شخص الإمام النورسي والذي يقابل الجزء الثاني من التعريف «تصديقه».

المبحث الأول

حقيقة الإيمان في رسائل النور وتجلياته الظاهرية والباطنية

إن أبرز ما يميز الإسلام عن بقية الأديان أنه دين عملي، حتى في تجلياته الروحية، وحقيقة الإيمان وفق رسائل النور ليتجلى بممارسات فردية، تتولد من يقين ثابت بالغيبيات التي جاء بها الوحي، {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} {البقرة: 3-2} فتفاعل الإيمان في ذات الفرد يولد الإخلاص، وصدق التوكل، والتقوى وسأبحث عن هذه المعاني في رسائل النور وأثرها في السلم الاجتماعي في المطالب الآتية:

1 المصدر نفسه، (348).

يوضح النورسي-رحمه الله- حقيقة التوكل وكيف أن الإيمان يوصل إلى التوكل: «فالإيمان إذن يقتضي التوحيد، والتوحيد يقود إلى التسليم، والتسليم يُحقق التوكل، والتوكل يسهل الطريق إلى سعادة الدارين. ولا تظن أن التوكل هو رفض الأسباب وردّها كلياً، وإنما هو عبارة عن العلم بأن الأسباب هي حُجُب بيد القدرة الإلهية، ينبغي رعايتها ومداراتها، أما التشبُّث بها أو الأخذُ بها فهو نوع من الدعاء الفعلي»⁽¹⁾.

ويبين النورسي-رحمه الله- منهجية التوكل الذي يأمر به الإسلام فيقول: «إن التوكل في ترتيب المقدمات كسل، بينما تفويض الأمر إلى الله في ترتب النتيجة توكل يأمر به الشرع»⁽²⁾.

فالتوكل الحق يحقق الاستغناء عن الكائنات، والتحرر من أغلال مضايقات الدنيا، وطمأنينة النفس، والنجاة من الخوف والهلع من تقلب الزمان والحادثات، ولهذا ينصح بديع الزمان- رحمه الله- الإنسان للأخذ بالتوكل⁽³⁾.

إن الذي يحفظ السلم الداخلي للإنسان الفرد أولاً- في خضم الأوهام الحياتية- هو الإيمان والتوكل والرضى الحقيقي⁽⁴⁾. «نعم، إن من يعتمد بهوية (عجزه) على سلطان الكون الذي بيده أمر ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ كيف يجزع ويضطرب؟ بل يثبت أمام أشد المصائب، وثقاً بالله ربه، مطمئن البال مرتاح القلب وهو يردد: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: 1٥٦)»⁽⁵⁾.

ثم ينعكس ذلك السلم على المجتمع أجمع من خلال تفاعل الأفراد؛ فإن فيض الإيمان بعد أن يغمر القلب يفيض من جوارح الإنسان، ثم على محيطه، فتستفيد منه حتى الكائنات العجماوات فضلاً عن الإنسان، يقول بديع الزمان- رحمه الله-: «إن ثلاثين سنة قضيناها صائمين عن الكلام متجملين بالصبر والتوكل على الله، سنال ثوابه بانفتاح أبواب جنة الرقي، أبواب المدنية التي لا عذاب فيها.

إن القانون الشرعي الذي هو براعة الاستهلال لحاكمية الأمة، شبيه بخازن الجنة، يدعونا إلى

وأسمى خصلة، وأصفى عبودية... فاجتنبوا - يا إخوتي - الأسباب التي تقدح بالإخلاص وتتلمه كما تجتنبون العقارب والحيات»⁽¹⁾.

وعن أثر الإخلاص في حياة الجماعة وفي العمل الجماعي، وما يؤدي إليه من اتحاد وتعاون وتساند بين الأفراد، ومصدّقاً لقول النبي ٢: (مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم. مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)^(٢)، فإنه يعلم طلابه بأنهم يمثلون جسداً واحداً وأن الأفراد يمثلون أجزاء ذلك الجسد كالتروس والدواليب في معمل النسيج، أو أنهم خدام في السفينة الربانية السائرة بالأمة المحمدية، ثم يقول: «نحن إذن بحاجة ماسة بل مضطرون إلى الاتحاد والتساند التام وإلى الفوز بسر الإخلاص الذي يهيئ قوة معنوية بمقدار ألف ومائة وأحد عشر»^(٣) «١١١١» ناتجة من أربعة أفراد»^(٣).

بل يجعل الإخلاص دستوراً لطالب النور يستمد منه القوة ضد أهل الباطل: «دستوركم الثالث: اعملوا أن قوتكم جميعاً في الإخلاص والحق.

نعم، إن القوة في الحق والإخلاص، حتى إن أهل الباطل يحرزون القوة لما يبدون من ثبات وإخلاص في باطلهم»⁽⁴⁾.

المطلب الثاني: صدق التوكل:

قال الله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: 28]. فالقلب يحقق الطمأنينة بالاتصال الدائم بالله، واليقين بالتأييد الإلهي، وهذا لا يكون إلا للقلب الممتلئ بالإيمان. فإن القلب المتوجه إلى مطالعة الحضرة الإلهية يحصل فيه أنوار الصمدية والأضواء الإلهية، فهناك يكون ساكناً⁽⁵⁾

1 النورسي، بديع الزمان، الكلمات (353).

2 المصدر نفسه (857).

3 ينظر: المصدر نفسه (353).

4 ينظر: النورسي، بديع الزمان، الملاحق (145).

5 النورسي، بديع الزمان، الكلمات (29).

1 النورسي، بديع الزمان، اللغات (221).

2 أخرجه البخاري في صحيحه برقم(6011).

3 النورسي، بديع الزمان، اللغات (223).

4 النورسي، بديع الزمان، اللغات (224).

5 الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت: 606هـ) التفسير الكبير(9/ 179).

إلا الأيام المعذورة شرعاً. ولم ترضع أولادها إلا على طهر ووضوء.⁽¹⁾

أما بديع الزمان نفسه فقد تميز بورع شديد في حفظ أموال الناس وأعراضهم حتى أنه لم يقبل زكاة أموالهم؛ بل كان يبيع ملابسه الخاصة وحاجياته لبيتاع الكتب، وعد ذلك دستوراً له مع حاجته الشديدة للمال.⁽²⁾

ومن ورعه أنه مكث سنتين في مضيف الوالي في «بتليس» في سكن واحد مع عائلته ولم يميز بين بنات الوالي لأنه طيلة هذه المدة لم ينظر إليهن وكان يقول إذا سئل عن ذلك «صون عزة العلم يمنعني من النظر الحرام».⁽³⁾

ولا يتأتى ذلك إلا من إيمان ملاً القلب، وفاض على الجوارح فحكم تحركاتها وسكناتها، وضبطها بالتزام الشرع الحكيم، واخضعها للأوامر والنواهي.

ويشترط الله عز وجل التقوى للإمداد بالبصيرة والتقريب بين الحق والباطل في قوله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً }

إن الإمام النورسي -رحمه الله- ينصح طلاب النور بالتقوى، مستنداً إلى القاعدة الفقهية (درء المفسدات أولى من جلب المنافع)، وأن أهم وظيفة تقع على عاتقهم هي: «اتخاذ التقوى أساساً في الأعمال كلها، ثم التحرك وفقها أمام تيار الدمار الرهيب المهاجم والآثام المحيطة بهم، إذ يواجه الإنسان ضمن أنماط الحياة الاجتماعية الحاضرة مئات من الخطايا في كل دقيقة، فالتقوى هي التي تجعل -دون ريب- الإنسان كأنه يقوم بمئات من الأعمال الصالحة، وذلك باجتنابه تلك المحرمات».

أما أثر التقوى وفائدته في المجتمع فإن لها أثران: أثر مباشر، وآخر غير مباشر.

فالأثر المباشر: ما يعيشه مجتمع التقوى من سلام وأمن على الأئفس والأموال والأعراض، وقد شهدته الأمة في مجتمع النبوة والخلافة الراشدة.

الدخول فيها.. فهيا يا إخوة الوطن لنذهب معاً، وندخلها معاً، فإن بابها الأول: اتحاد القلوب. والثاني: محبة الأمة. والثالث: المعارف. والرابع: السعي الإنساني. والخامس: ترك السفاهة⁽⁴⁾.

المطلب الثالث: تقوى الله:

إن حقيقة التقوى هو تجنب المحرمات والتزام العمل الصالح- أي ما جاء به الرسول ﷺ من أوامر ونواهي-، ويعرفها المناوي(ت: ١٠٣١هـ) بقوله: «التقوى تجنب القبيح خوفاً من الله وأصلها الوقاية، وعند أهل الحقيقة التحرز بطاعة الله عن عقوبته وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة»^(٢). وهي ترادف الإخلاص في الطاعة، أما في المعصية يراد بها الترك والحذر^(٣).

فمن التعريفات السابقة يتبين أن الإيمان شرط في التقوى، فمراقبة النفس وصيانتها من الوقوع بما لا يرضي الله عز وجل لا يتحقق إلا بالإيمان الصادق.

فمن حقق الإيمان والتقوى فقد حقق شروط الولاية: وفي الحديث الشريف الذي يخبر عن الأولياء، أن النبي ﷺ قال: (هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس)^(٤) ثم قرأ: { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [يونس/٦٢]. ويبين تعالى صفاتهم في الآية التالية بأنهم: { الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } [يونس/٦٣].

ويعرف النورسي -رحمه الله- التقوى بأنها: «ترك المحظور والاجتناب عن الذنوب والسيئات»⁽⁵⁾.

والناظر إلى بيئة الإمام النورسي -رحمه الله- أثناء نشأته يدرك تماماً مدى التقوى والورع الذي تحلت به أسرته؛ فوالده «الصوفي ميرزا» كان من ورعه يكتم أفواه دوابه في الطريق لئلا تأكل من مزارع الآخرين، وأنه لم يذق حراماً، أما والدته -كما تخبر عن نفسها- فلم تفارق صلاة التهجد طوال حياتي

1 النورسي، بديع الزمان، صيقل الاسلام (437).

2 المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف (1: 199).

3 ينظر: الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي، (ت: 816هـ) التعريفات (1: 90).

4 اخرج أبو داود في سننه من رواية عمر بن الخطاب t. برقم (3527).

5 النورسي، بديع الزمان، الملاحق، ملحق قسطنطيني (160).

1 ينظر: النورسي، بديع الزمان، سيرة ذاتية (177).

2 ينظر: النورسي، بديع الزمان، المكتوبات (84)؛ وينظر: النورسي، سيرة ذاتية (556).

3 النورسي، بديع الزمان، سيرة ذاتية (28).

المطالب الآتية:

أما الأثر غير المباشر: يتمثل بحكمة ذوي البصيرة والتقوى من علماء هذه الأمة -فهم ورثة النبوة- لعلاج آفات المجتمع والنصح لهم.

المطلب الأول: الدعوة والتبليغ:

يعد التبليغ من أهم وظائف رسل الله عليهم الصلاة والسلام ومن الصفات الملازمة لهم، يقول تعالى: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ } [المائدة/67]. وبعد انتقال خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ إلى الرفيق الأعلى، انتقلت هذه الوظيفة إلى أمته، وحث النبي ﷺ على تبليغ هذا الدين بصورته الحقيقية فقال: (نَصَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَثًا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ ، فُرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ)(1).

ويشبهه بديع الزمان الداعي بـ «الدلال» في مواطن كثيرة من رسائل النور فيقول: «إن خزينة المجوهرات مهما كانت مليئة وغنية ونفيسة، لا بد أن يكون دلالها والبائع لها على معرفة بأصول البيع والشراء؛ إذ لو لم تكن له تلك القابلية أو المعرفة فإن ما يملكه من الخزائن الثمينة وما فيها من الأمتعة القيمة تُحجب عن أنظار الناس، أي لا يكون قد أدى ما يستحقها من قدر»(2).

فعمل الداعي هي عرض الحقائق القرآنية للناس كافة، عرضًا خالصًا لله، ولسان حاله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدْلَكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (الصف: ١٠)، ويقدم أنوار الإيمان إلى المحتاجين إليها.

فحاجة المجتمع إلى الأنوار الإيمانية هي أشد من حاجته إلى الطعام والشراب(3)، يقول الله تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ [15] يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [16]} [المائدة: 15-16].

إن رسائل النور التي تمثل تفسيرًا حقيقيًا للقرآن الكريم، كانت جزءًا من حياة التبليغ التي عاشها بديع الزمان حتى آخر لحظة في حياته، وكان لها الدور الأبرز في أوساط المجتمع التركي في الحفاظ على الهوية الإسلامية، وبث روح من الطمأنينة والسكينة في نفوس طلابها رغم تلاطم أمواج التغيير التي غطت العالم الإسمي أجمع.

وقد اتبع -رحمه الله- المنهاج النبوي في الدعوة والتبليغ متبعا الأمر الإلهي: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ

1 أخرجه الترمذي في السنن عن عبدالله بن مسعود بمرقم (2657).

2 النورسي، بديع الزمان، الملاحق (41).

3 ينظر: النورسي، بديع الزمان، الملاحق، ملحق أميرداغ 1 (279).

المبحث الثاني

أثر الإيمان في السلام الاجتماعي من خلال أنموذج شخص الإمام النورسي

إن انعكاس الإيمان على أعمال الإنسان الظاهرة لهو التصوير الأمثل لهذا الدين القويم، ووسيلته في نشر الحق الذي نزل به، وبالسلوك الإسلامي وحده يمكن للمجتمع أن يبلغ غايته في الأمان والسلام بعد أن وهنت الأمة جراء الغزو الفكري المادي، والعسكري الفعلي، الذي شتتها وكاد يفقدها بوصلة اتجاهها؛ لذا كان على المخلصين من علمائها التركيز على الإيمان لأنه محور وجودها.

ومن أهم الأعمال الظاهرة التي تعكس صدق الإيمان في حياة الإمام النورسي: الدعوة والتبليغ، والتعليم، والجهاد، وسأناقش أثر هذه الأعمال في السلام الاجتماعي في شخص بديع الزمان في

1 النورسي، بديع الزمان، الكلمات (836).

العلاقات المختلفة المتعددة، وليؤدي أفراد ذلك الجيش تحت دستور التعاون وظيفه حقيقية عامة لتصان حياتهم الاجتماعية من هجوم الأعداء. وإلا فليس هذا التقسيم والتمييز إلى تلك الأصناف، لجعل المنافسة بين فوجين أو إثارة الخصام بين سريتين أو وضع التضاد بين فرقتين... بمعنى أن الانقسام إلى طوائف وقبائل، ما هو إلا للتعارف والتعاون لا للتناكر والتخاصم⁽¹⁾.

إن الإيمان بصدق هذا الكلام، وأنه من الله تعالى، هو الدافع للالتزام هذا الدستور، فالمؤمن هو الذي يخضع إرادته وأفعاله للمشيئة الربانية فيقضى بذلك على العنصرية والطبقية والأناية.

«القومية الإيجابية نابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية، وهي سبب للتعاون والتساند، وتحقق قوة نافعة للمجتمع، وتكون وسيلة لإسناد أكثر للأخوة الإسلامية»⁽²⁾.

ويضع الإمام النورسي دستوراً آخر لبث السلم والتعاون بين طوائف المجتمع وتوجهاته الفكرية المختلفة وذلك بالتنازل من الحق المطلق إلى الحق المعتقد فيخاطب العالم الإسلامي بقوله: «إن كنت طالبا للاتحاد فاتخذ هذا دستورك: لا بد أن يكون «هو حق» بدلا من «هو الحق». و«هو حسن» بدلا من «هو الحسن».

إذ يحق لكل مسلم أن يقول في مسلكه ومذهبه: إن هذا «حق» ولا أتعرض لما عداه. فإن يك جميلا فمذهبي أجمل. بينما لا يحق له القول في مذهبه: إن هذا هو «الحق» وما عداه باطل. وما عندي هو «الحسن» فحسب وغيره قبيح وخطأ»⁽³⁾.

ويؤكد النورسي على إن حب النفس هو الداء الذي ينشأ منه ضيق الذهن وانحصاره.

ودستور آخر يضعه الإمام بديع الزمان رحمه الله للتركيز على الوظيفة المقدسة للداعي ألا وهي التبليغ، وترك كل ما عداها فالداعي المبلغ ليس حاكما أو قاضيا مستتبعا من قوله تعالى: ﴿لَا يَضْرَكُمْ مِنْ ضَلِّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (المائدة: 105).

فيقول: «لأننا نملك النور وحده، لا المطرقة والصولجان، فلا يبدر منا تعدي على حقوق أحد قطعاً،

بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ { [النحل/125].

والذي يميز طريقة بديع الزمان إظهار منهجية القرآن في ضبط السلوك الإنساني من خلال قواعد ثابتة يسميها النورسي «بالدستور».

وينتقد بديع الزمان رحمه الله الفلسفات التي قامت عليها المدنية الغربية والتي أدت بها إلى أشنع الحروب على مدى التاريخ الإنساني، فيقول: «إن الذين يشنون هجومهم على الدين يريدون أن يرجعوا بالبشرية إلى عهد البداءة والجهل بقانون أساس ودستور جار لديهم... ذلك القانون هو: أنه يؤخذ بجريرة شخص واحد جميع أفراد طائفته وجماعته وعشيرته، فكلهم مسؤولون ومدانون. فالذنب الواحد يكون بحكم هذا القانون ألوف الذنوب والخطايا. مما يجعل الأخوة والمحبة والمواطنة التي هي ركائز الاتفاق والاتحاد هباء منثورا»⁽¹⁾.

ثم يعود ليقارن هذا القانون بالقانون الإسلامي المقدس المستنبط من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام: 164)، الذي يحفظ الأخوة الصادقة ويحقق المحبة والعدالة، ثم يقول: «فما لم يؤخذ هذا الدستور قانوناً أساساً فإن المجتمع البشري سيتردى برجعية وحشية إلى أسفل سافلين مثل الدمار الفظيع الذي ولدته الحربان العالميتان»⁽²⁾.

ويبين الإمام النورسي في موضع آخر حقيقة هذه التقسيمات الموجودة في المجتمع المسلم من قومية وعرقية قبائلية بقوله: «لقد انتشر الفكر القومي وترسخ في هذا العصر. ويشير ظالمو أوروبا الماكرون بخاصة هذا الفكر بشكله السلبي في أوساط المسلمين ليمزقوهم ويسهل لهم ابتلاعه»⁽³⁾.

ويستنبط دستوراً من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: 13) يسميه بـ«دستور التعارف والتعاون» فيشبه المجتمع الإسلامي بالجيش العظيم المقسم إلى فيالق وفرق وألوية وغيرها من التقسيمات؛ «ليعرف كل جندي واجباته حسب تلك

1 النورسي، بديع الزمان، الملاحق (353).

2 المصدر نفسه (353).

3 النورسي، بديع الزمان، المكتوبات (400).

1 المصدر نفسه (401).

2 النورسي، بديع الزمان، الكلمات (40).

3 النورسي، بديع الزمان، الكلمات (849-850).

و«ديان الضلالة»^(١). فإنما كانت أمراض العصر بسبب البعد والغفلة عن معاني القرآن.

لقد بذل الإمام النورسي جهده لتكوين مؤسسة علمية كالأزهر الشريف سماها-جامعة الزهراء- تكون نبراساً لأبناء الأمة تضيء لهم طريق الحياة.

قال النورسي في تقرير هذه المعاني: «فمن الضروري إنشاء جامعة في آسيا على غرار هـ-أبي جامع الأزهر-، بل أوسع منه بنسبة سعة آسيا على إفريقيا. وذلك لنلا تفسد العنصرية الأقوام في البلدان العربية والهند وإيران والفقاس وتركستان وكردستان، وذلك لأجل إنماء الروح الإسلامية التي هي القومية الحقيقية الصائبة السامية الشاملة فتتال شرف الامتثال بالدستور: (إنما المؤمنون أخوة) (الحجرات: ١٠)»^(٢).

ولما كانت تلك الوسيلة غير متاحة في ظروف عصره اتخذ رسائل النور بديلاً عنها لنشر العلم، والنجاة من مهالك الضلالة، وإنماء علاقات الأخوة بين الأقوام الإسلامية ويقول عنها: «رسائل النور التي تقوي وشائج الأخوة الإيمانية بتقوية الإيمان. والدليل على ذلك تأليفها في وقت الظلم والقسوة الشديدة، وتأثيرها البالغ في أنحاء العالم الإسلامي وفي أوروبا وأمريكا-في الوقت الحاضر- وغلبتها على المخلين بالنظام والفلسفة الملحدة، وظهورها على المفاهيم الإلحادية السارية كالفلسفة الطبيعية والمادية، مع عدم جرحها من قبل أية محكمة أو لجنة خبراء. وسيتبنى أمثالكم بإذن الله ممن كشفوا عن مفتاح الأخوة الإسلامية، هذه الرسائل التي تمثل نوراً من أنوار القرآن الكريم وينشرها في العالم الإسلامي كله»^(٣).

إن فائدة رسائل النور لا تقتصر على أتباع هذه المدرسة المباركة؛ بل يستمد المجتمع أجمع منها ، ما يعيده إلى رشده وينقذه من أهل الضلال، يقول النورسي -رحمه الله-: «إن سبب اهتمامي البالغ بتساندكم وترابطكم، لا ينحصر في منفعته التي تكسب رسائل النور وتمسها، وإنما لعوام المؤمنين ممن ليسوا ضمن الإيمان الحقيقي. فهم أحوج ما يكونون إلى نقطة استناد وإلى حقيقة ثابتة عصت عليها جماعة بالنواجذ، فيرتكزون على تلك الحقيقة القاطعة للثبات تجاه تيارات الضلالة الرهيبة، حيث تكون

ولكن إذا ما اعتدي علينا، يظهر النور ونبينه. فنحن في حالة نوع من دفاع نوراني»^(٤).

لقد كرس الإمام النورسي حياته لتبليغ هذا الدين في جميع مراحلها سواء كان جندياً أو في السجن -المدرسة اليوسفية- أو مرحلاً مسافراً مع العامة، أو مع الساسة، أو غيرهم.

المطلب الثاني: التعليم:

إن فضل العلم وفائدته من الأمور الجليلة لدى كل عاقل لذا كان أول أمر إلهي لهذه الأمة «اقرأ» (العلق: ١). فالإيمان يولد المسؤولية تجاه النفس والآخرين، فبينما كان التعلم هو الواجب تجاه النفس، كان التعليم هو الواجب تجاه الآخرين، فزكاة العلم نشره.

يقول ابن المبارك (ت: 181هـ) عن فضل العلم: «لا أعلم بعد النبوة درجة أفضل من بث العلم»^(٥). وقال ابن الجوزي (ت: 597هـ): «من أحب أن لا ينقطع عمله بعد موته فليشر العلم»^(٦).

ويشير النورسي رحمه الله إلى المدرسة النبوية المؤيدة بالقوة القدسية وكيف غيرت أقوام الجزيرة العربية في مدة قياسية فيقول: «فانظر إلى إجراءاته في هذه الجزيرة الواسعة ألا ترى هذه الأقوام الوحشية في هذه الصحراء العجيبة، المتعصبين لعاداتهم، المعاندين في عصبيتهم وخصامهم، القاسية قلوبهم درجة يدفن أحدهم بنته حية بلا تأثر! كيف رفع هذا الشخص أخلاقهم السيئة والوحشية وقلعها في زمان قليل وجهزهم بأخلاق حسنة عالية، فصيرهم معلمي العالم الإنساني وأساتيد الأمم المتمدنة»^(٧).

لذا كان إتباع بديع الزمان -رحمه الله- للمنهج النبوي يقتضي الرجوع إلى نفس الدواء الذي عالج به النبي ﷺ الجاهلية القديمة، «فما دامت الحقيقة هكذا. فإني اعتقد أنّ «الكلمات» التي كتبت لبيان أسرار القرآن هي أنجع دواء لأمراض هذا العصر وأفضل مرهم يمرر على جروحه، وأنفع نور يبده هجمات خيول الظلام الحالك على المجتمع الإسلامي، وأصدق مرشد ودليل لأولئك الحيارى الهائمين في

1 النورسي، بديع الزمان، الملاحق (234).

2 المزني، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج، (ت: 742هـ) تهذيب الكمال (١٦/٢٠).

3 ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي، التنكرة في الوعظ (٥٥).

4 النورسي، بديع الزمان، المثنوي العربي النوري (60-59).

1 النورسي، بديع الزمان، المكتوبات (27).

2 النورسي، بديع الزمان، الملاحق: ملحق أمير داغ (397-396).

3 المصدر نفسه (396).

أما مراتب جهاد النفس فقد مارسها بديع الزمان جميعها، ثم تعلم العلم، ثم العمل بما علم، وتعليم العلم وتحمل الأذى في سبيل ذلك، حتى بلغ منزلة العلماء الربانيين. وجهاد الشيطان فقد كان على المنهج القرآني في دفع الشبهات والشهوات بالإخلاص والتوكل والتقوى - وفصلت ذلك في المبحث الأول-، فباليقين والصبر نال مرتبة الإمامة في الدين.

أما جهاد الكفار والمنافقين فتشهد له - مع طلابه- ساحات القتال في أروم وغيرها في الحرب العالمية الأولى، والتي أُلّف في أثنائها تفسير «إشارات الإعجاز»، كما تشهد ساحات المحاكم المختلفة على قوة لسانه، وأنه كان أحد من السيف في مواجهة الظلم والنفاق.

يقول بديع الزمان: «وهكذا طرحُ عليهم مشروع بناء جامعة في مدينة «وان» باسم «مدرسة الزهراء» على غرار الأزهر الشريف.. حتى إنني وضعت حجرها الأساس بنفسي، ولكن ما إن اندلعت الحرب العالمية الأولى حتى شكلت من طلابي والمتطوعين «فرق الأنصار» وتوليت قيادتهم، فحضرنا معارك ضارية في جبهة القفقاس مع الروس المعتدين في «بتليس»⁽¹⁾.

لقد كانت الحكمة سمة ملازمة في جهاده، ففي رده على الشيخ مصطفى صبري -رحمه الله- في استفساره عن تمنع جماعة النور عن الثورة ضد النظام العلماني، خصوصاً أنه يملك قاعدة شعبية عريضة من طلاب النور يقول الشيخ بديع الزمان -رحمه الله-: «إن دعوتنا هي الإيمان، والجهاد يلي الإيمان، وإن زماننا هذا هو زمان خدمة الإيمان ووظيفتنا هي الإيمان وخدمتنا تتحصر في الإيمان»⁽²⁾.

ولا شك أن النورسي باطلاعه الواسع على التاريخ والفلسفات المعاصرة له وحركة الثورات في فرنسا، وروسيا البلشفية وغيرها، -وما كان من نتائجها- كان له منهج ثابت في مسائل الجهاد، ويقسمها إلى جهاد خارجي وآخر داخلي، فالجهاد الداخلي يكون في المجتمع المسلم وهو جهاد معنوي⁽³⁾، يتوصل إليه بطريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر العلم وبالكلمة الطيبة والنصيحة، ومعاملة الأمة حسب قانون التدرج لإعادتها إلى حظيرة الإسلام، «وإقامة السد المنيع أمام التخريبات المعنوية، وإعانة الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة»⁽⁴⁾.

لهم حجة قوية، ومرشداً ثباتاً، ومرجعاً لا يندع ولا يترجع ولا يتزعزع⁽¹⁾.

أي أن ترابط الجماعة القوي وثباتها على الحق يطمئن قلب العوام ويقوي إيمانهم ويؤدي إلى نجاتهم - بإذن الله - من الالتحاق بصفوف أهل السفاهة والدنيا.

المطلب الثالث: الجهاد:

إن الجهاد الذي هو: «استفراغ الوسع في طلب العدو، وهو ثلاثة: جهاد العدو الظاهر، وجهاد الشيطان، وجهاد النفس»⁽²⁾.

والإيمان إنما هو ذخيرة الجهاد ومادته الأولية، إذ الجهاد أحد أهم تجليات الإيمان.

ومراتب الجهاد يفصلها ابن القيم (ت: 751هـ) بجهاد النفس يبدأ بمجاهدتها على تعلم الهدى ودين الحق، ثم العمل بما علم، ثم الدعوة إليه وتعليمه، ثم الصبر على مشاق الدعوة وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله. فإذا استكمل المراتب الأربع، صار ربانياً.

وجهاد الشيطان مرتبتان، إحداهما: دفع ما يُلقى إلى العبد من شبهات وشكوكٍ قاذحة في الإيمان، ويكون بعده اليقين.

الثانية: دفع ما يُلقى إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات، ويكون بعده الصبر. وبهما تنال الإمامة. قال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا، وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة: 24].

وجهاد الكفار والمنافقين أربع مراتب: بالقلب، واللسان، والمال، والنفس، وجهاد الكفار أخص باليد، وجهاد المنافقين أخص باللسان.

وجهاد أرباب الظلم، والبِدَعِ، والمنكرات، فثلاث مراتب: باليد إذا قَدَرَ، فإن عَجَزَ، انتقل إلى اللسان، فإن عَجَزَ، جاهد بقلبه⁽³⁾.

1 النورسي، بديع الزمان، سيرة ذاتية (573).

2 المصدر نفسه (607).

3 النورسي، بديع الزمان، الملاحق(272).

4 المصدر نفسه (401).

1 النورسي، بديع الزمان، الشعاعات (357).

2 المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف (1: 260).

3 ينظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، زاد المعاد في هدي خير العباد (11-10: 3) بتصرف.

التزام مبادئها.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

1. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي، التذكرة في الوعظ، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتوح، دار المعرفة - بيروت، 1986م.
2. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط27، 1994م.
3. البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، 1422هـ.
4. الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الجامع الكبير - سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، 1998م.
5. الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، 1405هـ.
6. السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية - بيروت، (د ت).
7. السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي - بيروت، 1985م.
8. سلطان العلماء، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، قواعد الأحكام قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تحقيق: محمود بن التلاميذ الشنقيطي، دار المعارف - بيروت، (د ت).
9. المزني، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج، تهذيب الكمال تهذيب الكمال، تحقيق:

لذا كان لا يبيح الثورات المسلحة في المجتمع المسلم، وأثبت هذا النهج نجاحه على مدى القرن الماضي ابتداءً من ثورة الشيخ سعيد بيران؛ لأن ذلك لا يخدم من وجهة نظره إلا العدو الخارجي المتربص بالمجتمع الإسلامي.

أما بالنسبة للاختلاف مع تيارات إسلامية معاصرة شهدت الأمة تلك الفترة، فإن منهجية بديع الزمان -رحمه الله- وجماعة النور تقتضي عدم التصادم الداخلي وتوجيه كافة الجهود الدعوية إلى غايتها الأساسية وهي النهوض بالأمة من كبوتها، ودفع الهجمة الفكرية بالحجة والدليل، والعمل الإيجابي.

يقول -رحمه الله- عن منهجه في التعامل مع التيارات الأخرى: «إننا لا نلتفت إلى الدنيا، فإذا ما نظرنا إليها فنحن لا نسعى إلى ما سوى لمعاونتهم فيها. فنحن نعاونهم في تأمين الأمن بشكل إيجابي. وبسبب هذه الحقائق وأمثالها نحن نسامحهم حتى لو عاملونا بالظلم»⁽¹⁾.

الخاتمة

بعد هذا البحث يستخلص الباحث النتائج الآتية:

1. إن أعتى أمراض المجتمع فتناً يكمن في الأناية وعبادة الذات والكبر، وأن دواءه الإخلاص.
2. إن الذي يحفظ السلم الداخلي للفرد، وينعكس على المجتمع هو: الإيمان والتوكل والرضى الحقيقي.
3. إن الحكمة من العبادات الجماعية عموماً والزكاة خصوصاً، تتمثل في الحفاظ على المجتمع وتقوية أواصره.
4. إن الإمام النورسي وجماعة النور أثبتوا أن العلاج لمشاكل المجتمع الإسلامي يكمن بالتزام المنهج الرياني والعودة إلى القرآن الكريم.
5. أثبت الإمام النورسي أن الحياة الإيمانية يمكن أن تهب نور البصيرة لأي فرد مسلم، شريطة

1 النورسي، سيرة ذاتية (534).

د. بشار عواد معروف مؤسسة الرسالة- بيروت، 1980م.

10. المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، دار الفكر-دمشق، 1410هـ.

11. النورسي، بديع الزمان سعيد، الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط7 ، دار سوزلر للنشر- القاهرة، 2014م.

12. النورسي، بديع الزمان سعيد، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط7 ، دار سوزلر للنشر- القاهرة، 2013م.

13. النورسي، بديع الزمان سعيد، اللغات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط7 ، دار سوزلر للنشر- القاهرة، 2014م.

14. النورسي، بديع الزمان سعيد، المثنوي العربي النوري، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط7 ، دار سوزلر للنشر- القاهرة، 2013م.

15. النورسي، بديع الزمان سعيد، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط7 ، دار سوزلر للنشر- القاهرة، 2013م.

16. النورسي، بديع الزمان سعيد، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط7 ، دار سوزلر للنشر- القاهرة، 2014م.

17. النورسي، بديع الزمان سعيد، سيرة ذاتية، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط7 ، دار سوزلر للنشر- القاهرة، 2014م.

18. النورسي، بديع الزمان سعيد، صيقل الاسلام، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط7 ، دار سوزلر للنشر- القاهرة، 2014م.

دور الإيمان في تعزيز الأمن الأسري عند الإمام النورسي

د. حميد مسرار
جامعة محمد الأول
وجدة . المغرب

الملخص

ما أحوج الأسرة اليوم إلى أمن ينعم به أفرادها في ظل تحديات مجتمعية أصبحت تعصف باستقرارها ولحمتها، وما أحوج الأمة لرسائل النور في إصلاح المجتمع وتقديم صفات علاجية لكثير من الإشكالات المجتمعية، ولما كان أهم مدخل من مداخل تحصين الأسرة وتحقيق الأمن مدخل الإيمان، فقد جاء البحث ليكشف عن موقع الإيمان في رسائل النور من تنشئة الأسرة تنشئة تحقق لها الأمن المنشود.

وقد خلص إلى ما يلي:

يقوم الإيمان عند الامام النورسي على مجموعة من المرتكزات نذكر من بينها:

الإيمان التحقيقي أولى من الايمان التقليدي.

الإيمان أساس كل العلوم.

الإيمان مترابط أركانه.

الإيمان بالله تعالى يستمد من سنن الآفاق.

المؤمن يفرق بين القدر والجزء الاختياري.

الإيمان أساس القيم الأخلاقية.

يقوم أمن الأسرة على مرتكزات ثلاثة وهي:

مقاصد الأسرة أساس أمنها.

التماسك الأسري دليل على أمن الأسرة.

منظومة الحقوق ومفاهيم التعاقد أصل للأمن الأسري.

إن الناظر في أسس ومرتكزات الإيمان عند الامام النورسي وفي أسس ومرتكزات الأمن الأسري يلحظ دور الإيمان في تحقيق المرتكزات الثلاثة، حيث يشكل الإيمان أساسا رئيسا في تحقيق المقاصد والتماسك وتثبيت الحقوق فلا يغتر المؤمن بالعقل وحده، بل يستقي أحكامه من الله تعالى، كما أن النظر في الآفاق وما يحدث من تغيرات قيمية بسبب البعد عن الدين تجعل المؤمن يستجيب لأوامره وينتهي عما نهى عنه، لنخلص أن تحقيق الأمن له ارتباط وثيق بالإيمان، إذ هو الروح التي تمكن من تحقيق جميع مرتكزاته.

الكلمات المفتاحية: الأسرة، الأمن، الإمام النورسي، الإيمان، رسائل النور.

الملخص باللغة الإنجليزية

What the family needs today for the security that its members enjoy in light of societal challenges that have become ravaging its stability and cohesion, and what the nation is in need of messages of light in reforming society and providing remedial recipes for many societal problems, and since the most important entrance to immunizing the family and achieving security is the entrance to faith, the research came To reveal the position of faith in the Risa'il al-Nur from the upbringing of the family to achieve the desired security,

He concluded the following:

Faith according to Imam Nursi is based on a number of foundations, among which we mention:

The investigative faith is more important than the traditional faith

Faith is the basis of all sciences

Faith is interconnected

Belief in God Almighty derives from the laws of the horizons

The believer differentiates between predestination and voluntary part

Faith is the basis of moral values

Family security is based on three pillars:

The purposes of the family are the basis of its security.

Family cohesion is evidence of family security.

The system of rights and contract concepts are the origin of family security

The beholder of the foundations and foundations of faith according to Imam Nursi and the foundations and foundations of family security notes the role of faith in achieving the three foundations, where faith constitutes a major basis in achieving goals, cohesion and establishing rights. The horizons and the value changes that occur due to distance from religion make the believer respond to his commands and stop what he forbids, to conclude that achieving security is closely.

related to faith, as it is the spirit that enables the realization of all its foundations.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد، فالأسرة هي محضن الأخلاق والتربية، وهي منبت الإحساس بالأمن وهي أصل لمفاهيم العمران البشري. لذلك اعتنى الإسلام بها وبأمنها عناية خاصة، واعتبر الأمن مقصدا عظيما يتوخاه من خلال أحكامه وتشريعاته.

- بيان الأثر الفاعل للإمام النورسي في إعداد نظام تربوي يتكفل بمواجهة الإشكالات الأسرية
- النظر في رسائل الإمام النورسي من أجل إيجاد حلول لتحقيق الأمن الأسري.
- بيان علاقة الإيمان في منظور رسائل النور بأهم أسس تحقيق الأمن الأسري.

الدراسات السابقة:

١. العلاقات الأسرية في فكر النورسي: دراسة تربوية تحليلية، سمية عبد الله الرفاعي

توصلت الباحثة إلى أن الإمام النورسي قد كشف عن أهمية المقومات الإيمانية والأخلاقية والنفسية والاقتصادية في استقرار العلاقات الزوجية، ولذلك توصي بضرورة تكثيف الدراسات التي تتناول العلاقات الزوجية وأسس بنائها من تراث النورسي حتى تشكل وعياً ثقافياً يحد من مشكلة الطلاق والانفصال العاطفي.

٢. مفاهيم العلاقات الإيجابية أنموذج مقاربات رسائل النور دراسة وصفية، د. حسن عبد المجيد متقوبيا

أكد الباحث بأن العمل الإيجابي في رسائل النور يقوم بدور مشرق في ترسيخ القيم الأخلاقية التي تبني كيان الإنسان السوي وتحفظه إيماناً. ذلك بأن بناء المجتمع القوي يعتمد على وجود الفرد القوي السليم الذي يؤمن بالقيم والمثل السماوية قولاً وعملاً.

خطة البحث

لمعالجة هذا البحث قسمته إلى مباحث ثلاثة:

المبحث الأول: دراسة مفاهيمية

المبحث الثاني: أسس ومرتكزات تحقيق الأمن الأسري عند الإمام النورسي.

المبحث الثالث: دور الإيمان في تحقيق الأمن الأسري عند الإمام النورسي.

خاتمة: تكون عبارة عن خلاصة جامعة لنتائج البحث.

ولما كانت الأسر العربية والإسلامية تعيش إشكالات متعددة- من حيث تزايد نسب الطلاق والعنف والإجهاض- بسبب فقدان الأمن بشتى أنواعه: النفسي والفكري والروحي والاجتماعي والاقتصادي، حيث كشفت دراسة ميدانية أنجزتها وزارة الصحة المغربية بتعاون مع المنظمة العالمية سنة ٢٠٠٨ عن أن ٤٨,٩ في المئة من أفراد المجتمع مصابون بإحدى الأمراض النفسية وأن الأسر تعيش في قلق دائم، حيث الأطفال قلقون والمراهقون قلقون والكبار قلقون، لأسباب تتعلق بالماضي وخبراته السلبية، ولأسباب تتعلق بالحاضر وضغوطه ومشكلاته، ولأسباب تتعلق بالمستقبل وتغييراته والمجهول الذي يكتنفه^١.

ونظراً لأهمية رسائل النور في إصلاح المجتمع وتقديم وصفة علاجية لكثير من الإشكالات المجتمعية، وبما أن أهم مدخل من مداخل تحصين الأسرة وتحقيق الأمن مدخل الإيمان، فقد أصبح لزاماً الكشف عن موقع الإيمان في رسائل النور من تنشئة الأسرة بحيث يكون الحصن الحصين لها من الوقوع في المشاكل النفسية والمادية، لتكون إشكالية البحث على النحو الآتي:

ما دور الإيمان في تعزيز معالم الأمن الأسري عند الإمام النورسي؟

إشكالية يتفرع عنها مجموعة من الأسئلة نذكر من بينها:

- ما مرتكزات تحصيل الأمن الأسري؟
- ما المداخل التي يجب أن يشتغل عليها لتحقيق أمن الأسرة؟
- - ما المداخل التي يكرسها الإيمان لتحصيل الأمن الأسري عند الإمام النورسي؟

أهمية البحث

إن الإجابة عن هذه الأسئلة الإشكالية يهدف إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1 سامي دقاقي 11/14/2011 «مقال أزمة الطب النفسي بالمغرب مستشفى سيدي احساين للأمراض العقلية والنفسية بورزازات، جريدة الاتحاد الاشتراكي»

2 دانيا الشبؤون العدد 3 4 2011 «القلق وعلاقته بالاكتئاب عند المراهقين دراسة ميدانية ارتباطية لدى عينة من التلاميذ ص 763 مجلة جامعة دمشق العدد 27 »

وعن هذين الإيمانيين يقول: " إن التوحيد توحيدان: 1

الأول: التوحيد الظاهري العامي وهو أن الله واحد لا شريك له ولا مثل وهذا الكون كله ملكه

الثاني: التوحيد الحقيقي وهو الإيمان بيقين أقرب ما يكون إلى الشهود بوجدانيته سبحانه وبصدور كل شيء من يد قدرته، وبأنه لا شريك له في ألوهيته ولا معين له في ربوبيته ولا ند له في ملكه، إيماناً يهب لصاحبه الاطمئنان الدائم وسكينة القلب لرؤيته آية قدرته وختم ربوبيته ونقش قلمه على كل شيء، فيفتح شباك نافذ من كل شيء إلى نوره سبحانه.

٢- الأمن الأسري:

الأمن: أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف² والأمن ضد الخوف³ ويقال فلان آمن وفلان خائف.

ويشتق الأمن من معان كثيرة أهمها الأمانة والإيمان، وهي معان متقاربة وتدور معاني كلمة الأمن في اللغة على الطمأنينة وعدم الخوف والسلامة والثقة⁴.

وعليه فالأمن أنواع: أمن نفسي وأمن فكري وأمن سياسي وأمن اقتصادي وأمن غذائي وأمن صحي وأمن ديني وأمن اجتماعي وغيره كثير.

الأسرة: الدرع الحصينة التي يحتمي بها الإنسان عند الحاجة كوتطلق في القرآن الكريم على الآل والأهل والعشيرة والرهط. وعليه فالأمن الأسري هو الطمأنينة التي ينعم بها جميع أفراد الأسرة، طمأنينة تنفي عنهم الخوف والفرع، فيشعرون بالأمن النفسي والروحي والأمن الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والفكري والديني، من هنا نقول إن الأمن الأسري هو حالة نفسية يشعر به الإنسان، تظهر من خلال أمور مادية تقوم على حفظ دينه ونسله وعقله وماله. ويتعبير آخر: هو حالة نفسية يشعر بها الإنسان تظهر محدداتها من خلال أمور مادية تعمل على حفظ الكليات الخمس.

المبحث الأول

دراسة مفاهيمية

١- الإيمان عند الإمام النورسي:

الإيمان لغة: التصديق، وهو (إفعال) من الأمن الذي هو الإقرار والطمأنينة، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب، التصديق والانتقاد، وأصل (أمن): يدل على التصديق¹ قال الراغب: (أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف)²

وفي اصطلاح الإمام النورسي³: فهو النور والضياء الذي وهبه الله تعالى لقلوب البشر. والذي يضيء قلب الإنسان كاملاً، تجعله يرتقي من حال إلى حال، يقول الإمام في المكتوب العشرين: (أيها الإنسان، اعلم يقيناً أن أسمى غاية للخلقة، وأرفع نتيجة للظفرة هي الإيمان بالله، وأن أعلى مرتبة للإنسانية، وأعظم مقام للبشرية هو معرفة الله الكامنة في الإيمان بالله وأن أسطع سعادة وأحلى نعمة للإنس والجن هي محبة الله الكامنة في معرفة الله، وأن أنقى سرور لروح البشر وأصفى حبور لقلب الإنسان هو اللذة الروحانية الكامنة في محبة الله. 4)

لذلك فهو يقسمه باعتبار المسلمين إلى قسمين:

أحدهما: إيمان العامي وصاحب هذا الإيمان نفسه تتعرض لهجمات الشبهات والأوهام وتتدخل فيها الضلالات.

وثانيهما: صاحب إيمان حقيقي وقلبه ممتلئ بالله ويصمد أمام الشبهات.

1 الجوهري 2001م 15/368 تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى،

2 الأصفهاني 1412 هـ المفردات في غريب القرآن ص 90 دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى -

3 النورسي سعيد: عالم ومصلح ومجاهد كردي تركي، يعتبر من رواد التفسير العلمي للقرآن وأبرز دعاة الإصلاح الديني والاجتماعي في العالم الإسلامي بالعصر الحديث، نذر حياته للدعوة والدفاع عن الإسلام في وجه الماسونية والعلمانية فعانى السجن والتضييق، وضمن مشروعه الإصلاحية في مجموعة كتب حملت اسم «رسائل النور

4 النورسي سعيد، كتاب المكتوبات ص 94

1 النورسي للمعات ص 49

2 المناوي محمد عبد الرؤوف 1990 م ص 63 التوقيف على مهمات التعاريف عالم الكتب ط1

3 - بن منظور محمد بن مكرم الأفرقي المصري 4/19 لسان العرب، دار صادر - بيروت

4 القرارة جميل بن عبيد 2005 ص 14 الأمن رسالة الإسلام جامعة الملك فهد للبترول والمعادن

5 بن منظور محمد بن مكرم الأفرقي المصري 13/21 لسان العرب

ب _ الإيمان أساس كل العلوم:

أكد الإمام بديع الزمان أن الإيمان هو الأساس لكل العلوم، فقال (فأساس كل العلوم الحقيقية ومعدنها ونورها وروحها هو معرفة الله تعالى، كما أن أس هذا الأساس هو الإيمان بالله جل وعلا) اوعليه فأساس كل علم هو الايمان بالله تعالى حيث تتكشف للمؤمن بالله تعالى ما لا ينكشف لغيره ويستقي من الوحي ما لا يستطيع غيره أن يظفر به.

ج_ ارتباط أركان الايمان فيما بينها:

أركان الإيمان متحدة ومرتبطة لا تقبل التفريق، يقول الإمام بديع الزمان سعيد النورسي في الشعاع الحادي عشر: (فلا يمكن إذن التفريق بين أركان الايمان الستة اطلاقاً، حيث إن كل ركن من الأركان يثبت الأركان عامة بل يستدعيها ويقضيها، لذا فإن الأركان الستة كل لا يقبل التجزأ البتة، وكلي لا يمكن أن ينقسم أبداً. فكما أن كل غصن من أغصان الشجرة المباركة (شجرة طوبى) الممتد جذرها في السماء، وكل ثمر من ثمارها وكل ورقة من أوراقها يستند على الحياة الخالدة لتلك الشجرة، فلا يمكن لأحد أن ينكر حياة ورقة واحدة متصلة بتلك الشجرة ما لم ينكر حياة تلك الشجرة الظاهرة ظهوراً ساطعاً كالشمس. ولئن فعل ذلك فإن تلك الشجرة تكذبه بعدد أغصانها وثمارها وأوراقها وتسكته، كذلك الإيمان بأركانه الستة هو بالصورة نفسها)²

د _ الإيمان يجعل المؤمن يتحمل مسؤولياته وذلك بالتفريق بين القدر والجزء الاختياري:

إن تفريق المؤمن بين القدر والجزء الاختياري يجعل المؤمن يتحمل مسؤولياته الملقاة على عاتقه فلا يتصل منها بدعوى القدر، وهذا الأمر نبه إليه الإمام النورسي بقوله: (إنَّ القدرَ والجنوَ الاختياري هما في أعلى مراتب الإيمان والإسلام، قد دخلا ضمن المسائل الإيمانية، لأنهما ينقدان النفس الإنسانية، فالقدر يُنقذها من الغرور، والجنوَ الاختياري يُنجيها من الشعور بعدم المسؤولية. وليس من المسائل العلمية والنظرية التي تُفضي إلى ما يناقض سرَّ القدر وحكمة الجنوَ الاختياري كلياً؛ بالتشبيث بالقدر للتبرئة من مسؤولية السيئات التي اقترفتها النفوس الأمارة بالسوء، والافتخار بالفضائل التي أنعمت عليها والاعتزاز بها وإسنادها إلى الجنوَ الاختياري)³

لذلك فالسؤال الذي نود الإجابة عنه هو: ما أثر الايمان في تحقيق أمن الأسرة عند الامام النورسي

قبل الإجابة عن هذا السؤال، نقف عند بعض مرتكزات الايمان عند الامام النورسي وكذلك عند بعض أسس الأمن الأسري.

المبحث الثاني

مقدمات تأسيسية للنظر في الإيمان عند الإمام النورسي والأمن الأسري

للكشف عن العلاقة بين الإيمان وفق منظور الإمام النورسي والأمن الأسري، لابد من الوقوف عند أهم الأسس والمرتكزات التي يقوم عليها كل منهما، وهذا ما سنحاول تفصيله.

المطلب الأول: مقدمات تأسيسية للنظر في الإيمان عند الإمام النورسي

يقوم الإيمان في النظر النورسي على مجموعة من المرتكزات أذكر منها ما يلي:

أ_ الإيمان التحقيقي أولى من الإيمان التقليدي:

الإيمان التحقيقي هو تقوية الإيمان بالكشف والمشاهدة أو البحث بالأدلة العقلية والنقلية. وهو ثابت بالأدلة الشاملة والقوية لا يتأثر حتى ولو تعرض لهجوم جيوش من الشكوك والشبهات. وهو ثلاث مراتب مرتبة علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين.¹ وهو إيمان يدخل إلى العقل ثم يسري إلى القلب ويمتزج مع جسده وروحه لدرجة يستحيل على الشيطان أن يحرفه حتى في سكرات الموت يقول الإمام النورسي: (لقد قضى أهل الكشف والتحقيق أن الإيمان التحقيقي كلما ارتقى من علم اليقين إلى حق اليقين يستعصي على السلب فلا يسلب، وقالوا إن الشيطان لا يستطيع أن يورث أحداً في سكرات الموت إلا إلقاء الشبهات بوساوسه إلى العقل فحسب. أما هذا النوع من الإيمان التحقيقي فلا يوقف في حدود العقل فحسب بل يسري إلى القلب وإلى الروح وإلى السر وإلى لطائف أخرى فيترسخ فيها رسوخاً قوياً بحيث لا تصل يد الشيطان إليها أبداً).²

إذن فالإيمان التحقيقي له مرتبة أعلى من الايمان التقليدي، ولذلك فهو أولى منه.

1 | النورسي سعيد 2011 الملاحق لملاحق ص 103

2 | بديع الزمان النورسي 2011 الشعاعات ترجمة إحسان قاسم الصالحي ال دار سوزلر للنشر ص294

3 | بديع الزمان النورسي 2011لكلمات بديع الزمان النورسي ترجمة إحسان قاسم الصالحي ص دار سوزلر للنشر ط 6 2011

1 | النورسي سعيد 2011 الملاحق ترجمة إحسان قاسم الصالحي ص 287 دار سوزلر للنشر ط 6

2 | النورسي 2011 سعيد 2011 الملاحق الملاحق ص 110

يمكن إجمال هذه المرتكزات في ثلاثة وهي:

- مقاصد الأسرة أساس أمنها.
- التماسك الأسري دليل على أمن الأسرة.
- منظومة الحقوق ومفاهيم التعاقد أصل للأمن الأسري.

١- مقاصد الأسرة أساس الأمن الأسري:

تعتبر مقاصد الأسرة أساس الأمن الأسري، فهي أساس للأمن الديني والعقدي وهي جالبة للأمن النفسي وهي ركيزة للأمن الاجتماعي والاقتصادي وهذا ما سنحاوله توضيحه:

أ- مقصد التدين وأمن الأسرة الديني:

فالتدين ضامن للأمن الأسري وحافظ له من كل ما يشوبه من عقبات وإشكالات، ذلك بأن المنهج التديني يجعل الأفراد يستسلمون للأحكام استسلاماً مؤسساً على العلم نابعا من الرضا والحب راجين الثواب والجزاء الأخروي. وحضوره يجعل من الأدوار الملقاة على الأفراد أعمالاً قاصدة مرتبطة بعالم الملكوت، فتنتفي بذلك المصالح الفردية المحضة لترتبط بالمصالح الأخروية كذلك، وعليه فالتدين يولد في النفس المؤمنة الحب الذي يمنح الأمن الروحي والسعادة الداخلية، ويعصم جميع أفراد الأسرة من الانحرافات العقدية التي قد تعصف بجمع من الشباب الجامح الذي نأى عن الوسطية إلى برائث التطرف والتكفير.

من هنا نقول إن التربية على التدين داخل الأسرة تركز جميع أنواع الأمن، لتتعم الأسرة بالاستقرار وتتهض لتأدية مهامها الحضارية.

ب- التزكية وأمن الأسرة الأخلاقي:

نظام الأسرة في الإسلام نظام قيمى يكرس إلى جانب الحق البعد الأخلاقي الذي يجعل من الأسرة أسرة مكارمة لا مشاحة، ويجعل الفرد ينأى عن كل فعل مسيء للآخرين ويعمد إلى ابتغاء الخير والمصلحة لهم.

إن فساد المجتمع أخلاقياً سببه عملية إفساد ممنهجة للأخلاق، تنطلق من الإعلام لتصل إلى الأسرة، فيصبح الأبوان عاجزين عن تربية وتوجيه أبنائهم إلى التربية الأخلاقية، لذلك كان التحصين

إن التفرقة بين القدر والجزء الاختياري بحسب نظرة الإمام تجعل المؤمن يفرق بين الحق والواجب، بين ما له وما عليه، ومن ثم يدرك المسؤوليات الملقاة على عاتقه بل ودوره في تحقيق مقصد العمران.

هـ- الإيمان بالله تعالى يستمد من سنن الآفاق والأنفس:

إضافة إلى الوحي المسطور، فالإيمان يستمد من الوحي المنظور بالتفكر والتدبر في سنن الآفاق والأنفس، يقول الإمام النورسي: (إن البناء يدل على صنعة البناء وفعله، والفعل الكامل المتقن يدل بالضرورة على فاعل حاذق ومعماري ماهر، وهذه العناوين فاعل حاذق معماري ماهر بناء متقن، تدل بالبداية على صفات كاملة لا نقص فيها يتصف ذلك الفاعل، أي تدل على ملكة الإبداع عنده، وإن الصفات الكاملة وملكة الإبداع الكاملة تدل بالبداية على وجود استعداد كامل وقابلية تامة، والاستعداد الكامل هذا يدل على ذات رفيعة وروح عالية)¹

وعليه فكما أن الإيمان بالله يستمد من الكتاب والسنة، فقد يستمد من الكتاب المنظور، حيث إن التأمل في صنع الله الذي أتقن كل شيء وفي النواميس الكونية الاجتماعية كفيل بزيادة إيمان المؤمن وترقيته من درجة إلى أخرى بل إيجاد الروح الرفيعة العالية.

و- الإيمان أساس القيم الأخلاقية:

الإيمان هو أساس القيم الأخلاقية: يقول الإمام بديع الزمان النورسي: (اعلم أن إكسیر الإيمان إذا دخل القلب يصير الإنسان جوهرًا لائقًا للأبدية والجنة... إذ الإيمان يرى تحت القشر الفاني لباً لطيفاً رصيناً، ويرى ما يتوهم حجاباً مشمساً زائلاً، ألماساً متتورا)²

المطلب الثاني: مقدمات تأسيسية لتحقيق الأمن الأسري:

إن تحقيق الأمن الأسري يحتاج إلى مستويات متعددة من الأمن، متداخلة ومتكاملة، لا يمكن فصل بعضها عن الأخرى، فالأمن العقدي داخل الأسرة يفضي إلى أمن نفسي كما يفضي إلى أمن تربيوي واقتصادي، وكل ذلك يفضي إلى أمن اجتماعي تنعم به الأسرة ويعود عليها بالخير، لذلك فالسؤال العالق هو: ما هي المرتكزات التي يقوم عليها الأمن في الأسرة؟

1 بديع الزمان النورسي 2011 الكلمة الثالثة والثلاثون الصفحة 801

2 بديع الزمان النورسي 2011 المنتوي العربي النوري ص 165

رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيته"¹، وعليه فإن قيام كل فرد بمسؤولياته سبيل استقرار الأسرة، بل منطلق لمساهمتها في التنمية وخلصه القول: فمقاصد الأسرة هي أساس أمنها.

٢- التماسك الأسري دليل على أمن الأسرة:

لكي تتمتع الأسرة بمستوى عال من التماسك، لابد من التفاعل الإيجابي بين أعضائها، بحيث يتحسس كل منهم آمال وآلام الآخر، ويشارك بعضهم بعضا في المناسبات العامة وإنجاز الأعمال بطريقة مشتركة، وكل ذلك يحتاج إلى تنشئة إيمانية تدفع الإنسان للعمل الصالح، وتنشئة وجدانية² تعنى بتنمية وتهذيب العواطف والمشاعر والأحاسيس والانفعالات والعمل على ضبطها، وتنشئة فكرية تهدف أساسا إلى بناء المفاهيم الإسلامية حول علاقة الإنسان بالحياة والكون وصلته بهما وبخالقه وجميع المخلوقات، ولذلك فهي تشمل جميع وظائف العقل الإنساني.

كما أن التماسك الأسري دليل على المكارمة التي يشترط وجودها في الأسرة باعتبارها تعبيراً عن الأخلاق والأفعال المحمودة، بل وموئل النفع الذي يحصل لجميع أفرادها دون غضاضة لتكون بذلك الدرع الحصينة التي تجمع جميع أفراد الأسرة، فتمنعهم من كل يعصف بهم من إشكالات قيمة ونوازل متجددة قد تقتك بهم ويلحمتهم.

من هنا نقول: إن التماسك والترابط الأسري هو بناء لعلاقات متينة داخل الأسرة، فتجد الواحد يفكر في المجموع، والمجموع في الواحد فتتعم الأسرة بالأمن حتما.

٣- منظومة الحقوق ومفاهيم التعاقد أصل للأمن الأسري:

ترتكز حقوق الأسرة في الفقه الإسلامي على ركائز ثلاثة³ وهي:

- الحق منحة من الله.
- الحق وسيلة لتحقيق مصلحة شرعية.

الأخلاقي الذي ينطلق من الأسرة من أهم المداخل لحفظ أمن الأسرة والمجتمع.

ج - السكن والمودة والرحمة وأمن الأسرة النفسي:

يعتبر السكن قيمة معنوية جعلها الله عز وجل أساس أمن الأسر واستقرارها، ذلك بأن ما يميز عقد الزواج عن باقي العقود الأخرى هو توفر السكن النفسي لدى الأزواج والأبناء والوالدين، أما المودة: فهي روح تجمع بين أفراد الأسرة، حيث تجعل كل واحد من أفراد الأسرة يتودد للآخر بقدر ما يقدمه له من خدمة أو إعانة أو مساندة في أوقات الرخاء أو الشدة، وهي روح لا يتصور غيابها داخل الأسرة فإذا غابت انتفى الاستقرار والترابط الأسري بل إن غياب الاستقرار مؤشر حقيقي على غيابها، إذ لا معنى للمودة دون بذل وتكافل وتعاون وإيثار.

أما الرحمة: فهي صفة تبعث على حسن المعاملة¹ وخلق رفيع يجعل كلا من الزوجين يخشى ربه ويراعي ما عليه من حقوق تجاه زوجته. فالرحمة عنصر من أهم عناصر العشرة بين الزوجين وهي تبقى في حالات الرخاء والشدة وتكون أكثر وضوحا في حالات الشدة².

يقول الأستاذ عبد الحلیم أبو شقة: «أما إذا فتر الحب فلا بد من الأصل الثاني الذي تقوم عليه الأسرة وهو الرحمة، وهنا يتأكد البحث في الحقوق حتى لا تضيق»³.

وتأسيسا على ما سبق، فالسكن والمودة والرحمة هو أساس لأمن الأسرة النفسي وغيابها هو نقض لعرى الأسرة من أساسها بحيث تقعد الروح التي تجمع أفراد العائلة فيصير الجمع عبارة عن هيكل لا روح فيه.

د- أمن الأسرة مرتبط بتنظيم مؤسسة الأسرة وماليتها:

تنظيم مؤسسة الأسرة قائم على القوامه التي تجعل الزوج مسؤولا عن جميع أعباء الأسرة المالية وعلى الحافظة التي تجعل المرأة مسؤولة عن تدبير تلك الموارد المحصلة من غير إسراف ولا تبذير، لذلك فمسؤولية التدبير المالي والمؤسسي ملقاة على عاتق كلا طرفي الأسرة، وهي صورة عبر عنها

1 البخاري الألب المفرد: 1989 باب الرجل راع في أهله دار البشائر الإسلامية - بيروت.

2 الخولي عبد العزيز المنطقة العربية للثقافة والعلوم تونس 1987 ص 503 504 الفكر التربوي العربي الإسلامي الأصول والمبادئ: يعرف عبد العزيز الخولي التربية الوجدانية بأنها التربية الموجهة من الله تعالى ورسوله لتغيير وجدان المسلم تغييرا يتفق والأهداف المرتبطة بالرسالة الخاتمة والدور الذي يقوم به المسلمون أفرادا وجماعات في حمل منهج الله إلى خلقه وهي التربية التي تتناول العواطف والانفعالات خاصة والتكوين الوجداني عامة

3 حميد مسرار 2013 ص 154 نظرية الحق وتطبيقها في أحكام الأسرة الدكتور دار الكتب العلمية لبنان.

1 - بن عاشور محمد الطاهر التحرير والتنوير دار سحنون تونس ، 10/72.

2 - العالم يوسف حامد، 1994 ص 413 المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،

3 - أبو شقة عبد الحلیم، 1995 5/163 تحرير المرأة في عصر الرسالة، دار القلم، الكويت.

للإيمان وفق منظور الإمام النورسي دور كبير في تحقق مقاصد الأسرة، حيث يورث المؤمن حب كل فضيلة ويزجره عن مقارفة كل رذيلة، فمن عرف الله بإحسانه وعطائه، وعرف الله بعدله وأحكامه، ازداد أدبا وخشية.

يقول الإمام النورسي: إن الإيمان يجعل الإنسان إنسانا حقاً، بل يجعله سلطاناً؛ لذا كانت وظيفته الأساس: الإيمان بالله تعالى والدعاء إليه، بينما الكفر يجعل الإنسان حيواناً مفترساً في غاية العجز¹

إن توحيد الله والاعتراف بوجدانيته أساس لتحقيق مقصد التدين داخل الأسرة، كما أن الشكر له يجعل العبد يصرف نعمه وفق ما أمر به سبحانه، فيحسن لزوجه وأبنائه فتتحقق المودة والرحمة، بل إن الافتقار إلى الله تبلغ بالعبد مدارج الكمال فلا يدبر أسرته إلا وفق ما يريده الله تعالى فيستجيب لأوامره وينتهي عما نهى عنه.

يقول الإمام النورسي: نعم إن خالق الكون سبحانه، الحي القيوم إذ يعرف نفسه لذوي الحياة، ويحببها إليهم بنعمه التي لا تعد ولا تحصى، يطلب منهم شكرهم تجاه تلك النعم، ومحبتهم إزاء تلك المحبة وثناءهم واستحسانهم مقابل بدائع صنعه، وطلعتهم وعبوديتهم تجاه أوامره الربانية، فيكون الشكر والعبادة حسب سر تلك الربوبية هذا أعظم غاية لجميع أنواع الحياة²

إن تجليات الإيمان وفق منظور الإمام النورسي تخدم المقاصد الأسرية من جانب الوجود ومن جانب العدم، فهي تجعل الفرد داخل أسرته سباقاً لتحقيقها منتهياً عن كل ما يهدمها، إذ لا فائدة في توحيد الله وشكر نعمه والاستجابة لأوامره دون أن يكون لذلك أثر في أسرته.

فالإيمان يمنح الإنسان الأدب الجم والتربية الراقية: يقول -رحمه الله: (لكي يملك الإنسان المزايا السامية كالأدب الجم والتربية الراقية فإن عليه أن يملك إيماناً، قويا)³ كما يمنحه منحة حمل الأمانة، ويؤهله لأن يكون خليفة وأميناً على الأرض: يقول -رحمه الله: فالإنسان بمثل هذه العبادة والتفكير يصبح إنساناً حقاً

1 سعيد النورسي 2011الكلمات ترجمة إحسان قاسم الصالحي دار سوزلر للنشر ط 6 ص 354

2 نفسه/114

3 نفسه 373

• استعمال الحق بين سلطة الفرد وسلطان الدولة.

وهي ركائز تعالج أبعاداً ثلاثية، وهي البعد المصدري والبعد المقاصدي وبعد استعمال الحقوق. وتتجلى أهميتها في:

• - حضور الجانب العقدي والأخلاقي في حقوق الأسرة.

• - تستمد حقوق الأسرة أحكامها من مصادر التشريع.

-حقوق الأسرة منها ما هو ثابت ومنها ما هو متغير. فكل ما ثبت بنص قطعي الدلالة والثبوت فهو حق ثابت. وكل ما ثبت بنص ظني الدلالة والثبوت أو ظني أحدهما فيجوز تغييره تبعاً للمصلحة المعتبرة شرعاً والواقع المستجد.

المصالح المرجوة من الحقوق الأسرية هي مصالح شرعية مقيدة بضوابط شرعية وليست مصالح عقلية واقعية.

استعمال الفرد لحقوقه الأسرية مقيد بضابطين وهما تحقيق مصلحة الأسرة وعدم الإضرار. لذا فكل استعمال لها يخالف مصلحة الأسرة ويروم الإضرار هو عين التعسف.

لا يجوز للدولة تقييد الحقوق الأسرية إذا كانت ثابتة بنصوص قطعية ويجوز لها تقييد المباح منها بشروط تضمن التنزيل الأسلم للأحكام على الواقع وبلوغ مقاصدها الشرعية.

إن منظومة الحقوق الأسرية هي منظومة تؤكد المنهج التعاقدية في الأسرة فلا حق بدون واجب ولا استعمال للحق في مصلحة فردية بل لمصلحة الأسرة لذلك فهي أساس لتثبيت الأمن داخل الأسرة.

فالأسرة الذي يسود فيها العدل وتعرف فيها الحقوق وتؤدي فيها الواجبات أسرة تتسم بالثبات والاستقرار حيث تسكن النفوس وتطمئن القلوب وتهدأ الضمائر فتحصل الطمأنينة والأمن.

المبحث الثالث

أثر الإيمان وفق منظور الإمام النورسي في تحقيق الأمن الأسري

إن تحقيق الأمن الأسري من جهة الإيمان بالله يحتاج إلى النظر لأثر الإيمان في أسس ومرتكزات تحقيق الأمن والمتمثلة في تحقيق المقاصد والتماسك وتنظيم الحقوق وتكريس مفاهيم التعاقد، وهذا ما سنحاول تفصيله:

المطلب الأول: أثر الإيمان وفق منظور الإمام النورسي في تحقيق مقاصد الأسرة

لا يدع فاقة لمحتاج إلا يسدها بقدر طاقته، ولا يترك فقيراً في جواره وبلده إلا ويقوم بتعمده ودفع فقره، إما بماله أو بجاهه أو السعي في حقه بالشفاعة إلى غيره، فإن عجز عن ذلك فيعينه بالدعاء وإظهار الحزن بسبب حاجته، رقة عليه وعطفاً حتى كأنه مساهم له في ضره وحاجته.¹

لقد بين الإمام النورسي أهمية التوحيد في توجيه الإنسان إلى الشفقة والرحمة باعتبارهما عنصرين أساسيين من عناصر التماسك الأسري حيث قال: «الشفقة والحنان، هي ألطف سجية من سجايا الإنسان وأحلاها، إن لم يسعها سرّ التوحيد تتحوّل إلى ألم الحرقه، وعذاب الفرق، وجرح العطف، فتتحول إلى مصيبة كبرى تدفع بالإنسان إلى درك الشقاء. ومثلاً: المحبة التي هي ألدّ شعور في الإنسان وأطيبه وأسماه، إذا ما أعانها سرّ التوحيد يجعل الإنسان الصغير واسعاً سعة الكون، وعظيماً وكبيراً كبره، حتى يجعله سلطاناً محبوباً على المخلوقات كافة».

المطلب الثالث: أثر الإيمان عند الامام النورسي في بناء منظومة الحقوق ومفاهيم التعاقد

الإيمان بالله له أثره في بناء منظومة الحق الأسري يتجلى ذلك في ما يلي:

- نفي الهوى والعبث عن مفهومه:

ذلك بأن جعل الحاكمية لله تسد مداخل الهوى التي قد تنفذ في تقرير الحقوق،

عدم التعسف

إن إرجاع الحقوق إلى الله تمي الضابط الداخلي والمتمثل في الرقابة الذاتية، تلك الرقابة التي تمنع التعسف وتسهم في بناء روح التعاون والتكافل بين الناس، وتجعل أوامر المحبة بين الناس ركيزة أساسية في بناء المجتمع.

استعمال الحق منوط بتحقيق المصلحة الشرعية:

إن أي حق لا يروم تحقيق المصلحة الشرعية يعتبر لاغياً، فالحقوق وما تستلزم من أعمال وتصرفات هي وسائل لغايات، هي المعاني أو المصالح التي يتوخاها الشرع من تقدير تلك الحقوق،

ويُظهر نفسه أنه في أحسن تقويم، فيصير بالإيمان وبركته لائقاً للأمانة الكبرى وخليفة أميناً على الأرض¹

من هنا نقول: إن الإيمان التحقيقي الذي نص عليه الإمام النورسي والذي ينطلق من معرفة الله عن طريق التفكير في الكون واستخراج سننه الكونية والاجتماعية سبيل لتحقيق مقاصد الأسرة، حيث أكدت أغلب الدراسات الاجتماعية أن الغفلة عن التدين تؤدي إلى انهيار تماسك الأسرة كما أن غياب المودة والرحمة وعدم تحمل مسؤولية الأسرة قد يفضي إلى تفككها، لذلك يعدّ -تحصين الأسرة والمجتمع وغرس القيم الإسلامية النبيلة في نفوس الناشئة من جهة وعلى رأسها الإيمان بالله، وتحديد الآليات التي تضبط آثار التغيير الاجتماعي السريع وتحد من آثاره الجانبية أو التخفيف من حدتها من جهة أخرى- أمراً واجبا كي تصل الأسرة إلى مقاصدها التي رسمها الشرع

المطلب الثاني: أثر الإيمان في دعم التماسك الأسري

التماسك الأسري هو عملية اجتماعية تدعم البناء الاجتماعي للأسرة وتمكن من ترابط أجزائه من خلال الروابط والعلاقات الاجتماعية، وهو عملية لا يمكن أن تنجح إلا بوجود عامل إيماني يحفز الترابط بين جميع أفراد الأسرة.

يقول الإمام النورسي: ولكن ما أن يحل الإيمان بالآخرة في البيت حتى ينور أرجاءه مباشرة ويستضيء، لأن علاقة القربى والرأفة والمحبة التي تربطهم لا تقاس ضمن زمن قصير جداً، بل تقاس على وفق علاقات تمتد إلى خلودهم وبقائهم في الدار الآخرة والسعادة الأبدية، فيقوم عندئذ باحترام خالص تجاه الآخرين، ويوليهم محبة صافية ويظهر رأفة صادقة، ويبيدي صداقة ودية، صارفاً النظر عن التقصيرات، فتتعالى الأخلاق وتسمو، وتبدأ السعادة الإنسانية الحقة في ذلك البيت²

وعليه فالإيمان بالله تعالى يثمر قيماً فاضلة من أمانة وصدق وإخلاص وحب وبر، وهو عامل ضابط في حياة الفرد وسلوكه- يسهم في صياغة الشخصية المتماسكة، كما يسهم في تحقيق تماسك الأسرة وتكامل أفرادها، فالشعور بالترابط والتقارب والألفة والقوة. يستمد من توحيد سببانه، فالمؤمن

1 سعيد النورسي، الشعاعات ترجمة إحسان قاسم الصالحي ص دار سوزلر للنشر ط 6 2011 ص 59

2 نفسه ص 268 269

1 الغزالي 2003 ص 62 63 لمقصد الأسنى في شرح معاني اسماء الله الحسنى دار بن حزم

وإغفال الجانب الاجتماعي في استعمال الحقوق، وهو مخالف للمنهج الإسلامي الذي ينطلق من اعتبار الحق الفردي حقا مزدوجا يروم المصلحة الفردية والجماعية معا

خاتمة

ما أحوج الأسرة اليوم إلى أمن ينعم به أفرادها في ظل تحديات مجتمعية أصبحت تعصف باستقرارها ولحمتها ، وما أحوج الأسرة إلى منهاج تربوي مؤطر لأمنها ، وإذ لا خلاف في أن تحقيق الأمن يحتاج إلى مداخل متعددة، فإني أعتقد أن البعد الديني والذي يأتي في مقدمته الايمان بالله هو المدخل الأول الذي يجب أن نركز عليه.

من هنا جاء البحث ليكشف عن دور الإيمان وفق رؤية الإمام النورسي في تحقيق الأمن الأسري

وقد خُص إلى ما يلي:

يقوم الإيمان عند الامام النورسي على مجموعة من المرتكزات نذكر من بينها:

الإيمان التحقيقي أولى من الايمان التقليدي

الإيمان أساس كل العلوم

الايمان مترابط أركانه

الايمان بالله تعالى يستمد من سنن الآفاق

المؤمن يفرق بين القدر والجزء الاختياري

الايمان أساس القيم الأخلاقية

يقوم أمن الأسرة على مرتكزات ثلاثة وهي:

مقاصد الأسرة أساس أمنها.

التماسك الأسري دليل على أمن الأسرة.

منظومة الحقوق ومفاهيم التعاقد أصل للأمن الأسري

فإذا كان الشرع هو مانح الحق، وهو الذي رسم المصالح التي يجب أن يرومها فإن أي مناقضة في تحقيق ذلك يؤدي إلى تعسف في استعماله.

مصدر الحق في الشريعة الإسلامية هو مصدر الحكم الشرعي

فلا يوجد حق شرعي دون دليل عليه. لذلك فقد دلت كثير من الآيات على ضرورة الالتزام والوفاء بالحقوق الأسرية استجابة لندائه ورجاء في ثوابه وحذرت من الاعتداء عليها والتعسف فيها، ومن ذلك قوله تعالى: {فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به، تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون}¹.

وعليه، فالإيمان بالله تعالى وفق رؤية الإمام النورسي تجعل من حقوق الأسرة لا تقوم على فكرة الصراع بحيث ينصرف هدف أفرادها إلى المطالبة بالحقوق فقط، بل تقوم على التسامح والإيثار وتجعل من السمو الخلقي والكمال النفسي ركنا ركينا في بنائها.

لقد تقطن الإمام النورسي إلى أن مسؤولية التردّي الإنساني الذي انحدرت إليه المدنية الغربية المعاصرة تعود إلى خمسة أسس رئيسة يرى أنها تشكل مدار المدنية ومحورها وهي: القوة بدل الحق وشأن القوة الاعتداء والتجاوز والتعرض، ومن هذا تنشأ الخيانة، وهدفها وقصدها منفعة خسيصة بدل الفضيلة، وشأن المنفعة التزاحم والتخاصم، ومن هذا تنشأ الجناية ودستورها في الحياة الجدال والخصام بدل التعاون، وشأن الخصام التنازع والتدافع، ومن هذا تنشأ السفالة، وربطتها الأساس بين الناس العنصرية التي تنمو على حساب غيرها واقوى باتباع الآخرين، وشأن القومية السلبية والعنصرية:التصادم المربع وهو المشاهد، ومن هذا ينشأ الدمار والهلاك، وخامستها هي أن خدمتها الجذابة تشجع الأهواء والنوازع دائما، مسخ الإنسان، وتغيير سيرته، فتتغير بدورها الإنسانية وتمسخ مسخا معنويا².

ولا شك أن تجاوز مخلفات المدنية الغربية وأثرها في الأسرة ينطلق من توحيد الله ومراقبته في استعمال حقوق الأسرة والذي يؤول إلى الحد من النظرة الفردية للحقوق والتعسف في استعمالها، لهذا فاستبعاد الجانب التعبدي له مخاطر عديدة تظهر في تنمية الجانب الفردي وتكريس الروح المادية

1 سورة البقرة، الآية 229.

2 الكلمات ص 855

إن الناظر في أسس ومرتكزات الإيمان عند الامام النورسي وفي أسس و مرتكزات الأمن الأسري يلحظ دور الايمان في تحقيق المرتكزات الثلاثة، حيث يشكل الإيمان أساسا رئيسا في تحقيق المقاصد والتماسك وتثبيت الحقوق، فلا يغتر المؤمن بالعقل وحده بل يستقي أحكامه من الله تعالى ، كما أن النظر في الآفاق وما يحدث من تغيرات قيمية بسبب البعد عن الدين تجعل المؤمن يستجيب لأوامره وينتهي عما نهى عنه، لنخلص أن تحقيق الأمن عند الإمام النورسي له ارتباط وثيق بالإيمان إذ هو الروح التي تمكن من تحقيق جميع مرتكزاته.

توصيات

التركيز على دور الإيمان من خلال رسائل النور في تحقيق الأمن الأسري في المقرات الدراسية.

تنظيم دورات تكوينية تبين أهمية الإيمان وفق رؤية الإمام النورسي في تحقيق الأمن الأسري.

المصادر والمراجع

1. أبو شقة عبد الحلیم ، 1995 تحرير المرأة في عصر الرسالة ، ، دار القلم، الكويت.
2. الأصفهاني 1412 هـ المفردات في غريب القرآن دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى.
3. ابن منظور محمد بن مكرم الأفریقی المصري 4/19 لسان العرب، دار صادر - بيروت.
4. ابن عبد البر التمهيد 1968 م ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب.
5. البخاري الأدب المفرد: 1989 دار البشائر الإسلامية - بيروت.
6. الجوهري 2001م تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى
7. دقاقي سامي 2011 /14/11 «مقال أزمة الطب النفسي بالمغرب مستشفى سيدي احساين للأمراض العقلية والنفسية بورزازات جريدة الاتحاد الاشتراكي»
8. المناوي محمد عبد الرؤوف 1990 م التوقيف على مهمات التعاريف عالم الكتب ط1
9. مسرار حميد 2013 نظرية الحق وتطبيقها في أحكام الأسرة الدكتور دار الكتب العلمية

10. النورسي سعيد 2011 رسائل النور ترجمة إحسان قاسم الصالحي دار سوزلر للنشر 6

11. العالم يوسف حامد ،1994المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،

12. القرارة جميل بن عبيد 2005 الأمن رسالة الإسلام جامعة الملك فهد للبترول والمعادن

13. الشاطبي إبراهيم بن موسى اللخمي الموافقات في أصول الشريعة، دار الكتب العلمية بيروت 1991

14. الشبؤون دانيا العدد 3 4 2011 "القلق وعلاقته بالاكتئاب عند المراهقين دراسة ميدانية ارتباطيه لدى عينة من التلاميذ مجلة جامعة دمشق الجلد 27 "

15. شلتوت محمد ، 1966 الإسلام عقيدة وشريعة.دار القلم القاهرة

16. الخولي عبد العزيز المنطق العربية للثقافة والعلوم تونس 1987 ص 503 504 الفكر التربوي العربي الإسلامي الأصول والمبادئ:

17. الغزالي 2003 المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنی دار بن حزم.

Abstract

The Ways of Protection Faith in Crises

-A vision through Rasaeel Al-nnur -

After the decline of the Ottoman Caliphate and the relaxation of the darkness of the night over Islam and its people with all kinds of concerns inside and outside Muslim countries in general, and the center of the Caliphate in particular. Atheism has spread to such an extent that it has become a manifestation of culture, injustice prevailed, and destroyers of building belief and faith, thought, morals and human values had appeared.

In the midst of this, Allah Almighty has prepared one of the nation's notable figures, namely Badi' al-Zaman Saeed al-Nursi, may Allah have mercy on him. This man became – by the grace and will of Allah Almighty – a shining light, savior of the faith of his nation, solace to the afflicted and the oppressed, so he vowed his whole life in this way, he came and drew a map a solid path, and a straight approach to the end of time. Whenever a calamity befalls the nation or a calamity befalls it, it is resorted to be a strong fortress of faith against attacks.

This humble research focuses on important points on how to deal with the crisis of faith, and get out of it with sound faith and a straight heart.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: ففي خضم الأحداث المتسارعة الجسام، النازلة بأمة الإسلام، بعد أفول شمس الخلافة، أرخى ظلام الليل سدوله على الإسلام وأهله بأنواع الهموم داخل وخارج بلاد المسلمين عامة، ومركز الخلافة خاصة. ففشا الإلحاد بحيث أصبح مظهراً للثقافة، وساد الظلم، وأصبحت معاداة الإسلام ثقافة، والتمسك به جريمة لم تغتفر، فأظلمت الدنيا على المسلمين، وتوالت المصائب على الأمة بسرعة البرق، فاستشهد من المسلمين أعداد هائلة قتلاً وإبادةً جماعيةً، وأعدم من العلماء والدعاة جمع كبير

سُبُل المحافظة على الإيمان في الأزمات

– رؤية من خلال رسائل النور –

د. زياد صالح حميد
دكتوراه في تخصص العقيدة والفكر الإسلامي
مدرّس في كلية العلوم الإسلامية
جامعة صلاح الدين – أربيل – العراق
ziyad.hameed@su.edu.krd

الملخص

بعد أفول الخلافة العثمانية وإرخاء ظلام الليل سدوله على الإسلام وأهله بأنواع الهموم داخل وخارج بلاد المسلمين عامة، ومركز الخلافة خاصة. قد فشا الإلحاد بحيث أصبح مظهراً للثقافة، وساد الظلم، وكثر الهادمون لبناء العقيدة والإيمان، والفكر والأخلاق والقيم الإنسانية.

في خضم هذا قد هيا الله تعالى علماً من أعلام الأمة ألا وهو بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله، فأصبح هذا الرجل – بتوفيق الله تعالى وإرادته – نوراً مضيئاً، منقذاً لإيمان أمته، سلواناً للمصابين والمظلومين، فنذر حياته كلها في هذا السبيل، جاء ورسم خارطة طريق متينة، ومنهجاً قوياً إلى آخر الزمان كلما نزلت بالأمة نازلة أو ألمت بها ملة يلجأ إليها لتكون حصناً حصيناً للإيمان أمام الهجمات.

وهذا البحث المتواضع يركز على نقاط مهمة في كيفية التعامل في الأزمة الإيمانية، والخروج منها بإيمان سليم وقلب مستقيم.

جميعها دارس، ولكن: ما لا يدرك كله لا يترك جله، منها ما يتعلّق بالجانب الإيماني مباشرةً، ومنها ما يتعلق بالجانب العلمي والفكري، وكذا الاجتماعي والسياسي ولكن يؤثر في الحفاظ على الإيمان، لأن هناك أزمات غير إيمانية تؤثر على الإيمان مباشرةً أو بغير مباشر، وقد اخترنا هذه السبل عليها تقييد، وقد قسمناها على ثلاثة مباحث، مسبقة بمقدمة وتمهيد، ومختومة بخاتمة. أما المقدمة فهي هذه، وقد خصصنا التمهيد لتوضيح بعض المصطلحات المفتاحية للبحث وما يتعلق بها. والمبحث الأول يخص سبل المحافظة على الإيمان المتعلقة بجانب العقيدة والإيمان، وهو في أربعة مطالب، أما المبحث الثاني فيحتوي على السبل المتعلقة بالجانب العلمي والفكري، وهو في ثلاثة مطالب، والمبحث الثالث والأخير فدرسنا فيه السبل المتعلقة بالجانب الاجتماعي والسياسي. ثم جاءت الخاتمة ولخصنا فيها أهم النتائج التي توصل إليها.

وفي الختام نقول: إن هذه السبل هي بمثابة ضوابط شرعية وقواعد أساسية للخروج من المآزق والأزمات بإيمان راسخ وقلب سليم، نسأل الله تعالى أن يتقبل منا هذا الجهد المتواضع، وأن يكون لبنه في بناء حضارة الأمة وإعادة مجدها، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

بيان معنى المصطلحات ومتعلقاتها

جرت العادة أن يبدأ البحوث بتمهيد لبيان معنى المصطلحات المهمة كبوابة للدخول في التفاصيل، وكذا تحديد بعض المفاهيم التي تحمل أكثر من معنى، ولتوضيح ذلك نبين ما يلي:

أولاً: تعريف السبل لغة واصطلاحاً

أ/ معنى السبل لغة:

السُّبُل جمع سَبِيل، والسَّبِيل لغة: الطريق وما وُضِحَ منه، يُدَكَّر ويؤنث، فجاء منكرًا في قوله تعالى: **لِوَأْنِ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا**⁽¹⁾، وجاء مؤنثًا في قوله تعالى: **إِنَّ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ**⁽²⁾، وسبيلُ الله: طريق الهدى الذي دعا إليه، والسابلية: هم الذين

1 سورة الأعراف: من الآية: 146.

2 سورة الأعراف: من الآية: 146.

أو أودعوا عياهب السجون، أو فرّوا بدينهم تاركين الساحة للموجة العارمة الظالمة، فأصبحت شعائر الدين الإسلامي - التي تعتبر أساساً لحياة المسلمين - ممنوعةً ممارستها. فأصبح الإسلام والمسلمون غرباء العصر، ضعفاء.

وعندئذ كثر الهادمون، الهادمون لبناء العقيدة والإيمان، والفكر والأخلاق والقيم الإنسانية، وبما أن البناء صعب جدّ صعب، والهدم سهل جدّ سهل، فقد أصاب الأمة الإسلامية دمار من كل جانب، ووصل التخريب والفساد إلى مرحلة كان من الصعب البدء بالإصلاح - إن لم يكن من المستحيل -.

ولكن بما أن الإسلام هو دين الله، وهو الموعود بالنصر والتمكين له ولأتباعه المخلصين، فقد هيا الله تعالى علماً من أعلام الأمة قائماً على الثغرات، وجبلاً شامخاً راسياً ثابتاً أمام الهجمات، ألا وهو بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله، ولا أرى مبالغةً في أن أقول: هو رجل بأمة، مقتدياً في ذلك بأبيه إبراهيم (عليه السلام) حيث قال تعالى فيه: **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً** [سورة النحل: من الآية: 120].

فأصبح هذا الرجل - بتوفيق الله تعالى وإرادته - نوراً مضيئاً، دالاً على الطريق المستقيم، منقذاً لإيمان أمته، سلواناً للمصابين والمظلومين، فنذر حياته كلها في هذا السبيل، وضحّى بالنفس والنفيس للوصول إلى مقصده السامي. ومن شدة حرصه وقوة إيمانه وإخلاصه، ثم من عبقريته وحدة ذكائه فقد وفقه الله تعالى لكتابة رسائل النور، التي هي بمثابة صيدلية قرآنية، فيها من الأدوية الناجعة للمكولمين، وصفعات رحمة للغافلين، وضربات قاضية للمشككين والمعادين من الملاحدة والطاعنين.

ولا يخفى أن رسائل النور وليدة الأزمات، كتبت في الأزمة ولمعالجة الأزمة بائزان، وإن بديع الزمان النورسي هو من أعلم الناس بالفتنة وبما يجب أن يتخذ من القرارات والعلاجات للأزمات. ومن قرأ رسائل النور يرى أن كلها تركيز على الإصلاح والبناء في المجالات كلها، لاسيما في مجال الإيمان والعقيدة والفكر.

وهذا بحث متواضع أعدناه تحت عنوان: **سبل المحافظة على الإيمان في الأزمات - رؤية من خلال رسائل النور -**

وهو يركّز على نقاط مهمة - حسب رأينا المتواضع - لكيفية التعامل في الأزمات عامة، الإيمانية خاصة، والخروج منها بإيمان سليم وقلب مستقيم.

ومن استقرأ سبل المحافظة في رسائل النور يرى أنها كثيرة، ربما لا يحصيها باحث، ولا يقف على

ثالثاً: تحديد إطار الأزمة:

إن الأزمة تُطلق على الشدة، سواءً كانت مادية أو معنوية، حيث إن أنواعها كثيرة، فهناك أزمة إدارية، وأزمة اقتصادية، أزمة سياسية، وقد جاء: قيادة الأزمة: أي: وظيفة قائد الفرسان المكلف بإدارة الموقف، ومنه قولهم: ولأه قيادة أزمة الأعراب⁽¹⁾، فأينما وجدت الشدة في أي جانب فتمت الأزمة.

وعلى هذا: فإذا طرأت شدة وضيق على إيمان شخص أو قوم، فقد وقع عليهم أزمة إيمانية، وبهذا فإن الأزمة الإيمانية ظاهرة سلبية تقع على العقيدة والفكر فتأثر في سلوك وفكر المصاب بتلك الأزمة.

والذي نركّز عليها من بين الأزمات في بحثنا هذا، هو أزمة العقيدة والإيمان والفكر، والأخلاق والقيم الإنسانية، التي أصابت الأمة.

المبحث الأول

السبل المتعلقة بجانب العقيدة والإيمان

إن الإيمان هو بمثابة الرأس للبدن، لذلك فإن الأعداء يحاولون جاهدين ضرب المسلمين في عقيدتهم، لأنها أصل الأسس ومصدر التصرفات والقرارات، واستطاعوا - قديماً وحديثاً - المسّ بالإسلام والمسلمين عن طريق خلق الأزمات الإيمانية، وذلك باتخاذ أسباب ووسائل كثيرة.

والأمة الإسلامية ليست عقيمة، بل قد أنجبت من الدهاء من يقف شامخاً أمام الأزمات، ويصيق الحقائق، ويضيء الطريق أمام العوام من المسلمين كي لا يضيعوا في متاهات الشكوك والأوهام والشبهات، ومن هذا المنطلق جاء بديع الزمان ودرس الوضع وخطط خارطة لمواجهة الأزمات التي تمس مجال العقيدة والإيمان، ووضع أسساً وسبلاً لمواجهة، وهي أسباب مباشرة للمحافظة على الإيمان في الأزمات، وهذه من أبرز السبل استقيناها من رسائله، وورعناها على مطالب، وهي كالتالي:

المطلب الأول

بناء الفرد المؤمن على عقيدة متينة

إن العقيدة السليمة والإيمان المستقيم الذي يرتضيه الله سبحانه وتعالى هو أساس الأسس، وما كان معناه النبي صلى الله عليه وسلم وتعبه وهمه وتدبيره خلال اثنتي عشرة سنة في العهد المكي إلا

1 ينظر: تكملة المعاجم العربية: 5/ 352.

يسلكون السبل⁽¹⁾.

ب/ معنى السبيل اصطلاحاً:

معنى السبيل في الاصطلاح ممتد من معناها اللغوي، حيث إن السبيل في الاصطلاح تطلق على الطريقة والأسلوب، ونقصد بالسبيل في بحثنا: الطريقة المؤدية إلى الغرض.

ثانياً: تعريف الأزمة لغة واصطلاحاً:

أ/ معنى الأزمة لغة:

الأزمة في اللغة: الضيق وتَدَانِي الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ بِشِدَّةٍ وَالتَّقَافِ. يقال: أَرَمْتُ وَأَنَا أَرَمٌ. والأزْمُ شِدَّةُ الْعَصْرِ. ويُقال: أَرَمَ عَلَيْهِ: إِذَا عَصَّ وَلَمْ يَفْتَحْ فَمَهُ. وتأتي أيضاً بمعنى: الْحَمِيَّةُ، وتأتي بمعنى اللزوم والإلزام، يقال: أَرَمَ الرَّجُلُ عَلَى صَاحِبِهِ، أَي: لَزِمَهُ، وَأَرَمَنِي كَذَا، أَي: أَلَزَمَنِيهِ. وَالسَّنَةُ أَرْمَةٌ لِلشَّدَةِ الَّتِي فِيهَا، وَالْمَارِئُ: مَضِيئُ الْوَادِي ذِي الْحُرُوتِ⁽²⁾.

ب/ معنى الأزمة اصطلاحاً:

لم نجد تعريفاً خاصاً للأزمة في كتب المصطلحات والفنون، ولكن من الواضح أن المعنى الاصطلاحى للأزمة ممتد من المعنى اللغوي، فتطلق على: الضيق والشدة والقحط كما سبق، ونستطيع استخلاص تعريف لها بقولنا:

الأزمة: ضيق وشدة واضطراب تأتي مباشرة أو تدريجياً، تؤثر سلبياً على شخص أو جماعة أو قوم أو مجتمع.

والأزمة أنواع منها ما هي مالية، ومنها سياسية، وهناك أزمات اقتصادية، وأزمات مرضية⁽³⁾.

1 ينظر: العين: 7/ 263، مادة: (سبل)، والصحاح: 5/ 1724، مادة (سبل)، ولسان العرب (دار المعارف): 11/ 319 - 320، مادة: (سبل).

2 ينظر: مقاييس اللغة: 1/ 97 - 98، مادة: (سبل)، وتهذيب اللغة: 13/ 187، مادة (سبل).

3 ينظر: المعجم الوسيط: 1/ 16، مادة: (أزم).

بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة))، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ((ما أنا عليه وأصحابي))⁽¹⁾.

وعلى هذا فإن النورسي رحمه الله قد اهتم بالسنة النبوية اهتماماً كبيراً، وخدمها جملةً وتفصيلاً، فمثلاً: نرى أنه يدافع عنها حتى عن الأحاديث الضعيفة وذلك لحكم وجيهة، ويقوم بتأويل ما هو غامض معناه، ومن جانب آخر قد وضع أسساً علمية لفهم السنة النبوية في اثني عشر أساساً بأسلوب إبداعي يناسب زمن إثارة الشبهات⁽²⁾، وغير ذلك. إذ لا نريد الإطالة بهذا.

وما يهنا هنا هو تحريضه على اتباع السنة النبوية في الحياة، فمن تصفح رسائل النور يرى هذا التشجيع بكل وضوح، وفي أماكن عدة، فعلى سبيل التمثيل - لا الحصر -:

إن بديع الزمان يعتبر الالتزام بالسنة محور الطمأنينة في الحياة، ومداراً للحياة الأبدية، فيقول: «فيا نفس! إن كنت حقاً تريد أن تتالي عملاً أخروياً خالداً في عمر قصير، وإن كنت حقاً تريد أن تزي فائدة في كل دقيقة من دقائق عمرك كالعمر الطويل، وإن كنت حقاً تريد أن تحوّل العادة إلى عبادة وتبدّل غفلتك إلى طمأنينة وسكينة، فاتبعي السنة النبوية الشريفة.. ذلك: لأن تطبيق السنة والشرع في معاملته ما، يُورث الطمأنينة والسكينة، ويُصبح نوعاً من العبادة، بما يثمر من ثمرات أخروية كثيرة»⁽³⁾، ويقول: «إن إنجاز الأعمال وفق السنة الشريفة يجعل العمل الفاني القصير مداراً للحياة الأبدية، ذات ثمار خالدة. لذا فأُنصتي جيداً إلى قوله تعالى: إِقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ»⁽⁴⁾»⁽⁵⁾.

المطلب الثالث

الانسحاب ثم الإقبال بشدة في آن واحد

1 الحديث رواه الترمذي وغيره، كتاب أبواب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، برقم (2641)، وقال: هذا حديث مفسر غريب، لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه. وقد تكلم العلماء في صحته، ونستطيع استخلاص القول فيه أنه لكثرة طرقه يرتقي إلى مرتبة (حديث حسن). ينظر: الأحاديث المختارة: 278 / 7، وصحيح الجامع الصحيح وزياداته: 944 - 943 / 2.

2 خصص بديع الزمان الغصن الثالث من الكلمة الرابعة والعشرين من كتاب: الكلمات: 386 - 400.

3 الكلمات: 414.

4 سورة الأعراف: من الآية: 158.

5 الكلمات: 414.

من أجل بناء الفرد وترسيخ العقيدة في قلوب أتباعه ليصبحوا بعد ذلك حملة الإسلام ودعاته وحماته.

ومن أمعن النظر في رسائل النور يتبين له بكل وضوح أن همّ العقيدة والإيمان من أولى الأولويات عند بديع الزمان، لأن الزمن الذي كتبت فيه كان زمن الأزمة، وفي مقدمة الأزمات أزمة الإيمان، ولا يكون مبالغة إن قلنا أن رسائل النور كلها تركز على هذا المحور الأساسي، فنرى أن تلك الرسائل تكثف محاولاتها في خدمة المقصد الأسمى (مقصد إنقاذ الإيمان)⁽¹⁾، وذلك عن طريق بيان درر القرآن الكريم، وإثبات حقائقه الإيمانية، والأمثلة على هذا كثيرة جداً، فمثلاً:

إن النورسي رحمه الله يأتي ببيان حقائق علمية على وجود الله سبحانه وتعالى، وأنه سبحانه واجب الوجود، وذلك عن طريق أدلة علمية معاصرة - في الآفاق والأنفس⁽²⁾ - تناسب العصر، ومن ثم يضرب الأمثال في ذلك، وقديماً قيل: وبالمثال يتضح المقال.

وعندما يأتي إلى الإيمان بالرسول الكرام عليهم السلام، وخاصة (محمد بن عبد الله خاتم الرسل والأنبياء عليه الصلاة والسلام) نرى أنه يأتي ببيان إثبات نبوته بأسلوبه العلمي وأدلته المقنعة العقلية والنقلية، ولا ننسى أنه خصص جزءاً كبيراً لبيان معجزات النبي صلى الله عليه وسلم⁽³⁾، ويثبت أن معجزاته تبلغ الألف⁽⁴⁾، كلها تثبت إثباتاً قاطعاً أن محمداً رسول الله. وهكذا الحال في بيان أركان الإيمان كلها..

المطلب الثاني

التمسك والالتزام بالسنة النبوية

لا يخفى أن الالتزام بالسنة النبوية من أهم أسباب الفلاح والنجاة، وقال تعالى: إَقْلُ إِنَّ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ⁽⁵⁾، وقال صلى الله عليه وسلم: ((... وإن

1 وقد ذكر بديع الزمان هذا المقصد صراحةً في رسائل النور مرات، ينظر مثلاً: الشعاعات: 342، والملاحق: 222.

2 للتعرف على معلومات أكثر عن الآفاق والأنفس، ينظر: معالم أصول الدين: 45 - 46، ورسالة في حقيقة التأويل: 51 - 52، وقد أكد بديع الزمان على هاتين الآيتين في رسائله تأكيداً في أماكن، فينظر مثلاً: الكلمات: 257.

3 المكتوبات: 260، فما بعدها.

4 كرر هذه المقولة مراراً، فمثلاً ينظر: الكلمات: 676، والمكتوبات: 260، والشعاعات: 625.

5 سورة آل عمران: الآية: 31.

والجاه والمناصب في مرحلته الجديدة (مرحلة سعيد الجديد)⁽¹⁾، فانسحب في ميدان الدنيا كلياً، ولكنه لم يقعد في بيته ولم يغلق عليه الباب، وإنما جاء وأقبل بكل ما أوتي من قوة على ما يجب أن يتخذ من التدابير لمواجهة الأزمات الإيمانية التي أصابت أمة الإسلام بعد الحرب العالمية الأولى وأقول شمس الخلافة وإقبال الفتن والموجات الإلحادية الظالمة، جاء الميدان وشمّر على ساعديه لتحقيق المقصد الأسمى (مقصد إنقاذ الإيمان)، وضخى في هذا السبيل بالنفس والنفيس، حتى أصبح سبباً لنهضة الأمة من جديد.

ومن أمثلة انسحابه وإقباله: عندما غرض عليه هناك أمور مادية ومعنوية من المناصب والمال رفض، وسبب رفضه هو ما قاله بنفسه: «ولكنني عندما لاحظت أن قسماً مما جاء من الأخبار في المتن الأصلي لرسالة (الشعاع الخامس)... ينطبق على شخص شاهدته هناك، فقد اضطررت إلى ترك تلك الوظائف المهمة، إذ اقتنعت بأن من المستحيل التقاهم مع هذا الشخص أو التعامل معه أو الوقوف أمامه، فنبذت أمور الدنيا وأمور السياسة والحياة الاجتماعية، وحصرت وقتي في سبيل إنقاذ الإيمان فقط»⁽²⁾.

ومن أمثلة إقباله أيضاً: رفضه أن يغادر اسطنبول عندما بدأ الانجليز والحلفاء بشن حرب نفسية وإشاعة أفكار مضللة تمس عقيدة الأمة الإسلامية، وفي هذا الحين كانت المعارك ضارية للدفاع عن اسطنبول مركز الخلافة، فرفض مغادرة اسطنبول وقرر أن يدافع هناك عن الإسلام فكتب مقالة في رد من طعن في الإسلام من الانجليز، وهي (الخطوات الست)⁽³⁾.

ومن الأمثلة أيضاً قوله المشهور: «لأبرهنن للعالم بأن القرآن الكريم شمس معنوية، لا يخبو سناها،

إن من أراد الخروج في الأزمات عليه مراعاة هذه القاعدة الإيمانية، وبعبارة أخرى إن هذه القاعدة تُعدّ سبباً لإنقاذ الإيمان في الأزمات.

والمراد بالقاعدة: الانسحاب التام عن الحظوظ الشخصية، وعن ما تشتهيه النفس الأمارة من طلب الجاه والمناصب والمكانات الاجتماعية، وعن ميدان السياسة والصراع داخل بلاد المسلمين، ثم الإقبال بشدة على تزكية النفس الأمارة أولاً، ثم التفرغ للخدمة الإيمانية، والدفاع عن الدين والمقدسات وكأن القضية قضية شخصية، أي: أن يجعل المسلم نفسه صاحب القضية، ويهتمّ بمواجهة الأزمات التي تخدش بالإيمان كما يواجه مشاكله الشخصية أو أشدّ اهتماماً، ويكون مستعداً للتضحية في هذا السبيل بكل ما أوتي.

وبهذا ينجو من الفتن التي تصيب الإيمان زمن الأزمات، تلك الفتن التي حذرنا منها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديثه الشريفة، ومما ورد في الفتن:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُؤْمِسِي كَافِرًا أَوْ يُؤْمِسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا))⁽¹⁾. وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً: ((إنها ستكون فتن: ألا ثم تكون فتنة، القاعد فيها خير من الماشي فيها، والماشي فيها خير من الساعي إليها، ألا فإذا نزلت أو وقعت، فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه))، فقال رجل: يا رسول الله أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: ((يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر، ثم لينج إن استطاع النجاء، اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟))⁽²⁾.

فإذا كان من قعد عن الفتنة واعتزلها منجياً، فكيف بالذي ينشغل أثناء تلك الفتن بالخدمات الإيمانية والعمل الإيجابي البناء؟

ولو أمعنا النظر في حياة بدیع الزمان نرى ما تقدم بكل وضوح، حيث إنه رحمه الله قد ترك السياسة

1 حياة بدیع الزمان تنقسم على مرحلتين أساسيين، أو - بالأحرى - إلى ثلاث مراحل، فالمرحلة الأولى تُسمى مرحلة (سعيد القديم)، وتبدأ هذه المرحلة من السنوات المبكرة في حياته، إلى وصوله منفياً إلى بارلا سنة 1926م، وأما المرحلة الثانية، فكان يسميها مرحلة (سعيد الجديد)، وتبدأ من سنة 1927م، إلى سنة 1949م، وأما المرحلة الثالثة، فُسمت مرحلة (سعيد الثالث)، وتمتد من فترة خروجه من سجن آفيون سنة 1949م، إلى انتقاله إلى جوار المولى الكريم سنة: 1960م. ولكل مرحلة من هذه المراحل طابع اختصت به، ومميزات تميزها عن غيرها. ولمزيد من المعلومات حولها، يراجع ما كتبه الأستاذ أورخان محمد في كتابه: سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة: 274، فما بعدها. وينظر: سيرة ذاتية: 194 - 208.

2 الشعاعات: 397.

3 هذه المقالة عبارة عن بيان مفصل لمكاييد المحتلين، داحض لشبهاتهم، مبعد عن المسلمين مشاعر اليأس والقنوط، ينظر هذه المقالة في: صيقل الإسلام: 513 فما بعدها.

1 الحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، برقم (328).

2 الحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر، برقم (7432).

وهذا الذي ركّز عليه يكون سبباً للتساند بين أبناء الشعوب المتمسكة بالإسلام، وبالتالي يكون سبباً للمحافظة على الجماعة، والجماعة معاونة على المسك بالإيمان والحرص عليه، وبالتالي يؤدي ذلك إلى النصر والتمكين، امتثالاً لقوله تعالى: [وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ⁽¹⁾]، والريح: الدولة والنصرة⁽²⁾.

المبحث الثاني

السبل المتعلقة بالجانب العلمي والفكري

أحياناً تقع الأزمات غير الإيمانية، إلا أنها تؤثر على الإيمان والعقيدة تأثيراً سلبياً، ومن تلك الجوانب الجانب العلمي والفكري، فهذان الجانبان متعلقان بالإيمان بصلة قريبة، نعم، إن الإيمان والعلم قرينان لا يتعارضان، ولكن يُستعمل العلم أحياناً للإخلال بالإيمان، فكم من مسلمين وقعوا في فخ الكفر والزندقة لأسباب علمية مزيفة، والسبب هو جهل هذا المسلم بالعلوم الحديثة.

وقد أدرك الأستاذ النورسي هذا جيداً، وإنّ زمانه كان زمان تزييف المسائل العلمية الحديثة لضرب الإسلام، لذا قد وضع حلولاً لهذه المعضلة عن طريق وضع سبل لمعالجة تلك الأزمة، وقد أدركنا بعضاً من هذه السبل، وندرجها في مطالب، وكالاتي:

المطلب الأول

الخط بين العلوم الإسلامية والعلوم الحديثة معاً

من المؤامرات التي قادها الأعداء على الأمة الإسلامية - قديماً وحديثاً - هي إبعاد الدين (دين الإسلام)، عن ساحة العلم، وكأن الإسلام وتعاليمه شيء والعلم والتكنولوجيا شيء آخر وكل منهما في واد مستقل بعيداً عن الآخر، قياساً على دين النصارى المحرف الذي يستحق ذلك لبعده عن العلم، وحقداً على الإسلام وأهله، نعم، ومع الأسف الشديد فإن بعضاً من المسلمين قد أعجبوا بهذه الفكرة وركضوا وراءها إما لسذاجتهم وجهلهم بدينهم، وإما لإعجابهم بالغرب⁽³⁾.

وقد أدرك النورسي - الذي أثار الله عقله بكلا النوعين من العلوم - هذا الخطر مبكراً وهو في بداية عمره، ورأى أن التفرقة بين الشريعة والعلم الحديث تحدث ضرراً عظيماً على إيمان العامة، والخاصة

ولا يمكن إطفاء نورها⁽¹⁾.

المطلب الرابع

وضع البدائل للمحرّمات

جاء الإسلام وتعاليمه وفق فطرة الإنسان، ميسراً عليه، مرتباً له الحياة، مبيناً ما ينفعه وما يضره، فأحلّ له ما ينفعه وحرم ما يضره، وفي مقابل كل محرم وضع بديلاً حلالاً نافعاً، فلم يكلفه ما لا يطيق، بل قد أوجد له ما يسد رمقه ويروي عطشه.

وعلى هذا الأساس فإن وضع البدائل لمن أهم أسباب نجاح الدعوة، لاسيما وقت الأزمات وكثرة المهليات، فمن نظر في رسائل النور يرى أن النورسي قد جعل هذا أساساً لدعوته (الدعوة إلى إنقاذ الإيمان) لأن رسائله تخاطب الفطرة، والفطرة تستدعي البدائل لتقريب رغباتها، والأمثلة على هذا كثيرة، منها:

بعض الناس عدواني الطبع، ولا يستطيع أن يتخلى عن هذه الصفة المذمومة، فيأتي النورسي ويضع له بدائل، ومنها: معاداة النفس التي هي أعدى عدو الإنسان، ومعاداة الكفار والزنادقة بدلاً من معاداة المؤمنين⁽²⁾، ويوصي الخصماء بقوله: «وإن أردت أن تغلب خصمك فادفع سيئته بالحسنة، فبه تخمد نار الخصومة»⁽³⁾.

ومثالاً: مسألة الحمية القومية التي سادت آنذاك - ولا تزال موجودة - فقد بين أن الحمية القومية قسمان، قسم مشؤوم منبوذ، وقسم إيجابي محمود، ويأتي ويفصل في المسألة ويبين أن الحمية القومية المشؤومة لها آثار سلبية على أبناء الأمة، فإنها تشق الصفوف وتضعف القوة، وتولد المخاصمة والنزاع، وبالتالي تؤدي إلى الفشل، وفي مقابل هذا وضع بديلاً لتقريب هذه الرغبة الفطرية، وهذا البديل له آثار إيجابية على الفرد والمجتمع، ألا وهو الحمية الإيجابية (الحمية الإسلامية)⁽⁴⁾.

1 سيرة ذاتية: 89.

2 ينظر: المکتوبات: 328.

3 المکتوبات: 328.

4 ينظر: المکتوبات: 401 فما بعدها.

1 سورة الأنفال: من الآية: 46.

2 ينظر: التفسير الكبير: 15/ 489.

3 لمزيد من المعلومات ينظر: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث: 25 فما بعدها.

ساحة الصراعات بصوت أسمع العالم كله: «لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية، لا يخبو سناها، ولا يمكن إطفاء نورها»⁽¹⁾.

ومن هذا المنطلق فإن رسائل النور تخاطب العقول وتحركها نحو الوصول إلى الحقيقة، وتبعدها عن الأوهام والخيالات والخرافات⁽²⁾.

المطلب الثالث

التأويل

التأويل المقصود هنا هو التأويل المصطلح عليه عند الأصوليين، وهو: العُدول عن المعنى الظاهري لنص ما إلى معنى آخر يحتمله لدليل⁽³⁾، فالتأويل لا يستطيع التوفيق فيه بشروطه إلا من كان متظلاً في العلم، أي: مجتهداً⁽⁴⁾، وإن النورسي - بشهادة العلماء الذين درسوا رسائل النور - هو من البارعين في التأويل، فمع أن التأويل موضوع حسّاس، وفي غاية الأهمية والخطورة، لأنه منبع من منابع الاختلاف والانقسام، فقد جعله في خدمة الإيمان، واستعمله سبيلاً للإصلاح الإيماني، فنرى أحياناً أنه يلتجئ إلى تأويل بعض من النصوص الصحيحة لا يستسيغه بعض العقول عند عامة المسلمين، والعوام خاصة، الذين يعجزون عن استيعاب بعض المعاني الثابتة، أو يطعن فيه الطاعنون، فيأتي رحمه الله ويدفع الشبهات، ويزيل الأوهام، ويبين لهم المعنى الحقيقي لتلك النصوص عن طريق التأويل، لأن المعنى المؤول أقرب إلى الواقع، وبهذا يشارك في إنقاذ إيمان العامة من الأوهام والوقوع في الإتيكار.

ومن تصفح رسائل النور يرى أمثلة كثيرة للتأويل ومقاصده، وخير مثال على ذلك يناسب موضوعنا هو الجمع والتوفيق بين النصوص الواردة في مدح الدنيا، النصوص الواردة أيضاً في ذم الدنيا بعدما انتقد أهل الضلال هذه النصوص والروايات، وقد قام بالجمع بينها عن طريق تأويل النصوص وجعل

من المثقفين والقراء، فجعل معالجة هذه العائقة وإصلاحها من أوائل أولوياته، لأن ذلك يتعلق بالإيمان ومصير القيامة مباشرة، فشمّر لذلك، وفكر وقدر، وقدم مشروعاً علمياً إلى السلطان رشاد، وقد رضي السلطان وخصّص (19,000) تسعة عشر ألف ليرة ذهبية وكان مشروعه إنشاء جامعة إسلامية علمية باسم (مدرسة الزهراء) لتكون شقيقة للأزهر الشريف، تُدرس فيها علوم الشريعة والعلوم الحديثة معاً، ولكن الظروف الاستثنائية وسقوط الخلافة حالت دون تحقق هذا الحلم العظيم⁽¹⁾.

ولصفاء نية هذا الرجل قد عوضه الله تعالى برسائل النور، التي هي مشروع إيماني علمي، وقد عوّضت تلك المدرسة - من حيث الإنتاج الإيماني - ⁽²⁾.

ونرى في أماكن عدة من رسائل النور تركيز النورسي على هذا الأساس، ونذكر منها قوله: «ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، فتترى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية»⁽³⁾.

والنتيجة: الإسلام والعلم إذا اجتمعا يصنعان حضارة بغداد والأندلس.

المطلب الثاني

الاهتمام بالعقل والأمور الحسية

إن العقلاء يواجهون الاعتداءات بمثلها في القوة أو أقوى، فالقوة بالقوة، والفكر بالفكر، وهكذا.. وقد قيل قديماً: (إن الحديد بالحديد يفلح)⁽⁴⁾.

وقد قدر الله تعالى أن يكون هذا المفكر العظيم ينشأ في عصر صراع الأفكار وانتشار الإلحاد، ليدلو بدلوه ويواجه تلك المعكرات الإيمانية والفكرية ببيان الحقائق الإيمانية المقنعة، النابعة من أسرار القرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه، مراعيّاً أصول المواجهة ومطابقة واقع الحال، وقد صاح في

1 لمزيد من المعلومات عن (مدرسة الزهراء) ينظر: الشعاعات: 397 و 555، و 578، وصيقل الإسلام: 401، واللمعات: هامش ص: 361.

2 ينظر: اللمعات: 371، والملاحق: 361، وغيرهما.

3 صيقل الإسلام: 402.

4 مثل عربي يدل على مواجهة القوة بالقوة. ينظر: الأمثال لابن سلام: 96 - 97، وجمهرة الأمثال: 1/ 345.

العلاج الناجع، وبمجموعها تكون سبباً لنهضة الأمة من جديد⁽¹⁾.

المطلب الثاني

البدء أولاً بالنفس

إن البدء بالنفس أساس متين للبدء بالإصلاح المثمر، فلو نظرنا في القرآن الكريم وقرأنا قصة سيدنا صالح (عليه السلام) لرأينا هذا الأساس بكل وضوح، فمن جملة قوله لقومه: [وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَأَكُمُ عَنْهُ⁽²⁾] ثم قال: [إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ⁽³⁾].

ومن هذا المنطلق جاء خادم القرآن الكريم (النورسي) وبدأ بنفسه في مشروع التربية الإيمانية والإصلاح بصورة عامة، فها هو يقول: «إن الحقائق الإيمانية التي كتبناها، خاطبت بها نفسي مباشرة»⁽⁴⁾. ومن تتبع حياته ومواقفه لرأى ذلك بكل وضوح.

المطلب الثالث

الحفاظ على الأمن الداخلي

إن الجهاد العملي (القتال في سبيل الله) هو ذروة سنام الإسلام كما قاله النبي صلى الله عليه وسلم⁽⁵⁾، ولكن عندما يختلط الحابل بالنابل زمن الأزمات وانتشار الفتن في البلاد الإسلامية فالشريعة رأي آخر يوافق روح المقاصد التي من أجلها شرعت، وقد أدرك بديع الزمان ذلك الزمن، واستشعر خطورة الموقف، فاستتبط في ذلك الموقف الحرج رأياً موافقاً لروح الشريعة ومقاصدها، وهو: تحريم القتال الداخلي، وكان يرى أن القتال في سبيل الله لا يكون إلا ضد الأعداء الخارجيين، أي: الذين يغزون بلاد المسلمين من غير المسلمين، أما من داخل دولة المسلمين – وإن كان الحكام من غيرهم – فقد حرم القتال، أي: القتال ضد الجيش التركي وإن كان تحت قيادة الكمالية وشاركت في طمس معالم الإسلام

1 ينظر: الخطبة الشامية، وقد أثبتت ضمن كتاب: صيقل الإسلام: 447 فما بعدها.

2 سورة هود: من الآية: 88.

3 سورة هود: من الآية: 88.

4 المكتوبات: 91.

5 عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال لي: ((إن شئت أنبأتك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه))، قال: قلت: أجل يا رسول الله، قال: ((أما رأس الأمر فالإسلام، وأما عموده فالصلاة، وأما ذروة سنامه فالجهاد))، رواه جمع من المحدثين، وهذا اللفظ للحاكم في مستدرکه، كتاب الجهاد، من حديث معاذ، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

كلّ منها في مقامها ومعناها⁽¹⁾.

المبحث الثالث

السبل المتعلقة بالجانب الاجتماعي والسياسي

ثمّة عوائق اجتماعية أو سياسية تخلق أزمات تزعزع بالأمن والاستقرار والأخوة والتعايش، وبالتالي تؤثر سلباً على الاستقرار والتطور والتقدم العلمي والثقافي، فهذه الأزمات الاجتماعية والسياسية تؤثر تحديث كوارث إنسانية وإيمانية إن لم توضع لها حدود.

وإدراكاً بهذا الخطر الجسيم قام بديع الزمان بتشخيص أزمات في هذين المجالين، ومن ثم حذر الأمة من الوقوع فيها، ووضع أسساً متينة وسبلاً شافيةً لكيفية التعامل معها، حتى يستقيم أمور الدنيا والدين، وقد استقيناً سبلاً وربّناها على مطالب، وكالاتي:

المطلب الأول

تشخيص أمراض الأمة ووضع العلاج لها

لا يخفى أن تشخيص العلة يقابل نصف العلاج، وإن من أهم أسباب النجاح للفرد والمجتمع تشخيص العقبات والعلل، ومن ثم وضع العلاج الناجع لها.

وقد جاء الأستاذ النورسي وركّز على نقاط ضعف الأمة وعللها والتي هي من أسباب تخلفها، فشخصها ولخصها في ستة أمراض، طرحها في خطبته المشهورة بـ (الخطبة الشامية)، والتي ألقاها بحضور حشد من العلماء الكبار بالجامع الأموي في دمشق، وهذه الأمراض هي: (اليأس – موت الصدق – حبّ العداوة – الجهل – المرض – وحصر الهمة في المنفعة الشخصية)، وبيّن لكل منها

1 بعد نقد أهل الضلال على تلك النصوص قام بديع الزمان بالجواب الكافي الشافي لقلوب المؤمنين، الرادع للمشككين، وفصل القول في المسألة والجمع، وخرج بنتيجة مبدعة، حيث إن الدنيا ليست محمودة كلياً ولا مذمومة كلياً، وإنما في المسألة تفصيل، وهكذا:

إن للدنيا ثلاثة أوجه: الوجه الأول: ينظر إلى أسماء الله الحسنى، ويعكس تجلياتها، ويبين آثارها ونقوشها، وهذا يستحق العشق لا النفور، لأنه في غاية الجمال. الوجه الثاني: وجه ينظر إلى الدنيا كمزرعة للأخرة، مزرعة للجنة، وهذا وجه جميل كالوجه الأول يستحق المحبة لا التحقير. الوجه الثالث: وجه ينظر إلى أهواء الإنسان، ويكون ستار الغافلين، وموضع اللعب واللهو، فهذا الوجه قبيح دميم، لأنه فان، زائل، مؤلم، خداع. ينظر: الكلمات: 392-393، و732، وينظر: اللغات: 328، وينظر أيضاً: أطروحتنا للدكتوراه بعنوان: التأويل في رسائل النور: 233 – 244.

الخلافة، وقد وضح بديع الزمان تلك الشروط بالفصيل، ولعل من أبرز ما ذكرها: أن تكون المناقشة بنية الوصول إلى الحق والحقيقة، وأن لا تتسم بالعناد، وأن لا تكون وسيلة لسوء الفهم وسوء التفقي، فضمن هذه الشروط قد تكون مناقشة هذه المسألة وما شابهها جائزة⁽¹⁾.

ومن ثم يبيّن أنه يجب التفريق بين الضروريات الدينية المسلمة وبين المسائل الجزئية الخلافية، وخاصة عند الأزمات، فالخلاف في أصول الدين محرّم قطعيّ بين المسلمين، لما يلحق المسلمين من الضرر على اعتقادهم وإيمانهم، وخاصة العوام منهم، أما في المسائل الجزئية فجائز بشرطه، وثم اختلاف هو ضروري، وهو الاختلاف الإيجابي البناء، فيدخل ضمن الرواية التي أوردتها ((اختلاف أمتي رحمة))⁽²⁾، فهذه الرواية وإن كانت مردودة من حيث الثبوت، إلا أنها مقبولة من حيث معناها المذكور⁽³⁾.

وعلى هذا فإن الاختلاف أنواع، ومن الضرورة بمكان أن تقدّر الخلافات بقدرها ولا تُعطى أكثر مما تستحقّ، ويضع قاعدةً أساسيةً متينة بهذا الشأن: وهي: «إن مذهبي حقّ يحتمل الخطأ، والمذهب المخالف خطأً يحتمل الصواب»⁽⁴⁾، وفي تلك القاعدة معان جليّة وفوائد جمّة، ولعل من أبرزها: تجنب التعصب الأعمى، واحترام رأي المقابل، وبالتالي احترام صاحب الرأي المخالف وعدم التقليل من شأنه، ويكون المسلم بذلك مأجوراً عند الله تعالى، ولو خالف ذلك يأثم، ويقول النورسي في هذا: «الذي أراه أن من يخطئ الآخرين -ويرى نفسه في صواب دائماً- مصاب بمرض ضيق الفكر وانحصار الذهن الناشئ من حب النفس. ولاشك أنه مسؤول أمام رب العالمين عن تغافله عن شمول خطاب القرآن إلى البشرية كافة»⁽⁵⁾.

وبهذا يتبيّن أن الاختلاف أنواع، منه ما هو مضرّ بالعقيدة والإيمان، وخاصة في الأزمات والشدائد، فيجب على العوام والخواصّ تجنبه حفاظاً على سلامة الإيمان، والخروج في الأزمات بسلامة، وهذه قاعدة مهمة جداً يستتبطها في رسائل النور من كان ذا اطلاع عليها، ويرى معالمها بكل وضوح.

واضطهاد المسلمين، واعتبرها من قبيل قتل الأخ لأخيه⁽¹⁾.

ولهذا السبب نرى أنه قد رفض دعوة الشيخ سعيد البيران (رحمه الله) الشيخ الكوردي الذي جاهد ضد الهجمة الإلحادية العلمانية ضد الأمة الإسلامية، وقد قضى نحبه في هذا السبيل شهيداً⁽²⁾.

فلم يكن السبب عند النورسي الخوف من الموت أو شيئاً من هذا القبيل، ومن نظر في تاريخه ونضاله وشجاعته وجهاده ضد الروس يتبين له ذلك بوضوح، وقد تحمّل كل الأذى وصبر وصابر في سبيل دعوته وإنقاذ إيمان أمته بأسلوب علمي هادف وبعيد عن العنف، ولم يقصد في ذلك إلا حفاظاً على إيمان العامة ودماء الأبرياء والمكرهين، وكذا تجنب الفوضى.

ومن قرأ رسائل النور بإمعان يرى أن من أهم مقاصدها هو: الحفاظ على الأمن الداخلي والابتعاد عن الفوضى، لأن المتضرر الأول في هذا يكون الإسلام، ثم المسلمون⁽³⁾.

المطلب الرابع

تجنب الخلافات ودفع المعارضات

إن وجود الخلاف بين الناس لأمرٍ فطريّ، وإن الله تعالى فطر الناس على الاختلاف في الفكر والفهم والتقدير⁽⁴⁾.

والخلاف منه محمود، ومنه مذموم، فما خالف الدين والشرع فمذموم، وما كان في إطار الشريعة فمحمود، وهو توسعة ورحمة من الله تعالى، ولكن بشرط، وقد وضع العلماء شروطاً لمناقشة المسائل

1 ينظر: الملاحق: 287، وسيرة ذاتية: 243.

2 هو الشيخ سعيد بن محمود البيران، نسبة إلى قريته (ثيران) الكوردية تقع غرب (مرات)، ولد سنة (1868م) تعلم العلوم الشرعية، فأصبح عالماً مشهوراً بين الناس، وشاعراً بارعاً، كان على الطريقة النقشبية، وله مريدون في العراق وتركيا، وكان متحمساً على دينه، متأثراً بسقوط الخلافة العثمانية وطمس المعالم الإسلامية، وكذا على قومه الكوردي بعد ما أصبحوا مظلومين تحت حكم السلطة الحاكمة آنذاك، فقام بالثورة مع مريديه وبعض شيوخ العشائر سنة (1924م) وسيطر على مدن كثيرة، وفي النهاية حوصروا مدة طويلة، ومن ثم اعتقل مع كثير من الذين معه، فحكم عليهم بالإعدام، ونفذ عليهم سنة (1925م) رحمه الله تعالى، وتقبله شيداً. ينظر: مَيّذوي زاناياي كورد: (باللغة الكوردية): 396 - 397، وسيرة بديع الزمان: 316.

3 ينظر مثلاً: الكلمات: 806، واللمعات: 367، والشعاعات: 384 و 404.

4 يقول سبحانه وتعالى: [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ]. سورة هود: الآية: 118.

1 ينظر: المكتوبات: 439.

2 نقل المناوي عن السبكي في حكم الحديث قوله: «وليس بمعروف عند المحدثين، ولم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع»: فيض القدير: 1 / 274.

3 ينظر: المكتوبات: 330 - 331.

4 صيقل الإسلام: 328.

5 صيقل الإسلام: 328.

على حساب أخرى، فقد خاطب الأمة الإسلامية بجميع مكوناتها، وواساهم على ما أصابهم، وشجعهم على يشمروا للعمل للخدمة الإيمانية صابرين محتسبين، باعثاً في خطاباته الأمل في قلوبهم، فمثلاً:

نرى أنه يثمن جهود النساء في الخدمات الإيمانية خلال خدمة رسائل النور، ويجعلهن شقائق الرجال في الأهمية والأجر في حوار طويل خاص بهن⁽¹⁾.

وأنه يخاطب الشيوخ والمسنين في رسالة خاصة بهم، فيقدرهم وكأنهم (صمام الأمان) للمجتمع⁽²⁾، ويخاطب والمرضى والمصابين أيضاً، ويرغبهم ويقنعهم بأنهم أصحاب الأجور المضاعفة مقابل ما يعانون من الآلام⁽³⁾.

ومن هنا نتعلم من الأستاذ أن الإسلام والإيمان للجميع، والجميع يستطيع أن يكونوا مجاهدين، فالمرضى والمصابون مجاهدون بصبرهم ودعائهم، والدعاة بدعوتهم، والشبان بجهودهم، وهكذا.. وهذا التساند والتعاون يكونان سبباً للعمل الجماعي، والبركة دائماً مع الجماعة، ومن أعظم البركات بقاء العبد مؤمناً شامخاً بإيمانه.

الخاتمة

وفي نهاية هذه الجولة الإيمانية، خرج بحثنا بجملة من النتائج والاستنتاجات، وهذه أبرزها:

1. إن الشدائد تصنع الرجال، والأزمة العارمة التي أصاب العالم الإسلامي إبان الحريين العالميتين، وسقوط الخلافة الإسلامية، وظهور التيار الإلحادي قد جعل بديع الزمان النورسي يشمر للخدمة الإيمانية بإثبات الحقائق القرآنية، وذلك لإنقاذ إيمان الأمة في تلك الليالي المظلمة، التي لا يُرى فيها إلا الدماء والدمار، وإهانة الكرماء والمقدسات، لذا كان من البديهي أن يلجأ هذا العالم الجليل ذو الهمة العالية إلى السعي نحو الترويج للحياة الأخروية الأبدية ويجملها في قلوب الناس.

المطلب الخامس

حسن الظن بالمقابل

عندما تشتدّ الأزمات، وتقع الأخطار على الإيمان ينبغي مراعاة بعض القواعد الأخلاقية العامة، هذه القواعد تؤثر على سلامة الفكر مباشرة، ومن تلك القواعد هي قاعدة (حسن الظن) بالمقابل، وعدم تفسير أقوال وأفعال الناس عامّةً والمسلمين خاصّةً سلبياً بناءً على الظنّ، لأنّ الظنّ (سوء الظنّ) مرض فتاك، يفتك بالجماعات والأمم، ولخطورة المسألة قال تعالى: إِيَّا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ⁽¹⁾. فإن حسن الظن ضامن للاجتماع والمحبة بين المسلمين، وإن الاجتماع والمحبة من أسباب الاستقامة على الصراط المستقيم، ويعكس ذلك فإن سوء الظنّ ضامن للفرقة والحقد، وهما من أسباب الضياع والشقاوة، وقد جاء عن الصادق المصدوق (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: ((فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذَّنْبُ الْقَاصِيَةَ))⁽²⁾.

ومن أمعن النظر في رسائل النور يرى بكل تركيز بديع الزمان على معالجة مشكلة سوء الظن بكل وضوح، فكان بديع الزمان يؤوّل أقوال الناس عنه، وحتى أفعالهم، يؤوّلها إيجابياً، يروي أحد طلابه في وصفه، ويقول: «.. وكان دائماً يحاول أن يؤوّل الأمور بحسن الظنّ، ويحتسنا على ذلك، ويقول: نحن مكلفون بحسن الظنّ»⁽³⁾، ويقول في مكان آخر: «والذي يؤوّل تصرفات إخوانه المؤمنين تأويلاً سيئاً، لا محالة سيتعرّض للجزاء نفسه في وقت قريب»⁽⁴⁾.

المطلب السادس

الاهتمام بجميع الفئات من المجتمع

إن من أسباب تحقيق المراد الاهتمام بأركان النجاح، وبما أن مشروع المحافظة على الإيمان متوقف على المجتمع كله وبكافة فئاته وأصنافه، فإن النورسي العبقري قد استوعب هذا جيداً، ولم يهمل فئة

1 سورة الحجرات: من الآية: 12.

2 رواه جمع غفير من المحدثين، ومنهم أبو داود، كتاب الصلاة، باب في التشديد في ترك الجماعة، برقم: (547)، وهو حديث حسن.

3 سيرة ذاتية: 595.

4 للمعات: 401.

1 هذا الحوار جزء من اللمعة الرابعة والعشرين من كتاب: للمعات: 280، وهناك تميمات أخرى في مواضع من رسائل النور.

2 فكتب لهم رسالة الشيوخ المشهورة، ينظر: للمعات: 311، فما بعدها.

3 كتب لمواساة المرضى اللمعة الخامسة والعشرين من: للمعات: 289 فما بعدها، وكتب للمصابين الذين ابتلوا بعظام المصائب في: للمعات: 16، فما بعدها. بعدها.

9. إن الله سبحانه وتعالى إذا أحب عبداً وضع له القبول، وإذا رأى من عبده الإخلاص بارك في جهوده، وليس من المبالغة أن نقول بتطبيق هذه الأوصاف على بديع الزمان سعيد، فقد رأيناه وبنيناه الذي بنى، فأصبح جهود هذا الجبل الشامخ سبباً لنهضة الأمة من جديد.
10. الإسلام والعلم إذا اجتماعا يصنعان حضارة بغداد والأندلس.

المصادر والمراجع القرآن الكريم

1. الأحاديث المختارة: الضياء المقدسي (ت: 643هـ)، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط: 3، مكتبة النهضة الحديثة - مكة المكرمة، 2000م.
2. الأحكام في أصول الأحكام: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: 456هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، تقديم: أ. د. إحسان عباس، ط: 1، دار الآفاق الجديدة - بيروت - لبنان.
3. أصول الفقه في نسجه الجديد: الأستاذ الدكتور مصطفى إبراهيم الزلمي، ط: 25، مكتب التفسير للنشر والإعلان - أربيل - العراق، 1436 هـ - 2015 م.
4. الأمثال: أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: 224هـ)، تحقيق: الدكتور عبد المجيد قطامش، ط: 1، دار المأمون - دمشق - سورية، 1400 هـ - 1980م.
5. إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث: مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (ت: 1393هـ)، ط: 1، دار الإرشاد للطباعة والنشر، 1388هـ - 1969م.
6. التأويل في رسائل النور: (أطروحة دكتوراه) للعبد الفقير: د. زياد صالح حميد، بإشراف: أ. د. أميد نجم الدين جميل المفتي، جامعة صلاح الدين - كلية العلوم الإسلامية، 2020م.
7. تأويل النصوص عند الأصوليين (أطروحة دكتوراه): أ. د. عثمان محمد غريب، بإشراف: أ. د. أحمد محمد طه الباليساني، جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية، 1423 هـ - 2002م.

2. استوقفني بديع الزمان، استوقفني علمه ونكاؤه وفطنته وعبقريته منذ صغره، كما شدّ انتباهي قوة إيمانه وكثرة زهده وورعه وكراماته وتقواه، كما استوقفني جهاده وشجاعته وهمته واهتمامه بالأمة الإسلامية الجريئة، ولا ينكر ما لوالديه من مكانة وتأثير في ابنهم البار، فرجل عظيم كهذا حرّيّ وجدير بأن يُدرّس ويُدرّس ما تركه من رسائل، ونقف عنده بتأمل ودقّة.
3. إن من سنن الله تعالى وحكمه وجود الامتحان والفتن وظهور الأزمات ابتلاءً منه سبحانه وتعالى، وذلك لتصفية الصفوف والقلوب، فلا بد من الأزمات، وعلى هذا ينبغي على المؤمن الاستعداد لها للخروج منها بنتيجة إيجابية.
4. إن رسائل النور وليدة الأزمات، وكتبت للأزمة، وللخروج منها بنتائج إيجابية، لذلك فإن من تتبع وسائل المحافظة على الإيمان الحقيقي واستقرأها فيها ليرى أنها كثيرة، منها ما هي واضحة وجلية، ومنها ما هي خفية تحتاج إلى النظر الثاقب لكشفها.
5. لقد واجه بديع الزمان المعكرات الإيمانية والفكرية ببيان الحقائق الإيمانية المقنعة، النابعة من أسرار القرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه، مراعيًا أصول المواجهة ومطابقة واقع الحال.
6. لقد اقترح بديع الزمان في رسائله - مباشرة وبغير مباشر - سبلاً لمعالجة الأزمات بعد دراسته العميقة لها، وذلك بعد معاصرة الأزمات مباشرة، والتمسك بهذه السبل والحلول - حسب رأينا المتواضع - ينقذ أمتنا من الأزمات، ويأخذ بأبدينا إلى إرجاع المجد الذي أضعنناه، وتسلم راية الحضارة من جديد.
7. الأصل في حياة المسلمين الاستقرار، أما الأزمات فعارضه وطارئه، والإسلام يحاول جاهداً السيطرة على الأزمات وتبديلها بالأمن والاستقرار، ولا شك أن المتضرر الأول في الأزمات والفتن هو الإسلام والمسلمون، والإسلام الطاهر ينمو ويتوسع في حالة الاستقرار أكثر من غيرها.
8. إن رسائل النور مثل الدواء للمرضى، ينبغي الاهتمام بها، وخاصة عند اشتداد البلوات والمصائب والأزمات، فهي في حكم طبيب متخصص في الأمراض الفكرية والقلبية.

8. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)، ط: 3، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1420هـ.
9. تكملة المعاجم العربية: رينهارت بيتر آن دُوزي (ت: 1300هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه: سليم النعيمي، وجمال الخياط، ط: 1، وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية، 2000م.
10. تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (ت: 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط: 1، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، 2001م.
11. جمهرة الأمثال: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو 395هـ)، ط: 1، دار الفكر - بيروت.
12. رسالة في حقيقة التأويل: عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد المعلمي العتمي اليماني (ت: 1386هـ)، تحقيق: جريير بن العربي أبي مالك الجزائري، ط: 1، دار اطلس الخضراء للنشر والتوزيع - الرياض، 1426هـ - 2005م.
13. سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة: أورخان محمد علي، ط: 3، دار سوزلر للنشر - القاهرة - مصر، 2006م.
14. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: 275هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: 1، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت - لبنان.
15. سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة، ط: 2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، 1395 هـ - 1975م.
16. سيرة بديع الزمان سعيد النورسي بلسانه وأقلام تلامذته: ترجمة وتحرير: حسين عثمان، وخليل جادو، ومحمد أبو الخير السيد، ط: 1، دار الأنوار - إسطنبول - تركيا، 2016.

17. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ط: 4، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان، 1407 هـ - 1987م.
18. صحيح الجامع الصغير وزياداته: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: 1420هـ)، ط: 1، دار المكتب الإسلامي.
19. صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم): مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: 1، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
20. العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي، ط: 1، دار ومكتبة الهلال.
21. فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: 1031هـ)، ط: 1، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، 1356هـ.
22. كليات رسائل النور: الشعاعات: بديع الزمان سعيد النورسي (ت: 1960 م)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط: 7، دار سوزلر - القاهرة - مصر، 2014 م.
23. كليات رسائل النور: الكلمات: بديع الزمان سعيد النورسي (ت: 1960 م)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط: 7، دار سوزلر - القاهرة - مصر، 2014 م.
24. كليات رسائل النور: اللمعات: بديع الزمان سعيد النورسي (ت: 1960 م)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط: 7، دار سوزلر - القاهرة - مصر، 2014 م.
25. كليات رسائل النور: المكتوبات: بديع الزمان سعيد النورسي (ت: 1960 م)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط: 7، دار سوزلر - القاهرة - مصر، 2014 م.
26. كليات رسائل النور: الملاحق: بديع الزمان سعيد النورسي (ت: 1960 م)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط: 7، دار سوزلر - القاهرة - مصر، 2014 م.
27. كليات رسائل النور: سيرة ذاتية: بديع الزمان سعيد النورسي (ت: 1960 م)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط: 7، دار سوزلر - القاهرة - مصر، 2014 م.

- د. بودقزدام عمران ، جامعة الجزائر .

28. كليات رسائل النور : صيقل الإسلام: بديع الزمان سعيد النورسي (ت: 1960 م)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط: 7، دار سوزلر - القاهرة - مصر، 2014 م.

4. دور الإيمان في ترسيخ القيم الإنسانية المشتركة من خلال رسائل النور: أ.م.د. حسن محمد إبراهيم ، جامعة صلاح الدين/ أربيل . العراق .

29. لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711هـ)، ط: 3، دار صادر - بيروت - لبنان، 1414هـ.

5. العلاقة بين الإيمان والتعصب الديني من خلال رسائل النور: أ.م.د. زكريا عبد الرحمن حمد ، كلية العلوم الإسلامية ، جامعة صلاح الدين/ أربيل - العراق .

30. المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط: 1، دار الكتب العلمية - بيروت، 1990م.

6. القيم الإنسانية في فكر النورسي مقارنة لتحقيق التعايش في مجتمع الأقليات (دراسة تطبيقية على مجتمع الأقلية في جنوب تايلاند) د. رشدي طاهر ، كلية العلوم الإسلامية ، جامعة الأمير سونكلا الحكومية - فرع فطاني/تايلاند.

31. المستصفي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط: 1، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، 1413 هـ - 1993م.

7. مركزية الإيمان في تأسيس العدالة . دراسة في فكر الأستاذ سعيد بديع الزمان النورسي : نورالدين بالخير ، باحث بسلك الدكتوراه مختبر العلوم الدينية والإنسانية وقضايا المجتمع ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، فاس . المغرب .

32. معالم أصول الدين: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط: 1، دار الكتاب العربي - لبنان.

• - أمثلة لتعايش الثقافات المختلفة.

33. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، ط: 1، دار الدعوة - الإسكندرية - مصر .

• - الايمان في الحضارات المدنية.

34. مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط: 1، دار الفكر - بيروت - لبنان، 1399 هـ - 1979م.

• - دور الايمان في الحد من الجرائم.

• - مفاهيم الايمان في الزمن المعاصر.

35. ميزووي زاناياي كورد: مة لا طاهير مة لا عبد الله بة حركتيي، جاب: 1، جابخانتي ئاراس - هتولير - كوردستاني عيراق، 2010ز .

• - دور الايمان في تاسيس العدل والتوازن الاقتصادي.

• - القيم الانسانية المشتركة.

3. دور الايمان في تأسيس ثقافة التعايش رغم الاختلافات:

1. أثر الإيمان على تحقيق التوازن الاقتصادي في حياة الفرد والمجتمع في ضوء رسالة الاقتصاد لبديع الزمان النورسي - رحمه الله : د. باقي كريم شريف ، كلية العلوم الإسلامية ، جامعة السليمانية، العراق .

• - حلول إيمانية للعنصرية والطائفية.

2. الإيمان وفائدته في الوقاية من الجريمة في ضوء رسائل النور: أ.م.د. عوض جدوع أحمد ، كلية العلوم الإسلامية ، جامعة ديالى . العراق .

• - إخلاقيات الأخوة والمحبة.

3. دور الإيمان في ترسيخ بناء الحضارات - رؤية تحليلية في ضوء فكر بديع الزمان النورسي

والغرور والتكبر واللهث وراء الشهوات والمآرب الدنيئة، حيث أنّ تلك الظواهر والأفعال السيئة وغيرها يتم وقوعها في حال عدم التزام الإنسان بالاقتصاد والتوازن مع نعم الله ؛ لأنّ الاقتصاد في استخدام نعم الله- سبحانه وتعالى- والتعامل معها بالتوازن « انسجام مع الحكمة الإلهية » كما صرّح شيخنا بديع الزمان- رحمه الله- في رسالته الموسومة « الاقتصاد ».

ولكن كما يرى - رحمه الله- فيها أن الإسراف ثمنه باهظ وغال، حيث يؤدي في كثير من الأحيان إلى أن يدفع الإنسان كرامته ومكانته ثمناً ورشوة له، بل قد يكون ثمنه سلب مقدساته الدينية.

بإذن الله- تعالى- وتوفيقه سيركز الباحث على المفاهيم والمفردات التي أشار إليها في هذا الملخص.

الكلمات المفتاحية: أثر، الإيمان، الاقتصاد، النورسي، التوازن.

أثر الإيمان على تحقيق التوازن الاقتصادي في حياة الفرد والمجتمع في ضوء رسالة الاقتصاد لبديع الزمان النورسي- رحمه الله.

د. باقي كريم شريف
العراق- السليمانية- جامعة السليمانية/ كلية العلوم الإسلامية
البريد الإلكتروني: baqi.shareef@univsul.edu

ملخص البحث

هذا البحث كما يبدو من العنوان يبحث عن أثر الإيمان على تحقيق التوازن الاقتصادي في ضوء رسائل النور لبديع الزمان النورسي- رحمه الله- وبالأخص رسالته الموسومة بـ « رسالة الاقتصاد ».

يتناول فيه الباحث معنى التوازن الاقتصادي عند الاقتصاديين في المنظورين - الوضعي والإسلامي - ، ثم يلقي الضوء على تعريفات واجتهادات وإرشادات وتوجيهات شيخنا البديع النورسي - رحمه الله- على معنى التوازن الاقتصادي وأهميته في حياة الأفراد والمجتمعات والدول.

وكما ركز فيه الباحث على مفهوم الإيمان وتأثيراته الإيجابية و فيوضاته على تحقيق التوازن الاقتصادي على مستوى الأفراد والجماعات والدول، وكيف يوصل بالأفراد والمجتمعات إلى مستويات رفيعة ومكانة مرموقة يُشعر فيها بالسعادة الحقيقية، والنعم الإلهية في الكون وعلى جميع الكائنات الحية.

وكذلك كيف أنّ التوازن والاقتصاد في التعامل مع نعم الله- سبحانه وتعالى- في الكون ينقذ الإنسان والمجتمعات من مذلة الفقر و التسول والاعتماد على الآخرين في توفير الحاجات الضرورية، هذا من جانب، ومن جانب آخر يحمي الإنسان من مغبة الوقوع في الصفات والأفعال الشيطانية كالظلم

The impact of faith on achieving economic balance in the life of individuals and society in the light of the 'Risalat al-Iqtisad' (the Economic Message) by Badi al-Zaman al-Nursi

Abstract

This paper, as it appears from the title, searches the effect of faith on achieving economic balance in the light of the Risalat al-Nur by Badi' al-Zaman al-Nursi - may God have mercy on him - particularly in his message under the title of "Risalat al-Iqtisad" (the Economic Message).

The researcher deals with the meaning of 'economic balance' according to economists from the two perspectives - Islamic and Non-Islamic views- and then sheds light on the definitions, interpretations, guidance and directives of our Sheikh Badi' Nursi - may God have mercy on him - on the meaning of economic balance and its importance in the lives of individuals, societies and countries.

He also focused on the concept of faith and its positive effects on achieving economic balance at the level of individuals, groups and states, and how it leads individuals and societies to high levels and a prestigious position in which they feel true happiness, and divine blessings in the universe and on all living creatures.

As well as how balance and economy in dealing with the blessings of God - Glory be to Him - in the universe save man and societies from the humiliation of poverty, beggary and dependence on others to provide the necessary needs. On the other hand, it protects human from the consequences of falling into Satanic attributes and actions, such as injustice, vanity, arrogance, and chasing after lusts and vile pursuits, as these phenomena and bad deeds occur in the event that a person does not adhere to economy and balance with the blessings of God; since dealing with economy in balance "is a harmony with divine wisdom," as our Sheikh Badi' al-Zaman - may God have mercy on him - stated in his treatise.

However, as al-Zaman, may God have mercy on him, realizes that the extravagance has a high price, as it often leads to a person to pay his dignity and prestige as a price and a bribe for it, rather the price will be dispossession of his religious sanctities. Finally, the researcher will also focus on the concepts and vocabulary that have been mentioned in this summary.

Keywords: impact, faith, Nursi , economics, balance.

المقدمة

توطئة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا وحبيبنا المصطفى محمد، وعلى آله وصحابته، ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

وبعد:

بعد إنهاء بالخلافة العثمانية انتشرت نزعات ودعوات وأفكار منافية لأصول الإسلام والإيمان ومبادئها العامة، فبعض هذه الأفكار و الدعوات أنكرت الدين وكفرت به، ودعت إلى القضاء عليه،

بكل ما لديه من قوة، ومساندة المعسكر الغربي والشرقي، وبعض هذه قالت بفصل الدين عن الحياة، وبالأخص الجانب السياسي والاقتصادي منه، وفي غمار هذه الأفكار اتجهت أكثرية الناس في المجتمعات الإسلامية إلى اهتمام بالماديات والإعراض عن ما يتعلق بالمسائل الروحية والإيمانية.

فمن هنا سخر الله -بديع الزمان سعيد النورسي - رحمه الله- وأعانه للدفاع عن الإسلام ومبادئها العامة عن طريق رسائل النور وطلابها، فخصص - رحمه الله- بعضاً من رسائله لإثبات المسائل الإيمانية، وأهمية الإيمان وأثره على حياة الأفراد والمجتمع والدول، وخصص بعضها الآخر لتصحيح سلوك وأخلاق الأفراد والمجتمع، سواء كان سلوكهم الاجتماعية، أو الاقتصادية والسياسية.

فبديع الزمان - رحمه الله- كما يبدو خصص « رسالة الاقتصاد» لخدمة المجتمع الإسلامي والمجتمع البشري من هذا الجانب، و من خلال محتوياتها فند الأفكار التي قالت: بالفصل بين المبادئ الإيمانية والأخلاقية وبين المبادئ الاقتصادية والاجتماعية، فقال: لأصحاب هذه الأفكار أخطأتم؛ لأن ارتباط الجانب الروحي والسلوكي مع الجانب المادي سنة إلهية في الكون، وكما أن الأديان السماوية كلها جاءت لتنظم حياة المجتمعات في ضوء أسسها الإيمانية والأخلاقية، ولا سيما الإسلام، حيث يشمل بمبادئه مظاهر الحياة جميعاً- المادية والمعنوية.

ولما ذكر، ثم محبة الباحث للإمام بديع الزمان سعيد النورسي- رحمه الله-، والأسباب التي سيذكرها، قام البحث باختيار هذا الموضوع، ثم كتابته.

• أهمية موضوع البحث تكمن في عدة أمور، أهمها:

1. البحث يتناول مصطلحين عليهما قوام الحياة المادية والمعنوية، الاجتماعية والسياسية وهما: الإيمان والاقتصاد، والعلاقة بينهما.

2. البحث عن أثر الإيمان في تحقيق التوازن الاقتصادي في ضوء «رسالة الاقتصاد» للإمام بديع الزمان سعيد النورسي- رحمه الله- بحث في حقيقة الأمر عن حياة رجل مجتهد بالمعنى اللغوي والاصطلاحي بذل حياته في سبيل تحقيق سعادة الدارين للبشرية جمعاء.

• أسباب اختيار موضوع البحث يعود إلى جملة من الأمور من أهمها:

1. اعتقاد الباحث بأن أي مشروع إصلاحي سواء كان في المجال الاجتماعي أو الاقتصادي

تعاونية لا يمكن الفصل بينهما، وهذا البحث يحاول بيان وتوضيح ذلك في ضوء "رسالة الاقتصاد" التي تصب محتوياتها من الجانب الفكري والاعتقادي والسلوكي على هذه الإشكالية.

- **منهج البحث:** استفاد الباحث لبيان محتويات بحثه عن المنهج (الوصفي والتحليلي، والاستقرائي (الجزئي).
- هيكل البحث: يتألف من ثلاثة:
- المبحث الأول: التعريف بمصطلحات موضوع البحث.
- المبحث الثاني: التعريف برسالة الاقتصاد.
- المبحث الثالث: أثر الإيمان في تحقيق التوازن الاقتصادي.

المبحث الأول:

التعريف بمصطلحات موضوع البحث

المطلب الأول: تعريف الأثر لغة واصطلاحاً

أولاً. تعريف الأثر لغة:

(أثر) مصدر (أثر)، وجمعه آثار يأتي بمعنى:

- **علامة الشيء وبقيته، ومنه قوله تعالى:** (قل أريتكم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين) الأحقاف: ٤
- **تتبع الشيء وتقصيه، ويقال:** (حَرَجْتُ فِي إِثْرِهِ، وَفِي أَثْرِهِ)، أي: بَعْدَهُ، ويقال: (انْتَبَهْتُه وَتَأَثَّرْتُه)، أي: تَنَبَّهْتُ أَثْرَهُ.
- **الانفراد بالشيء والتفضيل، ويقال:** (أَثَرٌ شَيْئًا عَلَى شَيْءٍ)، أي: فضله عليه غيره، ومنه قوله تعالى: (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي

أو السياسي لا يكتب له النجاح إلا إذا كان مستنداً إلى الإيمان الحقيقي بخالق الكون، كما بيته القرآن الكريم والسنة النبوية، ودعا إليه الإمام بديع الزمان سعيد النورسي - رحمه الله - بكل قواه المعنوية والمادية.

2. البحث عن أثر الإيمان في تحقيق التوازن الاقتصادي في ضوء «رسالة الاقتصاد» للإمام بديع الزمان سعيد النورسي - رحمه الله - يعني: بحث عن المنهج السليم الصحيح الذي يوصل الإنسان إلى التوازن الحقيقي بين الماديات والمعنويات، وبين المصالح الخاصة والعامة، وبين الحاجات الضرورية والتكميلية...
3. البحث عن أثر الإيمان في تحقيق التوازن الاقتصادي في ضوء «رسالة الاقتصاد» للإمام بديع الزمان سعيد النورسي - رحمه الله - يعني: البحث عن اجتناب الصفات التي لا تليق بالإنسان السوي، والمجتمع السليم، والدولة الرشيدة، كالأناية والظلم والإسراف، والفساد بكل أنواعه.
4. رغبة الباحث في أن يكون خادماً للإيمان وأثره على كل جوانب الحياة، ومن مقدماتها الجانب الاقتصادي.
5. **الدراسات السابقة على موضوع البحث:** لم يقف الباحث على الدراسات السابقة على عنوان البحث نفسه، و ما اطلع عليها الباحث من الأبحاث المكتوبة على المفاهيم الاقتصادية عند الإمام بديع الزمان سعيد النورسي - رحمه الله - بحثان، فهما:
6. رسالة الاقتصاد للإمام النورسي دراسة تحليلية من وجهة الفكر الاقتصادي الإسلامي للباحث: د. عبد الستار إبراهيم الهيتي.
7. **المشكلات الاجتماعية و معالجتها من خلال رسائل النور لبديع الزمان النورسي، للباحثين:** د. محمد أحمد عبدالقادر - نهيل علي حسن صالح، تحدثا في بحثهما عن المشكلات التي تواجه المجتمع، ومنها مشكلة الفقر وعلاجها.
8. **مشكلة البحث:** هناك مذاهب اقتصادية وأنظمة علمانية ادعت أن المسائل الإيمانية والأخلاقية لا علاقة لها بالاقتصاد، أما النظام الاقتصادي الإسلامي فيرى أن العلاقة للمسائل الإيمانية والأخلاقية مع النشاطات والفعاليات الاقتصادية علاقة تداخلية وتكاملية

يترتب الإنسان كفرد ومجتمع، في ظلها على الصفات الإيجابية، كالتوكل الإيجابي والقناعة، وعزة النفس، والاعتدال في الصرف لبقائه في دائرة الحلال، والتي تمنحه القوة الدائقة التي تؤدي دور الحارس، ويجعل من روحه أن ينبسط، ومن قابلته ومواهبه أن تنمو، ويعمل باسم الله، ويأخذ ويعطي في سبيله ولأجله، ويتحرك ويسكن ضمن دائرة مرضاته وأوامره⁽¹⁾.

وهذا يعني أن أثر الإيمان، هو: كل ما يتركه الإيمان من الإيجابيات والتأثيرات الفعالة على الأفراد والمجتمع الإسلامي ومؤسسات دولته خاصة، والمجتمع البشري عامة، بحيث يدفع مكونات المجتمع للانقياد لسنن الله- التشريعية والكونية-، من شأنه إيجاد مجتمع صالح رقي، غايته تحقيق العدالة في الأرض و الفوز بسعادة الدارين.

المطلب الثاني: تعريف الإيمان

الفرع الأول: تعريف الإيمان لغة واصطلاحاً

أولاً. تعريف الإيمان في اللغة:

الإيمان مصدر (أَمِنَ < يُؤْمِنُ) وهذه الصيغة وردت في اللغة بعدة معانٍ⁽²⁾، منها:

1. التصديق والإقرار: ويقال: (أمن به)، أي: صدقه، ومنه قوله تعالى: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا بِقُلُوبِنَا لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا لَمَّا يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) سورة الحجرات: ١٤، أي: صدقنا بالله ورسوله، فنحن مؤمنون⁽³⁾، والإيمان كمصدر لهذه الصيغة ضد الكفر والجحود.

2. الطمأنينة والثقة: من معاني صيغة (أمن) الطمأنينة والثقة بالنفس، وزوال الخوف، وبهذا

المعنى ورد في عدة آيات قرآنية كريمة، ومنها قوله: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ بِهِ مَنِ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾ وَوَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ، سورة آل عمران: ٩٧، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَفَتُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾، سورة العنكبوت:

صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ، سورة الحشر: ٩، والاستتار يعني: الاختصاص بالشيء، والتفرد به، ومن قوله تعالى: (قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَتَرَكْنَا اللَّهَ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ)، سورة يوسف: ٩١، وقوله تعالى: (بَلْ تُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)، سورة الأعلى: ١٦.

- التأثير في الشيء و التفاعل معه، ويقال: (أثر في الشيء) أي: ترك فيه أثراً،⁽¹⁾.
- الرواية والنقل، ويقال: (أثرت الحديث)، أي: رويته، والأثر: هو ما نقل عن النبي أو الصحابة من الأحاديث والأخبار.
- ومما سبق هذه يتبين أن معنى (أثر) ومشتقاته) يدور حول ما يبقى من الشيء و يتركه، والاختصاص بالشيء ، ويكون علامة على وجوده وفاعليته وتأثيره على الغير، سواء كان وجوده وتأثيره معنوياً أو مادياً.
- و بعد ذكر المعاني اللغوية لفظ الأثر ومشتقاته من المناسب أن نقول أن الإمام بديع الزمان سعيد النورسي - رحمه الله - يرى أن أثر الشيء في شيء آخر ، وتأثر الشيء بشيء آخر من سنن الله في الكون وفي مخلوقاته بعضهم بعضي، و من ذلك يرى أن الكون يجري الأمور فيه ويدار وفق نظام دقيق ومنسق ، وعدالة مطلقة، وموازنة كاملة، كتجليات وأثار لأسماء الله الحسنى وصفاته العليا، ثم إن لهذا النظام الدقيق المنسق المتوازن والعدالة المطلقة آثار في الكائنات الحية تقتضي عدم مساواة المظلومين مع الظالمين العتاة في الجزاء والعقاب⁽²⁾.

ثانياً. تعريف الأثر اصطلاحاً:

لم أجد لمصطلح (أثر الإيمان) كمركب إضافي تعريفاً اصطلاحياً، وما يفهم من خلال كلام بديع الزمان سعيد النورسي - رحمه الله- أن أثر الإيمان ، هو: البركات والرحمات والأتوار الإلهية، التي

1 يراجع: المكتوبات، ص16، 536، رسالة الاقتصاد، ص7، الكلمات، ص25.

2 يراجع: كتاب العين، 8/388. معجم مقاييس اللغة، 1/13. مفردات ألفاظ القرآن، ص90. لسان العرب، 13/21. قاموس المحيط، 1/1176. المعجم الوسيط، 1/28 ، تكلمة المعاجم العربية، 1/191. معجم اللغة العربية المعاصرة، 1/122.

3 جامع البيان في تأويل أي القرآن، الطبري، 22/313.

1 يراجع: كتاب العين، 8/ 236. معجم مقاييس اللغة، 1/55. مفردات ألفاظ القرآن، ص62. لسان العرب، 4/ 5. قاموس المحيط، 1/341. المعجم الوسيط، 1/5 ، تكلمة المعاجم العربية 1/ 82. معجم اللغة العربية المعاصرة، 1/ 61.

2 يراجع: الكلمات، ص110.

من ذهب إلى أن الإيمان هو: الإقرار باللسان (1).

ولعل أن الإيمان بمعناه العام كما عرفه ابن القيم ، هُوَ : « حَقِيقَةٌ مركبة من معرفة ما جاء بهِ الرُّسُول - علما والتصديق بهِ عقدا والإقرار بهِ نطقا والانقياد لهُ محبةً وخضوعا وَالْعَمَلُ بهِ بَاطِنًا وظاهرا وتنفيذه والدعوة إِلَيْهِ بِحَسَبِ الإِمْكَانِ » (2).

الفرع الثاني. تعريف الإيمان عند بديع الزمان النورسي، وما يتميز به:

نحاول أن نستعرض العنوان في نقطتين أساسيتين:

النقطة الأولى. اهتمام الإمام بديع الزمان سعيد النورسي - رحمه الله - بالإيمان وتعريفاته له: اتفق كل الباحثين الذين كتبوا ودرسوا رسائل النور ، وعاشوا معها على أن الإمام بديع الزمان سعيد النورسي - رحمه الله - صرف جل حياته في خدمة الإيمان، وجاهد وأتعب نفسه من أجل إحيائه في قلوب الناس، وتحقيق مقاصده على المستوى الفردي والمجمعي، ولهذا ليس من المبالغة أن يقال أن رسائله و أعماله كلها تعريف للإيمان بمعناه الشمولي والحقيقي، ومن هنا نجد في رسائله تعريفات عديدة ومتنوعة بعبارة مختلفة معتمداً في ذلك على الأثر الواقعي والحقيقي للإيمان على الأفراد والمجتمع الإسلامي والبشري.

ومن تعريفات الإمام بديع الزمان سعيد النورسي - رحمه الله -:

• الإيمان هو التصديق مع اليقين (3).

1. أن الإيمان هو النور الحاصل بالتصديق بجميع ما جاء به النبي d تفصيلاً في ضروريات الدين، وإجمالاً في غيرها (4).

• الإيمان هو منبع جميع السعادات (5)، أو محور سعادة الدارين (6).

1 شرح العقيدة الطحاوية، 1/332، التفسير الكبير، 2/23، التمهيد، 9/238.

2 الفوائد، 1/107.

3 إشارات الإعجاز، ص 67.

4 إشارات الإعجاز، ص 51.

5 الشعاعات، ص 323.

6 إشارات الإعجاز، ص 77.

٦٧، و منه قوله تعالى: فَلْيُعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾: ٣ - ٤.

3. **الوفاء والعهد والحفظ:** يقال: (أَمِنْتُه عَلَيْهِ)، أي: جعلته حفيظاً ورقيباً عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ قَالَ اللَّهُ خَيْرَ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾.

4. ويقال: (استأمن إليه)، أي: دخل في أمانه وعهده، وطلب منه الحماية، ويقال: (أَمِنَ فلاناً على الشيء)، أي: استودعه إياه، ومعلوم أن الأمانة مصدر (أمن) وهي ضد الخيانة.

5. والمؤمن: هو الذي ياتمنه الناس على كل ما لديهم من الأموال والممتلكات والأعراض، كما يفهم من قوله d: « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَظْهَرَ الْفُحْشُ... وَحَتَّىٰ يُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ وَيُخَوَّنَ الْأَمِينُ » (1).

6. **الكفالة والضمان والحماية:** ويقال: (أَمِنَ مصلحته)، أي: كفّلها، ضمّنها وحماها، و(أَمِنَ حارساً على ضيعته)، أي: جعلها في عهده وحمايته، و(أَمِنَ حاجات بيته)، أي: وقّرها، هيئاًها.

7. مما يدل على إخلاص صاحب رسائل النور للإيمان وقدرته العلمية واللغوية التركيز على هذه المعاني اللغوية في بحثه عن الإيمان و آثاره.

ثانياً. **تعريف الإيمان في الاصطلاح:** اختلف علماء الشريعة في تعريف الإيمان، فذهب جمهور من أهل الحديث والفقهاء والفرق إلى تعريف الإيمان بأنه: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وذهب قسم منهم إلى أن الإيمان هو: تصديق بالقلب واللسان معاً، أو إقرار باللسان ومعرفة بالقلب، ومنهم الإمام أبو حنيفة - رحمه الله -، كما هناك من ذهب إلى أن الإيمان: هو التصديق بالقلب، أو

1 مسند الإمام أحمد، رقم الحديث (6514).

الإيمان الحقيقي هو الدواء والعلاج الشافي لحلحلة المشاكل الفكرية والعقدية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، التي واجهت المجتمعات الإسلامية والبشرية.

8. الإيمان وتجسيده في الواقع يكون خارطة حقيقية لمعرفة الحضارة الغربية و فلسفته للحياة، والميزان الحقيقي والمقياس الصحيح للتمييز بين إيجابياتها و سلبياتها، بعيداً عن التقليد الأعمى والرفض الأعمى المطلق.

9. يربط بين السنن الإلهية في الكون والسنن التشريعية ، ثم يركز على الآثار الإيجابية للإيمان من خلالهما.

10. ذكر تعريفاته للمصطلحات التي ذكرها وتناولها في ثنايا رسائل النور وموضوعاتها في عبارات سهلة مؤثرة مصحوباً بالأمثلة المقتبسة من الواقع، وما فعل ذلك - والله أعلم - إلا اتباعاً للنهج القرآني، ولأنه كتب رسائله لعامة الناس بكافة مستوياتهم.

المطلب الثالث: تعريف التوازن الاقتصادي

أولاً. تعريف التوازن لغة:

تعريف التوازن في اللغة: التوازن مأخوذ من (وزن - يزن) وردت في اللغة العربية بعدة معان، منها:

- التقدير والحرص: وزن الشيء إذا قدره، ووزن ثمر النخل إذا خرص⁽¹⁾.
- المقابلة والمحاذاة: يقال: وازنت الشيء بالشيء أي: قابلته وحاذيته به⁽²⁾، ومن هذا المعنى قولهم (لكل مخاصم ميزانه): أي مقابله و محاذايته⁽³⁾.
- التحسب والضبط: يقال (وزن فلان كلامه) أي تروى و احتسب و انتبه في القول حتى يلتزم بالاعتدال والحق، ويقال: (فلان وزن خطوته) أي: ضبط وقعها⁽⁴⁾.

- الإيمان نور لوجدان البشر وشعاع من شمس الأزل يضيء دفعة ملكوتية الوجدان بتمامها، فينشر أنسة له مع كل الكائنات... ويؤسس مناسبة بين الوجدان وبين كل شيء... ويلقي قوة معنوية يقتدر بها الإنسان أن يصارع جميع الحوادث والمصيبات⁽¹⁾.

النقطة الثانية. ما يتميز به الإمام بديع الزمان سعيد النورسي في بحثه عن الإيمان:

والذي يرى أنه - رحمه الله- في عرضه وتعريفه للإيمان يتميز بعدة سمات، ومن أبرزها:

1. أسلوبه العميق والفذ، والمتمثل في حواراته العظيمة والرقيقة معتمداً على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ومعاني أسماء الله وصفاته الحسنى، ثم على الأدلة العقلية مستنبطاً من الواقع الحياتية للكائنات الحية والنباتات والجمادات، وليس مبالغاً أن نقول من الكون وجميع ما في الكون.
2. استبعاد الإيمان ومسانله من الجدالات الكلامية والفلسفية الجافة، مع اعتماده على الأدلة العقلية الملموسة والمستنبطة من الواقع، مخاطباً روح الإنسان أولاً، ثم بعد ذلك فكره وعقله.
3. يركز في تعريفاته للإيمان على أثره من الناحية الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.
4. أسلوبه في الدعوة إلى الإيمان قائم الحكمة والموعظة الحسنة والإخلاص والأمانة العلمية، وعدم الدخول في تصادمات وصراعات داخلية مع التيارات والجماعات الإسلامية الأخرى.
5. التركيز على الكليات والأصول في كل الموضوعات التي تتعلق بالإيمان و وسائل الدعوة إليه.
6. دعوته إلى الإيمان وعرض له قائمة على إنكار الذات والتواضع والإخلاص، وعدم اللهث وراء الشهرة وحطوط النفس والمآرب الدنيوية.
7. اعتقاده الوثيق والعميق بأن الإيمان بمفهومه القرآني والنبوي هو الوسيلة الوحيدة للعودة بالمجتمعات الإسلامية إلى سابق عهدها، وأداء دورها الرسالي والقيادي، كما يرى أن

1 يراجع: كتاب العين، 7/386.

2 يراجع: القاموس المحيط، فصل الواو، 1/ 12238.

3 يراجع: المحكم و المحيط الأعظم، 9 / 110.

4 يراجع: معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة (وزن) 3/2434.

1 إشارات الإعجاز، ص 51.

ثانياً. تعريف الاقتصاد لغةً:

الاقتصاد (Economy): مصدر اقتصد ، وأصله من القصد ، وله عدة معانٍ منها: (التوسط ، واستقامة الطريق، والاعتدال)^(١)، ومن ذلك قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة النحل: ٩ ، أي: استقامة الطريق ، والاعتدال^(٢).

وفي السنة النبوية فلا يختلف معنى القصد والاقتصاد عما ذكرناه، ومن ذلك قوله g: «مأعالي من اقتصد»^(٣)، أي: ما افتقر من أنفق فيها قصداً من غير إسراف ولا تقتير^(٤)، وقوله g: «من اقتصد أغناه الله، ومن بذر أفقره الله»^(٥)، المعنى: أن من اقتصد في الأمور سلك الطريق المستقيم واجتنب جانبي الإفراط والتفريط^(٦).

إذاً يمكن أن نقول أن مفهوم الاقتصاد في القرآن والسنة هو: اعتدال الإنسان بين الإسراف والتقتير في تعامله مع الموارد الاقتصادية، أو التوازن بين الإيرادات المالية للفرد والمجتمع ونفقاته، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ ، سورة الفرقان: 67.

والإمام بديع الزمان - رحمه الله - استخدم مصطلح الاقتصاد بهذا المعنى في رسائله، وبالأخص في الاقتصاد، حيث يرى أن الاقتصاد انسجام تام مع الحكمة الإلهية والتوافق الكامل معها⁽⁷⁾.

ثالثاً. تعريف التوازن الاقتصادي كمصطلح اقتصادي والمالي:

لم أجد تعريف التوازن الاقتصادي عند علمائنا القدماء، لكن المعاصرين في مجال الاقتصاد والمال، فقد عرّفوه بعدة تعاريف، منها:

1 يراجع: لسان العرب، 3 / 353 ،

2 أنظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، 174/17.

3 مسند ابن أبي شيبة رقم (331).

4 التيسير بشرح الجامع الصغير، 2/682.

5 مسند البزار رقم الحديث (946).

6 فيض القدير شرح الجامع الصغير، 2/512.

7 رسالة الاقتصاد، ص7.

• **الاعتدال والمساواة:** يقال (اتَّزَنَ الشَّيْءُ): أي تساوى في الوزن، ويقال: (اتَّزَنَ الشَّخْصُ): أي اعتدل في موقفه، وكان رزيناً في كلِّ تصرُّفاته^(١).

• **التنظيم والتنسيق:** يقال: (هذا كلام موزون) أي: منظوم غير منتشر⁽²⁾، وبهذا المعنى كلمة (موزون) في قوله تعالى: (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿٩١﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٩٢﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ)، سورة الحجر: ١٩ - ٢١، حيث قال الإمام الرازي - رحمه الله - في تفسير كلمة (موزون) أي: متناسب محكوم عليه عند العقول السليمة بالحسن واللطافة ومطابقة المصلحة⁽³⁾، كما و قد قيل في معناها، أي: متناسب في الحسن والهيئة والشكل⁽⁴⁾.

إذن معنى كلمة (موزون) في الآية الكريمة يعني: أن الأشياء وما يتعلق بالحياة تُوزَنُ بميزان الحكمة، بحيث يتوافر في الأشياء الموجودة في الكون الجمال والتنسيق والتنظيم والتوازن.

ويؤكد الإمام بديع الزمان سعيد النورسي - رحمه الله - في رسائله على هذه المعاني اللغوية لمصطلح «التوازن»، بل يثبت من خلالها أحقية القرآن الكريم، ويقول: «فكمال انتظام هذه الشريعة الغراء، وجمال توازنها الدقيق، وحسن أحكامها ورسالتها كل منها شاهدٌ عدل لا يجرح، وبرهان قاطع باهر لا يدنو منه الريب أبداً على أحقية القرآن الكريم»⁽⁵⁾

ومن خلال هذه المعاني اللغوية لمادة (وزن) يستنتج أن مفهوم التوازن في اللغة العربية من الجانب الاقتصادي يعني: تقدير ما يتعلق بالأمور المالية والاقتصادية إيرادا وإنفاقاً وتنمية وضبطها ، ثم تنظيمها والتنسيق بينها بهدف تحقيق التوازن والعدالة.

1 يراجع: المرجع نفسه، 3/2434

2 يراجع: الجامع لأحكام القرآن، 2/1728.

3 يراجع: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، 19/132.

4 يراجع: لباب التأويل في معاني التنزيل، 3/52.

5 الكلمات، ص153.

في حياته الاقتصادية لأدت إلى حمايته من مغبة سوء استخدام الأموال العامة والخاصة، ومن صفة إخوان الشياطين، وهي الإسراف التبذير، ثم كفران نعم الله - عز وجل- قال تعالى: وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٦٢﴾ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ، سورة الإسراء: ٢٦ - ٢٧، ويذكر الإمام البيهقي في شعب الإيمان جملة أمور، التي تدخل خلية الإسراف، منها: صرف المال أكثر مما يحتاج إليه، سواء كان الصرف الزائد في المأكولات والمشروبات، أو في المسكن والملبس والمركب، وينقل عن ابن عباس -ع- أن الإنفاق في الملاهي والشهوات المحرمة من التبذير الموجب للحجر⁽¹⁾.

و كما أنّ التزام بهذا الأسس والمبادئ الاقتصادية التي ذكرها بديع الزمان- رحمه الله- يحمي الإنسان من أكل الأموال بالباطل، المعطوف عليه إزهاق النفس و قتلها بيد الشخص نفسه، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ۗ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) ، سورة النساء: ٢٩، وكذلك يحميه من إضاعة المال، التي حذر منها رسول: « إِنَّ اللَّهَ يَرْضَىٰ لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا فَيَرْضَىٰ لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّقُوا وَيَكْرَهُ لَكُمْ قَيْلٌ وَقَالَ وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةُ الْمَالِ »⁽²⁾.

النقطة الثانية: محتويات رسالة الاقتصاد:

عرض الإمام بديع الزمان سعيد النورسي- رحمه الله- محتويات رسالته الاقتصاد في (سبع نكات) أو سبع محاور رئيسية، وهي:

النكته الأولى: يتحدث فيها عن أهمية الاقتصاد من خلال مقارنته مع ضده الإسراف، حيث يرى أنّ الاقتصاد بمعنى التوازن في استخدام النعم والآلاء التي أهدانا الله تعالى- شكر معنوي على نعم الله وكرمه وفضله، كما هو سبب رئيسي للبركة فيها و تتميتها، وكما هو سبب لتحقيق العزة الاقتصادية والاستقلال الاقتصادي للمجتمعات الإسلامية- أفرادا وجماعات ودول- وحمايتها عن ذل الاستجداء المعنوي والتبعية الاقتصادية.

بينما يرى أنّ الإسراف مناف للشكر، واستخفاف خاسر وخيم تجاه نعم الله⁽³⁾، وكما أنه يخالف حكم

• التوازن الاقتصادي: هو حالة من النسبية بها يتحقق الوضع الأمثل، وله صور شتى، منها التكافؤ التام كما في كفتي الميزان، ومنها التناسب الذي لا يصلح شأن الخلق إلا بوجوده⁽¹⁾.

• حالة اقتصادية مستقرة تتزايد فيها النفقات بنسبة تزايد الدخل، ومن ثم الإيرادات، حيث لا يفسح أي مجال لظهور العجز والفائض على المستوى المالي والاقتصادي⁽²⁾.

• وهذا عند التقليديين في مجال المال والاقتصاد، أمّا عند المحدثين فمفهوم التوازن الاقتصادي يعني: الاستقرار الاقتصادي مع اشباع الحاجات الأساسية، وتحقيق الأهداف التتموية حسب الخطة الاقتصادية للدولة، وإن كان هناك العجز المقصود أو الفائض⁽³⁾.

المبحث الثاني: التعريف برسالة الاقتصاد

يحاول الباحث أن يلقي الضوء في المبحث على رسالة الاقتصاد ومكانتها اقتصادياً في المطلبين:

المطلب الأول: أهمية (رسالة الاقتصاد) ومحتوياتها

يحاول الباحث شرح عنوان المطلب في نقطتين أساسيين:

النقطة الأولى. أهمية رسالة الاقتصاد:

رسالة الاقتصاد هي اللمعة التاسعة عشرة من كتاب (لمعلر < للمعات)، وهي تخص الاقتصاد بمفهومه العام، كعادته- رحمه الله - عرض الموضوع بأسلوب سهل تحليلي علمي، و نهج قرآني إيماني، لكن بعيداً عن التعقيدات اللغوية و الفلسفية والعلمية المجردة.

فركز فيها على الأساسيات والمبادئ العامة لعلم الاقتصاد، وبالأخص يسمى اليوم باقتصاد الأسرة والمجتمع السليم، بحيث لو عمل بها أي مجتمع كأفراد وأسرة ودولة، واتخذها برنامجاً واستراتيجيات

1 الاقتصاد الإسلامي - مدخل ومنهاج-، ص49.

2 توازن الموازنة العامة، ص253.

3 يراجع: توازن الموازنة العامة، ص296، أساسيات الموازنة العامة للدولة- المفاهيم والمراحل والاتجاهات الحديثة، ص102.

1 يراجع: شعب الإيمان، 8/489.

2 صحيح مسلم، رقم الحديث (4578).

3 يراجع: رسالة الاقتصاد، ص5.

تَنْفَعُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا^٧ وَبِاللَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَتُولُونَ لِنِيبِ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ^٨ وَبِاللَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾، سورة المنافقون: ٧ - ٨.

بينما من اتخذ الإسراف والتبذير مسلماً له في الصرف، بدلاً من الاعتدال والتوازن يسقط وينزل في مذلة الاستجداء والاعتماد على الغير، بل قد يدفع ثمناً باهظاً من أجل إشباع حاجاته، ألا وهو دفع الكرامة والشرف والسيادة الاقتصادية ثمناً ورشوة له^(١).

النكتة الخامسة: يرى - رحمه الله - في هذه النكتة أن الاقتصاد والاعتدال في الصرف سبب للبركة والنماء والتلذذ بنعم الله تعالى لمدة أطول، لاسيما في حالة وجود ما يسمى بالأزمة الاقتصادية، ويرى أن لذة الفقير من كسرة خبز يابس بسبب جوعه، أكثر بكثير من السلطان أو الثري من أكل أطعمته وحلوياته الفاخرة، بسبب الملل وعدم الشهية النابعين من الإسراف^(٢).

النكتة السادسة: في النكتة السادسة يبين - رحمه الله - أن هناك البون الشاسع والفرق الكبير بين الاقتصاد بمفهومه القرآني والحديثي واللغوي، وهو التوازن والاعتدال في الإنفاق، وبين صفة الخسة التي هي مزيج من السفالة والبخل والجشع والحرص؛ وذلك لأن الأول - الاقتصاد - نابع من القناعة، أي: الرضا ما قدر الله من الرزق والموارد بعد السعي والكسب والحركة، والتزام بالأحكام التشريعية، كقوله تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا)، سورة الفرقان: ٦٧، وكما أنه استجابة لحفظ الأمانة والاستقامة اللتين تدور عليهما التجارة والنشاطات الاقتصادية النزوية والبعيد عن الفساد والخيانة.

بينما صفة الخسة ناتجة عن الحرص على متاع الدنيا، وهو مذموم في الشريعة الإسلامية، ومنهي عنه، ومن صفات اليهود، قال تعالى: (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْضِيهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ^٣ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ)، سورة البقرة: ٩٦، وكما يبينه - رحمه الله - في النكتة السابعة نتائج الحرص خائبة وخاسرة وخيمة^(٣).

الله - تعالى - المذكور في أمثال قوله تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا^{٣١} إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)، سورة الأعراف: ٣١.

النكتة الثانية: يرى في النكتة الثانية أن الاقتصاد، أي: عدم الإفراط والتفريط في استخدام نعم الله واستهلاكه هو الذي ينسجم ويوافق مع الحكمة الإلهية ومع البنية الفسيولوجية والنفسية والسلوكية للإنسان، حيث أن الإسراف في استخدام نعم الله تعالى واستهلاكه من شأنه الإخلال بالنظام التكويني الدقيق الذي خلق الله عليها القوى الجسدية والمعنوية والسلوكية للإنسان، ومن أخطر آثار الإسراف على الإنسان من الناحية الصحية فقدان الشهية، وعدم القدرة على الهضم، ثم تقشى الأمراض المهلكة^(١).

ومن الناحية السلوكية يؤدي الإسراف في استخدام الموارد والسلع الاقتصادية إلى سيطرة السلوك الحيوانية الشرسة في المجتمع، كالجشع والغرور والظلم والاعتداء على حق الآخرين، بدلاً من سيطرة العدالة و دستور الحياة « التعاون » من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، كما يسميه بديع الزمان في رسائله.

النكتة الثالثة: يرى - رحمه الله - في هذه النكتة الثالثة أن الاقتصاد بمعنى التوازن، يهيئ الطرف المناسب للرفي بقلب الإنسان وروحه وعقله، لكي يتلذذ ويتمتع بإنجاز مهمة الشكر الخالص، و كذلك بتقدير نعم الله تعالى، وذلك باستخدامه والاستفادة منها دون إسراف وتبذير، و دون مخالفة أحكام الشريعة الإلهية، وسنن الله تعالى في الكون^(٢).

النكتة الرابعة: في هذه النكتة بأسلوبه - رحمه الله - الإيمان الهادي التصويري يرى أن « من اقتصد »، واقتصر على الحاجات الضرورية في الظروف الاقتصادية غير اعتيادية، والتزم التوازن والاعتدال في الإنفاق، واتخذ مبدأ « الاستغناء عن الناس » دستوراً لحياته، سواء كان كفرد أو مجتمع أو دولة لا يعرف ولا يعاني من فاقة ولا فقر، بل يؤمن تحقيق هدف رئيسي من أهداف الاقتصاد الإسلامي، ألا وهو تحقيق العزة والقوة الاقتصادية، لنفسه ومجتمعه ودولته، (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا

1 يراجع: رسالة الاقتصاد، ص 9-10-12.

2 يراجع: رسالة الاقتصاد، ص 13.

3 يراجع: رسالة الاقتصاد، ص 15-16.

1 يراجع: رسالة الاقتصاد، ص 6.

2 يراجع: رسالة الاقتصاد، ص 7.

7. وهذا النوع من الرزق كما يبدو من تعريف بديع الزمان - رحمه الله- له ، هو الذي لا يتوقف عليه حياة الأفراد والجماعات والدول، وليس من ضروريات الحياة في الأساس، لكن سوء استعماله ، و بلاء التقليد جعله ضرورياً، و أصبح توفير وتلبية هذا النوع من الرزق (الحاجات) من الطرق المشروع وبالوسائل المتاحة والمباحة شرعاً أمراً صعباً؛ لأن طبيعة هذه النوع التزويد والتجدد والتنوع.

8. و لهذا أنّ اللهث والولوع للحصول على هذا النوع من الحاجات ربما يكون مقابله التضحية بالشرف والعزة والمكانة، بل المقدرات الدينية، والهوية الإنسانية والوطنية⁽¹⁾.

9. وكما نراه في واقعنا الحاضر أنّ سوء التعامل كسباً وإنفاقاً واستهلاكاً، هو السبب الرئيسي للتعدي على الأموال العامة والخاصة والفساد بكل أنواعه، و بالتالي لعدم تحقيق التوازن الاقتصادي، والاستقرار والنمو الاقتصادي، ثم زعزعة أمن الدولة وإضاعة مكانتها الإقليمية و الدولية، ثم بعد ذلك سيادتها.

10. ولمنع وقوع هذه الأمور الخطيرة والمدمرة يرى الإمام بديع الزمان- رحمه الله- وحلقتها إن وقعت، وتحقيق التوازن الاقتصادي، البقاء في دائرة الحلال والحرام، أو الاكتفاء بحد الضرورة حسب قاعدة (الضرورة تقدر بقدرها)، وذلك بالتعامل الصحيح الدقيق والتوازن والاعتدال مع هذا النوع من الأموال والموارد أولاً، بالتحري من التقليد ومئة وشروط الآخرين من أصحاب الأموال فرداً أو دولة⁽²⁾.

11. وهذه النكات السبعة التي ذكرها الإمام بديع الزمان سعيد النورسي- رحمه الله-، بالإضافة إلى تقسيمه للرزق، حاوت اختصارها ونقل مفهومها، فإن كنت موفقاً أسأل الله تعالى الأجرة والمغفرة، ثم من قارئ رسائل النور وطلابها الدعاء بالخير، وإن أخطأت أو قصرت أرجو منه العفو والغفران، ثم من قارئ رسائل النور وطلابها الاعتذار.

المطلب الثاني. مكانة (رسالة الاقتصاد) اقتصادياً ومالياً:

يمكن أن نقول أنّ لهذه الرسالة مكانة كبيرة اقتصادياً ومالياً، وآثار اجتماعية عظيمة؛ لأن محتوياتها

النكتة السابعة: يرى- رحمه الله- أنّ الإسراف ينتج الحرص، والحرص يؤدي إلى ثلاث نتائج:

1. **عدم القناعة**، وعدم القناعة يقطع دابر الشوق عن السعي الطيب، والعمل المشروع، والجهد المشكور، بل يقذف بصاحبه إلى أحضان الكسل فيترك المال الزهيد الناتج من الكسب الحلال، ويبادر بالبحث عملاً لا مشقة، ولا تكليف فيه من مال غير مشروع، فيهدر في هذه السبيل عزته و كرامته.

2. **من نتائج الحرص (الخبية والخسران)**، وبالتالي ترك التعاون بين أفراد المجتمع، والذي يسميه- رحمه الله- دستور التكافل الاجتماعي والضمان الاجتماعي بين الناس، وحتى بين الكائنات الحية.

3. **إفساد الإخلاص والعمل الأخروي**: يرى - رحمه الله - أن الحرص يتلف الإخلاص والعمل الخيري والأخروي، ويجعل من صاحبه شخصاً غير مرغوب فيه، بلا تأثير إيجابي⁽¹⁾.

4. ومن الجدير بالذكر والبحث أنه - رحمه الله- قام بتقسيم حاجات الناس من السلع والخدمات والموارد الاقتصادية، أو ما سماه بالرزق إلى قسمين:

5. **الرزق الحقيقي (الضروري)**: وهو الذي تتوقف عليه حياة المرء، وهو تحت التعهد الرباني بحكم قوله تعالى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) ، سورة هود: ٦، فمهما كانت الأحوال المرء الحصول على ذلك الرزق الضروري- إن لم يتدخل سوء اختياره، دون أن يضطر إلى فداء دينه، ولا تضحية بشرفه وعزته⁽²⁾.

6. **الرزق المجازي (غير الضرورية)**: وهو الذي لا يستطيع من أساء استعماله أن يتخلى عن الحاجات الضرورية، التي غدت ضرورية عنده نتيجة الابتلاء ببلاء التقليد والولوع به⁽³⁾.

1 يراجع: رسالة الاقتصاد، ص17.

2 رسالة الاقتصاد: ص11.

3 رسالة الاقتصاد، 11.

1 يراجع: رسالة الاقتصاد، ص11.

2 يراجع: رسالة الاقتصاد، ص12.

الفصل بينها، ولا تمييز بعضها عن بعض إلا من أجل تيسير الالتزام بها وتحقيقها.

ومن هذه الأدلة قوله g في جواب سائل سأل عنه متى الساعة؟ فقال g: « فَإِذَا ضُئِجَتِ الْأَمَانَةُ فَأَنْتَظِرِ السَّاعَةَ ». قَالَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا قَالَ « إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ »(1).

و هذه الأدلة وغيرها، وهي كثيرة تثبت أن الإسلام نظام كامل شامل للحياة: حياة الفرد، وحياة المجتمع كمجتمع ودولة، الحياة بكل جوانبها الفكرية والروحية والخلقية، وجوانبها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية(2)، فالاقتصاد بمعناه اللغوي العام، وبمعناه الاصطلاحي جزء مهم من بنائه الشامخ، لا يمكن أن يتجزأ، ويُقطع منه.

ولما سبق اتفق الباحثون في مجال الاقتصاد الاسلامي على أن للاقتصاد الإسلامي يتميز عن غيرها بجملة خصائص، ومنها، أنه(3)

1. **اقتصاد ربّاني**، أي: أنشطته و أقسام وجزئياته- من انتاج واستهلاك، وتبادل وتوزيع...، لا بد تكون منطلقاً من خصيصة الربّانية، ولا بد أن تكون غايته وأهدافه ربّانية، واستجابة لأمثال قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۗ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)، سورة الملك: ١٥، وكما لا بد تكون تجسيدا وتطبيقاً لأمثال قوله تعالى: (الْمُ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ)، سورة لقمان: ٢٠.

2. **اقتصاد أخلاقي**: مما يميز الاقتصاد الإسلامي عن غيرها من الأنظمة الاقتصادية المادية، أنه لا يفصل أبداً بين الاقتصاد والأخلاق، ولا بين السياسة والأخلاق، لذا الأمانة والصدق، والوفاء، والنزاهة والشفافية والوضوح...، جزء من كيانه العريض والشامخ، كما أن الكذب والغش والخيانة والفساد، ولا الغاية تبرر الوسيلة، ويؤكد هذه الحقيقة ما روي عنه أنه g مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَتَأَلَّتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: « مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ » قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: « أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَي يَرَاهُ النَّاسُ،

تتعلق بالسلوك الاقتصادي والمالي وأثر القيم الإيمانية في الاقتصاد الإسلامي، إضافة إلى ذلك أن محتوياتها تركز على موضوعين أساسيين في علم الاقتصاد والمالية العامة والخاصة، وهما: موضوعا الاستهلاك، والإنفاق، ولذلك لكي نوضح على مكانة الرسالة نلقي الضوء على هذين الموضوعين، قدر ما يسمح الصفحات المحددة للأبحاث في هذا المؤتمر، وذلك في الفرعين الآتيين:

الفرع الأول. دور الإيمان بمفهومه العام في الاقتصاد الإسلامي:

والاقتصاد الإسلامي عرف بتعاريف كثيرة منها:

- مجموعة الأصول والقواعد التي تبحث في الظاهرة الاقتصادية، على وفق المصادر الشرعية، لسد حاجات الناس المادية والمعنوية(1).
- الاقتصاد الإسلامي بعبارة مبسطة هو الذي يوجه النشاط الاقتصادي، وينظمه وفقاً لأصول الإسلام، ومبادئه الاقتصادية(2).

والإمام بديع الزمان سعيد النورسي ربط بين التعاملات المالية والاقتصادية كسباً و إنفاقاً، وبين دور الإيمان بمفهومه العام و أثره، لاشك فيه أنه قام بذلك كإداء للأمانة والمسؤولية، وكخدمة بالقرآن الكريم والسنة النبوية، حيث هناك أدلة كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية تثبت أثر الإيمان والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، بل تثبت أن هناك تماسك وترابط وتداخل بين أركان الإيمان والعبادات والأخلاق وبين السياسة الشرعية وإدارة المال والاقتصاد والتعاملات المالية كسباً و إنفاقاً وتنمية، كقوله تعالى: (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۗ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)، سورة البقرة: ١٧٧.

والذي يقرأ هذه الآية الكريمة، ويتمتع فيها، قراءة وتمتع شخص عادي، لا قراءة وتمتع عالم ولا مختص في العقيدة والفكر أو في الاقتصاد أو غيرها في العلوم يتوصل أن هذه المجالات لا يمكن

1 صحيح البخاري، رقم الحديث (59).

2 يراجع: دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الاسلامي، ص34.

3 دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، ص31، موسوعة القضايا الفقهية المعاصرة والاقتصاد الإسلامي، ص19.

1 علم الاقتصاد والمذاهب الاقتصادية مقارناً بالاقتصاد الإسلامي، ص193.

2 الوجيز في الاقتصاد الإسلامي، ص12.

في رسائل النور على وجود التوازن والانتظام والتنسيق بين كل الأجزاء والعناصر المادية والمعنوية للكائنات والأشياء الموجودة في الكون، ويجعله دليلاً على عظمة الخالق وقدرته، ويؤكد على ذلك في مواضيع كثيرة من موضوعات رسائل النور، منها قوله: « تأمل في أعضاء كائن حي من الأحياء التي لاتعد ولا تحصى ، ودقق في أجهزته وفي حواسه... تر فيها من الانسجام التام والتناسق الكامل، والموازنة الدقيقة ما يدلك بداهة على الصانع الذي هو (العدل الحكيم) »⁽¹⁾.

الفرع الثاني: الاستهلاك

من يقرأ رسالة الاقتصاد لـ(بديع الزمان سعيد النورسي - رحمه الله-)، وله إمام واطلاع على علم الاقتصاد يدرك أن محتوياتها تصب بالدرجة الأولى في موضوع الاستهلاك من علم الاقتصاد، ولذلك من الضروري أن نلقي الضوء على هذا المصطلح وأهم ما يتعلق به، حتى يتبين لنا بوضوح مكانة وبهاء هذه الرسالة اقتصادياً ومالياً، بل وإدارياً.

ومن أجل ما ذكر نبحت عنه -حسب يسمح به صفحات البحث- كالآتي:

أولاً. تعريف الاستهلاك:

الاستهلاك مصدر (استهلك)، يأتي في اللغة بمعنى (الاستنفاد والإنفاق والاستعمال والتناول)، يقال: (استهلك ماله)، أي: استعمله وأنفقه، أو استنفده، ويقال: (استهلك طعامه)، أي: تناوله.

وأما كمصطلح اقتصادي فُعَرِفَ بعدة تعاريف، منها، هو: ما ينفقه المستهلك على السلع والخدمات سعياً لتحقيق منفعة أو إشباع حاجة⁽²⁾.

ثانياً. الإنفاق: في اللغة يأتي بمعنى: النقص والتقليل و الفناء والذهاب و الصرف، يقال: (أنفق المَال) أي: صَرَفَهُ⁽³⁾، والاصطلاح يمكن تعريفه بأنه: مبلغ من المال ينفقه الأفراد أو الجهة العامة بقصد التمتع بحاجة، أو توفير خدمة، كانت الحاجة والخدمة عامة أو خاصة، ضرورية أو حاجية و تكميلية.

1 للمعات، ص477.

2 علم الاقتصاد الإسلامي في ضوء مقاصده، ص147.

3 يراجع: لسان العرب، 10/357.

مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»⁽¹⁾.

3. **اقتصاد إنساني:** أي أنه غايته وهدفه تحقيق حياة كريمة حرة للبشرية جمعاء في الدنيا، والسعادة الأبدية في الآخرة، دون تفریق، أو تميز، أو تفضيل على أساس القومية والعنصرية واللون.

4. **اقتصاد متوازن:** التوازن العادل أو الوسطية خصيصة أخرى من خصائص النظام الاقتصادي الإسلامي، فهو يوازن بين المصالح الدنيوية والأخروية، وبين الماديات والروحيات، وبين مصلحة الأفراد والمجتمع، وبين الملكية العامة والخاصة، وبين الإنتاج والاستهلاك، وبين النفقات والإيرادات، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ۗ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ)، سورة البقرة: ١٤٣.

• ويرى الإمام بديع الزمان سعيد النورسي - رحمه الله - أن الحكمة العامة المهيمنة في الكون ، والتي هي تجل أعظم لاسم « الحكيم » ، إنما تدور حول محور « الاقتصاد والإسراف » ، وكذلك يرى أن العدالة العامة الجارية في الكون النابعة من أحد اسم الله وهو « العدل » ، إنما تدور موازنة عموم الأشياء، وتأمراً بإقامة العدل، ثم يستدل بورود كلمة (الميزان) أربع مرات في سورة الرحمن إشارة وجود الموازين ، وأهمية التوازن في الكون⁽²⁾ وقال تعالى: (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ): ٧ - ٩.

• ويذهب الإمام بديع الزمان سعيد النورسي - رحمه الله - إلى أبعد من أن يكون التوازن والانتظام خصيصة من خصائص النظام الاقتصادي الإسلامي، بل يراه سنة ودستوراً إلهية وضعه في كل تشريعاته وقوانينه، و في كل سننه الكونية، بل أكثر من ذلك بحث واستدل

1 صحيح سلم، رقم الحديث (102).

2 يراجع: للمعات، ص7-47 478.

فقدان الهوية، وقد تؤدي في نهاية المطاف إلى أن يدفع المستهلك المسرف - كما قال: بديع الزمان سعيد النورسي - رحمه الله « الكرامة والشرف ثمناً ورشوة له »⁽¹⁾، وقد تؤدي ثقافة المستهلك المسرفة إلى سلب المقدرات الدينية، كما صرح بذلك في قوله -رحمه الله-: « بل قد تسلب المقدرات الدينية »⁽²⁾.

ومن الجانب الصحي والأمن الغذائي ثقافة المستهلك تحت سيطرة المنتج تؤدي إلى انتشار الأمراض الفتاكة المكلفة على اقتصاد الأسر، وبالتالي تنهك اقتصاد الدولة.

ومن الجانب الثقافي والإعلامي ثقافة المستهلك إذا تكن مستندة على الفكر الاقتصادي الإسلامي المبني على الأسس الإيمانية والقيم الربانية تؤدي إلى سيطرة ثقافة المنتج، وإلى توجيه الأفراد والمجتمع باتجاه ما يريده المنتج المسيطر على السوق.

ومن الجانب السياسي والأمني ثقافة المستهلك نتيجتها وجود دولة جغرافياً، بلا كيان حقيقي، ولا سيادة، ورسالة، ولا مكان لها في المحافل الإقليمية والدولية، و كما لا هبة لها على المستوى الداخلي.

ومن خلال ما ذكرنا من أثر الإيمان في الاقتصاد الإسلامي، و خطورة ثقافة المستهلك على كل جوانب الحياة، تظهر مكانة « رسالة الاقتصاد »، إيمانياً و أخلاقياً، ثم اقتصادياً ومالياً وإدارياً، وبعد ذلك علمياً وثقافياً، كما تظهر من خلالها عظمة النظام الإسلامي، و الذي كان المصدر الوحيد لهذه الأفكار الاقتصادية، وكما تُظهر القدرة العلمية والعقلية والاجتهادية لصاحبها.

المبحث الثالث: أثر الإيمان في تحقيق التوازن الاقتصادي

في هذا المبحث نركز على أهمية ومكانة « مبدأ التوازن الاقتصادي » في الاقتصاد الإسلامي، ثم أثر الإيمان في تحقيق التوازن الاقتصادي من خلال «رسالة الاقتصاد » للبديع الزمان سعيد النورسي، و ذلك من خلال تقسيمه للرزق، ومن الأسس والمبادئ الاقتصادية التي صاغها وذكرها في رسالته القيم، وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: أهمية ومكانة مبدأ التوازن الاقتصادي وموقف صاحب رسالة الاقتصاد-رحمه الله- منه

والفرق بين الاستهلاك والإنفاق، الاستهلاك يكون في السلع والخدمات، بينما الإنفاق يكون خاصاً بالأموال، ولكن كلا العمليتين نتيجتها واحد، وهي: نفاذ الشيء أو النقص فيه، سواء كان مالاً نقدياً أو سلعة أو تقديم خدمة.

ثالثاً. خطورة الاستهلاك وضوابطه:

ما يستهلكه المستخدمون ويتناولونه، وما ينفقون من الأموال على السلع والخدمات والحاجات، سواء كان المستخدم أو المنفق فرداً عادياً، أو مؤسسات الدولة له ارتباط وثيق بالاقتصاد الوطني والأمن القومي، ومعتقدات وأفكار الشعوب والأمم⁽¹⁾.

وإذا كانت النظم الاقتصادية الوضعية جعلت الإشباع المادي هو الهدف والمقصد دون أي اعتبار للقيم، فإن الاقتصاد الإسلامي يجمع بين الإشباع المادي والمعنوي (الروحي) بصورة متوازنة في دارتي (الحلال والمباح)، وفق أولية- الاستهلاك والإنفاق من أجل توفير السلع والخدمات و الحاجات: الضرورية، فالحاجة، ثم التحسينية (الكمالية).

ولذلك أن ثقافة المستهلك إذا كان مقلداً ومتبعاً للسياسة الاقتصادية الرأسمالية، والتي لا تعرف إلا الحرص على جمع المال بأي طريقة كان، ولا تعرف إلا الجشع واتباع الشهوات، فخطورتها لا تقتصر على الجانب الاقتصادي، بل خطورتها وآثارها السلبية الجانب الاجتماعي والسياسي والأمني أكثر بكثير من الجانب الاقتصادي.

فسيادة ثقافة المستهلك إذ لم تكن متوازناً ومتبعاً للسياسة المالية والاقتصادية للنظام الإسلامي فتؤدي من الجانب الاقتصادي سيطرة الدول المنتجة على السوق المالي والاقتصادي الداخلي، ثم تؤدي إلى انحسار إرادة المستهلك سواء كان فرداً عادياً أو دولة، و بعد ذلك انحسار قواه ومقوماته الانتاجية، إلى أن تؤدي إلى فقدان سيادة واستقلالية المستهلك⁽²⁾.

ومن الجانب الاجتماعي ثقافة المستهلك إن تكن منضبطاً بأحكام ومبادئ الشريعة وقواعدها العامة تؤدي إلى مخاطر اجتماعية، وفي مقدمتها سيطرة ثقافة المنتج، ثم ينتج من ذلك التبعية الثقافية و

1 يراجع: علم الاقتصاد الإسلامي في ضوء مقاصده، ص148.

2 يراجع: حماية المستهلك في عقد الإذعان، ص6.

1 رسالة الاقتصاد، ص10.

2 رسالة الاقتصاد، ص10.

وقوله لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «... فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَانِهِمْ فُتْرُدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ»⁽¹⁾، ثم قوله g: «النَّاسُ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ فِي الْمَاءِ وَالْكَلْبِ وَالنَّارِ»⁽²⁾.

فهذا الحديث الشريف ينص على شراكة الناس في ثلاثة موارد اقتصادية- والله أعلم ما قال g ذلك إلا لحاجة الناس جميعاً إليها أولاً، ثم لحماية التوازن الاقتصادي والاجتماعي ثانياً.

إضافة إلى ما سبق هناك آثار قولية و فعلية من خلفاء الراشدين على أن من أولويات أعمالهم في السياسة الشرعية تدل على أهمية مبدأ التوازن الاقتصادي والاجتماعي العادل، حيث ساوى الخليفة الراشد الأول C بين الناس في العطاء، وأما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب C لم يساو في توزيع العطايا إلا أنه آثار تدل على حرصه في تحقيق التوازن الاقتصادي والاجتماعي، كقوله: «إِنِّي حَرِيصٌ عَلَى أَلَا أَدْعَ حَاجَةً إِلَّا سَدَدْتُهَا مَا اسْتَسْعَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ، فَإِذَا عَجَزَ ذَلِكَ عَنَّا تَأَسَّيْنَا فِي عَيْشِنَا حَتَّى نَسْتَوِيَ فِي الْكِفَافِ»⁽³⁾.

ثانياً. موقف بديع الزمان سعيد النورسي- رحمه الله- من التوازن والتوازن الاقتصادي:

من يقرأ ويدرس رسائل النور يجد كثيرا استخدام مصطلح التوازن أو الموازنة، أو مرادفه كمصطلح التوافق، ويتبين له أنه- رحمه الله- يرى أن التوازن من سنن الله -تعالى- في الكون، قبل أن يكون مبدأ في الاقتصاد الإسلامي من الواجب على ولاة الأمور والمجتمع الإسلامي بذل الجهد لتحقيقه في المجال المالي والاقتصادي، وما يؤكد ذلك من أقواله الدقيقة قوله-رحمه الله-: «إِنَّ مَنَحَ كُلِّ شَيْءٍ وَجُودًا بِمَوَازِينِ حَسَّاسَةٍ، وَبِمَقْيَاسِ خَاصَّةٍ، وَبِالْبَاسَةِ صُورَةَ مَعِينَةٍ، وَوَضَعَهُ فِي مَوْضِعٍ مَلَائِمٍ.. يَبِينُ بِوَضُوحٍ أَنَّ الْأُمُورَ تَسِيرُ وَفَقَ عَدَالَةً وَمِيزَانَ مَطْلُوقِينَ. وَكَذَا، إِعْطَاءُ كُلِّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ وَفَقَ اسْتِعْدَادُهُ وَمَوَاهِبُهُ، أَيُّ: إِعْطَاءُ كُلِّ مَا يَلِزَمُ، وَمَا هُوَ ضَرُورِي لَوْجُودِهِ، وَتَوْفِيرُ جَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَى بَقَائِهِ فِي أَفْضَلِ وَضْعٍ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ يَدَ عَدَالَةٍ مُطْلَقَةٍ، وَهِيَ تُسَيِّرُ الْأُمُورَ»⁽⁴⁾.

نرى أنه- رحمه الله- جمع بين التوازن كسنة كونية تُسَيِّرُ وفقه أمور الكون ، والتوازن كمبدأ مهم من مبادئ علم الاقتصاد يعطي وفقه كل ذي حق حقه.

أولاً. التوازن الاقتصادي وأهميته:

يمكن تعريف التوازن الاقتصادي في الاقتصاد الإسلامي، وذلك في ضوء أقوال وتعريفات الباحثين الإسلاميين⁽¹⁾ بأنه: تعامل الناس كأفراد حقيقية ومعنوية، أو جماعات ومجتمعات بشرية، أو حكومات ودول مع الإيرادات المالية والموارد الاقتصادية، ومع الخيرات والمنافع التي أودعها الخالق في الكون، انتاجا واستهلاكاً، أو تنمية واستثماراً، وفق أحكام الشريعة ومبادئها وقواعدها العامة، بصورة أن تؤدي إلى أن يشترك الناس فيها، ويتمتع بها كل حسب قدرته أو حاجته، ولا يقتصر تداولها على الأغنياء وحدهم، ومن شأنه تحقيق الاستقرار والنمو الاقتصادي والرفاهية.

والتوازن الاقتصادي بهذا المعنى مبدأ عام من المبادئ العامة في النظام الاقتصادي الإسلامي، عليه الأدلة من القرآن الكريم والسنة تبين أهميته ومكانته، فمن القرآن الكريم كقوله تعالى: (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)، سورة الحشر: ٧، ويقول ابن في تفسيره لهذه الآية الكريمة: «كي لا يبقى مأكلة يتغلب عليها الأغنياء ويتصرفون فيها بمحض الشهوات والآراء، ولا يصرفون منه شيئا إلى الفقراء»⁽²⁾.

إذن، الآية تقتضي لابد أن لا يكون المال متداولاً بين فئة تستأثر به دون غيرها، سواء على مستوى أفراد المجتمع المحلي، أو الإقليمي والدولي (العالمي)⁽³⁾.

ومن السنة هناك أحاديث تدل ضرورة التوازن الاقتصادي والاجتماعي العادل، منها، قوله g: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيُعْذُ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيُعْذُ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ». قَالَ فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ⁽⁴⁾.

1 يراجع: الموسوعة العربية العالمية، ص17، بناء المجتمع الإسلامي، 1/341، الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول، 1/21، الفقه الإسلامي وأدلتها، 7/4996.

2 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 8/97.

3 يراجع: الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول، 1/101.

4 صحيح مسلم، رقم الحديث (4614).

1 صحيح البخاري، رقم الحديث (4347).

2 بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، رقم الحديث (449).

3 تاريخ الطبري، 3/584.

4 الكلمات، للبيدع الزمان، ص70.

المطلب الثاني: أهم المبادئ التي نذكرها الإمام بديع الزمان سعيد النورسي- رحمه الله في «رسالة الاقتصاد» وبقية رسائل النور لتحقيق التوازن الاقتصادي

مما لا شك فيه أن الإيمان كما يعرفه- الإمام بديع الزمان- رحمه الله- من خلال جزء منه، وهو الإيمان باليوم الآخرة، هو: «أس الأساس لحياة الإنسان الاجتماعية والفردية، وأساس جميع كمالاته ومثله وسعادته».

إن، للإيمان أسس ومبادئ اقتصادية ومالية، فإذا تعامل الفرد والمجتمع والدولة وفقها، فلا بد أن يكون للإيمان أثر في تحقيق التوازن الاقتصادي، من هذه المبادئ أو الأسس التي نذكرها الإمام بديع الزمان سعيد النورسي- رحمه الله في «رسالة الاقتصاد»، بقية رسائل النور:

1. بناء الحياة بكافة جوانبها على الإيمان الحقيقي واتباع شريعته، لأنه كما يقول - رحمه الله «لا يمكن لأي شعب أن يعيش بلا دين، وهذا دستور عام، معترف به في الدنيا كلها»⁽¹⁾، ولأن الكفر المطلق تقسد علينا مدنيتنا، وتحول دون تمتعنا بمباهج الحياة وملاذاتها، يخلق لنا جحيم في الدنيا، قبل الآخرة⁽²⁾.

2. الإيمان بأن المالك الحقيقي لما في الكون، ولما في يد الإنسان كفرد أو جماعات أو دول، هو الله- سبحانه وتعالى، ويؤكد- رحمه الله- إقرار هذا المبدأ تحت عنوان «مسألة تخص الاقتصاد»، أي: التوازن في استهلاك وإنفاق ما تحت يد الإنسان، فيقول مخاطباً نفسه: "اعلم يقينا أن... وجودك ومالك وحيواناتك التي أنعم عليك ليس للتمليك بل للإباحة، أي: إنه ملكك ملكه لتستفيد، وأباحه لك للانتفاع، ولم يملكه لك ملكاً... فمادامت الحياة، وما تتطلبها من أمور لم تمنح لك للتمليك بل للإباحة، فما عليك إلا العمل وفق دستور الإباحة... هي التصرف ضمن رضى المضيف، فلا يمكن الإسراف فيما أبيع للمضيف ولا إكرام أحد بشيء منه، ولا التصرف فيه ولا تضييعه والعبث «⁽³⁾.

3. تطبيق هذا المبدأ يعني اجتثاث ما يسد الطريق أمام التوازن الاقتصادي من الغش والخيانة والرشوة، والفساد بكل أنواع، والأناية والاستبداد....

4. الاعتماد والتوكل على الله- سبحانه وتعالى- مع الأخذ بالأسباب، من أسباب التوازن الاقتصادي⁽⁴⁾.

5. التحاشي والإعراض عن ثقافة التقاعس، والاعتماد الغير، من شأنه أن يؤدي إلى الاستقلال السياسي، ثم التوازن والاستقرار الاقتصادي⁽²⁾.

6. الأمن والسلم الاجتماعي؛ لأن الحرب والفتن من شأنهما أن تؤدي إلى الجوع والتخريب وضروب الإسراف والفساد، ثم إنهاك الاقتصاد الوطني، وبالتالي منع التوازن الاقتصادي، كما يشير إلى ذلك بديع الزمان- رحمه الله-⁽³⁾.

7. الاقتصاد والقناعة؛ لأن الاقتصاد بمعنى عدم التفریط والإفراط انسجام مع الحكمة الإلهية، ولا يفقر من اقتصد، والقناعة تنتج العزة، ثم كنز للعيش الهنيء، الرغيد، ومبعث للراحة في الحياة⁽⁴⁾، أي: أنهما تهيئان جواً هادئاً مطمئناً ومستقراً للنمو الاقتصادي، ثم التوازن الاقتصادي.

8. الاكتفاء بالحلال والاجتناب من السلع المحرمة والأموال المشبوهة، و التخلص من بلاء التقليد⁽⁵⁾، لأن اللهث وراء مال الحرام أو مشبوهة، والتقليد، يهكأن اقتصاد الأفراد والمجتمعات والدولة.

9. تطبيق الزكاة: يقول الإمام بديع الزمان - رحمه الله- «تطبيق الزكاة في المجتمع وفرضها فرضاً عاماً... لأن أهمية الزكاة لا تنحصر في أشخاص وجماعات فقط، بل إنها ركن مهم في بناء سعادة الحياة البشرية، ورفاهها جميعاً، بل هي عمود أصيل تتوطد به إدامة

1 يراجع: رسالة الاقتصاد، ص25.

2 يراجع: رسالة الاقتصاد، ص23.

3 رسالة الاقتصاد، ص22.

4 يرجع: رسالة الاقتصاد، ص19-6.

5 يراجع: المصدر نفسه، ص11-18-12.

1 الشعاعات، ص387.

2 يراجع:المصدر نفسه، ص387.

3 الملاحق، ص77.

15. وكما من المعلوم أن شأن « القوة » ، هو الاعتداء...، وشأن « المنفعة »، هو التزاحم على الأموال والسلع والموارد، والتي من شأنها أن لا تفي لتغطية حاجات الجميع ورغباتهم، إذا تم التصرف فيه والتعامل وفق هذه الفلسفة، وشأن « الصراع » أنه يؤدي إلى النزاع والجدال، ثم القتل والدمار... ، وشأن « العنصرية » ، هو الاعتداء وحرمان الآخرين، وخصب حقوقهم المادية والمعنوية، إذن النتيجة الكلية النهائية لحكمة ومبادئ الفلسفة المادية سَلْبُ سعادة البشرية.

16. أما حكمة القرآن فهي تقبل « الحق » نقطة استناد في الحياة الاجتماعية، بدلاً من « القوة »، وتجعل « رضى الله سبحانه ونيل الفضائل هو الغاية بدلاً من « المنفعة، وتتخذ دستور « التعاون » أساساً في الحياة، بدلاً من « الصراع » وتلتزم برابطة « الدين » والصنف والوطن لربط فئات الجماعات بدلاً من « العنصرية والقومية السلبية » ، وتجعل غاياتها الحد من تجاوز النفس الأمارة، ودفع الروح إلى معالي الأمور، وإشباع مشاعرها السامية لِسوق الإنسان نحو الكمال والمثل الإنسانية.

17. وما ذلك إلا أن شأن « الحق » هو «الاتفاق»...، وشأن « رضى الله ونيل الفضائل » هو « التساند»...، وشأن دستور « التعاون » هو « إغاثة كل للآخر»...، وشأن التزام برابطة « الدين والصنف والوطن» هو « الأخوة والتكاتف»...، و شأن « إجماع النفس » وكبح جماحها، وإطلاق الروح وحثها نحو الكمال، هو « سعادة الدارين»⁽¹⁾.

18. وجود قيادة رشيدة، شعارها وشيئتها قوله تعالى: (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجِبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ى ج ، سورة الحشر: 9، ودينها الزهد و الاستغناء عن الناس، قيادة غايتها الفوز بالدار الآخرة، لا العلو في الأرض ولا فسادا، قال تعالى: (تِلْكَ الدَّارُ الْأَخْرَى نَجَعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)، سورة القصص: 83، والتي بدونها لا يكون للاستقرار السياسي ولا التوازن الاقتصادي والاجتماعي أي وجود حقيقي.

والله أعلم سر نجاح بديع الزمان سعيد النورسي - رحمه الله - كإمام وقيادة إيمانية استغناؤه عن

1 الكلمات، ص143، بتصرف.

الحياة الحقيقية، ذلك لأن البشرية طبقتين: الخواص والعوام، والزكاة توَمّن الرحمة والإحسان من الخواص تجاه العوام، وتضمن الاحترام والطاعة من العوام تجاه الخواص⁽¹⁾.

10. محاربة الربا، وشعاري: « إن شبعت فلا علي أن يموت غيري من الجوع»، « اكتسب أنت لآكل أنا، واعتب أنت لأستريح أنا»⁽²⁾.

11. إثارة الهمم والعزائم للسعي والعمل والكد، لأن السعي هو الأساس للعيش، والسد المنيع لأن لا تتكدس ثروة الإنسانية في أيد فئة من الناس، ولأنه يؤدي إلى أن يتم عن طريقها التآلف والولائم بين طبقتي البشرية: الخواص والعوام، ثم إلى تطبيق دستور الحياة ، أو ركائز الاقتصاد والرفاهية « التعاون والتنسيق والتنظيم، ثم إلى تحقيق التوازن الاقتصادي⁽³⁾.

12. التعامل بالحكمة والتفكير والرؤية المستقبلية مع الأموال والموارد الاقتصادية، وذلك بتفعيل الدستور الاقتصادي الإلهي القرآني، الذي قاله- سبحانه تعالى- في قوله: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) ، سورة الأعراف: 31، والذي جمعه الإمام بديع الزمان سعيد النورسي - رحمه الله- في هذه الكلمات الدقيقة والعميقة أثراً « العدالة والاقتصاد والطهر»⁽⁴⁾.

13. تربية المجتمع على حكمة القرآن وجعلها دستوراً لكافة جوانب الحياة ، بدلاً من تربيته على الفلسفة المادية، والتي ترى أن « القوة » نقطة التحكم والاستناد في الحياة الاجتماعية، وتهدف إلى « المنفعة » المادية في كل شيء، وتتخذ « الصراع» دستوراً للحياة، وتلتزم « بالعنصرية والقومية السلبية» رابطة للجماعات.

14. لا شك فيه أن نتائج وثمرات هذه الفلسفة، هي إشباع رغبات الأهواء والميول النفسية التي من شأنها تأجيج جموح النفس وإثارة الهوى.

1 المكتوبات، ص340.

2 المكتوبات، ص340.

3 يراجع: الملاحق، ص358، الكلمات، -338 884.

4 يراجع: اللغات، ص478.

اقتصاد مستقل حر متوازن، ولبناء مجتمعات متعاونة، ودول ذات عزة وقوة وسيادة.

5. أن الإعراض عن الأسس والمبادئ الاقتصادية التي جاء بها الإسلام، يعني: اتباع الشهوات المحرمة والحرص والجشع على المآرب الدنيوية، ثم الأناانية والظلم والطغيان والاستبداد، ثم إفلات الأمن والاستقرار، وبعد ذلك الفقر والحرمان من سعادة الدارين.

6. أن الاستخدام الأمثل للسلع والموارد الاقتصادية، والإنفاق الرشيد حب الأولوية، والاقتصار على الحاجات الضرورية في حالة الأزمات والمشكلات الاقتصادية، هي التي تؤدي إلى التوازن والاستقرار الاقتصادي والاجتماعي.

7. أن السعي والعمل في إطار المبادئ العامة للإسلام، واعتماد الإنسان على نفسه، والاستفادة من تجارب الآخرين على مستوى الأفراد والجماعات والدولة، هي الطرق لحماية الكرامة وكسب العزة والقوة، ثم إلى التحرر من التقليد والتبعية الاقتصادية، وبعد ذلك حماية السادة الوطنية.

8. أن دائرة الحلال واسعة فسيحة، تكفي للراحة والسعادة والسرور، فلا داعي للولوج في الحرام.

انتهى كتابة هذا البحث في 2021 /4/6 م

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1. جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير، الطبري (ت: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000 م.

2. مفردات ألفاظ القرآن، الإمام الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، ط1، 1992م.

3. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 170هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم

الناس و الإعراض عن متاع الدنيا كما صرح بذلك في رسالة الاقتصاد⁽¹⁾.

وهذا ما سمح به الصفحات المحددة للبحث، والباع القصر والوقت الضيق للباحث، و إلا بقيت مبادئ إيمانية واقتصادية كثيرة في رسائل النور في غاية من الأهمية، لم يستطيع الباحث تسجيلها.

الخاتمة والنتائج

تتاول الباحث أثر الإيمان في تحقيق التوازن الاقتصادي في حياة الفرد والمجتمع والدول في ضوء رسائل النور لبديع الزمان، وبالأخص «رسالة الاقتصاد»، وتوصل من خلاله إلى كثير من النتائج، من أهمها:

1. أن الإمام بديع الزمان سيعد النورسي -رحمه الله- هو المدافع المجتهد الملهم عن الإيمان والإسلام والأمة الإسلامية وديارها، بل عن البشرية جمعاء، بل أبعد من ذلك دافع عن السنن الإلهية في الكون، ومما فيه من مستلزمات الحياة... بأسلوب قرآني وعقلي عميق وواقعي بعيد عن اصطدامات وصراعات كلامية جافة.

2. أنه -رحمه الله- سعى واجتهد من خلال رسائل النور من أجل التعريف بالحياة الكريمة الحرة، مليئة بالأمن والأمان والطمأنينة من خلال اسس إيمانية واقتصادية واجتماعية، سليمة وصحيحة، ومستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وسيرة الخلفاء الراشدين وعلماء وقيادة المسلمين.

3. أنه -رحمه الله- فضل الاقتصاد والزهدي على متاع حياة الدنيا، بل الإعراض عنها، لكن تثبت رسالته القيمة «الاقتصاد» أنه كما رجل إيماني، فهو رجل اقتصاد متوازن، وأنه من خلال رسالته «الاقتصاد» عالج- بحكمة وعمق و أسلوب إيماني- المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي تواجه المجتمعات البشرية بسبب التعامل الخاطئ للناس مع عنصر من عناصر الاقتصاد- الاستهلاك.

4. اتضح أن محتويات «رسالة الاقتصاد» عبارة عن أسس ومبادئ صحيحة سهلة لبناء

1 يراجع: رسالة الاقتصاد، ص10.

- السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون الطبعة والتاريخ.
4. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر 1979م.
5. لسان العرب، محمد بن مكرم، ابن منظور (ت: 711هـ)، دار صادر - بيروت، 1414 هـ.
6. قاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1، 2005 م.
7. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، بدون تاريخ الطبعة.
8. تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر أن دوزي (ت: 1300هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد سليم النعيمي، جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط1، 1979م.
9. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط1، 2008 م، 1/122.
10. جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير، الطبري (ت: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000 م.
11. شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، (ت: 792هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 2005 م.
12. الفوائد، محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط2، 1973 م.
13. التمهيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت: 463هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، 1387 هـ.

14. إشارات الإعجاز، بديع الزمان سعيد النورسي، شركة سوزلر - القاهرة - مصر، ط6، 2011 م.
15. الشعاعات، بديع الزمان سعيد النورسي، شركة سوزلر - القاهرة - مصر، ط6، 2011 م.
16. المحكم و المحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيد المرسي (ت: 458 هـ)، المحقق: عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 2000 م.
17. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، دار ابن حزم - بيروت - لبنان، ط1، 2004 م.
18. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3، 1420 هـ.
19. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، المعروف بالخازن (ت: 741هـ)، المحقق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415 هـ.
20. مسند ابن أبي شيبة، مسند ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، (ت: 235هـ)، المحقق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي، دار الوطن - الرياض، ط1، 1997م.
21. التيسير بشرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض - ط 1988 م.
22. مسند البزاز، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، المعروف بالبزاز (ت: 292هـ) مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط1، 1988م.
23. فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي، مكتبة التجارية الكبرى، ط 1356 هـ.
24. رسالة الاقتصاد، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، مكتبة دار الحكمة - كركوك، مكتبة الحوادث - بغداد، ط1، 1994 م.

25. الاقتصاد الإسلامي - مدخل ومنهاج-، عيسى عبده، دار الاعتصام - القاهرة، ط1، 1974

م

26. توازن الموازنة العامة، د. حمدي محمد صالح، دار النفائس-عمان-الأردن، ط1، 2013 م.

27. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ)، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض ، ط1، 2003م.

28. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي - بيروت.

29. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: 256هـ)، دار الشعب - القاهرة، ط1 ، 1987م.

30. دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان، ط1، 2002 م.

31. موسوعة القضايا الفقهية المعاصرة والاقتصاد الإسلامي، د. علي أحمد السالوس، بلال بن رباح للنشر والتوزيع- مكتبة دار القرآن، جمهورية مصر العربية، ط13، 2013 م.

32. علم الاقتصاد الإسلامي في ضوء مقاصده، د. أشرف محمد دوابة، دار المقاصد-القاهرة- مصر، ط1، 2015 م.

33. حماية المستهلك في عقد الإذعان، محمد إبراهيم بنداري، بحث مقدم في ندوة في الإمارات المتحدة- كلية الشريعة والقانون، 1998م.

34. الموسوعة العربية العالمية، مجموعة من العلماء والباحثين، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1999 م.

35. بناء المجتمع الإسلامي، د نبييل السم الوطي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط3، 1998 م.

36. الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول، محمد شوقي الفنجري (ت: 1431هـ)،

37. الفقه الإسلامي وأدلته، أ. د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر - سورية - دمشق ، ط4.

38. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: 774هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1419 هـ.

39. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، أبو محمد الحارث بن محمد، المعروف بابن أبي أسامة (ت: 282هـ)، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة، ط1، 1992 م.

40. تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ)، دار التراث - بيروت، ط2، 1387 هـ.

41. الكلمات، للبدیع الزمان، بديع الزمان سعيد النورسي، شركة سوزلر - القاهرة- مصر ، ط6، 2011 م.

42. الملاحق، بديع الزمان سعيد النورسي، شركة سوزلر - القاهرة- مصر ، ط6، 2011 م.

43. المكتوبات، بديع الزمان سعيد النورسي، شركة سوزلر - القاهرة- مصر ، ط6، 2011 م.

44. الوجيز في الاقتصاد الإسلامي، محمد شوقي الفنجري، دار الشروق - القاهرة، ط1، 1994

م

45. أساسيات الموازنة العامة للدولة- المفاهيم والقواعد والمراحل والاتجاهات الحديثة، دار الفجر والنشر والتوزيع، ط1، 2004م.

الإيمان وفائدته في الوقاية من الجريمة في ضوء رسائل النور

أ.م.د. عوض جدوع أحمد
جامعة ديالى / كلية العلوم الإسلامية

ملخص

يهدف هذا البحث إلى بيان دور الإيمان وفائدته في الوقاية من الجريمة في ضوء رسائل النور ، وذلك بتوضيح مفهوم الجريمة ومعرفة اتجاهات تفسيرها في اللغة والاصطلاح، مع بيان أثر رسائل النور في ترسيخ الإيمان وتعزيزه في النفوس البشرية وما ينجز عن ذلك من تكوين روحي ونفسي كامل وجيد للفرد، بالإضافة إلى معرفة دور الإيمان في الوقاية من الجريمة في ضوء رسائل النور ، التي تجعل من الإنسان عنصراً صالحاً غير منحرف داخل المجتمع لما يعتقد في نفسه ويقوم به من سلوك وعمل صالح. مع بيان نماذج من الأساليب الرقابية العامة التي تناولها النورسي بالبحث ، وهي رقابة الدولة ، ورقابة المجتمع ، ورقابة الضمير ، وذلك دون إغفال حث الأفراد على التحلي بمكارم الأخلاق المختلفة والتي تمثل ضرورة إنسانية تنهار بدونها الروابط الاجتماعية، فكل هاته الأساليب الرقابية – تشكل دون أدنى شك – أنجع الحلول للوقاية من الجريمة قبل وقوعها.

الكلمات المفتاحية: الإيمان ، الجريمة ، رسائل النور ، النورسي.

Abstract

This research aims to clarify the role of faith in the prevention of crime in the light of the letters of light, by clarifying the concept of crime and knowing

the directions of its interpretation in language and terminology, with an explanation of the impact of the letters of light on consolidating and strengthening faith in human souls and what it accomplishes from a complete spiritual and psychological formation It is good for the individual, in addition to knowing the role of faith in the prevention of crime in the light of the messages of light, which make a person a good and not deviant element within the community because of what he believes in himself of faith and does good behavior and work. With an explanation of examples of the general control methods that Nursi dealt with in the research, namely, state control, community control, and conscience control, without neglecting to urge individuals to display various noble morals, which represent a human necessity without which social ties collapse. The most effective solutions to prevent crime before it occurs.

Keywords: faith, crime, letters of light, Nursi.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى اله وصحبه أجمعين،
وبعد:

إن الجريمة قديمة قدم الإنسان ، بل سابقة عليه ، إذا أخذنا بالاعتبار ما ذهبت إليه الملائكة من أن آدم u سيفسد في الأرض ويسفك الدماء: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[البقرة: 30] ، لأن استفهامهم لا يستند إلى علمهم بالغيب ولا يقوم من فراغ بقدر ما هو بيان لواقع حاصل ، وقياس لمماثل صدقته وقائع الأيام ، فقد رافقت الجريمة الإنسان منذ خلقه الله تعالى ولازمته على مر العصور ، بل زادت كماً ونوعاً بقدر توغل الإنسان في المدنية والحضارة. ولن تنفك عنه ما بقي على الحياة ولن يخلو منها مجتمع من المجتمعات.

وقد امتازت الشريعة الإسلامية عن سائر التشريعات السماوية منها والوضعية ، بأن نظامها في محاربة الجريمة كان محكماً ، وذلك لما تعتمده من سياسة وقائية حكيمة قبل انحراف المجرم ارتكابه الجريمة، والتي تتمثل أساساً في ترسيخ الإيمان وتعزيزه في النفس البشرية ، فهو الركيزة الأساس والدعامة الثابتة والوسيلة الفاعلة في تهذيب سلوك الأفراد ومنعهم من ارتكاب الجرائم.

ولقد وجد الباحث بعد طول نظر وتأمل في رسائل النور أن هذا الموضوع على قدر كبير من

مجرم، وأجرم جنى جنائية، والجاني والمجرم: المذنب ، وتجرم علي فلان: ادعى علي ذنباً لا أعلمه¹، وفي الحديث: « إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً، من سأل عن أمر لم يحرم، فحرم على الناس من أجل مسألته » ويقال أيضاً: جَرَمَ جَرْمًا مِنْ بَابِ ضَرَبَ: أذْنَبَ وَكُتِبَ الْإِثْمُ².

والجريمة في الاصطلاح: اذا اخذنا بالمنظور الإسلامي العام للجريمة واعتبار كل مخالفة لأمر الله تعالى فعلاً أو تركاً جريمة يستحق عليها العقاب الدنيوي أو الاخروي سواء كانت مما يجري عليها الإثبات كالسرقة والزنا أم لا يجري عليها الإثبات الكذب والخداع، كان معنى الجريمة -كما قرره الفقهاء - إتيان فعل محرم معاقب على فعله، أو ترك فعل محرم الترك معاقب على تركه³،

ولعل هذا المعنى يتضمن جميع مفردات: المخالفة، الجريمة، الإثم، الخطيئة، المعصية⁴. ثم إن الجريمة بهذا المعنى لا تختلف من الناحية الشكلية عما هي عليه في القوانين الوضعية التي تعرف الجريمة بأنها: «الفعل الذي يعاقب عليه القانون»⁵، وقطعاً فإن القانون لا يعاقب إلا على مخالفة ما أمر به أو نهى عنه، إلا إن هناك في الحقيقة خلافاً واسعاً بين المنظور الشرعي والقانوني للجريمة من الناحية الموضوعية.

فالشرع لا يكتفي بالظاهر بل يتناول الباطن وما تضره النيات وتحاسب عليه، فيما يعني القانون بالظاهر، يقول كلينارو (.. فمن أجل أن يثير الانحراف رد فعل في المجتمع يجب أن يكون له حداً أدنى من الوضوح أي يجب أن يكون واضحاً للآخرين وأن يوصف بأنه انحراف)⁶. وهذا يعني أن الفعل إذا لم يكن واضحاً ظاهراً للناس موصوفاً بالتجريم لا يعد جريمة، وهذا يخالف ما عليه التشريع الإسلامي الذي وإن أُرشد إلى أن الإنسان قد يقع في المعاصي وإن عليه الستر وعدم المجاهرة، إلا إن سترها وعدم كشفها للآخرين لا يعفى فاعلها من الإثم والعقوبة الاخروية، وإن أفلت من العقوبة القانونية الدنيوية،

1 ابن منظور: محمد بن مكرم (1414هـ) لسان العرب: ط3، بيروت: دار صادر، (91 / 12)

2 النيسابوري: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، رقم (2358) (4 / 1831) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

3 الفيومي: أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: بيروت، المكتبة العلمية، (1 / 97)

4 عودة: عبد القادر، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، بيروت، دار الكاتب العربي، (1 / 66)

5 أبو زهرة: محمد، (1974)، الجريمة والعقوبة في الفقه الاسلامي، دار الفكر (ص19)

6 رمضان: السيد، (1985) الجريمة والانحراف من المنظور الاجتماعي، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث (ص114)

7 المصدر نفسه (ص18)

الأهمية في كتابات النورسي الإيمانية والدعوية والتربوية، وأن هناك أفكاراً نظرية ومعالجات عملية تسبب بإحكام ثقافة نشر الإيمان ومكافحة الجريمة بل والحيلولة دون وقوعها بما يخدم الحياة الإنسانية على الصعيدين الفردي والمجتمعي.

وهذا البحث إنما هو اسهام متواضع مني في هذا الجانب يستهدف تسليط الضوء على الإيمان وفائدته في الوقاية من الجريمة التي تعاني الإنسانية في العصر الحديث من ويلاتها وتبعاتها، من حيث معرفة دور الإيمان في الوقاية من الجريمة، ومن ثم وصف الأساليب الرقابية العامة سواء في الجانب الوقائي أو العلاجي في القضاء على الجرائم، وذلك في ضوء كليات رسائل النور للأستاذ القدير بديع الزمان سعيد النورسي، بوصفه -رحمه الله - أحد أبرز العلماء المعاصرين الذي عنوا بثقافة نشر الإيمان ومكافحة الجريمة في زمننا المعاصر.

واقتضت طبيعة البحث المختصر أن يتكون من: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

أما المقدمة: فتشتمل على بيان أهداف البحث، وخطته، ومنهجه.

وأما التمهيد: فيشتمل على مسألتين:

الاولى: تعريف الجريمة.

والثانية: بيان أثر رسائل النور في ترسيخ الإيمان في النفس البشرية.

وأما المبحث الأول: دور الايمان وفائدته في الحد من الجريمة في ضوء رسائل النور.

وأما المبحث الثاني: الأساليب الرقابية العامة للحد من الجريمة في ضوء رسائل النور.

وأما الخاتمة: فتشتمل على أبرز النتائج العلمية للبحث.

تمهيد

أولاً: تعريف الجريمة.

الجريمة في اللغة العربية: من الجرم؛ والجرم والجريمة: الذنب، والجمع أجرام وجروم، وأجرم فهو

قال تعالى ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7، 8].

ثانياً: بيان أثر رسائل النور في ترسيخ الإيمان في النفس البشرية.

الإيمان بالله تعالى وكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر وبالقدر شره وخيره، هو أول واجب عقلي وشرعي كلف به الفرد، فهو المنطلق لنموه وتطوره في الجانبين الروحي والمادي، فجسم بلا إيمان كالجماد بلا روح فالإيمان يكون لدى الفرد عقيدة قوية ترشده إلى سلوك طريق الخير، وتبعده عن طريق الشر، وهو أصل تقوم عليه الطاعات¹.

إذا ففضية الإيمان ليست قضية هامشية تتعلق برغبة الإنسان كي يغفل عنها أو يؤجلها إلى حين من ، بل إنها قضية ألقت بظلالها على حياة الإنسان وارتبطت بوجوده ومصيره، فأما السعاد الأبدية في الجنة أو الشقاوة الأبدية في النار، وقد شغلت حيزاً كبيراً من جهود واهتمام المفكرين والدعاة والمصلحين، فإن رسائل النور بنشأتها في أحضان الكتاب والسنة وتفاعلها مع الوقائع والأحداث التي عاشها بديع الزمان سعيد النورسي جعلت قضية الإيمان وترسيخ قيمه ومعانيه في نفوس الطلاب من أهم أولوياتها، فقد انطلقت هذه الرسائل من قناعة منطقية بأن تحقيق الإيمان هو أس أساس كل العلوم ، وهذا ما أكد عليه النورسي حيث يرى أن «أساس كل العلوم الحقيقية ومعناها ونورها وروحها هو معرفة الله تعالى، كما أن أس هذا الأساس هو الإيمان بالله جل وعلا»². وهذه القناعة هي التي وجهت اهتمام بديع الزمان وجعلته يكرس كل حياته لإنقاذ الإيمان ، وتقوية ارتباط المسلمين به ، فقال: «إن أزم شيء في مثل هذا الوقت وأجدى عمل وأجدر وظيفة هو إنقاذ الإيمان»³ ومن هنا بدأت قصة رسائل النور، حيث جعل هذه الرسائل ووظيفتها هي إنقاذ الإيمان فيقول عنها «إن خدمة رسائل النور هي إنقاذ الإيمان ، أما الطريقة والمشخة فهي تكسب المرء مراتب الولاية. وإن إنقاذ إيمان شخص من الضلال أهم بكثير واجزل ثواباً من رفع عشرة من المؤمنين إلى مرتبة الولاية؛ حيث أن الإيمان بمنحه للإنسان السعادة الأبدية يضمن له ملكاً أوسع من الأرض كلها ، أما الولاية فإنها توسع من جنة المؤمن وتجعلها أسطع وأبهر...»⁴.

ولذلك فقد ناضل في حياته في سبيل هذه المهمة الغالية ألا وهي مهمة خدمة الإيمان أولاً، وقد أدرك رحمه الله ذلك ،وأدرك أنه ينبغي أن يتدارك ما بقي من عمره في العمل لحياة أبدية ،وكذا منفعة الناس بتعليمهم الإيمان وإرشادهم إليه، فقال: «إنني أتقدم في الشيب ،ولا علم لي كم سأعيش بعد هذا العمر ، لذا فالأولى لي العمل لحياة أبدية. وهذا هو الأكرم. وحيث أن الإيمان وسيلة الفوز بالحياة الأبدية ومفتاح السعادة الخالدة. فينبغي إذا السعي لأجله»¹.

ولذا جاءت رسائله مليئة بما يحدث على العمل في خدمة الإيمان ، ويفضلها على غيرها من الأعمال الاجتماعية التي تعود بالنفع على الآخرين ، وقد أكد على ذلك بقوله: «أني عالم ديني مكلف شرعاً بإفادة الناس، لذا أريد أن أخدمهم من هذه الناحية أيضاً إلا أن هذه الخدمة تعود بالنفع إلى الحياة الاجتماعية والدينية، وهذه ما لا أقدر عليها، فضلاً عن أنه يتعدى القيام بعمل سليم صحيح في زمن عاصف، لذا تخليت عن هذه الجهة وفضلت عليها العمل في خدمة الإيمان التي هي أهم خدمة وألزمها وأسلمها، وقد تركت الباب مفتوحاً ليصل إلى الآخرين ما كسبته لنفسي من حقائق الإيمان وما جربته في نفسي من أدوية معنوية؛ لعل الله يقبل هذه الخدمة ويجعلها كفارة لذنوب سابقة»² ، بل يستثمر النورسي -رحمه الله - كل فرصة تسنح له ليعود إلى الموضوع الأساسي لرسائل النور ألا وهو خدمة الإيمان ، لذا نجده يعود المرة تلو الأخرى ليؤكد أن خدمة الإيمان هي المهمة الجليلة التي يجب أن يلتفت لها الإنسان ، فيقول: «إن المهمة الجليلة في هذا الوقت هي خدمة الإيمان ؛ إذ هي مفتاح السعادة الأبدية»³ ويقول في موضع آخر: «خدمة الإيمان فوق كل شيء»⁴.

فالإيمان هو المنطلق والأساس الذي يبني عليه الإنسان حياته ،وهو الموجه والمحدد لتصرف الإنسان ، فإما يكون الفلاح والبناء وتحقيق أفضل النتائج، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: 1] أو الخسران والتردي إلى أدنى المستويات ، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: 1 - 3] هذا النوع من الإيمان هو الذي يستطيع أن ينظم للإنسان حياته ، ويكبح جماح نفسه الأمانة بالسوء ، وقد جاءت رسائل النور لإحياء هذا الإيمان في نفوس المسلمين ، وإنقاذه من حبال شياطين الأوس والجن ، كما يؤكد ذلك بقوله: «إن الإيمان

1 بنت أبو بكر: أنيس ويزانا، (2007)، التدايبر الوقائية من الزنا في الفقه الإسلامي وتطبيقها في ولاية ترنجانو، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، ص 7.

2 النورسي: بديع الزمان سعيد ، (2011) الكلمات،(ت: إحسان الصالح) ط6 ، القاهرة ، شركة سوزلر للنشر ، ص355

3 النورسي: بديع الزمان سعيد ،(2011) الملاحق (ت: إحسان الصالح) ط6 ، القاهرة ، شركة سوزلر للنشر ، ص108

4 المصدر نفسه ، ص126

1 النورسي: بديع الزمان سعيد ،(1992) المكتوبات (ت: إحسان الصالح) ط4 ، القاهرة ،شركة سوزلر للنشر، ص78.

2 المصدر نفسه.

3 النورسي: الملاحق ، مرجع سابق ، ص75

4 المصدر نفسه ، ص137.

الأثر الثاني: القوة.

يقول في الكلمة الثالثة والعشرون: «كما أن الإيمان نورٌ وهو قوةٌ أيضاً. فالإنسان الذي يظفر بالإيمان الحقيقي يستطيع أن يتحدى الكائنات ويتخلص من ضيق الحوادث، مستنداً إلى قوة إيمانه فيبحر متفجعاً على سفينة الحياة في خضم أمواج الأحداث العاتية بكمال الأمان والسلام قائلاً: تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَيَسَلِّمْ أَعْبَاءَهُ الثَّقِيلَةَ أَمَانَةً إِلَى يَدِ الْقُدْرَةِ لِلْقَدِيرِ الْمَطْلُوقِ، وَيَقْطَعُ بِذَلِكَ سَبِيلَ الدُّنْيَا مَطْمَئِنًّا النَّبَالِ فِي سَهْوَةٍ وَرَاحَةٍ حَتَّى يَصِلَ إِلَى الْبَرِّخِ وَيَسْتَرِيحُ، وَمَنْ ثُمَّ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْتَقِعَ طَائِرًا إِلَى الْجَنَّةِ لِلدُّخُولِ إِلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ»².

الأثر الثالث: الرفعة والسمو.

يقول -رحمه الله -: «فذلك الإنسان الذي ما كان له أن يرقى إلى مستوى عصفور في تذوقه الحياة، أصبح الآن -يفضل الإيمان بالآخرة- ضيفاً مرموقاً في الدنيا، وكأننا سعيداً، ومخلوقاً ممتازاً فيها، يرقى فوق جميع الحيوانات، بل يصبح أحب مخلوق، وأكرم عبد عند رب الكون ومالكة»³.

ويقول في موضع آخر: «إن الإنسان يسمو بنور الإيمان إلى أعلى عليين فيكتسب بذلك قيمة تجعله لائقاً بالجنة، بينما يتردى بظلمة الكفر أسفل سافلين فيكون في وضع يؤهله لنار جهنم، ذلك لأن الإيمان يربط الإنسان بصانعه الجليل، ويربطه بوثاق شديد ونسبةٍ إليه، فالإيمان إنما هو انتساب، لذا يكتسب الإنسان بالإيمان قيمة سامية من حيث تجلي الصفات الإلهية فيه، وظهور آثار الأسماء الربانية على صفحة وجوده، أما الكفر فيقطع تلك النسبة وذلك الانتساب، وتغشي ظلمته الصنعة الربانية وتطمس على معالمها، فتتقص قيمة الإنسان حيث تنحصر في مادته فحسب، وقيمة المادة لا يعتد بها فهي حكم المعدوم، لكونها فانية، زائلة، وحياتها حياة حيوانية مؤقتة»⁴.

الأثر الرابع: النور.

يقول رحمه الله: « كما أن الإيمان نور يضيئ الإنسان وينورُهُ ويُظهِرُ بَارِزًا جَمِيعَ الْمَكَاتِبِ

مثلاً ينقذ الإنسان من الإعدام الأبدي أثناء الموت، فهو ينقذ دنيا كل شخص أيضاً من ظلمات العدم والانعدام والعبث»¹

ومن ثم فلا يمكن للإنسان أن يعيش بدون هذا الإيمان الذي يعتبر منبع النعم ، يقول « انني أقدم الى الخالق ذي الجلال حمداً لانهاية له، على ما وهبني من نور الإيمان الذي هو منبع جميع هذه النعم الإلهية غير المحدودة»². إن الايمان بخالق الوجود وحده هو الكفيل بإسعاد البشرية ، ذلك: « أن نظرة المؤمن إلى المصنوعات حرفي؛ إنما ينظر إليها لتدل على معنى في غيرها. ففي كل مصنوع وجهان: وجه ينظر إلى ذاته وصفاته الذاتية ، ووجه ينظر إلى صانعه وإلى ما تجلى إليه من أسماء فاطره »³. وبدون هذا الإيمان يصبح حياة الناس جحيماً لا يطاق ، وأحزاناً لا تنقطع ، وخسراناً ميبئاً. وهذا ما أكده بديع الزمان بقوله: « ثم إن معرفة الله نقطة استناد وحيدة للإنسان، تجاه تقلبات الحياة ودواماتها، وتزاحم المصائب وتوالي النكبات...»⁴.

وأمام هذا الإدراك الجلي لحقيقة الأمر ،وما ينبغي القيام به ،نريد هاهنا أن نبين - بشيء من الإجمال أيضاً- ما ينشئ عن الإيمان وينبني عليه من الآثار التي تنعكس على الإنسان وتعود عليه بإحكام بنائه وإتقان صياغته ، فرداً وأسرة ومجتمعاً ، في فكره وقلبه وروحه وسائر مقوماته المادية والمعنوية.

وهذه الآثار كثيرة الانبيثات في رسائل النور ، راسية في فكر النورسي ، نجتزئ ستة منها تعتبر أصولاً لما سواها ولبنات أساسية في حياة الإنسان.

الأثر الأول: السلطان.

يقول في الكلمة الثالثة والعشرون: « إِنَّ الْإِيمَانَ يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ إِنْسَانًا حَقًّا، بَلْ يَجْعَلُهُ سُلْطَانًا؛ لَذَا كَانَتْ وَظِيفَتُهُ الْأَسَاسُ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ تَعَالَى وَالِدَعَاءِ إِلَيْهِ، بَيْنَمَا الْكُفْرُ يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ حَيَوَانًا مَفْتَرَسًا فِي

1 النورسي: بديع الزمان سعيد ،(1993) الشعاعات ،(ت: إحسان الصالحي) ط4 ، القاهرة ،شركة سوزلر للنشر، ص 317

2 النورسي: بديع الزمان سعيد ،(2004) اللغات،(ت: إحسان الصالحي) ط4 ، القاهرة ،شركة سوزلر للنشر، ص384

3 النورسي: بديع الزمان سعيد (1995)، المتشوي العربي النوري ،(ت: إحسان الصالحي) ط1 ، القاهرة ،شركة سوزلر للنشر ، ص404

4 النورسي: بديع الزمان سعيد (2002)صيفل الإسلام،(ت: إحسان الصالحي) ط3، القاهرة ،شركة سوزلر للنشر، ص122.

1 النورسي: الكلمات ، مرجع سابق ، ص354

2 المصدر السابق ، ص352

3 النورسي: الشعاعات ، مرجع سابق ، ص279

4 النورسي: الكلمات ، مرجع سابق ، ص348

الجانب الأول: مسؤولية الفرد.

يقرر الإمام النورسي أن مسؤولية الفرد ووظيفته ستكون هي خدمة هذا الإيمان ، فيعلن عن ذلك قائلاً: « وأنا أقول مقتدياً بذلك البطل: إن وظيفتي هي خدمة الإيمان، أما قبول الناس للإيمان والرضى به فهذا أمر موكول إلى الله، فأنا عليّ أن أؤدي ما عليّ من واجب، ولا أتدخل فيما هو من شؤونه سبحانه»^١

الجانب الثاني: مسؤولية الأسرة.

يقول بديع الزمان النورسي في لهجته الصادقة الأمنية: « اجعلوا بيوتكم مدرسة نورية مصغرة، وموضع تلقي العلم والعرفان، كي يتربى الأولاد الذين هم ثمار تطبيق هذه السنة على الإيمان، فيكونون لكم شفعاء يوم القيامة، وأبناء بررة في هذه الدنيا»^٢.

الجانب الثالث: مسؤولية المجتمع.

ينادي في إخوانه وطلابه ومحبيه، طالبا منهم أن يجعلوا وظيفتهم كذلك خدمة الإيمان، فيقول لهم: "إخواني، إن وظيفتنا هي خدمة الإيمان والقرآن الكريم بإخلاص تام، أما توفيقنا ونجاحنا في العمل وإقبال الناس إلينا ودفع المعارضين عنا، فهو موكول إلى الله سبحانه، فنحن لا نتدخل في هذه الأمور، وحتى لو غلبنا فلا ينقصنا هذا شيئاً من قوتنا المعنوية ولا يقعدنا عن خدمتنا، فعلينا بالثقة والاطمئنان والقناعة انطلاقاً من هذه النقطة»^٣.

المبحث الأول:

دور الايمان وفائدته في الوقاية من الجريمة في ضوء رسائل النور

الجريمة سلوكٌ انسانيّ ، مردّه ما جبلت عليه النفس الإنسانية من أطماع ودوافع ،مصادق قوله تعالى ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣] كثيراً ما تأمر النفس البشرية بالسوء ، وفي هذا توضيح كافٍ لطبيعة عمل النفس؛ فهي ليست أمرّة بالسوء، بمعنى أنها تأمر الإنسان لتقع منه

الصمدانية المكتوبة عليه ويستقرؤها، كذلك فهو يُنير الكائنات أيضاً، ويُنفذ القرونَ الخالية والآتية من الظلمات»^١.

الأثر الخامس: اللذة المعنوية.

يقول رحمه الله: «واعلم يقيناً، أن اللذة الحقيقية في هذه الدنيا إنما هي في الإيمان وفي حدود الإيمان. وأن في كل عمل صالح لذة معنوية، بينما في الضلالة والغى آلام منغصة في هذه الدنيا أيضاً»^٢. ويكرر هذا المعنى قائلاً: « كذا الحياة.. فان كنتم تريدون ان تستمتعوا بالحياة وتلتذوا بها فاحيوا حياتكم بالإيمان وزَيِّتوها بأداء الفرائض، وحافظوا عليها باجتتاب المعاصي»^٣

الأثر السادس: الأدب الجم والتربية الراقية.

يقول رحمه الله: « لكي يملك الإنسان المزايا السامية كالأدب الجم والتربية الراقية فإن عليه أن يملك إيماناً قوياً»؛ ويقول: « من كان يريد السرور الخالص الدائم والفرح المقيم في الدنيا والآخرة، عليه أن يقتدي بما في نطاق الايمان من تربية محمد صلى الله عليه وسلم »^٤.

وبعد ، فهذه قطوف من روض رسائل النور لبيان أثرها في ترسيخ الإيمان في النفس البشرية ،وإن الحاجة ماسة في واقعنا المعاصر ، إلى فقه هذه الآثار ومعرفة دلالاتها، وترسم خطى منهج رسائل النور ومدرستها في تنزيل قيمها ومضامينها على الحياة.

كما أن الحاجة ماسة إلى خدمة الإيمان وبثه في القلوب والبيوت والمجتمعات ، لنعيد البناء ، ونصحح السير ،وفي رسائل النور مادة إيمانية خصبة صالحة لذلك ، حيث ربطت مسؤولية خدمة الإيمان وبثه في عدة جوانب من أهمها:

1 المصدر نفسه ، ص350

2 النورسي: اللغات، مرجع سابق ،ص313

3 النورسي: الكلمات ، مرجع سابق ، ، ص159

4 النورسي: الشعاعات ،مرجع سابق ، ص591.

5 النورسي: الكلمات ، مرجع سابق ، ص157

1 النورسي: بديع الزمان سعيد ،(2004) سيرة ذاتية ،(ت: إحسان الصالحي) 4 ، القاهرة ،شركة سوزلر للنشر،ص529

2 النورسي: الملاحق ، مرجع سابق ،ص:383

3 النورسي: سيرة ذاتية ، مرجع سابق ،ص529

المجتمعات في السنوات الأخيرة إلى موجه من اضطراب الأمن والاستقرار، والانحدار الخلقي، والتهاافت على الرذائل فضاعت الأمانة، والعهد بين الناس، فبعد أن كان الإنسان تلمه كلمه يقولها، ولا يتنازل عنها ما وسعه إلى ذلك سبيلا، أصبح لا يلزمه عقد موثق في المحكمة، بل يسلك مختلف الطرق للتحايل في نقضه وحله. فازدادت السرقة، والرشوة، وخداع الناس، وتعددت الأساليب وتنوعت، مستندة إلى الحضارة التي اكتسبتها مهارة وفناً فاستغاثت المجتمعات والجمعيات الدول، مما نزل بها وعقدت ندوات ومؤتمرات، وجريت تجارب ودراسات وإحصائيات وزيد أفراد الشرطة والأمن ومكافحه الأجرام، ولكن دون جدوى فالإحصائيات بالإضافة إلى شهادة الواقع تشير إلى أنها في ازدياد مطرد وبمختلف الجوانب، الأمر الذي يحتاج إلى وقفة للعلاج، بل وقرات على المستوى العام مدعو و الخاص من قبل الدولة.

وإذا أردنا أن نطرح جانباً، ما تقوم به الدولة ممثله بأجهزتها الرقابية المختلفة ممثله(بالشرطة، والأمن، والمكافحة) والتي تمثل رقابة الدولة على الأفراد داخل الدولة، وهي تحاول جاهدة القضاء أو التخفيف من حدة الجرائم باختلاف أنواعها، اقتصادية، أو اجتماعية، أو سياسية، أو أخلاقية ... ولكن دون جدوى ومازالت الجرائم بازدياد مطرد كماً ونوعاً، بل إن المجرمين بدأوا يتفننون في ارتكاب الجرائم بحيث يصعب كشفها والتعرف على مرتكبيها.

إذا أردنا أن ندع ذلك لنبحث في المنهج النوري لنرى ما يمكن أن يقدمه في هذا المجال فإننا نجد بديع الزمان النورسي يركز في رسائله على إيجاد الإنسان الصالح الذي يمثل اللبنة الأساسية في المجتمع الإسلامي، بتربيته على العقيدة الإسلامية وأصولها القائمة على الإيمان بالله ومعرفة، يقول رحمه الله: « إن حكمة مجيء الإنسان إلى هذه الدنيا والغاية منه، هي: معرفة خالق الكون سبحانه، والإيمان به، والقيام بعبادته، كما أن وظيفة فطرته وفريضة ذمته، هي: معرفة الله والإيمان به.. نعم، إن الإنسان ضعيف الذي ينشد فطرة الحياة الدائمة الخالدة، والعيش الأبدي الرغيد، والذي له آمال بلا حدود والآلام بلا نهاية، لا بد أن تكون جميع الأشياء والكمالات هابطة تافهة بالنسبة إليه، بل ليس لأكثرها أي قيمة تذكر، ما عدا الإيمان بالله ومعرفة..»¹. كما أن الإيمان بالله ومراقبته وخشيته مما يحي في الإنسان وازع من داخل نفسه ينبهه ويردعه كلما سولت له السعي وراء الشر، ذلك هو الضمير أو النفس اللوامة، قال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِبَيْتِ الْقِيَامَةِ (1) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ [القيامة: 1، 2]. و هي نفس المؤمن، تلومه على ما فات، تلومه على فعل الشر لم أقدم عليه وعلى الخير لم يكثر منه.

المعصية مرة واحدة وينتهي الأمر. لا، بل هي دائماً أمارة بالسوء، والسوء من المعاصي، والجرائم كلها معاصي¹. ولعل هذا هو قدر الإنسان في هذه الحياة، إذ هي دار ابتلاء واختبار للإنسان، وهو يعد نفسه للأخرة، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾ [الملك: ٢] وقال أيضاً: ﴿وَنَبِّئُوهُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥] أي ان الله تعالى يصيب الانسان ويعرضه للخير والشر ليلزمه الحجة يوم القيامة، فإذا كان الأمر كذلك فإن الناس يباشرون عناصر الخير والشر، بقدر ابتعادهم أو اقترابهم وتمسكهم بالمنهج الإلهي القويم.

ومن هنا يرى النورسي أن الله خلق الشياطين والملائكة جميعاً ممثلين للشر والخير، وإن الشيطان بدساتسه يلبس الحق بالباطل ويلبس الباطل بالحق، فيوهم الفرد بتصديق الكفر، وبهداية الضلالة، وبالتشكيك في اليقين، وسوء الظن في الخير، إلى أن يخرب عقل الإنسان، ويفسد عليه حياته، وينسيه سعادته الباقية، ويلهيه بلذته وسعادته الفانية، ويجعله عنصراً فعالاً في تخريب مجتمعه وإفساد دينه القويم، وينزع عن قلبه الإيمان بالله ورسوله الأمين لمرشد للدين السديد². كما إن مباشرة الإنسان للشر ذات جوانب متعددة، فقد يمس الشر الإنسان وذاته، ومع هذا يعتبر تصرفه جريمة؛ لأن آدم عليه السلام لم يهضم حقاً لأحد عدا ما فرط في جنب الله بحق نفسه من نسيان أمر الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَسِيٍّ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه: ١١٥] ومع هذا اعتبر تصرفه جريمة استحق عليها العقوبة ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١].

وقد يتناول الشر حقوق الأفراد، كما يتناول حق المجتمع أو حق الله تعالى. وأيا كان نوعه فإنه يشكل جريمة وسلبية ينبغي القضاء عليها أو الحد منها لأن انتشارها في عموم المجتمع سيؤدي الى اضطراب المجتمع وضياح الأمن والاستقرار، فالقتل، والسرقة، والرشوة، والاعتصاب، وقطع الطريق، وأكل أموال الناس بالباطل، والاحتكار، والكذب، والخداع، والخيانة، والنميمة والرياء... ونحوها تشكل جرائم يستحق عليها الفرد العقوبة المقررة في الشريعة الإسلامية، دنيوية كانت أو اخروية.

انتشار هذه الجرائم وأمثالها- كما هو حاصل في المجتمعات الحديثة- أخذ يهدد الإنسان في وجوده، والمجتمع في استقراره وتماسكه، والأمم في بقائها، والواقع خير دليل على ذلك فقد تعرضت

1 الشعراوي: محمد متولي، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم. (11/ 6992)

2 النورسي: اللغات، مرجع سابق، ص114-113

1 النورسي: الشعاعات، مرجع سابق، ص135

أو زاجر، فقد تبغي بعض النفوس الضعيفة ولا ينفع معها منهاج الإسلام القويم في صلاح الإنسان فتتطلع إلى الإجرام والاعتداء على حقوق الآخرين فقد « يغش الناصح ويخون الأمين»¹ كما يقول الماوردي. وقد أرجع الإمام النورسي ذلك إلى الظلم الناشئ عما كمن في جبلته² وأدمج في خلقته من القوى والأحاسيس والشهوات والدوافع الغريزية التي تدفع إلى الظلم والإجرام دعماً، فحينما ينص النورسي على ما تتمتع به الجبلية الإنسانية من القوى الثلاثة القوة الشهوية والغضبية والعقلية³ يكون مشيراً إلى أن في تركيبية الجبلية البشرية نوازع إلى الظلم ودوافع إلى الشر، فهي المصدر لكثير من الاعتداءات والجرائم عبر التاريخ وإلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. حتى إننا نرى الشيخ النورسي يتعدى إلى حد أبعد في الاستبانة عما يحتوي عليه النفس البشرية من محركات الفساد والإجرام إذ يقول: « إن الفاسق يتجاوز القوة العقلية عن حد الاعتدال يكسر رابط العقائد ويمزق القشر الحصين أي الحياة الأبدية.. ويتجاوز القوة الغضبية يمزق قشر الحياة الاجتماعية، ويتجاوز القوة البهيمية واتباع الهوى يزيل عن قلبه الشفقة الجنسية فيفسد ويورط الناس فيما تورط فيه فيكون سببا لضرر النوع وفساد نظام الأرض»⁴

فكان لابد من وسيلة للردع والزجر فكان تشريع العقوبات لذلك وهو يمثل العلاج لمن لم ينفعه الإرشاد والتقويم. وفي هذا السياق يتوسم الأستاذ النورسي بحكمته العميقة ويرى بفراسته الحكيمة: إن «الحد» أو «العقاب» عندما يقام امتثالاً للأمر الإلهي والعدل الرباني فإن الروح والعقل والوجدان واللطائف المندرجة في ماهية الإنسان تتأثر به وترتبط به، فلأجل هذا المعنى أفادتنا إقامة حد واحد طوال خمسين سنة أكثر من سجنكم في كل يوم! ذلك لأن عقوباتكم التي تُجرونها باسم العدالة لا يبلغ تأثيرها إلا في وهمكم وخيالكم، إذ عندما يقوم أحدكم بالسرقة يرد إلى خياله العقاب الذي ما وضع إلا لأجل مصلحة الأمة والبلاد ويقول: إن الناس لو عرفوا بأني سارق فسينظرون إلي نظرة ازدراء وعتاب، وإذا تبين الأمر ضدي ربما ترجني الحكومة في السجن.. وعند ذلك لا تتأثر إلا قوته الواهمة تأثراً جزئياً، بينما يتغلب عليه الميل الشديد إلى السرقة والنابع من النفس الأمانة والأحاسيس المادية - لاسيما إن كان محتاجاً- فلا ينفعه عقابكم لإنقاذه من ذلك العمل السيء. ثم لأنه ليس امتثالاً للأمر الإلهي فليس هو

أورد الإمام القرطبي في تفسيره كلام الفراء في بيان النفس اللوامة بقوله: « ليس من نفس محسنة أو مسيئة إلا وهي تلوم نفسها، فالمحسن يلوم نفسه أن لو كان ازداد إحساناً، والمسيء يلوم نفسه ألا يكون ارعوى عن إساءته»¹.

ومن هنا «فالنفس اللوامة» هي الأرقى في درجات النفوس، إلا أنها الأكثر تعباً، والأشدّ معاناةً والأرهب شعوراً، والأعنف توتراً، والأعظم تألماً، والأعمق حزناً، فهي لؤامة عتابة، نقادة عيابة، لا تعرف السكينة، لأنها ضمير الوجدان، والعصب الذي يهزه الغلط، ويوتره الانحراف، تلوم صاحبها إذا أخطأ، وتذكره إذا نسي، وتعنفه إذا اعوجَّ، وتوخزه إذا سكن إلى باطل، وتذره إذا مارس فسقاً أو أتى فجوراً. وتكبح جماعه، وتلجم أهواءه وهي في صراع دائم مع نفسه الثانية «الأمانة بالسوء» حين تطلُّ برأسها من مخبئها بين تارة وأخرى، فالحرب بينهما سجال، كرٌّ وفرٌّ هزيمة وانتصار، وهي البوصلة الهادية إلى الطريق المستقيم².

وللأستاذ سعيد النورسي كلام معبر عن هذه الحقيقة التي يجهلها كثير من الناس. قال -رحمه الله - : «أن السارق فينا في اللحظة التي يمد يده للسرقة يتذكر إجراء الحد الشرعي عليه، ويخطر بباله أنه أمر إلهي نازل من العرش الأعظم، فكأنه يسمع بخاصية الإيمان بأذن قلبه ويشعر حقيقةً بالكلام الأزلي الذي يقول: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ (المائدة:38) فيهيج عنده ما يحمله من إيمان وعقيدة، وتثار مشاعره النبيلة، فتحصل له حالة روحية أشبه ما يكون بهجوم يُشن من أطراف الوجدان وأعماقه على ميل السرقة، فيتشتت ذلك الميل الناشئ من النفس الأمانة بالسوء والهوى، وينسحب وينكمش، وهكذا بتوالي التذكير هذا يزول ذلك الميل إلى السرقة، إذ الذي يهاجم ذلك الميل ليس الوهم والفكر وحدهما، وإنما هو قوى معنوية من عقل وقلب ووجدان، كلها تهاجم دفعة واحدة ذلك الميل والهوى فيتذكر الحد الشرعي يقف تجاه ذلك الميل زجرٌ سماوي وراذع وجداني فيسكتانه»³.

ومع هذا فإن الإسلام لم يكتفي بالتربية الوجدانية والاعتماد على وازع الضمير، وتركه دونما رادع

1 الماوردي: علي بن محمد، الأحكام السلطانية، دار الحديث - القاهرة (ص: 40)

2 النورسي: للمعات، مرجع سابق، ص135

3 النورسي: بديع الزمان سعيد، (2002م)، إشارات الإعجاز (ت: إحسان الصالح) 3ط، القاهرة، شركة سوزلر، ص: 208

4 المصدر نفسه.

1 القرطبي: محمد بن أحمد، (1964 م)، تفسير القرطبي (ت: أحمد البردوني) ط2، دار الكتب المصرية - القاهرة (19/93)

2 الدباغ: إبراهيم أديب، (يوليو 2011م) من ملامح التربية السلوكية عند النورسي، مجلة النور للدراسات الحضارية الفكرية، تصدر عن مؤسسة استانبول للثقافة والعلوم، العدد 4، ص139-140

3 النورسي: صيقل الإسلام، مرجع سابق ص 522

وإذا كانت هذه الرقابة الوقائية تقوم على وسائل متعددة¹ فإن الإيمان يأتي في مقدمة هذه الوسائل. فهو الركيزة الأساسية والدعامة الثابتة والوسيلة الفاعلة في تهذيب سلوك الأفراد ومنعهم من ارتكاب الجرائم.

يقول الأستاذ رحمه الله: « إن الإيمان يقيم دائماً في القلب والعقل حارساً معنوياً أميناً، لذا كلما صدرت ميول فاسدة عن تطلعات النفس والنوازع والأحاسيس المادية قال لها ذلك الحارس الرادع: «محظور.. ممنوع..» فيطردها ويهزمها.² فالإيمان أساس الدين المنبه الداخلي الذي يلزم الإنسان فكراً وسلوكاً، ويوقظ ضميره ليراقبه ويحاسبه على أعماله ويحمّله على التحلي بمكارم الأخلاق، واتباع السلوك السوي، والتخلي عن السلوك المعوج الملتوي، وبالتالي احترام القانون، الذي أثبت الاختبار أن تنفيذه لا يمكن أن يعول على رهبة السلطة وممارساتها على المواطنين، وما تعانیه المجتمعات المعاصرة من مشكلات اجتماعية خطيرة، كالقتل والسرقة، وانتشار أعمال العنف والفجور والفوضى وتفكك الروابط التقليدية الانضباطية في البيت والمدرسة والمجتمع بسبب ضعف الإيمان، إلا دليل على أهمية الإيمان³.

وليس المراد من الإيمان مطلق الإيمان لأن الإيمان عند الإمام النورسي على ضربين، قال: «نعم إن الإيمان التقليدي معرض لهجمات الشبهات والأوهام، أما الإيمان التحقيقي فهو أوسع منه وأقوى وأمتن»⁴، ولا ريب أن هذا الضرب أقوى الضربين سلطاناً على النفوس الإنسانية وهو أشدها مقاومة لأعاصير الهوى وتقلبات العواطف، وأسرع نفاذاً في قلوب الخاصة والعامة، وقد رسم الأستاذ النورسي طريق الوصول إلى هذا الضرب من الإيمان بقوله: «إحدى طرق الوصول إلى هذا الإيمان التحقيقي هو بلوغ الحقيقة بالولاية الكاملة بالكشف والشهود، وهذا الطريق إيمان شهودي يخص أخص الخواص. أما الطريق الثاني فهو تصديق الحقائق الإيمانية بعلم اليقين البالغ درجة البداة والضرورة، وبقوة تبلغ درجة حق اليقين، وذلك بفيض سر من أسرار الوحي الإلهي من جهة الإيمان بالغيب وبطرار برهاني

1 هناك وسائل وقائية متعددة أهمها: الإيمان والعبادات والتربية وإيجاد القدوة الحسنة، وتكوين رأي عام فاضل عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتطبيق المسؤولية الاجتماعية أو ما يسمى بالدفاع الاجتماعي. ينظر: السالموطي: علم اجتماع العقاب، مرجع سابق، ص120.

2 النورسي: صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص523

3 المحمصاني: صبحي (دكتور)، (1979م)، الدعائم الخلقية للقوانين الشرعية، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، ص26-27

4 النورسي: الملاحق، مرجع سابق، ص262

بعدالة، بل باطل وفساد بطلان الصلاة بلا وضوء وبلا توجه إلى القبلة، أي إن العدالة الحقّة والعقاب الرادع إنما يكون إذا أُجريت امتثالاً للأمر الإلهي وإلا فإن تأثير العقاب يكون ضئيلاً جداً. فإذا قست على هذه المسألة الجزئية في السرقة سائر الأحكام الإلهية تترك أن السعادة البشرية في الدنيا مرتبهة بإجراء العدالة، ولا تنفذ العدالة إلا كما بيّنها القرآن الكريم.¹

وهذا يعني إن الإسلام يجعل الإنسان في رقابة دائمة سواء قبل ارتكاب الجريمة أو بعدها. فله رقابتان رقابة وقائية ورقابه علاجية، ولكل وسائلها وأهدافها التي تمثل حصناً يمنع الإنسان من الوقوع في الجريمة.

ولعل الرقابة الوقائية أهم في المرحلة الأولى، فهي تمثل حجر الزاوية في التشريع الإسلامي لأنها تعني فكر الإنسان وسلوكه عبر مجموعة من الإجراءات تشكل نظاماً محكماً ودقيقاً مكافحة الانحراف أصلاً. فالعقيدة والعبادات والتربية ونحوها وسائل أساسية في بناء النفس الإنسانية وتهذيب سلوكها، يقول الأستاذ رحمه الله «إن أفعال الإنسان إنما تصدر عن تمايلات القلب والمشاعر وهي تنبعث من شدة تحسس الروح وحاجتها، والروح إنما تهتز بنور الإيمان، فإن كان خيراً ففعله الإنسان، وإلا يحاول الانسحاب، وعندئذ لا تغلبه النوازع والأحاسيس المادية التي لا ترى العقبي!»³

ومن هنا فالرقابة الوقائية تمثل خط الدفاع الأول ليس في الجانب السلبي بمنع الإنسان من مباشرة الجريمة فحسب، بل في جانبها الإيجابي بمنع غيره من مباشرة أسبابها وارتكابها. هذا يعني أن الإسلام يركز على الوسائل التي تقي الإنسان من الانحراف واقتراف الجريمة ويعتبرها الأساس في منهجه، وأن المعالجة استثناء لمن شذ عن ذلك: «فهو النظام الوحيد الذي عرفته البشرية، والذي يعمل على منع الجريمة قبل وقوعه لا على معالجتها بعد أن تقع مثلما تفعل النظم البشرية»⁴.

1 النورسي: صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص523

2 السالموطي: نبيل (دكتور)، (1983) علم اجتماع العقاب، ط1، دار الشروق، جدة، ص116

3 النورسي: صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص523

4 قطب: محمد، (1977)، أثر التربية في مكافحة الجريمة، ص208

القلوب، ولهذا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يضيف إلى ذلك ما يوضح حقيقة الإيمان وهو العمل لأن مجرد الاعتقاد لا يكفي، بل ما وفر في القلب وصدقه العمل ، فقال ٢: «الإيمان معرفة بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأركان»^١. فالإيمان في منظور النورسي لا يخالف ما عرفه النبي صلى الله عليه وسلم آنفاً، فيقول في تفسيره لقول الله عز وجل: ﴿وَيَثْبِرَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥] وأما واو ((وَعَمِلُوا)) فإشارة بسر المغايرة إلى أن العمل ليس داخلاً في الإيمان كما قالت المعتزلة ، وإلى أن الإيمان بغير عمل لا يكفي.ولفظ العمل رمز إلى أن ما يبشر به كالأجرة..^٢.

ثم يقول مبينا أهمية العمل للإيمان: « فشمس الاعمال القلبية «الإيمان»، والفهرسة الجامعة للأعمال القلبية «الصلاة» التي هي عماد الدين، وقطب الاعمال المالية «الزكاة» إذ هي قنطرة الاسلام»^٣.

ويقول بديع الزمان: إن الأهم الألزم بعد علوم الإيمان، إنما هو العمل الصالح؛ إذ القرآن الحكيم يقول على الدوام: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.الحج:14»^٤.

والإيمان بمفهومه الصحيح هو عماد اصلاح النفس البشرية واستقامة سلوكها، إنه يربي الضمير الإنساني الحي، ويجعل منه حارساً على حرمان الناس ، ولا شيء سوى الإيمان يصنع ذلك.

وقد يعترض البعض على ذلك بحجة انتشار الجريمة في المجتمعات الإسلامية التي تؤمن بالله وتؤدي شعائر دينها التعبدية. وهو اعتراض مردود، لأن الواقع ليس حجة على الإسلام الذي يرفض الشكلية الموروثة التي ليس لها نصيب في القلب والوجدان و لا أثر لها في منع الإنسان من مباشرة أفعال الشر والفساد، ولهذا ردت دعوى الاعراب بالإيمان، حتى تسري نفحاته في ضمائرهم ووجدانهم قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: 14] لأنه شكلية لا اثر لها في تربيته الإنسان وتوجيه سلوكه نحو الخير وإنما تتجاذبه الأهواء ،وهذا ما جعل النورسي ينظر إلى الإيمان باعتباره علماً وعملاً، فكراً وسلوكاً ، يقول: «: نريد

وقرآني يمتزج فيه العقل والقلب معا.^١ من أجل ذلك كان الإيمان التحقيقي بدروسه هو الركيزة الأساسية لقوة وفاعلية الرقابة في الإسلام، فنجده يقول: « إن دروس الإيمان التحقيقي، مع توجيهها الأنظار إلى الآخرة، تُعلم أن الدنيا مزرعةٌ للآخرة وسوقٌ ومعملٌ لها، وتدفع إلى السعي الحثيث في الحياة الدنيا، ثم إنها تُكسب القوة المعنوية المنهارة في غياب الإيمان قوةً، وتسوق اليائسين الساقطين في العطالة واللامبالاة إلى الشوق والهمة وتحثهم إلى السعي والعمل. فهل يرضى الذين يريدون أن يحيوا في هذه الدنيا بوجود قانون يمنع دروس الإيمان التحقيقي الذي يضمن لذة الحياة الدنيوية والشوق للعمل والقوة المعنوية للصدوم بوجه مصائب الدنيا الكثيرة، وهل يمكن أن يوجد قانون مثل هذا؟»^٢.

ويقول -رحمه الله - كذلك: «لقد قضى أهل الكشف والتحقيق أن الإيمان التحقيقي كلما ارتقى من علم اليقين إلى حق اليقين يستعصي على السلب فلا يسلب وقالوا إن الشيطان لا يستطيع أن يورث أحداً في سكرات الموت إلا إلقاء الشبهات بوساوسه إلى العقل فحسب. أما هذا النوع من الإيمان التحقيقي فلا يوقف في حدود العقل فحسب بل يسري إلى القلب وإلى الروح وإلى السر وإلى لطائف أخرى فيتسرخ فيها رسوخاً قويا بحيث لا تصل يد الشيطان إليها أبدا.»^٣

ولذلك نجد أن الأستاذ قد جعل من رسائل النور وغاية هدفها هو العمل من أجل هذا الضرب من الإيمان فقال: « إن أساس رسائل النور وهدفها هو إظهار الحقيقة القرآنية والعمل من أجل «الإيمان التحقيقي»»^٤

وهذا الضرب من الإيمان هو توضيح لمعنى الإيمان الوارد في قوله صلى الله عليه وسلم حينما سأله جبريل عليه السلام عن الايمان فقال صلى الله عليه و سلم: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»^٥.

والايمان بمعناه السلبي هنا يعبر عن العقيدة لأنه يعبر عن مجرد الاعتقاد الذي هو من أعمال

1 المصدر نفسه ، ص105-104

2 النورسي:سيرة ذاتية ، مرجع سابق ، ص167-266

3 النورسي: الملاحق ، مرجع سابق ، ص104

4 النورسي: الشعاعات، مرجع سابق ، ص439

5 النيسابوري: صحيح مسلم، مرجع سابق ، برقم (8) (1/ 37)

1 ابن ماجه: محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه (ت: محمد فواد عبد الباقي)، دار إحياء الكتب العربية برقم (65)(1/ 25)

2 النورسي: إشارات الأعجاز ، مرجع سابق ، (ص:198)

3 المصدر نفسه ، (ص:50)

4 النورسي: المثوي العربي النوري ،مرجع سابق (ص:216)

مراقباً لكي ترتدع النفوس الالهية عن غيها وتبتعد عن هذه الفذارات. ورسائل النور تضع مع كل شخص في كل وقت رقيباً معنوياً من جهة العمل الصالح ومن جهة الإيمان، وعندما يتذكر الإنسان سجن جهنم والغضب الإلهي فإنه يستطيع تجنب السوء والمعصية بسهولة..¹

وهذا ما جعل النورسي يفخر بتربية طلابه المستندة إلى رسائل النور فيقول مصرحاً به: «ثم إنه رغم كثرة طلاب رسائل النور، ورغم ما في أيديهم إلى هذا الحد من القوة والحق، لم يمسوا الأمن والنظام بشيء، بل لم يخل ألف طالب منهم بالحياة الاجتماعية بقدر ما يخل به عشرة أشخاص آخرين. وإن هذا الأمر مشاهد لمن كان له قلب غير فاسد.»²

المبحث الثاني: الأساليب الرقابية العامة للوقاية من الجريمة في ضوء رسائل النور

سبق في المبحث الأول الحديث عن دور الايمان وفائدته في تربية الإنسان ومنعه من ارتكاب الجريمة، من خلال شموله مختلف جوانب حياة الإنسان، فالخط البياني للسلوك الإنساني الفاضل لا يعبر عن الاطراد ولا الثبات بقدر ما يعبر عن الاختلاف والتفاوت بحيث يشكل هراً مقلوباً يعكس أنواع السلطة التي تراقب تنفيذ القانون وتحاسب عليه. فكما استطاعت السلطة النفاذ إلى مكونات الإنسان كلما كان نطاقها أوسع وأعظم أثراً من نفاذ الأخلاق الفاضلة في المجتمع لأن « أي تنظيم أخلاقي يسود في مجتمع من المجتمعات البشرية، إنما يتوقف نفاذه على السلطة التي تراقب تنفيذه وتحاسب عليه فمن نوع السلطة، ونوع الرقابة تتخذ الأخلاق طبيعتها وصورته العملية في واقع الأرض»³ فالدولة والمجتمع وضمير الفرد، تمثل أنواع السلطة التي يخضع الفرد لرقابتها، ولكننا إذا نظرنا إلى فاعلية كل واحدة من هذه الحلقات في سلوك الفرد نجد أنها مختلفة، وإن منها لا يمس إلا ظاهر الأمور أو الأشياء المنظورة والتي غالباً ما يحاول الإنسان الإفلات منها.

أولاً: رقابة الدولة:

وهذه الحلقة تمثل رأس الهرم فحينما تكون الدولة هي السلطة التي تراقب تنفيذ الأخلاق يكون الالتزام بها في أضيق نطاق⁴، وهذا يعود إلى أن الدولة وإن امتلكت وسائل عديدة للرقابة ممثلة بالأجهزة

أن تصدقوا قولكم بفعلكم»¹ ويقول أيضاً: «لو أننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الإسلام وكمال حقائق الإيمان لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعات وأفواجا، بل لربما رضخت دول العالم وقاراته للإسلام»².

فدعوى الايمان تحتاج الى برهان ، وبرهانها الاعتقاد الجازم المقرون بالعمل، ولهذا رد الله دعوى المنافقين الذين لم يتعد الايمان حدود سنتهم، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمْ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 8، 9] قال النورسي في تفسيرها: إذ «يقول» يرمز بمادته إلى أن قولهم ليس عن اعتقاد وفعل، بل يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم³.

والعقيدة الإسلامية من قبل ذلك وما بعده تحكم سلوك المؤمن فلا يأخذ ولا يدع إلا ما يرضي الله سبحانه وتعالى فهي موجه ذاتي يعمل داخل الإنسان لا يمكن أن يقوم مقامه تشريعات وضعية أو رقابة خارجية، إذ الوازع الخارجي هو أقل أثراً من الوازع الداخلي « أجل أن الإنسان يساق من باطنه لا من ظاهره وليست قوانين الجامعات ولا سلطات الحكومات بكافيين لإقامة مدينة فاضلة تحترم فيها الحقوق وتؤدي فيها الواجبات على وجهها الكامل ، فإن الذي يؤدي واجبه يرهبه من السوط أو السجن أو العقوبة المالية، لا يلبث أن يهمله متى اطمئن إلى أنه سيفلت من طائله القانون، ومن الخطأ البين أن نظن أن في نشر العلوم والثقافة وحدها ضمان إلى السلام والرخاء عن التربية والتثذيب الديني الخلفي»⁴.

ويقول النورسي مبيناً عدم كفاية الخوف من العقوبات الدنيوية لعلاج الجرائم الاجتماعية. « وأنا أقول: إن الدين ليس عبارة عن الإيمان فقط، بل العمل الصالح أيضاً هو الجزء الثاني من الدين، فهل يكفي الخوف من السجن أو من شرطة الحكومة لكي يبتعد مقترفو الكبائر عن الجرائم التي تسم الحياة الاجتماعية كالقتل والزنا والسرقة والقمار ويمتنعوا عنها؟ إذن يستلزم أن نخصص لكل شخص شرطياً

1 النورسي ، صيقل الإسلام ، مرجع سابق (ص427)

2 المصدر نفسه، (ص494)

3 النورسي: إشارات الإعجاز، مرجع سابق ، (ص: 90)

4 دراز: محمد عبد الله(دكتور) ،(2018) الدين..بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، وكالة الصحافة العربية (ناشرون)، الجيزة، مصر. (ص137-136)

1 النورسي: الشعاعات، مرجع سابق، ص338

2 النورسي: الملاحق ، مرجع سابق ، ص156

3 العربي: محمد عبد الله (دكتور) (1963)، النظم الإسلامية ، دار الفكر العربي ، ص47

4 المصدر نفسه ، ص36

العدالة أنحاء مملكتكم، فاقتدوا بسليمان - عليه السلام - واسعوا مثله إلى مشاهدة ما يجري في الأرض كافة، ومعرفة ما يحدث في جميع أرجائها. فالحاكم العادل الذي يتطلع إلى بسط راية العدالة في ربوع البلاد، والسلطان الذي يرفع شأن أبناء مملكته، ويشفق عليهم، لا يصل إلى مبتغاه إلا إذا استطاع الاطلاع - متى شاء - على أقطار مملكته وعندئذ تعم العدالة حقاً¹.

بناء على ذلك ، يسود العدل في المجتمع وتحفظ الحقوق والحريات ، ويرفع شأن الدين الذي به تصان الأعراض وتحفظ الدماء والأموال، مما يترتب عليه استقرار الحكم وأمن البلاد ، فإن العدل الشامل -كما قال الماوردي- يدعو إلى الألفة ويبعث على الطاعة وتعمر به البلاد وتتمو به الأموال ويكثر معه النسل ويأمن به السلطان.. وليس شيئاً أسرع في خراب الأرض، ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور، لأنه لا يقف على حد، ولا ينتهي إلى غاية، ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل².

تتقيد المراقب برسائل النور: لاهتمام النورسي البالغ بتحقيق رقابة الدولة وتحقيق العدالة حاول تتقيد القائمين على دوائر العدل والعاملين فيها من خلال خطابه لهم ، يقول: « وإن العاملين في دوائر العدل هم أشد حاجة من الموظفين الآخرين إلى القواعد و الدساتير السامية التي تتضمنها (رسائل النور)»³ بل يخاطب المسؤولين عن القضاء مباشرة « حيث إن واجب دوائر العدل هو الحفاظ على الحقوق ومنع المعتدين من التجاوز⁴».

ثانياً: رقابة المجتمع:

وإذا انتقلنا إلى الحلقة الثانية و هي المجتمع فإن نطاق الرقابة يتسع قليلاً ليشمل بعض جوانب النشاط الإنساني التي لا تستطيع الدولة الوقوف عليها، على أن فاعلية المجتمع وتأثيره على سلوك الأفراد يستند إلى نوع المجتمع في تماسكه وتفاعله، فإذا كان المجتمع مفككاً غير مترابط فإن الرقابة تقل عنها في المجتمع المترابط و تسوده الفوضى باسم الحرية الشخصية، إذ لا يسع المجتمع محاسبة الفرد على ما يقوم به من أفعال ذات أثر سيء على المجتمع.

ومن هنا نبه بديع الزمان النورسي على خطر الحرية المطلقة على المجتمع ويتجلى ذلك بقوله:

1 المصدر نفسه.

2 الماوردي: علي بن محمد،(1986م) أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة (ص: 139)

3 النورسي: الشعاعات، مرجع سابق، ص524-525

4 النورسي: الملاحق ، مرجع سابق، ص223

والأفراد إلا إنها غير قادرة مهما أوتيت من وسائل أن تراقب كل ما يقوم به الانسان لأن ذلك يتوقف على عوامل عديدة من بينها إن نطاق رقابتها يتوقف على وجود شخص القانون(المراقب) ورؤيته للسلوك المخالف ومدى ايمانه بما ينفذه ، ومدى تأثره بالمحسوبية والمنسوبية وأمانته واخلاصه في عمله، وحرصه على تنفيذ القانون. كل هذه العوامل تجعل من رقابة الدولة على سلوك الأفراد في أضيق نطاق فكم من الجرائم ارتكبت، والحقوق انتهكت علي مرئى وسمع من ممثل السلطة التنفيذية، إلا انه لم يحرك ساكن بل ربما ساعد على ارتكاب السلوك الإجرامي لقاء نفع شخصي، ولقد أدرك الأستاذ النورسي هذه الحقيقة وبحثها في كتاباته الكثيرة في رسائل النور ، وعند تتبعي لهذه الكتابات تبين لي أن أبرز الحلول التي نادى بها من أجل تعزيز رقابة الدولة وتحقيق العدالة فيها تتمثل في الحلول التالية.

الاحاطة بأحوال المجتمع: لما كان تنفيذ القانون وتطبيقه يقع على عاتق السلطة التنفيذية والقضائية، كان لا بد من القائمين على شؤون الحكم والقضاء الإحاطة بأحوال المجتمع ورقابة مجريات الأمور وتفاصيلها في الأمة ، ليكون من الممكن الحد من ارتكاب الجرائم وما يهمننا هنا هو أن الأستاذ النورسي طيب الله ثراه صرح بضرورة تأمين الدولة أو جهاز العدالة بعض الوسائل الحديثة كالتلف اللاسلكي والفاكس والإنترنت وغيرها حتى يتأتى للقائمين على الأمور أن يحققوا العدالة على أفضل مستوى وأشمله ويستلهم ذلك من قصة سليمان عليه السلام حيث يعقب النورسي على قوله تعالى ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠] قائلاً: " ولقد أتى الله سبحانه سيدنا سليمان عليه السلام الملك والنوبة معاً، وأكرمه بمعجزة يتمكن بها من الاطلاع المباشر بنفسه وبلا تكلف ولا صعوبة على أحوال رعاياه، ومشاهدة أوضاعهم، وسماع مظالمهم. فكانت هذه المعجزة مناط عصمته وصونه من الشطط في أمور الرعية. وهي وسيلة قوية لبسط راية العدالة على أرجاء المملكة... فهذه الآية تشير إشارة رائعة إلى إحضار الصور والأصوات من مسافات بعيدة. "¹.

وليس الأمر مقتصر على إحضار الأشياء عينا أو صورة بل فيه إشارة إلى منهج في الحكم يقوم على بسط العدالة في ربوع البلاد ، ويرعى شؤون أبناء مملكته ، ويشفق عليهم ، فكأن الله تعالى يخاطب الحكام من خلال تلك المعجزة قائلاً: « أيها الحكام! ويا من تسلمتم أمر البلاد! إن كنتم تريدون أن تسود

1 النورسي: الكلمات ، مرجع سابق، ص283-284

والتخلق بالأخلاق الفاضلة»^١. وأكد أيضا في ثنايا الرد عن استفسار في موضوع الحرية، قوله: «لقد فسروا لنا «الحرية» تفسيراً خاطئاً سيئاً، وكأن الإنسان مهما فعل -في كنف الحرية- من سفاهات وردائل وفضائح لا يؤاخذ عليها مادام لم يضر بها الناس... هكذا أفهمونا الحرية، أهي كذلك؟!». فذكر الأستاذ في سياق الجواب ما يشفي الغليل فقال: «إن الذين فسروها هكذا، ما أعلنوا إلا عن سفاهاتهم وردائلهم على رؤوس الأشهاد، فهم يهدرون متذرعين بحجج واهية كالصبيان، لأن الحرية الحسنة ما هي إلا تلك المتأدبة بأداب الشريعة والمتزينة بفضائلها، وليست تلك التي في السفاهة والردائل. بل تلك حيوانية وبهيمية وتسلط شيطاني، ووقوع في أسر النفس الأمارة بالسوء»^٢.

التحذير من المدنية النفعية وفلسفتها: فأوضح أن المدينة المعاصرة وفلسفتها تجعل المرء عبداً نفعياً و مصلحياً لا يهيمه إلا تلبية رغبات النفس و البطن و الفرج، بينما يجعل القرآن الكريم الإنسان عبداً ساعياً إلى الفضائل و نشرها. يقول " فالمدينة المعاصر تؤمن بفلسفتها أن ركيزة الحياة الاجتماعية البشرية هي " القوة " و هي تستهدف " المنفعة " في كل شيء، و تتخذ " الصراع " دستوراً للحياة، و تلتزم بالعنصرية و القومية السلبية رابطة للجماعات أما ثمراتها فهي إشباع رغبات الأهواء والميول النفسية التي من شأنها تأجيج جموح النفس وإثارة الهوى، ومن المعلوم أن شأن القوة هو (الاعتداء)، وشأن المنفعة هو (التزاحم)، وشأن (الصراع) هو (النزاع والجدال)، وشأن (العنصرية) هو (الاعتداء).. بينما يجعل القرآن " الحق " نقطة استناد في الحياة الاجتماعية، بدلا من "القوة"، و يجعل " رضى الله سبحانه " و نيل الفضائل هو الغاية، بدلا من " المنفعة "، و يتخذ دستور " التعاون " أساسا في الحياة، بدلا من دستور " الصراع "، و يلتزم برابطة " الدين "... لربط فئات المجتمعات بدلا من " العنصرية و القومية السلبية، و يجعل غاياته الحد من تجاوز النفس الأمارة و دفع الروح إلى معالي الأمور، و إشباع مشاعرها السامية لسوق الإنسان نحو الكمال و المثل العليا لجعل الإنسان إنسانا حقاً^٣.

اشاعة روح التعاون: أدرك النورسي أهمية تعاون المجتمع في تحقيق المصالح ودفع الإضرار، إذ بها ترقى الفطرة، ويعالج المجتمع مشكلاته، و قد ورد في ذلك قوله: « ولا يمكنه أن يحقق لنفسه منافع حياته ومصالحها ولا دفع الضرر عنها إلا بالتعاون والانخراط بالحياة الاجتماعية البشرية»^٤.

« إن تفسير الحرية والعمل بها على أنها التحرر من القيود والانغماس في السفاهات والملذات غير المشروعة، والبذخ والاسراف وتجاوز الحدود في كل شيء اتباعاً لهوى النفس، مماثل لمن يتحرر من أسر سلطان ظالم واحد، ويدخل في استبداد حقراء سافلين كثيرين»^١.

ومع هذا فإن اتصال الفرد بالمجتمع أكثر منه في الدولة، لأن حياته تتطلب أن يجري معاملات يومية متعددة تحتاج الى أخلاقيات معينه يحاسب عليها المجتمع ولا تخضع لإشراف أو رقابة الدولة، ولكن نطاق هذه الرقابة وإن كان أوسع من الدولة إلا انه لا يمكن أن يحيط بشؤون الانسان المختلفة، ولأن المجتمع لا يهيمه إلا ما يدخل في نطاق التعامل السهل بين الناس، فلا يهيم المجتمع في هذه الحالة أن تتحول الأخلاق إلى نفاق ورياء والى روح نفعية من جانب آخر^٢، فليس الفرد رداء القيم الأخلاقية الزاهي ليعوضه علي مسرح الحياة رياء يلقيه بعد العرض ولا يبقى شيء من ذلك في نفسه لأنه أطار خارجي، لا يمس جوهر الانسان وحقيقته، لتتحول الأخلاق بعد ذلك إلى وسائل نفعية ينفذها الناس بقدر ما ينتفعون بها، فإذا كانت تحتاج إلى توضيحات وتكاليف وجهود ينحدر الإقبال إليها، وبهذا تحول المجتمع الى منافق يربط على أكتاف الممتلكين المخادعين، و سحق بأقدامه الثقيلة أصحاب الأخلاق والفضيلة.

وقد بين النورسي أنواعاً متعدد من هذه المشكلات الاجتماعية في مختلف ميادين الحياة التي من شأنها أن تؤثر سلباً على رقابة المجتمع وفاعليته في الحد من وقوع الجرائم، واستمد حديثه عنها من واقع بيئته الميداني المعاش، وكان هدفه تنقية مجتمعه منها، وبخاصة أن بعضها قد يكون سبباً لمشكلات أخرى، وكأنه يحفز جميع أفراد المجتمع ليهيؤوا في وجه هذه المشكلات كلها، لعلاجها أو تقادي أسبابها من خلال الانضباط بالمعايير المحددة للحياة الإسلامية.

ترشيد الحرية الشخصية: فأوضح أن تفسير الحرية الشخصية بالمفهوم الغربي المناقض للدين يؤدي إلى تناقض القيم الوافدة مع القيم الإسلامية، وفي ذلك يقول النورسي: « يا أبناء الوطن لا تفسروا الحرية تفسيراً سيئاً كي لا تقلت من أيديكم... ذلك لأن الحرية تزهر بمراعاة الاحكام الشرعية وأدابها

1 النورسي: صيقل الاسلام، مرجع سابق، ص467

2 المصدر نفسه ص 392.

3 النورسي: الكلمات، مرجع سابق، ص468-469

4 المصدر نفسه، ص355

1 النورسي: سيرة ذاتية، مرجع سابق، ص85

2 العربي: النظم الإسلامية، مرجع سابق، ص36

فاذا كانت الدولة والمجتمع والفرد غير قادرين على إيجاد الإنسان السوي الذي يعبر سلوكه عما في داخله فلم يبق إلا حلقة واحدة حاسمة تمثل قاعدة الهرم لأنها تمثل الرقابة بأسمى صورها وأدقها وأشملها إنها رقابة الله تعالى الذي: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: 19] ﴿الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفرقان: 6].

فاذا كان الإنسان قادراً على الاختفاء والتمويه والتحايل على رجال القانون والدولة، واستطاع أن يراعي المجتمع وينافقه، فلا يمكنه ذلك مع الله تعالى لأن جميع البراقع والشكليات الظاهرة تسقط أمام رقابة الله تعالى لأنها تشمل الظاهر والباطن. ويؤكد ذلك النورسي قائلاً: «على الرغم من أن شرطة الحكومة وعيونها لا يمكنهم رؤيتي لكوني في خفاء عنهم، فإن ملائكة السلطان الأعظم ذي الجلال الذي يملك سجن جهنم ذلك السجن الأكبر الدائم يسجلون على سيئاتي.. فأنا إذن لست طليقاً مفلت الزمام، بل أنا ضيف عابر ذو مهمة..»¹.

وبناء على ذلك ، فإن قوة القانون لا تستطيع أن ترى وتتابع كل جريمة ولا أن تتعقب كل مجرم ، مما يؤدي إلى وقوع كثير من الجرائم بلا إثبات أو متابعة أو عقاب ، لكن رقابة الضمير هي التي تجعل طاعة الأحكام الدينية أو النصوص القانونية – التي تحتوي على مخالفة شرعية – منبعثة من أعماق النفس². وذلك من خلال إشعارها أن عين الله عليها ، وأن علم الله يتابعها ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعْلَمَهُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 29]. لان الله تعالى كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى الشكليات الزائفة بل الى جواهر الأشياء وحقائقها «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم» وأشار بأصابعه إلى صدره³. فالأفعال الظاهرة ليس لها أثر في ميزان الله تعالى إذا كانت تنطلق بلا رصيد شعوري مصاحب لها لأن هذا الشعور المبني على النية أساس في قبول أعمال الإنسان أو رفضها ، قال صلى الله عليه وسلم «إنما الأعمال بالنيات»⁴. وهنا يبين النورسي منزلة النية بقوله: إِنَّ النية ، إكسیرٌ عجيبٌ تَقَلَّبُ بخاصيتها العادات الترابية والحركات الرملية إلى جوهر العبادة.. فالنية روح، وروحها الإخلاص، فلا خلاص إلا بالإخلاص،

فاذا كانت الدولة والمجتمع تمثلاً لحلقتين هامشتين لضبط سلوك الافراد وترسيخ القيم الأخلاقية النبيلة بحكم طبيعة رقابتها، فأين اذن ترتكز فاعلية الرقابة؟.

ثالثاً: رقابة الضمير :

إذا انتقلنا إلى الحلقة الأخرى في سلسلة الرقابة ممثلة بالنفس اللوامة (رقابة الضمير) فإننا نجد إن نطاق الرقابة يتسع ليشمل جميع تصرفات الإنسان الظاهرة والباطنة.

وهذا من الناحية النظرية، أما من الناحية العملية والواقعية، فإن فاعلية ضمير الفرد في تركيز السلوك الأخلاقي يتوقف على عمق إيمان الفرد وتربيته على الفضائل وصموده أمام الشهوات والمغريات، فإن النفس الإنسانية بطبيعتها أمانة بالسوء و تتساق إلى اقتناص الملذات والشهوات إذا لم يكن هناك زاجر او رادع. قال تعالى ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجَمَ رَبِّي﴾ [يوسف: 53] وقد حذر «النورسي» طلبته من «النفس الأمانة» تحذيراً شديداً، ووصفها في رسائله بأنها نفس زئبقية لا تلبث على حال واحدة، وتتشكل بأشكال مختلفة، تطل برأسها إذا وجدت من صاحبها فرصة ضعف، وتتوارى إذا خافت، تلبس لكل حال من أحوال صاحبها الملبوس الذي يناسبه، وربما أفسدت على المطيعين طاعتهم وعلى المتعبدین عباداتهم، وعلى المخلصين إخلاصهم، وهي بارعة في المناورة والمراوغة والخداع، فصارت بذلك مبعث كل شر¹. يقول «النورسي» محذراً: «وهكذا... يا أخوتي... تأملوا جيداً وراقبوا أنفسكم لئلا تدعكم نفوسكم الأمانة بالسوء من زاوية قياس الآخرين بالنفس ومن حيث سوء الظن بالآخرين، ولا تساوركم الشبهة بأن 'رسائل النور' لا تربي طلابها»²

وقد أدرك الإمام النورسي رحمه الله أن استصلاح النفس وتزكيتها والسير بها في مدارج الكمال الإنساني رهين بمجاهدة النفس الأمانة بالسوء ومجاهدة الشيطان ودسائسه ، لذلك تجده يخاطب الإنسان قائلاً: «إنك إذا ألقيت السمع إلى النفس فستسقط إلى أسفل سافلين، وإذا أصغيت إلى الحق والقرآن فسترتقي إلى أعلى عليين وكننت في أحسن تقويم في هذا الكون»³.

1 النورسي: الشعاعات ، مرجع سابق ، ص281

2 جفالي: أسامة (الأستاذ) (2018) ، دور الشريعة الإسلامية في الوقاية من الجريمة ، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية ، جامعة المسيلة ، الجزائر ، العدد (9) (ص547)

3 النيسابوري: صحيح مسلم ، مرجع سابق ، برقم (2564/4) (1986)

4 البخاري: محمد بن إسماعيل، (1422هـ)، صحيح البخاري(ت: محمد زهير الناصر) ط1، دار طوق النجاة برقم (1) (6 /1)

1 الدباغ: ملامح التربية السلوكية ، مرجع سابق ، ص139

2 النورسي: الشعاعات ، مرجع سابق ، ص389

3 النورسي: الكلمات ، مرجع سابق ، ص371

الاجتماعية، وقوله: ﴿وَتَحُونُوا أَمَانَتَكُمْ﴾ المسؤولية الأخلاقية أمام الضمير¹.

وبهذا يتبين لنا أثر الإيمان وفاعليته في صياغة الإنسان الصالح المحاسب لنفسه بما خلقه في نفس الإنسان من رقابة ذاتية تستشعر رقابه الله عليها في كل حركة وسكنه وبالتالي تمنعه من الإقدام على ارتكاب ما نهى الله عنه أو ترك ما أمر به ، وهو وسيلة الرقابة الوقائية الأولى ودعامته الأساسية التي ركز عليها الإسلام في نصوص الشرعية وقواعده العامة.

ومن هذا المنطلق يرى بديع الزمان النورسي أن الإيمان الذي لا تخبوا جنوته رغم مرور الأيام والأشهر ، هو الذي يحد من الجريمة ، ويحقق الأمن الاجتماعي « ذلك لأن الإيمان الذي هو منبع الخلق الحسن والخصال الحميد ومنشؤها ، لن يخل بالأمن بل يحققه ، أما ما يخل بالأمن فهو عدم الإيمان بسوء خلقه وسجيته»².

والخلاصة التي ينتهي إليها النورسي أن الجرائم التي كانت ولا زالت معضلة جل المجتمعات تقض راحة الناس وتحيل حياتهم إلى خوف دائم وشقاء مستمر ، لا علاج لها إلا ببناء الرقابة الدينية الذاتية أو بعبارة أخرى رقابة الضمير في النفوس ، قال ردا على الذين قالوا: بأن « الوجدان هو مقام ومكان الدين ، فالدين لا يرتبط بالحكم ولا بالقانون ، إذ عندما ارتبط بهما في السابق ظهرت الفوضى الاجتماعية»³: « ان الدين ليس عبارة عن الإيمان فقط، بل العمل الصالح ايضاً هو الجزء الثاني من الدين، فهل يكفي الخوف من السجن او من شرطة الحكومة لكي يبتعد مقترفو الكبائر عن الجرائم التي تسم الحياة الاجتماعية كالقتل والزنا والسرقة والقمار ويمتنعوا عنها؟ إذن يستلزم ان نخصص لكل شخص شرطياً مراقباً لكي ترتدع النفوس اللاهية عن غيها وتبتعد عن هذه القذارات. ورسائل النور تضع مع كل شخص في كل وقت رقيباً معنوياً من جهة العمل الصالح ومن جهة الإيمان، وعندما يتذكر الإنسان سجن جهنم والغضب الإلهي فإنه يستطيع تجنب سوء والمعصية بسهولة...»⁴.

خاتمة

مما سبق عرضه في هذه الورقة البحثية ، أشير إلى نتائجها العلمية التالية:

1 دراز : دراسات في العلاقات الاجتماعية والدولية ، مرجع سابق ، ص 68.

2 النورسي: سيرة ذاتية ، مرجع سابق ، ص 258

3 النورسي: الشعاعات ، مرجع سابق ص 338

4 المصدر نفسه.

ويمكن بالنية... عملٌ كثيرٌ في زمانٍ قليل»¹. إضافة إلى أن الله سبحانه يعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور ، فهو المحاسب والمجازي يوم القيامة ، وإن افلاته من محاسبة المجتمع أو عقوبة الدولة لا يعفيه من العقوبة الاخرويه ، إلا أن يشاء الله بعد أن يتوب توبه نصوحاً، وهذه التوبة إنما تتبع من الإيمان. وهذا يعني أن الرقابة تحدث في النفس رهبة من الجريمة أقوى من رهبة الدولة والقانون ، وذلك طاعة لله تعالى وخوفاً من عذابه ، وقد أكد النورسي ذلك بقوله: إن الشباب والمراهقين الذين يملكون القوة والطيش؛ لا يمنعمهم من توجيه الظلم والتخريب إلى المجتمع إلا الخوف من نار جهنم ، ولولا ذلك لقلب أولئك الطائشون الدنيا إلى جحيم يتأجج على الضعفاء والعجائز ، حيث الحكم للغالب ، و لحولوا الحياة السامية إلى حياة حيوانية سافلة «². وانطلاقاً مما ذكر ، يتبين أن حياة الإنسان بعمومها خاضعة للرقابة، أيا كانت نوع هذه الرقابة. فهو محاط بملفات إذا أفلت هو من واحدة لم يفلت من الأخرى وإلى هذا المعنى أشار الدكتور محمد عبد الله دراز وهو يتحدث عن المسؤولية في القرآن الكريم مشيراً إلى أن القرآن يضعنا في نقطة مركزية محاطة بثلاث حلقات من المسؤولية أو الرقابة فيقول: انظروا في أنفسكم تجدوا محكمة، وانظروا من حولكم تجدوا محكمة، وانظروا من فوقكم تجدوا محكمة، محكمة الضمير في قلوبكم، ومحكمة البشر من حولكم، ومحكمة السماء من فوقكم، ولكل واحدة منها أمانة في أعناقكم سنحاسبكم عليها³ مستندا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرُّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[الأنفال: 27]

والخيانة ضد الأمانة - كما يقول الرازي- ويحتمل أن يراد بالأمانة كل ما تعبد به ، وعلى هذا التقدير: يكون معنى الآية إيجاب أداء جميع التكاليف بأسرها على سبيل التمام والكمال من غير نقص ولا إخلال، وأما الوجوه المذكورة في سبب نزول الآية، فهي داخله فيها، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب⁴ والملاحظ في هذه الآية يجدها جمعت في كلمات قليلة أنواع السلطات القضائية التي تتولى محاسبتنا فقوله: ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ﴾ هذه هي المسؤولية الدينية و((تخونوا الرسول)) المسؤولية

1 الدباغ: أديب ابراهيم ،(1983) مختارات من المتنوي العربي النورسي ،ط1، مطبعة الزهراء الحديثة ، الموصل، ص 28

2 النورسي: الكلمات ، مرجع سابق (ص 103)

3 دراز: محمد عبد الله (دكتور)،(1973) دراسات في العلاقات الاجتماعية والدولية، دار الفلم ،الكويت ص 67

4 فخر الدين الرازي: محمد بن عمر ، (1420 هـ). تفسير الرازي، ط3، دار إحياء التراث العربي - بيروت (15/ 475)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المراجع والمصادر

أولاً: مؤلفات الإمام سعيد النورسي:

1. النورسي: بديع الزمان سعيد (2002) صيقل الإسلام، (ت: إحسان قاسم الصالحي) ط3 ، القاهرة ،شركة سوزلر للنشر .
2. النورسي: بديع الزمان سعيد ، (2011) الكلمات،(ت: إحسان قاسم الصالحي) ط6 ، القاهرة ، شركة سوزلر للنشر .
3. النورسي: بديع الزمان سعيد ،(1993) الشعاعات ،(ت: إحسان قاسم الصالحي) ط4 ، القاهرة ،شركة سوزلر للنشر .
4. النورسي: بديع الزمان سعيد ،(2004) اللمعات،(ت: إحسان قاسم الصالحي) ط4 ، القاهرة ،شركة سوزلر للنشر .
5. النورسي: بديع الزمان سعيد ،(2004) الملاحق "في فقه دعوة النور " (ت: إحسان قاسم الصالحي) ط4 ، القاهرة ، شركة سوزلر للنشر ،
6. النورسي: بديع الزمان سعيد ،(2004) سيرة ذاتية ،(ت: إحسان قاسم الصالحي) ط4 ، القاهرة ،شركة سوزلر للنشر .
7. النورسي: بديع الزمان سعيد،(2002م)، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ، (ت: إحسان قاسم الصالحي) ط3 ، القاهرة ،شركة سوزلر للنشر .
8. النورسي: بديع الزمان سعيد (1995)، المثنوي العربي النوري ،(ت: إحسان قاسم الصالحي) ط1 ، القاهرة ،شركة سوزلر للنشر .

ثانياً: مراجع أخرى:

1. ابن ماجه: محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه (ت: محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء الكتب العربية

1. أن الجريمة في اللغة العربية: من الجرم؛ والجرم والجريمة: الذنب، والجمع أجرام وجروم، وأجرم فهو مجرم، وأجرم جنى جنابة، والجاني والمجرم: المذنب.
2. أن الجريمة في اصطلاح الفقهاء: إتيان فعل محرم معاقب على فعله، أو ترك فعل محرم الترك معاقب على تركه.
3. أن لرسائل النور وطلابه أثر إيجابي فاعل في ترسيخ الإيمان وتعزيزه في النفوس من خلال مقاومة الجريمة ، وتحقيق الأمن الاجتماعي .
4. أثبتت رسائل النور أن تأثير الإيمان في السلوك البشري عظيم جداً سواء على مستوى الفرد أو المجتمع أو الدولة ، فهو يلعب دوراً بارزاً في اتقاء الجريمة ، وذلك لما يحدثه من أثر إيجابي لدى النفوس البشرية ، فيعدل الفرد عن ارتكاب الجرائم التي نهى عنها الشرع ، فالإنسان الصالح المحاسب لنفسه يشعر بصلته الدائمة بالله عز وجل من خلال عباداته وسلوكه، فيكون بهذا بعيد عن المحارم متوقياً للمآثم ، لا يعرف الشر إلى نفسه سببياً ، ولا تعرف الجريمة إلى سلوكه طريقاً.
5. أن بديع الزمان سعيد النورسي عني في رسائل النور بإقرار مبدأ خدمة الإيمان وإنقاذه وعلاج ثقافة العدوان والاجرام ، وأسهم في هذا الجانب بإسهامات قيمة استند فيها على مبادئ الإسلام وقيمه العليا .
6. أن أبرز الأساليب الوقائية العامة للوقاية من الجريمة في ضوء رسائل النور ثلاثة أساليب، هي: رقابة الدولة ، رقابة المجتمع ، رقابة الضمير .

2. ابن منظور، محمد بن مكرم (1414هـ) لسان العرب: ط3، بيروت: دار صادر.
3. أبو زهرة: محمد (1974)، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، دار الفكر.
4. البخاري: محمد بن إسماعيل، (1422هـ)، صحيح البخاري(ت: محمد زهير بن ناصر الناصر) ط1، دار طوق النجاة.
5. بنت أبو بكر: أنيس ويزانا، (2007)، التدابير الوقائية من الزنا في الفقه الإسلامي وتطبيقها في ولاية ترنجانو، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في معارف الوحي والتراث، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.
6. جفالي: أسامة (الأستاذ) (2018)، دور الشريعة الإسلامية في الوقاية من الجريمة، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، جامعة المسيلة، الجزائر.
7. الدباغ: أديب ابراهيم، (1983) مختارات من المثنوي العربي النورسي، ط1، مطبعة الزهراء الحديثة، الموصل.
8. الدباغ: ابراهيم أديب، (يوليو 2011م) من ملامح التربية السلوكية عند النورسي، مجلة النور للدراسات الحضارية الفكرية، تصدر عن مؤسسة استانبول للثقافة والعلوم، العدد 4.
9. دراز: محمد عبد الله (دكتور)، (1973) دراسات في العلاقات الاجتماعية والدولية، دار القلم، الكويت.
10. دراز: محمد عبدالله (دكتور)، (2018) الدين..بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، وكالة الصحافة العربية، مصر.
11. رمضان: السيد، (1985) الجريمة والانحراف من المنظور الاجتماعي، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
12. السمالوطي: نبيل (دكتور)، (1983)، علم اجتماع العقاب، ط1، دار الشروق، جدة.
13. الشعراوي: محمد متولي، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.

14. العربي: محمد عبد الله (دكتور) (1963)، النظم الإسلامية، دار الفكر العربي.
15. عودة: عبد القادر، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي، بيروت، دار الكاتب العربي.
16. فخر الدين الرازي: محمد بن عمر، (1420 هـ). تفسير الرازي، ط3، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
17. الفيومي: أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: بيروت، المكتبة العلمية.
18. القرطبي: محمد بن أحمد، (1964 م)، تفسير القرطبي(ت: أحمد البردوني) ط2، دار الكتب المصرية القاهرة.
19. قطب: محمد، (1977)، أثر التربية في مكافحة الجريمة، بحث مقدم إلى الندوة العلمية لدراسة تطبيق التشريع الجنائي.
20. الماوردي: علي بن محمد، الأحكام السلطانية، دار الحديث - القاهرة.
21. الماوردي: علي بن محمد، (1986م) أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة.
22. المحمصاني: صبحي (دكتور)، (1979م)، الدعائم الخلقية للقوانين الشرعية، دار العلم للملايين، ط2، بيروت.
23. النيسابوري: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

وبهذه الرؤى يكون المشروع قد استوفى وأحاط بجميع مقومات البناء الحضاري الراشد - على الأقل في الجانب النظري-، الذي يقوم على دعامتين رئيسيتين هما: الدعامة الإيمانية - الروح والأخلاق-، والدعامة الكونية - التسخير والتعمير-، والمقصد من كل ذلك كله تحقق الأمة بمرتبة الشهود الحضاري.

دور الإيمان في ترسيخ بناء الحضارات - رؤية تحليلية في ضوء فكر بديع الزمان النورسي -

الكلمات المفتاحية: النموذج الحضاري؛ التأسيس؛ الإيمان.

أ.د. بودقزدام عمران. جامعة الجزائر

the role of faith In consolidating the building of civilizations

- Analytical vision in the light of the thought of Badi Al-Zaman Al-Nursi's-

Pr: BOUDEGZDAME AMRANE

ABSTRACT

In the conference's research paper, I seek to clarify Al-Nursi's perspective on the role of faith - as the fruit of the omnipresent and absolute divine conception of existence as a principle, method and purpose - in building the edifice of civilizations in general and Islamic civilization in particular, in terms of its intellectual ground, methodological elements, and basic purposes, with the emergence of The fruits that represent faith and its values in various joints of civilized construction such as politics and economy, and in various aspects of life.

In this context, we are also trying to consolidate Nursi's perspective in the civilizational construction that reflects the spirit of Islamic civilization with its reference origins and historical and contemporary experience, and we look forward to owning a comprehensive alternative that addresses the fundamental problems of the era. We offer them solutions that are qualitatively superior to those offered by the West, with the aim of pushing the human movement towards greater integration and human progress in the world of spirit and matter.

In the same context, we Detected the negative impact of the absence of faith on the lives of nations and civilizations, citing in the process of analyzing

الملخص:

أسعى في هذه الورقة البحثية لبيان منظور النورسي لدور الإيمان-بوصفه ثمرة التصور الإلهي الكلي المطلق للوجود مبدءاً ومنهجاً ومقصداً-في تشييد صرح الحضارات عامة والحضارة الإسلامية بخاصة، من حيث أرضيتها الفكرية وعناصرها المنهجية، ومقاصدها الأساسية، مع تجلية ثمرات تمثل الإيمان وقيمه في مختلف مفاصل البناء الحضاري، وفي شتى شعاب الحياة.

كما نحاول في هذا الإطار التأسيس لمنظور النورسي للبناء الحضاري يعكس روح الحضارة الإسلامية بأصولها المرجعية وتجربتها التاريخية والمعاصرة، ويتطلع لامتلاك بديل شامل يعالج مشاكل العصر الأساسية، مقدماً لها حلولاً تفوق نوعياً الحلول التي يقدمها الغرب، مستهدفاً الدفع بالحركة الإنسانية نحو مزيد من التكامل والرقى البشري في عالمي الروح والمادة.

وكشفنا في السياق نفسه الأثر السلبي لتغييب الإيمان عن حياة الأمم والحضارات، مستشهدين في عملية التحليل بواقع الحضارات الإنسانية اليوم، ويأتي كل هذا في إطار استصحاب رؤية النورسي لمسلك بناء الحضارات.

انتهينا من خلال عرض منظور النورسي لمنظومة النهوض الحضاري بالأمة إلى تأسسه على قاعدة الإيمان، التي يشيّد عليها بنيان متكامل يحوي كليات مترابطة ومتلاحمة، تتمثل في: فقه وقواعد الاستخلاف من التعمير، والتسخير، والتميز الحضاري والشهود الحضاري، وتمثل مبدأ الشمولية فقها وتطبيقاً.

the reality of human civilizations today. All this comes within the framework of Nursi's vision of the way to build civilizations.

We ended by presenting Al-Nursi's perspective on the system of civilizational advancement in the nation to its foundation on the foundation of faith, upon which an integrated structure is built that contains compact and cohesive, represented in: the integrity of Jurisprudence integrity and the rules of succession from reconstruction, harnessing, the integrity of Civilization Excellence and the integrity of Civilization Witnesses, and a integrity which represents the principle of inclusiveness in jurisprudence and application.

With these visions, the project has achieved and included all the elements of a rational civilizational construction - at least on the theoretical side - which is based on two main pillars: the pillar of faith - spirit and morals - and the cosmic pillar - harness and construction. - The aim of all this is for the nation to obtain the rank of civilized witnesses..

Keywords: civilized model, establishment, Faith

مدخل:

تستوقف المتتبع لمؤلفات النورسي الموسومة بـ«كليات رسائل النور» قضية مركزية تشكل حجر الزاوية في عملية البناء الحضاري، ومحور عملية التغيير والإصلاح، وهي قضية الإيمان الذي يثمر تمثلكلياته وتفعيلها تحقيق الارتقاء والاستيعاب والهيمنة والتجاوز، واستثمار التصورات، والمفاهيم، والقيم التي تؤسس الحضارة المنشودة من قبل الإنسان المستخلف.

ومن هذا المنطلق يشكل الإيمان في فكر النورسي ومشروعه الحضاري النواة وقطب الرحي التي تدور في فلكها كل أشكال الممانعة والمقاومة الفكرية والفلسفية، من بعث إيماني وإصلاح وتربية وتعليم وأخلاق، قصداً إلى تأسيس رؤية حضارية تستأنف دورة نهضوية متجددة تبعث الحياة في الأمة.

أسعى في ورقة المؤتمر البحثية لبيان منظور النورسي لدور الإيمان-بوصفه ثمرة التصور الإلهي الكلّي المطلق للوجود مبدءاً ومنهجاً ومقصداً-في تشييد صرح الحضارات عامة والحضارة الإسلامية بخاصة، من حيث أرضيتها الفكرية وعناصرها المنهجية، ومقاصدها الأساسية، مع تجلية ثمرات تمثل الإيمان وقيمه في مختلف مفاصل البناء الحضاري، وفي شتى شعاب الحياة.

كما نحاول في هذا الإطار التأسيس لمنظور النورسي للبناء الحضاري يعكس روح الحضارة الإسلامية بأصولها المرجعية وتجربتها التاريخية والمعاصرة، ويتطلع لامتلاك بديل شامل يعالج مشاكل العصر الأساسية، مقدماً لها حلولاً تفوق نوعياً الحلول التي يقدمها الغرب، مستهدفاً الدفع بالحركة الإنسانية نحو مزيد من التكامل والرقى البشري في عالمي الروح والمادة.

ونكشف في السياق نفسه الأثر السلبي لتغييب الإيمان عن حياة الأمم والحضارات، مستشهداً في عملية التحليل بواقع الحضارات الإنسانية اليوم، وموظفاً في ذلك كله رؤية النورسي لمسلك بناء الحضارات.

وعليه جاءت معالجتنا لموضوع هذه الورقة، وفق الخطوات الآتية:

أولاً: إشكالية البحث:

ننطلق في هذه الورقة البحثية من تساؤل مركزي يمكن تحريره على النحو الآتي: كيف شكل الإيمان بكلياته-بنظر النورسي-عاملاً مفصلياً في ترسيخ بناء الحضارات وتصحيح مسارها؟

يتفرع عن هذا التساؤل المركزي تساؤلان فرعيان هما:

ما آثار تغييب الإيمان عن مسلك البناء الحضاري؟

ما منظور النورسي للبناء الحضاري الراشد؟

يتوقف بلورة مفاهيم الورقة البحثية بشكل كبير على فعالية مناهجه وآلياته، المؤسسة على الوضوح المنهجي، والمرتكز على منهجية جلية.

ثانياً: منهجية الورقة البحثية:

وظفنا المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي، فهو استقرائي من حيث مسح مجموع الرؤى والأفكار المبتوثة في كتب النورسي الوثيقة الصلة بتجلية موقع الإيمان في ترسيخ البناء الحضاري، ورؤيته لكليات البناء الحضاري، وهو تحليلي من زاوية التعمق في رؤى النورسي، قصداً لإبراز نسقها الناظم لتشكل مشروعاً متكاملًا واضح المعالم.

وللإجابة عن التساؤل الرئيسي السالف وتفرعاته وظفنا الخطوات المنهجية الآتية:

الوفيرة ما تبلغ عدد الأسماء الحسنى⁽¹⁾؛ ممّا يسهم في تقوية وتمتين النسيج الاجتماعي للأمة، ذلك أن: «الإيمان بعقيدة واحدة يستدعي حتماً توحيد قلوب المؤمنين بها على قلب واحد، ووحدة العقيدة هذه تقتضي وحدة المجتمع.»⁽²⁾

أما عن خلفية التركيز على هذه القضية المحورية فيرى النورسي من خلال تشخيصه الدقيق للواقع الإسلامي أن المعركة المسلطة على أمته «تتجاوز منع الحكم الإسلامي أو المظاهر الإسلامية، إنها معركة حامية الوطيس هدفها قطع صلة الأمة بدينها من خلال محو الحقائق الإيمانية من قلوب المؤمنين وعقولهم بكل الوسائل المتاحة.»⁽³⁾

كان من الضروري ومن الأولويات في هذه المرحلة -بناء على المعطيات الأنفة الذكر- الحفاظ على الأصل الذي تتأسس عليه نهضة الأمة، المتمثل في الإيمان «الذي تستمد منه جميع الأفعال الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية عناصر بقائها وديمومتها وفعاليتها في حياة المسلم.»⁽⁴⁾

عبر النورسي عن هذه الفناعة بأسلوب صريح تجلى في قوله: «إن دعوتنا هي الإيمان..... وإن زماننا هذا هو زمان خدمة الإيمان ووظيفتنا هي الإيمان وخدمتنا تنحصر في الإيمان.»⁽⁵⁾

أما عن الوسيلة الموظفة لتحقيق هذا المقصد فتتمثل في رسائل النور لـ«كونها معجزة معنوية للقرآن الكريم فهي تنقذ أسس الإيمان وأركانه، لا بالاستفادة من الإيمان الراسخ الموجود، وإنما بإثبات الإيمان و تحقيقه وحفظه في القلوب وإنقاذه من الشبهات والأوهام بدلائل كثيرة وبراهين ساطعة. حتى حكم كل من ينعم النظر فيها: بأنها أصبحت ضرورية في هذا العصر كضرورة الخبز والدواء.»⁽⁶⁾

وتستمد رسائل النور قوتها وفعاليتها في حفظ الإيمان وإثباته من القرآن الكريم الذي تضمن منهجا متكاملًا لبناء الإنسان معرفيا ووجدانيا وسلوكيا.

ثالثا: العناصر المنهجية للورقة البحثية:

1- دور الإيمان في ترسيخ البناء الحضاري.

2- الأثر السلبي لتغييب الإيمان عن حياة الأمم والمجتمعات.

3- منظور النورسي للبناء الحضاري الراشد.

4- خاتمة تتضمن خلاصة ابتكار البحث.

أولا: دور الإيمان ومنظومة القيم الروحية في ترسيخ البناء الحضاري:

يُعدّ الإيمان وما ينبثق منه من قيم من منظور النورسي مبادئ وقواعد مطلقة إلهية المصدر، إنسانية الموضوع والمحتوى، توظّف من أجل ضبط وتنظيم حياة الأفراد والمجتمعات والأمم في مختلف أنساق علاقاتهم مع الله والإنسان والكون، على نحو يحقّق الغاية من وجودهم على أكمل وجه.

وعلى هذا الأساس استشعر النورسي بمحورية الإيمان في معادلة البعث الحضاري، منطلقا في مقارنته لإشكالية النهوض من من قاعدة الإيمان التوحيدى ليؤطر جميع مجالات النهوض الحضاري للأمة الإسلامية، قصدا لبعث دورة نهضوية متجددة.

بيّن رحمه الله أهمية الإيمان في حياة الإنسان بقوله: «إن الإنسان يسمو بنور الإيمان إلى أعلى عليين فيكتسب بذلك قيمة تجعله لائقاً بالجنة، بينما يتردى بظلمة الكفر إلى أسفل سافلين فيكون في وضع يؤهله لنار جهنم، ذلك لأنّ الإيمان يربط الإنسان بصانعه الجليل، ويربطه بوثاق شديد ونسبة إليه، فالإيمان إنما هو انتساب؛ لذا يكتسب الإنسان بالإيمان قيمة سامية من حيث تجلّي الصنعة الإلهية فيه، وظهور آيات نقوش الأسماء الربانية على صفحة وجوده.»⁽¹⁾

كما أكد رحمه الله على الدور الفاعل للإيمان في صقل الفرد بالشعور الجمعي والنزعة الاجتماعية، فاتحا له آفاقا واسعة من حيث نظرتة لمحيطه الاجتماعي والكوني، قال النورسي: «يهب لك - الإيمان - من النور والشعور ما يريك به من علاقات الوحدة الكثيرة، وروابط الاتفاق العديدة، ووشائج الاخوة

1 (النورسي، مك 2008، ص 321).

2 (النورسي، مك 2008، ص 321).

3 (جيدل، 2001 ص70).

4 (جيدل، 2001 ص70).

5 (النورسي، س.ذ، 2008، ص579).

6 (النورسي رسائل النور -ملحق قسطموني-، ص 105).

1 (النورسي، ك.ل 2008، ص 345).

الشاعر أن يستخدم ما وهبه خالقه من النعم حسب حاجته ويقدره واحتياجه ويقدرها حق قدرها، مفكراً ببني جنسه من الناس، مرتباً الاستفادة والإفادة من النعم بحسب حاجة الإنسانية إليها. (1)

نذكر من أبرز فوائد الاقتصاد من منظوره: «إن الاقتصاد كما هو شكر معنوي، فهو توقيير للرحمة الإلهية الكامنة في النعم والإحسان.. وهو سبب حاسم للبركة والاستكثار.. وهو مدار صحة الجسد كالحمية.. وهو سبيل إلى العزة بالابتعاد عن ذل الاستجداء المعنوي وهو وسيلة قوية لإحساس ما في النعم ولآلاء من لذة.. وهو سبب متين لتذوق اللذات المخبأة في ثنايا نعم تبدو غير لذية.. ولكون الإسراف يخالف الحكم المذكورة آنفاً باتت عواقبه وخيمة.» (2)

ولا شك أن هذه الرؤية الدقيقة تشكل مسألة أساسية من مسائل الاقتصاد اليوم، فالإسراف في سلوك المستهلك، سيسهم في زعزعة موازنة الادخار والاستهلاك لدى الفرد، منتهاً به بهذا التصرف إلى التأثير السلبي على الاقتصاد، كما يؤثر على توزيع المصادر، ونسب الادخار والاستهلاك الاقتصادي، فيخلص به الإسراف إلى أدنى قيمة له أيضاً، وينتهي إلى اختلال موازنات الموارد على الساحة العالمية. واليوم يحكم في العالم الاقتصاد الإسرافي، حيث الناس يُحْفَزون دوماً عن طريق الإعلانات إلى الاستهلاك فوق حاجتهم، فيزداد الاستهلاك الرفاهي، وتُرَجَّح الرغبة عن المستلزمات ذات الجودة العالية التي يمكن تعميمها بعد العطب، إلى الأشياء التي تستخدم ثم تُرمى مباشرة بعد استعمالها. ونتيجة استعمال المواد البلاستيكية بحجة شعار «استعمل ثم ارم» تتلوث البيئة من ناحية ومن ناحية أخرى تنفذ المصادر أيضاً. وما نعانیه اليوم من مشكلة تلوث البيئة مردّه بالأساس إلى الإسراف في الاستهلاك. (3)

يمكن القول بأن النورسي قدم مخططاً دقيقاً وعميقاً لإيصال الأمة إلى نظام اقتصادي متوازن، قوامه «اقتصاد القناعة» مع الحركة الدائبة في الحياة والاشتغال بالحرف التي توافق قابليات واستعدادات الناس. (4)

يتبين مما سلف أن بناء الصرح الحضاري الأصيل للأمة الإسلامية يتوقف على امتلاكها لآفاق

نجد تأثير المنهج القرآني واضحاً في رسائل النور، حيث نسج النورسي على منوال الخطاب القرآني للإنسان الذي يزواج بين إقناع العقل على أساس الحجج والبراهين، واستمالة الوجدان بالنفاذ إلى أعماق الروح الإنسانية.

وصف النورسي أثر هذا المنهج المتميز في نفسه بقوله: «اعلم أن عقلي قد يرافق قلبي في سيره، فيعطي القلب مشهوده الذوقي ليدل العقل، فيبرزه العقل على عادته في صورة المبرهن التمثيلي.» (1)

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن توظيف النورسي للإيمان في إطار تصوره لكليات البناء الحضاري جاء في إطار عمل تغييري تصاعدي متدرج، ينطلق من تحرير الإنسان من العبودية للأغيار عن طريق عمل تربوي شامل يتمثل الكليات الإيمانية التي تعمق صلته بالله. ممّا يفضي إلى تتاعم حركيته مع وسطه الاجتماعي، في كنف قيم أخلاقية وروحية جامعة تتجلى في التكافل والتعاون على البر والتقوى، وتآلف القلوب، وكل ما من شأنه أن يرسخ وحدة الأمة، ويدعم قوة نسيجها الاجتماعي على أساس الانتساب للإيمان (2)، ضامناً بذلك صلاحية واستمرارية المجتمع الإسلامي في أداء وظيفته في الحياة في إطار تمثّل كليات الاستخلاف.

يشكّل هذا المجتمع دعامة أساسية يقوم عليها حضارياً رشيداً تتحقق فيه أعلى درجات التحضر في عالمي الروح والمادة، ويشكل أيضاً نموذجاً ومعيّاراً مطلقاً يصحّح مسار الحضارة الإنسانية في مختلف مجالات الحياة المعنوية والمادية.

نذكر من أبرز تجليات الإيمان في شعاب الحياة أثره في الجانب الاقتصادي، حيث قدم النورسي رؤية محكمة حول أثر الإيمان في تنمية الاقتصاد والحفاظ على موارد الكون، منطلقاً من قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾. الأعراف: 31.

أورد النورسي في «رسالة الاقتصاد» فوائد الاقتصاد، بعبارات موجزة ومركزة مذكراً أولاً بأن الإنسان موظف بالشكر، إبان استخدامه واستهلاكه النعم التي وهبها إياه خالقه الكريم. ولهذا فعلى الإنسان

1 (النورسي، الم، 2008 ص 212). وانظر: زعيم ة الاقتصاد ، مجلة النور للدراسات الفكرية والحضارية، العدد: 5، السنة: 2012.

2 (النورسي، للمعات/ رسالة في الاقتصاد، ص 212).

3 انظر: (زعيم، 2012، ص131)

4 انظر: (محسن، 2012، ص42)

1 (النورسي، مثن عر 2008، ص 407).

2 وصف النبي صلى الله عليه وسلم قوة رابطة المجتمع المسلم بأبلغ صورة ومثال عندما قال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»، رواه البخاري في صحيحه برقم: (6011)، وراه مسلم في صحيحه، برقم: (2586)، واللفظ له، وكلاهما عن النعمان بن بشير.

ومفسرا وناقدا للعوامل التي تقوم عليها فاسحا المجال لعملية التلاقح الحضاري في إطار الانضباط بأطر مرجعية، مما يؤكد على أصالة البديل الحضاري الذي أطره، المتمخض عن معاشته لواقع الأمة الحضاري.

فرق النورسي بنظرته الدقيقة وفقه العميق الموعل في بنية الحضارة الغربية بين وجهين متغايرين لها هما:

١- **وجهها الناصع:** الذي لم تحد فيه الحضارة الغربية-في الإجمال- عن المهام الاستخلافية المنوطة بالإنسان في الأرض، من حيث تعميرها، وسبر غور سنن التمكين فيها، وتسخيرها لمصلحة البشرية، فهذا الوجه-برأيه- « نافع للبشر باستفادته من الدين العيسوي والمدنية الإسلامية، أظهر - بإحسان الله- ما يستريح به البشر في هذه الحياة..»^(١)

إن هذا الجانب المضيء من الحضارة الغربية لحقيق - برأيه- بأن يُقتبس منه لتسريع وتيرة النهضة وطيّ صفحات الزمن للحاق بركب الغرب، ولا حرج في ذلك لأن ما وصلت إليه المدنية الغربية هو « نتاج العالم، وملك الجميع، إذ نشأت بتلاحق الأفكار وتلاحقها، وحث الشرائع السماوية،- ولا سيما الشريعة المحمدية-، وحاجة الفطرة الإنسانية...»^(٢)

٢- **وجهها الذميم:** وهو الوجه الذي انحرفت فيه الحضارة الغربية بسبب منطلقاتها وأسسها المادية البحتة المصادمة للفطرة الإنسانية، ونواميس الكون، مما أنتج عواقب وخيمة على الإنسان والبيئة.

خاطب النورسي أوروبا من خلال هذا الوجه المظلم بقوله إنها: «تعفنت بظلمات الفلسفة الطبيعية، وفسدت بالمادية الجاسية...»^(٣)

لخص النورسي موقفه من هذه الحضارة في عبارات وجيزة تحمل دلالات عميقة، حيث قال: « إن أسس المدنية الحاضرة سلبية، وهي أسس خمسة، تدور عليها رحاها أ-فقطرة استنادها: القوة بدل الحق، وشأن القوة الاعتداء والتجاوز والتعرض، ومن هذا تنشأ الخيانة.ب-هدفها و قصدها: منفعة خسيصة بدل الفضيلة، وشأن المنفعة التزاحم والتخاصم، ومن هذا تنشأ الجناية.

روحية رحبة تتخطى بها كل العقبات التي تعكّر صفوها الإيماني كالجهل والفقر والتشرذم والتسيب الأخلاقي والضعف الخارجية، سعيا إلى تحرير الضمائر من سلطان المادية الجاسية الضيقة والكر والقسوة والكرهية، وتطلعا إلى التحقّق بمراتب إيمانية رفيعة تصل منهج الاستخلاف في الأرض بالسماء.

ثانيا: الأثر السلبي لتغييب الإيمان:

ركّز النورسي في بيانه للأثر السلبي لتغييب الإيمان عن حياة الأمم على تشريح ودراسة الحضارة الغربية؛ بوصفها الحضارة المهيمنة التي فرضت نفسها كنموذج يحتذى به، وهذا ما يفسر الحضور المركزي للحضارة الغربية في تحليلاته وقراءته للواقع الإسلامي، من حيث التنقيب في أصولها ومنطلقاتها وثمراتها العملية.

استشعر النورسي من خلال تنقيبه في الحضارة الغربية بالتأثير الخطير لقيم الغرب على الواقع الإسلامي، وتلبّسها به إلى درجة التعقيد والتشابك، ممّا قد يهدد مبادئ وقيم الأمة بالإهمال.

رأى النورسي أن الحضارة الغربية المهيمنة اليوم قد انحرفت عن الطريق السوي بسبب منطلقاتها وأسسها المادية البحتة المصادمة للفطرة الإنسانية، ونواميس الكون، فهي حضارة قائمة على قاعدة إقصاء الدين عن مظاهر الحياة وطغيان النظرة المادية، بجعلها المقياس في كل شيء. فأضحى الإنسان المعاصر بثقافته أمام تحدّ جدلي كبير، تسود فيه السطحية بدلاً من العمق، والاختزالية بدلاً من الشمول، وغيب الرؤية بدلاً من وضوحها. بتعبير أوضح، أصيب فكر الإنسان بحالات من التردّد، والصّياح الميتافيزيقيين^(١).

هذا العقل الذي قال فيه الشاعر (غوته) «كل ما يؤدي إلى تحرير للعقل لا يقابله تقدم في تهذيب الروح، خطر»، وكان من نتائج هذا التحرير للعقل أن «جعل هذا العصر مأساة، بطلها العقل، وسياق حوادثها تحويل الوسائل إلى غايات.»^(٢)

وعلى هذا الأساس سلط بديع الزمان الضوء على مكامن الحسن والقبح في هذه الحضارة، محلا

1 (النورسي، مثن عر، 2008، ص267-268).

2 (النورسي، كلم، 2008، ص839).

3 (النورسي، للمع، 2008، ص160).

1 انظر: (لانغ، 2010م، ص17، 266).

2 انظر: (بديوي، ، 1403هـ/1982م، ص287).

يتضح مما سلف بأن مفهوم المدنية والحضارة عند النورسي، يقاس بما يقدمه نموذج حضاري معين من منفعة للبشرية والإنسانية عامة، قصدا نحو تحقيق سعادة حقيقية للأناسي من جميع الجوانب. وهو ما يؤكد أن قوام البناء الحضاري من منظوره ترقية الجوانب الإنسانية والتكامل بين مكوناتها المعنوية والمادية.

وهذا ما أكدته بتعبير وجيز وبلغ في سياق إبرازه لمقومات البناء الحضاري، أو ما عبر عنه بالمدنية. قال رحمه الله: «أما المدنية التي تتضمنها الشريعة الأحمدية وتأمّر بها: فإن نقطة استنادها: الحق بدلاً من القوة، والحق من شأنه: العدالة والتوازن. وهدفه: الفضيلة بدلاً من المنفعة، والفضيلة من شأنها: المودة والتجانب. جهة الوحدة فيها: الرابطة الدينية والوطنية والصنافية بدلاً من العنصرية والقومية، وهذه الرابطة من شأنها: الأخوة المخلصة والمسالمة الجادة، والدفاع فقط عند الاعتداء الخارجي. دستورها في الحياة: التعاون بدلاً من الجدل والصراع، والتعاون من شأنه: الاتحاد والتساند، وتضع الهدى بدلاً من الهوى، والهدى من شأنه: رفع الإنسان روحياً إلى مراقي الكمالات.»⁽¹⁾

قامت رؤية النورسي للبناء الحضاري على كليات مترابطة، تشكل مجموعها نسفاً تغييرياً متكاملاً كما سيتضح في البيان الآتي:

١- تفعيل كليات الاستخلاف-التعمير والتسخير:-

تمثل عنصر التميز في المنظور النورسي لعملية النهوض في إدراج كليات الاستخلاف ضمن منظومة الحقائق الإيمانية، باعتبار أن أداء مهام الخلافة من قبل الإنسان يندرج ضمن دائرة العبودية لله تعالى.

أصل النورسي لبعد الفعالية في كليات الإيمان، من حيث بيان وظيفة الإنسان في هذا الكون ودوره الفاعل في تسخيره وتعميره وفق منهج الله.

وهو ما يتضح في رؤية النورسي لوظيفة الإنسان في الحياة-الاستخلاف-، إذ انطلق في إثباتها من بيان مركزية الإنسان في الكون، وكيف أنّ موجودات العالم قد صُمّمت بطراز يشبه دائرة عظيمة، وحُلقت الحياة لتمثل نقطة المركز فيها، ثم نرى أن موجودات عوالم ذوي الحياة هي الأخرى قد أوجدت على شكل دائرة واسعة بحيث يتبوأ الإنسان فيها مركزها، فالغايات المرجوة من الأحياء عادة تتمركز

1 (النورسي، مك نوى، 2008م، ص 576-577).

ج-دستورها في الحياة: الجدل والخصام بدل التعاون، وشأن الخصام التنازع والتدافع، ومن هذا تنشأ السفالة. د-رابطتها الأساس بين الناس العنصرية التي تنمو على حساب غيرها، وتتقوى بابتلاع الآخرين، وشأن القومية السلبية والعنصرية: التصادم المربع وهو المشاهد، ومن هذا ينشأ الدمار والهلاك. هـ-وخامستها هي أن خدمتها الجذابة تشجع الأهواء والنوازع، وتذليل العقبات أمامها، وإشباع الشهوات والرغبات. وشأن الأهواء والنوازع دائماً مسخ الإنسان وتغيير سيرته، فتتغير دورها الإنسانية وتمسخ مسخاً معنوياً.»⁽¹⁾

أثر الأساس المادي للحضارة الغربية بالسلب على وجهها الناصع، حيث صادمت قواعد وضوابط التسخير والتعمير، وبالغت في استنزاف ثروات الأرض، لتلبية نزواتها الاستهلاكية البحتة، فاصطبغت بذلك المدنية الغربية بأساسها المادي الصرف.

تبرز في ضوء هذا التشخيص الدقيق معالم رؤية النورسي لكليات البناء الحضاري كما سيتضح في العنصر اللاحق.

ثالثاً: كليات البناء الحضاري الراشد من منظور النورسي

قبل بيان هذه الكليات يتوجب التعرّيج على مفهوم الحضارة أو ما عبر عنه النورسي بالمدنية.

١- مفهوم الحضارة عند النورسي:

تميزت نظرة النورسي للحضارة بالتركيز على جوانبها الوظيفية، التي يستجلب بها ما ينفع الأسرة الإنسانية من المناحي الإيجابية النافعة من التجربة البشرية عموماً، والتجربة الحضارية الغربية على الخصوص، منبهاً في الوقت نفسه إلى مقومات الحضارة الحقة. يستفاد هذا المعنى من قوله: «إنّ قصدنا من المدنية هو محاسنها وجوانبها النافعة للبشرية»⁽²⁾، وقال في موضع آخر: «تسعى المدنية الحقيقية لترقية النوع الإنساني وتدفعه إلى التكامل، وتخرج ماهيته النوعية من القوة إلى الفعل، لذا فإن طلب المدنية والسعي لها انطلاقةً من هذه الزاوية يعدّ سعياً نحو الإنسانية.»⁽³⁾

1 النورسي، كلم، 2008، ص 837-836).

2 (النورسي،- صيق، 2008، ص 468).

3 (النورسي،- صيق، 2008، ص 432).

قد استكملت في النفوس دوافع النهضة بالأمة المؤمنة بها، نهضة التعمير.⁽¹⁾

ومن خلال هذا الارتباط الوثيق تسمو منزلته لتصبح أحد أبعاد العقيدة الإسلامية، وليس مجرد كسب مادي بحت، «فهو جزء من وظيفة الوجود الإنساني، فما وجد الإنسان إلا ليكون خليفة في الأرض، وهذه الخلافة لا تتم إلا بعمارة الأرض..... عمارة ذات غايتين: قريبة هي تحقيق المنفعة المادية، وبعيدة هي تحقيق النعيم الخالد عند النشور إلى الله، وهو ما يتبين به البعد العقدي في الاستنفاع المادي للطبيعة الكونية.»⁽²⁾

ويقوم الإعمار والتسخير الكوني-بنظر النورسي-على أساسا قراءة كتاب الوحي المسطور وكتاب الكون المشهود، فهما «كتابان يفسران حكمة خلق الكائنات، ويكشفان عن المقاصد الربانية في تحميل الإنسان أمانة الاستخلاف.»⁽³⁾

دفعه هذا المنظور إلى نقده تقاعس الأمة عن الاشتغال بالعلوم المادية، وهو ما يعدّ مؤشرا لغياب تمثّل البعد الكوني في حركتها ونشاطها. وتأسيسا على هذه الرؤية دعا إلى تسخير الإمكانيات المتاحة في سبيل تحقيق نهضة علمية مادية، تتخذ معالم السنن الكونية قاعدة للنهوض، ومرتكزا للانبعاث من جديد.

قال رحمه الله متحدثا عن مركزية السنن الكونية في النهوض الحضاري للأمة: «فكما أن هناك طاعة وعصيانا تجاه الأوامر الشرعية المعروفة، كذلك هناك طاعة وعصيان تجاه الأوامر التكوينية. وغالبا ما يرى الأول - مطيع الشريعة والعاصي لها، جزاؤه وثوابه في الدار الآخرة. والثاني مطيع السنن الكونية والعاصي لها، غالبا ما ينال عقابه وثوابه في الدار الدنيا. فكما أن ثواب الصبر النصر، وجزاء البطالة التقاعس والذل والتسقل، كذلك ثواب السعي الغنى. وثواب الثبات التغلب.»⁽⁴⁾

كما أكد النورسي في موضع آخر على ضرورة انسجام حركة الإنسان في الوجود مع السنن الكونية والقوانين الطبيعية والفظرية، قال رحمه الله: «إن من يشق طريقا في الحياة الاجتماعية ويؤسس حركة،

في هذا الإنسان.

يخول هذا التموّج المركزي الذي يعد تكريما وتكليفا من لدن الخالق الكريم سبحانه، أن يمتلك زمام السيادة والحكم على جميع الأحياء، بحيث تسخر كلها لأجله⁽¹⁾.

يلزم من إثبات مركزية الإنسان في منظومة الكون أن «يشغل رتبة الخلافة في الأرض، ويحمل مهمة الأمانة الكبرى.»⁽²⁾

حدّد النورسي ماهية هذه الأمانة بقوله: «اعلم! ان الفاطر الحكيم انما ركب في وجودك هذه الحواس، والحسيات، والجهازات لإحساس أنواع نعمة. ولإذاقة أقسام تجليات أسمائه. فما غايات حياتك، وما حقوقها؛ إلا إظهارك لآثار تجليات أسمائه، وتشهير غرائبها لدى أنظار المخلوقات... وما إنسانيتك؛ إلا شعورك بهذه الوظيفة، وما إسلاميتك؛ إلا إذعانك بهذه المظهرية.»⁽³⁾

يقول بديع الزمان في تأكيده لهذه الحقيقة: «إن الإنسان أرسل إلى الدنيا ضعيفا وموظفاً وهبئ له مواهب واستعدادات مهمة جداً، وعلى هذا أسندت إليه وظائف جليّة. ولكي يقوم الإنسان بأعماله وليكّد ويسعى لتلك الغايات والوظائف العظيمة فقد رُغِبَ ورُهّبَ لإتجاز عمله.....»⁽⁴⁾، ولهذا فإنّ وظيفته الأصلية ليس الانهماك بالحياة الدنيا والاهتمام بها كالحوانات، وإنما السعي والدأب لحياة خالدة.

كما يلاحظ اهتماما بالغا من قبله باستثمار الطاقات الكامنة في الكون، بوصفه عاملا مهما في النهوض الحضاري.

وتمثّل عنصر التميز في رؤية النورسي في إدراج عامل الإعمار والتسخير الكون ضمن البناء العقدي، على اعتبار أن «في العقيدة الإسلامية طاقة تعميرية كبرى، تجمع بين الإعلاء من المادة، والرفع من قدرها، وبين استعمال قوانينها وحقائقها، وبين استنفاعها واستثمار مقدراتها، فتكون بهذا الجمع

1 انظر: (النورسي، مكت، 2008، ص443-442)، وانظر: (جيدل، أهمية بحث المقاصد في بعث الفعالية الإيمانية في رسائل النور www.nuronline.com).

2 (النورسي، الكلم، 2008، ص80).

3 (النورسي، مثن عر، 2008 ص382).

4 (النورسي، الكلم، 2008، ص368).

1 (عبد المجيد النجار، ، 2000م، ص 327).

2 (عبد المجيد النجار، ، 2000م، ص 326).

3 (عوامل التقدم وأسباب التأخر عند بديع الزمان سعيد النورسي، 2011 ر www.nuronline.com).

4 انظر: (النورسي، الكلم، 2008، ص852).

وتجسيد معاني وقيم هذه المعرفة في العقل والقلب والسلوك والاجتماع.»⁽¹⁾

قال الإمام النورسي: «إن حكمة مجيء الإنسان إلى هذه الدنيا والغاية منه، هي معرفة خالق الكون سبحانه، والإيمان به والقيام بعبادته، كما أن وظيفة فطرته وفريضة ذمته، هي معرفة الله والإيمان به، والتصديق بوجوده وبوحدانيته إذعانا وبقيننا.»⁽²⁾

وبهذا يكون حامل هذا العلم فاعلا حيويا على مستوى عالي من القدرة والإتقان والتمثل لمنهج الوحي وشريعته وعقيدته. فمعرفة الله هي حقيقة الحقائق وثمرة الوجود الإنساني وغايته لأن "من عرف الله حق المعرفة وملا قلبه من نور محبته سيكون أهلا لسعادة لا تنتهي ولنعمة لا تنضب ولأنوار وأسرار لا تنفذ، وسينالها إما فعلا وواقعا، أو استعدادا وقابلية.»⁽³⁾

تثمر عملية التسخير على أساس امتلاك ناصية العلم المنضبط بالرؤية التوحيدية إقامة صرح حضاري عالمي راشد يقدم للبشرية منظومة مبادئ وقيم روحية وأخلاقية رفيعة، من شأنها تقويم وتعديل مسارها الذي جرفه تيار المادية والإلحاد، كما يسهم في تشييد مدنية تعدد أنموذجا للإعمار الفاعل والمتوازن للأرض، تمثلها بكليات وقواعد الاستخلاف.

وبصرف النظر عن درجة تحقيق رؤية النورسي للأهداف العملية المتوخاة من عملية تأصيل بعدي الإعمار والتسخير الكوني، إلا أنه ساهم بنظرات دقيقة، تتضح خاصة في إضفاء الصبغة العقدية الإيمانية على الوظيفة الاستخلافية للإنسان، وتطبيقاتها العملية في الواقع الإسلامي.

٢- التميز الحضاري:

المقصود بالتميز الحضاري ما تتضمنه حركية الأمة الإسلامية من بصمة حضارية تميزها عن غيرها من الأمم، تتجلى في المرجعية المشتركة-التصورات، والقيم، والتشريعات-، التي تحدد منهجية التفكير، وأنماط السلوك، والعادات، والتقاليد والأعراف، وما يتمخض عن ذلك من نظم سياسية، واجتماعية، واقتصادية، تعبر عن رؤية مخصوصة ونوعية للحياة لدى الأمة الإسلامية.

لا يستثمر مساعيه ولن يكون النجاح حليفه في أمور الخير والرفي، ما لم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية التي تحكم الكون، بل تكون جميع أعماله في سبيل التخريب والشر.»⁽¹⁾

تمثل مقصد النورسي-من خلال هذا الخطاب-في زرع الوعي السنني في أفراد الأمة، وهو ما يحملهم على الاستعادة من السنن الكونية في عملية التغيير والإصلاح، ذلك أن الله عز وجل لم يشرع الأوامر التكوينية عبثا، وإنما جعلها قوانين قارة لا تتبدل بتغير أحوال الناس، فسقوط الأمم ونهوضها، لا يمكن أن يتم بمعزل عن اكتشاف السنن الكونية التي أجراها الله في الحياة في مختلف المجالات. خلص النورسي إلى أن حركة النهوض واستئناف العمل الإصلاحية مرهون بفقهاء السنن الاجتماعية، والسنن الكونية، وإلا ستقذف هذه الجهود إلى صحراء العدم، كما عبر رحمه الله.

وتقوم عملية التسخير والإعمار عندهما على أساس امتلاك ناصية العلوم الكونية الحديثة. لذلك يرى النورسي في هذا المعنى أن «خليفة الله تعالى في أرضه لإجراء أحكامه وتطبيق قوانينه تتوقف على علم تام..... و(علم) فيه إشارة إلى تنويه العلم ورفعة درجته، وأنه هو المحور للخلافة.»⁽²⁾ يصبح العلم بهذا المعنى مدخلا للحياة التجديدية والفاعلية الاستخلافية، بوصفه وسيلة تحقيق عملية الترشيد الحضاري لخطوات الإنسان الخليفة الأفاقية والنفسية والاجتماعية⁽³⁾.

خطى النورسي في منظوره لمنزلة العلم في عملية التعمير والتسخير خطوة تأصيلية عميقة، تجلت في ربطه بالرؤية التوحيدية، من خلال وصله «بخط الوحي الذي يفتق أمامه المعاني والدلالات المتجددة المعجزة. وبهذا يصبح العلم مرجعيا متجذرا في الوحي فتستقيم مضامينه وتتوافق دلالاته مع الإرادة الإلهية فتفتح له كنوز المعارف

وتظهر أمامه معجزات الوعي والتفكير التي يكون مآلها الحقيقي والنهائي معرفة الله حق المعرفة

1 (النورسي، المص، 2008، ص 235)، وانظر (عوامل التقدم وأسباب التأخر عند بديع الزمان سعيد النورسي، 2011 ر .www.nuronline.com)

2 (النورسي، إشا الإع، 2008، ص 235-234).

3 انظر: (عبد العزيز برغوث، موقع نظرية العلم في عملية الاستخلاف والتحصن عند الإمام بديع الزمان سعيد النورسي 2011 .www.nuronline.com)

1 عبد العزيز برغوث، موقع نظرية العلم في عملية الاستخلاف والتحصن عند الإمام بديع الزمان سعيد النورسي 2011 .www.nuronline.com)

2 (النورسي، إشا الإع، 2008، ص 127).

3 (النورسي، مكت، 2008، ص 271)، وانظر: (عبد العزيز برغوث، موقع نظرية العلم في عملية الاستخلاف والتحصن عند الإمام بديع الزمان سعيد النورسي 2011 .www.nuronline.com)

يتضح ممّا تقدّم أن قوام فكرة التميز الحضاري عند النورسي هو ترسيخ المقومات الذاتية للأمة-وبالأخصّ التوحيد-، بما يجعلها متجلية في رؤيتها للحياة -مبدأ، ومنهجاً، ومقصداً- ومتحققة في سلوكها وحركيتها؛ ممّا يثمر نموذجاً حضارياً متميزاً، يسهم في تعديل مسار الحضارات الإنسانية التي أسست نهضتها على التمكين في عالم المادّة على حساب السمو الإيماني الأخلاقي.

٣- الشمولية:

نعني بالشمولية ترسيخ الإيمان بشمولية تعاليم الإسلام للزمان والمكان والإنسان، وشموليتها لجميع مناحي الحياة الإنسانية، فهي شاملة من حيث التصور الاعتقادي الذي يبيّن حقيقة الوجود وغاياته، كما هي شاملة من حيث التجسيد العملي لهذا التصور في الحياة.

شكلت هذه المسألة أحد ركائز رؤية النورسي لكليات البناء الحضاري و عنصرًا مفصلياً في أدبيات الإصلاح والتغيير عنده، وهو ما تجلّى في سياق حديثه عن دور رسائل النور في إصلاح واقع الأمة؛ حيث قال: «إن رسائل النور لا تعمّر تخريبات جزئية، ولا ترمّم بيتاً صغيراً مهتماً، بل تعمّر تخريبات عامّة كليّة، وترمّم قلعة عظيمة صخورها كالجبال، وتحتضن الإسلام وتحيط به، وهي لا تسعى لإصلاح قلب خاص ووجدان معيّن، بل تسعى لمداواة القلب العام المجروح، وضمان الأفكار العامّة المكرومة بالوسائل المفسدة التي هيئت لها، وركمت منذ ألف سنة، وتتشتت لمداواة الوجدان العام الذي توجه نحو الفساد.... نعم إنّها تسعى لمداواة تلك الجروح الواسعة الغائرة بأدوية إعجاز القرآن والإيمان»⁽¹⁾

وعليه حرص النورسي-في ضوء فهمه العميق لهذا المبدأ-أن تشمل دعوته كل شرائح المجتمع بمختلف تنوعاته الثقافية والاجتماعية، وأن يعمّ الإصلاح كل مجالات الحياة، مستثمراً في ذلك مختلف المعارف الإنسانية التي تخدم قضيته، وموظفاً خطاباً شاملاً يجمع بين إقناع العقول، واستمالة الوجدان، مستلهماً في ذلك طريقة القرآن الكريم. وهذا ما يؤكد فلسفته في التغيير القائمة على الخلاص الجماعي كمسلك بديل للمسلك السائد في عصره القائم على الخلاص الفردي.

يمكن القول مما سلف أن تركيز النورسي على كلية الشمولية هو للتأكيد على هيمنة الإسلام، بوصفه الدين الخاتم الذي يتعيّن على الإنسانية جمعاء تمثله، وتنزيله في كل شعاب الحياة، رداً على التيارات الداخلية الهدامة المدعومة من الدوائر الصهيونية والغربية التي سعت لتغييبه دوره في مختلف

اندرج تركيزه على هذا العنصر ضمن سعيه لتطعيم الأمة ضد الغزو الكاسح للقيم الثقافية الغربية، التي أحدثت أضراراً جسيمة في جسم الأمة، ممّا قد يهدّد مقوماتها الذاتية بالميوعه والانحلال في الآخر.

مثّل الإيمان بخصائصه الفذة المنطلق الأساس عند النورسي في ترسيخ التميّز الحضاري للأمة الإسلامية، ذلك أنّ ارتباط الإنسان والأمة بالحقائق الإيمانية، سيثمر ذاتاً حضارية، متمحورة حول العقيدة -وبالأخصّ التوحيد-، فتتضبط بكلياتها في نظم التفكير، وطرائق العمل، وأنساق علاقاتها مع الله، والإنسان، والكون.

من شأن هذا التميّز أن يقيم صرحاً حضارياً نوعياً، تتجلّى فيه المقومات الذاتية للأمة التي تزوج بين السموّ الإيماني، والترقي المادي، في إطار تفعيل كليات الاستخلاف.

أدرج النورسي، فكرة التميّز الحضاري ضمن أساسيات البناء العقدي الإيماني، وهذا عندما اعتبر الإنسان ثمرة التوحيد، فذاته وسجاياه وخصائصه ما هي إلا مرآة عاكسة لحقيقة التوحيد. يتبين هذا في قوله: «نعم إن الإنسان بسر التوحيد، صاحب كمال عظيم بين جميع المخلوقات، وهو أثنى ثمرات الكون، وألطف المخلوقات وأكملها، وأسعد ذوي الحياة، ومخاطب رب العالمين، وأهل ليكون خليله ومحبيه..... حتى إن جميع المزايا الإنسانية، وجميع مقاصد الإنسان العليا مرتبطة بالتوحيد، تتحقق بسر التوحيد، فلولا التوحيد لأصبح الإنسان أشقى المخلوقات، وأدنى الموجودات، وأضعف الحيوانات، وأشدّ ذوي المشاعر حزناً وأكثرهم عذاباً وألماً»⁽¹⁾

استشهد النورسي لذلك بضرب أمثلة من العقل، والشفقة والحنان، والمحبة وجميع مطالبه الدقيقة ومقاصده الكلية التي لا تتحقق بغير سر التوحيد، وهذا المعنى مستمد من قول الله تعالى في بيان تحقيق مقاصد الإنسان بسبب التوحيد: «صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ الزمر / ٢٩.

هذا مثل للمشارك والموحد، فمن كان مشتركاً يتنازعه الشركاء، ومن كان واحداً لا نزاع فيه أو معه، والله واحد لا نزاع بين عباده المؤمنين به، ويرعاهم بفضله، على عكس الشيء المشترك، يثور بين الشركاء فيه⁽²⁾.

1 (النورسي، إشع، 2008، ص17).

2 انظر: الزحيلي، الإنسان في القرآن الكريم بمنظور النورسي، 2011، .www.nuronline.com.

1 (النورسي، ملح قس، 2008 ص 106)

وأكد النورسي في السياق ذاته أن مبدأ العالمية هو عنصر أصيل في المدنية الإسلامية، لما تحمله من قيم سامية، ومثل عليا تأسر قلوب وألباب البشرية جمعاء، وهو ما يخول للأمة تبوأ مرتبة الريادة والشهادة، وفي هذا يقول: «أما المدنية التي تتضمنها الشريعة الأحمدية وتأمير بها: فإن نقطة استنادها: الحق بدلاً من القوة، والحق من شأنه: العدالة والتوازن. وهدفه: الفضيلة بدلاً من المنفعة، والفضيلة من شأنها: المودة والتجانب.....دستورها في الحياة: التعاون بدلاً من الجدل والصراع، والتعاون من شأنه: الاتحاد والتساند، وتضع الهدى بدلاً من الهوى، والهدى من شأنه: رفع الانسان روحياً الى مراقي الكمالات.»⁽¹⁾

استمدّ النورسي مبدأ العالمية أو الشهادة على الناس من القرآن الكريم، الذي كان ملهمه في سعيه وحركيته قصد هيمنة الإسلام في أرجاء المعمورة. وفي هذا يقول: «لأبرهننّ للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها.»⁽²⁾

يخول للرسالة الإسلامية بهذا التميز أن تكون بديلاً إلهياً متكاملًا للتجارب الإنسانية الشاردة عن منهج الله تعالى، وما أحوج البشرية اليوم لمنقذ جديد، يخرجها من هذا النفق المظلم إلى الطريق الأقوم، طريق الفطرة الإنسانية.

يدل الاهتمام التفصيلي بمبدأ الشهادة على الناس دلالة صريحة على استلهام رؤية النورسي لمبدأ شمولية وعالمية الإسلام، كما يؤثّر على بعد نظره، وعمق تفكيره، ورؤيته الاستشرافية الواعية لمشروعه الحضاري.

رابعاً: الخاتمة:

بناء على العرض المنهجي التفصيلي السابق، يمكن الخلوص إلى النتائج الآتية:

١- استشرع النورسي بمحورية الإيمان في معادلة البعث الحضاري، منطلقاً في مقاربه لإشكالية النهوض من منقطة قاعدة الإيمان التوحيدي ليؤطر جميع مجالات النهوض الحضاري للأمة الإسلامية، قصداً لبعث دورة نهضوية متجددة.

٢- سلط بديع الزمان الضوء على مكامن الحسن والقبح في هذه الحضارة، محللاً ومفسراً وناقداً

مناحي الحياة، وحصره في مجالات ضيقة باهتة.

٤- الشهود الحضاري:

يمثل عنصر الشهادة على الناس إحياء للبعد العالمي في الرسالة الإسلامية، على اعتبار «أن الإسلام عالمي وشمولي لأنه صدر عن أصل عالمي واحد، والفكر الذي يحمله إنما يحمله للعالمين بدون أية استثناءات عرقية، أو جغرافية، أو زمنية، أو ثقافية.»⁽¹⁾

أكد النورسي في هذا السياق أن تحقّق المسلم - ومن وراءه أمتة - ببعث الشهادة جزء لا يتجزأ من وظيفته في الحياة، التي تتدرج ضمن أداء وظائف الخلافة، وفي هذا قال: «فيا ترى هل يقبل عقل بأن يُترك هذا الإنسان الذي أصبح مكرماً بالخلافة والأمانة، والذي ارتقى إلى مرتبة القائد والشاهد على المخلوقات، بتدخله في شؤون عبادة أغلب المخلوقات وتسيبجاته بإعلانه الوجدانية في ميادين المخلوقات الكثيرة وشهوده شؤون الربوبية الكلية... فهل يمكن أن يُترك هذا الإنسان، يذهب إلى القبر لينام هادئاً دون أن ينبّه لئسأل عن كل صغيرة وكبيرة... كلاً ثم كلاً.»⁽²⁾

وحّد النورسي في سياق آخر وظيفة، وهدف دعوته بدقة. جاء ذلك في سياق الرد على تهمة إنشاء جمعية سرية، حيث يقول: «أجل نحن جمعية، تلك الجمعية التي لها ثلاثمائة وخمسون مليوناً من الاعضاء في كل عصر. وهم يؤكدون كمال احترامهم وصادق ارتباطهم وتعلقهم بمبادئ تلك الجمعية المقدسة - إقامة الصلاة - خمس مرات يومياً، يتسابقون في مد يد العون والمساعدة بعضهم الى بعض، سواء بدعواتهم الشخصية عن ظهر الغيب، أم بمكاسبهم المعنوية الوفيرة وفق الدستور الإلهي»⁽³⁾ «إنما المؤمنون أخوة» الحجرات/ 10.

وهكذا فنحن أعضاء في تلك الجمعية المقدسة العظيمة إذأ، أما وظيفتنا ضمن نطاق هذه الجمعية فهي: «تبليغ الحقائق الإيمانية التي يتضمّنّها القرآن الكريم إلى طلاب الحق والإيمان على أصح وأنزه وجه. ب- إنقاذ أنفسنا من الإعدام الأبدي، وبرزخ السجن الانفرادي السرمدي.»⁽³⁾

1 (الشامي، 1995م، ص 24).

2 (النورسي، الكلم، 2008م، ص 82).

3 (النورسي، إشع، 2008، ص 346).

1 (النورسي، مك نوى، 2008م، ص 577-576).

2 (النورسي، سي. ذا، 2008، ص 82).

الجزائر في: 04/07/2021

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولاً: مؤلفات النورسي:

1. (النورسي، بديع الزمان، 1429 هـ 2008م، كليات رسائل النور - إشارات الإعجاز - تر: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط.1).
2. (النورسي، بديع الزمان، 1429 هـ 2008م، كليات رسائل النور - سيرة ذاتية -، تر: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط.1).
3. (النورسي، بديع الزمان، 1429 هـ 2008م، كليات رسائل النور - الشعاعات -، تر: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط.1).
4. (النورسي، بديع الزمان، 1429 هـ 2008م، كليات رسائل النور - صيقل الإسلام / الخطبة الشامية -، تر: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط.1).
5. (النورسي، بديع الزمان، 1429 هـ 2008م، كليات رسائل النور - الكلمات -، تر: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط.1).
6. (النورسي، بديع الزمان، 1429 هـ 2008م، كليات رسائل النور للمعات - رسالة في الاقتصاد -، تر: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط.1).
7. (النورسي، بديع الزمان، 1429 هـ 2008م، كليات رسائل النور - المثنوي العربي النوري -، تر: دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط.1).
8. (النورسي، بديع الزمان، 1429 هـ 2008م، كليات رسائل النور - المكتوبات - نوى الحقائق -، تر: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط.1).
9. (النورسي، بديع الزمان، 1429 هـ 2008م، كليات رسائل النور - المكتوبات -، تر: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط.1).
10. (النورسي، بديع الزمان، 1429 هـ 2008م، كليات رسائل النور - الملاحق - ملحق قسطنطيني -، تر: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط.1).

للعوامل التي تقوم عليها، فاسحا المجال لعملية التلاحق الحضاري في إطار الانضباط بأطر مرجعية؛ مما يؤكد أصالة البديل الحضاري الذي أطره الذي تمخض عن معاشة النورسي لواقع الأمة الحضاري.

٣- تأسس منظور النورسي لمنظومة النهوض الحضاري بالأمة على قاعدة الإيمان التي تبعث الحياة في الإنسان والأمة، ويشيد عليها بنيان متكامل يحوي كليات مترابطة ومتلاحمة، تتمثل في: كلية فقه كليات وقواعد الاستخلاف من التسخير والتعمير، وكلية التميز الحضاري، وكلية الشهود الحضاري، وكلية تمثل مبدأ الشمولية فقها وتطبيقا،

٤- تشكل هذه الكليات نظام حضاري قيمي محوري مركب من منظومة تتشكل من مبادئ وقيم أخلاقية وجمالية تعبر عن روح المجتمع وعن رؤية مخصصة ونوعية للحياة، تحدد غايته وأهدافه، في توازن بين سمو الروحي والرقى المادي.

5- استوفت رؤية النورسي وأحاطت - حسب نظري - بجميع مقومات البناء الحضاري الراشد - على الأقل في الجانب النظري -، الذي يقوم على دعامين رئيسيين هما: الدعامة الإيمانية - الروح والأخلاق -، والدعامة الكونية - التسخير والتعمير -، والمقصد من كل ذلك كله تحقق الأمة بمرتبة الشهود الحضاري.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

11. ثانياً: الكتب والدراسات:
12. (بدوي، عبد الرحمن. اشبنجلر، 1403هـ - 1982م، وكالة المطبوعات، الكويت).
13. (جيدل، عمار، بديع الزمان النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية، 2001، شركة نسل، إسطنبول، ط01).
14. (الشامي، علي، الحضارة والنظام العالمي - أصول العالمية في حضارتي الإسلام والغرب-، 1995م، دار الإنسانية، بيروت).
15. (لانغ، جيفري. ضياع ديني صرخة المسلمين في الغرب، ترجمة: إبراهيم يحيى الشهابي، 2010، دار الفكر، دمشق).

5. النجار، عبد المجيد، الطاقة الحضارية في عقيدة الأمة الإسلامية-الدور الحضاري للأمة الإسلامية في عالم الغد(نخبة من الباحثين)-، 2000م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، ط01).

ثالثاً: المقالات:

1. زعيم، صباح الدين 2012، «الرؤية الحضارية من خلال رسالة الاقتصاد، مجلة النور للدراسات الفكرية والحضارية، العدد: 5، ص144-127).
2. محسن عبد الحميد، 2012 «من معالم التجديد عند النورسي»، مجلة النور للدراسات الفكرية والحضارية، العدد: 5، ص40-29).
3. رابعاً: المقالات في مواقع الأنترنت
4. جيدل، عمار «أهمية بحث المقاصد في بعث الفعالية الإيمانية في رسائل النور» مقال في موقع www.nuronline.com.
5. الزحيلي، وهبة «الإنسان في القرآن الكريم بمنظور النورسي»، المؤتمر العالمي الخامس، موقع رسائل النور. www.nuronline.com.
6. د.م، 2011م، عوامل التقدم وأسباب التأخر عند بديع الزمان سعيد النورسي، موقع النور www.nuronline.com.

دور الإيمان في ترسيخ القيم الإنسانية المشتركة من خلال رسائل النور

أ.م.د. حسن محمد إبراهيم
تدريسي في جامعة صلاح الدين / أربيل العراق
d.hasan.pshdary@gmail.com

ملخص البحث

تعتبر رسائل النور الإيمان أساس جميع الكمالات البشرية التي تجلب السعادة والأمان، وبناء على ذلك فإن بحثنا هذا يتناول الحلول للإشكاليات الموجودة في عصرنا الحاضر من ناحية الالتزام بالقيم الإنسانية التي يشترك في الإيمان بها والدعوة إلى تبنيها جميع الأديان السماوية والحضارات القديمة والحديثة التي يرجع جذور معظمها إلى الوحي الإلهي، كالعدل، والحرية، والتعاون، والصدق والمساواة، والوفاء بالعهد.. وبات اليوم مع الأسف الالتزام بها ضعيفا بين معظم الشعوب والأمم، فكان ذلك سببا رئيسا لشقائها من الناحية الخلقية والاجتماعية والاقتصادية. وذلك من خلال الطروح والتوضيحات التي تناولتها رسائل النور

لأن الإيمان يرسخ في الفرد والمجتمع تلك القيم والكمالات الراقية؛ فيلتزم بها في جميع مجالات الحياة؛ لأن الشرائع السماوية مرتبطة بالإيمان الذي ركن من أركانه هو العمل الصالح. خصوصا في الشريعة الإسلامية التي هي مكمّلة لجميع الشرائع السابقة ومتضمّنة لجميع الكمالات الموجودة فيها، والقرآن الكريم حافل بالأمر بها والسنة النبوية الشريفة مملوءة بالحث عليها.

ولقد اهتم أستاذنا بديع الزمان سعيد النورسي في رسائله النورية بترسيخ تلك القيم، وبين أهميتها، وربط بعضها بالإيمان بالله واليوم الآخر والأركان الأخرى للإيمان، وبالأسماء الحسنى، وجعل الالتزام بها سلما للارتقاء إلى السعادة الدنيوية والأخروية، كما انتقد المدنية الإنسانية الحاضرة لكونها مزيفة

وغير ملتزمة بتلك القيم، وأنها تتوافق البشرية بالدعوة إلى الالتزام ببعضها.

ولأهمية إبراز جهود أستاذنا بديع الزمان، وكون الالتزام بتلك القيم الإنسانية من مترتبات الإيمان الذي طالما يدعو إليه وإلى ترسيخ أركانه ودفع الشبهات عنه جاءت فكرة كتابة هذا البحث من خلال هذا المؤتمر المرتقب بإذن الله تعالى.

الكلمات المفتاحية: (النورسي/القيم الإنسانية المشتركة/رسائل النور/الإيمان/العدل)

Research Summary

The role of faith in establishing common human values through messages of light

When we look at our world today, we see that it faces great intellectual, economic and social problems and challenges, if we look at them in depth and impartiality, without fanaticism and predilection, we see that the best solution to those problems lies in the return of humankind to the commitment of the highest common human values, such as justice, peace, tolerance, equality, the performance of honesty, honesty, the fulfilment of the Covenant and the survival of the poor and the destitute.., Which were agreed by the heavenly religions, civilizations and philosophies of the ancient and modern, the roots of which are mostly due to divine revelation.

Therefore, the study of these values by researchers, international institutions and owners of religions and civilizations has become a necessity of the era, so that the idea of these values will crystallize in the sense and sensibility of individuals, generations and societies.

Faith in God, the last day, and in the heavenly legislation makes the individual and society take root in them those values and high ideals, and abide by them in all spheres of life, because the heavenly canons are linked to faith, the cornerstone of which is good deeds.

Our professor Badi Al-Zaman Saeed Al-Nursi has taken care in his Nuri

messages to consolidate those values, and showed their importance, linking some of them with faith in God and the other day and the good names, and making commitment to them peaceful to rise to worldly and moral happiness, and criticized the present human civilization for being false and not committed to those values, and that it hypocrites humankind by calling to commit to some of them.

Because of the importance of highlighting the efforts of our professor Badih alzman, and the fact that the commitment to these human values is one of the consequences of the faith that has long called for and to consolidate its pillars and to push suspicions about it our professor, I was sent to meet the participation in your upcoming conference.

The plan for the search came as follows:

-Preface: the researcher studies the vocabulary of the title of the search by definition, explanation and clarification.

-The first topic: human values shared in the messages of light

-The second topic: the role of faith in the consolidation of common human values through the messages of light.

-Conclusion: the most important findings and recommendations of the researcher.

Keywords: (Nursi / shared human values / messages of light / faith / justice)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وآله أجمعين.

أما بعد: فإن الحقبة التاريخية التي عاش فيها أستاذنا النورسي كانت مليئة بالحوادث الأليمة والحروب الطاحنة، والصراعات المريرة بين شعوب الأرض والبلدان والطوائف المختلفة، ومنها بلده وشعبه، لذلك أراد أن يساهم في إيجاد الحلول المتينة لأنها هذه الصراعات والحروب والخلافات وإيجاد قواعد التقاهم ونشر بذور المحبة والوئام، بالتمسك والتشبث بالمشاركات والقيم والمبادئ والكلمات

لأن لترسيخ القيم الإنسانية المشتركة دور مهم للحد من التعصب أو التشدد الديني والفكري الذي ابتلت به الإنسانية خصوصاً في عصرنا هذا. كما أن له أهمية كبيرة في بناء شخصية الفرد ونضوجه واتزانها، وفي حمايته من الوقوع في الزلل والخطأ الأخلاقي والفكري والسلوكي، حيث أن تلك القيم إذا صارت ثقافة فردية وقناعة شخصية فإنها تشكل درعا واقيا لها.

إن أستاذنا يرى أن الإيمان محور الكمالات البشرية، ومنشأ القيم والمثل العليا، وأن الفرد والمجتمع بحاجة إلى الإيمان كي تترسخ فيه تلك القيم السامية، والكمالات الراقية، فتعكس على جميع مجالات حياتها، وذلك لأن الشرائع السماوية مرتبطة بالإيمان الذي ركن من أركانه هو العمل الصالح، وأن مصدرها واحد وهو الله سبحانه وتعالى، لأن الرسول الأكرم -صلى الله عليه وسلم- يقول: «الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد»⁽¹⁾.

إن الأسلوب الفريد الذي تميزت به رسائل النور ساهم وبشكل فعال في ترسيخ تلك القيم، وبيّن أهميتها، وربط بعضها بالإيمان بالله واليوم الآخر وبالأسماء الحسنى، وجعل الالتزام بها سُلماً للارتقاء إلى السعادة الدنيوية والأخروية، وانتقد المدنية الإنسانية الحاضرة كونها مزيفة وغير ملتزمة بتلك القيم، وأنها تنافق البشرية بالدعوة إلى الالتزام ببعضها.

من أجل ذلك كله يرى الباحث أن دراسة تلك القيم، والعمل لأجل تفعيلها من خلال ما رسمتها رسائل النور باتت ضرورية للدعاة والأكاديميين حتى تصل هذه الدراسات حول هذه القيم وتترسخ في شعور ولا شعور الأجيال والمجتمعات المسلمة وغير المسلمة، كي يسود عالمنا الخير والعدل والحرية والسلام والأمان، بإذن الملك المنان.

وقد حاولت في بحثي هذا أن أنتهج المنهج الاستقرائي ثم التحليلي فاستقرئ ما تفضل به أستاذنا عن القيم الإنسانية العليا وكيف ربطها بالإيمان، محلاً ومفسراً وموضحاً ما قاله حسب الاستطاعة لأن الإحاطة به بعيد المنال لاسيما من شخص قصير الباع مثلي.

هذا وقد جاءت خطة البحث كالآتي:

الإنسانية التي تتفق عليها الأديان والأمم والحضارات، كالعدل، والسلام، والتسامح، والتعاون، والمساواة، والصدق... إيماناً منه بأن الأديان تشكل جوهر الحضارات، حتى ولو أنكرت الحضارات ذلك - لذلك تبقى التأثيرات الدينية واضحة من بينها، وبالتالي نجد المجالات المشتركة بين الأديان تفسح المجال لحوارات مشتركة بين الحضارات. فضلاً عن ذلك إن الحضارات نفسها تحمل بشكل واضح بصمات الفطرة - سواء اعترف بذلك أصحابها أم لم تعترف- إذ أن فيها جوانب مشتركة تفسح المجال للاتفاق على القيم والمبادئ لا محالة.

من أجل ذلك كله سعى سعيه الحثيث بكتابة رسائله النورية ونشرها وتدريبها في وقته، ورغم الامكانيات الضعيفة والوسائل التقليدية وقتئذ، لكن لكون أن تلك الرسائل كتب لها القبول بسبب إخلاصه الكامل منه ومن طلابه، سرعان ما انتشرت على وجه الأرض وترجمت إلى أغلب لغات العالم.

وفي يومنا هذا بفضل التقدم في التقنيات الحديثة نرى أنه لم يعد بلا ريب ما أطلق عليه ج. برلود⁽¹⁾ العالم كقرية صغيرة خيالاً وحلماً، بل نرى تحقق ذلك بوضوح وعيان، بسبب الشبكات العنكبوتية-الإنترنت- والتكنولوجيا، إضافة إلى سهولة وسائل الانتقال عبر الطائرات والسيارات..

وقد حمل هذا النقل والاتكماش للكرة الأرضية - من حيث المسافة - في طياتها كثيراً من التغيرات في نمط الحياة الاجتماعية واختلطت القيم والاديان والتراث بحيث تنظر المجتمعات إلى بعضها البعض وتقلد بعضها البعض في كل صغيرة وكبيرة خصوصاً الأقوام المغلوبة والضعيفة والمتخلفة حضارياً ودينياً واقتصادية وعسكرياً، ولم تكن الشعوب المسلمة سالمة من هذا بسبب التخلف الذي أصابها بعد سقوط الخلافة الإسلامية.

من أجل ذلك كانت من المهم بمكان دراسة هذه القيم من قِبَل الباحثين والمؤسسات الدولية وأصحاب الديانات والحضارات، حتى تتبلور فكرة هذه القيم وتبُذّر في شعور ولا شعور الأفراد والأجيال والمجتمعات.

I الهوامش: نقلاً عن بحث منشور في المؤتمر العالمي السابع لبديع الزمان سعيد النورسي بعنوان: مساهمة القيم الدينية في التفاهم وإصلاح العالم الممزق في ضوء رسائل النور في ضوء رسائل النور أ.د. أزهر أرشد- رئيس جامعة علاء الدين الإسلامية بأندونيسيا (ص: 396)

I ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبُد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (ت: 354هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الثانية، 1414 - 1993: (15/225) رقم الحديث: 6814.

السنة والجماعة المعبرين، وأئمة أهل الحديث وأعلام علماء الصوفية - أكثر من أن تذكر بأن الإيمان قول باللسان وعقد بالجنان وعمل بالأركان»⁽¹⁾

ويقول الاستاذ النورسي عن الإيمان: الإيمان هو: «النور الحاصل بالتصديق بجميع ما جاء به النبي عليه السلام تفصيلاً في ضروريات الدين واجمالاً في غيرها»⁽²⁾ ولا يقصد بذلك أن العمل ليس داخلًا في مفهوم الإيمان لأنه يقول في موضع آخر: «إن الدين ليس عبارة عن الإيمان فقط، بل العمل الصالح أيضاً هو الجزء الثاني من الدين»⁽³⁾.

ثانياً: معنى القِيم لغة واصطلاحاً:

القيم لغة:

«القيَم» أصل اشتقاقها في اللغة العربية إما جمع للقيمة، أو مصدر لقام بمعنى الاستقامة، ومادتها (ق، و، م) معتل العين واوي، وتأتي لمعان عدة منها: بمعنى القيمة، وهي ما يكون به الشيء ذا ثمن أو فائدة، وبمعنى التقويم، والاعتدال، والتوجه، والعدل والثبوت على الشيء، والحسن، وعماد الشيء....

قال الجوهري: القيمة: واحدة القِيم، وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء. يقال: قومت السلعة. والاستقامة: الاعتدال. يقال: استقام له الأمر. وقوله تعالى: (فاستقيموا إليه) أي في التوجّه إليه دون الآلهة. وقومت الشيء فهو قويمٌ، أي مُستقيمٌ. وقولهم: ما أقومُهُ، شاذٌّ. وقوله تعالى: (وذلك دينُ القِيمَةِ) إنما أتته لأنه أراد المِلَّة الحنيفية. والقوامُ: العَدْلُ. قال تعالى: (وكان بين ذلك قواماً). وقوامُ الرجل أيضاً: قامته وحسن طوله. وقوام الأمر بالكسر: نظامه وعماده. يقال: فلا ن قوامُ أهل بيته وقِيامُ أهل بيته، وهو الذي يقيم شأنهم: ومنه قوله تعالى: (ولا تُؤْتوا السُّفهاءَ أموالكم التي جعلَ اللهُ لكم قِياماً)⁽⁴⁾.

وقال ابن فارس:.. وكل من ثبت على شيء وتمسك به فهو قائم عليه. وقال تعالى: (لْيَسْأَلُوا سُوءًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةً قَائِمَةً)؛ إنما هو من المواظبة على الدين والقيام به؛ الفراء: القائم المتمسك بدينه،..

1 السفاريني، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي (المتوفى: 1188هـ) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق، الطبعة: الثانية - 1402 هـ - 1982 م (1/430).

2 إشارات الإعجاز (ص:48).

3 الشعاعات (ص:477).

4 الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (2018-2017/5).

-التمهيد: يدرس الباحث فيه مفردات عنوان البحث بالتعريف والشرح والإيضاح.

-المبحث الأول: القيم الإنسانية المشتركة في رسائل النور

-المبحث الثاني: دور الإيمان في ترسيخ القيم الإنسانية المشتركة من خلال رسائل النور.

-الخاتمة: أهم ما يتوصل اليها الباحث إليها من النتائج والتوصيات.

التمهيد

يحاول الباحث في هذا التمهيد أن يشرح مفردات عنوان البحث بما هو المقصود الحقيقي منها ومن مرادفاتها واستعمالات الأستاذ بديع الزمان لها باختصار:

أولاً: معنى الإيمان لغة واصطلاحاً:

الإيمان لغة: مصدر من آمن يؤمن فهو مؤمن⁽¹⁾، وأصل آمن آمن بهمزتين خففت الهمزة الثانية على اختلاف في ذلك⁽²⁾، وهو من الأمن ضد الخوف. قال الأزهري: «واتق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه: التصديق قال الله تعالى: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا)⁽³⁾.

والإيمان اصطلاحاً: عرف بتعاريف عدة والتعريف المختار منها هو: «قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالأركان» ، يقول السفاريني: « والآثار عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الدين من أهل

1 الأزهري، تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: 370هـ)، دار الكتاب العربي عام 1967م، ط. دار الكتاب العربي عام 1967م: (15/513).

2 الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: 4، 1407 هـ - 1987 م: (5/2071).

3 الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412 هـ. (ص35) وتهذيب اللغة (15/515)، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقشوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م: (ص1518)، و ابن منظور، لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711هـ)، دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - 1414 هـ: (13/21).

ثالثاً: القِيمُ ومرادفاته في رسائل النور:

وقد يذكر الأستاذ في رسائله هذه الكلمة «القيم» صراحة وقد يذكر مرادفاتها فيعبر عنها: بالكمالات أو الكمالات الإنسانية أو بالمُثل الإنسانية، أو الإنسانية، أو الأخلاق الفاضلة أو السجايا الفاضلة.

فمثلاً عندما يتحدث عن القيم يقول:

«إنَّ هناك كلمتين اثنتين هما منشأ جميع ما آلت إليه البشرية في حياتهم الاجتماعية من تَرَدٍّ في الأخلاق وانحطاط في القِيَمِ، وهما منبع جميع الاضطرابات والقلقل...»⁽¹⁾.

وأكثر ما يعبر عنها بالكمالات أو الكمالات الإنسانية أو الكمالات البشرية، فعلى سبيل المثال يقول: «ثم أصبح ذلك المسافر المتفكر كلما قرأ صحيفةً قويَّ إيمانه الذي هو مفتاح السعادة، وزادت معرفته بالله التي هي مفتاح المدارج المعنوية، وانكشفت لبصيرته درجة أخرى من حقيقة الإيمان بالله الذي هو الأساس القويم لجميع الكمالات ومنبعها الثَّرُّ العذب».⁽²⁾

ويقول رحمه الله: «إن الإيمان والتوحيد هما أساس جميع الكمالات الإنسانية وجوهرها ونورها وحياتها».⁽³⁾

ويقول: « كما أن حقيقة جميع العلوم وحقيقة الكمالات البشرية وطبقات الكَمَل من البشر، تستند كلها إلى الأسماء الإلهية الحسنى».⁽⁴⁾

وعندما يتحدث عن حكمة القرآن الكريم يعبر عنها بالمُثل الإنسانية يقول رحمه الله: «.. وتجعل غاياتها الحدَّ من تجاوز النفس الأمانة ودفع الروح إلى معالي الأمور، وإشباع مشاعرها السامية لسوق الإنسان نحو الكمال والمثل الإنسانية».⁽⁵⁾

في معرض الاستدلال على صدق نبوة الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم:- يعبر عنها

والجمع قيم.. القيم مصدر بمعنى الاستقامة..

وقال أيضاً: «والقيم: مصدر كالصغر والكبر إلا أنه لم يقل قوم مثل قوله: لا يبيغون عنها حولاً؛ لأن قيماً من قولك قام قيماً، وقام كان في الأصل قوم أو قوم، فصار قام فاعتل قيماً، وأما حول فهو على أنه جار على غير فعل؛ وقال الزجاج: قيماً مصدر كالصغر والكبر»⁽¹⁾.

وقال الزبيدي: والقيم، كعنب: الاستقامة، قال كعب:

(فهم صرفوكم حين جرت عن الهدى... بأسيا فهم حتى استقمتم على القيم)، وخلق قيم حسن، ودين قيم مستقيم لا زبغ فيه⁽²⁾.

القيم اصطلاحاً:

مما سبق من معنى القيم في اللغة يتبين أنها تدور في حقلها الدلالي حول قيمة الشيء ومقداره والتقويم والاعتدال والاستقامة وعدم الميل والثبات والتحكم في الأمور، فهي بهذا الاعتبار تكون جامعاً لكثير من المعاني والاعتبارات التي تدور معظمها حول كل ما يمثل معياراً وميزاناً للإنسان يتحرك من خلاله، ويتصرف وعياً وسعياً بوحى من إشاراته وتوجيهاته، بحيث تكون هذه الحركة في استقامة وثبات، وبه يكون لهذه الحركة قدرها فاعليتها، وتكون قيمة أي فعل إنساني، هي ثمنه من جهة رضا الآخرين عنه⁽³⁾.

فتبعاً لهذا الأصل اللغوي نستطيع أن نعرّف القيم الإنسانية اصطلاحاً بأنها: تلك المبادئ الخلقية العامة المشتركة بين الأديان والحضارات التي تمتدح وتستحسن وتذم مخالفتها وتستهن، فلا يسمى قيمة إلا ما كان مستحسنًا وحظيت باستحسان عام ومستمر.

وقد تعرف أيضاً بأنها تلك المثل الروحية، والعقلية، والاجتماعية، والإنسانية الجديرة باهتمام الإنسان، وعنايته، لما لها من مزايا تجعلها تحظى بالتقدير⁽⁴⁾.

1 لسان العرب (503-12/497).

2 تاج العروس (33/318).

3 ينظر: الخطيب، قيم الإسلام الحضارية نحو إنسانية جديدة، بحث منشور ضمن سلسلة كتاب الأمة الصادرة عن إدارة البحوث الإسلامية، قطر، العدد: 139، رمضان، السنة الثلاثون، (ص: 20)

4 ينظر: الخطيب، قيم الإسلام الحضارية نحو إنسانية جديدة، د. محمد عبد الفتاح الخطيب، بحث منشور ضمن سلسلة كتاب الأمة الصادرة عن إدارة البحوث الإسلامية، قطر، العدد: (139)، رمضان، السنة الثلاثون. (ص: 162).

1 المكتوبات (ص: 353).

2 الشعاعات (ص: 205).

3 الشعاعات (ص: 289).

4 الكلمات (ص: 781).

5 الكلمات (ص: 151).

ورشحة من رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس، وحقيقة ملهمة من كنز علم الحقيقة، وترجمة معنوية نابغة من فيوضاته..⁽¹⁾

المبحث الأول: القيم الإنسانية في رسائل النور

عندما نتصفح رسائل النور نرى أن الاستاذ بديع الزمان تحدث عن القيم بأساليب شتى وتعابير راقية تحث من خلالها الفرد المسلم وغير المسلم والمجتمع الإسلامي والإنساني إلى التمسك بتلك القيم والرجوع إليها، بغية الوصول إلى عالم آمن وسعادة حقيقية في الدنيا والآخرة.

وقد نص الأستاذ على بعض القيم التي أشرنا إليها في المقدمة ونحن نستقري بعضاً منها وندرس قيمة كل منها في الشريعة وفيما ذكره الاستاذ وحث عليها.

أولاً: العدل

إن العدل مقصد مهم من مقاصد الشرع الحنيف، وقيمة عليا في الإسلام، ومبدأ أساس من مبادئه، وقد جاءت معظم أحكام الشريعة لتحقيقه، لذلك جاءت نصوص قرآنية كثيرة وأحاديث نبوية شريفة تحثنا عليه بغية تحقيقه وتبنيه.

لذلك نرى الاستاذ النورسي قد حث على هذه القيمة في رسائله وربطه بالإيمان بالله واليوم الآخر والأركان الأخرى، بل ذهب إلى أبعد من ذلك فهو رحمه الله جعله أمراً ثابتاً ومقرراً واستدل به على وجود الحشر الجسماني في الآخرة في مواضع عديدة في رسائله، فيقول رحمه الله:

«وأما القياس العدلي الذي تشير إليه الآية الكريمة: {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} (فصلت: ٤٦) فخلاصته: أننا نرى كثيراً في عالمنا، أن الظالمين والفجار يقضون حياتهم في رفاة وراحة تامة، أما المظلومون والمتدينون فيقضونها في شظفٍ من العيش بكل مشقة وإرهاق.. ومن ثم يأتي الموت فيحصد الاثنين معا دون تمييز، فلو لم تكن هناك نهاية مقصودة ومعينة لظهور الظلم إذن في المسألة؛ لذا فلا بد من الاجتماع الأخروي بينهما حتى ينال الأول عقابه وينال الثاني ثوابه؛ إذ المنزّه عن الظلم سبحانه وتعالى وهو العادل الحكيم، بشهادة الكائنات قاطبة، لا يمكن بحال من الأحوال أن تقبل عدالته وحكمته هذا الظلم ولا يمكن أن ترصيا به. فالنهاية المقصودة إذن حتمية؛ لأن رؤية هذا الإنسان الكادح المنهوك جزاءه وثوابه - حسب استعداده - يجعله رمزا للعدالة المحضة ومدارا لها، ومظهرا للحكمة الربانية،

1 الملاحق(ص:105).

بالأخلاق الفاضلة، يقول رحمه الله:

«إن ذلك الداعي إلى الوحدانية والسعادة الأبدية الذي هو مَعْدِنُ الكمالات ومَعْلَمُ الأخلاق الفاضلة. لا ينطق عن نفسه وحسب هواه -حاشاه- وإنما ينطق بالوحي الإلهي. فهو يستلم الوحي من ربه الجليل ويبلغ به الآخرين⁽¹⁾.

وأيضاً عندما يتحدث عن تصرفات الإنسان مع ما حوله وانحصار تفكيره في الحاضر فقط من دون ربطه بالمستقبل والأبد يقول: «لذا فالإنسان المنحصر في الحاضر فقط المنسلخ من الماضي، المبتوت الصلة بالمستقبل - وهما معدومان ميطان مظلمان بالنسبة له- هذا الإنسان يكسب سجايا المروءة والمحبة والأخوة والإنسانية على أساس حاضره الضيق،.. فلا يرقى أبداً إلى مرتبة الصدق في الوفاء، ولا إلى مكانة الإخلاص في الصداقة، ولا إلى درجة الودّ المصفى من الشوائب في المحبة، ولا إلى الاحترام المبرأ من الغرض في الخدمة؛ لأن سعة تلك السجايا والكمالات قد تضاءلت وصغرت بالنسبة نفسها، وحينها يتردى الإنسان إلى درك أدنى الحيوانات عقلاً.⁽²⁾

رابعاً: رسائل النور

هي الرسائل التي ألفها الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله المتوفى (١٩٦٠م) والتي تضم تسعة أجزاء في مائة وثلاثين ونيف من الرسائل مع خمس عشرة رسالة باللغة العربية.. سجل فيها الأستاذ كل ما استلهمه من نور القرآن الكريم من معاني الإيمان، وأملاها على محبيه في ظروف عسيرة بقصد إنقاذ إيمان الناس.⁽³⁾

ويعرفها الأستاذ بنفسه ويقول: «..فهي تفسير معنوي للقرآن الكريم بحيث تلزم أعتى الفلاسفة وتسكتهم».⁽⁴⁾

فهي «برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيم له، وهي لمعة براءة من لمعات إعجازه المعنوي،

1 المكتوبات (ص:245).

2 الشعاعات (ص:384).

3 العالم يتصفح كليات رسائل النور، لمحات من حياته وآثاره، من منشورات دار سوزلر للنشر، القاهرة- مصر(ص:25).

4 الشعاعات (ص:769).

عليك وأنت تستحقها.. فعلا تستند وتثير غضب الموجودات كلها عليك فتقترف الظلم والإسراف ولا تكثرث للموازنة والنظافة؟.. وإن العدالة العامة الجارية في الكون النابعة من التجلي الأعظم لاسم «العدل» إنما تدير موازنة عموم الأشياء، وتأمّر البشرية بإقامة العدل»⁽¹⁾.

وينتقد المدنية الحاضرة بأنها تمارس أنواع الظلم والاستبداد إزاء الشعوب المغلوبة في الحرب العالمية التي أفرزت أنواعا من القسوة والغدر وأشد أنواع الظلم، يقول رحمه الله: «بسبب التعصب العنصري والأثنية التي نشأت في هذا العصر العاصف من المدنية الغادرة، والدكتاتورية العسكرية التي أعقبت الحرب العالمية، وما أفرزته الضلالة من القسوة وعدم الرحمة، ساد أشد أنواع الظلم وأشد أنواع الاستبداد، بحيث لو قام أهل الحق بالدفاع عن حقوقهم بالقوة لأصاب الكثير من الأبرياء والضعفاء أشد الظلم نتيجة الحيدة عن العدل، فيبقى هؤلاء مغلوبين على أمرهم يقاسون أشد أنواع الظلم»⁽²⁾.

ويقول رحمه الله: «إن مجموع ما ارتكبه البشرية من مظالم وجرائم وخيانات في القرون الأولى قاءتها واستقرغتها هذه المدنية الخبيثة مرة واحدة. وسوف تصاب بالمزيد من الغثيان في قابل أيامه»⁽³⁾.

ونكتفي بهذا القدر -خشية الاطالة - مما ذكره الأستاذ بديع الزمان عن هذا المقصد العظيم والقيمة الأساسية التي للإيمان دور مهم في ترسيخها وتبنيها في كل مجالات حياة الفرد والمجتمع ، إذ كما رأينا أنه من سنن الله التي بني عليه الكون، وهو من المقاصد الأربعة الكلية المنتشرة في أغلب آيات القرآن الكريم وسوره.

ثانياً: الحرية

من القيم المهمة التي أولى الإسلام بها اهتماما هي قيمة الحرية، فقد جاء الإسلام لأجل تحرير من شاء من عبادة العباد إلى حرية عبادة رب العباد⁽⁴⁾. لأنها مطلب فطري إنساني إسلامي عقلي أكدته الفطرة، وأيدته الخلقة، ودعمته الشريعة. وعمل من أجل تربيتها وتهذيبها وتقويمها، وكفل للإنسان

1 للمعات (ص:513-512).

2 الشعاعات (ص:485).

3 الكلمات (ص: 896).

4 أصل هذه العبارة للصحابي الجليل ربيعي بن عامر الذي أرسله سعد بن أبي وقاص إلى روستم قائد جيش الفرس ودار بينهما مناظرة لطيفة، وبين فيه ربيعي بن عامر حقيقة الإسلام والدعوة التي ينشدها للناس.. ينظر تفاصيل الموضوع: الطبري تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) دار التراث - بيروت الطبعة: الثانية - 1387 هـ (3/520).

ومنسجما مع الموجودات الحكيمة في الكون وأخا كبيرا لها»⁽¹⁾.

ويرى الأستاذ أن العدل أحد مقاصد القرآن الأربعة، ويقرر بأن أغلب السور المطولة والمتوسطة يحتوي على تلك المقاصد، ويفتح أمام الإنسان أبوابا للإيمان يحقق بها إقرار المقاصد النبيلة الأخرى، يقول رحمه الله: «إن أغلب السور المطولة والمتوسطة -التي كل منها كأنها قرآن على حدة- لا تكتفي بمقصدتين أو ثلاثة من مقاصد القرآن الأربعة (وهي: التوحيد، النبوة، الحشر، العدل مع العبودية)»⁽²⁾.

ويقول: «أن مقاصد القرآن الأساسية وعناصره الأصلية المنبثقة في كل جهاته أربعة: إثبات الصانع الواحد، والنبوة، والحشر الجسماني، والعدل»⁽³⁾.

ومن جانب آخر أشار-رحمه الله- إلى أن العدل أحد القوانين السبعة التي يلوح إلى طرف ما ينكشف منه اسم الله الأعظم من الأسماء الحسنى، وتجلياً من تجلياته التي يطلب من الإنسان أن يعلن ما ركبت فيه من تلك الأسماء الحسنى ويظهر تلك اللطائف البديعة أمام أنظار المخلوقات بعلم وشعور، وبجوانب حياته كافة في معرض الدنيا هذه.

فيقول رحمه الله: «إن القوانين السبعة السابقة، أي قانون الربوبية، وقانون الكرم، وقانون الجمال، وقانون الرحمة، وقانون الحكمة وقانون العدل، وقانون العلم المحيط.. وأمثالها من القوانين العظمى، يلوح كل منها من طرف ما ينكشف منه، اسم الله الأعظم، وتجلياً أعظم لذلك الاسم الأعظم»⁽⁴⁾.

ويرى رحمه الله أن العدل بمعناه الشامل مقصود تطبيقه في كافة مجالات الحياة وعلى كافة مخلوقات الله، من السنن الإلهية التي لا يجوز للإنسان أن يعدل عنها، وأنه من الدساتير الإلهية الشاملة التي تدور رحى الموجودات عليها، يقول رحمه الله: «اعلم أن «الاقتصاد والظفر والعدالة» سنن إلهية جارية في الكون، ودساتير إلهية شاملة تدور رحى الموجودات عليها لا يفلت منها شيء إلا أنت أيها الشقي، وأنت بمخالفتك الموجودات كلها في سيرها وفق هذه السنن الشاملة تلقى النفرة منها والغضب

1 الكلمات (ص:651).

2 الكلمات (ص:557).

3 صيقل الإسلام(ص: 20).

4 الكلمات (ص:557).

وقد أكد الاسلام أن أهم وأعظم مظهر من مظاهر الحرية للإنسان هو الإيمان بالله الواحد الفرد الصمد والعبودية له وحده، والحرية التامة الكاملة هي التخلص من قيود الخضوع لغيره.

وقد أثبت الاستاذ في رسائله هذا المعنى وقرر بأن الحرية الحقيقية لا بد أن يُستمدَّ ثمارها من الإيمان، فيقول ما نصه: «وإن جُنِّي فوائد الحرية الحقّة والاستفادة منها استقامة كاملة منوط بالاستعداد من الإيمان؛ ذلك لأن من أراد العبودية الخالصة لرب العالمين لا ينبغي له أن يُذِلَّ نفسه فيكون عبداً للعبيد.»⁽¹⁾

بل أشار -رحمه الله- إلى أن الإيمان يُرَسِّخ في الإنسان الحرية الحقيقية، ويُثَمِّمها ، وكما كان الإيمان راسخاً في القلب كانت الحرية أقوى يقول رحمه الله«المؤمن حرّ في ذاته. فالذي هو عبد لله رب العالمين لا ينبغي له أن يتذلّل للناس، بمعنى أنه كلما رسخ الإيمان قويت الحرية. أما الحرية المطلقة فما هي إلا الوحشية المطلقة بل هي بهيمية، وتحديد الحرية ضروري من وجهة نظر الإنسانية».⁽²⁾

ويقوم الحجة الدامغة على هذا المعنى في رسائله عموماً وفي صيقل الإسلام على وجه الخصوص فعندما يسألونه عن أنه كيف تكون الحرية خاصة الإيمان؟

يجيب رحمه الله: «لأن الذي ينتسب إلى سلطان الكون برباطة الإيمان ويكون عبداً له تتنزّه شفقتُه الإيمانية عن التجاوز على حرية الآخرين وحقوقهم، مثلما تترفع شهامته الإيمانية وعزته عن التنازل بالتذلل للآخرين والانقياد لسيطرتهم وإكراههم... فبمقدار قوة الإيمان إذن تتلأأ الحرية وتسطع»⁽³⁾

وهو يرى أن الحرية الشرعية تجل من تجليات الخالق الرحمن الرحيم فيقول - رحمه الله -: «نعم إن الحرية الشرعية عطية الرحمن] وتجلّ من تجليات الخالق الرحمن الرحيم، وهي خاصّة من خصائص

وقد أجاب الاستاذ عن الانتقادات الواردة على الاسلام في موضوع الرق بقوله: فالشريعة ليست هي التي أوجدت الرق، بل هي التي أوجدت السبُل، ومهدت الطريق لتحويل الرق من أقسى صورته إلى ما ييسر الوصول إلى الحرية التامة والانتقال إليها. أي عدلت تلك الصورة البشعة وقَلَّت منها.⁽²⁾

وينتقد المدنية الحاضرة بأنها تتفق في ادعاءها أنها تجلب للبشرية الحرية بقوله: «إن حرية الفكر وحرية الكلام وحسن النية وسلامة القلب التي لم أشاهدها في هذه المدنية الدنية، مستولية على جبال شرقي الأناضول بكل معانيها»⁽³⁾.

ويقول رحمه الله:«قد وضع الظلم على رأسه قنسوة العدالة ولبست الخيانة رداء الحمية وأطلق على الجهاد اسم البغي، وعلى الأسر اسم الحرية. وهكذا تبادلت الأضداد صورها»⁽⁴⁾

ويرى أن الفضيلة المتسمة بالإيمان لا تقبل إكراه الآخرين على اعتناق دين أو فكر أو ممارسة عمل خارج عن الإرادة ومهين لها، يقول رحمه الله: «إن الفضيلة المتسمة بالإيمان، كما لا تكون وسيلة للإكراه، لا تكون سبباً للاستبداد قطعاً. إذ الإكراه والقسر والتسلط على الآخرين، رذيلة ليس إلا، بل إن أهم مشرب لدى أهل الفضيلة هو الاندماج في المجتمع بالعجز والفقر والتواضع. ولقد مضت حياتنا والله الحمد وما زالت كذلك تمضي على وفق هذا المشرب»⁽⁵⁾

يرى أن من عمل لأجل إيقاظ الأمم والشعوب إزاء التمسك بهذه القيمة والقيم العليا الإنسانية الأخرى فهو أعظم إنسان ويمثل لذلك بالرسول الأكرم - صلى الله عليه وسلم - ويقول: «إن التاريخ يرينا أن أعظم الناس هو الموفّق لايقاظ واحد أو اثنين أو ثلاث من هذه الحسيات العمومية: كحس الحمية الملية، وحس الاخوة، وحس المحبة، وحس الحرية الخ.»⁽⁶⁾

1 صيقل الاسلام (ص:460).

2 صيقل الاسلام (ص:424).

3 صيقل الاسلام (ص:390).

4 المكتوبات (ص:614).

5 للمعات (ص:254).

6 إشارات الاعجاز (ص:186).

1 صيقل الاسلام (ص:490).

2 صيقل الاسلام (ص:494).

3 صيقل الاسلام (ص:356-357).

فهو يرى أن رسائل النور التي حاول فيها اثبات الحقائق الإيمانية بأدلة قاطعة هي أقوى وسيلة وأنجع دواء لهذه الأمة، في سبيل إعادة الأخوة الإسلامية والتعاون المعنوي بين المسلمين، فيقول رحمه الله:

«إن رسائل النور هي أقوى وسيلة وأنجع دواء لهذه الأمة في هذا البلد في سبيل إعادة الأخوة الإسلامية السابقة والمحبة السابقة وحسن الظن والتعاون المعنوي بين ثلاثمائة وخمسين مليون مسلم، وفي سبيل البحث عن وسائل هذا التعاون....»⁽¹⁾.

ويرى أن قيمة التعاون دستور جارٍ في جميع الكون والكائنات، ويستدل بهذا التعاون الموجود والمنتظم بينها على وجود الخالق الحكيم المدير، فيقول - رحمه الله - : «إن دستور «التعاون» الجاري الظاهر، ابتداءً من جري الشمس والقمر، وتعاقب الليل والنهار وترادف الشتاء والصيف.. إلى إمداد النباتات للحيوانات الجائعة، وإلى سعي الحيوانات لمساعدة الإنسان الضعيف المكتم، بل إلى وصول المواد الغذائية على جناح السرعة لإغاثة الأطفال النحاف، وإمداد الفواكه اللطيفة. بل إلى خدمة ذرات الطعام لحاجة حجيرات الجسم.. كلُّ هذه الحركات الجارية وفق دستور «التعاون» تُري لمن لم يفقد بصيرته كلياً أنها تجري بقوة مربيٍّ واحدٍ كريم مطلق الكرم، وبأمر مدبّرٍ واحدٍ حكيم مطلق الحكمة.»⁽²⁾

ويرى أن هذا التعاون المنتظم بين ما يوجد في الكون من مخلوقات و من بين أجزاء هذه المخلوقات دليل على أنه دستور عام شامل للعالم بأجمعه لذلك ينبغي أن يتجلى بين البشر، لأنه أيضاً من ضمن هذا العالم وفرد من أفرادها، يقول رحمه الله: « نعم، تجاوزت أعضاء الكائنات بشمسها وقمرها لمنفعة الحيوانات، وتسارع النباتات لإمداد أرزاق الحيوانات، وتسابق مواد الأغذية لتزريق الثمرات، وتزيّن الثمرات لجلب أنظار المرتزقات، وتعاون الذرات في الإمداد لغذاء حجيرات البدن؛ دليلٌ قاطع ساطع على أن الدستور العام هو التعاون»⁽³⁾

وعندما ينتقد المدنية الحاضرة ويوازن بينها وبين المدنية التي تتضمنها الشريعة الأحمدية وتأمّر بها يقرر بأن التعاون دستور للحياة البشرية ويقول: « أما المدنية التي تتضمنها الشريعة الأحمدية وتأمّر بها: فإن نقطة استنادها: الحق بدلاً من القوة، والحق من شأنه: العدالة والتوازن. وهدفها: الفضيلة

لكن مع ذلك أنه لا يقرر الحرية المطلقة ويرفض الحرية التي تمس حرية وحقوق الآخرين، ويعتبرها عبودية، فيقول رحمه الله: «يا أبناء الوطن! لا تفسروا الحرية تفسيراً سيئاً كي لا تقلت من أيديكم، ولا تخنقونا بسقي الاستعباد السابق الفاسد في إناء آخر، ذلك لأن الحرية إنما تزدهر بمراعاة الأحكام الشرعية وآدابها والتخلق بالأخلاق الفاضلة»⁽¹⁾.

ويقول عندما يقول له طلابه لقد فسروا لنا «الحرية» تفسيراً خاطئاً سيئاً، وكأن الإنسان مهما فعل -في كنف الحرية- من سفاهات وردائل وفضائح لا يؤاخذ عليها مادام لم يضرب بها الناس... هكذا أفهمونا الحرية، أهي كذلك!؟:

ج: إن الذين فسروها هكذا، ما أعلنوا إلا عن سفاهاتهم وردائلهم على رؤوس الأشهاد، فهم يهذرون منذرعين بحجج واهية كالصبيان، لأن الحرية الحسنة ما هي إلا تلك المتأدبة بأداب الشريعة والمتزينة بفضائلها، وليست تلك التي في السفاهة والردائل. بل تلك حيوانية وبهيمة وتسلط شيطاني، ووقوع في أسر النفس الأمارة بالسوء.

إن الحرية العامة هي المحصلة الناتجة من حريات الأفراد، ومن شأن الحرية عدم الإضرار سواء بالنفس أو بالآخرين.

[على أن كمال الحرية، أن لا يتفرّعنَّ، وأن لا يستهزئ بحرية غيره، إن المراد حقٌّ لكن المجاهدة ليست في سبيلها]⁽²⁾

ثالثاً: التعاون

من القيم العليا التي تشترك فيها الأديان وتناشدها قيمة التعاون ونجدة المعدوم، وقد حث عليه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قال تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) (المائدة: ٢)، وقد ذكر الأستاذ هذه القيمة وربطها بالإيمان، وأكد على دور الإيمان والتمسك بالثوابت الإسلامية في ترسيخها.

1 الشعايات (ص:616).

2 الكلمات(ص:357).

3 المثوي العربي النوري(ص:244).

1 صيقل الاسلام (ص:430).

2 صيقل الاسلام (ص:354).

يقول رحمه الله: « قد علمتني زبدة تتبعاتي وتحقيقاتي في الحياة بتمخض الحياة الاجتماعية أن «الصدق» هو أس أساس الإسلام، وواسطة العقد في سجاياه الرفيعة ومزاج مشاعره العلوية. فعلينا إذن أن نحيي الصدق الذي هو حجر الزاوية في حياتنا الاجتماعية في نفوسنا ونداوي به أمراضنا المعنوية... و إن الكفر بجميع أنواعه كذب. والإيمان إنما هو صدق وحقيقة. وعلى هذا فالبون شاسع بين الصدق والكذب بُعد ما بين المشرق والمغرب. ولا ينبغي أن يختلط الصدق والكذب اختلاطاً النور والنار، ولكن السياسة الغادرة والدعاية الظالمة قد خلطتا أحدهما بالآخر. فاختلطت كمالات البشرية ومثلها بسفاسفها ونقائصها.⁽¹⁾

خامساً: المساواة

ويرى الأستاذ أن المساواة من القيم الأساسية التي يدعو إليها الإيمان والشريعة الغراء لكن بالتفسير الحق والشروط التي تضمن العدالة ولا تؤثر سلبياً على القيم الأخرى.

يقول رحمه الله: «الحرية والعدالة والمساواة التي كان يتربل بها خيرُ القرون والخلفاء الأربعة، ولاسيما في ذلك الوقت، دليل على أن الشريعة الغراء جامعة لجميع روابط المساواة»⁽²⁾.

وعندما يسأله العشائر ويقولون: كيف نتساوى مع غير المسلمين؟. يقول رحمه الله: «المساواة ليست في الفضيلة والشرف، بل هي في الحقوق. فالسلطان الملك والفقير المسكين كلاهما سيان في الحقوق.. فيا للعجب إن الشريعة التي نهت عن تعذيب نملة وأمرت ألا تداس عمدأ، أتهمل حقوق بني آدم؟ كلا! ولكن نحن الذين لم نمتثل الشريعة. ألا تكفي لتصحیح خطئكم هذا، محاكمة أمير المؤمنين الإمام علي رضي الله عنه، مع يهودي فقير، ومرافعة صلاح الدين الأيوبي -وهو مدار فخركم- مع نصراني مسكين.»⁽³⁾

ويرى رحمه الله أن المساواة الحققة دستور قائم، يقول رحمه الله: «ففي جامع العبادة يتساوى الملك والمتسول فلا امتياز، بل المساواة الحققة دستور قائم»⁽⁴⁾.

1 صيقل الاسلام (ص:466).

2 صيقل الاسلام (ص:435-434).

3 صيقل الاسلام (ص:361).

4 صيقل الاسلام (ص:495).

بدلاً من المنفعة، والفضيلة من شأنها: المودة والتجاذب. دستورها في الحياة: التعاون بدلاً من الجدل والصراع، والتعاون من شأنه: الاتحاد والتساند»⁽¹⁾.

وعندما أرسل رسالة تبريك إلى رئيس الوزراء في وقته من المسائل التي بارك عليها تعاونه مع الدول الإسلامية، والذي كان منقطعاً من زمن طويل، يقول رحمه الله: «إلى رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء.. رجل على شفير القبر، جاوز الثمانين وأبتلي بأمراض عديدة، شيخ غريب ضعيف، يقول: أريد أن أبين لكم حقيقتين: أولهما: أننا نبارك تعاونكم الوثيق مع العراق والباكستان بملء أرواحنا ووجداننا، فلقد أكسبتم بهذا التعاون الفرح والانشراح لهذه الأمة..»⁽²⁾

ويقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: {لَوْجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}(الحجرات: 13)

«أي: لتعارفوا، فتعاونوا، فتحابوا، لا لتتناكروا فتعادوا فتعادوا! إذ كما أن هناك روابط تربط الجندي بفضيله وفوجه ولوائه وفرقته في الجيش، وله واجب ووظيفة في كلٍ منها؛ كذلك كل إنسان في المجتمع له روابط متسلسلة ووظائف مترابطة. فلو اختلطت هذه الروابط والوظائف ولم تُعَيَّن وتحدّد لَمَا كان هناك تعاون ولا تعارف...»⁽³⁾

رابعاً: الصدق

ومن القيم العليا التي حث عليها الأستاذ بديع الزمان في رسائله وعدها من مستلزمات الإيمان أيضاً قيمة الصدق، وعقد لبيان أهميته فصلاً خاصاً له في صيقل الاسلام، بل اعتبره أول ما يلزم المسلم، فعندما يسأله طلابه ما أول ما يلزمنا؟ يجيب «الصدق»، ثم يسألونه ثم ماذا؟ فيجيبهم: «اجتناب الكذب». ويعلل لذلك بقوله: «لأن ماهية الكفر الكذب، وماهية الإيمان الصدق، أليس هذا البرهان كافياً: أن بقاء حياتنا مرهونة بدوام الإيمان والصدق والتساند»⁽⁴⁾.

ويعد الصدق أسّ أساس الإسلام، ورابطة القيم والسجايا العالية، ويعتبر أن الإيمان هو الصدق،

1 المكتوبات (ص:618)

2 الملاحق (ص:198).

3 صيقل الإسلام (ص:304).

4 صيقل الاسلام (ص:381).

يحاول أن يتحلى بأخلاقهم ويتجرد من نوازع البشرية إلى حد ما ويتشبه بالملائكة الذين هم واسطة لإنزال الكتب والصحف السماوية كما يشير إلى ذلك الأستاذ في الملاحق⁽¹⁾.

وكذلك الإيمان بالرسول الكرام يجعل الإنسان يتحلى بالقيم العليا التي كانوا يتحلون بها؛ لأن الإيمان بجميعهم يورث محبتهم والنظر إلى أحوالهم وأوصافهم التي ذكرها سبحانه في الكتب السماوية، فمثلاً يقول إبراهيم وإدريس عليهما السلام {إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا} (سورة مريم: ٤١ و ٥٦)، ويقول لإسماعيل عليه السلام {إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ} (سورة مريم: ٥٤)، ويقول لموسى عليه السلام {إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا} (سورة مريم: ٥١) ويقول لأيوب عليه السلام {إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} (سورة ص: ٤٤)، ويقول في شأن رسولنا الأكرم ﷺ {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (سورة القلم: ٤)، فقد جعلهم الله سبحانه قوة للبشرية في التحلي بالفضائل والقيم وأرسلهم إلى البشرية لترسيخها، وأيضاً إن الإيمان بجميع الرسل كما يقول الأستاذ يرسخ في الإنسان روح الأخوة يقول -رحمه الله-: «تضع بدلا من الأحاسيس والمشاعر بالعنصرية.. و يحقق لنا {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} (الحجرات: ١٠)»⁽²⁾.

وأيضاً الإيمان باليوم الآخر يجعل الإنسان يخاف من جريرة ارتكاب الرذائل ويحثه على التخلق بالقيم والفضائل المأمور بها؛ لأنه يرجي الثواب الأخرى منها.

وكذلك الإيمان بالكتب السماوية؛ لأن فيها من الأمر بالقيم والفضائل ما لا ينكره أحد.

وكذلك الإيمان بالقدر يجعل الإنسان يهذب أخلاقه ويخاف مما كتب من القدر مبنياً على الأسباب والمسببات ويتعد بذلك من الرذائل كما يقول الأستاذ النورسي -رحمه الله-: «وإن الدليل على أن «الإيمان بالقدر» له ثماره النفسية أيضاً في هذه الدنيا هو ما يدور على السنة الجميع، حتى غدا مضرراً للأمثال: (مَنْ آمَنَ بِالْقَدْرِ آمِنَ مِنَ الْكُدْرِ).⁽³⁾»

ويقرر ويثبت بأسلوبه المقنع وحججه القوية الدامغة أن الإيمان بهذا الركن الأيماني يحقق للإنسان السعادة ويرسخ فيه القناعة وعدم اليأس و التصرف بعقلانية في حياته يقول -رحمه الله-: «أنني شاهدت من خلال حياتي بألاف من تجاربي وعرفت أن لا سعادة للحياة الدنيا دون الإيمان بالقدر، فلو لا هذا الإيمان لمُحيت إذن تلك السعادة وفنيت. بل كنت كلما نظرت إلى المصائب الأليمة من زاوية

1 الملاحق (ص:28).

2 الملاحق (ص:28).

3 الشعاات (ص:452).

لكن يرى رحمه الله أن المساواة المطلقة تتعارض مع العدالة وفطرة البشر والحكمة الأساسية في خلقه يقول -رحمه الله-: «تفويض قانون المساواة المطلقة لا يمكن إلا بتغيير فطرة البشر ورفع الحكمة الأساسية في خلق النوع البشري. نعم، إنني من حيث النسب ونمط معيشة الحياة من طبقة العوام، ومن الراضين بالمساواة في الحقوق فكرياً ومشربياً، ومن العاملين على رفض سيطرة طبقة الخواص المسمين بالبرجوازيين واستبدادهم منذ السابق وذلك بمقتضى الرحمة وبموجب العدالة الناشئة من الإسلام. لذا فأنا بكل ما أوتيت من قوة بجانب العدالة التامة، وضد الظلم والسيطرة والتحكم والاستبداد. بيد أن فطرة النوع البشري وحكمة خلقه تخالفان قانون المساواة المطلقة»⁽¹⁾.

المبحث الثاني: دور الإيمان في ترسيخ القيم الإنسانية المشتركة

إن الإيمان أعظم مدرسة خلقية، وأقوى وازع عرفه تاريخ الأخلاق وعلم النفس، وأنجع تربية ذاتية تجعل الإنسان يتحلى تلقائياً بالقيم والفضائل والكمالات، ويتخلى عن الآثام والرذائل، وهو كفيلاً بعلاج الانحرافات؛ فهو يغرس في كل فرد قضية مراقبة الله، والسعي لنيل الأجر والثواب، ويورث فيه خشية والخوف من الله، والحب لله، والرجاء منه، فلا يحتاج معه إلى قانون لكي يقومه ولا شرطي لكي يضبطه؛ لأن الإيمان الحقيقي يصنع في الأعماق نفساً لوامة للإنسان، ووازعا رادعاً له، وحارساً أميناً يحفظ كرامته وعزته، يجتنب به عن كل رذيلة يسخط الله سبحانه، ويضرب بالمجتمع.

وإذا نظرنا إلى كل ركن من أركان الإيمان يتبين لنا هذه الحقائق أكثر، فمثلاً إذا آمن الإنسان بالله سبحانه وتمكن من قلبه، يستحضر عظمتة، ويحاول الالتزام بالفضائل والقيم التي أمر بها، والاقتراب منه بالحب الذي يورثه التفكير في نعمائه وألطفه، ويفكر في أوامره ونواهيه فيكون ملتزماً بهما ما أمكن، وإن سولت له نفسه شيئاً من المخالفة والتقصير سرعان ما أرجعته هذه المعاني والأفكار، فهو كما يقول الأستاذ النورسي -رحمه الله-: «..حسبي من الكمال في نفسي الإيمان بالله. إذ الإيمان للبشر منبع لكل كمالته»⁽²⁾.

وأيضاً إذا آمن بالملائكة فهو يستحضر وجودهم في كل مكان بموجب ما ورد من النصوص على ذلك، ولا يحس بالانفراد في أي مكان، فيستحيي منهم في كل أحواله، فلا يقترب الرذائل وعلى العكس

1 للمعات (ص:253).

2 للمعات (ص:490).

الإيمان بالله، إذ به يخلص الروح من ظلمات الإعدام ووحشة الأكوام ومن المأتم العمومي، ومن، ومن، ومن، ومن إلى ما لا يحَد من الأهوال المحرقة للروح.. وهو المحتوي على نقطتي الاستناد والاستمداد.. وكذا يُبدل نور الإيمان ما يُتوهم من الكائنات أعداء أجانِب أمواتاً موحشين؛ ويحولها أوداء إخواناً أحياءً مؤنسين.. «(1).

ويقول عن الحرية وكيف يرسخها الإيمان في نفوس البشرية:

« المؤمن حرّ في ذاته. فالذي هو عبد لله رب العالمين لا ينبغي له أن يتذلل للناس، بمعنى أنه كلما رسخ الإيمان قويت الحرية.»(2)

وعلى ذلك فلا تتحقق السعادة الكاملة في هذه الحياة ما لم تنبعث في الإنسان نور الإيمان في قلبه ولم تتلون على جوارحه وتصرفاته اليومية في كافة مجالات حياته الاجتماعية والاقتصادية، والسياسية والفكرية.

و في موضوع الإيمان بالله سبحانه وبالرسل الكرام عموماً وبنبينا الكريم - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - على وجه الخصوص، وفي الالتزام بهديهم للقيم والفضائل العامة والتربية النبيلة يقرر الأستاذ- رحمه الله- - أن من ترك التأدب بالتربية النبوية - صلى الله عليه وسلم- التي هي امتداد لما ورثته من جميع الأنبياء والرسل السابقين ومتمم لما جاؤوا بها من قيم وكمالات وأخلاق بنص الحديث النبوي القائل: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)⁽³⁾ يودي بروحه إلى السقوط المطلق إلى هاوية الرذائل يقول -رحمه الله-: «مَنْ يتركْ منهم التأدب بتربيته المباركة ويُجلِّ ريقته عن أوامره فلا يعترفُ بنبيٍّ آخر، بل يجحد حتى بالله سبحانه وتعالى. ولا يستطيع أن يحافظ على أسس الكمالات الإنسانية في روحه؛ ذلك لأنَّ أصولَ الدين وأسسَ التربية التي جاء بها الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - هي من الرسوخ والكمال ما لا يمكن أن يحررَ نورا ولا كمالاً قط مَنْ يدعُها ويتركها، بل يحكم عليه بالتردي والسقوط المطلق، إذ هو - صلى الله عليه وسلم - خاتمُ النبيين وسيدُ الأنبياء والمرسلين، وإمامُ البشرية بأكملها، في الحقائق كلها، بل هو مدارُ فخرها واعتزازها، كما أثبتَّ ذلك إثباتاً رائعاً على

1 المتنوي العربي النوري (ص: 99).

2 صيقل الاسلام (ص: 494).

3 ابن حنبل، مسند الامام أحمد بن حبل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م (14/513) برقم: (8952).

الإيمان بالقدر كانت تلك المصائب تخفت ويقلّ وطؤها عليّ، فكنت أسأل بحيرة: يا ترى كيف يستطيع العيش من لا يؤمن بالقدر؟(1).

ولما كانت مسألة الإيمان عند الإمام بديع الزمان النورسي و في رسائله من أهم المقاصد و أساسا لدعوته، نرى حضورها بكثافة في كل مباحثه و حلوله للقضايا الإنسانية عموماً وقضايا الأمة على وجه الخصوص.

وبالأخص عندما تتعلق المسألة بالقضايا والقيم الإنسانية العامة والمشاركة بين الديانات السماوية والحضارات الإنسانية، وكيفية ترسيخها في شعور ولا شعور البشر، والتي بها تتحقق السعادة الدنيوية والأخروية، نرى في تلك الحالة حضورها أكثر وحماسها بالتشبث بالأصول الإيمانية ومترتباتها لأجل تحقيق ذلك أعظم؛ لأن القيم المشتركة مثل(العدل والسلم والحرية والصدق والتعاون..الخ) إذا أهملت ولم تلتزم بها بنو البشر في حياتهم الاجتماعية فإنه يسود أضعافها، وعليها تصيب الإنسان أنواعاً من البليات والنكادات.

بل يذهب الأستاذ النورسي أبعد من أن يجعل الإيمان باعثاً على التمسك بتلك القيم فحسب، بل يرى أن الإيمان منبع للتخلق بجميع تلك القيم والأخلاقيات الفاضلة و النبيلة، ويعد الكفر وعدم الإيمان على العكس من ذلك قائلاً«..لأن الإيمان الذي هو منبع الخلق الحسن والخصال الحميدة ومنشؤها، لن يخلّ بالأمن بل يحققه ويضمنه. أما ما يخل بالأمن فهو عدم الإيمان بسوء خلقه وسجيته»(2).

إذا فالإيمان يجعل الإنسان يترسخ فيه تلك القيم النبيلة، ويعمل بها في حياته الفردية والاجتماعية.

فالمتخصص لرسائل النور يلاحظ المرجعية الإيمانية لكل ما تطرحها من أفكار ومناهج وحلول لجميع ما يمس الإنسان بصلة، فهو يجعل الإيمان نور الكون والوجود و سبباً للسعادة الدنيوية والأخروية، وخلصاً للروح من وحشة ظلمات الإعدام وجميع المصائب والنكادات التي يصيب الإنسان في الدنيا والآخرة، يقول -رحمه الله-: «الحمد لله على نعمة الوجود الذي هو الخير المحض، وعلى نعمة الحياة التي هي كمال الوجود، وعلى نعمة الإيمان الذي هو كمال الحياة بل حياة الحياة... الحمد لله على

1 الشعاعات (ص: 452).

2 السيرة الذاتية (ص: 303).

المتعدّي» لأن الكفر المطلق يشن هجوما عنيفا»⁽¹⁾.

نعم لا يقتصر الحلول المطروحة عند الأستاذ بديع الزمان النورسي - رحمه الله - على المجتمع المسلم فقط بل يريد أن يترسخ تلك القيم من خلال الإيمان المشترك بين الأديان السماوية ويسود السعادة الدنوية والأخروية من خلال الالتزام بها قائلا: « نعم، إنَّ هذا العصر الذي اعتَرَّ بنفسه وأصمَّ أذنيه عن سماع القرآن أكثر من أي عصر مضى، وأهل الكتاب منهم خاصة، أحوج ما يكونون إلى إرشاد القرآن الذي يخاطبهم بـ(يا أهل الكتاب.. يا أهل الكتاب) حتى كأن ذلك الخطاب موجّه إلى هذا العصر بالذات إذ إن لفظ (أهل الكتاب) يتضمن معنى: أهل الثقافة الحديثة أيضا!

فالقرآن يُطلق نداءه يدوي في أجواء الآفاق ويملأ الأرض والسبح الطباق بكل شدة وقوة وبكل نضارة وشباب فيقول: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ..} (آل عمران: ٦٤).⁽²⁾

ويؤكد أن ما ورد في كتبهم السماوية والمذكورة في القرآن الكريم يمكن أن يدفع بالمسلمين وأهل الكتاب أن يقتربوا ويتفقوا على بعض النقاط المشتركة ومنها القيم العليا مثل: التعاون والتساند ضد عدوهم المشترك الذي هو الالحاد والزندقة يقول - رحمه الله - : « لقد ثبت في الحديث الصحيح أن المتدينين الحقيقيين من النصارى سيتفقون في آخر الزمان مستتدين إلى أهل القرآن للوقوف معاً تجاه عدوهم المشترك: «الزندقة»، لذا فأهل الإيمان والحقيقة في زماننا هذا ليسوا بحاجة إلى الاتفاق الخالص فيما بينهم وحده، بل مدعوون أيضا إلى الاتفاق حتى مع الروحانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى، فيتركوا مؤقتا كل ما يثير الخلافات والمناقشات دفعا لعدوهم المشترك الملحد المتعدّي»⁽³⁾.

وأیضا أن أستاذنا بديع الزمان قد وقف حياته لقضية الإيمان وكتب معظم رسائله للدفاع عن الحقائق الإيمانية ، واعتبر الإيمان أس أساس الكمالات الإنسانية، والقيم والفضائل المشتركة، وقرر بأنه الطريق الوحيد للظفر بالسعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة.

ويقرر بأن رسائل النور ترسخ في الشباب الأخلاق الفاضلة والتصرفات الصحيحة، ويصير بفضل الإيمان التحقيقي الذي يكتسبه من خلاله طبيعة وطبعا راسخا فيه بحيث يرتقي به من خلالها إلى أعلى

مدى أربعة عشر قرنا»⁽¹⁾.

ومعلوم أن المصائب التي أصابت البشرية خصوصا في عصرنا الحاضر ترجع أسباب معظمها إلى إهمال الهدى الإلهي والإرشادات السبحانية التي دعى إليها من خلال الانبياء والرسل الكرام من القيم والفضائل والسلوكيات العامة مثل العدل والسلم والتعاون والحرية.. إلخ

ولا تتجو البشرية من هذه الأمراض والبلبات والمصائب إلا إذا استشرى في روحه الإيمان الصادق الذي يبعث على التمسك بالفضائل والقيم ويترسخ في روحه وروحه بحيث لا يستطيع الخروج عن التمسك بتلك الفضائل حتى في الأوقات والظروف الصعبة التي يمر بها.

ويقرر - رحمه الله - وبكل قناعة وإيمان أن اللذة الحقيقية في هذه الحياة تكمن في الإيمان وأن للإيمان ثمارا كثيرة في الدنيا والآخرة، قائلا « اللذة الحقيقية الصافية التي لا يكدرها ألم، إنما هي في الإيمان، وبالإيمان وحده يمكن الفوز بها. وهناك ألوف من الثمرات اللذيذة للإيمان في هذه الدنيا، وألوف من الفوائد والنتائج»⁽²⁾.

ويرى أن الإيمان يجعل الإنسان إنسانا بحيث لو عمل بمقتضياته يرتقي ويكون سعيدا في الدارين» إنَّ الإيمان يجعل الإنسان إنسانا حقا، بل يجعله سلطانا؛ لذا كانت وظيفته الأساس الإيمان بالله تعالى والدعاء إليه. بينما الكفر يجعل الإنسان حيوانا مفترسا في غاية العجز»⁽³⁾.

وإن من أدل الأدلة على أن الأستاذ كان يحاول من خلال النقاط الإيمانية المشتركة بين المسلمين وأهل الكتاب أن يرسخ القيم الإنسانية والفضائل النبيلة التي يحاول الملحدون والكفار أن يهدموا أسسها و يهاجموا على منابعها وأصولها ، يقول -رحمه الله- : «إن أهل الإيمان والحقيقة في زماننا هذا ليسوا بحاجة إلى الاتفاق الخالص فيما بينهم وحده، بل مدعوون أيضا إلى الاتفاق حتى مع الروحانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى فيتركوا مؤقتا كل ما يثير الخلافات والمناقشات دفعا لعدوهم المشترك

1 الكلمات (ص:165).

2 الشعاعات (ص: 340).

3 الكلمات (ص: 374).

1 الملاحق (ص: 142).

2 الكلمات (ص: 494).

3 للمعات (ص: 225).

التي يصيب الإنسان في الدنيا والآخرة.

- يرى الأستاذ بديع الزمان النورسي أن الإيمان محور الكمالات البشرية، ومنتشاً القيم والمثل العليا ومنبع لها، وأنه يجعل الفرد والمجتمع يتّرسّخ فيه تلك القيم والكمالات الراقية، ويجعلهما يلتزمان بها في جميع مجالات الحياة، وذلك لأن الشرائع السماوية مرتبطة بالإيمان الذي ركن من أركانه هو العمل الصالح، وأن مصدرها واحد وهو الله سبحانه وتعالى.
- قد يذكر الأستاذ في رسائله كلمة «القيم» صراحة وقد يذكر مرادفاتها فيعتبر عنها: بالكمالات أو الكمالات الإنسانية أو بالمثل الإنسانية، أو الإنسانية، أو الأخلاق الفاضلة أو السجايا الفاضلة.
- قد اهتم الأستاذ في رسائله النورية -بأسلوب فريد- بترسيخ تلك القيم، وبيّن أهميتها، وربط بعضها بالإيمان بالله واليوم الآخر وبالأسماء الحسنى، وجعل الالتزام بها سُلماً للارتقاء إلى السعادة الدنيوية والأخروية.
- إن لترسيخ القيم الإنسانية المشتركة دور مهم للحد من التعصب أو التشدد الديني والفكري التي ابتلت به الإنسانية خصوصاً في عصرنا هذا. كما أن له أهمية كبيرة في بناء شخصية الفرد ونضوجه واتزان، وفي حمايته من الوقوع في الزلل والخطأ الأخلاقي والفكري والسلوكي، حيث أن تلك القيم إذا صارت ثقافة فردية وقناعة شخصية فإنها تشكل درعا واقيا لها.
- أن المصائب التي أصابت البشرية خصوصاً في عصرنا الحاضر ترجع أسباب معظمها إلى إهمال الهدى الإلهي والإرشادات السبحانية التي دعى إليها من خلال الأنبياء والرسل الكرام من القيم والفضائل والسلوكيات العامة مثل العدل والسلم والتعاون والحرية.. إلخ ولا تتجو البشرية من هذه الأمراض والبلبات والمصائب إلا إذا استشرى في روحه الإيمان الصادق الذي يبعث على التمسك بالفضائل والقيم ويترسخ في روحه وروحه بحيث لا يستطيع الخروج عن التمسك بتلك الفضائل حتى في الأوقات والظروف الصعبة التي يمر بها.

مستوى من الخلق الإنساني وإلى أعلى مراتبها، ولا يبقى في حياته مجال للسفاهة وللسقوط الأخلاقي مما يكون نتيجة طبيعية لبعض الإيديولوجيات الضارة.

يقول رحمه الله: «إنّ الذين يقرأون «رسائل النور»، ولاسيما من الشباب الواعي يكتسبون إيماناً قوياً. فيصبح متديناً تديناً لا يهتر ولا يتوانى عن أية تضحية، ويكون مُحباً لوطنه. وعندما يوجد إيمان صلد في أي موضع كان فلا يكون هناك مجال للسفاهة وللسقوط الأخلاقي الذي يكون نتيجة طبيعية لبعض الإيديولوجيات الضارة.. لذا فإننا نقرأ «رسائل النور» وسنداوم على قراءتها لأنها تسمو بنا إلى أعلى مستوى من الخلق الإنساني وإلى أعلى مراتبها، ولأنها تعلّمنا -نحن الشباب- الدين الذي هو سبب رقيتنا في جميع المجالات، ولأنها تثبت فينا محبة الوطن ومحبة الأمة وتربينا على القيم الدينية التي تجعلنا نضحى بكل ما نملك في سبيلها».(1)

ويرى -رحمه الله- أن محبة الله الناشئة من الإيمان منبع جميع الكمالات الانسانية وفي ذلك يقول -رحمه الله-: «.. محبة الله الناشئة من الإيمان بالله، والمتفجرة من معرفته، هي أعظم كمال إنساني وأهمه وأوسع، بل هي منبع جميع الكمالات وأساسها».(2).

الخاتمة

في ختام هذه الرحلة الشيقة في حقائق ما تفضل به الأستاذ بديع الزمان حول مسألة الإيمان وتأثيره العجيب على المجتمع البشري والترقية به إلى أرقى مقامات الكمال من ناحية القيم الخلقية والمثل العليا ودور الإيمان في ترسيخها بينهم توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

- الإيمان هو الموجه الحقيقي لسلوك الإنسان إلى سبيل الخير، وليس هناك أي قانون من القوانين البشرية يستطيع أن يجعل سلوك الإنسان مستقيماً كما يصنعه الإيمان.
- المتفحص لرسائل النور يلاحظ المرجعية الإيمانية لكل ما تطرحها من أفكار ومناهج وحلول لجميع ما يمس الإنسان بصله، جاعلا الإيمان نور الكون والوجود وسببا للسعادة الدنيوية والأخروية، وخالصا للروح من وحشة ظلمات الإعدام وجميع المصائب والنكبات

1 الشعاعات (ص: 802-803).

2 الشعاعات (ص: 218).

• يقرر الأستاذ -رحمه الله - أن من ترك التأدب بالتربية النبوية -صلى الله عليه وسلم- التي هي امتداد لما ورثته من جميع الأنبياء والرسل السابقين ومتمم لما جاؤوا بها من قيم وكمالات وأخلاق يودي بروحه إلى السقوط المطلق إلى هاوية الرذائل.

• ولا يقتصر الحلول المطروحة عند الأستاذ بديع الزمان النورسي - رحمه الله - على المجتمع المسلم فقط، بل كان يرى أننا نستطيع من خلال النقاط الإيمانية المشتركة بين المسلمين وأهل الكتاب أن نرسخ القيم الإنسانية والفضائل النبيلة، التي يحاول الملحدون والكفار أن يهدموا أسسها و يهاجموا على منابعها وأصولها، والتي يعد الإيمان وأركانها أبرزها.

• ويرى الأستاذ أن العدل أحد مقاصد القرآن الأربعة، ويقرر بأن أغلب السور المطولة والمتوسطة يحتوي على تلك المقاصد، ويفتح أمام الإنسان أبواباً للإيمان يحقق بها إقرار المقاصد النبيلة الأخرى.

• ويرى أن أهم وأعظم مظهر من مظاهر الحرية للإنسان هو الإيمان بالله الواحد الفرد الصمد والعبودية له وحده وتحريره من قيود الخضوع لغيره. وقرر بأن الحرية الحقيقية لا بد أن يُستمدَّ ثمارها من الإيمان؛ ذلك لأن من أراد العبودية الخالصة لرب العالمين لا ينبغي له أن يُذلَّ نفسه فيكونَ عبداً للعبيد. ويرى -رحمه الله- أن الإيمان يُرسخ في الإنسان الحرية الحقيقية، ويُثَمِّبها ، وكلما كان الإيمان راسخاً في القلب كانت الحرية أقوى، لكن مقصوده بالحرية هي الحرية المقيدة بعدم المساس بالقيم وحقوق الآخرين، أما الحرية المطلقة فما هي إلا الوحشية المطلقة بل هي بهيمية، ويرى أن تحديد الحرية ضروري من وجهة نظر الإنسانية.

• يرى أن قيمة التعاون دستور جارٍ في جميع الكون والكائنات، ويستدل بهذا التعاون الموجود والمنظم بينها على وجود الخالق الحكيم المدبر ولا بد للإنسان أيضاً كونه من ضمن الكون أن يتجلى فيه هذه القيم.

• يعدّ الصدق أسس أساس الإسلام، ورابطة القيم والسجايا العالية، ويرى أن ماهية الكفر الكذب، و ماهية الإيمان الصدق.

• ويرى أن المساواة ليست في الفضيلة والشرف، بل هي في الحقوق. فالسلطان الملك والفقير

المسكين كلاهما سيان في الحقوق، لكن يرى أن المساواة المطلقة تتعارض مع العدالة وفطرة البشر والحكمة الأساسية في خلقه.

هذا ما تسنى للعبد الفقير في هذه العجالة دراسته والوصول إليه، فما كنت فيها مصيباً فمن الله وأحمد الله سبحانه وتعالى عليه، وما كنت مخطئاً فمني ومن الشيطان وأستغفر الله منه.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

* * *

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، الثُّسْتِي (ت: 354هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الثانية، 1414 - 1993.
2. ابن حنبل، مسند الامام أحمد بن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
3. ابن منظور، لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711هـ)، دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.
4. أرشد، مساهمة القيم الدينية في التقاهم وإصلاح العالم الممزق في ضوء رسائل النور، بحث منشور في المؤتمر العالمي السابع لبديع الزمان سعيد النورسي، أ.د. أزهري - رئيس جامعة علاء الدين الإسلامية بأندونيسيا.
5. الأزهري، تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: 370هـ)، دار الكتاب العربي عام 1967م.
6. الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف

15. النورسي، إشارات الاعجاز، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، مصر - القاهرة، الطبعة السادسة، سنة: 2011.
16. النورسي، السيرة الذاتية، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، مصر - القاهرة، الطبعة السادسة، سنة: 2011.
17. النورسي، الشعاعات، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، مصر - القاهرة، الطبعة السادسة، سنة: 2011.
18. النورسي، الكلمات، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، مصر - القاهرة، الطبعة السادسة، سنة: 2011.
19. النورسي، اللغات، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، مصر - القاهرة، الطبعة السادسة، سنة: 2011.
20. النورسي، المثنوي العربي النوري، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، مصر - القاهرة، الطبعة السادسة، سنة: 2011.
21. النورسي، المكتوبات، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، مصر - القاهرة، الطبعة السادسة، سنة: 2011.
22. النورسي، الملاحق، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، مصر - القاهرة، الطبعة السادسة، سنة: 2011.
23. النورسي، صيقل الاسلام، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، مصر - القاهرة، الطبعة السادسة، سنة: 2011.
- بالرأغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412 هـ.
7. الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربي، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م.
8. الخطيب، قيم الإسلام الحضارية نحو إنسانية جديدة، بحث منشور ضمن سلسلة كتاب الأمة الصادرة عن إدارة البحوث الإسلامية، قطر، العدد: (139)، رمضان، السنة الثلاثون.
9. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، (المتوفى: 1205هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية (بدون سنة الطبع).
10. السفاريني، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي (ت: 1188هـ)، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضوية، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، الطبعة: الثانية - 1402 هـ - 1982 م.
11. الطبري تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ) دار التراث - بيروت الطبعة: الثانية - 1387 هـ.
12. العالم يتصفح كليات رسائل النور، لمحات من حياته وآثاره، من منشورات دار سوزلر للنشر، القاهرة - مصر .
13. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م.
14. النورسي، الملاحق، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، مصر - القاهرة، الطبعة السادسة، سنة: 2011.

what is customary and famous in some research centers and political activities. Religious fanaticism plays a major role in reviving and developing faith. It all came in two demands.

العلاقة بين الإيمان والتعصب الديني من خلال رسائل النور

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فمن المعلوم لدى من له أدنى ثقافة بتاريخ العلوم الإسلامية، ومصادر المكتبات الدينية ما لرسائل النور من القيمة العلمية، والقدرة العلاجية، والفتات القوية لكثير من المباحث التي تتعشقه القلوب، وتطلبها العقول.

وكفاها دليلاً لإثبات ذلك إنقاذها إيمان ملايين المسلمين من الترك، والکرد وغيرهما من الأقوام، خاصة في زمن استشرت فيه الدعوة بقوة إلى العلمانية، ونشبت أظفار اللادينية في معظم زوايا الحياة، وراجت أسواق الملاحدة والزنادقة... فجزى الله صاحبها وطلابها خير الجزاء.

مصطح التعصب الديني من المصطلحات الحساسة في عصرنا الراهن، فأول ما يسمعه المرء ينبذه ويشمئز منه، غير أن رسائل النور تعلم قارئها بأن التعصب نوعان: تعصب مردود وتعصب مقبول، ومن الأنواع التي أدخلها بديع الزمان النورسي (ت: 1960م) في النوع الثاني التعصب الديني، الذي هو الالتزام الكامل بالدين، عدم التميع والذوبان في الأفكار والمبادئ الأخرى المناوئة للإسلام. فهذا هو نفسه، يعلن بكل فخر واعتزاز بأنه لو كان يمتلك رؤوساً عديدة، فهو مستعد لتضحية بكل واحد منها كل يوم في سبيل إعلاء كلمة الحق، والدفاع عن الصوت الصادق.

فلهذا النوع من التعصب علاقة وطيدة بالإيمان وتلازم شديد به، على الرغم من تفسير بعض السطحيين له تفسيراً غير مرضي، وتصوراً غير محبذ؛ لأنه لا يمكن التفاخر بالدين الحقيقي، ولا الاعتزاز بالعقيدة الحقّة، إذا لم يمتلك المسلم مثل هذا التعصب، الذي رضي الأستاذ النورسي بتسميته بالتعصب الديني.

وكان منهجي في هذا البحث منهجاً استقرائياً تحليلياً؛ لأني تقصيت الموضوع في رسائل النور وتتبعتها، ثم وقفت عليها بشيء من التحليل والبيان.

أ.م.د. زكريا عبد الرحمن حمد
كلية العلوم الإسلامية / جامعة صلاح الدين / أربيل/ العراق
dr.zakariya.hamad@gmail.com

ملخص البحث

ركّز هذا البحث على بيان معنى التعصب الديني، وبيان علاقته بالإيمان في رسائل النور، فتوصل إلى أن التعصب الديني يعني الالتزام الكامل بالدين والتفاني له، وعدم التهاون في ممارسة أصوله ومبادئه خلافاً لما هو المعهود والمشهور في بعض المراكز البحثية والأنشطة السياسية، كما توصل البحث إلى أن للتعصب الديني دوراً كبيراً في إنعاش الإيمان وإنمائه. وجاء ذلك كله في مطلبين اثنين.

الكلمات المفتاحية: الإيمان، التعصب الديني، التلازم، رسائل النور

Research Summary

This research focused on clarifying the meaning of religious intolerance, and explaining its relationship to faith in the Messages of Light. He concluded that religious intolerance means full commitment to religion and devotion to it, and not to be lenient in practicing its origins and principles, contrary to

وبما أن لرسائل النور اهتمامات إيمانية وعلمية وعملية، فهي بغنى عن بيان المعنى اللغوي للكلمات والمصطلحات، اللهم إلا على سبيل الاستطراد.

ثانياً: مفهوم التعصب الديني اصطلاحاً:

يتبين لقارئ رسائل النور المجّد، الذي يقرؤها بشكل متأن أن بديع الزمان سعيد النورسي (ت: 1960م)، يتكلم فيها عن نوعين من التعصب، أحدهما سلبي مردود، والآخر إيجابي مقبول.

ولم أجد في الرسائل كلها تعريف النوعين بشكل مفرد ومستقل، غير أنه يمكن للباحث أن يستنبط ويستخرج المقصود بهما، والمراد منهما، وذلك من خلال الوقوف على نصوصٍ وفقراتٍ تتحدث عن معنى التعصب سواء أكان مباشراً أم كان غير مباشر.

أما النوع الأول المردود فقد استوقفتني لبيان تعريفه جملة من النصوص، ولعل من أبرزها هذا النص الذي يبين الشيخ النورسي (رحمه الله) فيه حال المتعصب بتصوير رائع وتشبيه مائع، فقال: «...كمن ينظر في المنظار أحد طرفيه الذي يُقرب والآخر يُبعّد الشيء...»⁽¹⁾، ومن النصوص المتعلقة بهذا الجانب أيضاً، حاصل مقارنته التي قام بها بين ماضي هذا العالم ومستقبله، ليتوصل من خلالها أن المستقبل لهذا الدين (الإسلام)، فقال: «حاصل الكلام: لما كانت الميول متفاوتة فإن تدخل الشعور بالانحياز في كل شيء، ونشوء التبلبل بالاختلافات جعل الحقيقة تهرب وتختفي»⁽²⁾، وكذلك لو وقفنا على قوله (رحمه الله)، وهو يتحدث عن التعصب السياسي، الذي يقع كثيراً بين المنتمين إلى الأحزاب، سواء أكانت إسلامية أم كانت علمانية، فقال: «من فضل رفيقه السياسي الفاسق على متدين يخالف رأيه السياسي، بإساءة الظن به، فالدافع إذن هو السياسة»⁽³⁾، ومثل هذه النصوص قوله في بيان القومية السلبية: «...القومية نفسها على قسمين: قسم منها سلبي مشؤوم مضر، يترى وينمو بابتلاع الآخرين

1 صيفل الإسلام: (ص342).

2 صيفل الإسلام: (ص 46).

3 صيفل الإسلام: (ص340). من المعلوم أن هناك عديداً من أصحاب الفكر وأولي العلم في العالم الإسلامي المعاصر، يدعون إلى ترك تسمية الأحزاب الخائضة في السياسة باسم الإسلام أو الإسلامية، ولذا تجد الكثير من هذه الأحزاب، التي معظم أفرادها من الإسلاميين، قد غيرت من أسماءها التي كانت مقيدة بالإسلام أو الإسلامية إلى أسماء أخرى لا تنقيد بشيء من ذلك. وقد اطلعت على ما يفيد بأن الشيخ النورسي (رحمه الله) كان من أوائل هذه الأصوات، إن لم يكن أولها، فهي هو يقول بعد النص المنقول في الأعلى مباشرة: «إن إظهار الدين الذي هو مُلكٌ مقدس للناس كافة -بالتحيز والتحزب- أنه أخص بمن في مسلكه دون غيره، يثير الاكثريّة الغالبة ضد الدين، فيكون سبباً في التهوين من شأن الدين...».

وجاء هيكل البحث بعد هذه المقدمة على مطلبين وخاتمة، ففي المطلب الأول تطرقت إلى بيان مفهوم التعصب الديني اللغوي والاصطلاحي وأقسامه، كما ذكرت فيه وقفة ضرورية للتفريق بين موقف بديع الزمان من هذا التعصب، وموقف آخرين منه، الذين ديدنهم القتل والعنف والفساد والدمار، وأما المطلب الثاني فتعرضت فيه لوجه العلاقة القائمة بين الإيمان وبين التعصب الديني، وفي الخاتمة ذكرت أهم النتائج التي توصلت إليها.

المطلب الأول: مفهوم التعصب الديني من خلال رسائل النور

أولاً: مفهوم التعصب الديني لغة:

التعصب الديني مصطلح مركب من لفظين اثنين، شأنه شأن أصول الفقه، وعلوم القرآن، وعلم الكلام، والفقه الإسلامي، وفقه الأولويات وغير ذلك من المصطلحات المركبة الشرعية الشائعة المشهورة بين المصادر وعلى الألسنة. ولبيان معناه اللغوي ينبغي الوقوف على كلٍ من اللفظين على حدة، وعليه نبدأ بلفظ (التعصب)، ثم ننثني بلفظ (الديني).

لفظ (التعصب) مصدر مزيد بحرفين من باب (التفعل)، وهو فعل لازم يتعدى بحرف (اللام)، وبحرف (على) من حروف الجر، فيقال: تَعَصَّبَ فلانٌ لفلان، ومثله قولهم: تَعَصَّبَ فلانٌ مع فلان، وتَعَصَّبَ فلانٌ على فلان، ويفيد اللفظ في كلا الاستعمالين معنيين مختلفين متناقضين؛ لأن الأول يفيد معنى معاونته ومناصرته والوقوف بجانبه، والآخر يفيد معنى مقاومته ومناوئته والوقوف بصدده.

وأما استعماله في اللغة بشكل مجرد عن حروف الجر، يفيد معنى سلبياً، فيقال: فلانٌ شديد التعصب، أي: شديد التمسك والتعنّت لما يملكه أو يحمله من الأفكار، لا يتنازل عنه ولو مع ظهور بطلانه. ومثله قولهم: فلانٌ مُتَعَصِّب، إذا كان ذا عصبية، أي: يدعو إلى نُصرة قومه والتألب معهم على من يناهضهم ظالمين كانوا أو مظلومين⁽¹⁾.

وأما اللفظ الثاني الذي هو (الديني)، فهو اسم منسوب إلى لفظ (الدين)، وهو مصدر لفعل الثلاثي

المجرد: (دانَ يَدِينُ)، ويفيد معنى الخضوع والطاعة⁽²⁾.

1 ينظر: لسان العرب: (9/ 232 - 235) باب العين، مادة: عصب..

2 ينظر: المصدر السابق: (5/177) باب الدال، مادة: دَوَّنَ.

الإيجابي المقبول عند الأستاذ: هو ثبات على الحق ودفاع عن الحقائق، أو هو حماس يدفع صاحبه إلى الالتزام بدين الله والتفاني له.

وهذا النوع من التعصب هو ما أطلق عليه الشيخ النورسي تسمية (التعصب الديني)⁽¹⁾، ومن ذلك أخذت المصطلح وجعلته جزءاً من عنوان هذا البحث. وقد استخدم (رحمه الله) هذا المصطلح في الرسائل كلها مرتين اثنتين.

وتجدر الإشارة إلى أن بديع الزمان قد أثبت التعصب الديني أيضاً للمسيحية، فقد ذكر أسماء عدد من عظماء الغرب وقادتها، كانوا متعصبين للمسيحية، وملتزمين بها، وخطأ الفكر السائد المنتشر هنا وهناك القائل: إن أوروبا تركت تعصبها لدينها، وأعرضت عنه، ولهذا تقدمت إلى ما تقدمت إليه، فقال: «إن أوروبا متعصبة بدينها، فلو قلت لشخص بلغاري اعتيادي أو لجندي إنكليزي، أو لشخص سفيه فرنسي: البس العمامة، أو تلقى في السجن. لقال لك بمقتضى تعصبه: إنني لا أهين ديني، ولا أحقر أمتي بمثل هذه الإهانة والتحقير حتى لو قتلتموني»⁽²⁾.

هذا، وقد استعمل الشيخ سعيد (رحمه الله) للتعبير عن هذا النوع من التعصب عدة مفاهيم، منها: الصلابة في الدين، والتمسك بالدين، والغيرة الإسلامية الإيجابية، والحماية الإسلامية.

1 هذا النوع من التعصب مطلوب، خاصة من أهل العلم والفكر؛ حيث يدل عليه جملة من النصوص المقدسة، التي تطلب التفاني للدين، والتضحية من أجله، والقيام بتبليغه مهما كلف ذلك الثمن، من هذه النصوص قوله تعالى: (قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيزَنِي مِنَ اللَّهِ أَخْذٌ وَلَا أُعْذُ مِنْ دُونِهِ فَاتَّخِذُوا لِي بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ..) الجن/ 21، 22، 23، ومنها قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) البقرة: 159، 160، ومنها قوله (صلى الله عليه وسلم): (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً..) رواه الترمذي في سننه - باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل، برقم: (2669)، وقال: حديث حسن صحيح، ومنها قوله (صلى الله عليه وسلم): (لَا يَخْفَرُ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ)، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَخْفَرُ أَحَدُنَا نَفْسَهُ؟ قال: (يَزِي أَمْرًا لِلَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ مَقَالٌ، ثُمَّ لَا يَقُولُ فِيهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ فِي كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: خَشِيَةَ النَّاسِ، فَيَقُولُ: فَإِنِّي كُنْتُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَى)، رواه ابن ماجه في سننه - كتاب الفتن - باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم: (4008).

2 المكتوبات: (ص556). ومن اللافت للنظر أن النص المنقول في الأعلى لو قارناه بنص آخر، جاء في الكتاب نفسه والصفحة نفسها، وهو قوله: «إن التاريخ شاهد على أن المسلمين ما تمسكوا بدينهم إلا وترقوا بالنسبة لذلك الزمان، وما أهملوا الدين إلا تدنوا، بينما النصرانية خلاف هذا. وهذا أيضاً ناشئ من فرق أساسي بينهما»، وبما جاء في (ص405) من الكتاب نفسه، الذي قال: «إن قياس الإسلام بالنصرانية، قياس مع الفارق، وهو قياس خطأ محض؛ لأن أوروبا عندما كانت متمسكة بل متعصبة لدينها، لم تكن متحضرة، وعندما تركت التعصب والالتزام بدينها تحضرت»، لوقفتنا في شيء من الإشكال؛ لما يفيدان معنيين متناقضين، غير أنه ينبغي أن يحمل كلامه المنقول في الأعلى على أن المراد به الأفراد، ويحمل كلامه المنقول هنا على الحكومات والمراكز العلمية والإدارية والسياسية، أو يكون النص الأعلى أعم من النص الأسفل، أو غير ذلك من وجوه الجمع وسبله.

ويدوم بعداوة من سواه...»⁽¹⁾.

وقد تبين لي من خلال هذه الأوصاف التي بيّنها الشيخ النورسي، والآثار التي شخّصها في هذه النصوص والفقرات، أن التعصب السلبي المردود عنده هو: الحكم المسبوق المبني على الهوى، والانحياز المانع عن كشف الحقيقة، وإساءة الظن.

وأما المتعصب فهو المتلبس بهذه المفاهيم، والقائم بها، والحامل لها.

هذا، وقد وصف الأستاذ النورسي (رحمه الله) هذا النوع من التعصب بجملة من الأوصاف الشنيعة القبيحة، منها: الغلو في التعصب، التعصب الممقوت، التعصب الناشئ عن الجهل، أخطر أنواع التعصب، التعصب المقيت، التعصب الذميمة، العصبية الجاهلية.

وأما النوع الثاني الممدوح المقبول فقد استوقفتني لتعريفه، ومعرفة المراد منه جملة من نصوص رسائل النور وفقراتها أيضاً، من هذه النصوص قوله: «إن شأن الإسلام الصلابة في الدين وهي المتانة والثبات والتمسك بالحق، وليس التعصب الناشئ عن الجهل وعدم المحاكمة العقلية..»⁽²⁾، ومنها قوله: «ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، فتترى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيث والشبهات في الثانية»⁽³⁾، ومنها قوله: «وقد ترقى المسلمون... رقياً عظيماً ما ملكوا الدين واعتصموا به، والشاهد على هذا الدولة الإسلامية في الأندلس التي غدت أستاذة عظيمة لأوروبا، ولكن متى ما أهمل المسلمون دينهم تخلفوا وتردوا»⁽⁴⁾، ومنها قوله: «لو كان لي ألف روح، لكننت مستعداً لأن أضحي بها في سبيل حقيقة واحدة من حقائق الشريعة، إذ الشريعة سبب السعادة وهي العدالة المحضة وهي الفضيلة»⁽⁵⁾.

فيمكن أن يقال بناء على استقراء واستنتاج هذه النصوص السابقة الذكر في تعريف التعصب

1 المكتوبات: (ص401).

2 صيقل الإسلام: (ص404).

3 صيقل الإسلام: (ص402).

4 المكتوبات: (ص405).

5 صيقل الإسلام: (ص412).

النورسي ومسلكه.

فتبين مما تقدم أن المراد بالتعصب الديني في رسائل النور هو الالتزام الكامل بمبادئ الدين، والتضحية بكل ما نملك في سبيل تحقيق حقايقه، وعدم التنازل عن ثوابته وأصوله، سواء صاحب ذلك الشعور بالأفضلية على الغير والتمييز عنه، أم لم يصاحب، على أن هذا الشعور عندي شيء عادي وأمر طبيعي؛ لأن الله سبحانه هو صاحب هذا الدين، وليس الشيخ النورسي ولا غيره، فإذا أراد الله وقضى أن يكون الإسلام المبعوث به الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) خاتم الأديان والشرائع، فلا شك أن هذا يحمل بداخله بالضرورة طابع الأفضلية والتمييز شئنا أو أئينا، بل إن اعتقاد أحدنا إلى أي دين، والتمزاه بأي شرع، يحمل بين طياته هذا المعنى، خاصة إذا كان الإنسان صادقاً في التزامه، واثقاً في اختياره، ولم يكن متردداً في قراره، يتلاعب به أمواج الفتن والشبهات، بغض النظر عن أن يكون الدين والشرع مما اختاره الله ورضي به، أو لا.

هذا، فضلاً عن أن هناك نصوصاً مقدسة، تفيد هذه الأفضلية وهذا التمييز، مثل قوله تعالى: **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ...** [المائدة/ ٤٨]، وقوله تعالى: **[..النَّيْمُ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا..]** [المائدة/ ٣]، فالهيمنة، أي: الحاكمية والرقابة، التي منحها الله للكتاب الأول في الإسلام، ورضوانه له ليكون آخر دين، ما هو إلا دليل جلي على هذه الأفضلية وهذا التمييز.

وهذا الكلام مّتي ربما لا يستسيغه البعض ولا يستجيزه، لذلك بحثت وتتبعت فوجدت هذا النوع من الشعور مرخصاً وسائغاً في دستور بلد، يُعدّ من أفضل بلدان العالم استقراراً، ومن أحسنها نمطاً للحياة حسب الاستبيان والاستطلاع الذي قام به بعض المجالات الغربية، ألا هو فنلندا (Finland)، التي هي أقل بلدان الاتحاد الأوروبي من حيث الكثافة السكانية، فالمذهب البروتستانتي (اللوثري) هو أفضل المذاهب المسيحية المنتشرة هناك، الذي يشكل أكثر من ٧٨٪ من سكانها، حسب ما جاء في موقع الجزيرة نت، ثم يأتي من بعده بالدرجة الثانية المذهب الأرثوذكسي، ثم باقي المذاهب الأخرى، فقد أتاح هذا البلد الأفضلية الدينية، مع تأييده وتأكيد حقه حرية التعبير عن الدين في المادة ١١ من دستوره، بناء على ما جاء في ويكيبيديا (الموسوعة الحرة).

لذلك أعود فأقول: إن شعور المتعصب لدينه بالأفضلية، وإحساسه بالتمييز عن غيره لا يخدم بشيء عن كرامة الإنسان الآخر المقابل له، ولا يكون حجر عثرة أمام التعايش المشترك والترابط الأخوي بين أتباع الأديان المنتشر في العالم، بل الذي يخدم هو الشعور بالعداء والكراهية، والاستمتاع بنسف المقابل وحذفه، فهذا هو الذي ينبغي أن ننأى ونبرأ منه، وهذا ما لا يوجد بحمد الله في منهج الشيخ

ومن هنا أودّ أن ألفت نظر القارئ إلى أن ما قامت به ويكيبيديا/العربية من تفسير مصطلح التعصب الديني بقولها: «هو مصطلح لوصف التمييز على أساس الدين..بدافع...التعصب ضد الآخر...» ليس في موضعه العلمي اللائق؛ لأن التمييز - إذا وقع - إنما يحصل بدافع الثقة التي يحملها المتعصب الديني بدينه، واليقين الذي يصاحبه به. وقد دفعني هذا القيد من هذا التعريف لمصطلح التعصب الديني أن أرجع إلى ويكيبيديا/الانجليزية، فوجدت فيها التعريف السليم الصحيح للمصطلح (**Religious fanaticism**)، ولم تتعرض إلى هذا القيد الذي في العربية، فجاء فيها بعد الترجمة: «...الحماس..المرتبط بإخلاص الفرد أو الجماعة للدين»، وهذا هو عين ما أفاده الأستاذ (رحمه الله) وتبناه.

وفي نهاية المطاف أود أن أقول: إن قيام الشيخ النورسي (رحمه الله) بتقسيم التعصب إلى نوعين: مردود ومقبول، ما هو إلا من الدقائق العلمية واللفات العميقة، التي أنعم بها؛ لأن أكثر العلماء - حسب اطلاعي - باختلاف تخصصاتهم العلمية من الشريعة، والنفسية، والاجتماعية^(١) اقتصر على تعريف التعصب بجانبه السلبي المردود، ولهذا فإن الأستاذ في صنعه هذا يُعدّ من أوائل الذين أشاروا إلى هذا الجانب وأشادوا به، إن لم يكن أول هؤلاء.

ثالثاً: وقفة ضرورية للتفريق بين موقفين:

سبق أن تبين لنا بأن المقصود من التعصب الديني بمنظار رسائل النور هو الثبات على مبادئ الدين، وعدم التمعّ والذوبان في فكر الآخرين وعقيدتهم، بل المضي قدماً على الصراط المستقيم، الذي وضعه الله سبحانه ورضي به بقد راسخ وفكر ثاقب، لا يقبل التزعزع والتزلزل.

وإن الواقف على أي جانب من جوانب حياة شيخنا النورسي (رحمه الله) الدعوية، يتبيّن له مدى تحلّيه بمفهوم هذا المصطلح، وتجسيده إياه على أرض الواقع؛ حيث استغلّ كل فرصة، واستطلع كل موقف في سبيل الدعوة إلى الله وبيان الحقائق الإيمانية والعقائد الإسلامية، بأية وسيلة سنحت له، وبأية طريقة سمحت له، ومع أيّ من كان من الحكام والمحكومين، والمتقنين والأُميين، والكبار والصغار، والشيوخ والشباب، والصالح والمرضى، والرجال والنساء، والعصاة والطائعين، من غير أن يُهين،

1 ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: (1/485)، والاتجاهات التعصبية: (ص42 - 45).

بنارهم دون ذنب جنوه. وكذا لأن حصول النتيجة المرجوة أمر مشكوك فيه، لذا فقد مُنعنا بشدة من التدخل في الشؤون الإدارية بما يخل بأمن البلاد ونظامها عن طريق وسائل سياسية.

ثالثاً: في زمن عجيب كزماننا هذا، لا بد من تطبيق خمسة أسس ثابتة، حتى يمكن إنقاذ البلاد وإنقاذ الحياة الاجتماعية بأبنائها من الفوضى والانقسام. وهذه المبادئ هي:

1. لاحترام المتبادل
2. الشفقة والرحمة
3. الابتعاد عن الحرام
4. الحفاظ على الأمن
5. نبذ الفوضى والغوغائية، والدخول في الطاعة.

والدليل على أن رسائل النور في نظرتها إلى الحياة الاجتماعية قد ظلت تثبت وتحكم هذه الأسس الخمسة وتحترمها احتراماً جاداً محافظةً بذلك على الحجر الأساس لأمن البلاد، هو أن رسائل النور قد استطاعت في مدى عشرين عاماً أن تجعل أكثر من مائة ألف رجل أعضاء نافعين للبلاد والعباد دون أن يتأذى أو يتضرر بهم أحد من الناس»⁽¹⁾.

ومن هنا كان على المهتمين بحقوق الإنسان في الأمم المتحدة التفرقة بين الحالتين، وعدم جعلهما قضية واحدة، غير أنهم في مكافحتهم التعصب والتمييز على أساس الدين، سَجَبُوا وأدانوا جميع أشكال التعصب الديني، كما في بيان دورتهم الحادية والستين البند/ 67، 161، 161 بعنوان (القضاء على جميع أشكال التعصب والتمييز القائمين على أساس الدين أو المعتقد) المنشور في النت، فاختلفوا الحابل بالنابل.

هذا من جانب، ومن جانب آخر إنهم لم يقوموا من خلال دراستهم لهذه القضايا وانشغالهم بها بتعريف جامع مانع للتعصب الديني، الذي يقصدونه ويردونه، بل تركوا حبله على غاربه، وأبقوا القضية داميةً حالكةً، ومحللاً للتلاعب والتجاذب، يؤثر في الحكم فيه المزاج والأهواء، خاصة وإن مفهوم هذا

1 سيرة ذاتية: (ص443، 444).

ويستخف، ويستنهز، بل خاطب وحاوَر بأرقى ما يُتصوَر، مُستعمِلاً عقله الحادّ وفكره الثاقب، ولسانه السلسل المفعم بالحجة والبرهان، والمنطق والبيان من غير أن يشعر بالتعب والملل والسامة والكلل.

وأما ما يقوم به بعض الجماعات المتشددة، التي تنتسب إلى الإسلام باسم الدعوة والثبات على الدين والتعصب له، من قتل وسفك دماء، وظلم وغدر، وإخلال بالأمن في البلاد، وإشاعة الخوف بين العباد، وعدم قبول التعايش مع الآخر، وإن كان مسلماً صادقاً ملتزماً، يتعبّد الله على غير طريقتهم، ويدعو إلى دينه بغير نهجهم - فليس بالمنهج الشديد والموقف الرشيد.

وإن من الظلم الفاحش، والحكم الغادر عدم التفرقة بين موقف بديع الزمان، وموقف هؤلاء، والجمع بينهما تحت مسمى واحد؛ لأن الموقفين متغايران، وليسوا خارجين من مشكاة واحد؛ لأن ما يدعو إليه الأستاذ هو إسلام منهج وجوه، وما يدعو إليه هؤلاء هو إسلام شعارات وهتافات، فهذا في وادٍ وذلك في وادٍ، فكَم من فرق بين مُريد ومُراد.

ولعل من الضروري أن أشير في هذا المقام إلى الأسس، التي كان الأستاذ (رحمه الله) يتمسك بها، ويمشي عليها في طريق دعوته إلى الله، ومدى تأثيرها الشديد على أخلاق طلابه الجميلة المليحة، ها هو يقول: «نحن طلاب النور آلينا على أنفسنا ألا نجعل من رسائل النور أداة طيعة للتيارات السياسية، بل للكون كله. فضلاً عن أن القرآن الكريم قد منعنا بشدة من الاشتغال بالسياسة. نعم، إن مهمة رسائل النور الأساس هي خدمة القرآن الكريم، والوقوف بصرامة وحزم في وجه الكفر المطلق الذي يُردي بالحياة الأبدية ويجعل من الحياة الدنيا نفسها سماً زعافاً وجحيماً لا يطاق. ومنهجها في ذلك هو إظهار الحقائق الإيمانية الناصعة المدعمة بالأدلة والبراهين الفاطعة التي تلزم أشد الفلاسفة والمترنقة تمرداً على التسليم بالإيمان. لذا فليس من حقنا أن نجعل رسائل النور أداة لأي شيء كان، وذلك لأسباب:

أولاً: كي لا تحول الحقائق القرآنية التي تفوق الألماس نفاسة إلى قطع زجاج متكسر في نظر أهل الغفلة، حيث يتوهمونها كأنها دعاية سياسية تخدم أغراضاً معينة، وكي لا نمتهن تلك المعاني القرآنية القيمة.

ثانياً: إن منهج رسائل النور الذي هو عبارة عن الشفقة والعدل والحق والحقيقة والضمير ليمنعنا بشدة عن التدخل بالأمر السياسي أو بشؤون السلطة الحاكمة. لأنه إذا كان هناك بعض ممن ابتلوا بالإلحاد واستحقوا بذلك العقاب فإن وراء كل واحد منهم عدداً من الأطفال والمرضى والشيوخ الأبرياء. فإذا نزل بأحد أولئك المبتليين المستحقين للعقاب كارثة أو مصيبة، فإن أولئك الأبرياء أيضاً سيحترقون

امتثال الأوامر واجتناب النواهي - تكن آثارها وتأثيراتها ضعيفة، وحال الاسلام الحاضرة شاهدة»⁽¹⁾.

غير أنه يبقى السؤال الجوهرى، وهو: كيف للتعصب الدينى أن يؤثّر في تثبيت الإيمان وتتميته؟

يتّم ذلك عن طريق جوانب عدة، من هذه الجوانب حاجة الإيمان إلى التجدد والانتعاش؛ لأنه كما جاء في حديث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: (إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلُقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلُقُ الثُّوبُ الْخَلْقُ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ)⁽²⁾، والسبيل إلى ذلك هو تغذيته بغذائه، وغذاؤه المواظبة على ذكر الله، سواء أكان عن طريق أداء الصلوات، أم كان عن طريق ترديد الأذكار والأوراد المعلومة في أوقاتها المخصصة، أم كان بطريق قراءة القرآن. وقد وقف الأستاذ النورسي على هذا الجانب من خلال تعليقه وتعليقه على ما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (جَدِّدُوا إِيْمَانَكُمْ)، قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ نُجَدِّدُ إِيْمَانَنَا؟ قَالَ: (أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)⁽³⁾، فقال: « إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكُونَهُ يَتَجَدَّدُ بِشَخْصِهِ وَبِعَالَمِهِ الَّذِي يَحِيطُ بِهِ فَهُوَ بِحَاجَةٍ إِلَى تَجْدِيدِ إِيْمَانِهِ دَائِمًا، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ الْفَرْدَ مَا هُوَ إِلَّا أَفْرَادٌ عَدِيدَةٌ، فَهُوَ فَرْدٌ بَعْدَ سِنِي عَمْرِهِ، بَلْ بَعْدَ أَيَّامِهِ، بَلْ بَعْدَ سَاعَاتِهِ حَيْثُ إِنَّ كُلَّ فَرْدٍ يُعَدُّ شَخْصًا آخَرَ، ذَلِكَ لِأَنَّ الْفَرْدَ الْوَاحِدَ عِنْدَمَا يَجْرِي عَلَيْهِ الزَّمَنُ يُصْبِحُ بِحَكْمِ النَّمُودَجِ، يَلْبَسُ كُلَّ يَوْمٍ شَكْلَ فَرْدٍ جَدِيدٍ آخَرَ. ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ مِثْلًا يَتَعَدَّدُ وَيَتَجَدَّدُ هَكَذَا، فَإِنَّ الْعَالَمَ الَّذِي يَسْكُنُهُ سَيَّارٌ أَيْضًا لَا يَبْقَى عَلَى حَالٍ. فَهُوَ بِمَضِي وَيَأْتِي غَيْرُهُ مَكَانَهُ، فَهُوَ فِي تَتَوَعُّدٍ دَائِمٍ، فَكُلَّ يَوْمٍ يَفْتَحُ بَابُ عَالَمٍ جَدِيدٍ. فَالْإِيمَانُ نُوْرٌ لِحَيَاةِ كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ ذَلِكَ الشَّخْصِ مِنْ جِهَةٍ كَمَا أَنَّهُ ضِيَاءٌ لِلْعَوَالِمِ الَّتِي يَدْخُلُهَا. وَمَا «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» إِلَّا مِفْتَاحٌ يَفْتَحُ ذَلِكَ النُّورَ. ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ تَتَحَكَّمُ فِيهِ النَّفْسُ وَالْهَوَى وَالْوَهْمُ وَالشَّيْطَانُ وَتَسْتَعْلُ غَفْلَتَهُ وَتَحْتَالُ عَلَيْهِ لِنَضِيْقِ الْخَنَاقِ عَلَى إِيْمَانِهِ، حَتَّى تَسُدَّ عَلَيْهِ مَنَافَذَ النُّورِ الْإِيْمَانِيِّ بِنَثْرِ الشَّبِيهَاتِ وَالْأَوْهَامِ. فَضَلًا عَنْ أَنَّهُ لَا يَخْلُو عَالَمَ الْإِنْسَانَ مِنْ كَلِمَاتٍ وَأَعْمَالٍ مَنَافِيَةٍ لظَاهِرِ الشَّرِيْعَةِ، بَلْ تَعْدُ لَدَى قِسْمٍ مِنَ الْأُمَّةِ فِي دَرَجَةِ الْكُفْرِ.

لذا فهناك حاجة إلى تجديد الإيمان في كل وقت، بل في كل ساعة، في كل يوم»⁽⁴⁾. وقال أيضاً:

«...رسوخ العقائد يحتاج الى مذكّر مكرّر وعمل متجدد، وما المذکر المكرر الا العبادة»⁽⁵⁾.

1 إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: (ص144).

2 رواه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (14668)، (14/69). قال الهيثمي: إسناده حسن.

3 رواه أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة (رضي الله عنه)، برقم: (8710)، (14/328). قال محققه: إسناده ضعيف.

4 المكتوبات: (ص414، 415).

5 إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: (ص145).

المصطلح (التعصب الديني) من المفاهيم، التي يمكن لذي غرض سيء أن يُقحمه داخل مفاهيم سقيمة أخرى كالتطرف، والتسليط، والعدوان، والتصلّب، والإرهاب.

المطلب الثاني: العلاقة بين الإيمان والتعصب الديني من خلال رسائل النور

مما اعتنى به الشيخ النورسي في رسائله قضية الإيمان، فقد تطرق إليها في أكثر من موضع من المواضيع التي ناولها بالبحث والبيان، وقد عرفه بكونه النور الحاصل بالتصديق الجازم واليقين الراسخ في القلب بجميع ما جاء به الرسول (صلى الله عليه وسلم) تفصيلاً من ضروريات الدين، وإجمالاً في غير الضروريات⁽¹⁾، كما اهتم كثيراً بالعبادات وأنواعها من امتثال الشعائر خاصة الصلاة، والأوراد والأذكار، وقراءة القرآن، والتفكر في الكون كله بسمائه وأرضه.

ثم إن لهذه العبادات والطاعات دوراً كبيراً في تقوية هذا الإيمان المستكنّ في كيان الإنسان وتتميته؛ لأن الإيمان - الذي سبق بأنه التصديق - بعد أن يحمله الإنسان ويتحلّى به، وذلك عن طريق استعمال عقله المجرد عن الأهواء والأغراض، يبقى هكذا حبيس العقول، فإذا لم يأت ما يفيض عليه بعنايته ورعايته، تسرب إليه الضعف والنقصان شيئاً فشيئاً إلى أن لا يبقى منه إلا الاسم. بخلاف ما إذا قام صاحبه بممارسة ما كُلف به بإخلاص، وبامتثال ما طُلب منه من الأوامر والنواهي بتقان، فإن شجرة الإيمان تَمْتَدُّ وتَزْدَادُ، وتتمو وتتلو إلى أن تُصْبِحَ شجرة باسقة وارفة الظلال؛ لِمَا أَنَّهُ أَمَدَهُ بِغِذَائِهِ.

وما التعصّب الديني إلا ممارسة هذه العبادات بصحة وصدق، والتزام وانتظام، وكمال وجمال، وبتقان دون تهاونٍ.

ومن هنا يتبيّن لنا أن العلاقة القائمة بين الإيمان والتعصب الديني هي علاقة عناية ورعاية، وإمداد وتغذية، فيكون شأنهما شأن الماء والفسيلة، فكما أن هذه الفسيلة إذا انبتت عنها العناية والسقيا، دُبِلَتْ وَضُعْفَتْ، وآلَتْ إلى صورة شجرة، فكذلك الإيمان إذا انقطع عنه رعاية التعصب الديني وعنايته.

وقد أشار شيخنا النورسي (رحمه الله) إلى هذه العلاقة بينهما بقوله: «إعلم أن العبادة هي التي ترسخ العقائد وتُصَيِّرُهَا حَالًا وَمَلَكَةً؛ إذ الأمور الوجدانية والعقلية إن لم تُتَمَّهَا وترتّبها العبادة - التي هي

1 ينظر: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: (ص48).

بأنه لا يمشي مشي علماء الكلام في الاعتماد على العقل ونظراته، ولا يمشي مشي الصوفية في الاعتماد على القلوب وكشوفاتها⁽¹⁾. أما البوطي فيبدو أنه لم ير ذلك، بل استحس ما عليه علماء الكلام.

الخاتمة

توصلت في نهاية هذا البحث إلى جملة نتائج، أهمها:

أولاً: مائدة رسائل النورغنية بالقضايا والمسائل، تناسب كافة المستويات والثقافات، عليها غالب ما تتعطشه القلوب، وتتطلبه العقول.

ثانياً: للشيخ النورسي في دراساته ونتائجه شخصية علمية متزنة، ليس بمفرط ولا مفرط، وليس بقاصر ولا مُبالغ، بل يضع الأمر في موضعه اللائق وفي مستواه المقبول، وخير ما يدل على ذلك تقسيمه جملة من المفاهيم إلى قسمين اثنين: مقبول ومردود، أو إيجابي وسلبى، كالتعصب الذي قد كُنّا بصدد، والقومية، والتفكير الفلسفي، والاختلاف.

ثالثاً: تبين لنا من خلال الأوصاف التي بيّنها الشيخ النورسي والآثار التي شخّصها في رسائل النور عن التعصب السلبي المردود، أنه: الحكم المسبق المبني على الهوى، والانحياز المانع عن كشف الحقيقة، وإساءة الظن. والمتعصب هو المتلبس بهذه المفاهيم، والقائم بها، والحامل لها. هذا، وقد وصف الأستاذ النورسي (رحمه الله) هذا النوع من التعصب بجملة من الأوصاف الشنيعة القبيحة، منها: الغلو في التعصب، التعصب الممقوت، التعصب الناشئ عن الجهل، أخطر أنواع التعصب، التعصب المقيت، التعصب الذميمة، العصبية الجاهلية.

رابعاً: مصطلح التعصب الديني الذي استخدمه الأستاذ النورسي، ورضي به ما هو إلا: الالتزام الكامل والتمسك الشديد بأصول الدين ومبادئه، وعدم التميع والذوبان في فكر وعقيدة الآخرين. وقد سماه الأستاذ بأسماء أخرى، وهي: الصلابة في الدين، والتمسك بالدين، والغيرة الإسلامية الإيجابية، والحمية الإسلامية.

خامساً: للتعصب الديني دور بارز في إنعاش الإيمان وتربيته وتتميته في جوانب عديدة، وهذا ما أدى لأن يكون بينهما علاقة عناية ورعاية، كالعلاقة القائمة بين الشجر والماء.

1 ينظر: الملاحق: (ص99).

ومن جانب آخر فإن معرفة الله وإدراكه بالدلائل العقلية المجردة، لا يؤدي إلى الشعور بالاطمئنان في هذا الذي توصل إليه على الرغم من توقيع العقل عليه، وإقراره به، غير أنه إذا أمده الإنسان بفعل الطاعات وامتثال العبادات، أورثه ذلك طمأنينة وسكينة، وقد بيّن ذلك الشيخ سعيد النورسي بقوله: «إن معرفة الله المستتبطة بدلائل علم الكلام ليست هي المعرفة الكاملة، ولا تورث الاطمئنان القلبي، في حين أن تلك المعرفة متى ما كانت على نهج القرآن الكريم المعجز، تصبح معرفة تامة وتُسكب الاطمئنان الكامل في القلب»⁽¹⁾، ومن المعلوم أن نهج القرآن نهج عملي، يدور كله حول ميدان التكليف، ولا يذهب بالإنسان بعيداً، فيدخله في قضايا نظرية تقيض بالتعقيدات والمعجمات.

ومن جانب ثالث إن العبادات وامتثال الطاعات تُوقظ القلب وتُنبه المشاعر إلى التأمل في صفات الله وأسمائه وحكمته وواسع رحمته، وتُبعد الإنسان عن الملهيات والمنسيات، فإذا استيقظ القلب وتنبهت المشاعر إلى صفات الله، ومدى رعايته للإنسان، ونعمه الكثيرة التي أغدق بها على عباده، عظمت الثقة بالله في صاحب هذا القلب، وازداد حباً وتعظيماً له سبحانه⁽²⁾. وعند ذلك تجده لا يخاف الموت؛ لأنه يكون حينئذ مشتاقاً إلى لقاء الله، وهذا ما أكد عليه النورسي (رحمه الله) بقوله: «لو كان لي ألف روح، لكنت مستعداً لأن أضحى بها في سبيل حقيقة واحدة من حقائق الشريعة، إذ الشريعة سبب السعادة وهي العدالة المحضة وهي الفضيلة»⁽³⁾.

بين الشّيخين سعيد النورسي ود.محمد سعيد رمضان البوطي: سبق أن تبين أن شيخنا النورسي يرى أن لامتثال الطاعات والعبادات دوراً كبيراً في تنمية الإيمان وترسيخه في القلوب والعقول، بينما شيخنا البوطي (ت: 2013م) يرى بأن تنمية الإيمان وانتعاشه يكون في القلوب لا العقول؛ لأن السبيل إلى تقوية الإيمان في العقول هو العلم⁽⁴⁾.

ولا إشكال في هذا التفاوت بين الشيخين؛ لأن المنطلق الذي انطلق منه الشيخان يختلفان، فالنورسي له مسلكه الخاص، فلم يكن يفرق بين العقل والقلب، بل كان يمتزجها ويجعلها متحدتين، حيث ذكر

1 المكتوبات: (ص411).

2 ينظر: إحياء جوهر الإسلام في حياة المسلمين: (ص52).

3 صيقل الإسلام: (ص412).

4 ينظر: إحياء جوهر الإسلام في حياة المسلمين: (ص51).

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع:

1. الاتجاهات التعصبية: د. معتز سيد عبد الله، عالم المعرفة/ الكويت، 1989م.
2. إحياء جوهر الإسلام في حياة المسلمين: د. محمد سعيد رمضان البوطي (ت: 2013م)، اعتنى به وقدم له: محمود محمد توفيق رمضان البوطي، دار الفكر/ دمشق، ط 1، 1427هـ - 2016م
3. إشارة الإعجاز في مظان الإيجاز: بديع الزمان سعيد النورسي (ت: 1960م)، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوز لر، القاهرة/ مصر، ط 7، 2014م.
4. سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سُورَة أبو عيسى الترمذي (ت: 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي/ مصر، ط 2، 1395هـ - 1975م.
5. سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، د. ت، ط.
6. سيرة ذاتية: بديع الزمان سعيد النورسي (ت: 1960م)، إعداد وترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوز لر، القاهرة/ مصر، ط 7، 2014م.
7. صيقل الإسلام: بديع الزمان سعيد النورسي (ت: 1960م)، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوز لر، القاهرة/ مصر، ط 7، 2014م.
8. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي التهانوي (ت: 1158هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، ترجمة من الفارسية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان/ بيروت، ط 1، 1996م.
9. لسان العرب: ابن منظور (ت: 711هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ لبنان، ط 2، 1412هـ - 1992م.
10. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت: 241هـ)، تحقيق:

شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1421هـ - 2001م.

11. المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت: 360هـ)، تحقيق: فريق من الباحثين، د. ن، ت، ط.
12. المكتوبات: بديع الزمان سعيد النورسي (ت: 1960م)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوز لر، القاهرة/ مصر، ط 7، 2014م
13. الملاحق: بديع الزمان سعيد النورسي (ت: 1960م)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوز لر، القاهرة/ مصر، ط 7، 2014م.
14. موقع الجزيرة نت.
15. ويكيبيديا/ الموسوعة الحرة.

ويشيع الخير، والعناية بالأقليات ومشكلاتها لأنها جزء من جسد العالم الإسلامي ، و المواصلة في استمرار المؤتمرات التي تناقش أفكار النورسي ؛ لأنها ساحة واسعة لتلاقح الأفكار ، وميدان خصب لتبادل التجارب.

واقترحت: جراء دراسات وأبحاث عن النورسي وتطبيقاتها في مثل بيئة الدراسة الحالية.

الكلمات المفتاحية: القيم الإنسانية المشتركة ، التعايش السلمي ، مجتمع الأقليات ، النورسي ، جنوب تايلاند

القيم الإنسانية في فكر النورسي مقارنة لتحقيق التعايش في مجتمع الأقليات (دراسة تطبيقية على مجتمع الأقلية في جنوب تايلاند)

د. رشدي طاهر

DR.RUSDE TAHER

كلية العلوم الإسلامية ، جامعة الأمير سونكلا الحكومية - فرع فطاني/تايلاند

taherrusdee@gmail.com

المستخلص

هدفت الدراسة إلى الكشف عن دور منظومة القيم الإنسانية المشتركة في تحقيق التعايش السلمي في مجتمع الأقليات ؛ مستلهما من فكر بديع الزمان سعيد النوري ورسائله ، وإمكانية تطبيق ذلك على أرض الواقع في مجتمع الأقلية المسلمة بجنوب تايلاند الذي يتسلح بالإيمان وبنهج شريعة الإسلام في طريقة حياته ومعاشه ، وتناولت: نبذة عن حياة بديع الزمان النورسي وخلفيات عصره الاجتماعية ، ولمحة عن الحياة الدينية والاجتماعية في منطقة جنوب تايلاند ، القيم الإنسانية المشتركة في فكر بديع الزمان النورسي ودورها في تحقيق التعايش السلمي في مجتمع الأقليات ، وتطبيقاتها في مجتمع الدراسة الحالية ، واستخدمت المنهج الوصفي التحليلي إضافة إلى دراسة الحالة ، وتوصلت إلى: أن تطبيق منظومة القيم الإنسانية المشتركة من أجل التعايش السلمي حقيقة لا يمكن تكذيبها أو مجاراتها ، والإيمان طريق لتحقيق التعايش السلمي وهو قيمة إنسانية عظيمة يخاطب العقل والقلب معاً ، وفقه التعامل مع الآخر ، وفقه الواقع ، والحوار كلها أدوات لتحقيق التعايش السلمي وهو طريق لفهم القيم المشتركة بين الإنسانية وقد أسهب النورسي في الحديث عنها في رسائله.

وأوصت: بالعمل على استخراج مكونات العلماء الريانيين والمصلحين المخلصين حتى تعم الفائدة

Abstract

The study aimed to reveal the role of the common human values system in achieving peaceful coexistence in the minority community. Inspired by the thought of Badi Al-Zaman Saeed Al-Nouri and his messages, and the possibility of applying this on the ground in the Muslim minority community in southern Thailand, which is armed with faith and follows the law of Islam in its way of life and livelihood

Keywords: common human values, peaceful coexistence, minority community, Norse, southern Thailand.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين أما بعد:

فقد أكد الإسلام على مبدأ المساواة ونادى به كأساسه: أن الإسلام يحترم الإنسان ويكرمه من حيث هو إنسان أي بسبب إنسانيته وأدميته قال تعالى: (ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر وفصلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) (الإسراء: 70) ، وقد أسقط بذلك كل أنواع التفرقة القبلية والعنصرية والقومية واللونية، قال تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) (الحجرات: 13)، وبذلك يزول كل أسباب النزاع العنصرية والجنسية ، بتقرير وحدة الإنسانية في طبيعتها وفي أصل نشأتها ، بتقرير الغاية من تفرق الأجناس والقبائل ، والنص على أنها التعارف

تظهر أهمية الدراسة الحالية في النقاط الآتية:

- ندرة الدراسات والأبحاث التي أجريت في مثل هذه البيئات غير العربية ، وبخاصة ما حرر منها باللغة العربية.
- أهمية الأدوار التربوية والاجتماعية التي يقوم بها العلماء الربانيون المصلحون في سبيل نهضة مجتمعاتهم.
- ضرورة الاستفادة من خبرات وتجارب بديع الزمان النورسي وإظهارها على الساحة الإسلامية للاقتداء بها ؛ ولإيأتى ذلك إلا من خلال دراسة تاريخهم وحياتهم ونتائجهم العلمي والفكري.
- استئيد من نتائج الدراسة الحالية مجتمع الأقليات والمؤسسات التربوية والتعليمية والاجتماعية ومراكز البحوث والجهات التي تعنى بهذا المجال ودراسة الشخصيات الإسلامية المؤثرة في المجتمع في بناء خططهم الاستراتيجية.
- مصطلحات الدراسة:
- **القيم الإنسانية المشتركة:** مجموعة من الفضائل التي يمتلكها الشخص أو المنظمة التي تحدد السلوك والتفاعل مع الأفراد الآخرين والفضاء وهي أيضاً جزء من القيم العالمية ، وذلك لأنها مشتركة في الثقافات المختلفة.
- **التعايش السلمي:** هو فكرة تقبل الآخر بغض النظر عن اختلاف في دينه أو قوميته أو لونه أو انتمائه أو مذهبه أو عرقه
- **مجتمع الأقليات:** مجموعة من مواطني الدولة- أية دولة- تشكل أقلية عددية بالنسبة لتعداد بقية المواطنين تتميز عنهم بأنهم يدينون بديانة معينة أو مذهب معين أو عرق معين أو قومية معينة.
- **النورسي:** هو بديع الزمان سعيد النورسي عالم رباني ومصلح اجتماعي عاش بين القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين الثالث والرابع عشر الهجريين.
- **تايلاند:** دولة تقع في جنوب شرق آسيا ، في شبه الجزيرة الهندية الصينية تحدها كل من

والتآلف ، لا التناحر والتدابير ؛ فقد يختلف الناس في أجناسهم وعناصرهم وفي أنسابهم و ثرواتهم ولكن هذا الاختلاف لا يجعل لواحد منهم قيمة إنسانية أكبر من قيمة الآخر الذي هو أقل منه بل إن قيمة الإنسانية واحدة للجميع.

موضوع الدراسة:

التعايش مبدأ ألقته الكائنات جميعاً قبل أن يصير موروثاً إنسانياً ، غير أنه في النوع الإنساني في ألقى مظاهره وأعلى مراتبه ؛ لأن هذا ما جبلت عليه الفطرة الإنسانية السليمة. إن مشروعية أي فعل اجتماعي إنما تأخذ محدداتها من المبادئ التي رسمتها السماء متمثلة في مبادئ الإسلام التي رسمت مختلف مسالك التعايش وليس من المبادئ المنعزلة عنها كما هو طابع المجتمعات الوضعية ، وإذا كان التاريخ يذكر صراعاً بين الغرب والمسلمين فهذا أمر له أسبابه البشرية ولم يكن تنفيذاً لأمر ديني سواء من المسلمين أو غيرهم إذ أن كل شكل من أشكال الصراع والنزاع بين الدول والمجتمعات والأمم يؤدي إلى الحروب والكوارث والتحديات سيفضي بالنتيجة إلى الاضطرابات المجتمعية التي هي من نتائج وإفرازات الحروب والكوارث التي تتعرض لها الشعوب والأمم ، وقد أكد على ذلك النورسي في رسائله في غير ما موضع كما أكد « أن حق الحياة في الدنيا شامل وعم للجميع ، وليس الكفر مانعاً لحق الحياة الذي هو تجل للرحمة العامة والذي ينطوي على سر الحكمة في الخلق » (932) ؛ ومنعاً من وصول مجتمعات الأقليات المسلمة إلى الحالات السابقة - نظراً لتوفر العوامل المساعدة على تأجيج الصراع والنزاع من الاختلاف العرقي والعقدي والثقافي والاجتماعي - فإنه من الأهمية بمكان إظهار القيم الإنسانية المشتركة للتعايش السلمي في مجتمع الأقليات ، وهذا هو السر الذي يقف وراء اختيار الموضوع الحالي فقد آلت بيئة الدراسة الحالية في فترة قريبة مضت موجات الصراع والعنف والمقاومة ولازالت تتجرع ويلاتها حتى الآن ، وقد غاب عن أذهان كثير من مسلمي المنطقة ، أن الإسلام أمر بالبر والرحمة بالمخالفين من غير المسلمين، حتى وإن كانوا في موقف المعتدين والظالمين.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى الكشف عن دور منظومة القيم الإنسانية المشتركة في تحقيق التعايش السلمي في مجتمع الأقليات ؛ مستلهما من فكر بديع الزمان سعيد النورسي ورسائله ، وإمكانية تطبيق ذلك على أرض الواقع في مجتمع الأقلية المسلمة بجنوب تايلاند الذي يتسلح بالإيمان وينهج شريعة الإسلام في طريقة حياته ومعاشه

أهمية الدراسة:

قائلاً: إنني لا أريد العدم بل البقاء ولو كان في جهنم» (المرجع السابق 58).

وقد شغف النورسي بطلب العلم في سن مبكرة وتقل من مكان لآخر لطلب العلم ففي عام 1882 رحل إلى ماردين حيث بدأ يلقي دروسه في جامع المدينة إلا أنه أبعد عنها إلى مدينة بتليس مسقط رأسه وهناك وجد الفرصة للمطالعة ثم انتقل إلى مدينة وان فدرس فيها مختلف العلوم (الصالحى، 1999، 14) وهذا ماجعله يحيط بنفسه بنسق متكامل من العلوم منها القرآن الكريم المؤثر الأكبر في شخصيته وتكوينه الفكري والنفسي والعلوم الإسلامية من حديث وفقه وتفسير وسيرة وأخلاق بالإضافة إلى علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة، وكذلك العلوم الكونية من فلك وفيزياء وكيمياء وجغرافيا وتاريخ ورياضيات وعلوم الغرب والفلسفة سواء كانت يونانية قديمة أو فلسفة حديثة (عبدالحاميد 1987، 13).

وقد عاصر النورسي ثلاثة عهود وخبر حوادث الزمان، وهي نظام المشروطية، وحكومة الاتحاد والترقي، والجمهورية، عهود زاخرة بالتغيير والانقلاب والإبهام.

فعهد المشروطية تعني المشورة الشرعية وهي إعلان النظام البرلماني في الدولة العثمانية، وبموجبه أصبحت الوزارة مسؤولة أمام البرلمان وليس أمام السلطان، كما أن صلاحية تشريع القوانين أصبحت من اختصاص البرلمان، وقد صرف النورسي جل جهده في هذا العهد في إلقاء الخطب وكتابة المقالات مبيناً مفهوم الحرية في الإسلام ومطالباً بتحكيم الشريعة الإسلامية ومحرراً من التفسير الخاطئ للحرية قائلاً: «يا بني وطني لاتسيؤوا تفسير الحرية كي لاتذهب من أيديكم، إن الحرية لاتتحقق ولاتتمو إلا بتطبيق الشريعة الغراء ومراعاة آدابها» (النورسي، 1994، 443)، فأرسل ما يقارب خمسين أو ستين برقية إلى العشائر الفاطنين في شرق الأناضول بوساطة ديوان الوزارة يشرح لهم أن المشروطية هي العدالة الحقة والشورى الشرعية، طالباً منهم المحافظة عليها، كما ألقى خطاباً على العلماء عامة وكثير من طلاب الشريعة في كل من جامع أيا صوفيا وبايزيد، والفاتح والسليمانية، وبين العلاقة الحقيقية بين حقائق الشريعة والمشروطية ووضح أن الاستبداد المتعسف لاصلة له بالشريعة الغراء وقال: «أن المسلك الحقيقي للشريعة إنما هو حقيقة المشروطية المشروعة، بمعنى أنني ارتضيت بالمشروطية بالدلائل الشرعية، وليس كما رضي بها دعاة المدنية الغربية، إذ قبلوها تقليداً وفهموها خلافاً للشريعة، فلم أن تنازل عن الشريعة؟!» (المرجع السابق)، فأخذ يتجول في الولايات الشرقية في جميع الأماكن ونوادي الناس حيث نفاء النفوس مبيناً لهم المشروطية بقدر استيعابهم قائلاً: «إن الاستبداد ظلم وتحكم في الآخرين، أما المشروطية فهي العدالة والشريعة، فالشيطان إذا ما أطاع سيدنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وسار في نهجه المبارك فهو الخليفة، ونحن نطيعه، وإلا فالذين

لاوس وكمبوديا من الشرق، وخليج تايلاند وماليزيا من الجنوب، وبحر أندمان وميانمار من الغرب، ونظام الحكم فيها ملكي دستوري، والديانة الرسمية للدولة هي البوذية.

- **جنوب تايلاند:** تشمل ثلاث ولايات أو مقاطعات وهي: (فطاني، جالا، نارانتوات) ونسبة المسلمين فيها أكثر من باقي ولايات تايلاند الأخرى.

منهج الدراسة:

تتخذ الدراسة المنهج الوصفي التحليلي منهجاً للدراسة: «وهو الذي يصف ما هو كائن ويفسره، ويعمل على تحديد العلاقات بين الوقائع والممارسات الشائعة والاتجاهات المختلفة عند الجماعات» (جابر وكاظم، 1978، ص 126).

المبحث الأول: نبذة عن حياة بديع الزمان النورسي وخلفيات عصره الاجتماعية

تعد مرحلة القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين من أصعب المراحل وأشدّها دقة وتشابكاً وتنوعاً في التحديات التي واجهت الأمة الإسلامية ولا زالت تتجرع ويلاتها حتى الساعة، وقد خطط الغرب فيهما مائة مخطط لتقسيم الدولة العثمانية، القوة العالمية الأولى التي كانت في ذلك الوقت (ستودارد، د.ت: ٢١٨/٣)، في مثل هذه الأجواء ولد بديع الزمان سعيد بن ميرزا في قرية نورس من قضاء خيزان التابع لولاية بتليس شرق الأناضول عام ١٨٧٦م الموافق ١٢٩٣هـ، من أبوين عرف عنهما التدين والصلاح، وكانا لهما الأثر في تكوين شخصيته الدينية، ومما يدل على صلاح أسرته أن والده لم يذق طعاماً حراماً، ولم يطعم أولاده من غير الحلال، أما والدته فقالت: «إنها لم تفارق التهجّد طوال حياتها إلا في الأيام المعذورة شرعاً، ولم ترضع أولادها إلا وهي على طهر ووضوء» (النورسي، ٢٠٠٨، ٥١)، وكان أخوه الكبير الملا عبدالله عالماً يقوم بمهمة تدريس طلاب العلم.

أما عن لقبه «بديع الزمان فقد بينه بقوله «البديع الغريب، فأخلاقى غريبة كمظهري، وأسلوب بياني غريب كملابسي، كلها مخالفة للآخرين، فأنا أرجو بلسان حال هذا العنوان عدم جعل المحكمات العقلية والأساليب المتداولة والرائجة مقياساً لمحاكمتي العقلية... هذا وإن لقب بديع الزمان الذي منحه مع عدم استحقاقه له ليس لي، وإنما هو اسم معنوي لرسائل النور...» (المرجع السابق، ٨١).

وقد بدت إرهابات النبوغ على النورسي منذ نعومه أظفاره حيث يقول: «لقد حدثت خيالي في عهد صباي أي الأمرين تقضل؟ قضاء عمر سعيد ألف سنة مع سلطنة الدنيا وأبهتها على أن ينتهي ذلك إلى العدم، أم وجوداً باقياً مع حياة اعتيادية شاقة؟ فرأيت أنه يرغب في الثانية ويضجر من الأولى،

رجلاً مهموماً بحاله يبغى إنقاذ نفسه؟ لقد افتدبت دنياي وأخرتي في سبيل إنقاذ إيمان المجتمع ، لم أدق طوال عمري البالغ نيف وثمانين سنة شيئاً من لذائذ الدنيا ، قضيت حياتي في ميادين الحرب ، وزيارات الأسرة ، أو سجون الوطن ومحاكم البلاد ، لم يبق صنف من الآلام والمصاعب لم أتجرعه ، عوملت معاملة المجرمين في المحاكم العسكرية العرفية ، نفيت وغربت في أرجاء البلاد وسممت مراراً ، وتعرضت لإهانات متنوعة ، ومررت على أوقات رجحت الموت على الحياة ألف ضعف ، ولولا أن ديني يمنعي من قتل نفسي ، فربما كان سعيد تراباً تصصحت التراب (المرجع السابق ، 54) ، فعندما تم اعتقاله وحكم عليه بالإعدام قدم إلى المحكمة خطاباً قال فيه: « لو أن لي ألف روح لما ترددت لأن أجعلها فداء لحقيقة واحدة من حقائق الإسلام ، وأني مستعد للذهاب مع هؤلاء الذين علقوا على المشانق ، لقد كانت هذه الحكومة تحاكم العقل أيام الاستبداد واليوم فإنها تعادي الحياة فليمت الجنون وليعيش الموت وللظالمين فلتعش جهنم» وصدر الحكم ببراءته (الطاهر ، د.ت ، 95).

وفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة 1379هـ/1960م تُوفي النورسي إثر مرض شديد ألم به ووري التراب في مقبرة أولو جامع (القاضي، 2001م، 20) وصدر قراراً بنقل جثمانه من مقبرته إلى جهة غير معلومة حتى أخفوا مقبرته عن الناس فلم تعرف له مقبرة حتى الآن.

مات النورسي لكن أفكاره عاشت في قلوب عشرات الملايين عبر لغات حية كثيرة ترجمت إليها كتبه ورسائله عبر الجرائد التي تصدر عن تلامذته المنتشرين في آسيا وأوروبا وأمريكا وإفريقيا.

المبحث الثاني: لمحة عن الحياة الدينية والاجتماعية في منطقة جنوب تايلاند

يتكون مجتمع جنوب تايلاند من أصول وأجناس مختلفة، وديانات متعددة، ولغات متباينة؛ وذلك بسبب هجرة بعض الأجناس الأخرى إلى هذه المنطقة واستقرارها فيها.

ويعود أسلاف أهالي جنوب تايلاند إلى مجموعة السكان التي وصلت جنوب شرق آسيا، والتي أطلق عليها من حيث تكوينها الطبيعي جنس الملايو، والتي تتسم بصغر الحجم، وسمرة البشرة.

ثم حصل بعد ذلك التزاوج والاختلاط بين جنس الملايو بأجناس أخرى التي وفدت تجاراً واستيطاناً إلى المنطقة، واستقرت فيها، فنتج عن ذلك كله الجنس الملايوي الذي هو خليط من هذه الأجناس ، ويمكن تصنيف سكان جنوب تايلاند إلى الآتي:

جنس الملايويين: وهم سكان البلاد الأصليين الذين يرجع أصلهم إلى العنصر الملايوي، ونسبتهم

يعصون الرسول صلى الله عليه وسلم ويظلمون الناس هم قطاع طرق ولو كانوا سلاطين» (المرجع السابق)، ويقول مستطرداً: «ثم إن سبب اقتناعي بمحبة معنى المشروعية ، هو أن المدخل الأول لتقدم آسيا والعالم الإسلامي في المستقبل هو المشروعية المشروعة والحرية التي هي ضمن نطاق الشريعة ، وأن مفتاح خط الإسلام وسعده ورقيه موجود في الشورى التي في المشروعية» (المرجع السابق).

أما عهد جمعية الاتحاد والترقي التي رفعت شعار (الوحدة - الحرية - الإصلاحية) لتخفي وراءها دسائسها ومؤامراتها على الإسلام والمسلمين، ألف النورسي جمعية (الاتحاد المحمدي) واستخدموا شعارات الاتحاديين نفسها ولكن بالمفهوم الإسلامي كشفاً لخدعهم التي يستترون خلفها وتجليه لحقيقتهم الماسونية أرسل الماسونيين (قرة صو) اليهودي لمقابلته ، لكنه ما لبث أن خرج من عنده وهو يقول: لقد كاد هذا الرجل العجيب أن يزجني في الإسلام بحديثه (المرجع السابق ، 442).

وبعد سنة من إعلان الدستور تم خلع السلطان عبدالحميد الثاني ونصب أخوه محمد رشاد مكانه، وقد قبضت جمعية الاتحاد والترقي الحكم بيد من حديد وأقامت دكتاتورية طاغية، وورطت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى ، وبعد إعلان هدنة موندروس بيوم هرب زعماء هذه الجمعية إلى خارج البلاد (المرجع السابق).

ولما سقطت الخلافة العثمانية وقامت الجمهورية التركية على يد مصطفى كمال أتاتورك دعا النورسي للانضمام إلى حركة المقاومة في أنقرة ، فرض النورسي لأنه يجاهد في أخطر الأمكنة ، ولكن الدعوات تكررت في الإلحاح ، فذهب ولاحظ أن كثيرا من النواب لا يؤدون الصلاة ، كما أن تصرفات أتاتورك المعادية للإسلام أحزنه كثيرا فطبع بياناً في عام 1923م يعظ النواب ويذكرهم بالإسلام ، فكان من أثر هذا البيان أن استقام ستون نائباً على التدين وأقاموا الصلاة ، فاستدعاه أتاتورك واتهمه عن طريق بيانه ببيت الفرقة بين أهل المجلس فأجابه بقوله: « إن أعظم حقيقة تتجلي بعد الإيمان هي الصلاة وأن الذي لا يصلح خائن وحكم الخائن مردود » لذا قرر إبعاده بمرتب مغري لكي يكون واعظاً عاماً للولايات الشرقية لكنه رفض ، ثم نشر رسائل وكتباً بالتركية والعربية (القاضي، 2001، 13) ، فكان شجاعاً في قراراته لايهاب الحكام ولا الموت وكل ما يخشاه ضياع الأمة الإسلامية ووقوعها في المهالك والضلال.

وفي هذه العهود الثلاثة نجد أن النورسي يقف موقف الحكمة ، لايهمه سوى المحافظة على الإيمان والمؤمنين ، مضحياً بكل أسباب الدعة والراحة ، متقشفاً في كل مظاهر حياته ، معرضاً لكل المخاطر ، صابراً محتسباً ، يضع هموم الأمة الإسلامية نصب عينيه قبل هموم نفسه ، وفي ذلك يقول: « أبطنونني

إضافة إلى تلك اللغات فالقليل من مجتمع جنوب تايلاند يتحدثون باللغة الصينية واللغة الأردية، وذلك بسبب وجود الجنس الصيني والجنس الهندي في ولاية جنوب تايلاند.

ولمسلمي جنوب تايلاند على اختلاف أصولهم عاداتهم وتقاليدهم المتوارثة، فأغلب الرجال يلبسون القميص ويرتدون الإزار التقليدي (القوطة) المسمى بـ(سارونج) ويضعون فوق رؤوسهم القلنسوة السوداء أو البيضاء، بخلاف علمائهم فإنهم يرتدون العمامة ويلبسون الجبة، أما النساء فغالبن يرتدين ثوبا يسمى (الكباية) وهي قميص نسوي يلف الخصر في إحكام وتحته القوطة وعلى رؤوسهن الحجاب الذي يغطي الشعر دون الوجه (مناها ، 1998، 30).

كما أن لهم عادات اجتماعية حسنة، ففي شهر رمضان المبارك يقوم أهالي القرية بتقديم وجبات الفطور لجماعة المسجد، كلُّ يقدم بما عنده من الحلويات والمخبوزات ، ثم يفتطرون جميعا في المسجد.

وأيضاً من جميل العادات: أن المسلمين في جنوب تايلاند يعيشون في مجتمع تعاوني في شتّى شؤونهم، سواء في أعيادهم أو مآتمهم أو أفراحهم ، وبخاصة في القرى والأرياف.

فمثلاً إذا عزم أحدهم على بناء مسكن اشترك في بنائه جميع جيرانه، بل سكان الحي أو القرية، بدافع غريزي ، كل فردٍ يعمل حسب أهليته واستطاعته.

وكذلك إذا عزموا على بناء المسجد والمصليات والمدارس الإسلامية فجميع أهل القرية يتعاونون في بنائه؛ ابتغاء الأجر والثواب من الله عز وجل.

وإذا توفى فردٌ هرع الجيران والأصدقاء إلى منزل أسرة المتوفى ليقوموا بالخدمات حتى يودع المتوفى في لحدّه، وحتى ينتهي العزاء. وهكذا في جميع الأعمال التي تحتاج إلى التعاون والتكاتف (شهاب ، 1986، 10).

المبحث الثالث: القيم الانسانية المشتركة في فكر بديع الزمان النورسي ودورها في تحقيق التعايش السلمي في مجتمع الأقليات ، وتطبيقاتها في مجتمع الدراسة الحالية

إن رسالة الإسلام رسالة عالمية تخاطب الأسرة الإنسانية كافة، وهي رسالة تأمر بالعدل وتنتهي عن الظلم، وترسي دعائم السلام في الأرض، وتدعو إلى التعايش بين البشر جميعاً في جو من الإخاء

حالياً تقريباً 80%، وكلهم يدينون بدين الإسلام، وعلى هذا يطلق كلمة ملايو على المسلم.

جنس السياميين: وهم العنصر الثاني لمجتمع جنوب تايلاند، الذين وطّنتهم الحكومة التايلاندية بعد احتلالها على دولة فطاني عام 1201هـ، ومعظمهم يدينون بالبوذية الوثنية.

جنس الصينيين: وهم العنصر الثالث من ناحية العدد، والذين جاءوا من بلاد الصين، وليس لهم ديانة معينة، ولكن أغلبهم يميلون إلى الديانة البوذية الوثنية.

جنس الهنود: وهم من المهاجرين من بلاد الهند ، ويدينون بالإسلام، وقليل منهم يدينون بالهندوسية.

جنس العرب: وهؤلاء من العناصر التي هاجرت من حضرموت واستقروا في فطاني، وكلهم يدينون بالإسلام.

وبسبب تنوع هذه الأجناس المختلفة ودياناتها أوجد نوعاً من التأثير والتأثر والامتزاج في العادات والتقاليد والديانات.

فالمجتمع المسلم تأثر بالجنس السيامي الذي يدين بالدين البوذي، وله عاداته المختلفة ومذاهبه المنحرفة ، والعكس صحيح.

كما أن المصاهرة بين العرب التجار والملايويين لها أثر كبير في تعلم الملايويين اللغة العربية وحبهم للإسلام ولغة القرآن الكريم، والتشبه بعاداتهم وتقاليدهم.

ويتحدث الكثير من سكان جنوب تايلاند باللغة الملايوية. وهذه اللغة قد تأثرت باللغة العربية تأثراً جلياً سواء كان من ناحية النطق أو الكتابة.

وفي المقابل هناك الكثير من مجتمع جنوب تايلاند يتحدثون باللغة السيامية؛ لأنها اللغة الرسمية في البلاد حالياً، والمفروضة من قِبَل الحكومة التايلاندية.

وهذا الأمر يشكل إحدى المشكلات الرئيسية في جنوب تايلاند، « ففي الوقت الذي تصر فيه الحكومة التايلاندية على أن اللغة الرسمية (التايلاندية) وهي التي يجب أن تسود، وهذا في سبيل إذابة الفطانيين في الكيان التايلاندي، وصهر السكان في بوتقة واحدة، في هذا الوقت يصير الفطانيون على المحافظة على لغتهم والأبجدية العربية على أنها جزء من كيانهم لا يمكن التنازل عنه مطلقاً » (شاکر،

الحياة بدلاً من دستور الصراخ، وتلتزم برابطة الدين، والصنف الواحد من الناس المنسجمين في الميول والأفكار، والأنواع والطبائع كآرباب الحرف والمهن، والوطن لربط فئات الجماعات بدلاً من العنصرية والقومية السلبية» (النورسي، الكلمات، ١٤٥)

إن إعلاء الإسلام لشأن الإنسان فرداً، لا يوازيه سوى ما أولاه من عناية بوحدة الإنسانية، وحرصه على إعلاء مبدأ الإيمان بالإخاء والمساواة بين البشر جميعاً، وهي قيم إنسانية مشتركة بين البشرية جمعاء، وهذه الحقيقة تناولها النورسي أساساً وضمناً في رسائله التي سطرها لتكون «تفسيراً شهودياً للقرآن الكريم، تعتمد على حقائق الآيات الكريمة، وإثبات معانيها، بتوضيحها من خلال استشهادات يتحاور فيها العقل والقلب، وتمتزج فيها الروح واللطائف الأخرى، فهي تفسير لمعاني القرآن الكريم أكثر مما هو تفسير لألفاظ الآيات الكريمة وعباراتها، تعالج القضايا والمقاصد الأساسية التي عليها القرآن الكريم وهي: التوحيد والنبوة والأخرة والعدالة وتدحض في الوقت نفسه أباطيل الفلاسفة الأوروبيين وشبهات أعداء الإيمان حول القرآن والإيمان من أساسها، وتثبت حقائق القرآن والإيمان وأركانها بدلائل قاطعة وأدلة رصينة وأمثلة واقعية قريبة» (الصالح، 1999م، 14).

فقد كان لوعي النورسي وفهمه لحقائق الإنسان والنفس البشرية دور كبير في فقهه والتعامل مع كافة شرائح المجتمع، وهذا الأمر أعني < فقه التعامل مع الآخر > مما تميز به النورسي وأنعم الله عليه - وقليل هم - وهذا الأمر حريّ بأن يُطبق ويُدرس في مجتمع الأقليات كمجتمع دراستنا الحالي؛ لأنه السبيل إلى إقامة مجتمع يسود فيه الأمن والاستقرار بعيد عن مظاهر العنف والإرهاب المدمرين للبشرية، مجتمع يتحقق فيه التعايش السلمي وتتسامح فيها النفوس البشرية، فبدأ بالتحليل النفسي للإنسان، فقال: «ذلك أن الإنسان حسب جبلته، وبمقتضى فطرته محب لنفسه بالذات، بل لا يجب إلا ذاته، ويضحي بكل شيء من أجل نفسه ويمدح نفسه مدحاً لا يليق إلا بالمعبود وحده، وينزه شخصه، ويرى ساحتها، بل لا يقر بتقصيره أصلاً ويدافع عنه دفاعاً مستميتاً بما يشبه العبادة، حتى كأنه يصرف ما أودعه الله فيه من أجهزة لحمده سبحانه وتقديسه إلى نفسه... فلا بد إن من تركيتها، فتركيتها في هذه الخطوة وتطهيرها إنما يكون بعدم تركيتها... نعم إن من يعجب بنفسه ويعتد بها شقي بينما الذي يري عيب نفسه محظوظ سعيد» (النورسي، المكتوبات، 423)، وبذلك اعتبر النفس البشرية هي العدو اللدود لكل إنسان، فدعا إلى إصلاحها بقوله: «إن كنت تريد أن تعادي أحداً فعادي ما في قلبك من العداوة، واجتهد في إطفاء نارها، واستتصال شأقتها وحاول أن تعادي أعدى أعدائك، وأشد ضرراً عليك، تلك هي نفسك التي بين جنبيك، فقاوم هواها، واسع إلي إصلاحها ولا تعاد المؤمنين لأجلها، فإن عداك للمؤمنين ظلم مبین، وإن أردت أن تغلب خصمك فادفع سيئته بالحسنة، فيها تخمد نار

والتسامح بين كل الناس بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم. فالجميع ينحدرون من نفس واحدة، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء: ١).

ومن ثم فالجميع في نظر الإسلام متساوون، وجميعهم له الحق في العيش والكرامة دون استثناء أو تمييز، فالإنسان مكرم في نظر القرآن دون النظر إلى دينه أو لونه أو جنسه، قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (الإسراء: ٧٠).

بل عدَّ القرآن الكريم اختلاف البشرية في ألوانها وأجناسها ولغاتها، آية من الآيات الدالة على عظيم قدرة الخالق عز وجل، قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ) (الروم: ٢٢).

وهذا الاختلاف لا يجوز أن يكون سبباً في التناحر والعداوة، بل بالعكس يجب أن يكون سبباً للتعارف والتلاقي على الخير والمصلحة، فالله عز وجل يقول: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) (الحجرات: ١٣)، فالتعارف هو الذي يجب أن تقوم به البشرية أجمع إزاء هذا الاختلاف والتنوع وليس التناحر والتنافر والتقاتل كما هو واقع، وليس هناك مبرر لقتل النفوس البريئة مهما بلغت خطاياها، حتى الكفر بحد ذاته لم يكن مبرراً للقتل في الإسلام في أي عصر من العصور وتحت أي طائلة من الطوائف، وقد فطن النورسي إلى هذه الحقيقة وأكدها في رسائله في غير ما موضع كما أكد « أن حق الحياة في الدنيا شامل وعام للجميع، وليس الكفر مانعاً لحق الحياة الذي هو تجل للرحمة العامة والذي ينطوي على سر الحكمة في الخلق » (٩٣٢)

إن العالم يضم أجناساً مختلفة وإن كان الكل يعود إلى آدم عليه السلام، فهناك ألوان مختلفة وعادات متباينة وملل متنوعة، وبما أن الجميع وسعتهم أرض الله فلا بد من منهج للتعايش معا بطريقة سليمة تحفظ للجميع الحقوق والواجبات دون صراع أو عدوان أو تصادم، فالحل في التعايش بسلام، وأن السلام في الإسلام هو الأصل في العلاقات بين كل الناس وأن الرسول ﷺ كان يتعامل مع كل الناس، مسلمين وغير مسلمين، باحترام لحقوقهم وحررياتهم، والنورسي لم يتجاوز هذا المنهج، بل سار وفقه، وأيضاً فقد كان للمدرسة النورية مقومات أساسية، تتجلى في الحكمة القرآنية، يقول النورسي: «حكمة القرآن الكريم، فهي تقبل الحق نقطة استناداً في الحياة الاجتماعية بدلاً من القوة، وتجعل رضى الله تعالى ونيل الفضائل هو الغاية بدلاً من المنفعة، وتتخذ دستور التعاون أساساً في

المشتركة بين الناس فهو المنطلق الحقيقي لفهم حقيقة الحياة ونبذ العنف والتعصب والفرقة الاختلاف.

واستند في هذا الاحتكام إلى الأسس العقلية وهي حقائق كونية واقعية يدل عليها تعاقب الزمان واستقراء أحوال البشر عبر الزمان والمكان فالاجتماع والتعاون في هذا العصر ضرورة حياة للمسلمين فهم في غاية القلة والضعف والفقر ، وأعداؤهم على قوة ومنعة ، ويحيطون بهم من كل جانب يسمونهم سوء العذاب ويلقون بالشبهات لصرف قلوب أبنائهم عن الإسلام (النورسي ، للمعات ، 241) فبداية العقل تقضي أن الاجتماع والتعاون خير وقوة ومصلحة ، وأن الاختلاف والشقاق ضعف وعجز و إن المسلمين « بحاجة ماسة بل مضطرون إلى الاتحاد والتساند التام وإلى الفوز بسر الإخلاص الذي يهيئ قوة معنوية بمقدار ألف ومائة وأحد عشر 1111 ناتجه من أربعة أفراد... هناك شواهد ووقائع تاريخية كثيرة جداً أن ستة عشر شخصاً من المتأخين المتحدين بسر الإخلاص التام تزيد قوتهم المعنوية وقيمتهم على أربعة آلاف شخص...» (النورسي ، للمعات ، 243)

ففي مجتمع تعيش فيه الفئات المختلفة المغايرة في الدين والمذهب والعقيدة جنباً إلى جنب في منطقة واحدة كحال مجتمع جنوب تايواند بيئة الدراسة الحالية ، ندب النورسي إلى اعتبار أحوال الزمن واستحضار واقع الحال وهو ما يعرف الآن بـ «حقه الواقع» فاستحضار حال المسلمين في العصر الحاضر مع عدوهم يوجب العمل بمبدأ التعايش السلمي في مجتمع الأقليات ، فبخلاف العصور الأولى من تاريخ الإسلام فإن شوكة المسلمين في هذا العصر قد ذبلت وقواهم قد هزلت ، وأعداؤهم قد قويت وكثرت ، وهي تتربص بهم من كل جانب ، ومعاول الهدم لا تهدأ ، لذا أطلق رحمه الله صيحة مدوية لأهل الإسلام لاعتبار هذا المبدأ قائلاً: « فيامعشر المؤمنين أتدرون كم يبلغ عدد عشائر الأعداء المتأهبين للإغارة على عشيرة الإيمان؟ إنهم يزيدون على المائة وهم يحيطون بالإسلام والمسلمين كالحلقات المتداخلة » (النورسي ، المكتوبات 349) ، ثم ذهب رحمه الله مراعاة للواقع المعاصر إلى النزوع إلى منظومة القيم الإنسانية المشتركة كاحترام وحسن الجوار داخل بلاد الإسلام حفاظاً على الأمن وقطعاً للطريق على العدو الخارجي وكل من يروم التشويش على وحدة الصف والأمن يقول رحمه الله: « ففي زمن عجيب كزماننا هذا لا بد من تطبيق خمسة أسس ثابتة حتى يمكن إنقاذ البلاد وإنقاذ الحياة الاجتماعية لأبنائنا من الفوضى والانقسام ، وهذه المبادئ: 1. الاحترام المتبادل ، 2. الشفقة والرحمة ، 3. الابتعاد عن الحرام ، 4. الحفاظ على الأمن ، 5. نبذ الفوضى والغوغائية والدخول في الطاعة » (النورسي ، سير ذاتية، 391) ، وحقا هذا ما يجب أن تعمل به مجتمع الدراسة الحالي فقد أثبت التاريخ أن هذه المنطقة كانت في عصرها ماضى أرض من أراضي الإسلام الشاسعة لكنها تحولت إلى أيدي الأعداء واختلطت الأمور وتبدلت الأحوال، لذا فإن تحقيق التعايش السلمي أمر معلوم

الخصومة، أما إذا قابلت إساءته بمثلها، فالخصومة تزداد، حتى لو أصبح مغلوباً -ظاهراً- فقلبه يمتلئ غيظاً عليك... بينما مقابلته بالإحسان تسوقه إلى الندم، وقد يكون صديقاً حميماً لك، فمن شأن المؤمن أن يكون كريماً، فإن أكرمه فقد ملكته، وجعلته أحاً لك، حتى لو كان لئيماً -ظاهراً- إلا أنه كريم من حيث الإيمان» (النورسي ، المكتوبات ، 343)

ومما يلفت من تحليل النورسي للنفس البشرية قوله: « ولاتفتحوا القلب لكل طارق ، فيظل ما أقوله لكم في يد خيالكم واعرضوه على المحك فإن ظهر أنه ذهب فأرسلوه إلى القلب ، واحفظوه هناك..» (النورسي، مرشد ، 227) ، وهو كلام نفيس أوجز فيه رحمه الله حقيقة من حقائق الإنسان وما أودعه الله تعالى في النفس البشرية من الطباع والخصائص والغرائز، فقد أمر بتأخير القلب والوجدان حتى ينتهي العقل من نظره ، وتستكمل مناهج البحث العلمي عملها ، حتى إذا ظهر أن هذا الكلام سليم موافق للحق ، فتح قلبه ليستقبله ، وإنما نص رحمه الله تعالى على هذا لأن من خصائص قلب الإنسان أنه إذا أحب شيئاً وغالى في حبه ، تعطل العقل في شأنه ، كما قيل في المثل: « حبك للشيء يعمي ويصم » فإذا تحركت عواطف القلب قبل بحث العقل ونظره ، فإنه لا يؤمن أن يظهر الحق باطلاً والباطل حقاً ، لذلك ندرك قيمة كلام النورسي وأمره بتقديم العقل أولاً وإعمال النظر العلمي المجرد عن العواطف والوجدان وما يحب القلب وما يكره ، وفي هذا جاء قول الحق تبارك وتعالى: (ولا يجز منكم شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) (المائدة: 8) ، فالحق والعدل حجة على الرجال وليس الرجال حجة على الحق ، فالعبرة بالحق وليس بالرجال ، والنظر المعتمد يكون للأفكار وليس للأشخاص.

لقد كرس النورسي في رسائله العمل على إنقاذ الإيمان وتجديده في النفوس، وهداية الضالين المنحرفين ، وإقامة الحجة على الملحدين ، فهو أعظم أثراً وأكبر أجراً من الاجتهاد في نيل مقامات العارفين ، والترقي في درجات السالكين ؛ لأن هذا العصر عصر إنقاذ الإيمان ، وليس عصر الطريقة والولاية يقول رحمه الله: « إن خدمة رسائل النور هي إنقاذ الإيمان ، أما الطريقة والشيخة فهي تكسب المرء مراتب الولاية ، وإنقاذ إيمان شخص من الضلال ، أهم بكثير وأجزل ثواباً من رفع عشرة من المؤمنين إلى مرتبة الولاية ، حيث إن الإيمان يكسب الإنسان السعادة الأبدية ، ويضمن له ملكاً أوسع من الأرض كلها ، أما الولاية فإنها توسع من جنة المؤمن وتجعلها أسطح وأبهر » (النورسي ، مرشد أهل القرآن، 73) ، ومن خلال استقراء كتاباته يظهر أن منهجه في التعايش الإنساني قد دفعه إلى صرف جل جهده لتربية النفوس، وتقوية الإيمان، وتذكير الناس بالله واليوم الآخر، من خلال رسائله

لذا فقد انطلق رحمه الله في سبيل إرساء مبدأ التعايش السلمي إلى الاحتكام بمبدأ الإيمان بالقيم

والعمل من أجل القيم الإنسانية تكفي لتعاون المسلمين مع غيرهم في ما يشترك فيه الفريقان ؛ لذا فإن الواقع الذي يجب أن تكون عليه مجتمع الأقليات في مثل بيئتنا الحالية الذي تعيش فيها البوذية بجوار الإسلام أن نحتكم إلى مثل هذا فمسلمو المنطقة مأمورون - بموجب إيمانهم بالله تعالى وتصديقهم بكتبه ورسوله - بالتعاون مع هؤلاء الذين يدينون بالبوذية ؛ لأن البوذية في أساسها فلسفة نشأت على القيم الإنسانية النبيلة كالمحبة والتسامح وفعل الخير والعطف على الضعيف وإطعام الفقير ونصرة المظلومين والكف عن القتل ، وهي في حقيقتها لاتعادي الأديان ولاتتقف ضد اعتناق الناس لأديانها ، بل على العكس فنشأة البوذية في الحقيقة كانت إثر تعرض مؤسسها سيدهارتا غوتاما بودا والذي كان أمير هندوسياً لمواقف ومظاهر في الحياة كانت قاسية على أصحابها فانصر عن حياة الترف والجاه والمال إلى حياة التقشف والرهبة.

والحق أن النورسي في معالجته لمشكلة التعصب والعنصرية والاختلاف والفرقة إنما يدعو إلى ضدها وخلافها من الاتحاد والوحدة والاتفاق والانصاف مع المخالف والعدالة والتسامح وكلها مظاهر للتعايش السلمي الحقيقي في المجتمعات.

إن الطريقة المثلى والصحيحة في علاج أمراض المجتمع وأوبئتها هي تشخيص أسبابها وعواملها التي أدت إلى انتشارها وسريانها ، وهذا حقا ما فعله النورسي ففي إحدى رسائله التي كتبها في أوائل القرن العشرين عندما كان التوتر الديني في أوجه في آسيا الصغرى اعتبر أن الجذور لكل نزاع ديني هو « الغرور والأنانية في النفس ويتوهم المرء نفسه محقاً ومخالفه على باطل فيقع الاختلاف والمنافسة بدل الاتفاق والمحبة » (النورسي ، إشارات الاعجاز ، 49) فبالتالي حرية كل الفئات الدينية تمنح وتضمن حرية المجتمع بأجمعها: « حرية غير المسلمين جزء من حريتنا ».

إن النورسي هو الإنسان المنفتح على الحوار والتفاهم مع الغير والمجرد من أي نوع من التعصب ، حين ينظر في النزاعات ، يتساءل بتعجب ودهش، كيف أن هذه الأديان التي هي في أصولها وبنابيعها الصافية دعوة لإصلاح الإنسان ، وتعاونه مع أخيه الإنسان للوصول إلى السعادة الكاملة ، ووقفت عاجزة أمام خلافات رجالها عن ردع النزاعات المهلكة للبشرية ، وكيف أن الإنسان أن يفقد إنسانيته: لما كان الإنسان - بمقتضى إنسانيته - يتألم بألم الآخرين ، فلا يستطيع أن يتحمل ما يراه في هذا الطريق من ألم غير محدود ، إذ الوجدان لا يطيق ألماً إلى هذا الحد ، لذا يضطر سالك هذا الطريق لأحد أمرين: إما يتجرد من إنسانيته ، يحمل قلباً قاسياً غارقاً في منتهى الوحشية لا يتألم بهلاك الجميع طالما هو سالم معافى ، وإما يبطل ما يقتضيه القلب والعقل لقبول الحوار المنصف « (النورسي ، للمعات ، 178).

بالضرورة حتى تستقيم حياة المسلمين في المنطقة ، ويمكن تحقيق ذلك من خلال إيمان أهل المنطقة ابتداء من المسلمين بأن هناك قيم مشتركة تجمع بين البشرية جمعاء لا بد أن يراعيها ويعتبرها في حياته وسلوكه ويتعد عن كل ما من شأنه يؤدي إلى الفوضى والانقسام والفرقة والتعصب والعنصرية والعنف والقسوة.

وقد احتكم النورسي أيضا إلى الإيمان بالله تعالى الذي هو أصل الحقائق وأم الحقيقة يحمل المسلمين على التعاون مع من يشارك في هذه الحقيقة أو يقترب منها ، لذا يدعو إلى إقامة العلاقات بين المسلمين وغيرهم على القيم الإنسانية المشتركة ، والإيمان على رأس هذه القيم المشتركة ، فعلى هذا الأساس يمكن للمسلمين أن يتعاونوا مع أهل الكتاب لصد خطر الإلحاد وما ينتج عنه من التحلل الأخلاقي والقيم ، فأهل الكتاب أقرب إلى المسلمين من أهل الإلحاد ، ورأيهم واحد في هذا العدو فما الذي يمنع من اجتماعهما على هذا الأصل وخاصة النصارى لأنه قد ور في الحديث أن الدين الحقيقي لسيدنا عيسى عليه السلام سيحكم - في آخر الزمان - ويتكاتف مع الإسلام ، فيمكن القول بلاشك أن ما يكابده المظلومون النصارى المنتسبين إلى سيدنا عيسى عليه السلام والذين يعيشون الآن في ظلمات الفترة وما يقاسونه من الولايات تكون بحقهم نوعاً من الشهادة ، ولا سيما الكهول وأهل النواصب والفقراء والضعفاء والمساكين الذين يقاسون النكبات والويلات تحت قهر المستبدين والطغاة الظالمين (الصالحى ، سيرة ذاتية ، 312) يقول رحمه الله: « لقد ثبت في الحديث الصحيح أن المتدينين الحقيقيين من النصارى ستفقون في آخر الزمان مستندين إلى أهل القرآن للوقوف مع اتجاه عدوهم المشترك الزندقة؛ لذا فأهل الإيمان والحقيقة في زماننا هذا ليسوا بحاجة إلى الاتفاق الخالص فيما بينهم وحده ، بل مدعوون أيضا إلى الاتفاق حتى مع الروحانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى ، فيتركوا مؤقتاً كل ما يثير الخلافات والمناقشات دفعا لعدوهم المشترك الملحد المعتدي » (النورسي ، للمعات ، 229) ، فنظرته إلى علاقة المسلمين بغيرهم تقوم على تصنيف غير المسلمين على مراتب القرب والمعيار هو الإقرار بالدين والتدين أو إنكاره أصلا ، والقيم المشتركة مثل: حماية المستضعفين ومعاونة المحتاجين وكف الأذى عن المظلومين ، وعلى هذا الأساس يأتي تقويمه للفكر الغربي الأوروبي ، فهو لا يصفه بالخطأ والضعف والاضطراب بإطلاق وإنما يصنفه ويرتبه بحسب القرب من الإسلام ومن القيم الإنسانية التي هي مقاصد الإسلام فيقول: « ولثلا يساء الفهم إن الغرب - أوروبا - اثنان وخطابي في هذه المحاوره ليس موجها إلى ذلك الغرب النافع للبشرية بما استقاده النصرانية والحضارة الإسلامية فانتمعت الحياة الاجتماعية البشرية بصناعه وعلومه ، وإنما أخاطب الغرب الثاني نلتمك الغرب الذي تعفن وفسد بظلمات الفلسفة الطبيعية المادية » (النعيمة ، 1992 ، 88) فروابط الإيمان بالله وإقرار الدين والتدين

صفوف الناس بغض النظر عن معتقداتهم الدينية، ففي هذا الصدد قام النورسي في عام 1953 م بزيارة للبطريرك أنيناغوراس في مقره الواقع في استانبول لإيجاد سبل التعاون بين مسلمي ومسيحي تركيا لمواجهة الاتجاهات الإلحادية المعادية التي بدأت تغزو تركيا آنذاك ، أما الخارجي فهو لإنشاء تعاون بين الأمم لخير البشرية ، فقد بذل النورسي جهوداً لإقامة علاقات ودية متينة مع مسيحي أوروبا.

إن الحوار لا بد أن يكون أسلوب حياة ليس في مجتمع الأقليات فحسب بل في جميع المجتمعات ، قبل أن يكون حلاً لمشكلات تصعب الخروج منها أو تقادي آثارها ومخلفاتها لأنها تكلف المجتمع الكثير مع إمكانية تفاديها بغرس لغة الحوار وتفعيله في مكونات المجتمع وتربية النشء عليه.

وفعلاً هذا ما قامت به حكومة تايلاند عندما آلت الأحداث في منطقة جنوب تايلاند ابتداء من العام 2004 حتى وقتنا الحالي - لازلنا نتجرع ويلات- إلى أبواب موصدة فانتشرت أحداث العنف والصدمات فلجأت الحكومة إلى طرح مبادرات ومشاريع حوارية منها على سبيل المثال:

مشروع الأمل الجديد:

ويهدف في ظاهرها إلى تحقيق الأمن والسلام في المناطق الجنوبية، وإطفاء الصراع الديني الدائر بين المسلمين والبوذيين، ومحو روح العصبية بينهم، ولهذا السبب ركز المشروع تركيزاً أساسياً على مبدأ اتحاد المواطنين التايلاندي في كل جوانب الحياة، وبخاصة في المعاملات الاجتماعية.

ومن أهدافه:

- مساعدة الشعب التايلاندي المواطن في المناطق الإسلامية في شتى المجالات، بغض النظر عن اختلاف الأديان وتباين الانتماء، وذلك من أجل تحقيق المحبة والسلام والشعور الأخوي بين الشعب التايلاندي عموماً.
- رعاية الطاقات البشرية والمحافظة على البيئة الطبيعية.
- مواصلة مشروع التنمية الاجتماعية والاقتصادية.
- الدعوة السلمية من أجل تحقيق الأمن والسلام في المنطقة.
- محاربة الجهل والامية والتخلف (مناها ، 1998 ، 270).

لذا كان الحوار أداة من أدوات تحقيق مبدأ التعايش السلمي يمكن القيام به بين المجتمعات الإسلامية والمجتمعات المغايرة لعقيديتها ، ومن الضروري أن يكون هذا الحوار صادقاً من الأطراف المعنية ويؤمنون به إيماناً حقاً لأنه السبيل لفهم بعضهم البعض ، فمن الواضح أن الحوار هو الوسيلة الوحيدة التي تحقق التعايش السلمي للأمم والحضارات وتقضي على تلك الفكرة المخيفة عن تصادم الحضارات المتداولة في مختلف الأوساط حالياً (الجابري ، 2008 ، 102)، وقد أحسن النورسي عندما أوصى لحل المشكلة التي تعوق الحوار بـ « اتخاذ دستور الإنصاف دليلاً ومرشداً، وهو صاحب كل مسلك حق يستطيع القول: إن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل ، من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين ، لكن لا يجوز له أن يقول « الحق هو مسلكي فحسب أو إن الحسن والجمال في مسلكي وحده الذي يقضي على بطلان المسالك الأخرى وفسادها » (النورسي ، للمعات ن 229) لذا لا لوم على الإنسان إذا افتخر بقيمه الروحية التي يؤمن بها وتقوده في هذه الدنيا وهي غير قابلة للنقاش، لكن الأمر مختلف إذا اعتدى على الآخرين بسبب معتقداتهم بدلاً من الإنصات إليهم ومحاولة فهمهم واحترامهم.

وجدير بالذكر أن النورسي عبّر عن فكرة < حوار الأديان > قبل أن تتبلور كما هي عليها اليوم وقد أعطى تعريفاً لهذا النوع من الحوار مؤكداً على عدم إكراه الغير على دخوله في دين آخر ، بل الشيء الوحيد المطلوب منه هو الاستماع وإكمال معلوماته الدينية وفي نهاية المطاف تبقى عليه حرية الاختيار ففي معرض حديثه عن قول الله تعالى: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا أرباباً من دون الله) (آل عمران) قال رحمه الله: « إن فيه إشارة إلى تشويق أهل الكتاب على الإيمان وتأنيسهم والتسهيل عليهم ، كأنه يقول: « لا تسقن عليكم الدخول في هذا السلك ، إذ لا تخرجون عن شرككم بالمرّة بل إنما تكملون معتقداتكم ، وتبنون على ما هو مؤسس لديكم » (النورسي ، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ، 590).

لقد تصور النورسي نقاطاً مشتركة بين الديانتين الإسلامية والمسيحية -التي كانت تجاورهم في تلك المنطقة آنذاك - تضمن إمكانية العمل المشترك بين المسلمين والمسيحيين ضد الإلحاد - الذي انتشر سريعاً في عهده - بناء على حقيقة مشتركة جوهرية بين الديانتين وهي التقاؤهما في الإيمان بحقائق أبدية (ساهين ، 1993 ، 91) ، فهو يؤسس لنوعين من الحوار: الحوار الداخلي وهو ذاك الذي يجري بين أبناء القطر الواحد تربطهم التراكيب الثقافية نفسها والتاريخ المشترك ، والحوار الخارجي: الذي يجري بين أبناء حضارات شتى وأقطار تنتمي إلى ثقافات متنوعة فهي عابرة للحدود والأقطار .

فالحوار الداخلي في منظور النورسي يستهدف التفاهم حول المواقف المشتركة لتثبيد الإيمان في

كما اهتمت هذه التقارير باقتراح ما يتعلق بالقوانين المتعلقة بالإسلام والمسلمين، حيث طلبت أن يجرى لها تطوير حتى تعم فائدتها أكثر مما سبق، وأجود ما في هذه التقارير هو المطالبة بمراعاة التنوع العرقي والثقافي بين الشعب في جميع النواحي مثل: الناحية الدينية، والاجتماعية، والتعليمية، والسياسية، حتى إنها طالبت بإعلان تعميم اللغة الملايوية كلغة العمل الثانية في الولايات الثلاث (كارا ، 2012، 63).

وفي جانب آخر قامت الحكومة التايلاندية بدعوة منظمة المؤتمر الإسلامي لتتفقد الأحوال في جنوب تايلاند، نظراً منها أن المشاكل في الجنوب تعدت أخبارها إلى العالم وأسأت إلى سمعتها خاصة لدى العالم الإسلامي، وقد قامت بعثة تابعة للمنظمة بزيارة تفقدية في يونيو 2005م، حيث أُعدَّ للبعثة برنامج حافل تضمن زيارة مختلف مناطق المسلمين في جنوب وغرب ووسط وشمال تايلاند، وكذلك زيارة الجامعات والمدارس الإسلامية والمساجد التاريخية، وعقد اللقاءات مع رؤساء المراكز والجمعيات الإسلامية، وقدم أمين عام المنظمة تقريراً بشأن هذه الزيارة إلى الدورة الثانية والثلاثين للمؤتمر الوزاري في صنعاء، ويدعو الأمين العام إلى متابعة اتصالاته وجهوده مع حكومة مملكة تايلاند من أجل إيجاد الحلول العادلة لمشاكل المسلمين في جنوب تايلاند في إطار الحوار ومع احترام سيادة وسلامة الأراضي التايلاندية(كارا ، 2012، 64).

ومع ذلك فإن الأوضاع لم تزل متوترة، وحالات العنف مستمرة، ولذا فإن المتوقع أن الأوضاع ستطول، ولا سيما فإن بذورها قديمة منذ استيلاء الحكومة التايلاندية لدولة فطاني، ومن هنا فلا بد من معالجة المشكلة بحكمة وروية وتؤدة من جميع المعنيين، مع مراعاة الفروق العرقية والثقافية التي تتميز بها سكان منطقة الجنوب، وإعطاء حقوقهم الشرعية، والأخذ بمقترحات اللجنة الحرة للمصالحة الوطنية.

ومن هنا اقترح بعض الباحثين أمورًا تساعد على الحل السلمي في منطقة جنوب تايلاند، ومنها:

1-فتح باب الحوار السلمي مع المنفصلين من الأحزاب الإسلامية في جنوب تايلاند.

2-تعيين لجنة لبحث الحقائق والتعايش السلمي.

3-دراسة طرق إمكانية وضع المحكمة الشرعية المستقلة لمنطقة جنوب تايلاند.

4-جعل اللغة الملايوية لغة رسمية في الدوائر الحكومية في منطقة الجنوب.

وعلى الرغم من سمو بعض أهداف المشروع إلا أنه يكتفه بعض المآخذ، لأنه لم يراع تباين الشعب التايلاندي من حيث الديانة والعادات الاجتماعية بما أدى إلى زرع بذور الشقاق بين المسلمين والبوذيين؛ لأن المسلمين يرفضون إطلاقاً المشاركة الاجتماعية والدينية التي تقتضي الجمع بين عادات الإسلام وعادات البوذية في جميع المجالات، ولذا لم ينجح هذا المشروع السلمي بين أوساط المسلمين في الجنوب.

٢-مشروع سري ويجايا:

يرتكز على ثلاثة مبادئ: وهي الحرية، والإخاء، والمساواة، ويضاف إليها وعود بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية في الولايات الجنوبية لتحسين الأوضاع بغية الوصول إلى تحقيق حياة سعيدة آمنة يتساوى فيها كل المسلمين والبوذيين الذين يعيشون في المنطقة.

وعلى الرغم من هذه الوعود فإن المسلمين الواعين يدركون خطورة هذا المشروع، وأنه دعوة تسعى إلى بث القومية البوذية في أوساط المسلمين ، وهدم المبادئ الأخلاقية الإسلامية(مناها ، 1998 ، 271).

٣-مشروع اللجنة الحرة للمصالحة الوطنية (The National Reconciliation Commission)

تعد اللجنة جديدة من نوعها؛ إذ تتكون من أعضاء مختلفة الفئات والوجهات، بما فيهم شخصيات مرموقة من المسلمين مثل: أمين عام المجلس الإسلامي المركزي بتايلاند، ورؤساء المجالس الإسلامية بالولايات الثلاث، ورئيس جامعة جالا الإسلامية، ورئيس جمعية الشبان المسلمين بتايلاند، وبعض الأكاديميين والأطباء والسياسيين المسلمين.

وتعمل هذه اللجنة على التعرف إلى الأوضاع والحقائق من النواحي المختلفة، وتقديم خطوات العلاج المناسبة لإعادة الوضع الأمني والتفاهم المشترك بين شعب تايلاند أجمع، خصوصاً في الولايات الجنوبية الثلاث.

وقد انتهت فترة عمل اللجنة في شهر مارس 2006م وقدمت ثلاثة تقارير مفادها الأساس هو اجتناب العنف نهائياً في حل المشاكل، ووجوب السير على الأساليب السلمية بمراعاة فروق المجتمع وخصائصه وثقافته، والعمل من أجل إيجاد العدل وإعادة الثقة بالحكومة لدى الشعب، والمساهمة البناءة من جانبي أفراد المجتمع والحكومة لحل المشكلات وتطوير المشاريع التنموية في المنطقة سواء كانت تنمية بشرية أو مادية.

لفهم القيم المشتركة بين الإنسانية وقد أسهب النورسي في الحديث عنها في رسائله.

وتوصي الدراسة بتوصيات ومقترحات منها:

-تضافر جهود العلماء والمفكرين لما فيه خير البشرية والبعد عن الاختلاف والانقسام والتحزب.

-العمل على استخراج مكنونات العلماء الربانيين والمصلحين المخلصين حتى تعم الفائدة ويشيع الخير.

-العناية بالأقليات ومشكلاتها لأنها جزء من جسد العالم الإسلامي

-المواصلة في استمرار المؤتمرات التي تناقش أفكار النورسي ؛ لأنها ساحة واسعة لتلاقح الأفكار ، وميدان خصب لتبادل التجارب.

-إجراء دراسات وأبحاث عن النورسي وتطبيقاتها في مثل بيئة الدراسة الحالية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. الدعوة الإسلامية في تايلاند، عبدالناصر أحمد مناها، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الدعوة والحضارة الإسلامية، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، عام 1998م.
2. الدعوة إلى الله في جنوب تايلاند واقعها ومشكلاتها» للباحث صافي كارا، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الدعوة والإعلام في كلية الدعوة والإعلام، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام 1430هـ-1431هـ.
3. ساهين ، سيف الدين ، 1993أدب الحوار في الإسلام ، دار الأفق ، الرياض
4. ستودارد ، لوثرروب (د.ت) حاضر العالم الإسلامي ، تعليق شكيب أرسلان ، ترجمة عجاج نويهض ، دار الفكر ، بيروت.

5-الرقابة والمحاسبة على الموظفين الحكوميين في كيفية استخدام قوانين الطوارئ في تعاملهم مع الشعب المسلم في جنوب تايلاند(مؤسسة برأجاديوك ، 2009، 57).

الخاتمة

بعد الاستعراض المقتضب لجوانب الموضوع وحيثياته تسطر الدراسة بعضاً من النتائج التي توصلت إليها ومنها:

-إن شخصية النورسي ذات وزن واعتبار في العالم الإسلامي فقد ذاع صيته وفكره في الآفاق مع أنه لم يكن من المكثرين في التأليف والكتابة ولا التصنيف والرواية ، لكنه كان يحمل همّاً تعجز الجبال الشامخات عن حملها ، وينشر فكراً تبطأ الكتب والمؤلفات عن نشرها ، وتوفيق الله قبل كل شيء كُتبت له القبول بين الناس واشتهر في الأرجاء .

-إن العالم الإسلامي لن يخل أبداً من المصلحين المتتورين مهما عظم الخطب في العصر وكثر الفساد وعم البلاء فمن رحم المعاناة يولد الأمل ، ولنا في زمن النورسي عبرة وآية.

-العالم الإسلامي جسد واحد وإن بعدت المسافات وطال الطريق لكن الإسلام القاسم المشترك لهذه المناطق وهو المحرك الرئيس لهذه القوى.

-تنوع الأديان والأعراق في منطقة جنوب تايلاند أكسبها خصائص فريدة ، وفي الوقت نفسه عرّضها لفتن وملاحم كادت تقضي على الأخضر واليابس ، لولا أن تداركته رحمة الله وفضله عليها ، لانقلب الحياة في المنطقة إلى حد لا تنطاق.

-التعايش السلمي ضرورة لاستقامة الحياة واستقرارها واستدامتها، وضمان لحفظ الحقوق والحريات.

-الحياة حق للجميع أياً كان ، ولا يحق لأحد سلب الحياة إلا من وهبها.

-تطبيق منظومة القيم الإنسانية المشتركة من أجل التعايش السلمي حقيقة لا يمكن تكذيبها أو مجاراتها.

-الإيمان طريق لتحقيق التعايش السلمي وهو قيمة إنسانية عظيمة يخاطب العقل والقلب معاً.

-فقه التعامل مع الآخر ، وفقه الواقع ، والحوار كلها أدوات لتحقيق التعايش السلمي وهو طريق

5. الصالحي، إحصان قاسم 1999، جوانب من حياة بديع الزمان سعيد النورسي ، في جهود سعيد النورسي في تجديد الفكر الإسلامي ، بحوث الندوة العلمية المنعقدة في مارس 1999 كلية الآداب جامعة محمد الخامس ، المغرب
6. الطاهر ، عبد الباري محمد (د. ت) ، دولة الخلافة العثمانية قراءة في نشأتها ومظاهر حياتها وعوامل سقوطها ، الناشر ، دار زرقاء اليمامة
7. عبدالحميد ، محسن ، 1995، الإمام النورسي رائد الفكر الإسلامي الحديث في تركيا ، دارالأفاق الجديدة ، بيروت
8. فطاني، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، ط الثالثة 1400هـ -1980م.
9. القاضي ، عبدالموجود 2001 ، ماذا تعرف عن بديع الزمان النورسي ، دار الهداية ، ط 1.
10. المجاهدون في فطاني، ضياء شهاب، سلسلة دعوة الحق، إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامي، السنة الخامسة، العدد 49، ربيع الآخر 1406هـ - يناير 1986م.
11. مؤسسة برأجا ديبوك، كلية السلام والحكم 2009م ، العنف في المحافظات الجنوبية الحدودية: مشاكل وحلول، أعدته طلبة الدبلوم العالي في منهاج بناء مجتمع الأمن والسلام، باللغة التايلاندية، بانكوك، المركز الإداري للمحافظات الجنوبية ط3.
12. مؤسسة برأجا ديبوك، كلية السلام والحكم 2009م ، العنف في المحافظات الجنوبية الحدودية: مشاكل وحلول، أعدته طلبة الدبلوم العالي في منهاج بناء مجتمع الأمن والسلام، باللغة التايلاندية، بانكوك، المركز الإداري للمحافظات الجنوبية ط3.
13. النعيمي ، أحمد النوري ، 1992، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا ، عمان ، دار البشير .
14. النورسي ، بديع الزمان سعيد ، 2008 كليات رسائل النور ، سيرة ذاتية ، ترجمة إحصان قاسم الصالحي ، دار النيل للطباعة ، مصر، ط 1.

15. النورسي ، بديع الزمان سعيد ، 2008، كليات رسائل النور ، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ، ترجمة إحصان قاسم الصالحي ، دار النيل للطباعة ، مصر، ط 1.
16. النورسي ، بديع الزمان سعيد ، 2008، كليات رسائل النور ، الكلمات ، ترجمة إحصان قاسم الصالحي ، دار النيل للطباعة ، مصر، ط 1.
17. النورسي ، بديع الزمان سعيد ، 2008، كليات رسائل النور ، اللمعات ، ترجمة إحصان قاسم الصالحي ، دار النيل للطباعة ، مصر، ط 1.
18. النورسي ، بديع الزمان سعيد ، 2008، كليات رسائل النور ، الشعاعات ، ترجمة إحصان قاسم الصالحي ، دار النيل للطباعة ، مصر، ط 1.
19. النورسي ، بديع الزمان سعيد ، 2008، كليات رسائل النور ، المكتوبات ، ترجمة إحصان قاسم الصالحي ، دار النيل للطباعة ، مصر، ط 1.
20. النورسي ، بديع الزمان سعيد ، 2008، كليات رسائل النور ، صيقل الإسلام ، ترجمة إحصان قاسم الصالحي ، دار النيل للطباعة ، مصر، ط 1.
21. النورسي ، بديع الزمان سعيد ، 2008، كليات رسائل النور ، مرشد أهل القرآن إلى حقائق الإيمان ، ترجمة إحصان قاسم الصالحي ، دار النيل للطباعة ، مصر، ط 1.
22. النورسي ، بديع الزمان سعيد ، 2008،، كليات رسائل النور ، الملاحق في فقه دعوة النور، ترجمة إحصان قاسم الصالحي ، دار النيل للطباعة ، مصر، ط 1.

مركزية الإيمان في تأسيس العدالة
دراسة في فكر الأستاذ سعيد بديع الزمان النورسي

وثغراته فضلاً عن رجاله الذين باتوا أول من يطاء القانون بقدومه لأنه يربط الثواب والعقاب بالآخرة حيث صورتها الأبدية في الأدهان.

وبناء عليه فإن للإيمان دور كبير في تأسيس العدل في المجتمع باعتباره قيمة يقتضيها العقل في جميع التصرفات، لهذا حضت الشريعة الإسلامية على اتباعه واعتبرته من أهدافها، وقد سمي الله نفسه به.

فكان الأصل إذن في الإسلام أن الوازع هو الدين، أما السلطان (الأمن والقانون والجيش) فمكمل ومعين للشرع على تحقيق المقاصد، وليس بديلاً له، لأن الدولة في الإسلام تقوم على ركنين أساسيين هما: التقوى والقانون، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [سورة النحل، الآية 90] وهناك تكامل بينهما. انطلاقا مما سبق نتساءل عن مركزية الإيمان في تأسيس العدالة، وذلك من خلال فكر الأستاذ سعيد بديع الزمان النورسي.

لذلك جاءت هذه الورقة لتبرز دور الإيمان ومركزيته في تأسيس العدالة انطلاقا من فلسفة وفكر الأستاذ سعيد بديع الزمان النورسي، وذلك من خلال محورين هما:

المحور الأول: نظرية الوازع الديني (الإيمان) وعلاقتها بالعدل

المحور الثاني: تجليات الإيمان في تأسيس العدل في فكر الأستاذ النورسي

المحور الأول: نظرية الوازع الديني (الإيمان) وعلاقتها بالعدل

في البداية لا بد من تقرير مسألة مهمة وهي أن وجود الوازع في كل اجتماع ضروري لاستمراره، لذلك نجد ابن خلدون رحمه الله يقرر هذه القضية قائلاً: «...إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قرناه وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض»¹.

وفي السياق ذاته يقرر الدكتور عبد الله دراز رحمه الله تعالى في كتابه «الدين» أن الحياة الاجتماعية لا قيام لها إلا من خلال رباط اجتماعي وعقد تعاوني بين أعضاء جماعاتها، وهو ما لا يتم إلا بقانون ينظم العلاقات، ويحدد الحقوق والواجبات، ثم إن هذا القانون لا غنى له عن سلطان نازع وازع، يكفل مهابته في النفوس، ويمنع انتهاك حرماته، وليس هناك قوة تكافئ قوة التدين أو تدانيتها في

1 المقدمة، ابن خلدون، دار القلم، بيروت، 1984م. ص 43.

نورالدين بالخير

باحث بسلك الدكتوراه مختبر العلوم الدينية والإنسانية وقضايا المجتمع

جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس -المغرب

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده والرضا على آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

من المسلم أن الإسلام دين الفطرة، والجبلّة السوية الكائنة في النفوس، والتي من خلالها يزن الإنسان الأمور، فيتبنى صالحها ويترجى فاسدها، هذا إن كانت صافية نقية وما لم تتكدر وتتدنس بأوحال المادية الماحقة، وإنّ نظرة متعمقة وشمولية ومحايدة للتشريع الإسلامي تجعل المرء يجزم بصلاحيته للمجتمع البشري وانسجامه مع طبيعة الإنسان والكون، وهذا ما جعل الإسلام يسمى بدين الفطرة، والعدالة.

ولا شك أن هذه الفطرة تعني فيما تعني ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: 30، 31]، وتعني فيما تعني حب العدل وبغض الظلم يقول ابن تيمية رحمه الله: "الناس إذا قالوا العدل حسن والظلم قبيح، فهم يعنون بهذا أن العدل محبوب للفطرة يحصل لها بوجوده لذة وفرح نافع لصاحبه ولغير صاحبه، يحصل به اللذة والفرح وما تنتعم به النفوس. وإذا قالوا الظلم قبيح فهم يعنون به أنه ضار لصاحبه ولغير صاحبه، وأنه بغيض يحصل به الألم والغم وما تتعذب به النفوس. ومعلوم أن هذه القضايا هي في علم الناس لها بالفطرة وبالتجربة أعظم من أكثر قضايا الطب...» [الرد على المنطقيين، ص 423].

لذلك اكتشف علماء التشريع والقانون أن قوة القانون وحدها لا تستطيع أن ترى كل جريمة ولا أن تتعقب كل مجرم وسيفلت منها الكثيرين بلا إثبات أو عقاب وأن الوازع الديني (الإيمان) هو المحرك النفسي الذي يدفع الإنسان إلى ترجمة الأحكام الدينية إلى سلوكيات ملموسة، لأنه يكفل للحكم الشرعي أو النص القانوني مهابته في النفوس ويمنع انتهاك حرماته بل يحدث في النفس رهبة من الجريمة أقوى من رهبة الدولة أو القانون الذي يجعل الإنسان يغفل عن رقابة السماء ويركن إلى رقابة القانون

درجة تتضمن الإيمان والعمل الصالح وهي استقامة الأعمال والتصرفات، وفسروها بثبات جميع القوى على حدودها بالأمر والنهي أخذاً من قوله تعالى: ﴿فاستقم كما أمرت﴾¹. وهذه الاستقامة يجمعها خلق العدالة والعدالة².

ولذلك فإن إيمان هذه الأمة بالله عز وجل يدل على عدلها وعدالتها؛ لأن الشرك بالله ظلم عظيم، ووجه كونه عظيماً أنه لا أفضح وأبشع ممن سوى المخلوقات من تراب بمالك الرقاب، وسوى الذي لا يملك من الأمر شيئاً بمالك الأمر كله وسوى الناقص الفقير من جميع الوجوه بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه³.

يقول الله عز وجل ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ [آل عمران: 110]. لم تتل الأمة الإسلامية هذه الخيرية إلا بإقام العدل وإفشائه بين الناس، وتحريم الظلم والضرب بيد من حديد على من تسول له نفسه خرق القانون الإلهي.

وهذه العدالة مبنية على أسس عقديّة ومنهجية سليمة، تفتح أمام تحقيق مقتضى الإيمان، كما أن تجليها يحقق هيمنة الإسلام في تنظيم الحياة، باعتباره ديناً يشتمل على العدالة وينطوي على عمل في الواقع، حيث تكمن في دلالات نصوصه المفاهيم المنهجية التي تنتظم في عقدها مكتسبات الإنسان المعرفية في كل مجال من مجالات النظر والتطبيق بما فيها العدل والعدالة، هذه الإشارات حين يتوصل إليها المؤمن لا تعدو أن تكون بناء معرفياً إسلامياً فحسب، بل هي منظومة من المقاييس بعضها يكمل الآخر، على أنه ينبغي استثمارها في تقويم المعارف الإنسانية عامة والحقوقية بالخصوص، في ضوء النصوص الإسلامية والمنهجية المستنبطة منها ابتداءً والعائدة إليها احتكاماً⁴.

لذلك نجد الشيخ بدیع الزمان رحمه الله تعالى يؤكد في غير ما موضع على ضرورة تجديد الإيمان في كل وقت وحين لكل فرد أفراد الأمة، بل يذهب إلى أبعد من ذلك حين حمل الحكومات مسؤولية تجديد إيمان المجتمع لتعطي القوانين والنظام قوة وعزة أمام الجميع.

كفالة احترام القانون وضمان تماسك المجتمع واستقرار نظامه، والتثام أسباب الراحة والطمأنينة فيه¹.

وذهب ابن خلدون إلى أبعد من ذلك حين قرر صراحة أنّ الحكومة التي يجب أن تسوس شؤون مجتمع العمران، هي الحكومة الإسلامية؛ لما تتوفر عليه من حفظ لمصالح العباد في دنياهم وسلامة مصيرهم في آخرتهم، يقول رحمه الله: «والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي على مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ ترجع أحوال الدنيا كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عند صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به»².

ولما كان العدل مطلباً كونياً تتصلح به كل الاختلالات أصرت الشريعة الإسلامية السمحة أن يكون مدخلها لكل إصلاح، فهو المبتدأ الخبر. ومما يحكى في هذا الصدد أن الجراح بن عبد الله كتب إلى عمر بن عبد العزيز: «إن أهل خراسان قوم ساءت رعيتهم وإنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في ذلك. فكتب إليه عمر: أما بعد، فقد بلغني كتابك تذكر أن أهل خراسان قد ساءت رعيتهم وأنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط فقد كذبت، بل يصلحهم العدل والحق فابسط ذلك فيهم والسلام»³.

إن من يتدبر القرآن الكريم والسنة النبوية بقلب مفتوح ويلقي نظرة ولو سريعة على أصول الإسلام وعقائده ومبادئه ومفاهيمه التي يزخر بها، أو يقرأ التاريخ الإسلامي من مصادره الأصلية ليدرك لأول وهلة أن الإسلام دين العدل والعدالة ودين السماحة والرحمة، ويدرك أن مرتكز هذه العدالة هو الإيمان بالله تعالى.

ففي صحيح مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك. قال: «قل آمنت بالله ثم استقم»⁴. وثم هنا للتراخي الربّي؛ لأن الاستقامة

1 الدين: بحوث ممهدة في تاريخ الأديان، عبد الله دراز، دار القلم، بيروت، بدون سنة. ص 98.

2 المقدمة، ابن خلدون، مرجع سابق. ص 97.

3 تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1952م. ص 242.

4 أخرجه مسلم، حديث (38)، وانفرد به عن البخاري، وأخرجه الترمذي في «كتاب الزهد» «باب ما جاء في حفظ اللسان» حديث (2410)، وأخرجه ابن ماجه في «كتاب الفتن» «باب كف اللسان في الفتنة» حديث (3972)..

1 سورة هود، الآية: 112.

2 أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الطاهر بن عاشور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ودار سحنون للنشر والتوزيع، الطبعة 3، 2010م. ص 124.

3 تفسير السعدي، ص 761.

4 النظرية السياسية من منظور حضاري إسلامي، سيف الدين عبد لفتاح إسماعيل، المركز العالمي للدراسات السياسية، مطبعة الجامعة الأردنية، الأردن، الطبعة الأولى، 2002م. ص 14-15.

«ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السماوات والأرض. فإذا ظهرت أمارات الحق، وقامت أدلة العقل، وأسفر صبحه بأي طريق كان، فثم شرع الله ودينه ورضاه وأمره»¹.

وعلى هذا الأساس شكل ارتباط العدالة أو العدل بالوازع الديني (الإيمان أو الفطرة) قضية معرفية يبرز فيها الوازع الديني قانونا ضابطا لحياة الإنسان، الذي يضبط له توازنه واستقامته في معرفة الأشياء وتمييز الخبيث من الطيب والحق من الباطل عن طريق التلقين والحس والتجربة والحس والاستنباط والتدبر، وكونه ضابطا ينبني على اعتباره هيئة خلقية أصيلة وقوة روحية انطوت عليها نفس الإنسان، تعمل على توجيهه. إن لم تمسح. إلى جلب المنافع التي يتوقف عليها تكوين مدنيتها، باعتباره إنسانا مدنيا بطبعه، وتظهر عليه نتائج أعمال حكمة العقل في انتظام الأفعال وبعدها عن المفاسد والمضار².

ولعل أبرز عامل من العوامل الحضارية التي تحدث الشهود الحضاري عند الشعوب، العدل، إذ له دور حيوي في حياة الفرد والمجتمع، وفي العمران الحضاري، فهو سبب رئيس في بناء الحضارة والعمران³.

ولا شك أن العمران الذي هو من مقتضيات الاستخلاف لا يكون من هذا التصور إلا بتحقيق شرط العدل وبعكسه يأتي الظلم بالخراب كما نص على ذلك ابن خلدون في مقدمته في فصل سماه «الظلم مؤذن بخراب العمران»، ومما جاء فيه: «اعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها لما يروونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم، وإذا ذهب آمالهم في اكتسابها وتحصيلها انقضت أيديهم عن السعي في ذلك، وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب، فإذا كان الاعتداء كثيرا عاما في جميع أبواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك لذهابه بالآمال جملة بدخوله من جميع أبوابها»⁴.

المحور الثاني: تجليات الإيمان في تأسيس العدل في فكر الأستاذ النورسي

ينطلق فكر بديع الزمان النورسي رحمه الله تعالى مما انطلقت منه الرؤية القرآنية للحياة والكون

يقول رحمه الله تعالى: «إن الإنسان تتحكم فيه النفس، والهوى، والوهم، والشيطان، وتستغل غفلته وتحتال عليه، لتضييق الخناق على إيمانه، حتى تسد عليه منافذ النور الإيماني بنثر الشبهات والأوهام، فضل عن أنه لا يخلو عالم الإنسان من كلمات وأعمال منافية لظاهر الشريعة، بل تعد لدى قسم من الأئمة في درجة ال كفر؛ لذا فهناك حاجة إلى تجديد الإيمان في كل وقت، بل في كل ساعة في كل يوم»¹.

ولقد عدَّ النورسي رحمه الله تعالى الإيمان بالله تعالى وتوحيده من أولى المقاصد الرئيسية في القرآن الكريم، فهو الغاية الكبرى والمحور الأساس، والركن الرّصين في مشروعه التجديدي، يقول رحمه الله: «ليس هناك أهم، ولا أعظم مسألة في الوجود من التوحيد والآخرة»². فهو يرى رحمه الله أن استحضر الوازع الديني عامل مهم في تجلي العدالة الإلهية في الأرض، فرؤيته هذه تعد رؤية توحيدية إيمانية حضارية، توجه الإنسان الذي يستحضر هذا الوازع نحو البناء والإعمار الحضاري، ذلك أن الإيمان بالله تعالى وتوحيده هو الروح المؤثرة في تحريك وتوجيه الإنسان والمادة معا.

فالإيمان وفق هذه الرؤية يتسم بالعموم والشمول، فهو وازع يحرك وجدان كل فرد مكلف في الشريعة الإسلامية، يحركه بأن يراعي تقلبات وهوى نفسه، ويهتم بأمر المسلمين، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحكم بما أنزل الله تعالى، ويقدم النصح لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم.

إن استحضر هذا الوازع يعني تحقيق مقصود الوحي، الذي هو الغاية المصلحية المقتضية من مضمونه الشمولي الجامع لكافة المعاني؛ إذ يعتبر أصلا مصلحيا كليا يتفرع عنه الفعل الاستخلافي الذي يؤسس قوانين المحافظة على الإنسان ذاته وقوانين اجتماعه، ويفتح أبصار الإنسان على آفاق النفس والكون، فيمنحه الرؤية العلمية السليمة والمنهجية القويمة التي تمكنه من الشهود الحضاري على جميع الأصعدة³.

ومقتضى تنزيل الإيمان بالله تعالى هو المقصد العام من إرسال الرسل وإنزال الكتب وتسخير الكون

1 إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم الجوزية، 4/273.

2 الفكر المقاصدي وتطبيقاته في السياسة الشرعية، عبد الرحمن العضاوي، مرجع سابق، 69.

3 النظرة الشمولية إلى العدالة عند النورسي، جيجك محمد خليل، المؤتمر العالمي الثامن لبديع الزمان سعيد النورسي: العدالة لأجل عالم أفضل للإنسانية من خلال رسائل النور، 2007م، ص 611.

4 المقدمة، ابن خلدون، مرجع سابق، ص 286 - 287.

1 المكتوبات، بديع الزمان النورسي، ص414.

2 الكلمات، بديع الزمان النورسي، 526.

3 الفكر المقاصدي وتطبيقاته في السياسة الشرعية، عبد الرحمن العضاوي، روافد، الإصدار 34، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، الطبعة الأولى، 2010م. ص41.

كامتتاع إفساد نظام الكون والإخلال به وتشويه صورته»¹.

ويربط الشيخ النورسي رحمه الله تعالى بين العدالة الإلهية السائدة في هذا الكون الفسيح، وبين ظلم الإنسان، بتمرده على هذه السنة الكونية، وخروجه على مبادئها وقواعدها، يقول رحمه الله تعالى: «اعلم أن الاقتصاد، والطهر، والعدالة، سفن إلهية جارية في الكون، ودرساتير إلهية شاملة، تدور رحي الموجودات عليها، لا يفلت منها شيء، إلا أنت، أيها الإنسان الشقي؛ وأنت بمخالفتك الموجودات كلها في سيرها وفق هذه السفن الشاملة، تلقى النفرة منها، وتغضب عليك وأنت تستحقها. فعلم تستند، وتثير غضب الموجودات كلها عليك، فتقرتف الظلم والإسراف، ولا تكثرث للموازنة والنزافة...»².

ثم يتساءل رحمه الله بأسلوب التهكم على المنكرين، هل يمكن أن تتخلف هذه العدالة الإلهية وألا تتحقق؟ فيقول: «إن عظمة الربوبية التي تظهر دقة متناهية وحساسية فائقة - إذا جاز التعبير - في الرحمة والشفقة والعدالة والحكمة. وكذا الألوهية الباسطة سلطانها على الوجود كله والتي تريد إظهار كمالاتها وتعريف نفسها وتجيئها بما زين الكائنات ببدايع صنائعها وبما أسبغ عليها من نعم. هل يمكن أن تسمح - هذه الربوبية العظيمة والألوهية الجلييلة - بعدم إقامة الحشر الذي يسبب الحط من قيمة جميع كمالاتها ومن قيمة المخلوقات قاطبة؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. فمثل هذا الجمال المطلق لا يرضى - بالبداهة - بمثل هذا القبح المطلق»³.

يقول رحمه الله تعالى: «...إن الحاكم الحكيم والعليم الرحيم الذي كتب هذا الكون بشكل كتاب، حتى سجل تاريخ حياة كل شجرة في كل بذر من بذورها، ودون وظائف حياة كل عشب ومهام كل زهر في جميع نواها. وكتب جميع حوادث الحياة لكل ذي شعور في قواه الحافظة الصغيرة كحبة الخردل. واحتفظ بكل عمل في ملكه كافة ويكل حادثة في دوائر سلطنته بالتقاط صورها المتعددة، والذي خلق الجنة والنار والصراف والميزان الأكبر لأجل تجليات وتحقق العدالة والحكمة والرحمة التي هي أهم أساس للربوبية...».

يستخلص من هذا النص أن الإمام بديع الزمان النورسي رحمه الله تعالى يرى أن العدالة أسس من أسس الربوبية، ومنطلق من منطلقاتها ومستلزم من مستلزماتها؛ إذ الرب الظالم غير حقيق بالعبادة

1 نفسه.

2 نفسه، ج 6، ص 407.

3 نفسه، ص 527.

أجمع، إذ نجده في رسائله الخالدة -رسائل النور-، يعرض معالم فكره وطريقته البديعة ومنهجه الفريد، في استتطاق الآيات الكونية المنظورة، والآيات الإلهية المسطورة، سالكا في ذلك خطابا ينطلق من العقل والقلب والفطرة، ومتوسلا بعناصر منهجية متميزة من تحليل وتمثيل، واستقراء تام للظواهر الفكرية وتعليلها تعليلا شرعيا وعقليا، ومحاولا الموازنة والمقارنة بينها وبين الفكر الغربي، والاستدلال بالنصوص الشرعية، والبراهين العقلية، والحجج الكونية، ممهدا لكل ذلك بمقدمات قطعية، وراصدا نتائج حتمية... إلى غير ذلك من الخصائص المنهجية الذي ينطلق منها إلى الأعماق، ويخترق بها الآفاق.

ترتكز العدالة في فكر الأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله تعالى -في رسائل النور- على الإيمان بالله تعالى، إذ العدالة في الإنسان أثر من آثار الإيمان وتجل من تجلياته عليها، يقتبس أنوارها من اسم الله «العدل» الذي به استقام الكون، وبه اعتدلت الكائنات، وبه اتزنت الموجودات، وعلى ضوئه اتسقت المخلوقات.

فنجده رحمه الله تعالى يؤسس لفكره على معالم ثلاثة -انطلاقا من سنن ودرساتير إلهية-:

وهي: «الاقتصاد والطهر والعدالة». والذي يهمننا هنا هو معلم العدالة.

وفي هذا السياق يقول رحمه الله تعالى: «إن العدالة العامة الجارية في الكون النابعة من التجلي الأعظم لاسم «العدل» إنما تدير موازنة عموم الأشياء. وتأمّر البشرية بإقامة العدل.

وإن ذكر الميزان أربع مرات في «سورة الرحمن» إشارة إلى أربعة أنواع من الموازين في أربع مراتب وبيان لأهمية الميزان البالغة ولقيمته العظمى في الكون. وذلك في قوله تعالى ﴿والسما رفعها ووضع الميزان. ألا تطغوا في الميزان. وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾ (الرحمن: 9-7)¹.

ويواصل رحمه الله بسط القول في هذه الرؤية القرآنية فيقول: «فاعلم من هذا أن «العدالة والاقتصاد والطهر» التي هي من حقائق القرآن ودرساتير الإسلام ما أشدها إيغالاً في أعماق الحياة الاجتماعية، وما أشدها عراقا وأصالة، وأدرك من هذا مدى قوة ارتباط أحكام القرآن بالكون، وكيف أنها مدت جذورا عميقة في أغوار الكون فأحاطته بعري وثيقة لا انفصام لها، ثم افهم منها أن إفساد تلك الحقائق ممتنع

1 رسائل النور، بديع الزمان النورسي، ج 3، ص 526.

حفظ العدل ، حفظ الدين ، حفظ العقل ، حفظ النفس ، حفظ المال ، حفظ العرض

ويلاحظ من خلال ما سبق أن بديع الزمان النورسي رحمه الله تعالى يرى أن العدالة دليل على الحكمة الإلهية، وغيابها يعني العيب بهذه الحكمة وإخلال بموازنها، التي تشبه إلى حد كبير الإخلال بموازين الكون، الأمر الذي يستدعي استعمال القياس الافتراضي، والذي يؤشر على النتائج الآتية:

• تغييب العدالة يفضي حتما إلى غياب السلام.

• الإخلال بموازين الكون يفضي حتما إلى استحالة الحياة.

فليس عبثاً إذن جعل النورسي رحمه الله تعالى كلية العدل عقيدة كبرى لا يصح دين بدونها¹، كما يتضح ذلك جلياً في التسبيحة الآتية:

«جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ شَأْنُهُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قُدْرَةً وَعِلْماً، إِذْ هُوَ الْعَادِلُ الْحَكِيمُ الْقَادِرُ الْعَلِيمُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ السُّلْطَانُ الْأَزَلِيُّ الَّذِي هَذِهِ الْعَوَالِمُ كُلُّهَا فِي تَصَرُّفِ قِبْصَتِي نِظَامِهِ وَمِيزَانِهِ وَنُظْمِهِ وَتَوَازِينِهِ وَعَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَمَظْهَرُ سِرِّ وَأَحْدِيَّتِهِ وَأَحَدِيَّتِهِ بِالْحَدْسِ الشُّهُودِيِّ بَلِّ بِالمُشَاهَدَةِ. إِذْ لَا خَارِجَ فِي الْكَوْنِ مِنْ دَائِرَةِ النِّظَامِ وَالْمِيزَانِ وَالتَّنْظِيمِ وَالتَّوْزِينِ؛ وَهُمَا بَابَانِ مِنَ (الإمام المبین والکتاب المبین). وَهُمَا عُنوانانِ لِعِلْمِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ وَأَمْرِهِ وَقُدْرَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ وَإِرَادَتِهِ. فَذَلِكَ النِّظَامُ مَعَ ذَلِكَ الْمِيزَانِ، فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ مَعَ ذَلِكَ الْإِمَامِ بُرْهَانَانِ نَيِّرَانِ لِمَنْ لَهُ فِي رَأْسِهِ إِذْعَانٌ، وَفِي وَجْهِهِ الْعَيْنَانِ، أَنْ لَا شَيْءَ مِنْ الْأَشْيَاءِ فِي الْكَوْنِ وَالزَّمَانِ يَخْرُجُ مِنْ قِبْصَةِ تَصَرُّفِ رَحْمَنِ، وَتَنْظِيمِ حَتَّانِ، وَتَرْبِيبِ مَنَّانِ، وَتَوَازِينِ دِيَّانِ»².

ثم إن الإمام النورسي رحمه الله يرى أن البناء الحضاري للأمة ينطلق من أساسين متلازمين: الإخلاص لله تعالى والعدالة، يقول رحمه الله: «إن الإخلاص واسطة الخلاص ووسيلة للنجاة من العذاب. فالعداء والعناد يززعان حياة المؤمن المعنوية فتتأذى سلامة عبوديته لله إذ يضيع الإخلاص. ذلك لأن المعاند الذي ينحاز إلى رأيه وجماعته يروم التفوق على خصمه حتى في أعمال البر التي يزاولها. فلا يوفق توفيقاً كاملاً إلى عمل خالص لوجه الله. ثم إنه لا يفوق أيصاً إلى العدالة. إذ يرجع

والإيمان به.

كما نجده رحمه الله تعالى في «إشارات الإعجاز» ينص على أن: «المقاصد الأساسية من القرآن وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد والنبوة والحشر والعدالة»³.

فلا يمكن أن تتحقق العدالة إلا بالإيمان بالثلاثة الأول، وبغيرها تزيغ النفوس البشرية وتعيد عن العدالة، وتسقط في مستنقع الهوى والطاغوت؛ لذلك يقول رحمه الله تعالى: «إن لم تكن تصرفات المؤمن وحركاته وفق الدساتير السامية التي وضعها الحديث الشريف «الحب في الله والبغض في الله»⁴ والاحتكام إلى أمر الله في الأمور كلها، فالنفاق والشقاق يسودان. نعم إن الذي لا يهتدي بتلك الدساتير يكون مقترفاً ظلماً في الوقت الذي يردم العدالة»⁵. فالإمام النورسي ينظر إلى قضية العدل نظرة شاملة لا شمولية، تتجاوز نطاق العالم إلى الكون كله، لا تنحصر في مطالب الإنسان وحاجاته المادية فحسب، بل تتعداه إلى مطالب أخرى أشد تعقيداً، منها: الروحية والنفسية والفكرية والوجدانية والاجتماعية... الخ، خلافاً لنظرة الماركسية التي تجعل الطبيعة بحركاتها الدينامية الأبدية القائمة على تحاور النقيضين، هي السيد المطلق، والإنسان في هذه العملية ما هو إلا منفذ غير حر ولا مرید لمشيئة هذا السيد المستبد، في أي مرحلة من مراحل الاجتماعية، سواء مرحلة الرق أو مرحلة الإقطاع أو مرحلة الرأسمالية، أو الاشتراكية... يفعل ذلك بأمر من الطبيعة، وفق مقاييس صارمة من عبودية الإنسان لسنن الطبيعة، التي لا مفر له منها أبداً⁶.

ولعل اجتهاده رحمه الله تعالى لإضافة كلية سادسة على الكليات الخمس لتكون أصلاً من أصول الدين الكبرى وكلية من كلياته الجامعة، ألا وهي كلية حفظ العدل، إذ نجده رحمه الله تعالى جعله على رأس الكليات الأخرى، حيث جعل الكليات الخمس مشروطة بتحقيقه، وعليه فإن الكليات الستة الكبرى عند النورسي رحمه الله تعالى مرتبة وفق ما يلي:

1 إشارات الإعجاز، بديع الزمان النورسي. ص 23.

2 رواه الطيالسي في مسنده باب البراء بن عازب، حديث رقم 776. ونصه الكامل: عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْخُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ.»

3 رسائل النور، بديع الزمان النورسي، ج2، ص 348.

4 انظر: مقال في العدل الاجتماعي، عماد الدين خليل، دار ابن كثير، 1427هـ/2006. ص 13.

1 انظر: السلام والعدالة الاجتماعية في الإسلام من منظور النورسي، عبد السلام أقليمون، المؤتمر السابع لبديع الزمان سعيد النورسي في موضوع: ممارسة حياة إيمانية فاعلة في سلام ووثاق في عالم متعدد الثقافات من خلال رسائل النور، شركة نسل للطبع والنشر والتوزيع الطبعة الأولى، 2004م. ص 225.

2 اللوامع، للعمة 29، المرتبة 6، بديع الزمان النورسي، 485.

الموالين لرأيه الموافقين له في أحكامه ومعاملاته على غيرهم. وهكذا يضيع أساسان مهمان لبناء البر «الإخلاص والعدالة» بالخصام والعداء¹.

إن المفكر بديع الزمان النورسي يذهب في هذا الطرح إلى أبعد نقطة، حيث نجده ينتقد سيطرة خواص المسلمين واستبدادهم. يقول رحمه الله: «إن من يشق طريقاً في الحياة الاجتماعية ويؤسس حركة لا يستثمر مساعيه ولن يكون النجاح حليفه في أمور الخير والرقى ما لم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية التي تحكم الكون. بل تكون جميع أعماله في سبيل التخريب والشر. فما دام الانسجام مع قانون الفطرة ضرورياً فإن تنفيذ قانون المساواة المطلوبة لا يمكن إلا بتغيير فطرة البشر ودفح الحكمة الأساسية في خلق النوع البشرى»².

ومثل لذلك بشخصه رحمه الله تعالى في رفضه للظلم ووقوفه بجانب العدالة: «نعم إنني من حيث النسب ونمط معيشة الحياة من طبقة العوام. ومن الراضين بالمساواة في الحقوق فكراً ومثرباً. ومن العاملين على رفض سيطرة طبقة الخواص المسلمين بالبرجوازيين واستبدادهم وذلك بمقتضى الرحمة وبموجب العدالة الناشئة عن الإسلام. لذا فأنا بكل ما أوتيت من قوة بجانب مع العدالة التامة وضد الظلم والسيطرة والتحكم والاستبداد»³.

وأرجع سبب هذا الاستبداد إلى طبيعة النفس البشرية: «بيد أن فطرة النوع البشرى وحكمة خلقه تخالفان قانون المساواة المطلقة إذ الفاطر الحكيم سبحانه كما يستحصل من شيء قليل محاصيل كثيرة ويكتب في صحيفة واحدة كتباً كثيرة. ويجرى بشيء واحد وظائف جملة. كذلك ينجز بنوع البشر وظائف ألوف الأنواع وذلك إظهاراً لقدرته الكاملة وحكمته التامة»⁴.

ويقرر هنا قاعدة ذهبية: «لا يمكن بالظلم والجور محو الحقيقة. ارفع القلب إن كنت مقتدرًا من

إن الناظر المتدبر لما أودعه بديع الزمان النورسي في رسائله يلحظ أنه كلما تحدث عن العبادة والإيمان بالله تعالى إلا وربطها فيه بالعدالة، إما تصريحاً أو تلويحاً، مما يحيل على مركزية الإيمان في تأسيس العدالة بل تلازمها وعدم انفكاك بعضهما عن بعض، سواء تعلق الأمر بالعدالة الإلهية المطلقة أو العدالة البشرية المنعكسة من نورانية وتجليات العدالة الربانية².

فبالنظر لهذه الحقيقة -«ارفع القلب إن كنت مقتدرًا من الإنسانية»- المرتبطة بالإنسان الذي يمثل بدوره حلقة هامة في الحياة الاجتماعية، ظل النورسي رحمه الله تعالى يدعو إلى الإسلام باعتباره نظاماً كفيلًا بتنظيم الحياة الاجتماعية بقيمه الإنسانية السامية التي لا يظلم معها الإنسان مهما كانت منزلته في المجتمع؛ لأن العدالة والإحسان من أهم أركان هذا الدين. يقول سبحانه وتعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى﴾³ يقول سعيد النورسي: «إن القرآن الكريم النازل رحمة للعالمين لا يقبل إلا طرازاً من المدنية وهي على قوله المدنية التي تمنح السعادة للجميع أو الأكثرية؛ وذلك باتخاذ الحق نقطة استناد في الحياة الاجتماعية بدلا من القوة وجعل رضى الله سبحانه وتعالى، ونيل الفضائل غاية بدلا من المنفعة الشخصية، واتخاذ دستور التعاون أساساً في الحياة، بدلا من دستور الصراع»⁴. فالإسلام دين إنساني، ولقد تولد عن عقيدته حياة مدنية راقية، وينطوي الإسلام في ثناياه على مقومات كفيلة بوضع حد لتجاوز النفس الأمارة، ودفح الروح إلى معالي الأمور وإشباع مشاعرها السامية بسوق الإنسان نحو الكمال والمثل الإنسانية؛ لأن شأن الحق، على عبارة الشيخ سعيد النورسي، هو الاتفاق، وشأن الفضيلة هو التساند... وشأن دستور التعاون، هو إغاثة كل للآخر، وشأن الدين هو الأخوة والتكاتف، وشأن إجماع النفس وكبح جماحها، وإطلاق الروح وحثها، هو سعادة الدارين⁵. فمفتاح السعادة إذن، في التمسك بالقيم الإسلامية. فقد اتسمت الحياة الاجتماعية بالأمان والاستقرار بفضل روح الإسلام التي تشبع بها من قبلنا من الصحابة والسلف

1 نفسه.

2 انظر: علاقة العدالة بالعبادة في رسائل النور، محمد الروكي، مؤتمر في موضوع: العدالة لأجل عالم أفضل للإنسانية، ص 127.

3 سورة النحل، الآية: 90.

4 الكلمات، بديع الزمان النورسي، مرجع سابق، ص 1.

5 نفسه، ص 145.

1 اللؤلؤ والمرجان من حكم بديع الزمان سعيد النورسي، مأمون فريز جزار، دار المأمون للنشر والتوزيع، 2018م، ص 82.

2 للمعات، اللمعة الثانية والعشرون، بديع الزمان النورسي، ص 237.

3 نفسه.

4 نفسه.

لائحة المصادر والمراجع:

ولا غرو أن قدرة الأستاذ بديع الزمان النورسي على الربط بين قيم الإسلام السامية المستوحاة من دستور خالد قائم على ميزان العدل ومقيما لهذا الميزان، وبين حقائق تستنتجها البشرية في كدها العقلي الطويل والمنصف أحيان، نابعة من تشبعه الكبير بقيم ومبادئ القرآن الكريم، ومعايشته الاستثنائية لمعانيه، مما أهله -بما يشبه السجية- على أن يترجم تلك المعاني وأن يبسط تلك الدلالات، وأن يترجم المعاني الأصلية لصفة «الكريم» الملازمة لقرآن رب العالمين. فهو كريم من حيث سخاؤه اللامتناهي في تزويد العقول بمختلف درجاتها - وبما تحتاجه من مؤهلات ودروس ودلائل...لمعرفة العالم وإحسان قراءته².

الخاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى تقرير النتائج الآتية:

- إن حقيقة الإسلام ما هي إلا تجل للعدالة الإلهية الأزلية في الكون، وهي ما يسميها النورسي بالإنسانية الكبرى.
- إن حياة الوجود عند النورسي هي العدالة.
- إن الحكمة المطلقة والعدالة التامة هما منشأ جميع الانتظام والأنظمة والموازنة ومنبعها ومدراها ومصدرها.
- إن العدالة منزهة عن الظلم.
- لا سعادة للبشرية بدون إجراء العدالة وتمكينها في الأرض.
- العدالة مظهر من مظاهر أسماء الله الحسنى وقوام الكون ومداره.
- الإيمان مكون أساس في تحقيق العدالة.

1 السلام والعدالة الاجتماعية في الإسلام، إدريس منغا، المؤتمر السابع لبديع الزمان سعيد النورسي، مرجع سابق، ص 654.

2 انظر: السلام والعدالة الاجتماعية في الإسلام من منظور النورسي، عبد السلام أقليمون، المؤتمر العالمي السابع لبديع الزمان سعيد النورسي، مرجع سابق، ص 196.

1. القرآن الكريم
2. صحيح مسلم.
3. سنن الترمذي.
4. سنن ابن ماجه.
5. مسند الطيالسي.
6. رسائل النور، بديع الزمان النورسي.
7. إشارات الإعجاز، بديع الزمان النورسي.
8. المكتوبات، بديع الزمان النورسي.
9. الكلمات، بديع الزمان النورسي.
10. اللغات، اللمعة 29، المرتبة 6، بديع الزمان النورسي.
11. المقدمة، ابن خلدون، دار القلم، بيروت، 1984م.
12. الدين، بحوث ممهدة في تاريخ الأديان، عبد الله دراز، دار القلم، بيروت، بدون سنة.
13. تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1952م.
14. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الطاهر بن عاشور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ودار سحنون للنشر والتوزيع، الطبعة 3، 2010م.
15. تفسير السعدي، نسخة الجامع التاريخي لتفسير القرآن الكريم.

٤ . أساليب شرح مفاهيم الايمان في رسائل النور :

1. آراء الإمام النورسي في التربية الروحية وأثرها في نمو المتعلم: لاسانا درامي ، مدير المركز التعليمي، مسؤول المالية والعلاقات بجامعة أفريقيا الفرنسية العربية جمهورية مالي.
 2. الإيمان المُتَقَدُّ والمُنَقَّذُ وأبعاده المعرفية والوظيفية: أ.د. عمار جبدل ، جامعة الجزائر 1 (بن يوسف بن خده).
 3. البدائل الإيمانية في رسائل النور . دراسة تطبيقية لبعض المفاهيم والمصطلحات :. أ.د. أميد نجم الدين جميل المفتي ، كلية العلوم الإسلامية ،جامعة صلاح الدين ، أربيل . العراق.
 4. رسائل النور بين الواقع المُكْتَسَبِ والمأمول المُتَقَبِ . قراءة في نهج الأستاذ النورسي في التبليغ والإرشاد :. أ.د. عزيز محمد عدمان ، باحث أكاديمي جزائري.
 5. سياقات التحميدات النورية بين الإيمان والقرآن والإسلام- دراسة تحليلية-: أ.م.د. فرهاد إبراهيم أكبر الشواني ، عميد كلية القلعة الجامعة للدراسات الدينية بأربيل/العراق ، أستاذ مشارك بكلية العلوم الإسلامية بجامعة صلاح الدين- أربيل.
 6. منهج بديع الزمان النورسي في بناء الإيمان من خلال كتابه(رجة العلماء): د. اليماني عبد العزيز الفخراني ، قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة.
- منهج رسائل النور في التبليغ في زمننا المعاصر .
- مناهج التبليغ منذ بداية الدعوة الى الحاضر .
- اثر رسائل النور على حياة الفرد.
- التعليم الايماني.

16. النظرية السياسية من منظور حضاري إسلامي، سيف الدين عبد لفتاح إسماعيل، المركز العالمي للدراسات السياسية، مطبعة الجامعة الأردنية، الأردن، الطبعة الأولى، 2002م.
17. الفكر المقاصدي وتطبيقاته في السياسة الشرعية، عبد الرحمن العضاوي، روافد، الإصدار 34، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، الطبعة الأولى، 2010م.
18. إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، 1411هـ - 1991م.
19. النظرة الشمولية إلى العدالة عند النورسي، جيجك محمد خليل، المؤتمر العالمي الثامن لبديع الزمان سعيد النورسي: العدالة لأجل عالم أفضل للإنسانية من خلال رسائل النور، 2007م.
20. العدل الاجتماعي، عماد الدين خليل، دار ابن كثير، 1427هـ/2006.
21. السلام والعدالة الاجتماعية في الإسلام من منظور النورسي، عبد السلام أقمون، المؤتمر السابع لبديع الزمان سعيد النورسي في موضوع: ممارسة حياة إيمانية فاعلة في سلام ووثام في عالم متعدد الثقافات من خلال رسائل النور، شركة نسل للطبع والنشر والتوزيع الطبعة الأولى، 2004م.
22. اللؤلؤ والمرجان من حكم بديع الزمان سعيد النورسي، مأمون فريز جرار، دار المأمون للنشر والتوزيع، 2018م.
23. علاقة العدالة بالعبادة في رسائل النور، محمد الروكي، مؤتمر في موضوع: العدالة لأجل عالم أفضل للإنسانية.
24. السلام والعدالة الاجتماعية في الإسلام، إدريس منغا، المؤتمر السابع لبديع الزمان سعيد النورسي.

الإسلام والمسلمين تجاهنا في هذا العصر فسندرسه دراسة تجريبية تطبيقية، ونبين خصوصيات هذه الخصلة التربوية وعلاقتها مع آراء الشيخ الإمام بديع الزمان سعيد النورسي.

الكلمات المفتاحية: العقل، الجسمية، النفسية، الانفعالية، الوجدانية.

ملخص البحث باللغة الفرنسية

آراء الإمام النورسي في التربية الروحية وأثرها في نمو المتعلم

لاسانا درامي

مدير المركز التعليمي، مسؤول المالية والعلاقات بجامعة أفريقيا الفرنسية العربية
جمهورية مالي.

البريد: LDRAME18@YAHOO.FR

ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحابه أجمعين.

لقد كرس بعض من العلماء آثارهم العلمية في المناول العلمية والتربوية والروحية، ومنهم الشيخ الإمام بديع الزمان سعيد النورسي الذي شملت جهوده الدعوية توجيهات نورانية وروحية وتربوية.

ومن خلال هذا البحث سنحاول أن نجمع ما وجهه الشيخ الإمام بديع الزمان سعيد النورسي في التربية الروحية المنسجمة مع النمو العقلي والنفسي والجسمي والانفعالي، إذ لا يكون المسلم الذي يبتغيه الإسلام إلا بصيانة هذه الجوانب التربوية، وهذه الجوانب تدرج تحت الكليات الخمس التي ترمي لحفظها وصيانتها الشريعة.

وفي الجانب العقلي نرى أن الشيخ الإمام بديع الزمان سعيد النورسي جعله أساساً للتمييز وصيانتته ونموه ويأتي بعد تربيته تربوية روحية، وأما في الجانب النفسي فسوف نحلله تحليلاً روحياً مع بيان علاقته بالتربية التعليمية، وكذلك الجانب الجسمي العضوي، وفي الجانب الانفعالي الذي هو سند مكر أعداء

Résumé

Louange à Dieu, et prières et paix soient sur le plus honorable des Messagers, notre maître Muhammad, le Prophète fidèle, et sur toute sa famille et ses compagnons.

Certains cadres ont consacré leurs traces scientifiques à des sources scientifiques, éducatives et spirituelles, notamment le Cheikh Imam Bediuzzaman Said Nursi, dont les efforts de plaidoyer comprenaient des conseils éclairants, spirituels et éducatifs. A travers cette recherche, nous essaierons de recueillir ce que Cheikh Imam Badi' Al-Zaman Saeed Al-Nursi a dirigé concernant l'éducation spirituelle en harmonie avec la croissance mentale, psychologique, physique et émotionnelle, car le musulman qui cherche l'Islam ne peut se passer du maintien ces aspects éducatifs, et ces aspects peuvent être considérés parmi les cinq facultés qu'il vise Les objectifs de la charia pour la préservation et l'entretien.

Dans l'aspect mental, nous voyons que Cheikh Imam Badi' Al-Zaman Saeed Al-Nursi en a fait une base de discrimination, et son maintien et sa croissance vient après son éducation spirituelle. et l'étude appliquée, et en ce qui concerne sa relation avec les vues de Cheikh Imam Badi Al-Zaman Saeed Nursi de cette qualité d'éducation.

مقدمة

الحمد لله حمدا يليق بجلاله، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، وبعد:

صحيح أن التربية مبدأ الحياة وعماراة الأرض بالأمن والسلامة، ولكن كيف يمكن تحقيق هذه الخلافة التي خلفنا الله بها في الأرض؟

فالتربية الروحية الإسلامية لها هدف رئيس الذي هو مساعدة المتعلمين على ترك ما يكره الله ويقبل ما هو إرضاء له على أمل مجده، وتوكل عليه، وحسن الظن به، واليقين بدينه.

إن شيخنا العلامة المرشد الروحي بديع الزمان سعيد النورسي قد وجّه جزءاً كبيراً من عنايته إلى مسألة «التربية الروحية»، ولو صورنا وحللنا المسائل التي صاغها وفككها نجد بأنها مفتاح الفهم لكل عملية تربوية تبتغي إليها إخراج جيلٍ قرآنيٍّ ربانيٍّ يساهم من خلال العمل الإيجابيِّ البتاء في خلافة الأرض وعمارتها، والقيام بمسؤوليات الأمانة المُلقاة على عاتقه بحكم اختياره وحمله لها، وفي هذا البحث سنحلل فكرة الشيخ العلامة سعيد النورسي المتعلقة بالتربية الروحية الربانية، من هنا خطر في بالي اختيار هذا الموضوع.

حينما نرجع إلى حياة الشيخ النورسي نرى أنه اتجه نحو طلب الحق والحقيقة منذ صغره، أيام لجوئه إلى المغارات للاستماع إلى أنين قلبه وآهاته، وإنابة روجه ومناجاته، حتى ذاق طعم الطاعة، ورشف رحيق العبادة، واستشتم طيب التفكر، واستفاض في «التربية الروحية» والنفسية والوجدانية والعقلية فوصل إلى الطمأنينة والسكينة، وبفضل «التربية الروحية» وما تضمنته من مجاهداتٍ تشبّع النورسي بالحقائق المكونة في القرآن؛ حتى أنه وصف كتابه «الكلمات» بأنه كتابٌ يلوح في علم الحقيقة؛ ويحلل حقيقة الشريعة، التي تمثل حكمة القرآن الكريم المنزل من عند الله الحكيم. وقد أشعر العالم بهدفة عندما قال: «لأبزهنن للعالم بأن القرآن شمسٌ معنويةٌ لا يخبو سناها، ولا يمكن إطفاء نورها»¹.

وانطلاقاً من القرآن الكريم، الذي حثّ في الكثير من آياته على ضرورة التزكية، واتساقاً مع تركيز الأستاذ النورسي على الجانب العملي في «التربية الروحية»، إذ أن إرشاداته لم تكن فقط مجرد كلام،

بل كان داعياً عملياً ولم يكن قاصراً مططبياً، ومما جعلني أقارن أفكاره بالمجالات التعليمية هو أنه أكد: أن الطرائق إلى الخالق عز وجل كثيرة ومتعددة، لكن مردها جميعاً إلى القرآن الكريم، قائلاً: «وقد استقدت من فيض القرآن الكريم طريقاً قصيراً وسببلاً سويًا هو: طريق العجز، الفقر، الشفقة، التفكر»¹.

أهمية البحث:

وتأتي أهمية هذه الدراسة في:

1. إبراز قوة التفكير وعمق الرأي للعلامة الشيخ الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، في التعليم الروحي الإسلامي.
2. وموقفه حول التعليم الحديث العصري، وجعل المتعلم يتحصل على ما يبتغيه من المعارف والمعلومات بطريقة سهلة وأسير.

أهداف البحث:

وتهدف الدراسة إلى:

1. معرفة الشيخ الإمام بديع الزمان سعيد النورسي وإبراز شخصيته العلمية الروحية.
2. مفهوم التربية الروحية في الإسلام وفي فكر الشيخ الإمام بديع الزمان سعيد النورسي.
3. تخصيص آراء الإمام بديع الزمان سعيد النورسي في التربية الروحية وأثرها في نمو المتعلم.

حدود ومنهج البحث:

وستسير الدراسة على نهج وصفي تحليلي تجريبي تربوي في حدود آراء الشيخ الإمام بديع الزمان سعيد النورسي وأثرها في التربية الروحية.

خطة البحث:

وبفضل الله تم تقسيم هذا البحث إلى مبحثين وتحت كل مبحث مطلبان، ففي المبحث الأول سنتناول فيه مفهوم التربية الروحية ونبذة عن سيرة الشيخ الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، والمبحث الثاني

1 نفس المصدر، ص 602.

1 بديع الزمان سعيد النورسي، كلمات صغيرة في العقيدة والعبادة، ترجمة احسن قاسم الصالحي، الطبعة الثانية، سنة الطباعة: 2016، دار الطباعة: شركة RNK ص 106، ص 601.

المفسر في بيان المعنى اللغوي بقول ذي الرمة:

فقلت له ارفعها إليك وأحببها بروحك واجعلها فيئة قدرا

وعلق عليه قائلا: ومعنى بروحك: أي ينفعك، ثم قال (والروح منه) أي: ثم من خلقه، وقال ابن كثير (1393هـ): «إنها الكلمة التي جاء بها جبريل إلى مريم فنفخ فيها بإذن الله فكان عيسى عليه السلام¹

قال تعالى: (وإذا سويت ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)²، جاء في حاشية تفسير القاضي البيضاوي (٢٨٢هـ): قوله تعالى: (ونفخت فيه من روحي) أي حتى جرى أثره في تجايف جسم آخر، ولما كان الروح يتعلق بالبخار اللطيف المنبعث من القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسرى حاملا لها في تجايف الشرايين إلى أعماق البدن، جعل تعلقه بالبدن: نفخا، وأضاف الروح إلى نفسه³.

قال تعالى: (فروح وريحان وجنة نعيم)، فسر البيضاوي (١٦٨٦) «الروح» بالفتح بمعنى: له الاستراحة، وقرئ بالضم تعني الرحمة، لأنها سبب الحياة.

ويمكن أن نلخص المعاني المستفادة من الآيات حسب ما ذكر المفسرون على النحو الآتي:

جبريل عليه السلام، الوحي، القرآن، اسم للجزء الذي تحصل به الحياة والتحرك، ما جرى في تجايف الشرايين إلى أعماق البدن، خلق عجيب، جسم لطيف مسحب بالبدن، الحياة، الاستراحة عن ما تكون «الروح» بالفتح، القوة، بنو آدم، خلق من خلق الله على صورة بني آدم وليسوا بملائكة ولا بشر، ملك من الملائكة، ملك عظيم من الملائكة⁴.

إذن يمكن القول بأن التربية الروحية كما ذكرها الغزالي - رحمه الله - عندما يتكلم عن عمل الشيخ والمربي: «فاعلم أنه ينبغي للسالك من شيخ مرشد مرِب؛ ليخرج الأخلاق السيئة منه بتربيته ويجعل مكانها خلقًا حسنًا، ومعنى التربية يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك، ويخرج النباتات الأجنبية من بين

1 السؤال الذي يخطر في الذهن: كيف نفخ فيها الروح؟-

2 سورة الحجر، 29 آية.

3 - عبد الله أحمد الناصر العامدي، التربية الروحية وتنميتها في المدارس الثانوية، دراسة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية المقارنة بجامعة أم القرى، مكملة لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية، ص 18.

4 سورة الواقعة، 89 آية.

5 عبد الله أحمد الناصر العامدي، المصدر السابق، ص 20.

عالجت فيه آراء الشيخ الإمام بديع الزمان سعيد النورسي في التربية الروحية وأثرها في نمو المتعلم، ثم الخاتمة والتوصيات، والمصادر.

المبحث الأول: مفهوم التربية الروحية ونبذة عن حياة النورسي ورأيه فيها المطلب الأول: التربية الروحية مفهومها وفلسفتها

١. مفهوم التربية الروحية:

التربية الروحية، عبارة مركبة من مصطلحين، أولهما التربية، وثانيهما الروحية، ونحاول تسليط الضوء عليهما على حدة.

فقد ذكر في قواميس اللغة العربية أن التربية اسم مشتق من الرب، وتستعمل كلمة التربية بمعنى التهذيب وعلو المنزلة، وقد ذكر ذلك الزمخشري، فقال: «ومن المجاز: فلان في رباوة قومه: في أشرفهم»¹

وأما الروحية، فلكي نعرج إلى الروح وإدراك معانيه يتطلب منا ذكر ما ورد في معاني الروح في الإسلام، إذ ورد (الروح) في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فضلا عن بيان المراد به من قبل المفسرين وعلماء اللغة، كما تحدث مفكرو التربية الإسلامية عن الروح مع الامام على توجيهها وتربيتها ومن تلك المعاني:

ففي القرآن الكريم ورد الروح في تسعة عشر موضعا، وكانت إما بضم الراء (الروح) وأو بفتح الراء (الروح) وتختلف معانيها سواء بالفتح أو بالضم حسب السياق القرآني، ونلوج إلى توضيحها:

- قال تعالى: (يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه)²

يقول القرطبي رحمه الله (1373هـ): يسمى النفخ روحا لأنه ربح يخرج من الروح، واستشهد ذلك

1 - الزمخشري، محمود بن عمر جار الله (أساس البلاغة، القاهرة، دار الكتب، ط1، 1922م)

2 سورة النساء، 171 آية. -

١: بديع الزمان سعيد النورسي ونبذة من حياته العلمية والشخصية:

لقد من الله علي أن أضع منوالاً في صفحات كتب القراء حول شخصية العملاق العلمية ربانية الشيخ الإمام القائد الروحي بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله، الذي يعتبر من أبرز علماء الإصلاح الديني والاجتماعي في العصر الراهن.

أولاً: مولده ونسبه ونشأته:

لقد ولد سعيد النورسي في قرية (نُورس) الواقعة شرقي الأناضول في تركيا عام (١٨٧٧م) من أبوين صالحين كرديين كانا مضرب المثل في التقوى والورع والصلاح، ونشأ في بيئة كردية يخيم عليها الجهل والفقر، كأكثر بلاد المسلمين في أواخر القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين. وإلى قريته (نُورس) يُنسب، واسم والده ميرزا بن علي بن خضر بن ميرزا خالد بن ميرزا رشان من عشيرة أسباريت، أما والدته فاسمها نورية بنت ملا طاهر من قرية بلكان، وهي من عشيرة خاكيف، والعشيرتان من عشائر قبائل الهكارية في تركيا، ولم تكن حياة سعيد النورسي إلا ملحمة من الوقائع والأحداث التي وضع جميعها في خدمة القرآن العظيم وتفسير نصوصه، وبيان مرامي آياته البينات، ضمن رؤية تبلورت مع الزمن ومع أطوار رحلة العمر، وكانت غايتها النهائية بث اليقظة، وإعادة الحياة والفعل للأمة الإسلامية بعد طول رقاد، وما برح سعيد أن ألتحق بمجموعة من الكتابات والمرافق التعليمية المبنوثة في تلك النواحي من حول قريته نورس، وكان يستوعب كل ما يقدم له من علم، وسرعان ما أضحي لا يجد ما يستجيب لنهمه التحصيلي في المراكز التي يقصدها، ومن هنا كانت إقامته في تلك المراكز ظرفية، إذ كان يتوق إلى الاستزادة المعرفية الحقّة. وظل يرتحل من مركز إلى مركز، ومن عالم إلى آخر حتى حفظ ما يقرب من تسعين كتاباً من أمهات الكتب، وتهيأ بعد ذلك وبفضل المحصول العلمي الجرم الذي اكتسبه في طفولته المبكرة تلك، أن يجلس إلى المناظرة ومناقشة العلماء، وانعقدت له عدة مجالس تناظر فيها مع أبرز الشيوخ والعلماء في تلك المناطق، وظهر عليهم جميعاً وانتشرت بذلك شهرته في الآفاق.

ثانياً: حياته العلمية:

في سنة ١٨٩٧م ذهب إلى مدينة وان، وأكّبت فيها بعمق على دراسة كتب الرياضيات وعلم الفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والفلسفة والتاريخ؛ حتى تعمق فيها إلى درجة التأليف في بعضها فسّمى بديع الزمان اعترافاً من أهل العلم بذكائه الحاد، وعلمه الغزير، واطلاعه الواسع.

في هذه الأثناء نُشر في الصحف المحلية أن وزير المستعمرات البريطاني «غلاستون» قد صرّح في مجلس العموم البريطاني وهو يخاطب النواب قائلاً: ما دام القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن

الزرع ليحسُن نباته ويكمل ريعه. ولا بد للسالك من شيخ يريه ويرشده إلى سبيل الله تعالى، لأن الله أرسل للعباد رسولاً للإرشاد إلى سبيله، فإذا ارتحل ﷺ فقد خلف الخلفاء مكانه، حتى يرشدوا الله تعالى.^١

٢. فلسفة التربية الروحية:

علمياً يلاحظ أن كل عنصر علمي مبني على جليات نظرية يعود إليها القاريء عند قراءته ليسهل عليه فهم الكاتب واستيعابه، وقد لوحظ أن فلسفة التربية الروحية هي بناء الإنسان بناءً متكاملًا يقوم على تأديب النفس، وتصفية الروح وتثقيف العقل وتقوية الجسد، حتى يصل إلى الكمال الإنساني المتسامي في إطار من القيم والأخلاق التي ينشأ عليها ويعود على التعامل بها، وقد أشار شيخنا الجليل الإمام النورسي إلى الفكر الفلسفي الروحي حينما قال: «اعلم أن العبادة هي التي ترسخ العقائد وتصيرها حالاً ومملكة، إذ الأمور الوجدانية والعقلية إن لم تتّمها وترتّبها العبادة-التي هي امتثال الأوامر واجتتاب النواهي- تكن آثارها وتأثيراتها ضعيفة»^٢ ونجد هذه الإشارة الفلسفية في فلسفة التربية في القرآن الكريم، وكان لزاماً على هذه الأمة أن تستيقظ من نومها العميق وتخلق الفرق الحاسم بين فلسفة التربية الإسلامية والتربية الغربية، لأنها تختلف تماماً عن فلسفات النظم التربوية الحديثة والقديمة في الغرب، فمركزية التربية في الغرب تبنى على الحرية والديمقراطية والفردية، وفي الشرق من العالم الشيوعي تبنى على دكتاتورية الطبقة العاملة والمادية الجدلية والشيوعية الجماعية، والقاعدة التي تستفاد منها فلسفات التربية المعاصرة هي جحود الألوهية والربوبية - أي جحود الخالق العظيم وهيمنته وسيطرته على جميع المخلوقات، ومن هنا نعي أن هذه الفلسفات ليس لها رؤى توحيدية صحيحة فهي جامدة خالية عن العقيدة.

وتهدف التربية الروحية إلى تغذية القلب والعقل حتى ينجسما مع المواقف والأخلاق المحمودّة والربانية فضلاً عن الرزيلة والغفلة، وقد أدرك ذلك بسبب العلاقة القوية بينها وبين الخالق، وهذا المنطلق هو مهد بحثنا.

المطلب الثاني: بديع الزمان سعيد النورسي والتربية الروحية

1 أبو حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، الطبعة الأولى، 2003م، بيروت لبنان، ص 101.

2 بديع الزمان سعيد النورسي، كلمات صغيرة في العقيدة والعبادة، ترجمة احسن قاسم الصالحي، الطبعة الثانية، سنة الطباعة: 2016، دار الطباعة: شركة RNK ص 106

الخطوات الست» حرك به همة مواطنيه، ووضع تصوره لرفع المهانة وإزالة عوامل القنوط التي ألحقتها الهزيمة بالدولة العثمانية والمسلمين عامة. وفي هذه الفترة (أي منذ ١٩٢٢م) وُضعت قوانين وأُخذت القرارات لقلع الإسلام من جذوره في تركيا، وإخماد جذوة الإيمان في قلب الأمة التي رفعت راية الإسلام طيلة ستة قرون من الزمن. فأُلغيت السلطنة العثمانية في (١/١١/١٩٢٢م)، وأعقبه إلغاء الخلافة الإسلامية في ٣/٣/١٩٢٤م.

وقام الشيخ سعيد بيران (البالوي) النقشبدي (١٣/٢/١٩٢٥) بالثورة ضد السلطة آنذاك، وطلب قائد الثورة من بديع الزمان استغلال نفوذه لإمداد الثورة إلا أنه رفض المشاركة وكتب رسالة إليه جاء فيها:

«إن ما تقومون به من ثورة تدفع الأخ لقتل أخيه ولا تحقق أية نتيجة، فالأمة التركية قد رفعت راية الإسلام، وضخت في سبيل دينها مئات الألوف بل الملايين من الشهداء، فضلاً عن تربيتها ملايين الأولياء، لذا لا يُستل سيف على أحفاد الأمة البطلة المضحية للإسلام، الأمة التركية، وأنا أيضاً لا أستلّ عليهم». ورغم ذلك لم ينح بديع الزمان من شرارة الفتن والاضطرابات؛ فنفي مع الكثيرين إلى «بورديو»، ووصل إليها في شتاء سنة ١٩٢٦م.

ثم نفي وحده إلى ناحية نائية وهي «بارلا» جنوب غربي الأناضول. ويقول عن نفسه في هذه الفترة: «صرفت كل همي ووقتي إلى تدبّر معاني القرآن الكريم، وبدأت أعيش حياة «سعيد الجديد»، أخذتني الأقدار نفيًا من مدينة إلى أخرى، وفي هذه الأثناء تولدت من صميم قلبي معاني جليلة نابعة من فيوضات القرآن الكريم، أمليتها على من حولي من الأشخاص، تلك الرسائل التي أطلقت عليها «رسائل النور». وهكذا أستمّر الأستاذ النورسي على تأليف رسائل النور حتى سنة ١٩٥٠م، وهو يُنقل من سجن إلى آخر ومن محكمة إلى أخرى، وهكذا طوال ربع قرن من الزمن لم يتوقف خلاله من التأليف والتبليغ حتى أصبحت أكثر من (١٣٠) رسالة، جمعت تحت عنوان «كليات رسائل النور» ولم يتيسر لها الطبع في المطابع إلا بعد سنة ١٩٥٤م. وكان الأستاذ النورسي يشرف بنفسه على الطبع حتى أكمل طبع الرسائل جميعها، وكانت تدور مواضيعها حول تفسير آيات القرآن بأسلوب علمي عصري وكان من أقواله: «إن الدين هو ضياء القلوب، أما العلوم الحديثة فهي نور العقول». وهو بذلك يعتبر من رواد التفسير العلمي للقرآن.

رابعاً: وفاته: وتوفي الشيخ الإمام بديع الزمان سعيد النورسي في الخامس والعشرين من رمضان

نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به»، زلزل هذا الخبر كيانه وأقضى مضجعه فأعلن لمن حوله:

«لأبرهن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها»، فشد الرحال إلى استانبول عام (١٩٠٧م)، وقدم مشروعاً إلى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني لإنشاء جامعة إسلامية في شرقي الأناضول، أطلق عليها اسم «مدرسة الزهراء» -على غرار جامع الأزهر - تنهض بمهمة نشر حقائق الإسلام وتدمج فيها الدراسة الدينية مع العلوم الكونية الحديثة على وفق مقولته: «ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، فتترى همة الطالب وتعلو بكلا الجنحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية».

وفي سنة (١٩١١م) سافر إلى دمشق، والتقى برجالها وعلمائها، وبسبب ما لمسوا فيه من علم ونجابهة، استمعوا إليه في الجامع الأموي الشهير بدمشق وهو يخطب في الآلاف من المصلين خطبة حفظها لنا الزمن واشتهرت في تراثه بـ«الخطبة الشامية». ولقد كانت تلك الخطبة برنامجاً سياسياً واجتماعياً متكاملًا للأمة الإسلامية.

ثالثاً: حياته السياسية:

في الحرب العالمية الأولى كان طبيعياً أن يهب بديع الزمان في طليعة المجاهدين، فشكل فرقاً فدائية من طلابه، واستمات معهم في الدفاع عن حمى الوطن في جبهة القفقاس، وجرح في المعارك مع الروس وأسر في عام (١٣٣٤ هـ) واقتيد شبه ميت إلى «قوصتورما» من مناطق سيبيريا في روسيا حيث قضى سنتين وأربعة أشهر، هياً له الله أثناء «الثورة البلشفية» الانفلات، فعاد إلى بلاده في (١٩ رمضان ١٣٣٦هـ، الموافق ٨ يوليو ١٩١٨م) وأستقبل استقبالاً رائعاً من قبل الخليفة وشيخ الإسلام والقائد العام وطلبة العلوم الشرعية، ومنح وسام الحرب.

وكلفته الدولة بتسلّم بعض الوظائف، رفضها جميعاً إلا ما عينته له القيادة العسكرية من عضوية في «دار الحكمة الإسلامية»، التي كانت لا توجه إلا لكبار العلماء، فنشر في هذه الفترة أغلب مؤلفاته باللغة العربية منها: تفسيره القيم «إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز»، الذي ألفه في خضمّ المعارك، و«المتنوي العربي النوري».

بعد دخول الغزاة إلى استانبول (١٣/١١/١٩١٩) أحس سعيد النورسي أن طعنة كبيرة وجهت إلى العالم الإسلامي، فكان حتماً أن يقف في طليعة من يتصدى للقهر والهزيمة، فسارع إلى تحرير كتيب

عند إمعان النظر في هذه الأهداف؛ يتضح بوضوح الفلسفة التربوية للإمام بديع الزمان النورسي، وهي فلسفة يمكن إجمالها على أنها شمولية لجميع مناحي التربية، وأخلاقية تنتشر المسلم من الوهم الذي أقعده عن التقدم، وتجمع بين النظرية والتطبيق، وتحقق معادلة الحفاظ على ديننا؛ مع الأخذ بأسباب الحضارة المادية، وأسباب القوة.

ويدلُّ النورسي على طريقه المختصر للسالكين بمنطق الثنائيات ف «العجزُ كالعشق طريقٌ مُوصِلٌ إلى الله؛ بل أقرب وأسلم، إذ هو يُوصِلُ إلى المحبوبة بطريق العبودية. والفقر مثله يُوصِلُ إلى اسم الله (الرَّحْمَن)، وكذلك الشَّفَقَةُ كالعشق مُوصِلَةٌ إلى الله إلا أنها أنفذُ منه في السير وأوسعُ منه مدى؛ إذ هي تُوصِلُ إلى اسم الله (الرَّحِيم). والتَّفَكُّرُ أيضا كالعشق إلا أنه أغنى منه وأسطع نورًا وأرحب سبيلًا؛ إذ هو يُوصِلُ السَّالِك إلى اسم الله (الحَكِيم)»¹.

وايصالا على «مركزية التزكية» في منهج النورسي التربوي العملي نراه يشدد على ضرورة التزكية بوصفها تمثّل المنبع الأول للطريق الصوفي الصحيح، يقول في ذلك: «أمّا منابع هذه الخطوات الأربعة من القرآن الكريم فهي: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾؛ تشير إلى الخطوة الأولى (العجز). وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾؛ تشير إلى الخطوة الثانية (الفقر). وقوله: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ تشير إلى الخطوة الثالثة (الشفقة). وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾؛ تشير إلى الخطوة الرابعة (التفكير). أمّا وجوب عدم تزكية النفس – أي المبالغة في تعظيمها والافتخار بأعمالها وعدم رؤية تقصيرها – فذلك يقع بحسب النورسي لأنّ الإنسان بحسب جبلته، وبمقتضى فطرته، مُجِبٌّ لنفسه بالذات، بل لا يحبُّ إلا ذاته في المقامة. ويُضجِّي بكلِّ شيء من أجل نفسه، ويمدح نفسه مدحا لا يليق إلا بالمعبود وحده، بل لا يقبلُ التَّقصير لنفسه أصلا، ويُدافع عنها دفاعًا قويا بما يُشبهُ العبادة، فيصبيه وصف الآية الكريمة: ﴿مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾، فلا بدّ إذن من تركيتها. فتركيتها في هذه الخطوة وتطهيرها هي بعدم تركيتها»².

المبحث الثاني: آراء الإمام النورسي في التربية الروحية وأثرها في نمو المتعلّم

يتجلى الدور الأكبر الذي نهض به العالم الرباني بديع الزمان سعيد النورسي في الحفاظ على الهوية

المبارك سنة ١٣٧٩ هـ الموافق ٢٣ آذار ١٩٦٠م، فدفن في مدينة «أورفة»^١ رحم الرحمن بديع الزمان سعيد النورسي.

٢: التربية الروحية في فكر الإمام بديع الزمان سعيد النورسي:

لقد سلف الذكر عندما عرضنا نبذة تاريخية عن الشيخ العلامة الإمام سعيد النورسي وجهوده في تغذية الروح والعقل، وتوصلنا من خلالها إلى أن تطوير القدرة الروحية لا يقتصر على الطلبة، بل شاملة لجميع الأطراف الفاعلة التعليمية، من السلطات التعليمية إلى أولياء المتعلمين، وهذا ينطلق من افتراض أن التعليم هو تنقيف وعبادة، والعبادة تزكية الروح وتنويره.

والتربية الروحية القائمة على التعليم هي تحقيق الرسالة الربانية ، والتي نبرزها من خلال رسائل النورسي، ونظام التعليم الذي يؤكد على قدرة تطوير الروح مع المعايير الروحية التي يمكن أن يشعر المتعلمون بها لتحقيق الكمال في الحياة وفقا لفهم الإسلام.

ولقد أشار الشيخ يعقوب دكوري الباحث الروحي من جمهورية مالي ، إلى أن التربية الروحية في الإسلام هو تطهير النفس إلى الله الخالق رب العباد^٢.

وفلسفة الإمام بديع الزمان سعيد النورسي في التربية الروحية هي التي وقفت على أمور وترمي إليها ، وهي:

1. نفخ روح الرقي ، والقضاء على الأعداء الثلاثة (الجهل والفقر والاختلاف)،
2. حض الأمة على طلب العلم.
3. التركيز على التربية الجمالية والبدنية؛ لتهديب النفس والبدن، وعلى منهج الوسطية والاعتدال، ومراعاة الفروق الفردية بين الناس.

1 نظرة عامة عن حياة الأستاذ النورسي، إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الأولى، سنة الطباعة: 2016، دار الطباعة: شركة RNK ص 81

2 Yacoub DOUCOURE, Education spirituelle, AJMCI-2016, P 6

1 نفس المصدر، ص 603

2 بديع الزمان سعيد النورسي، المصدر السابق، 604

حيث بين الخبراء بأن هذا الأمر قد تغير تماما.¹

وفيما يتعلق بالعقل ، فقد ذهب جمهور علماء علم النفس التربوي إلى ثلاثة اتجاهات حول العقل ، وهي:

الأول، أن العقل يرجع إلى وقار الإنسان وهيبته، ويكون حده أنه هيئة محمودة للإنسان في كلامه واختياره وحركاته وسكناته.

ويذهب الثاني، إلى أنه يراد به ما يكتسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية، فيكون حده: معاني مجتمعة في الذهن تكون مقدمات تستتبط بها الأغراض والمصالح.

وفيما يخص الثالث، فيرى أنه يراد به صحة الفطرة الأولى في الإنسان، فيكون حده: أنه قوة تدرك الصفات الأشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها.²

ويكمن النمو العقلي في التغير الكمي والكيفي في كل جوانب الإنسان، أي أنه يشمل التكوين الداخلي والخارجي والنمو الوظيفي للأعضاء الجسمية والنفسية والعقلية.³

من خلال التعريف يمكن أن نقسم النمو إلى قسمين: **النمو التكويني**: كنمو الفرد في الحجم والشكل والوزن. و**النمو الوظيفي**: كوظائف الجسمية والعقلية والاجتماعية.

و**النمو بمعناه النفسي**: هو التغيرات الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية التي يمر بها الفرد في مراحل نموه المختلفة.⁴

وقد تبين علماء النفس والباحثين أن لكل مرحلة من مراحل العمر خصائصها الإنمائية والسلوكية

1 ريتشارد ليفيتون/ بناء العقل/ مكتبة جرير/ الطبعة الأولى 2001م/ص، 4.

2 الاتجاهات العقلانية الحديثة/ أ.د. ناصر بن عبد الكريم العقل/ دار الفضيحة/ الطبعة الأولى 2001م/ ص، 14.

3 الطالب نعمه بنت عبد الله محمد الزهراني/ النمو النفس اجتماعي وفق نظرية أريكسون وعلاقته بالتوافق والتحصيل الدراسي لدى عينة من طلاب وطالبات المرحلة الثانوية بمدينة الطائف/ تحت إشراف: الدكتور حسين عبد الفتاح الغامدي/ص، 13.

4 عزيز السامرة، عصام النمر، هشام الحسن /سيكولوجية الطفولة/ دار الفكر والطباعة والنشر والتوزيع/ الطبعة الأولى/ ص، 11.

الإسلامية بتركيا، تلك الهوية التي جذرت جذورها في قلوب الأتراك المسلمين، إلى أن انتهت إليهم أمور الخلافة الإسلامية، ولم يقتصر دور الإمام بديع الزمان سعيد النورسي الإصلاحية على تركيا ؛ بل تجاوزها إلى العالم الإسلامي والغربي عن طريق رسائل النور بما فيها آراء منسجمة مع نمو المتعلم، فما تلك الآراء؟ وما دورها في نمو المتعلم مع جميع جوانبه التعليمية؟

نالت رسائل بديع الزمان سعيد النورسي اهتمام المسلمين قراءة ودرساً وتدبراً، إذ أنها نابعة من تعاليم القرآن الكريم، ويجد كل قارئ في تلك المكتوبات أو الرسائل ما يوقفه للتأمل، ويمكن القول بأن الجانب التربوي في هذه الرسائل يعد من أفضل جوانبها الروحية التربوية ، وفي هذا المجال يمكن أن نوجه التساؤلات الآتية ذات الأهمية بالتربية: ما أهم القضايا التربوية التي تناولها الإمام بديع الزمان سعيد النورسي؟ ما مدى انسجام آراؤه الفكرية التربوية الروحية بنمو المتعلم؟ وماهي أهداف التربية لدى بديع الزمان النورسي؟

المطلب الأول: نمو المتعلم مفهومه وأهميته

المقصود بالمتعلم ونمو المتعلم ، هو: أن المتعلم هو الإنسان الذي يبذل بما لديه من الجهود ليكتسب العلم والمعرفة لينمو في جميع جوانب نموه. وهو من المواضيع الجوهرية الهامة لعلم النفس التربوي، وقد تركز عليه علماء النفس المعاصرين أكثر من غيره في مجالات علم النفس، لأنه يهتم بالطفولة التي هي الأساس لبناء شخصية الإنسان، لأن الفشل في بنائها، قد يؤدي بالطفل إلى تهميش في مجتمعه، ولأن الكيان الذي ينمي الطفل عليه إنه الذي يؤثر على قواه الداخلية والخارجية، يعنى في نواحي العضوية أو النفسية أو الاجتماعية، وعليه فنقصد بنمو المتعلم، تطوير جوانبه الجسمية والنفسية والعقلية بصفة متكاملة ومتوازنة، ذلك أن قدرات الإنسان المختلفة تتفاعل فيما بينها. وسوف نحلل علاقة القراءة بالنمو العقلي في نظر العلماء باعتبار تأثير القراءة في النمو العقلي أمر بين وواضحة المعالم.

يرى علماء التربية وعلم النفس أن العقل من أعجب ما خلقه الله في الإنسان فهو أهم وسيلة للتطور الإنساني، وأنه يحتوي على مائة بليون خلية عصبية وهو قادر على القيام بالعمليات الحسابية والمعلوماتية الفذة، وأنه مع وجود كل هذه الثروة للقدرة العقلية الكامنة في الإنسان تؤكد بعض الدراسات أن معظم الناس لا يستخدمون أكثر من 3-10% من قدراتهم العقلية الممكنة، ولكن هذه الدراسة تقادت

الانتقال البيولوجي من خلال المورثات من الآباء إلى الأبناء في لحظة الحمل مثل: الحصبة الألمانية التي تصيب الأم في أول ثلاثة شهور، والمغولية وهي نوع من التخلف العقلي.¹

2-عوامل نتيجة الإصابة أو نتيجة أمراض جسمية: قد تؤثر الإصابة أو المرض مباشرة على الجهاز العصبي لدى الطفل، أو أثناء الولادة، فتؤثر على التوازن النفسي للطفل، فهذا كله يمكن أن تؤثر على التحصيل الثقافي والكفاية المهنية للشخص.

3-العوامل البيئية: علاقة الطفل بوالديه تبدأ علاقة الطفل بالأم ثم الأب ثم بقية أعضاء الأسرة، القلق والاضطرابات الانفعالية التي تصيب الأم أثناء الحمل يمكن أن تكون لها آثار ضارة.²

إن قيمة العقل، تكمن في كونه جعل الإنسان سيد الخلق وخليفة الكون إذ سخر له الله ما في السموات والأرض لكونه عاقلاً يتفكر ويتذكر، بعقولنا نتذوق الخلاق، نبدع ونخترع ونجتهد ونحكم ونعبر ما في وسعنا في الاستدراك والعطاء، والاستدلال بالبراهين القاهرة، لأن الفرق الحاسم بيننا وبين الغير العقل، وفتح الله للعقل أيضاً مجالات البحث والفكر والتأمل والنظر فيما يحيطه، ولما استغل الإنسان عقله علا قدره في المعارف كافة وصار سيد الكون ومصرفه، كشف القارات والكواكب التي تبعد عن مقره بألف كيلومترات.

المطلب الثاني: آراء الإمام بديع الزمان النورسي في التربية وأثرها في نمو المتعلم

أولاً: أهداف التربية عند النورسي:

يمنح التربويون أهداف التربية أهمية قصوى في التقعيد لقضايا التربية، فهي محور ارتكاز كل العمليات التربوية تعلماً وتعليماً، وجاء نهج الإمام بديع الزمان التربوي مبنياً على مجموعة من الأهداف التربوية ذات الأهمية، بحيث تعكس القيمة الكبرى لفكره التربوي بحيث ترسخ لدواعي الاستفادة منها، وعلى امتداد رسائل النور هناك إشارات متواترة مؤكدة لطائفة من تلك الأهداف التربوية الكلية التي تُخبر عن عمق ونفاذ الرؤى التربوية عند الإمام النورسي ومن تلك الأهداف:

1. اعتماد الوعي مدخلاً لترقي الأمة الإسلامية، والتعويل على العلم ركيزة للنهضة؛ والتأسيس

المشتركة بين الأشخاص مهما اختلفت أجناسهم.¹ فما هي مظاهر النمو في المرحلة الابتدائية وما هي مميزاتها العامة؟ وما هي العوامل المؤثرة فيها؟

في هذه النقطة الباحث يتحدث عن مطالب النمو في سن المرحلتين الابتدائية حرصاً على الموضوعية وعدم الإطالة.

إن مظاهر النمو في (مرحلة الرضاعة والطفولة المبكرة) تتمثل في: تعلم المشي والكلام وضبط الإخراج، تعلم تناول الأطعمة الصلبة، نمو الثقة بالذات وبالآخرين، اكتشاف البيئة، تعلم الارتباط مع الآخرين اجتماعية وعاطفياً، تعلم التمييز بين الخطأ والصواب وتكوين الضمير.

وأما عن مميزاتها العامة أنه إذا كانت مسألة القراءة من أهم أعمال المدرسة التي ينبغي أن تساهم في النمو الجسمي والنفسي والعقلي للمتعلم والمدرسة جزء من المجتمع فالمربون يرون أن النمو العقلي في مرحلة الطفولة الوسطى يتميز بصفة سريعة، وأن أهم المبادئ التي تأثر فيه هي الخلفية الاجتماعية والاقتصادية للأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام، فإذا كان المجتمع مستهلكاً اقتصادياً (منخفض في اقتصاده) ومتخلف اجتماعياً يؤدي إلى إعاقة نمو الذكاء الطفل بل حتى على ذوي الذكاء المرتفع والقدرات المتوسطة، وأن جذوره يرجع إلى قلة التعلم ونقص التشجيع من ناحية الوالدين ونقص الإثارة العقلية في المنزل والتحصيل في هذه المرحلة يشجعه ويدعمه المدح والثناء أي التعزيز الاجتماعي، ومن المتأثرات المذكورة تأكد الدراسات التربوية بأن المدرسة ذات تأثير عميق في نمو شخصية الطفل عموماً ونموه العقلي خصوصاً، لأن الطفل يتأثر بما يحيطه، وعلى هذا كلما رقى درجة اقتصاد مجتمع وثقافته وتفكيره وتوسيع الحصيلة العلمية، نمت عقل أطفالهم بدرجة كبيرة من غيرهم ونجوا عن مشكلات الطفولة النفسية والبيولوجية الآتية.²

من الصعب تحديد تلك المشكلات، بل تكون الأسباب عادة كبيرة ومعقدة ويوجد (ارتباط) بينها، ولا تخرج عن عوامل بيولوجية ونتيجة الإصابة أو أمراض جسمية والبيئية وهي:

1-عوامل بيولوجية(وراثة): وهي العوامل التي يولد مزوداً بها الطفل في الحياة. ونعني بالوراثة

1 سيكولوجية الطفولة/ ن م.

2 انظر: المدخل إلى علم نفس النمو الطفولة-المراهقة-الشيخوخة / ن م / ص، ص، 74-73.

1 انظر: المدخل إلى علم نفس النمو الطفولة-المراهقة-الشيخوخة، 85-83. ن م

2 عباس محمود ن م / دار المعرفة الجامعة/ ص، 12.

التعليمية؛ بل هو لبها وحقيقتها ، لهذا يجد المحتوى فائق الاهتمام عند كثير من التربويين، وفي ثنايا رسائل النور نتلمس اهتمام الإمام النورسي ببيان محتوى التربية التي يتبناها منطلقاً للتربية عنده؛ خاصة في ظل الهجمة الشرسة التي قوبلت بها الحقائق الإيمانية المستندة إلى القرآن الكريم وكذلك القيم الأخلاقية النابعة منه.

إن محتوى منهج التربية عند الأستاذ سعيد النورسي جاء مضمناً بصورة جوهريّة في مؤلفاته «رسائل النور»، وهي الرسائل التي قال عنها الإمام النورسي إنها: «انبعثت حقا من نور القرآن الكريم؛ لذا نبغ هذا الاسم من صميم وجداني، فأنا على قناعة تامة ويقين جازم بأن هذه الرسائل ليست مما مضغته أفكاره؛ وإنما هي إلهام إلهي أفاضه الله سبحانه على قلبي من نور القرآن الكريم»¹.

إن رسائل النور من حيث مضامينها تظل نابعة من القرآن الكريم دائرة حول معانيه ومقاصده، وجميعها يعرضها الإمام ويضعها بين أيدينا بثقافته التراثية والمعاصرة، وإذا أردنا الإشارة إلى بعض المضامين الرئيسية التي احتوتها تلك الرسائل لوجدناها ، إما هي عرض أحكام شرعية يستدعيها المقام، وحيناً آخر تأصيل مسائل عقديّة وأخلاقية وحقائق إيمانية وتربوية انطلاقاً من نص قرآني، أو تلخيص محتويات أحاديث نبوية دون ذكر نص الحديث.

كذلك نجد في رسائل النور متسعاً لتصحيح مفاهيم خاطئة بأسلوب متميز غير مستغرق في ذكر الشبهات؛ وإنما تُدحض بالأدلة والتأملات القرآنية الإيمانية، مضافاً إلى ذلك ما يقويها من أدلة منطقية ومشاهدات من الطبيعة والحياة، وذكر مشاهدات وتجارب شخصية للإمام النورسي وتارة أخرى تجارب الآخرين.

كل هذه المضامين تظل متوجهة لتحقيق المقاصد التربوية، فالهدف الجوهري لدى الإمام بديع الزمان النورسي هو تربية جيل قرآني مؤمن ومؤثر يحمل رسالة تقيّد العالم، ويستفيد منها في جوانب الاحتياج العلمي المادي.

يرى الإمام بديع الزمان النورسي أن ما في الرسائل من مضامين ليست محض أفكاره الشخصية الخاصة به ولا هي ملكه؛ وفي هذا الصدد يقول: «إن الرسائل ليست ملكي ولامني؛ بل هي ملك

لذلك على مبادئ الحرية والحوار والتسامح.

2. تهذيب النفس وإصلاحها انطلاقاً من تعميق التربية الوجدانية والجمالية والأخلاقية، والإعلاء من الصحة والقوة الشاخصة في العملية التربوية.
3. ترسيخ منهج الاعتدال والوسطية والبناء عليه باعتباره مبدأً جوهرياً في العملية التربوية؛ مع استصحاب مبدأ مراعاة الفروق الفردية بين الأفراد.
4. الاهتمام بالتطوير الذاتي المتجرد باتجاه الخلوص إلى الحقائق، وتعزيز ملكات التفكير النقدي والحوار، والدعوة إلى الحضور الفكري الفاعل أثناء التلقي.
5. خلق الانسجام والمؤاماة بين المراكز التربوية على تباينها؛ وإصلاح ما هو تقليدي منها.
6. التركيز على التربية النسائية ومراعاة خصوصيتهن وعدم تجاهل موقع المرأة في التأثير والتنشئة المجتمعية¹.

عند إمعان النظر في جملة هذه الأهداف الكلية؛ يتضح بجلاء أنه يمكن النظر للفلسفة التربوية للإمام بديع الزمان النورسي في حقل التربية باعتبارها فلسفة تربوية شاملة لجميع مناحي حقول التربية. كما أنها تجيء موسومة بإعلاء قيم المعرفة، والوثوق بقدره العلم والوعي على النهوض بالأمة.

على ذات النحو نجد أن فلسفة الإمام النورسي التربوية وفق تلك الأهداف تعبر بصدق عالية عن ملامح فلسفة تربوية تجمع بين ما هو عملي وما هو نظري، وعلى نحو أخص فإن هذه الأهداف التي ذكرها الإمام النورسي تحقق معادلة الحفاظ على حقائق الإيمان جنباً إلى جنب مع الأخذ بأسباب القوة والنهوض الحضاري.

ثانياً: محتوى التربية عند النورسي:

عندما يُنظر إلى المحتوى الذي يقدمه أي منهج تربوي ، لا بد أن ننظر إلى أهم عناصر العملية

1 انظر : بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة احسان قاسم الصالح، الشعاعات، الطباعة: شركة سوزلر للنشر، 2011م- السادسة، ص 309-302.

1 نفس المصدر، ص 402.

تعلمون- أن أهم أساس، وأعظم قوة، وأرجي شفيح، وأمتن نقطة استناد، وأقصر طريق للحقيقة، وأقرب دعاء معنوي للقبول، وأكرم وسيلة للمقاصد، وأصفي عبودية في هذه الدنيا؛ ولاسيما في الخدمات الأخروية؛ هو الإخلاص.¹

ومن جانب آخر فإن العلاقة التي تربط بين المربي والمترابي عند الإمام بديع الزمان النورسي؛ هي الأخوة، وليست العلاقات التي بين الأب والابن وبين الشيخ والمريد؛ بل العلاقات الأخوية القوية؛ إلا علاقة الأستاذية فقط. «ولأن مسلكنا «الخليالية» فمشربنا الخلة» وأما الخلة فتقتضي منك أن تكون صديقاً صدوقاً، وصاحباً مضحياً، ورفيقاً يبارك ويؤيد أعمال رفيقه، وأخاً شهماً جواداً.²

وقد كان الإمام بديع الزمان النورسي ممن يذهب إلى أن مهنة التدريس والتربية علم يقتضي الإحاطة بجملة من العلوم المساعدة عليها، إلى جانب امتلاك المهارات اللازمة، وتوظيف كل وسيلة تعين على نجاح المربي في مهمته التربوية. كما أن المربي عليه أن يكلم الناس وفق مستوياتهم، وقد كان ذلك سلوك الإمام بديع الزمان، حين كان ينتقل بين القرى فيخاطبهم بلغة تتاسبهم، أما إذا كان يخاطب الطبقات المتقدمة؛ فيتحدث معها بلسان الأستاذ المتمرس المتخصص. وأخيراً يشير الإمام النورسي في رؤياه التربوية إلى أنه يتوجب على المربي أن يكون صاحب همة وصفة جهادية تصدُّ عن أمته ومجتمعه كل خطر.³

خامساً: أضرب التربية ومؤسساتها لدى بديع الزمان سعيد النورسي:

لو دققنا النظر في دروس الإمام بديع الزمان النورسي وكلماته نجزم بأنه إمام ومعلم بارز في ميادين التربية، وظهر ذلك جلياً من خلال سيرته الذاتية، إذ نجده يتحدث عن أنواع التربية، وهي:

١. **التربية الإيمانية**: لقد وضحت في ملحوظات رسائل النور أن الأسلوب الوقائعية للتربية الإيمانية متمثلة في التمسك بالكتاب والسنة، ولا شك أن من تمسك بهما وسلك سبلهما في سبيل التربية سينجح وينور قلبه بالنور الإلهية، فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم عندما تلقى نور الهداية والمنهج من رب

القرآن؛ لذا أراني مضطراً إلى بيان أنها قد نالت رشحات من مزايا القرآن.^١

ثالثاً: طرق التربية عند بديع الزمان سعيد النورسي ووسائلها:

ليس سهلاً أن تكون مفكراً كما يزعم الغير، ومن ملامح التكوين وضع منهج علمي واضح يفهمه المريدون ليسهل عليهم عملية التكوين، وإذا تصفحنا مكتوبات العلامة المفكر بديع الزمان النورسي نجد أنه يميل إلى الحقائق الروحية التربوية التي يبتغيها الرب تعالى، ومن هنا يمكن سرد الوسائل التربوية التي أقرها الإمام النورسي في الآتي:

1. يُشجع الإمام الأخذ بكل طريقة تدريسية تحقق هدف نشر وتعميق الحقائق الإيمانية وتؤدي إلى إيصال الرسالة، وهذا يمنح الرؤية التربوية للإمام النورسي مرونةً وفرصاً أوسع باتجاه تحقيق التجديد والتطوير في مناحي التربية والتعليم.

2. تبدو الطريقة الكلية بوصفها الطريقة المفضلة لدى الإمام النورسي؛ ففي أغلب رسائله نجده يأتي بالقاعدة الكلية، ثم يمضي منتقلاً منها إلى الجزئيات والتفاصيل الدقيقة، فحينما نحل منهج النورسي نجده يجمع بين الطريقة الكلية والطريقة الجزئية؛ وهو بذلك يحقق توجهاً قوياً في التربية الحديثة، إذ يجمع بين أكثر من طريقة تدريسية في الدرس الواحد، لا شك أن هذا الأسلوب هو الأسلوب المناسب الذي ينسجم مع جميع جوانب نمو المتعلم.

رابعاً: التقويم التربوي وحالة المترابي وصفته وعلاقته مع المربي عند الإمام بديع الزمان

سعيد النورسي:

إن التأمل في سيرة الإمام النورسي والاطلاع على رسائله على نحو تربوي علمي يوقننا على أن الإمام النورسي يستخدم سائر الوسائل والطرق البيداغوجية المستخدمة في عملية تقويم المحتوى وتقويم الأشخاص على حد سواء، ولا شك أن استخدام هذه الطرق العلمية التربوية أنسب للمتعلم خصوصاً في نمو جوانبه العقلية والنفسية والوجدانية.

وقد جعل الإمام النورسي معايير المحبة بينه وبين طلابه، وصيرها بينهم وبين من لجأ إليهم، يقول الإمام مخاطباً طلابه: "فيا إخوتي في الآخرة، ويا أصحابي في الخدمة القرآنية؛ اعلموا - وأنتم

1 بديع الزمان سعيد النورسي، كلمات صغيرة في العقيدة والعبادة، ترجمة احسن قاسم الصالحي، الطبعة الثانية، سنة الطباعة: 2016، دار الطباعة: شركة RNK ص 173

2 بديع الزمان سعيد النورسي، كلمات صغيرة في العقيدة والعبادة، المصدر السابق ص 176.

3 بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة احسان قاسم الصالح، الشعاعات، المصدر السابق، ص 240.

4 بديع الزمان سعيد النورسي، كلمات صغيرة في العقيدة والعبادة، ترجمة احسن قاسم الصالحي، الطبعة الثانية، سنة الطباعة: 2016، دار الطباعة: شركة RNK ص 48-40

1 بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة احسان قاسم الصالح، الشعاعات، المصدر السابق، ص 238

رسائله كلها أن يقطع جذور الثقافة الغربية وتأثيرها في الثقافة الإسلامية المعاصرة، ولكن موقفه هذا ليس موقف الرفض لكل ما يأتي من الغرب ، بل نجدد يميز بين الفلسفة الجاحدة التي ترفض الوحي الإلهي، وتتادي بالإلحاد؛ فهي عنده مادية كافرة مرفوضة، وبين الفلسفة المؤمنة التي تخدم المجتمع الإنساني، وتعم بها الأخلاق الفاضلة، وتمهد للرفي الصناعي، وهي مقبولة عنده لأنه في الواقع خادمة لحكمة القرآن.

وقد أكد النورسي على الأخذ بأسباب الحضارة الغربية الصناعية، والحصول على العلوم والتكنولوجيا الحديثة، وقال إن الاختراعات العلمية الحديثة إنما تؤيد الدين الإسلامي. ولكنه لم يرد العلوم الحديثة على حساب الإسلام، فهو يقول إن «ضياء القلب هو العلوم الدينية ونور العقل هو الفنون المدنية، وبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، وبافتراقهما تتولد الحيل والشبهات في هذا، والتعصب الذميمة في ذلك»¹. وإن موقفه من التعليم والثقافة إنما هو بمثابة الجسر بين دعاة الاستغراب الذين يريدون القضاء على العلوم الإسلامية الدينية، لأنها في زعمهم رجعية متخلفة، ولا تصلح لخدمة المجتمع الإنساني المعاصر، وبين علماء الإسلام ودعاته الذين يرون في العلوم الحديثة كفرًا بواحًا يجب إبعاد الأبناء عنها، وحتى يحرمون الدراسة في المدارس العصرية. أما النورسي فأخذ موقفاً وسطاً، مثل موقف جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد إقبال، وحسن البنا وغيرهم الذين نادوا بالمزج بين الثقافة الغربية والثقافة الإسلامية بناء على تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهجه «الحكمة ضالة المؤمن أتى وجدها فهو أحق الناس بها»²، وقد وضع النورسي قاعدة: «خذ ما صفا، ودع ما كدر»³

ومن جانب آخر فقد وضع النورسي مقاييس في تقييم العلم ، حيث قال: «سيتبع المسلمون البرهان حسب تعليم القرآن، وأسمى هدف لهذا الكون هو العبودية الإنسانية أمام تجلي الربوبية، والغاية القصوى للإنسان الوصول إلى هذه العبودية بالعلوم وبالكمالات، وإن خلق العالم يتبع قانون التكامل، والإنسان من ثمرات هذا العالم ولذا يميل إلى إحراز التقدم والتكامل، وهذا الميل ينمو بتلاحق الأفكار وهذا التلاحق الفكري يتوسع بمبادئ التكامل، ومبادئ التكامل تلقي بذور علوم الكون إلى الأرض التي يرببها الزمان، وهذه البذور تنمو في ظل تجارب تدريجية». وقال أيضاً «...أساس جميع العلوم الحقيقية هو معرفة الله». وقد بين مفهوم وحدة العلوم قائلًا: إن القرآن هو المصدر الأساسي لها، وجميع العلوم تنبثق منه، وترتكز أصلاً على أسماء الله الحسنى. وفي هذا تأثر النورسي بنظرة الإمام الغزالي؛ لكنه طوّر هذه النظرة. وتتضح نظريته هذه في محاولته الجادة لإنشاء جامعة لتكون معماً ومختبراً لأسلمة العلوم

1 بديع الزمان سعيد النورسي، المثوي العربي النوري، تحقيق: احسان قاسم الصالحي، الطبعة الأولى، مصر، سوزلر، 1995م- ص 14.

2 أخرجه ابن ماجه في سننه (كتاب الزهد/باب الحكمة) ح 4169 (2/ 1395)؛ والترمذي في سننه (كتاب العلم /باب فضل الفقه على العبادة) ح 3687 (5/ 51) ، وقال: هذا حديث غريب، وقال الألباني: ضعيف جدا، المصدر نفسه.

3 مجلة جامعة الشارقة، للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، المجلد 15، العدد 1، يونيو 2018، ص 35

العالمين كون جيلاً من المصلحين الذين أوصلوا إلينا هذا النور الإلهية.

٢. التربية الفكرية: يقول الأستاذ النورسي: «العقل عضو وآلة»^١ ، وهذا التعريف في قمة الوصف والإيجاز ، وقد تحدث الإمام عن العقل وارتباطه ببقية أعضاء الجسم، وأسس تنمية الفكر السليم، وأسباب الجمود، وثمن ثمار التفكير الجيد بعد بيانه.

٣. التربية الأخلاقية لقد فصل الإمام هذه النقطة ، حيث يرى أن التربية الأخلاقية طلاسما من نور حكمة القرآن الحكيم، ولا تطول لها إذ البحث غني عن ذكرها في هذه الورقة.

٤. التربية الاجتماعية: لاشك أننا إذا أمعنا النظر في رؤية الإمام التربوية؛ نتأكد أنها أرقى وأفضل مما تقدمها من الفلسفات التربوية المعاصرة التي تجهل حقيقة الإنسان، وأشقت الإنسان بسبب إبعاده عن الله والفضيلة، ورؤية الإمام اكتسبت قوتها من منطلقها ، فهو القرآن وأنواره.

أما المؤسسات التربوية عند الإمام فتتضح من استقرار الجهود العلمية للإمام واهتمامه بالمؤسسات التربوية، التي يتم عبرها إنزال رؤاه التربوية إلى واقع المجتمع وحياة الناس، تلك المؤسسات كما يشير إليها النورسي تتضمن كل من: (الأسرة، المسجد، المدرسة، الإعلام، السجون، المجتمع،... ومن هنا تبرز لنا شخصية الإمام الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي، ولا شك أن هذه الشخصية مستندة من مؤسسة معلم الأمة محمد المحمود في الأرض وفي السماء صلى الله عليه وسلم.

سادساً: التعليم عند الإمام النورسي:

يعد الإمام النورسي ممن يعتز بهم التاريخ الإسلامي، ويفتخر بهم كل من يحب التعليم الذي يضمن النجاح في الدنيا، ويقربه إلى الله. فقد كان بطلاً عملاقاً في ساحة القتال وشخصية منقطعة النظير في مجال خدمة الدين الإسلامي. إن شخصيته النادرة تذكر مع الشخصيات الكبيرة الباهرة في القرن الماضي من أمثال: أحمد بابا التمبكتي ، وحسن البنا ، وعثمان دان فودي ، والمجاهد محمد الأمين درامي ، وابن تومرت رحمهم الله ، علماً وشجاعةً وإسهاماً في الثقافة الإسلامية، وهو ممن عمل ليل نهار لإحياء الإسلام.

اعتقد النورسي بأن العلوم الإسلامية والعلوم الحديثة كليهما ضرورية للمسلم المعاصر، فدعا المسلمين إلى أن يستفيدوا من العلوم الغربية دون أن يتأثروا من آثار فلسفتها الجاحدة. وحاول في

1 نفس المصدر، ص 35.

وهو بذلك يؤكد أن في التعليم الفردي مزجا بين عمليتين: «التعليم والإيمان». يدرك طالب النور بعملية التعليم الفردي واجباته تجاه الله، وتجاه الحياة التي يحيها¹.

بذل النورسي جهدا متميزاً لنشر التعليم الإسلامي في تركيا، وواجه من أجله مشقات كثيرة. خدم الإسلام في الوقت الذي صرحت فيه الحكومة التركية العلمانية آنذاك بأن الإسلام هو حجر عثرة في سبيل التقدم والنمو؛ فجدت المجتمع المسلم من كل شيء كانت له علاقة بالإسلام، وألقت علماء الدين في السجون، وجعلت السيدات عاريات. كان النورسي مسلماً مجاهداً لا يتبع إلا حكم الله، ولا يخاف إلا من خالقه، ف«قبيل نشوب حرب البلقان عام 1912م عين قائداً للقوات الفدائية التي تشكلت من المتطوعين المسلمين القادمين من شرقي الأناضول».

نراه، مثل ابن تومرت، وزين الدين بن محمد المليباري، يخوض في المعارك من أجل الحفاظ على وطنه ودينه؛ فشكّل خلال الحرب العالمية الأولى من طلبته ومن المتطوعين فرق «الأنصار»، وخاض بهم ميادين القتال، وأبلى البلاء الحسن ضد القوات الروسية المعتدية في جهة القفقاس. دافع مع طلابه عن مدينة «بتليس» دفاعاً مستميتاً حتى جرح جرحاً بليغاً، وأسر من قبل الروس، وسبق إلى معتقلات الأسرى في سيبيريا. وفي السجون لم ينس مهمته الدينية والعلمية بل ظل يلقي دروسه الإيمانية على الضباط المسلمين. عندما احتلت قوات الحلفاء الإنكليز والفرنسيين وغيرهم مدينة استانبول، دُعي النورسي إلى أنقرة، فأبى أن يغادر العاصمة المحتلة، وكانت حياته فيها محفوفة بالخطر، وقال: «إنني أريد أن أجاهد في أكثر الأماكن خطراً، وليس من وراء الخنادق، وأرى أن مكاني هنا أخطر من الأناضول». والقائد الإنكليزي الذي احتلّ استانبول كان قد حكم عليه بالإعدام، ثم تراجع عن تنفيذ الحكم، خوف ثورة المسلمين عليه. وكان النورسي قد ألف كتابه: «الخطوات الست» وهاجم فيه المحتلين، وردّ على شبهاتهم التي أثاروها حول الإسلام².

وألقى خطاباً في البرلمان التركي عام 1923م داعياً فيه النواب والمسؤولين إلى التمسك بالتعليم الإسلامي. ظل النورسي يدافع عن الإسلام بكل قوة، ومن أقواله في هذا الشأن: «إن الزنادقة والمنافقين غرّروا بكم، وصنعوا العدل والحق، وانحرفوا بالدولة عن وظيفتها الأساسية، إلى مشاغل لا فائدة منها،

وتأصيلها وفق المنظور القرآني للكون والحياة والإنسان. وفي دعوته إلى فرض رقابة قرآنية أو شرعية على العلوم الوافدة من الغرب يعد عملاً حكيماً من النورسي¹

وبالنسبة لبناء المدارس والجامعات في أنحاء الدولة العثمانية؛ فقد اتصل بالسلطان عبد الحميد ثم بالسلطان محمد رشاد من أجل إنشاء جامعة الزهراء في شرقي الأناضول على غرار الجامع الأزهر، ولكن جهده المتواصل المخلص لم يتكلل بالنجاح، ثم عاود المطالبة أيام الكماليين، ولكن جامعة الزهراء ظلت حلماً يداعب خياله طوال عمره. وكان يرى ضرورة إصلاح المدارس الدينية، إذ لم تعد الطرق القديمة لعلم الكلام قادرة على إرساء أسس الإيمان في العصر الذي عاشه؛ لأن هذه المدارس كانت قد أهملت العلوم الطبيعية. اعتقد أنه ليس هناك تناقض بين العلم الكوني وبين العلم القرآني، فالحقيقة واحدة².

ومما أراد في رسالته «فهرست مقاصد بديع الزمان» المنشورة عام 1909م تأمين التلازم والتناغم بين المؤسسات الثلاث الرئيسة للمسلمين: المدارس الدينية، والمدارس الاعتقادية، والتكايا، ثم فتح أقسام متخصصة فيها. واعتبر الجهل من ألد أعداء الأمة، إلى جانب الفقر والاختلاف والاستبداد، وكان يرى أن العلم يستطيع القضاء على كل هذه الأعداء. ولهذا رأيناه يتعمق في مختلف العلوم الدينية والكونية، ويؤلف فيها، ويحاضر في مواضيعها، وبذلك يضرب بنفسه والآخرين أروع الأمثال في التبحر في العلم، وبالعودة إليه.

وكان يصرح بأن التعليم الذي لا يقضي ضرورة المتعلم في حياته فهو غير مقبول. فأكد على إيجاد الروابط بين العلوم الحديثة والعلوم الإسلامية، بينما نجد أكثر علماء الإسلام الهنود في عصره يدعون إلى القضاء على التعليم الأوروبي الحديث. ودعا إلى ضرورة العدالة والوسطية في الحياة والمجتمع والسياسة؛ فأعلن عام 1909م أن الإسلام يرفض الدكتاتورية، ويضمن الحرية في السياسة والحكم. وأوضح أن التعليم، الذي لا يضمن الحرية والصدق والأخوة والحب المتبادل، ولا يقرب الإنسان إلى خالقه، فهو تعليم لا حاجة له في المجتمع المسلم المعاصر، والتعليم الذي يخلو من الروحانية والمساواة بين الناس فهو يفشي الاستبداد والأناية.

ومن جانب آخر فهو يرى ضرورة التعليم الفردي، كما يرى ضرورة تلازم العلم والإيمان معاً، قال النورسي: «إن الإنسان قد جاء إلى هذه الدنيا لكي يرتقي ويكتمل عن طريق شيتين: العلم والدعاء».

1 بديع الزمان سعيد النورسي، «الآية الكبرى»؛ مشاهدات سائح يسأل الكون عن خالقه، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ص293، الطبعة الثانية - المنصورة مصر، 1988م.

2 منهج الإصلاح والتغيير عند النورسي للأستاذ عبد الله الطنطاوي، مدير مؤسسة يمان - ورقة قدمها في المؤتمر عقد في الأردن 1997-6-12. المصدر السابق

1 ورقة بعنوان «مكانة بديع الزمان النورسي في الفكر والحركة الإسلامية» قدمها الأستاذ سعاد بيلديرم، جامعة مرمرة، تركيا في المؤتمر الذي عقد في الأردن 12/6/1997

2 المصدر السابق

والواقع العملي لمنهجه في محيطه الذي أعلن فيه الحرب على الإسلام ومبادئه مما يظهر تفوقه و نجاحه لعصره ولما يليه من الزمان لرسوخ مبادئه وثباته على العلم والعقل أو القلب والفكر، ونشأته العلمية كانت نشأة روحية على المبادئ الإسلامية، ومنهجه التربوي من أهم عناصر العملية التعليمية؛ لهذا نجد محتواه العلمي التربوي فائق الاهتمام عند كثير من التربويين، وتبرز هذه الخصيلة في مؤلفاته النفيسة العلمية التربوية الروحية ، وقد كانت انسجامها مع نمو المتعلم نقطة أخرى إيجابية تضاف إلى ميزتها.

وبعد هذه الترحال النفسي الروحي يوصي الباحث الدولة التركية إلى الاعتناء الأكثر بتراث هذا العالم الرباني المميز ، وهو بحق تراث نفيس قل نظيره في التاريخ القديم والحديث ، وذلك من خلال إحيائه وتطبيق منهجه على الأمة الإسلامية بدون خجل ولا رعب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر:

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتب

1. أبو حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، الطبعة الأولى، بيروت لبنان. 2003م.
2. بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ترجمة احسان قاسم الصالحي ، الطباعة: شركة سوزلر للنشر، 2011م.
3. بديع الزمان سعيد النورسي، كلمات صغيرة في العقيدة والعبادة، ترجمة: احسان قاسم الصالحي، الطبعة الثانية، سنة الطباعة: 2016، دار الطباعة: شركة RNK.
4. بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، تحقيق: احسان قاسم الصالحي، الطبعة الأولى، مصر، سوزلر، 1995م.
5. بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ترجمة احسان قاسم الصالحي ، الطباعة: شركة سوزلر للنشر، 2011م
6. بديع الزمان سعيد النورسي، «الآية الكبرى»؛ مشاهدات سائح يسأل الكون عن خالقه، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثانية - المنصورة مصر، 1988م.

واتخذوا من الاستبداد جمهورية، ومن الردّة نظاماً، ومن الجهل والسفه مدنيّة، ومن الظلم قانوناً، وبذلك خانوا وطنهم، وضربوه ضربة ما كان لأجنبي أن يضرب مثلها». وقال في أحد دفعه في أخريات أيامه، موجّهاً كلامه للقضاة: «ألا فلتعلموا جيداً، أنه لو كان لي من الرؤوس بعدد ما في رأسي من شعر، وفُصل كلّ يوم واحد منها عن جسدي، فلن أحنى هذا الرأس الذي نذرته للحقائق القرآنية أمام الزنادقة»¹.

وكان النورسي ممن أكد على تحديث أسلوب الدعوة والإرشاد، وركز على القضايا الراهنة التي تهدد كيان الإسلام. دعا المسلمين إلى التعمق في العلوم، والخوض في البحث والتحقيق «فعلى الوعّاظ والمرشدين المحترمين أن يكونوا محقّقين، كي يتمكّنوا من الإثبات والإقناع، وأن يكونوا أيضاً حكماء مدقّقين، كي لا يفسدوا توازن الشريعة، وأن يكونوا بلغاء مقنعين، كي يوافق كلامهم حاجات العصر، وعليهم أن يزنوا الأمور بموازين الشريعة»².

وقد دعا علماء الإسلام وفقهائه إلى التجنب من الخلافات الفقهية، وقال «إن معدن أعمدة الألباس وكنزها: الكتاب والسنة، وفيها ملكهما، ولا تطلب إلا منهما»³ ، ونراه أيضاً مثل الشاه ولي الله الدهلوي يصلح أخطاء المحترفين والمبتدعين ممن هم معه من حيث المكان من المتصوفة وغيرهم، ويدعوهم إلى التمسك بالقرآن والسنة وينبههم على المزالق، وأكد على ضرورة توحيد صفوف المسلمين، فهو يقول: «أيها العالم الإسلامي. إن حياتك في الاتحاد»، وإن موتك في الفرقة والاختلاف⁴.

الخاتمة والتوصيات

في نهاية المطاف حول بيان الشخصية العلمية الربانية لبديع الزمان سعيد النورسي وأثاره في الجانب الروحي والعلمي والتربوي ، توصلنا إلى أن النورسي شخصية تستحق إحياء آثاره العلمية الدعوية، والوقوف عند منهجه التربوي الروحي، التي يمكن أن يكون نوراً وضياءً للأمة الإسلامية ،

1 - المصدر السابق

2 منهج الإصلاح والتغيير عند النورسي للأستاذ عبد الله الطنطاوي، مدير مؤسسة يمان - ورقة قدمها في المؤتمر عقد في الأردن 1997-6-12. المصدر السابق

3 منهج الإصلاح والتغيير عند النورسي للأستاذ عبد الله الطنطاوي، مدير مؤسسة يمان - ورقة قدمها في المؤتمر عقد في الأردن 1997-6-12. <http://www.resailinnur.com/akademi/sem97ar/12.htm>

4 منهج الإصلاح والتغيير عند النورسي للأستاذ عبد الله الطنطاوي، مدير مؤسسة يمان - ورقة قدمها في المؤتمر عقد في الأردن 1997-6-12. المصدر السابق

الإيمان المنقذ والمنقذ وأبعاده المعرفية والوظيفية

أ.د. عمار جيدل
جامعة الجزائر ١ (بن يوسف بن خده)

الإيمان من الألفاظ التي وردت بها الشريعة، وهو كثير التداول والانتشار في أوساط المتدينين، بل يكاد أن يكون من أهم الألفاظ الشرعية تداولاً، ولكن المتداول بينهم لم يعد له الصدى والأثر المعهود عند جيل التنزيل من الصحابة الكرام وأهل البيت الأطهار، فهل الإيمان المتداول هو نفس ما كان عند المتقدمين، وإذا كان كذلك، فلما لم يعد له نفس الأثر؟

صرّحت رسائل النور بأن أعظم مهمّاتها الوجودية إنقاذ الإيمان، فهل هو إنقاذ هذا الإيمان المتداول؟ أم هو إنقاذ للإيمان وفق النسخ الأصلية، وهل يكفي في شأنه بالإيمان المجرد البارد الغارق في المناقشات والردود؟ فما الإيمان المراد في رسائل النور؟

لهذا كان بحثنا في رسائل النور عن الإيمان المنقذ الذي وسيلة فعالة لتأسيس الإيمان المنقذ، إيمان له دور فعال في إنقاذ الإنسان في بعده الفردي والجماعي، ويكون رسالة إنسانية راشدة.

ولأجل معالجة الإشكالات الرئيسية الواردة في الورقة سأتناول النقاط الآتية:

المبحث الأول: حقيقة الإيمان المنقذ المنقذ.

١/١: حقيقة الإيمان في رسائل النور.

7. ريتشارد ليفيتون/ بناء العقل/ مكتبة جرير/ الطبعة الأولى 2001م.
8. الزمخشري، محمود بن عمر جار الله، أساس البلاغة، القاهرة، دار الكتب، ط1، 1922م.
9. طالب نعمه بنت عبد الله محمد الزهرائي/ النمو النفس اجتماعي وفق نظرية أريكسون وعلاقته بالتوافق والتحصيل الدراسي لدى عينة من طلاب وطالبات المرحلة الثانوية بمدينة الطائف/ تحت إشراف: الدكتور حسين عبد الفتاح الغامدي.
10. عاد بيلديرم، «مكانة بديع الزمان النورسي في الفكر والحركة الإسلامية»، جامعة مرمره، تركيا في المؤتمر الذي عقد في الأردن 12/6/1997.
11. عبد الله أحمد الناصر العامدي، التربية الروحية وتنميتها في المدارس الثانوية، دراسة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية المقارنة بجامعة أم القرى، مكملة لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية.
12. عزيز السمارة، عصام النمر، هشام الحسن /سيكولوجية الطفولة/ دار الفكر والطباعة والنشر والتوزيع/ الطبعة الأولى.
13. ناصر بن عبد الكريم، العقل والاتجاهات العقلانية الحديثة/ / دار الفضيلة/ الطبعة الأولى 2001م.
14. Yacoub DOUCOURE, Education spirituelle, AJMCI-2016.
- 51.
16. ثانياً: المجلة
17. 15-مجلة جامعة الشارقة، للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، المجلد ١٥، العدد ١، يونيو ٢٠١٨
18. ثالثاً: الانترنت
19. منهج الإصلاح والتغيير عند النورسي للأستاذ عبد الله الطنطاوي، مدير مؤسسة يمان- 1997-6-12. <http://www.resailinnur.com/akademi/sem97ar/> ورقة قدمها في المؤتمر عقد في الأردن

في الآخرة، وهو (الإيمان) في الوقت نفسه مطهر للقلب والعقل من الكفر - ولاسيما الكفر المطلق - والنفاق والردة، لما فيها من الآلام والعذاب والظلمات المرعبة بحيث لو تجسمت وتأصلت في نفس صاحبها كونت له جهنمه الخاصة به¹.

الإيمان -بناء على ما سلف- ليس قولاً جافاً ولا معرفة نظرية صرف، إنها فناعة عقلية وقلبية تترجمها السواعد في شعاب الحياة، فليس من غرضنا الإغراق في التعريفات النظرية، بل قصدنا التعريف به من حيث الوظيفة الوجودية، وهو ما يفتر إهمال العناية بمناقشة التعريفات وخاصة ما كان من طابع نظري تجريدي أغرقت فيه المباحثات النظرية في كتب علم الكلام.

الإيمان متداول بين المسلمين منذ أن أظهر الله الإسلام في الخليقة، وهو متداول في عصرنا، وما من مسلم عبر مختلف العصور إلّا وهو مقرّ بأنّ الإيمان هو الحلّ لمعضلاتنا المعنوية والمادية، ومسلم عصرنا أكثر ترديدا لهذه المعاني.

الإيمان اليوم متردد على الألسنة، ومتشبهت به كثير منّا، وبالرغم من كثرة ترديده والتبشير به فقد مفعوله المعجز في العقل والقلب وفي الحياة الفردية والجماعية، فقد تعطل مفعوله في أيامنا هذه، فلم يعد الإيمان نسبة إلى الله الذي نؤمن به، إذ قولي أمنت بالله تقتضي نسبة إلى الله، فما درجة استحضر هذه النسبة في الرؤية والتدبير والتنفيذ؟ الإيمان لم يعد صلة رحم بين المؤمنين، تترتب عليه حقوق وواجبات من أخوة وتواد، وتعاون، و... مصداقا لكثير من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة، من ذلك قوله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (سورة الحجرات: 10)، وقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى»²،...

لم يعد الإيمان إنسانية عليا تفرض سعيا لإنقاذ الإنسانية من ورطاتها، بل صار موضوعا للغلبة الحجاجية والظهور على مخالف في تعريف أو مياين في مفهوم، فهل هذا الإيمان محلّ المجادلات هو الإيمان المطلوب؟، وهل هو الذي استقدها من الأصول الإسلامية كتابا وسنة، ودلت عليه تصرفات جيل التنزيل؟، هل هو الإيمان المبرئ للذمة الشرعية وما ترتب عليه من ذمة حضارية؟، أم أنّ الإيمان غاب فهمه، وغاب امتثاله؟ تلك هي الأسئلة التي كانت عناية رسائل النور بها فائقة.

٢/١: أركان الإيمان وخواصه ورتبه في رسائل النور.

المبحث الثاني: البعد المعرفي للإيمان في رسائل النور.

2/1: الإيمان القيمة الكلية للقيم في رسائل النور.

2/2: الإيمان أساسا للمصالحة بين المدرستين الدينية والحديثة.

المبحث الثالث: البعد الوظيفي للإيمان في رسائل النور.

3/1: نيل مرضاة الله.

3/2: التأسيس للفعالية الاجتماعية.

المبحث الأول: حقيقة الإيمان المُتَقَدُّ المُتَقَدِّ.

١/١ - حقيقة الإيمان في رسائل النور.

تضمّنت رسائل النور عناية فائقة بإنقاذ الإيمان، فأكثرت من إيراده فيها، فما الإيمان المُراد إنقاذه، ومما ننقذه؟، ما سبقت الإشارة إليه تفرض تحقيق القول في مُسمّى ما يرنو إلى إنقاذه، خاصة في ظل وجود دعاوى كثيرة -وفي مختلف البقاع- تصرّح بالمسعى نفسه (إنقاذ الإيمان)، لاشكّ أنّه يقصد العودة إلى الإيمان المُتَقَدِّ، لهذا فالإيمان المُتَقَدُّ الذي يصرّ عليه الأستاذ هو الإيمان المُتَقَدِّ، وهو الذي صلح به الجيل الأول من الأمة (الصحابية)، ولا نجاة لمن بعدهم بغيره، مصداقا لقول الإمام مالك بن أنس (ت 179هـ): «لا يصلح آخر هذه الأمة إلّا بما صلح بها أولها»¹.

الإيمان المراد استرداده هو الذي إذا انطبعت حقيقته في الضمائر تبني بفضل الله لذاتنا ونعيم جمالها جنة خاصة في وجدان الإنسان وقلبه، هي جنة مصغرة تومئ وتخبر عن جنة الخلد التي تنتظره

1 الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي المغربي، تحقيق ودراسة، الدكتور عبد السلام البكاري المساري، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائر، 2006، 2/488.

1 راجع الشعاعات، ص: 287 - 288

2 صحيح البخاري: (6011)، وصحيح مسلم: (2586)، (لفظ مسلم).

١/١/١: إنقاذ الإيمان:

إنّ الوضع الدولي والمحلي وفق ما ألمحنا إليه يجيب بشكل جلي عن سؤالنا: لماذا تعين علينا في عصرنا إنقاذ الإيمان؟

بيّن الأستاذ وجه الحاجة إلى إنقاذ الإيمان بقوله: «لقد تزعزعت قلاع الايمان التقليدية وتصدعت أمام هجمات هذا العصر الرهيب. ونأت عن الناس وتسترت بحجب وأستار.» ثم انتقل إلى تحديد المطلوب، فقال (رحمه الله): «مما يستوجب على كل مؤمن أن يملك إيماناً تحقياً قوياً جداً كي يمكنه من المقاومة والثبات وحده تجاه الضلالة المهاجمة هجوماً جماعياً»¹.

واجب الوقت من جهة الإيمان هو الانتقال من التقليدي (الوراثي) إلى الإيمان التحقيقي، قال (رحمه الله): «ولما كانت حقيقة الأمر هكذا فإنّ إنقاذ الإيمان وإرشاد الناس عامة إلى الإيمان إرشاداً تحقياً». ولم يكن هذا مشروع تنمية الإيمان وترقيته نخبوا، بل يتعين أن نترقى به ليصبح اختياراً عاماً وليس خاصاً، وذلك بـ«جعل إيمان العوام تحقياً» وهو أولى وظائف وأرفع مسلك من مسالك الترقى بالإيمان.²

٢/١/١: الإيمان المُتَقَدُّ:

بيّن مما سلف أنّ الإيمان في نسخة عرضه التقليدية – وبالرغم من وظيفته الإيجابية التي لا تنكّر – لم يُعَدُّ (النسخة) بإمكانه أن يكون أساساً لصد الهجمات الإلحادية المعاصرة، ولم يعد للإيمان – وفق هذه النسخة – التأثير المطلوب في إيجاد دافعية ملء الدنيا بالخيرات المعنوية وما يترتب عليه من خيرات مادية، وهو ما أوجب الاهتمام بالإيمان المُتَقَدُّ، وقد عبّر عنه الأستاذ بـ«الإيمان التحقيقي»، و«هذا النوع... لا يتوقف في حدود العقل فحسب بل يسرى إلى القلب وإلى الروح وإلى السر وإلى لطائف أخرى فيترسخ فيها رسوخاً قوياً بحيث لا تصل يد الشيطان إليها أبداً. فإيمان أمثال هؤلاء مصون من الزوال بإذن الله.»³

ولعلّ من أهمّ موجبات الانتقال من الإيمان التقليدي إلى التحقيقي أنّ الأول معرّض لهجمات الشبهات والأوهام، وأنّ الثاني أوسع منه وأقوى وأمتن وله مراتب كثيرة جداً.⁴

1 راجع سيرة ذاتية ص:4، والملاحق، ص: 224

2 راجع الملاحق ، ص: 315. الشعاعات ص: 378

3 الملاحق، ص: 111

4 راجع المصدر نفسه، ص: 278

يؤكد ما سبقت الإشارة إليه أننا في مسألة الإيمان بحاجة إلى استعادة نسخته الأصلية، وإنقاذه من النسخة المتداولة التي نزلت به إلى ميدان النقاش والمجادلات النظرية، وعجزت عن جعله أساساً للانخراط العام في خدمة الخلق طلباً لمرضاة للحق سبحانه وتعالى، فلم تُعَدُّ تربطه بالوظيفة الوجودية للإيمان نفسه، ففقد الإيمان تأثيره في الرؤية والوجهة، ومما زاد الأمر إلحاحاً هو الهجمات الشرسة التي يتعرّض لها الإيمان نفسه في عصرنا، وخاصة مع انتشار الإلحاد المعاصر وانحصار الإيمان وأهله في حياتنا المعاصرة، والأدهى أن نغفل عن ذلك في ظل وضع فكري دولي –تعصده السياسة– يريد أن يحجف منابع الإيمان من المصادر ويخلي منه الضمائر، وبهذا الصدد وقع التحريش بين المؤمنين بعنوان الحق والأحق في مسألة الإيمان¹، فكان كلّ ذلك وسيلة لتضييعهما معاً، فلا الحق ولا الأحق يظفران بشيء من الوجود لا في الضمائر ولا في تقرير المصائر.

يسمي الأستاذ النورسي الإيمان المتداول بين عموم المسلمين بالإيمان التقليدي (الوراثي)²، وهو في الغالب الأعمّ مستفاد من السجلات الكلامية، إيمان يستحضر الردود والغلبة وإذلال المخالف، ويقصر مهمة الإيمان عليها، ويختصر المهمة فيها، يقابل هذا الإيمان في رسائل النور الإيمان التحقيقي، والمسمى عند ابن باديس بالإيمان الذاتي.

1 هذه المسائل لها مواضعها الخاصة وإشغال عامة الناس والمجتمعات بها خيانة للدين والملة، وخدمة مجانية للإلحاد بمختلف أشكاله الثقافية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

2 يستعمل الأستاذ عبد الحميد بن باديس (ت1940م) المصطلح «الوراثي» في مقال له بعنوان: [الإسلام الذاتي والإسلام الوراثي] أيهما ينهض بالأمم. قال (رحمه الله): «الإسلام الوراثي هو الإسلام التقليدي الذي يؤخذ بدون نظر ولا تفكير وإنما يتبع فيه الأبناء ما وجدوا عليه الآباء. ومحبة أهله للإسلام إنما هي محبة عاطفية بحكم الشعور والوجدان. هذا الإسلام الوراثي هو إسلام معظم عوالم الأمم الإسلامية... إلى أن قال: «لا ترضى به بديلاً ولو لحقها لأجل تمسكها به ما لحقها من خصومه من بلاء وهوان. هذا الإسلام الوراثي حفظ على الأمم الضعيفة المتمسكة به شخصيتها ولغتها وشيئاً كثيراً من الأخلاق ترجع به الأمم الإسلامية إذا وزنت بغيرها.» بيّن بعدها محصلة القول وخلصته، فقال: «لكن هذا الإسلام الوراثي لا يمكن أن ينهض بالأمم، لأن الأمم لا تنهض إلا بعد تنبه أفكارها وتنقيح أنظارتها. والإسلام الوراثي مبني على الجمود والتقليد فلا فكر فيه ولا نظر» أثار الشيخ ابن باديس، إعداد وتصنيف عمار طالبي، الشركة الجزائرية، الجزائر. 3/240-241

أما الإسلام الذاتي فهو إسلام من يفهم قواعد الإسلام ويدرك محاسن الإسلام في عقائده وأخلاقه وآدابه وأحكامه وأعماله، ويتفقه – حسب طاقته – في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. ويبني ذلك كله على الفكر والنظر فيفرق بين ما هو من الإسلام بحسنه وبرهانه، وما ليس منه بقبحه وبطلانه فحياته حياة فكر وإيمان وعمل، ومحبه للإسلام محبة عقلية قلبية بحكم العقل والبرهان كما هي بمقتضى الشعور والوجدان.

الله فيبدي الرضى به، ولا يقَدِّم شفقتَه على الرحمة الإلهية.¹

٣/١/١: أهمية الإيمان الحقيقي:

سبق ذكر وجه الحاجة الإجمالية للإيمان الحقيقي، والسياق يفرض تفصيلاً نوَّكِدُ به الفكرة ونؤسِّس لأهميتها، وهذا ما نعمل على تحقيق القول فيه.

1. الإيمان الحقيقي أساس في رفع مستوى الثقة بالله وتقوية القوة المعنوية وشدّ متن المدافعين عن الإيمان، ولعلّ أهمّ ما يورثه الإيمان الحقيقي هو القوة في العقيدة والدين.¹

2. الإيمان الحقيقي المطبوع في كيان الإنسان يُبَيِّرُ له بفضل الله استشعار اشتغال نعمة الوجود على استشعار نعم الدنيا والآخرة، ويُقَدِّره بفضل الله على استيعاب هذه المعاني وأبعادها الوجودية.² فضلاً عن ذلك فالإيمان الحقيقي متميّز بتجديد تطعيم المؤمن ضد الأوبئة المعنوية كالرياء³ والكبر و....

3. 3 - يبعث الإيمان الحقيقي على امتلاء جوان المؤمن بمعنى معرفة الله ومحبتّه، ومن نتائجها أن تمتدّ أيدي المؤمن بالحمد والثناء إلى دوائر كثيرة جداً ابتداءً من دائرة الممكنات إلى عالم الوجوب ودائرة الأسماء الحسنى.⁴

4. سلوك طريق الإيمان الحقيقي وسيلة فعّالة للترقي المعنوي، فينظر المنخرط في سلك الإيمان الحقيقي بشكل إيجابي في رؤية العالمين المادي والمعنوي بنور الإيمان.⁵ ولهذا فهو من أنفذ وسائل الترقى من الإيمان التقليدي (الوراثي) إلى الإيمان الحقيقي.⁶

5. مَنْ طَبَعَ الإيمان الحقيقي قلبه يشاهد في كلّ شيء كمال الحكمة الإلهية، وجمال عدالتها، لذا تراه يجابه المصائب - التي هي إجراءات الربوبية الإلهية للبشر - بالتسليم التام لأمر

6. الإيمان الحقيقي يجعل المتلبّس به أقلّ معاناة من ضيق القلب والروح والفكر، ومما يسعفه على تحمّل المصاعب المادية والمشقّات الدنيوية فيقابلها بصدر ملؤه الشكر والصبر لما تعلّمه منه، من أنّ الدنيا عابرة تافهة، حاملة للثواب ووسيلة لانفتاح مجال عمل لخدمة الإيمان وتوسعها. فهو يثبت بأحواله أنّ الإيمان الحقيقي هو مبعث السعادة حتى في دار الدنيا.² وأتّاه ضامن لذة الحياة الدنيوية والشوق للعمل والقوة المعنوية للصدور بوجه مصائب الدنيا الكثيرة، وهذا ما لا يمكن أن يوجد في أي قانون.³

7. الإيمان الحقيقي يبسّر تحمّل أعباء السير بفضل الله، إذ أنّ من انخرط في الإيمان الحقيقي استلم وثيقة الفوز⁴، واسترشد بالعمل الجالب لسعادته الدنيوية وحياته الأبدية.⁵

8. بناء على ما سلف فإنّ أعظم مهام الأمة في عصرنا نشر الإيمان الحقيقي وهو أنفذ وأنفع وسيلة في إنقاذ الإيمان من الضلالة وإن كان تقليدياً.⁶

9. يستشف مما سبق تقريره أنّ الإيمان الحقيقي خدمة قدسية للغاية لا يجوز أن تُفسد بأي تلمة وأنّ إضعافها بأي غرض كان ويعد الأستاذ هذا الصنيع جنائية في حق الإيمان الحقيقي نفسه، وبالتالي فهي جنائية في حق الإنسان عموماً وفي حق من مقترفيها أكثر.⁷

٣/١/١: مراتب الإيمان الحقيقي:

إنّ الإيمان الحقيقي في رسائل النور مراتب بعضها فوق بعض، يشير الأستاذ إلى أنّ المطلوب هو

1 راجع الشعاعات، ص: 248.

2 راجع المصدر نفسه، ص: 351.

3 راجع سيرة ذاتية، ص: 267.

4 راجع الشعاعات ص: 254

5 راجع سيرة ذاتية ص: 358.

6 راجع الملاحق، ص: 195.

7 راجع سيرة ذاتية، ص: 261.

1 راجع المصدر نفسه ص: 109، 194

2 راجع الشعاعات، ص: 77

3 راجع الملاحق، ص: 109

4 راجع المصدر السابق، ص: 78

5 راجع الملاحق، ص: 153.

6 راجع المصدر نفسه، ص: 224.

4. تُكسب رسائل النور في خمسة عشر أسبوعاً وعند بعضهم في خمسة عشر يوماً، ما يعجز عن كسبه في خمسة عشر سنة في غيرها من المصنفات، يشهد على هذا عشرون ألفاً من الشهود بتجاربهم في غضون عشرين سنة. 1 وأكبر شاهد واقعي على فعالية رسائل النور أن «كل طالب نور وفي صادق يحمل في قلبه الإيمان الحقيقي كأنه قطب مخفي من أقطاب الأولياء وركيزة معنوية للمؤمنين، وذلك لخدماته الإيمانية في القرية أو القصبه أو المدينة التي فيها. وتحققت هذه الميزة للرسائل بما عُلِم من تجارب كثيرة قاطعة أنها أقصر طريق وأسهل لإنقاذ الإيمان وتقويته وجعله تحقيقياً. 2
5. تمثل رسائل النور مصنفًا جامعًا لكل أقسام الإيمان المتضمنة للإيمان الحقيقي والتقليدي والاجمالي والتفصيلي، أساسها إثبات الإيمان أمام جميع الشبهات والهجمات الشرسة التي يشنها الكفر.. تولت رسائل النور إيضاحها، فذلك الإيضاح لا يدع لنا حاجة إلى مزيد للإجابة. 3
6. تقدّم رسائل النور زادا لمن لا إيمان له، تدعوه إلى حظيرة الإيمان، وتشدّ وتثبت من يجد في إيمانه ضعفاً فتقويه، وتجعل الإيمان القوي التقليدي إيماناً تحقيقياً راسخاً، وتوسّع من آفاق الإيمان الحقيقي الراسخ، وتهب لمن كان إيمانه واسعاً مدارج الرقي في المعرفة الإلهية التي هي أساس في الكمال الحقيقي، وتفتح أمامه بالإيمان الحقيقي مشاهد أكثر نورانية وأشدّ سطوعاً. 4
7. أوردت رسائل النور في سياق التأكيد على أهميتها أنّ الإيمان الحقيقي يوجد الأساس النظري الجواني القلبي للحفاظ على الأمن العام بما تتضمنه من ميزات، ذلك أنّ طلاب النور ضباط معنويون للأمن في البلاد، وبالرغم من أنهم غير معروفين وغير ظاهرين ولا يلتقيهم أحد فقد صار كل منهم بعقيدته المعنوية القوية كضابط شجاع في الجيش يبعث مدداً معنوياً إلى قلوب أهل الإيمان فيبث فيهم وينفخ روح الحماس والشجاعة. 5. ولهذا فإنّ

التحوّل من الإيمان تقليدياً إلى الإيمان تحقيقياً، ومن الحقيقي إلى علم اليقين، ومن علم اليقين إلى عين اليقين، ومن عين اليقين إلى حق اليقين، وهذا ما تضمنه رسائل النور لمن دخلها مسترشداً. 1 ومن بلغ هذه الرتبة يستعصى على الأبالسة سلب إيمانه، فلا يُسَلَب بأصعب الشبهات وأعقدها، خلاف الإيمان التقليدي الذي يسلب عادة بأيسر الشبهات، ومكمن الاستعصاء أنّه إيمان شهودي. 2

١/١/٤: رسائل النور والإيمان الحقيقي:

1. رسائل النور ليست كسائر الكتب، فلا ينبغي قراءتها كسائر العلوم والكتب، لما تتضمنه من علوم الإيمان الحقيقي الذي لا يشبه العلوم والمعارف الأخرى، فهي قوّة مُمدّة لكثير من اللطائف الإنسانية فضلاً عن العقل. 3 ومرّد هذه الميزة أنّ غرض رسائل النور الرئيس هو إظهار الحقيقة القرآنية والعمل من أجل «الإيمان الحقيقي» 4.
2. تُعدّ رسائل النور مشروع «زيادة الإيمان ولو بقدر ذرة والترقي من الإيمان التقليدي إلى الإيمان الحقيقي.» وأنّ ازدياد قوة الإيمان ولو بمقدار ذرة هو أثمن من أطنان من كسب المعارف والكمالات... فلا بدّ إذاً - وقبل كل شيء - أن نزيد إيماننا قوة ونحوّله من إيمان تقليدي إلى إيمان حقيقي. 5
3. وظيفة رسائل النور هي الحرص على الوفاء بمهمّة الإيمان والترقي فيه من التقليدي إلى الحقيقي في كلّ الظروف وفي أحلك الحالات وأشدّها رهبة، وفي أحوج الأوقات وأحرجها، فتؤدّي خدماتها الإيمانية بأسلوب يفهمه الناس جميعاً، وإثبات حقائق القرآن والإيمان ببراهين قويّة. 6.

1 راجع الشعاعات، ص: 223

2 راجع الملاحق، ص: 111-110.

3 راجع الملاحق، ص: 262.

4 راجع الشعاعات، ص: 439.

5 راجع المصدر نفسه، ص: 212.

6 راجع سيرة ذاتية ص: 4.

1 الملاحق، ص: 151

2 الملاحق، ص: 128. راجع الملاحق ، ص: 315.

3 راجع الملاحق، ص: 277

4 الكلمات، ص: 833.

5 سيرة ذاتية ص: 4.

قصد القرآن الكريم ترسيخ أركان الإيمان الستة، وتعميق أركان الإسلام الخمسة¹، وكان عرضه لها وظيفيا، راعى فيه مقاصد التعريف بها، ففتره في كل ما عرضه منها مستصحباً ذكرها وفي سياقات مختلفة، وبيان الغرض منها وميزاتها والعلاقة بين مكوناتها.

١/٢/١: تعريف أركان الإيمان:

الأركان جمع ركن، والركن هو العُمدة التي لا قوام للشيء إلا بها، فالإيمان له جملة أركان لا يتصور بغيرها، وهي أركان لأنه لا يتصور الإيمان إلا بها مجتمعة.

والأصل الشرعي للأركان الإيمانية هو ما أخرجه البخاري وغيره: قال (صلى الله عليه وسلم) جواباً عن سؤال ما الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»²، وتشير أواخر سورة البقرة إلى جملتها، قال تعالى: «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۗ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۗ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» (البقرة: 285).

الإيمان عند الأستاذ النورسي كما هو مذهب أهل السنة والجماعة -جملة مشاربها- «حقيقة واحدة نابعة من ستة أركان متحدة وموحدة لا تقبل التفريق، وهو كلي لا يتحمل التجزئة، وهو كل لا تقبل أركانه الانقسام»³، ولهذا لا يمكن التفريق بين هذه الأركان الإيمانية الستة إطلاقاً⁴.

٢/٢/١: أركان الإيمان في رسائل النور:

الإيمان بالله: ذكر الأستاذ النورسي أن قطب أركان الإيمان هو: «الإيمان بالله»، بينها ١٠

طلّاب رسائل النور ساعدوا ويساعدون في الحفاظ على الأمن والنظام، إذ كل من يقرأ رسائل النور بعين البصيرة وبالإيمان التحقيقي يصبح حارساً ورفيقاً، عليه السعي للحفاظ على الأمن العام. 1

8. إن الإيمان التحقيقي الذي تعمل على نشره رسائل النور إيمان عملي مؤسس على القناعتين القلبية والعقلية وباعت على المرافعة على الدين والانخراط في مقارعة الكفر والتنبية إلى خطورته الفكرية والتربوية والحضارية، والجهد المطلوب يستوعب صدّ مؤامرات الكفر والإلحاد، وبهذا الصدد ينبّه بديع الزمان في أسلوب واضح إلى خطورة ذلك النوع من الأفكار من جهة، ويلخص في ذات الوقت مهمته الأساسية في حماية الإيمان من شيوخ الكفر من جهة أخرى، فيذكر - رحمه الله أن رسائل النور تقوم بتحطيم الكفر المطلق، الذي أسفله الفوضى (مظهر ضياع العدالة) وأعلاه الاستبداد المطلق (مظهر تضییع العدل) - وتفتيته وردّه على أعقابهِ. وأكبر برهان على ذلك هو رسالة «الثمرة» التي هي بمثابة دليل واحد من بين مائة حجة ودليل على أن رسائل النور تسعى لتأسيس الأمن والنظام والحرية والعدالة. 2.

9. رسائل النور مهمتها الأصلية إثبات الحقائق الإيمانية وتثبيتها، ووسيلتها إنقاذ الإيمان بعد تحقيق القول فيما يطلب إنقاذه (الإيمان الأصلي الباعث على الخدمة)، فإنقاذ الإيمان التقليدي وترقيته بأدلة إثبات جديدة لأجل تثبيته في الضمائر، يتجمع بها العناصر التي ترتقي به إلى رتبة الإيمان التحقيقي الذي ينطبع في القلب والعقل ويظهر أثره الإيجابي على السواعد في شعاب الحياة.

٢/١: أركان الإيمان وخواصه ورتبه في رسائل النور.

يُعدُّ جهد الأستاذ النورسي في بيان أركان الإيمان استثنافاً نوعياً لما نقل عن علماء الأمة خلفاً عن سلف، فهي عنده ستة³ مثلما هو قول جمهور العلماء، وهو المستفاد من نصوص التنزيل، إذ أساس

1 للمعات ص: 400، وسيرة ذاتية، ص: 389.

2 - راجع الشعاعات، ص: 334

3 راجع الكلمات، ص: 514

1 راجع المصدر نفسه، ص: 895.

2 هو جزء من حديث: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوماً بارزاً للناس، إذ أتاه رجلٌ يمشي، فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر قال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، قال: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت المرأة ربّتها، فذاك من أشراطها، وإذا كان الخفاة الغراء رؤوس الناس، فذاك من أشراطها، في خمس لا يعلمهن إلا الله: (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام) ثم انصرفت الرجل، فقال: زدوا علي فأخذوا ليزدوا فلم يزدا شيئاً، فقال: هذا جنبريل جاء ليُعلم الناس دينهم.» رواه البخاري في صحيحه (4777).

3 راجع الشعاعات، ص: 294.

4 راجع المصدر نفسه، ص: 300.

وتعالى وعلى وجوب وجوده»¹.

6. «تدل كذلك على شعاعات تلك الحياة الأزلية وتجلياتها وارتباطاتها وعلاقتها بأركان الإيمان مثل (إرسال الرسل) و(إنزال الكتب) وتثبيتهما رمزاً. ولا سيما "الرسالة المحمدية" و"الوحي القرآني". إذ يصح القول، أنهما ثابتان قاطعان كقطعية ثبوت تلك الحياة، حيث إنهما بمثابة روح الحياة وعقلها»²

7. **ركن الإيمان بالملائكة: قال الأستاذ:** «اعلم! ان التصديق بوجود الملائكة أحد أركان الإيمان»³، وذكر في سياق آخر أن «التصديق بالملائكة ركن من أركان الإيمان»⁴

8. وأورد في سياق تفسير قوله تعالى: «وَأَذَّانَ قَالَ رَبِّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»(البقرة:30)، فقال: «ولنا هنا مقامات..⁵

9. المقام الأول: يمثل هذا المقام الشاهد الواقعي على الملائكة، قال الأستاذ: «امتلاء الأرض من ذوي الحياة ينتج بالطريق الأولى وبالقياس الأولوي⁶ المؤسس على القياس الخفي⁷ المبني على الانتظام المطرد - امتلاء هذه الفضاءات الواسعة ببروجها ونجومها وسماواتها من ذوي الأرواح الذي يدعوهم الشرع بالملائكة المنطوية على أجناس مختلفة فتأمل!»

10. المقام الثاني: يُعدُّ هذا المقام شاهد الأدلة النظرية على وجود الملائكة، وفي ذلك قال الأستاذ: «اتفق الحكماء والعقل والنقل على عدم انحصار الوجود في عالم الشهادة الظاهر

الأستاذ إجمالاً في رسالة «قطرة من بحر التوحيد»¹، وهو أول أركان الإيمان الذي هو أساس التكليف، والغالب رسائل النور عرض التوحيد مشفوعاً بثمرته وأنه عنوان الرحمة وديباجة الرضا بإراءة الجنة والسعادة الأبدية.²

2. الإيمان بالنبوة³: النبوة ثانية أركان الإيمان، وغالباً ما تعرض مع بيان وظيفتها الوجودية والتعريف بمهام (مكلفية) النبي (صلى الله عليه وآله) وهي: الإنذار والتبشير بلسان القرآن.. ثم لما أوعد وأرهب وأنذر في سابقتها القريبة وعد ورغب وبشّر. وذكر في سياق آخر أن «النبوة نواة، انبتت شجرة الإسلام بأزاهيرها وثمراتها»⁴.

3. الإيمان بالكتب والرسل: الإيمان بنبوة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لها صلة وثيقة بالركن الثالث الإيمان (الكتب والرسل)، وهذه بدورها م تتخلف ميزة عرضها عن ذكرها مشفوعة بوظيفتها في رسائل النور.

4. قال الأستاذ: «ما دام الكون قد خُلق لأجل الحياة وأن الحياة هي أعظم تجلٍ وأكمل نقش وأجمل صنعة "للحي القيوم" جلّ جلاله، وما دامت حياته السرمديّة الخالدة تظهر وتكشف عن نفسها بإرسال الرسل وإنزال الكتب، إذ لو لم يكن هناك "رسل" ولا "كتب" لما عُرفت تلك الحياة الأزلية»⁵.

5. ثم زاد المسألة وضوحاً، فقال: «فكما أنّ تكلم الفرد يبين حيويته وحياته كذلك الأنبياء والرسل (عليهم السلام) والكتب المنزلة عليهم، يبيّنون ويدلّون على ذلك المتكلم الحي الذي يأمر وينهي بكلماته وخطاباته من وراء الغيب المحجوب وراء ستار الكون. فلا بد أنّ الحياة التي في الكون كما أنّها تدل - بصورة قاطعة - على "الحي الأزلي" سبحانه

1 راجع المصدر نفسه، ص: 567.

2 راجع للمعات، ص: 567.

3 إشارات الإعجاز، ص: 231.

4 راجع الكلمات ص: 596.

5 إشارات الإعجاز، ص: 231-232.

6 قياس الأولى. ويقصد به في هذا السياق أنّ الانتظام والدقة المشهودة من باب أولى أن تدلّ شهودياً على وجود الملائكة.

7 القياس الخفي: مفاده في هذا السياق: أن الانتظام المطرد أي الكثير عددا يدل على وجود منظم هذه القوى الذي كلفها بالنظام.

1 راجع الكلمات ص: 325.

2 راجع إشارات الإعجاز، ص: 191.

3 راجع المصدر نفسه، ص: 191.

4 راجع المثوي العربي النوري، ص: 176.

5 راجع للمعات، ص: 567.

المعاني مشفوعة بأدلتها النافعة لإنسان عصرنا، قال الأستاذ: «فيا من يستبعد الحشر مستكراً له! انظر كيف ترى في كيفية إحياء الارض مائة ألف أمثله وإشاراته في ستة أسابيع»¹

14. واقعية الأدلة على الحشر دفعت الأستاذ إلى التركيز على عالم الشهادة المتجدد بوصفه شاهد إثبات للمعاد، فقال (رحمه الله): «فان شئت فتأمل في كيفية إحياء الأرض في الحشر الربيعي، كي ترى قريباً من ثلاثمائة ألف حشر ونشر بكمال الانتظام في مقدار ستة أيام، وبكمال الامتياز والتشخيص مع غاية اختلاط تلك الأموات غير المحصورة المشتبكة المنتشرة، متداخلة في صحيفة الأرض!.. فمن يفعل هذا كيف يؤوده شيء؟»

15. كلُّ ما سبقت الإشارة لا يتم من غير إيمان تحقيقي، وزيادة في خدمة هذا المقصد الشريف، نبه الأستاذ إلى ربط توثيق الصلة به (الإيمان الحقيقي) بالاستحضار القلبي والعقلي لأسماء الله الحسنى، والربط بالأسماء الحسنى قاعدة محكمة في رسائل النور، قال (رحمه الله): «وكذا لا تحسبن أن ما يقتضي الآخرة والحشر من الأسماء الحسنى، منحصر على "الحكيم والكريم والرحيم والعدل والحفيظ". كلا، بل كل الأسماء المتجلية في تدبير الكائنات، تقتضيها بل تستلزمها»²

16. وانتهى الأستاذ في هذا السياق إلى حاصل القول في المسألة (الحشر)، فذكر أن الاتفاق عليها واقع من زوايا متنوعة:

17. الأول: دليل الحق سبحانه بجماله وجلاله وجميع أسمائه.

18. الثاني: دليل القرآن المبين المتضمن لإجماع كل كتب الأنبياء والأولياء والأصفياء.

19. الثالث دليل أكمل الخلق محمد الأمين (عليه الصلاة والسلام)، الحامل لسر اتفاق ذوي الأرواح النيرة الصافية العالية، من الرسل والنبیین ومن أهل الكشف والصدیقین.

الجامد غير الموافق لتشكل الأرواح. فعالم الغيب المشتمل على عوالم - الموافق للأرواح كالماء للسماك - مشحون بها، مظهر حياة عالم الشهادة.. فإذا شهدت لك هذه الأمور على وجود معنى الملائكة فأحسن صور وجودهم التي ترضى بها العقول السليمة ما هو إلا ما شرحه الشرع من أنهم عباد مكرمون لا يخالفون ما يؤمرون، وكذا أنهم أجسام لطيفة نورانية ينقسمون إلى أنواع مختلفة.»

11. المقام الثالث: ختم المقامات ببيان إجماع الخلق على وجود مسمى الملائكة في الواقع المعيش، شاهده قوله (رحمه الله): «اعلم أن مسألة الملائكة من المسائل التي يتحقق الكل بثبوت جزء واحد، ويُعلم النوع برؤية أحد الأشخاص، إذ من أنكر أنكر الكل. ثم كما أنه محال عندك - ايقظك الله - أن يجمع أهل كل الأديان في كل الأعصار من آدم إلى الآن على وجود الملائكة وثبوت المحاوره معهم وثبوت مشاهدتهم والرواية عنهم كمباحثة الناس طائفة عن طائفة، بدون رؤية فرد بل أفراد منهم وبدون ضرورة وجود شخص بل أشخاص منهم»، ثم انتقل بعدها إلى ما يشبه الدلالة الفطرية على الإقرار بوجود الملائكة، فقال: «بدون الإحساس بضرورة وجودهم؛ كذلك محال أن يقوم وهم كذلك في عقائد البشر ويستمر هكذا ويبقى في الانقلابات بدون حقيقة يتسنبل عليها وبدون مبادئ ضرورية مؤلدة لذلك الاعتقاد العمومي». وبناء على المقدمات الأنفة الذكر خلص إلى النتيجة الآتية: «إذ ليس سند هذا الاجماع الأحس تولد من تقاريق أمارات حصلت من واقعات مشاهدات نشأت من مبادئ ضرورية. وليس سبب هذا الاعتقاد العمومي إلا مبادئ ضرورية تولدت من رؤيتهم ومشاهدتهم في كرات تقيد قوة التواتر المعنوي. وإلا رفع الأمن من يقينيات معلومات البشر. فإذا تحقق وجود واحد من الروحانية في زمان ما تحقق وجود هذا النوع. وإذا تحقق هذا النوع، كان كما ذكره الشرع وبينه القرآن الكريم.»

12. الإيمان بالحشر (المعاد): ذكر القرآن الكريم ركن الإيمان بالحشر بشكل تفصيلي كامل، وهو نفتقده فيما ترك الانبياء السابقون (عليهم السلام) وحوثها كتبهم بشيء من الإجمال.¹

13. تورد رسائل النور - كما هي العادة في عرض الأبعاد الوظيفية لأركان الإيمان - ما يقرب

1 المثوي العربي، ص: 46.

2 المصدر نفسه، ص: 98.

معاً إلى عاصمة سلطان عظيم، ويدخلان إلى قصر السلطان العامر بالعجائب والغرائب. أحدهما لا يعرف السلطان ويريد أن يسكن في القصر خلسة ويمضي حياته بغصب الأموال، فيعمل في حديقة القصر. ولكن إدارة تلك الحديقة وتدبيرها وتنظيم وإدارتها وتشغيل مكائنها وإعطاء أرزاق حيواناتها الغريبة وأمثالها من أمورها المرهقة دفعته إلى الاضطراب الدائم والقلق المستمر، حتى أصبحت تلك الحديقة الزاهية الشبيهة بالجنة جحيماً لا يطاق. إذ يتألم لكل شيء يعجز عن إدارته، فيقضي وقته بالأهات والحسرات. وأخيراً يُلقى به في السجن عقاباً وتأديباً له لسوء تصرفه وأدبه» هذا هو شأن من لم يؤمن بالقدر، أما « الشخص الثاني فإنه يعرف السلطان، ويعدّ نفسه ضعيفاً عليه، ويعتقد أنّ جميع الأعمال في القصر والحديقة تدار بسهولة تامة.. بنظام وقانون وعلى وفق برنامج ومخطط، فيلقى الصعوبات والتكاليف إلى قانون السلطان، مستقيداً بانسراح تام وصفاء كامل من متع تلك الحديقة الزاهرة كالجنة، ويرى كل شيء جميلاً حقاً، استناداً الى عطف السلطان ورحمته، واعتماداً على جمال قوانينه الادارية.. فيقضي حياته في لذة كاملة وسعادة تامة.» والمثال ما حوى خير مثال واقعي لفهم سر القدر والإيمان به المعبر عنه بالحكمة المشهورة: (من آمن بالقدر أمن من الكدر)¹.

٣/٢/١: خواص أركان الإيمان:

الاحتجاج ببعض الأركان على البعض الآخر منها:

كل ركن من أركان الإيمان إذا كان مشفوعاً بحججه وأدلته يصلح أن يكون أساساً لإثبات سائر الأركان، وشاهد ذلك قول الأستاذ: «ذلك لأن كل ركن من تلك الأركان الإيمانية - مع حججها التي تثبت - يثبت بقية الأركان، فيصبح كل ركن حجة قاطعة عظمى لكل من الأركان الأخرى.»، ويفسر الأستاذ هذه الميزة بالتكامل بين الأركان الإيمانية «لذا فالذي لا يتمكن من جرح جميع الأركان مع جميع أدلتها يعجز كلياً - من وجهة الحقيقة - نفي ركن واحد منها؛ وتنفيد حقيقة واحدة من حقائقها، إلا أن يغمض المنكر عينيه ويتشبث بعدم القبول أو الرفض، فيدخل عندئذ الكفر العنادي، ويسوقه ذلك بمرور الزمن إلى الكفر المطلق، فتندم إنسانيته ويولى إلى جحيم مادي فضلاً عما هو فيه من جحيم معنوي.»² قال الأستاذ: «إن حقيقة "الإيمان بالله" مع حججها تثبت حقيقة "الإيمان بالملائكة" كما تثبت حقيقة "الإيمان بالقدر" أيضاً إثباتاً قاطعاً. كالشمس التي تظهر النهار والنهار الذي يدل

20. الرابع: الكائنات بأياتها.¹ وفق ما سبقت الإشارة إليه أعلاه.

21. الإيمان بالقدر: الإيمان بالقدر من أركان الإيمان، ومعناه أنّ كل شيء بتقدير الله، وأشار في السياق نفسه أنّ الدلائل القاطعة على القدر كثيرة جداً لا تعد ولا تحصى. ويُعدّ ركناً إيمانياً مهماً وأساسياً في الإيمان نفسه، وقد عرضه الأستاذ بسعة وبأسلوب سهل وظاهر.²

أورد الأستاذ في إثبات ركن الإيمان بالقدر أدلة كثيرة، منها تخصيصه «الكلمة السادسة والعشرين»³ سهلة العبارة، ودقيقة المعاني، ويسيرة التحصيل، ركّز فيها على بيان الجوانب الوظيفية من الإيمان بالقدر معزّزة بأدلتها من الوحي والواقع الكوني.

1. يمنح الإيمان بالقدر بفضل المؤمن «خفة بلا نهاية وراحة بلا غاية وسروراً ونوراً يحقق الأمن والأمان والروح والريحان؛ لأن الانسان إن لم يؤمن بالقدر يضطر لأن يحمل ثقلًا بقدر الدنيا على كاهل روحه الضعيف ضمن دائرة ضيقة وحرية جزئية وتحرر مؤقت، لأن الانسان له علاقات مع الكائنات قاطبة، وله مقاصد ومطالب لا تنتهيان إلا أنّ قدرته وإرادته وحرية لا تكفي لإيفاء واحدٍ من مليون من تلك المطالب والمقاصد، ومن هنا يفهم مدى ما يقاسيه الانسان من ثقل معنوي في عدم الإيمان بالقدر، وكم هو مخيف وموحش.»

2. يحمل الإيمان بالقدر الإنسان على أن يضع جميع أثقال الحياة في سفينة القدر، مما يمنحه راحة تامة، فيفتح أمام الروح والقلب ميدان تجوال واسع، فيسيران في طريق كمالتهما بحرية تامة. بيد أن هذا الإيمان يسلب من النفس الامارة بالسوء حريتها الجزئية ويكسر فرعونيتها ويحطم ربوبيتها ويحدّ من حركاتها السائبة.

3. ج- يشتمل الإيمان بالقدر على لذة ما بعدها لذة، وسعادة ما بعدها سعادة. وهما عصيان التعريف، لهذا استعان الأستاذ على توضيحها بالمثال، فقال (رحمه الله): «رجلان يسافران

1 المتنوي العربي، ص: 100.

2 الكلمات ص: 548

3 المصدر نفسه، ص: 561-541. وكثيراً ما يحيل عليها في سائر الرسائل، منها إحالته عليها في الكلمة العاشرة، والشعاع التاسع، راجع الشعاعات، ص: 238.

1 راجع الكلمات، ص: 553.

2 راجع الشعاعات، ص: 294.

بحقائق الكون، وهو ما يشير إليه اتفاق أهل الحقيقة على أن أجل العلوم قاطبة وقمة المعرفة وذروة الكمال الإنساني إنما هو في الإيمان بجملة أركانه والمعرفة القدسية السامية المفصلة والمبرهنة النابعة من الإيمان الحقيقي.¹

2. ترتيب أركان الإيمان:

3. سبق أن أكدنا فيما سلف أن أركان الإيمان الستة هي التي يطالب شرعا بتحصيلها، فلا تميز بينها ولا تفريق، فهي في مجموعها الإيمان المطلوب، إلا أن الأستاذ يستعمل صيغا فيها إشارة إلى مسائل الاجماع بين المسلمين، فقد ذكر أبو حامد الغزالي أن مكونات الإيمان هي: التوحيد، والنبوة، والمعاد.

4. يستعمل الأستاذ النورسي أركان الإيمان في ترتيبها طريقة أبي حامد الغزالي في إشارته إلى الأركان الثلاثة المعبر عنها في جملة مقاصد القرآن في رسائل النور: (التوحيد والنبوة والمعاد أو الحشر)²، واستعملها الأستاذ في سياق دلالة الأركان الثلاثة على سائر الأركان، فقال (رحمه الله): «وكما تثبت الأركان الإيمانية الثلاثة - المذكورة آنفاً - الحشر بجميع دلائلها وتشهد عليه. كذلك يستلزم الركنان (الإيمان) وبملائكته، وبالقدر خيره وشره من الله تعالى أيضاً الحشر، ويشهدان شهادة قوية على العالم الباقي ويدلان عليه»³

كما ذكر على طريقة المتقدمين على أن أركان الإيمان مستفادة من الشهادة والبسمة:

إذ يستفاد كلمة الشهادة دلالتها على أركان الإيمان، وكذا الأمر بالنسبة لدلالة البسمة على أركان الإيمان، «وهكذا فإن هذه الكلمات المقدسة الثلاث مع (بسم الله) و(لا إله إلا الله) وسائر الكلمات المباركة، كل منها بذرة من بذور الأركان الإيمانية، وكل منها خلاصة لحقائق الأركان الإيمانية والحقائق القرآنية»⁴.

١/٢/٤: منزلة أركان الإيمان:

على الشمس.»^١

العجز عن التفريق بين أركان الإيمان:

تكامل أركان الإيمان ظاهر - وفق ما ألمحنا إليه أعلاه - يجعل التفريق بين الأركان الإيمانية الستة مستحيلاً، لأن «كل ركن من الأركان يثبت الأركان عامة بل يستدعيها ويقتضيها، لذا فإن الأركان الستة كل لا يقبل التجزئة البتة، وكلّي لا يمكن أن ينقسم أبداً. فكما أن كل غصن من أغصان الشجرة المباركة (شجرة طوبى) الممتد جذرها في السماء، وكل ثمر من ثمارها وكل ورقة من أوراقها يستند على الحياة الخالدة لتلك الشجرة، فلا يمكن لأحد أن ينكر حياة ورقة واحدة متصلة بتلك الشجرة ما لم يتمكن له إنكار حياة تلك الشجرة الظاهرة ظهوراً ساطعاً كالشمس. ولئن أنكر فإن تلك الشجرة تكذبه بعدد أغصانها وثمارها وأوراقها وتسكته، كذلك الإيمان بأركانه الستة هو بالصورة نفسها»².

الأركان الإيمانية أساس السعادة في إطار الإيمان الحقيقي:

تضمنت رسائل النور التأكيد على أن الأركان الإيمانية التي هي أساس السعادة الأبدية، ومدار الحياة الباقية، ومفتاح الجنة الخالدة. طريق تثبيت ذلك زيادة إيماننا قوة ونحوه من إيمان تقليدي إلى إيمان تحقيقي.³

ويؤكد الأستاذ بما لا يدع مجالاً للشك على أنه لولا هذا الإيمان لمُحيت السعادة وفنيت. بل كنت كلما نظرت إلى المصائب الأليمة من زاوية الإيمان بالقدر كانت تلك والشاهد من الواقع المعيش أن المصائب تخف ويقل وطؤها على الإنسان إن كان مؤمناً إيماناً تحقيقياً، ولهذا يتساءل (رحمه الله): يا ترى كيف يستطيع العيش من لا يؤمن بالقدر؟⁴ الذي هو من الأركان الثابتة بغيرها من الأركان والمثبت لها في الوقت نفسه، فتكون السعادة بالأركان كلها ومنفردة.

1. ربط أركان الإيمان بحقائق غريزية وكونية: امتازت رسائل النور بربط كل ركن من الأركان الإيمانية بحقائق الكون، ففضلاً عن للإيمان بجملة أركانه حقائق غزيرة جداً إذ ترتبط حقائق كثيرة لأنوار ألف اسم واسم من الأسماء الحسنى، ولسائر أركان الإيمان

1 المصدر نفسه، ص: 299.

2 الشعاعات، ص: 300.

3 راجع المصدر نفسه، ص: 212.

4 راجع المصدر السابق، ص: 323.

1 راجع الملاحق، ص: 278. (بتصرف).

2 راجع: إشارات الإعجاز، ص: 23، 24، 40، 61، 165... والمثنوي العربي النوري، ص: 75، 230، ...

3 الشعاعات، ص: 238

4 المصدر نفسه، ص: 293.

5. 5 - الاعتراف بعجزنا ونقصنا مع الإدراك التام أننا مكلفون بأداء الخدمة والعمل للقرآن الكريم بنشر الرسائل المترشحة منه والحفاظ عليها، من دون ترقب النتيجة. يبقى النفس من الأنانية وحب الذات.

6. ومن توابعها نحقق الإيمان بالملائكة بالتجرد من نوازع البشرية إلى حد ما والتشبه بالملائكة الذين هم واسطة لإنزال الكتب والصحف السماوية.

7. ركن الآخرة يفرض الإسراع إلى العمل للقرآن، هذا العمل الذي كلُّ ساعة منه تعدل يوماً من العبادة بدلاً من الكسل والخلود إلى الدعة والراحة، وهذا يجعلنا نُقَدِّرُ الوقت حق قدره ونستمسك بالعمل للقرآن من قبل أن يفلت منا هذا العمل المقدس، مع فتح الأبصار لإدراك الأمور والأحداث، بمعنى يتعين علينا معرفة قيمة الحياة قبل أن يحلَّ بنا الموت.

8. عرضت هذه الأركان.

المبحث الثاني: البعد المعرفي للإيمان في رسائل النور.

أحسن طريقة للتعريف بالأبعاد الوظيفية لأركان الإيمان أن تراعي صياغتها مختلف مستويات المتلقين، فتشبع بسلاسة عباراتها حاجات جميع المكلفين دون استثناء، وما اختلاف أساليب عرضها إلا شاهداً قوياً على مراعاة فهوم كلِّ المكلفين.

إذ مع اتفاق أصول العقائد (الأركان)، فقد اختلفت عبارات الأولياء في التعبير عن مشهوداتهم، وعبر عنها بعض الأنبياء السالفة بإجمال، وابهمت عبارات بعض الأولياء العارفين في أركان الإيمان باستثناء التوحيد، وقد فصل القرآن الكريم المقاصد الإيمانية بما لا مزيد عليه تفصيلاً قسدياً واضحاً، راعى القرآن الكريم التوسط وتفاوت القابليات، وتنوع ألوان جلوات الأسماء في المظاهر الكلية والجزئية والظلية والأصلية.¹

١/٢: الإيمان القيمة الكلية للقيم في رسائل النور.

مصدر قيم الخير وصد الشر.

الإيمان بأركان الإيمان المشار إليها أعلاه في إطار الإيمان التحقيقي، هي أهمّ مصادر قيم الخير،

أركان الإيمان ضرورية.¹ وأن أركان الإيمان أعمدة من الألماس، فلا يجوز أن تكون أعمدة الألماس التي تمثل تسعة أعشار الدين (90 من المئة) تابعة لعشر من الذهب (10 من المئة) التي تمثل المسائل الاجتهادية، لهذا وجب العناية بها لأنها أحكام ضرورية فتكون المسائل الاجتهادية تابعة لها، وقلب الموازين أن تكون الأحكام الضرورية تابعة للمسائل الاجتهادية.²

ذكر بعض طلاب رسائل النور أركان الإيمان من وجهة وظيفية حرّية بالنظر فيها، وقرأتها قراءة تحليلية يستفاد منها ما يمكن التنبيه إليه من فوائد النظر في الأركان الإيمانية من زاوية الإيمان التحقيقي.

ونعرض في هذا السياق ملخّص شهادة طالب النور خلوصي³:

ذكر في شهادته أنّ الآثار النورانية للأركان الإيمانية ترغّب من ناحية وترهب من ناحية أخرى، فتضمنت الأركان الترغيب والترهيب على حدّ سواء، ولا ريب في جدوى تأثير إحدى هاتين الوسيلتين في الانسان. وفي ضوء هذه الحقيقة توقظ أهل القرآن وتلاميذه واضعة نصب أعينهم ستة أسس لئلا يندفعوا.

1. ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى النابعة من الإيمان تستأصل حب الجاه.

2. الإيمان بالفدر يدفع الخوف ويطمع من الوقوع في شكوك الأوهام.

3. الإيمان بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين أنفع دواء للعلاج من الحرص والطمع.

4. الإيمان بالرسول الكرام وفي مقدمتهم الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم) المبعوث إلى الجن والانس كافة والذي يحقق لنا (انما المؤمنون اخوة) (الحجرات: 10) (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) (آل عمران: 103). يطهر النفس من الأحاسيس والمشاعر العنصرية.

1 الكلمات، ص: 536

2 صيقل الإسلام، ص: 347.

3 راجع الملاحق، ص: 55-56.

1 راجع المشوي العربي، ص: 451.

الرعيّل الأول- التأسيس النظري للشكر مع لفت النظر إلى النماذج التطبيقية المتجلية في سيرة المصطفى وصحابته الكرام البررة، وقد دلّت تلك النماذج البشرية التطبيقية على أنّ أصفى خلاصة مترشحة من الإيمان بجميع مضامينه وأبعاده الوظيفية الشكر والعبادة والحمد والمحبة، من هذا المنطلق عدّت رسائل النور تحقيق الشكر والعبادة من أهمّ المقاصد الإلهية في الكون وأهمّ نتيجة لخلق العالم.¹

٤- التأسيس القلبي والعقلي للشفقة والمحبة.

تعمل رسائل النور من خلال مقاصدها إلى تجاوز ما شاع تداوله بين البشر من ألفاظ فقدت اجتماعياً معانيها وخاصة مصطلحي المحبة والشفقة، إذ لا نجد لهذه المعاني في مزاولتنا الاجتماعية اليومية أثراً، فكان منهج الرسائل مؤسساً للفكرة في أصل وضعها، فاستصحابها في وضع الرسائل ظاهر، بل جعلتها الرسائل من غاياته الرئيسية تأسيساً وتمحيصاً، يشهد لهذا المعاني تأكيد الأستاذ النورسي على أنّ منهجها (رسائل النور) يعبر عن الشفقة والعدل والحق والحقيقة والضمير ليمنعنا بشدة من الوقوع تحت طائلة الاستجابة للاستقزاز الاجتماعي أو المعرفي من خلال قصر الاهتمام على الأمور الجزئية على حساب الأمور الكلية والأساسية، نحو اختصار الهمّ في المزاولة السياسية نقداً وتمحيصاً بل وحتى تأسيساً، وإهمال التمكين للإيمان الحقيقي والاكتفاء بالإيمان التقليدي.

الإيمان الحقيقي قضية مهمّة وكلية لها دور أساسي في صناعة الوعي بالدينا، وهو المسألة الأمّ التي يفقدنا نَفَرَط في أصول مدافعة الإلحاد، العناية بالإيمان الحقيقي يدفع قصر المعركة على المبتلين بالعقلية التجزئية (الذرية) وما تعلق بها من أمراض معرفية ونفسية واجتماعية. وهؤلاء وإن خسرنهم لهيمنة ذرية (التجزئية) التفكير، فإننا مطالبون بعدم تضييع الأبناء وربّما الأحفاد، لهذا يؤكد الأستاذ على أنّ وراء أولئك المبتلين بالإلحاد - واستحقوا بذلك العقاب - عدداً من الأطفال والمرضى والشيخوخ الأبرياء. فإذا نزل بأحد أولئك المبتلين المستحقين للعقاب كارثة أو مصيبة، فإن أولئك الأبرياء أيضاً سيحترقون بناهم دون ذنب جنوه. وكذا لأن حصول النتيجة المرجوة أمر مشكوك فيه، لذا فقد مُنعنا بشدة² عن الاهتمام بالمسائل الجزئية على حساب معركة المصير المعبر عنها بقضية حماية المكاسب الإيمانية والتأسيس لبقائها في المجتمع دون الدخول في معركة قد تعرّض البلاد والعباد إلى ما تحمد عقباه، لهذا يلجّ النورسي على التحليل الذي بموجبه نقرّ الأولويات، وأولوية الأولويات حسب تقديره حماية الإيمان بتثبته وإثباته إن اقتضى الحال، وخاصة الإيمان الحقيقي، وفي ذلك أبين جواب وأحسنه على الإلحاد عوض الدخول في مهاترات

1 اللغات، ص: 559.

2 راجع الشاعاعات 406

وهو نفسه أقوى مانع للشر من ولوج القلوب والعقول، فهذا الإيمان هو الدافع إلى الشكر والعبادة اللتين تعتبران مدار المقاصد الإلهية في بناء قصر الكون ولا سيما الإنسان الذي هو أفضلهم إزاء النعم التي نالوها. إنّ الإيمان هو مدار الاستفادة من الكون وعناصره المادية والمعنوية¹، ذلك أنّ الإيمان الحقيقي يُعدّ محرّك سائر مطالب التكليف ولبّ لبابها، وباعث فعاليتها، وهو مظنة استجلاب خيرات كثيرة للإنسان ودفع الشرور المحدقة به.

ومن فروع كونه مصدراً لقيم الخير وصد الشر أنّه أساس التواصل الإسلامي والإنساني، إذ الإيمان الحقيقي يؤسس للتواصل بين المؤمنين من جهة الأخوة الإيمانية والأسرة الإنسانية من جهة الأخوة الإنسانية (النسبة لأب وحد)، ذلك أنّ الإيمان رابطة قوية في التأسيس المعنوي لأسمى جمعية وأقدسها في الوقت الماضي والحاضر والمستقبل، تلك الجمعية التي تمثّل جمعية الخدمة الإيمانية. فجميع الذين انخرطوا في سلك الخدمة المؤمنة المضحية ابتداءً من أسط تلميذ ومنتسب إلى الأستاذ داخلون في هذه الجمعية، تستشرف خدمة الإنسان حيث وجد، بقصد إسعافه لاسترداد العبدية التي خلّق الإنسان مزوداً بها في أصل الخلقة (الفطرة التوحيدية).

طريق تحقيق الاتحاد والأخوة والطاعة والمحبة وإعلاء كلمة الله.

ترمي «جمعية» رسائل النور - وهي ليست جمعية بالمعنى التنظيمي، بل يراد بها كلّ أولئك الذين اجتمعوا على قراءة رسائل النور قراءة وظيفية (طلاب النور) - إلى تحقيق أقدس هدف لأقدس جمعية في العالم، ويتلخّص ذلك الهدف في الاتحاد والأخوة والطاعة والمحبة وإعلاء كلمة الله. فالجنود المؤمنون قاطبة يدعون إلى هذا الهدف، وفاعلية ذلك المسعى تجعل أولئك الخدام مراكز تبليغ تلك الأفكار من جهة وأنموذج العيش بتلك الأفكار من جهة أخرى، فعلى الأمة والجمعيات أن ينتسبوا إلى من صحّت نسبتها إلى زمرة الخدمة، أولئك الذين يمثلون خط الإيمان بأحوالهم قبل مقالهم، وأولئك يتلخّص مشروعهم في إشاعة المحبة والأخوة بين أفراد الأمة وجملة مكوثاتها.²

أساس الشكر والعبادة.

غرض الإيمان الحقيقي - وهو الإيمان في أصل الوضع، الإيمان المستفاد من الوحيين، وتمثله

1 المكتوبات، ص: 308.

2 راجع سيرة ذاتية، ص: 107.

للإشكالات المتأتية من التعارض المسوّق بين المدرستين، وهو من الجوانب التي يستغلها المناوئون للملّة نشراً للإلحاد أو تشجيعاً لاستقالة المتديّنين من الحياة.

يستفاد دواء هذا الداء من الإيمان التحقيقي المستلهم من القرآن الكريم، إيمان يدعو للانخراط في شعاب الحياة تأسيساً لصحة إسلامية راشدة، وهو ما رمت إلى تحقيقه رسائل النور.

رسائل النور التي كان يصبو مؤلّفها « منذ نعومة أظفاره والأمل الذي كان يحده وهو في طريقه إلى أنقرة هو حصول صحة إسلامية تعم العالم الإسلامي». تجلت «هذه الروح العظيمة توضحت في مباحثاته مع مئات العلماء في شرقي الأناضول قبل مجيئه إلى استانبول بل توضح أكثر عند قدومه إليها حتى حير السياسيين. ولم تغادره هذه المسؤولية الجسيمة والمهمة الثقيلة والشوق الدائم قط. فكان يأمل أن يكون الإعلان عن الحرية والمشروطية في خدمة الشريعة الغراء، ويكون ذلك تباشير سعادة الأناضول والعالم الإسلامي قاطبة، حتى أنه ألقى الخطب في ضوء ذلك الأمل وكتب المقالات بغية تحقيقه، وظهر ذلك أيضاً في مؤلفاته ولاسيما في «سنوحات، لمعات» وغيرها مما ألفه في تلك المرحلة. وكان لا يتوانى من التصريح أن أعظم صوت مدوّ في المستقبل هو صوت القرآن العظيم.»¹

ويخدم السعي إلى تحقيق صحة إسلامية التأسيس للحرية ووضع قوانين أساسية تصونها من عبث العابثين والوصوليين والانتهازيين، وتكون تلك القوانين مصونة بالشريعة الغراء، فالعمل على تكوين وعي بضرورة الحرية لا يختلف من حيث القيمة والتأثير عن العمل على تحقيق الصحة نفسها، إذ الخلوص إلى الصحة يمرّ ضرورة بالحرية.

كما تجلّى العمل على تأسيس صحة إسلامية راشدة بإعادة الأمور إلى نصابها، وذلك باستعادة الإيمان التحقيقي إلى مركزه في صناعة الوعي بالحياة، وتكوين دافعية العمل إلى الخير الإنساني العام، وبهذا يكون من أهمّ متطلبات تحصيل الصحة المنشودة، إنقاذ الإيمان والاعتصام بالقرآن الكريم.

المبحث الثالث: البعد الوظيفي للإيمان في رسائل النور.

أؤكد في هذا السياق أن من أهمّ التحديات المعاصرة في المجتمع الإسلامي المعاصر هو الترتيقي

تعرّض طاقات الأمة إلى الضياع أو على الأقل تسهم في صرفها في غير أبوابها.

٢/٢: الإيمان أساساً للمصالحة بين المدرستين الدينية والحديثة.

1. **الإيمان التحقيقي والمصالحة بين المدرستين:** المسلك المؤسس على الإيمان التحقيقي يُعدّ أنفذ دواء لتطعيم الأمة ضد أمراض الإلحاد، ولا يحقق هذا المشروع مقصوده إلا إذا استثمر وعي هذه الحقيقة في إقامة برامج صناعة الوعي، وأسرع وسيلة لتحقيق هذا الغرض إقامة مدرسة تصالح بين أهل المدرستين الدينية والحديثة وأهل الزوايا والتكايا وتجعلهم يتحدون في خدمة ذلك المقصد، ذلك أنّ الإيمان التحقيقي يحدث بينهم الميل عن التنازع ثم الميل إلى تبادل الأفكار.¹

2. التكامل المعرفي الجالب للأخوة والمحبة والتضحية.

3. تُعدّ المصالحة بين المدرستين الدينية والحديثة فرصة رائدة للتكامل المعرفي بين ميادين المعرفة، ويستشرف هذا المسعى تحصيل المحبة والأخوة والتضحية بين جملة ممثلي هذه الميادين المعرفية، ولا يتأتّى تحصيل هذه المهمة الشريفة إلا بمن تمثّلها قبل رفع رايتها، وبهذا تتيسر فرصة تبليغها، ذلك أنّها عملت على التأسيس العملي لجمعية المؤمنين، وتشمل في عضويتها جميع الذين انخرطوا في سلك الخدمة المؤمنة المضحية، ويمثّل هذا الهدف أرفع هدف لأقدس جمعية في العالم، وتكمن عظمتها في عظمة الإيمان التحقيقي، الذي هو مؤسس لأعلى وأسمى ما تطمح الإنسانية السوية إلى جلبه، إنّه مسلك مؤسس للاتحاد والأخوة والطاعة والمحبة وإعلاء كلمة الله.² ووسيلته مصالحة المدرستين وأتّحادهما في مواجهة تحديات العصر.

حصول صحة إسلامية

تهيئ المصالحة بين المدرستين الدينية والحديثة فرصة مثلى لتحصيل صحة تتجاوز الوعي الراهن والتأسيس لوعي جديد يستوعب الراهن بجميع مكوّناته المادية والمعنوية، وخاصة ما كان نتيجة

1 سيرة ذاتية، ص: 506

2 راجع صيقل الإسلام، ص: 447؛ سيرة ذاتية، ص: 107

1 سيرة ذاتية، ص: 182

الإخلاص وهو: «أن يكسب المرء حضوراً وسكينة بالإيمان الحقيقي وباللمعات الواردة عن التفكير الإيماني في المخلوقات.»¹

٣- بعث الصلة بين الإيمان والأخلاق.

الإيمان الحقيقي من أهم عمَد استعادة الصلة بين الإيمان والأخلاق، وفي ذلك أسرع مسالك تجاوز ما شاع في حياتنا الاجتماعية من فصل نكد بين الأخلاق والإيمان، حتى صارت الصلة بينهما مفقودة، فتجد الرجل يندن بكلمات إيمانية لا أثر لها في حياته الشخصية أو الاجتماعية، كأن يكون لسانه لاهجا بذكر الله ولكن عقله وقلبه خاليان من هذه المعاني، ومن كان هذا شأنه فسلوكه أبعد ما يكون عن هذه المعاني المرذة قولاً، وقد ظهرت رسائل النور من أجل تجاوز هذا الانفصال والتأسيس للتواصل بينهما، فجعلت الهدف الوحيد والخدمة الوحيدة لرسائل النور والأستاذ وطلبة النور هي إيفاء خدمة مقدسة للإسلام ولاسيما إيفاء خدمة الأمة الإسلامية بالوصل النظري والعملي بين الإيمان والأخلاق، و من ثم فإن رسائل النور متممة بسممة الخدمة في التكامل الإيماني والأخلاقي². لهذا شُغلت عبر مختلف المراحل وفي جميع الأحوال بخدمة الحقائق الإيمانية ونشرها والمرافعة عنها بنشر رسائل النور.

٢/٣: التأسيس للفعالية الاجتماعية.

تحصيل الفعالية الاجتماعية.

يتأتى كسب الفعالية في الحياة الفردية والجماعية بتفعيل الإيمان الحقيقي، إذ هو أقصر طرق الفعالية الفردية والاجتماعية، يعتبر بديع الزمان رسائل النور من أهم وأقصر طرق تحقيق مقصد إنقاذ الإيمان الحقيقي والمعجزة المعنوية للقرآن الكريم في هذا العصر، فقد كشفت التجارب والأخبار أن لها تأثيراً عظيماً في البلدان العربية والأعجمية، وعدد طلاب النور فيها يزيدون ثلاثة أضعاف عما قيل عن عددهم في تركيا أثناء محاكمة الشيخ وبعض تلاميذه. قال الأستاذ النورسي (رحمه الله): «اضطرت روعي إلى بيان ومشاهدة هذه النتيجة العظيمة وأنا على عتبة القبر.»³

إنقاذ الإيمان يعطي الحياة معنى

يعطي إنقاذ الإيمان معنى إيجابياً لكل يوم من أيام العمر التي تمضي في السجن الكبير (الدنيا)

1 راجع للبعثات، ص: 247

2 راجع سيرة ذاتية - ص: 464

3 راجع الملاحق، ص: 415.

بالإيمان من الإيمان التقليدي إلى الإيمان الحقيقي، ذلك أن الأمور المنتظرة من فعالية الإيمان وخاصة البُعد الوظيفي منه، له ارتباط وثيق بالإيمان الحقيقي، وتأثير الإيمان التقليدي في الفعالية الإيمانية باهت، لهذا فإن الإيمان الحقيقي مظنة الخلوص إلى الأبعاد الرسالية المتجلية في شعاب الحياة، ورأسها نيل مرضاة الله.

١/٣: نيل مرضاة الله.

1. **الإيمان تهيو لنيل مرضاة الله:** يحقق الإيمان الحقيقي التهيؤ لنيل مرضاة الله سبحانه وتعالى، لأن الله بالإيمان الحقيقي هياً لنا فرصة اكتساب محبة الملايين من أهل الحقيقة ودعاءهم وشفاعتهم، لهذا يتعين علينا برمجة أنفسنا على نيل مرضاة الله بالبدل الواقعي في شعاب الحياة.

2. **نيل الرضى بالبدل:** إن اكتساب الإيمان الحقيقي، هو الانتقال بهذا الإيمان إلى شعاب الحياة، فيكون طلب مرضاة الله انتقال إلى نيل أهم غاية في الوجود، والتمتأة في سعادة الدار الآخرة وهذا لا يزاحم الدنيا أو ينافسها، بل يجعلها مندرجة ضمنها، ومادامت رسائل النور تقدم - بفيض من القرآن - الحقائق الإيمانية وتقرب مئات الآلاف من قرائها ومستسخيها إلى هذا الهدف، هذا هو الوجه القرآني، وهذا هو الوجه الحقيقي الذي تطمح رسائل النور تحقيقه وهو منبع قيمتها الحقيقية، ومعرفة أن طلاب النور لارتباطهم بالإيمان الحقيقي لا يسعون إلا لنيل رضا الله تعالى وأنه لا هدف لهم سواه¹، وهذا ما يوجب البذل في شعاب الحياة على أساس من الإيمان الحقيقي، فتكون خدمة الخلق طلباً لمرضاة الحق أوثق دليل على التحقق الإيماني.

٢- تجاوز الهلاك.

إنقاذ الإيمان -ولا سيما الحقيقي - يؤسس لحائط صدّ معرفي واجتماعي ويؤسس للتطعيم المعرفي والحضاري المجاوز للفكر المُهلك، هذا الإيمان هو الذي له بفضل الله دور فعّال في إسعاف المبتلى بمرض الإلحاد على تجاوز مرضه، لهذا ينصح الأستاذ -وبالحاح شديد- بالتعلق بالدين وخاصة الإيمان الحقيقي والعض عليه بالنواجذ فهو حامينا من الهلاك الدنيوي والأخروي، وطريقه إحرار

1 راجع الشعاعات، ص: 606

لهذا كان أعظم شرط من شروط الجهاد المعنوي هو عدم التدخل بالوظيفة الإلهية. أي بما هو موكول إلى الله. والاقتصار على وظيفة الخدمة، بمعنى أنّ وظيفتنا الخدمة فحسب. بينما النتيجة تعود إلى رب العالمين، وإنّا مكلفون ومرغمون على الوفاء متطلبات وظيفتنا.¹

والقيام بوظيفة الخدمة انسجام مع العناصر الكونية في شقيها المادي والمعنوي، ذلك أنّ بين العناصر الكونية تكاملاً يستغرق الجميع، فقد أعطى القدير الجليل كلّ عنصرٍ من العناصر وظائف كثيرة، ويُنشئ على كلّ من تلك الوظائف نتائج كثيرة. فلو ظهرت نتيجة واحدة قبيحة - أي شر ومصيبة وبلاء - من عنصر من العناصر في وظيفة من وظائفه الكثيرة، فإنّ سائر النتائج المترتبة على ذلك العنصر، تجعل هذه النتيجة الوخيمة في حكم الحسن والجميل، لأنّها جميلة وحسنة إذ لو مُنِع ذلك العنصر الغاضب على الإنسان من تلك الوظيفة للحيلولة دون مجيء تلك النتيجة الوحيدة البشعة للوجود لثُركت إذن خيارات كثيرة بعدد النتائج الخيرة المترتبة على سائر وظائف ذلك العنصر. أي تحصل شرور كثيرة بعدد تلك النتائج الخيرة، حيث إنّ عدم القيام بخير ضروري، إنّما هو شر كما هو معلوم. كلّ ذلك للحيلولة دون مجيء شر واحد! وما هذا إلاّ منافاةً للحكمة. وهو قبح واضح، ومجافاة للحقيقة، وقصور مشين. بينما الحكمة والقدرة والحقيقة منزهة عن كلّ نقص وقصور،² وأساس هذا التصوّر وثمراته مصدرها الإيمان الحقيقي.

مقصد الأمن والنظام والحرية والعدالة.

دفعت طبيعة الأزمة التي يمرّ بها عالمنا الإسلامي الأستاذ النورسي إلى التأكيد على أنّه ليس من مقاصد رسائل النور أو أهدافها في العصر الحاضر الاشتغال بالسياسة، إذ تتلخّص المعركة في تحطيم الكفر المطلق الذي يعدّ أس أساس الفوضى والاستبداد من جهة، ومن جهة أخرى التأسيس للأمن والنظام والحرية والعدالة.

صرّح الأستاذ بديع الزمان بهذه المعاني في سياق مرافعته عن رسائل النور فقال (رحمه الل)ه: «أيها البائسون!.. إن رسائل النور لا علاقة لها بالسياسة، بل تقوم بتحطيم الكفر المطلق - الذي أسفله الفوضى وأعلاه الاستبداد المطلق - وتقنّيته وردّه على أعقابهِ... تسعى رسائل النور إلى تأسيس الأمن والنظام والحرية والعدالة في هذا البلد.»³

أو السجن الصغير (المعروف)، فيمكن أن يكسب المرء ثواب عبادة عشرة أيام من عبادة يوم واحد، ويمكن أن يحوّل ساعاته الفانية - من حيث النتيجة - إلى ساعات باقية خالدة.. بل يمكن أن يكون قضاء بضع سنين في السجن وسيلة نجاة من سجن أبدي لملايين السنين.¹

يحلّي الإيمان المُنقذُ الحياة بالرحمة ويكسب الحياة معنى إيجابياً ويشدّ إليه القلوب والعقول بما يخدم تعبيدها لله تعالى، فالرحمة وفق ضبط الشرع لها من أدلة القيامة والسعادة الأبدية، لأن الرحمة إنّما تكون رحمةً، والنعمة نعمةً إذا جاءت القيامة وحصلت السعادة الأبدية. وإلاّ فالعقل الذي هو من أعظم النعم يكون مصيباً على الإنسان، والمحبة والشفقة اللتان هما من أطف أنواع الرحمة تتحولان ألماً شديداً بملاحظة الفراق الأبدي.²

إنقاذ الإنسان والاستجابة لحاجاته.

ترمي المقاصد الإيمانية الكلية المعبر عنها بأركان الإيمان، وخاصة في ضوء الإيمان الحقيقي، إلى إنقاذ الإنسان، فتستجيب هذه الأركان الإيمانية لحاجات الإنسان، ولهذه الأركان تجليات في العدالة والحكمة الريانيتين الملبية لأعظم حاجات الإنسان، وخاصة حاجة البقاء لأسمى مخلوق وهو الإنسان؟ إذ مادامت الحكمة والعدالة تستجيبان لأدنى حاجة لأضعف مخلوق، فإنّها لا يمكن أن تردّ أهم ما يريجه الإنسان وأعظم ما يتمناه.³

وبذلك تعطي الأركان الإيمانية للحياة البشرية معنى وتزوّد بها بالعناصر الإنسانية في التصرفات والمقاصد والأهداف المتعلقة بالحياة الدنيوية نفسها وذلك بربطها بالحياة الأخروية في إطار الإيمان الحقيقي.

القيام بوظيفة الخدمة.

يسرّ إنقاذ الإيمان تحرير مجال الفعل الإنساني بدقة متناهية، فتجلي هذه الحقيقة المُنقّدة مساحة الفعل، وتؤسس للعمل في المساحات المتاحة فعلاً والابتعاد عن المساحات غير المطلوبة أو الممنوعة،

1 راجع الشعاعات، ص: 519.

2 إشارات الإعجاز، ص: 29.

3 راجع الكلمات، ص: 69.

1 راجع سيرة ذاتية 470

2 راجع الكلمات، ص: 197.

3 الشعاعات، ص: 334 (بتصرف).

ويرفع خطر هذه الأسقام بالارتباط الباطني والظاهري بالإيمان الحقيقي ومقتضياته، وخاصة التفكير العملي في الآخرة وما أعد الله فيها للمؤمنين، وهي لفساحتها يكون لكل مؤمن جنة عرضها السماوات والأرض تمتد إلى مسافة خمسمائة سنة، ولكل منهم سبعون ألفاً من الحور والقصور، فلا موجب هناك إذن إلى الحسد والمنافسة قط، فيدلنا هذا على أنه لا حسد ولا مشاحنة في أعمال صالحة تقضي إلى الآخرة، أي لا مجال للمنافسة والتحاسد فيها، فمن تحاسد فهو لاشك مراء أي أنه يتحرى مغنم دنيوية تحت ستار طلب الآخرة.¹

الخاتمة

خلصت في هذه الدراسة إلى أن الإيمان المُنفذ يؤسس لإيمان مُنقذ، ينتقل من الإيمان التقليدي إلى الإيمان الحقيقي، إيمان يعد أساس رفع مستوى الثقة بالله سبحانه وتعالى إذا كان مطبوعاً في النفس، غامراً لجوانه بمعرفة الله ومحبتّه، وهذا هو الذي نطمح أن يورث الترقى المعنوي ويبسّر تحمّل أعباء السير بفضل الله.

تمثل رسائل النور مصنفًا للتعريف بالإيمان الحقيقي، وهي من هذه الزاوية ليست كسائر المصنفات، تفرّدت بهذه المهمة وحققها على أكمل وجه، إنَّها مشروع «زيادة الإيمان ولو بقدر ذرة والترقي من الإيمان التقليدي إلى الإيمان الحقيقي». هذه هي مهمتها الأصلية «إثبات الحقائق الإيمانية وتثبيتها»، والإيمان الحقيقي (المُنقذ) أركانه ستة عرّفت بها رسائل النور وظيفياً، مبيّنة خواصها، فكل ركن دليل قائم بذاته على سائر الأركان، ومن ثم فالفصل بينها مستحيل، وهي أساس السعادة لما من صلة بفطرة الإنسان، وخاصة إن كانت منبثقة عن الإيمان الحقيقي، وعرضتها الرسائل بصيغ تراعي مستويات المتلقين ويستفاد منها مراعاة ترتيبها بما انسجم ومقاصد القرآن الكريم في رسائل النور، واستشف الأستاذ الأركان أحياناً من الشهادة (لا إله إلا الله)، و(البسمة)، وذلك لعظم منزلة الأركان الإيمانية في ضوء ما يلفت النظر إليه الإيمان الحقيقي، وهو نفسه مبعث التنبّه لآثارها النورانية في النص النوري من جهة، ومن جهة أخرى في وطلّابه، آثار لا تخطئها العين المجردة.

الإيمان بالله مع السعي لطلب مرضاته يستأصل حب الجاه، والإيمان به رزاقاً دواء للحرص والطمع، والإيمان بالقدر خير مطعم ضد الشكوك والأوهام والخوف، وركن الحشر يدفعنا إلى استعجال

1 راجع للمعات، ص: 237.

وتدلّ تصرفاته رحمه الله على تبني ذلك المسلك في التغيير، إذ تأسيساً لمعاني طلب الأمن والحرية والنظام والعدالة، تجده ينأى بنفسه من أن يكون هدفاً للاتهام بالتعلّق بالدنيا ومفاتها، لهذا تجده من منطلق الحكمة في التبليغ يتهرّب تهرّباً شديداً وينفر من التعرّض للسياسة والحكم، رغم امتلاكه قوّة الحجّة في المرافعة عن الحق بجدارة وكفاءة، توكّدها إشارته الرائعة إلى مقتضيات تغييب العدالة بالرغم من عزوفه عن الخوض في السياسة، وعزاه في ذلك أنّه مادام كل شيء زائلاً وفانياً ومادام الموت موجوداً والقبر لا يزال فاعراً فاه، ومادام الأذى ينقلب إلى رحمة، فإننا نفضل أن نصبر ونتوكل على الله ونشكره ونسكت. أما محاولة الإخلال بسكوتنا وهدوئنا بالإكراه بإيقاع الأذى بنا فإنها تناقض كل مفاهيم العدالة والغيرة الوطنية والحمية المليّة.¹

٦- دفع الأمراض الاجتماعية بالإيمان

يدفع الإيمان الحقيقي كثيراً من الأمراض الاجتماعية الفتاكة، منها على سبيل المثال لا الحصر، مرض الحرص الذي يعد من رؤوس البلايا الأخلاقية والاجتماعية، ذلك أنّه كان وسيبقى سبباً تضييع كنز العيش الهنيء الرغيد ومبعث الراحة في الحياة المنبعث من القناعة، ومن هنا كان الحرص علّة الخيبة ومعند الخسران والسفالة.

يتلف الحرص الإخلاص ويفسد العمل الأخروي، لأنّه لو وُجد حرص في مؤمن تقيّ لرغب في توجّه الناس وإقبالهم عليه، ومن يرقب توجّه الناس وينتظره لا يبلغ الإخلاص التام قطعاً ولا يمكنه الحصول عليه. فهذه النتيجة ذات أهمية عظيمة بالدقة والملاحظة والعناية.²

الإيمان الحقيقي يستأصل الحسد والمنافسة غير الشريفة، ذلك أنّ من مقتضيات الإيمان الحقيقي أن يتحرر المؤمن من هذا المرض وما شابهه أو كان من جنسه، إذ ليس في أمور ديننا أمثال هذه الأمراض، ويرجع منشأ هذه الأسقام إلى تجاوز أو غفلة عن الأبعاد الوظيفية للإيمان، وما يترتب بالبعد عنها من تهالك على الشهوات وما ينجز عنها من مناقشات وتساوق ثم تراحم ينتهي بأصحابه إلى الحسد. ولما كانت الدنيا ضيقة ومؤقتة ولا تشبع رغبات الإنسان ومطالبه الكثيرة، وحيث المتهاككين على شيء واحد كثر، فالنتيجة إذن السقوط في هاوية الحسد والمنافسة.

1 راجع المصدر نفسه، ص: 347.

2 راجع للمعات، ص: 222-220.

العمل بالقرآن، وحسن استثمار الأيام، وهكذا فما من ركن من الأركان الإيمانية إلا وله آثار إيجابية على إصلاح الرؤى والتصديقات والتصرفات الفردية والجماعية، لما لها من أبعاد معرفية، فالإيمان التحقيقي هو القيمة الكلية للقيم، فهو مصدر قيم الخير وصدّ الشر، و مبعث الأتّحاد والأخوة والطاعة والمحبة إعلاءً لكلمة الله، وأساس الشكر والعبادة والشفقة، وهذا الإيمان التحقيقي عمدة المصالحة بين المدرستين الدينية والحديثة، يستجلب التكامل المعرفي والطموح في إحداث صحوة إسلامية. ويجمع إلى البعد المعرفي بعدا وظيفيا، فهو مهية لنيل مرضاة الله بالبذل وتجاوز الهلاك وباعث الصلة بين الإيمان والأخلاق، ومؤسس للفعالية الاجتماعية بتيسير تحصيل الفعالية الاجتماعية، إذ إنقاذ الإيمان التحقيقي يعطي الحياة معنى، ويلبي حاجات الإنسان ويدفعه للقيام بوظيفة الخدمة، وتحقيق مقصد الأمن والنظام والحرية والعدالة، ويدفع في الوقت نفسه الأمراض الاجتماعية بالإيمان.

البدائل الإيمانية في رسائل النور - دراسة تطبيقية لبعض المفاهيم والمصطلحات -

أ.د. أميد نجم الدين جميل المفتي
جامعة صلاح الدين / أربيل - العراق
كلية العلوم الإسلامية
الإيميل: lomedmufty@gmail.com

الملخص

لعبت المصطلحات والمفاهيم لعبتها في شعاب الحياة المتعددة المختلفة ، نظرا للتطور الملاحظ ومسيرتهما المستمرة وعطائهما الدائم، وقد صار الناس على صلة بهما - بغض النظر عن المستوى المعرفي والثقافي - كنتيجة حتمية للتواصل مع المحيط المادي والمعنوي في الحياة ، فوقع على كاهل العلماء والمفكرين آنذاك بيان المقبولة منها من المردودة ، وتمييز النافعة منها من الضارة ، وذلك بوضع الأسس الرصينة والمباديء الأساسية والموازن الحساسة ، إذ لا يمكن فتح الباب على مصراعيه للكلام ، كما لا يمكن السدّ تماماً أمام سيل من المصطلحات والمفاهيم ، حيث تأتي وتجد نفسها بين حواراتنا وأفكارنا ، وهناك الوسط بين الأمرين ، وهومساحة يستطيع كل أحد - حسب حرفته ومعرفته وعلمه - الوقوف فيه والاستفادة منه ، وهو الملائم مع الثوابت الشرعية ، والمناسب مع الفطرة البشرية وطبيعة الحياة وشريعتهما التكوينية.

والشريعة الإسلامية من خلال نصوص الكتاب والسنة بينت هذه الوسطية ، فأثبت القرآن والسنة نفي ألفاظ ومفاهيم نظراً لعدم مسايرتها وملائمتها مع الضوابط الشرعية وقواعدها الثابتة ، وأبقت أخرى لعدم اصطدامها مع هذه الثوابت ، ومن ثمّ تأسى العلماء الراسخون بهذا النهج ووضعوا هذا المبحث اللفظي الدلالي ضمن مباحث مؤلفاتهم العلمية المتعددة من فقه وتفسير وحديث وعقيدة وتاريخ وغيرها.

والبحث هذا يريد أن يتكلم في مبحثين اثنين عن هذا الموضوع من خلال رسائل النور لبديع الزمان النورسي رحمه الله تعالى ، فبين أولاً وفي مبحثه الأول التأصيل لموضوع وضع البدائل للمصطلحات

المقدمة

والمفاهيم من خلال القرآن والسنة ، ثم أتى المبحث الثاني وقد بين مبادئ وأسس تعديل المصطلحات والمفاهيم في رسائل النور من خلال الوقوف عند خمسة أسس علمية رصينة ، اعتمدتها الرسائل عند تبديل المصطلحات والمفاهيم ، وبأمثلة متعددة - مصطلحاً أو مفهوماً - في عملية التبديل هذه في نصوص رسائل النور . وختتم البحث بالخاتمة فيها ملخص البحث وأهم نتائجه .

Summary

Words and concepts are acting their role in all aspects of life because of the developments that can see through continuing ways and endlessness providings, therefore, all of people have continuing relations with words and concepts, without focusing on their scientific and intelligence levels, as a stable result for substance and immaterial relations, therefore, the role is facing scientists and intellectualists to get determination of acceptable and desperation words and concepts from non-acceptable ones, this is because of setting up and depending on many more essential things and sensual measurements because we can't open and close the windows for each words and concepts, all of these, as a result of having in our daily speeches, that's why having the balance is suitable.

The equality is the position that all with their science, jobs and experience can get benefit from it which is suitable with Shar3a, nature of life, justice and human nature.

The Islamic law (Shariya) chooses the subjects through the Al-Quran and Al-Hadith are agreed with justly balanced, thats why they don't accept with many words and concepts which they were changed them instead of another, and they let some words and aspects to stay without changing them, and scientists are going on that way to set up the Etymology and Semantics among the subjects and scientific concepts like jurisprudence (Al-Fiqh), interpretation and translation, Hadith, doctrine and history....etc.

This research wants to talk about two sections, introduction and conclusion, but through the Risa'il al-Nur by Badi' al-Zaman al-Nursi. It talks about the replacement of words and concepts in the first section, and in the second, talks about the same subject through under the role of these basics that were founded by Badi' al-Zaman al-Nursi with examples for each basics. In the end of the conclusion, there is a summary and main important points of the research.

عمل الإسلام على تأسيس أسس السعادة وبيان مسالكها ، فركّز أول ما ركّز على تقرير الإيمان وحقائقه في القلوب ، لأن نقطة الانطلاق هي معرفة الذات وسبب إيجاد الحياة ، والإيمان يكفل بالإجابة ، ومن ثم يبدأ تحسين سلوك الفرد وسعادة المجتمع ، فالقلب لا يستقر إلا بعد أن يخوض هذه الجولة ، فيستعد آنذاك أن يكون منبعاً لصالح الأعمال والأفكار ويكون عنصراً مميزاً نافعاً لنفسه ولمحيطه .

وقد انتهجت هذه الشريعة مناهج شتى لتحقيق ما تريده ، منها: العمل على إصلاح ما يتلفظ به الفرد - بغض النظر عن حسن النية أو سوءها - ، فمنعت ألفاظاً توهم مسالك الشرك أو تبعد الفرد عن حقيقة العبودية والانتساب الإيماني ، فضلاً عن ألفاظ توهم التشاؤم واليأس ، فمعلوم أن الأسماء قوالب المعاني ودالة عليها ، فلا بد من وجود التناسب والارتباط ، بل للأسماء تأثير على المسميات ، فلذلك ينقل ابن قيم القول: (قلما أبصرت عينك ذا لقب.... إلا ومعناه إن فكرت في لقبه)¹، ومن هنا كان النبي صلى الله عليه وسلم يغيّر الأسماء .

ورسائل النور أخذت تلبّ الحقيقة عندما غيرت مصطلحات ومفاهيم تنبئ عن قطع الصلة بين العبد وربّه ، أو توهم وحشة الإنسان وانقطاع انتسابه إلى خالقه ، سواء عن غفلة أو عن قصد ، وأبدلتها بما يعزز الإيمان ويعلن عنه . فالبحث هذا يريد الوقوف عند بعض من هذه المصطلحات والمفاهيم ، ويقوم بالتحليل ويحدّد سبب المنع ، ثم يعرض بدائلها الإيمانية النورية .

وقد استدع ذلك تقسيم البحث إلى مبحثين ، الأول عن تأصيل هذا المبحث في الشريعة الإسلامية ، وعنوانه: بدائل المصطلحات والمفاهيم ومناهجها في الشريعة الإسلامية ، والثاني منهما لعرض جملة من هذه المصطلحات والمفاهيم وبدائلها النورية الإيمانية من خلال الأسس والمبادئ المعتمدة في التعديل ، وعنوانه: مبادئ وأسس تعديل المصطلحات والمفاهيم في رسائل النور . ونهي البحث إن شاء الله تعالى بالخاتمة ونتائج البحث .

الله أسأل أن يمدنا بإمداداته ، ويسهل علينا قبول الحق ويوفقنا إلى طريقه ، فينور قلوبنا بمرصاته .

المبحث الأول: بدائل المصطلحات والمفاهيم ومناهجها في الشريعة الإسلامية

أتي الإسلام إلى أرض الواقع في أوسع نطاق ، إذ هو شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء ،

1 . زاد المعاد في هدي خير العباد: 2/307.

خمس طبقات ، ويرى أن حياة الشهيد في عالم البرزخ هي من نوع خاص بحيث أنه لا يعلم أنه ميت ، إذ لا يشعر بألم الفراق عن الأحبة فلا يعلم بموته ، بل هو يشعر بأنه في عالم أفضل¹.

وكذا مما يستشهد به في استبدال المصطلحات لما لبقائها من الأثر السيء لمبادئ الإسلام وأسسها في القرآن الكريم ، قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنًا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) (البقرة: 104) ، فلا يمكن إطلاق قول لا يلائم طبيعة الشريعة ، أو هو غير سليم ووظيفة نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم ومرتبته ، فقد (كان المسلمون يقولون للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: راعنا سمعك ، وكان هذا بلسان اليهودية سباً قبيحاً ، فلما سمعوا هذه الكلمة يقولونها لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعجبتهم ، فكانوا يأتونه ويقولون ذلك ويضحكون فيما بينهم ، فنهى الله تعالى المؤمنين عن ذلك وأنزل هذه الآية، وأمرهم أن يقولوا بدل راعنا {انظرننا} أي: انظر إلينا حتى نفهمك ما نقول {واسمعوا} أي: أطيعوا واتركوا هذه الكلمة، لأنَّ الطاعة تجب بالسمع)².

وإذا ما ذهبنا إلى السنة النبوية (على صاحبها الصلاة والسلام) نرى أنه صلى الله عليه وسلم طبق هذا المبدأ في محاور متعددة من سنته صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية ، فعندما نرى في صحيح البخاري باباً عنوانه (باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه) نفهم أن الموضوع له أصالة ، فمما في هذا الباب من الأحاديث: (أن عَبْدَ الْحَمِيدِ بْنَ جُبَيْرِ بْنِ شَيْبَةَ قَالَ: جَلَسْتُ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، فَحَدَّثَنِي: أَنَّ جَدَّهُ حَزَنًا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا اسْمُكَ قَالَ: اسْمِي حَزْنٌ، قَالَ: بَلْ أَنْتَ سَهْلٌ قَالَ: مَا أَنَا بِمُعَيَّرٍ اسْمًا سَمَانِيَهُ أَبِي. قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: فَمَا زَالَتْ فِيْنَا الْحَزُونَةُ بَعْدُ)³.. فلا يقبل التشاؤم في الشريعة ، وما يجعلنا نتشائم به يعدله الإسلام بما يتقائل به، وهو المبدأ والأساس في الحياة ، فلا حياة ولا سعادة فيها من غير التفاؤل ونبيذ التشاؤم. وكذا كان اسم (زينب بنت جحش) برة ، فغيرها صلى الله عليه وسلم لما في الاسم من التزكية ، فإن البرة من البر ، وقال صلى الله عليه وسلم لا تزكوا أنفسكم فإن الله أعلم بأهل البر منكم⁴ . فهنا نرى أن سبب الاستبدال هو عدم ملائمة المصطلح السابق مع مبدأ من مبادئ الشريعة وأسسها ، فلذلك بدله النبي صلى الله عليه وسلم بما يلائم.

وهكذا لما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة ، غير الإسم من (يثرب) إلى الإسم الجديد (وهو المدينة)

بمعنى أنه دخل في جميع المرافق الحياتية ، ومن ثم تعلق بجميع أفراد المجتمع بغض النظر عن المستوى العمري والثقافي والفكري ، فما من شعبة من شعاب الحياة إلا والإسلام يترك بصماته عليها ، وما من ناحية من نواحي الكون الواسع إلا وله عليها مقال ، ومن هنا فهو لكل الناس وفي كل زمان ولكل مكان مدى الدهر ، فلا يمكن بحال تضيق الخناق عليه ووضعه في جانب مهجور معزول مغمور ، فسلطانه على الجميع ولا يتحمل التبعية والتهميش ، على نحو معاكس لما عليها الأديان الأخرى التي دخلتها الأهواء البشرية في رسم مساراتها كلما بعدت عن عصرها ، وتأثرت نتيجة هذا بموجات الحياة المختلفة وطبائع الناس المتعددة ، مما جعلتها بمنى عن الحياة العامة وفقدت القدسية والصدارة ، وصارت تابعة لا متبوعة.

فلإسلام أسسه الفكرية ، وله دستوره الذي لا يمكن الخروج عليه ، ففيه الثوابت وفي المقابل هناك المتغيرات وفق إطار محدد مضبط بعلوم متعددة من أصول الفقه والتوحيد واللغة وغيرها. ومما يذكر له أن عنده استقلالية في اختيار المصطلحات والمفاهيم بما يلائم هذه المبادئ والأسس ، فضلا عن التشريع في المجالات الاقتصادية والاجتماعية وغيرها من مجالات الحياة ، وهذا من حقه ، فلا يستساغ مع رسم كل هذه الأسس والقوانين والدساتير الثابتة أن يقبل في عالم الكلمات والمفاهيم كلما هب ودب في دنيا المصطلحات والأفكار ، والحال أن المصطلحات والأفكار في زيادة ونقص دائمين ، فهناك الجديد الحديث الذي لم يسبق أن وجد ، وهناك القديم المتداول المنتشر ، فيأتي الدين ويترك أثره على الكل ، فيبدل غير المنسجم ومبادئه ويأتي بالبدل ، ويبقى المقبول على حاله.

ففي القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة الكثير من البدائل للمصطلحات والمفاهيم والأفكار ، ولو قمنا بتأصيله نجد أن البديل هو الملائم والمنسجم مع المبادئ المرسومة والأسس الفكرية والعلمية الثابتة. فعندما نقرأ الآية الكريمة: ((وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ)) (البقرة: 154) ، تجعلنا أمام إثبات مصطلح خاص لفئة خاصة ، وهي في محل تثني غير ما تعود الناس عليه ، وفي هذا البديل الجديد نلاحظ البعد الفكري والعقدي ، فإثبات لفظ ونفي لفظ آخر ليس اعتباطاً ، وإنما أتى بعد حقيقة راسخة ينبغي الاعتقاد بها والتسليم لها ، والآية هنا تريد أن تخبرنا بنوع من الحياة الخاصة إكراماً للشهداء ، لأن الحياة البرزخية عامة لكل من ذاق الموت من المكلفين ، إلا أن تخصيص فئة الشهداء بمصطلح الحياة فيه أمور ، منها: أن حياتهم غير حياة العامة أحياء أو أمواتاً ، هذا من حيث المفهوم ، ومن حيث المصطلح كذلك ، فلا يوصف خروجهم عن دار الدنيا بالموت كما يوصف به العموم ، بل لابد أن نقول فيهم أنهم أحياء. ومما لا يستغنى عنه هنا هو رأي الأستاذ النورسي حول أنواع الحياة وطبقاتها وحياة الشهيد على سبيل الخصوص ، فقد قسّم الحياة عموماً إلى

1 . ينظر : المكتوبات: 5 . وما بعدها.

2 . الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 123.

3 . كتاب بدء الوحي ، 8 / 54 رقم الحديث: 6193.

4 . فتح الباري: 10 / 576.

عليه وسلم أن قرب الشاب إلى نفسه وجعلت الركبة بركبته ، ثم هز فكره بما ذكر ، وأخيراً عالجها علاجاً معنوياً بالدعاء له. ومن هنا حصلت النتيجة.

وكذلك من الطروحات البديلة في السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام ، طرح البديل بوضع سبب مُعين فعلي للحالة ، ومن الأمثلة على ذلك الأسلوب ، ما رواه أبو ذر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: (إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس؛ فإن ذهب عنه الغضب ، وإلا فليضطجع) ^١. فبعد أن نصحنا صلى الله عليه وسلم في أحاديث أخرى بعدم الغضب ولكن من غير ذكر البديل ^٢ ، هنا وليكون تطبيق الطلب أسهل ، ولكي يغير التفكير الوارد عند اشتداد غضب المرء ، طرح صلى الله عليه وسلم المُعين والبديل ، وهو الجلوس ، أو الاضطجاع ، وفي حديث آخر طرح صلى الله عليه وسلم السكوت ^٣.

إذاً الملاحظ أن البديل في الشريعة الإسلامية ذو وجوه وحيثيات متعددة ، فقد تطرح البدائل بـ:

أ. الأسلوب القولي ، مثل ما ورد بصيغة (لا تقولوا) في الآيات القرآنية.

ب. أو بتغيير النظرة وهز الفكر وتنشيطه للتفكير السليم ، وذلك بقطع الهوى عن الفكر كي يفكر ويقرر سليماً ، فالفكر المستقيم يعتمد على العقل والقلب والواقع والسنن الكونية والفطرية كي يصل إلى نتيجة توافق ضوابط الشريعة والأعراف الصحيحة والفطرة السليمة.

ج. الأسلوب الجسدي والفعلية في البديل.

المبحث الثاني: مبادئ وأسس تعديل المصطلحات والمفاهيم في رسائل النور

نلامس من خلال نصوص رسائل النور وأفكارها المبتوثة - صراحة أو إشارة - جملة من المبادئ والأسس التي تبنت الرسائل عليها مسارها الإيماني والفكري والتربوي ، ونلاحظ ترسيخ هذه المبادئ

1. أخرجه أبو داود في سننه: 7 / 162 برقم (4782)، وأحمد في المسند: 35 / 278 برقم 21348 وسند أحمد جيد عند الحافظ العراقي في المغني: 2/846، وقال الهيثمي عن سند أحمد في مجمع الزوائد: 8/70 ، رجاله رجال الصحيح.

2. مثل ما صح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني، قال صلى الله عليه وسلم: (لا تغضب) ، فردد مراراً ، قال صلى الله عليه وسلم له في كل مرة: (لا تغضب). أخرجه البخاري في صحيحه: 35/ 8 برقم 6116 ، باب: الحذر من الغضب ، كتاب بدء الوحي.

3. كما أخرج الإمام السيوطي بسند حسن في الجامع الصغير عن ابن عباس رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا غضب أحدكم فليسكث). الجامع الصغير: 1 / 52 برقم (768).

، فقد صح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَمْرٌ بِعَرِيَّةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى. يَقُولُونَ: يَتْرُبُ. وَهِيَ الْمَدِينَةُ. تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ حَبَّتَ الْحَدِيدِ) ^١. يقول الإمام النووي في شرح الحديث: (يعني أن بعض الناس من المنافقين وغيرهم يُسْمُونَهَا يَتْرِبَ ، وَأَمَّا اسْمُهَا الْمَدِينَةُ وَطَابَةُ وَطَيْبَةُ، فَفِي هَذَا كِرَاهَةُ تَسْمِيَّتِهَا يَتْرِبُ ، وَقَدْ جَاءَ فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ حَدِيثٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِرَاهَةِ تَسْمِيَّتِهَا يَتْرِبُ ، وَحُكِيَ عَنْ عَيْسَى بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ سَمَّاهَا يَتْرِبُ كُنِبَتْ عَلَيْهِ حَظِيئَةٌ. قَالُوا: وَسَبَبُ كِرَاهَةِ تَسْمِيَّتِهَا يَتْرِبُ لَفْظُ التَّثْرِبِ الَّذِي هُوَ التَّوْبِيخُ وَالْمَلَامَةُ) ^٢. فعندما يشف من الاسم مالا يحمد ، فالمبدأ هو التغيير والتبديل بما تستطاب السمع والنفس بسماعه، سواء كان من الناحية العقدية أو الاجتماعية أو الفكرية.

ونلاحظ هذا أيضاً في البدائل الفكرية والفعلية التي وصفها النبي صلى الله عليه وسلم ، فعندما أتى الفتى الشاب إلى مجلسه صلى الله عليه وسلم وطالبه بطلب فيه من الغرابة ما اشمئز منه الجلساء ديناً وخُلُقاً واجتماعياً وظرفاً من حيث الزمان والمكان ، إذ طلب الإذن له بالزنى أمام مسمع من الناس ومرئاهم ^٣ ، فالنبي المعلم هنا صلى الله عليه وسلم لم يغضب عليه ولم يجره ، وإنما هز فكر الشاب بحوار هاديء ليخرج من خلاله بنتيجة قبح الطلب والفعل ، فضلاً عن معالجته من الجانب المعنوي بالدعاء له وملامسة قلبه وصدوره كي يزكبه الله تعالى من هذا الداء ، فقال صلى الله عليه وسلم: (أتحبه لأمك؟ ، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، فقال صلى الله عليه وسلم: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم) ، ثم ذكر له صلى الله عليه وسلم الإبنة ، والأخت ، والعمة ، والخالة ، وجاوبه الشاب بنفس الجواب ، ثم وضع صلى الله عليه وسلم اليد على صدر الشاب وقلبه ، وقال: (اللهم اغفر ذنبه، وظهر قلبه، وحصن قَرَجَه) ، وهنا يقول الراوي: فلم يكن ذلك الفتى بعد يلتفت إلى شيء.

فطرح البدائل الأخرى لحالة الشاب من مثل: الزواج أو الصوم أو الصبر ، ليس ملائمة له ، فإذ ذلك وضع صلى الله عليه وسلم له البديل المؤثر ، فمهد أولاً ليفكر الشاب سليماً ، فأول ما فعله صلى الله

1. صحيح مسلم: 4/120 برقم 488 باب: المدينة تنفي الخبث ، وصحيح البخاري: 3/26 برقم 1871 باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس. كتاب بدء الوحي.

2. شرح النووي: 9/154

3. أخرجه الإمام أحمد في مسنده: 36 / 545 برقم 22211 ، قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار 1 / 592: رواه أحمد بإسناد جيد، ورجاله رجال الصحيح.

أوسع ومن حيث مدلولها الفكري والعقلي.

ومن خلال ما سبق وبعد الاستقراء وبمراجعة الخلفية التراكمية للتواصل مع هذا النبع الفياض، يمكن تحديد أهم هذه المباديء والأسس المرعية في موضوع بدائل المصطلحات والمفاهيم في الآتي:

ترسيخ الارتباط بالله وأسمائه:

قلما نجد مبحثاً من المباحث الإيمانية في الرسائل ، إلا وهي تربطنا بحقيقة ثابتة راسخة نبعت من الأسماء الإلهية الحسنى ، لأن الأستاذ وضع أساساً مبدئياً في الموضوع ، إذ يقول: (إن لكل كمال، ولكل علم، ولكل تقدم، ولكل فن - أياً كان - حقيقة سامية عالية. وتلك الحقيقة تستند الى اسم من الاسماء الحسنى، وباستنادها الى ذلك الاسم - الذي له حُجُب مختلفة، وتجليات متنوعة، ودوائر ظهور متباينة - يجد ذلك الفن وذلك الكمال وتلك الصنعة، كلٌ منها كماله، ويصبح حقيقةً فعلاً، وإلا فهو ظل ناقص مبتور باهت مشوش)¹، ويضرب أمثلة بعد هذا للتوضيح والبيان بأمثلة من علم الهندسة والطب والفيزياء وغيرها. ومن هنا فأينما توجه المرء وسار ، فهو داخل تجليات هذه الأسماء ولا بد أن يكون فطناً يدرك هذا ويستشعر بها ، وحينذاك يرتبط قلبه بالله ويكون أهلاً لدخوله في عداد عباد الله الصالحين. وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم كثير السعي لترسيخ هذا الارتباط بين العبد وربيه ، بدءاً من أصغر الأمور إلى أكبرها. فالمريض عندما لا يشتهي الأكل بطبعه ، نرى الرسول صلى الله عليه وسلم يفصح عن الحقيقة التي وراء هذا ، ويجعلنا على صلة بالله في تفكيرنا عند هذا الأمر الجزئي ، الذي هو خارج كيانتنا وفي محيطنا ، فكيف بما يحدث بداخلنا ؟ ، إذ ورد عنه صلى الله عليه وسلم - كما صح عن الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف . رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قال: (لَا تُكْرَهُوا مَرَضَاكُمْ عَلَى الطَّعَامِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُطْعِمُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ)².

ومن الأمثلة على تبديل المصطلحات على هذا الأساس - وهو أساس قرآني - ، قول الأستاذ: (نعم، إن القرآن الكريم «المقروء» هو أعظم تفسير وأسماءه، وأبلغ ترجمان وأعلاه لهذا الكون البديع، الذي هو قرآن آخر عظيم «منظور». نعم، إن ذلك الفرقان الحكيم هو الذي يرشد الجن والإنس إلى الآيات الكونية التي سطرها قلم القدرة الإلهية على صحائف الكون الواسع ودبجها على أوراق الأزمنة والعصور.

1 . الكلمات: 290 . 291.

2 أخرجه البيهقي في مجمع الزوائد: 5 / 86 برقم 8286 ، وقال: رَوَاهُ النَّبْرَازُ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَلَمْ أَعْرِفْهُ وَلَا مَنْ رَوَى عَنْهُ، وَتَبَيَّنَ رِجَالُهُ بِقِيَامَاتِهِ. وصححه الحاكم على شرط مسلم في المستدرک: 4 / 455 برقم 8259، ووافقه الذهبي.

في شتى مباحثها المتفرقة ، بما فيها مبحث استبدال المصطلحات والمفاهيم بالأنسب من حيث الخلفية الإيمانية ، فاللغة ودائرة المصطلحات والمفاهيم المستعملة بين الناس في تحرك دائم ورفع وخفض مستمر ، فلا يمكن فتح الباب على مصراعيه للقبول ، ولا المواجهة بالانكار والاستتكار من غير روي ووقوف ، لأن العقل وإدراكات البشر القلبية والفكرية ، وتأملاته ولطائفه وخياله في نتاج مستمر ونسج دائم ما دام الروح يسري في الجسد ، فضلاً عما يجنيه الفرد من تجاربه وتنقياته الجسدية العضلية ، فلو وقف موقف المعادي أمام الكل أو القبول للكل ، لاختل التوازن من الجانبين ، وسلطنا مسلكاً غير مقبول عقلاً وشرعاً وعرفاً.

ومن جانب ثان فإن الرسائل مع اهتمامها بالمسائل الجليلية العظيمة التي هي شغلها الرئيس ، كذلك شأنها من الاهتمام بصغائر الأمور والمسائل ، لأنها تكون في لاحق الزمان جلية وكبيرة ، فضلاً عما نلاحظه من أن معاطم الأمور كانت بدايتها ونواتها صغيرة ، يقول الأستاذ: (إن رسائل النور لا ترمم تخريبات جزئية، ولا ترمم بيتاً صغيراً مهدماً وحده، بل تعمّر أيضاً تخريبات عامة كلية، وترمم قلعة محيطة عظيمة - صخورها كالجبال - تحتضن الإسلام وتحيط به ، وهي لا تسعى لإصلاح قلب خاص ووجدان معين وحده، بل تسعى أيضاً - ويدها إعجاز القرآن - لمداداة القلب العام، وضمان الأفكار العامة المكلومة بالوسائل المفسدة...)¹. ومن هذا المنطلق فقد اهتمت رسائل النور بالكلمات والتعابير المترددة على الألسنة و المستعملة في مسيرة حياة الفرد ، لأنها تعبر عن ثلاثة أمور، لا غير:

أولها: إيمان الشخص وتمسكه بمباديء الدين والشرائع الدينية والفطرية والخلقية.

والثاني: وقوفه في جبهة معادية للدين والثقافة الدينية والقوانين الأخلاقية.

والثالث والأخير: عدم المبالاة ، وتمشية الحياة كيفما أتت ، كالريشة في معترك الرياح.

وبما أن الرسائل بينت خطورة العاقبة ومستقبل الإنسان بحيث لا يمكن التغافل عنها ، ولا يريح إلا بالإيمان والتصديق بحقائقه ، إذ لا يمكن التعامل مع هذه الحقائق على الطريقة الثانية أو الثالثة. ومن هنا فالاهتمام بكل ما من شأنه خدمة الحقائق الإيمانية وترسيخ أركانها ضرورة كضرورة الأكل والشرب لاستمرار الحياة ، ولا تحصر آنئذ المسألة في كلمات أو مفاهيم محددة ، بل لابد أن ننظر إليها بنظرة

1 . الشعاعات: 211.

لا تجد من الألف إلا واحداً يضل باسم العلم. وإذا ما وجد ضالون من هذا النوع ربما يسترشد منهم واحد من الألف. ذلك لأن أمثال هؤلاء يعجبون بأنفسهم، فمع أنهم يجهلون يعتقدون أنهم يعملون. واني اعتقد ان الله سبحانه وتعالى قد منح ((الكلمات)) المعروفة، التي هي لمعات معنوية من اعجاز القرآن الكريم خاصة الدواء الشافي والترياق المضاد لسوم زندقة هذه الضلالة في هذا العصر¹. ويؤكد هذا في مواضع أخرى ، منها قوله: (إن الأسس الإيمانية كانت رصينة متينة في العصور السابقة، وكان الانقياد تاماً كاملاً، إذ كانت توضيحات العارفين في الأمور الفرعية مقبولة، وبياناتهم كافية حتى لو لم يكن لديهم دليل. أما في الوقت الحاضر فقد مدت الضلالة باسم العلم يدها إلى أسس الإيمان وأركانها)² ، وهذا ما حدا به أن قال: (لو كان مولانا جلال الدين الرومي في هذا العصر لكتب رسائل النور، ولو كنت أنا في ذلك العصر لكتبت المثوي)³.

فرسائل النور لا تهرب من الواقع ، بل هي تصمد أمام متطلباته الفكرية والعلمية وتواجهه بثبات وبرهان، ومن هنا تأتي بالبدايل الإيمانية العلمية الرصينة المستنبطة من روح الشريعة والمقاصد القرآنية المستلهمة من آياتها المباركة.

فعندما لا تقبل المدنية الغربية الحاضرة أو الحضارة الأوروبية ومدنيتها وتهاجم عليها لأن أسسها السلبية ومضارها كثيرة على الفرد والمجتمع ، منها الأسس السلبية الخمسة⁴، تأتي وهي تبيين البديل المناسب من القرآن ، وتسميها بمدنية الشريعة المحمدية أو المدنية الحقيقية أو الفضلى. وإليك البيان من الرسائل ، فالأستاذ يقول أن الأسس السلبية للمدنية الغربية ، هي: (

1- نقطة استنادها وركيزتها: القوة، وهذه من شأنها: التجاوز والاعتداء.

2- هدفها وقصدتها: المنفعة، وهذه من شأنها: التزاحم.

3- دستورها في الحياة: الجدل والصراع، وهذا من شأنه: التنازع.

4- رابطتها بين الكتل البشرية هي العنصرية والقومية السلبية التي تنمو وتتوسع بابتلاع الآخرين

وهو الذي ينظر إلى الموجودات -التي كل منها حرف ذو مغزى- بالمعنى الحرفي، أي ينظر إليها من حيث دلالتها على الصانع الجليل. فيقول: ما أحسن خلقه! ما أجمل خلقه! ما أعظم دلالته على جمال المبدع الجليل. وهكذا يكشف أمام الأنظار الجمال الحقيقي للكائنات.

أما ما يسمونه بعلم الحكمة وهي الفلسفة، فقد غرقت في تزيينات حروف الموجودات، وظلّت مبهوتة أمام علاقات بعضها ببعض، حتى ضلّت عن الحقيقة. فبينما كان عليها أن تنظر إلى كتاب الكون نظرتها إلى الحروف -الدالة على كاتبها- فقد نظرت إليها بالمعنى الاسمي، أي إن الموجودات قائمة بذاتها، وبدأت تتحدث عنها على هذه الصورة فتقول: ما أجمل هذا! بدلا من: ما أجمل خلق هذا، سالبة بهذا القول الجمال الحقيقي للشيء. فأهانت بإسنادها الجمال إلى الشيء نفسه جميع الموجودات)¹.

ويذكر الموضوع في مكان آخر بقوله: (ومجمل القول: إجعل حبك للدينا وما فيها من مخلوقات بالمعنى «الحرفي» وليس بالمعنى «الاسمي» أي لمعنى ما فيها وليس لذاتها. ولا تقل لشيء: «ما أجمل هذا» بل قل: «ما أجمله خلقا» أو «ما أجمل خلقه»! وإياك أن تترك ثغرة يدخل منها حب لغير الله في باطن قلبك)².

مواكبة الواقع ومستجداته والتعامل معه على أساس المبادئ الثابتة:

من المتفق عليه بين العلماء أن البيئة والواقع الذي يلامس حياة الفرد ويحيطه من كل جانب ، يترك آثاره وبصماته عليه ، ومن هنا راعت الشريعة الوقائع والأعراف المختلفة وتقبل منها ما يلائم المبادئ العامة وقواعد الحلال والحرام الثابتة ، وما البيان القرآني القائل: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (الأعراف:199) إلا لتوضيح هذا المبدأ.

وقد كان النورسي رحمه الله فهم هذه الحقيقة جيدا عندما أتى إلى ميدان الدعوة والتربية ووضع الأسس لها ، وما ولادة رسائل النور إلا تلبية لمتطلبات العصر ومحاورة أبناءه بلغتهم ، يقول الأستاذ: (فيا أخي! انك تعلم جيدا أن الضلالة إن كانت ناجمة من الجهل فإنها تيسر وسهل. ولكن إن كانت ناشئة من العلم فإنها عسير ومعضل. وقد كان هذا القسم الأخير نادراً فيما مضى من الزمان، وربما

1 المكتوبات: 28.

2 المكتوبات: 477.

3 سيرة ذاتية: 604.

4 لأن الاستاذ يقول عنها: (إن المدنية (وهي بلا ميم) ، أي المدنية). المكتوبات: 50.

1 الكلمات: 141 . 142

2 الكلمات: 751.

ويوضح هذا الكلام بتفصيل أكثر في مكان آخر بقوله: (كل من لديه استعداد وقابلية على الاجتهاد وحائز على شروطه، له أن يجتهد لنفسه في غير ما ورد فيه النص، من دون أن يلزم الآخرين به، إذ لا يستطيع أن يشرع ويدعو الأمة الى مفهومه. إذ فهمه يُعدّ من فقه الشريعة ولكن ليس الشريعة نفسها، لذا ربما يكون الانسان مجتهداً ولكن لا يمكن ان يكون مشرعاً. فالدعوة الى اي فكر كان مشروطة بقبول جمهور العلماء له، والآ فهو بدعة مردودة. تتحصر بصاحبها ولا تتعداه. لأن الإجماع وجمهور الفقهاء هم الذين يميزون ختم الشريعة عليه)¹.

إذا في مقابل الشريعة هناك الفقه والاجتهاد ، ولا يمكن التسوية بين المصطلحين ، فالأصل هو الأول وهو الحامل للحقيقة والصواب حتماً متى وجد ، بينما الثاني فهم البشر وهو معرض للخطأ والمناقشة ، مع هذا فهذه الاجتهادات تصح أن توصف بالشرعية إذا لم تكن مشوبة بالفلسفة المادية أو التبعية للهوى أو الأرضية . كما في تعبير الأستاذ . ، إذ التدخل في عبادة العباد دون الرخصة أو الإذن المعنوي ، وتعلق هذه الاجتهادات بالأرض دون السماء مما يجعلنا أن نصفها بأنها غير مقبولة ولا شرعية²، فأساس شرعيتها ينبع من مدى تعلقها بالشريعة وروحها ، فكلمة بعدت عن النصوص الشرعية الثابتة ومقاصدها ، كلما ازدادت بعداً عن واقع الحياة الدينية والاعتبار والشرعية.

ومن جانب آخر فالأستاذ يصف الاجتهادات بأنها مرايا عاكسة للقرآن ومناظير إليه ، فلا يمكن توصيفها بأنها الظل للشريعة أو الوكيل عنها ، فالشريعة لا ترضى بالظل ولا بالوكيل³ ، وهذا فيصل التفرقة بين الشريعة والاجتهادات الواردة حولها ، فلا يطلق على الفقه واجتهاد الفقهاء الشريعة على سبيل الحقيقة ، وإنما تصح الوصف بالشريعة أو يختم الاجتهاد بختم الشريعة بأمرين: أولهما بعد أن يتلقى القبول من الجميع المسمى بالإجماع ، أو حظي قبوله برأي جمهرة العلماء .

ومن جانب ثان متعلق فلا يمكن حصر الحق في الاجتهادات والآراء والأفكار الشخصية ، فهذا مدعاة التطرف والغلو والتعصب ، فمن هنا وضع الأستاذ قاعدة ذهبية ، أن من حقنا إدعاء الحق أو حتى الأحقية ، ولكن لا ينبغي ادعاء حصر الحق فهذه الدعوة غير مقبولة ، يقول الأستاذ: (لا بد أن يكون (هو حق) بدلاً من (هو الحق). و (هو حسن) بدلاً من (هو الحسن). إذ يحق لكل مسلم أن يقول في مسلكه ومذهبه: إن هذا (حق) ولا أتعرض لما عداه. فإن يك جميلاً فمذهبي أجمل. بينما لا يحق

1 الكلمات: 832.

2 ينظر: الكلمات: 557.

3 الكلمات: 830.

وشأنها التصادم الرهيب .

5. خدمتها للبشرية خدمة جذابة: تشجيع الهوى والهوسات وتلبية رغبات النفس الأمانة ذلك الهوى الذي هو سبب لمسوخ الانسان مسخاً معنوياً).

ثم يأتي يتكلم عما أتت بها الشريعة ، ويقول: (أما المدنية التي تتضمنها الشريعة الأحمدية وتأمّر بها:

فإن نقطة استنادها: الحق بدلاً من القوة، والحق من شأنه: العدالة والتوازن.

وهدها: الفضيلة بدلاً من المنفعة، والفضيلة من شأنها: المودة والتجاذب.

جهة الوحدة فيها: الرابطة الدينية والوطنية والصنافية بدلاً من العنصرية والقومية، وهذه الرابطة من شأنها: الأخوة المخلصة والمسالمة الجادة والدفاع فقط عند الاعتداء الخارجي.

دستورها في الحياة:التعاون بدلاً من الجدل والصراع، والتعاون من شأنه: الاتحاد والتساند.

وتضع الهدى بدلاً من الهوى، والهدى من شأنه:رفع الانسان روحياً الى مراقي الكمالات)¹.

فمن قارن بين الفهمين ورأى واقعهما على أرض العمل ، لا يمكن له القبول بمفهوم أو مؤدى فكري يذهب بالفرد والمجتمع إلى الهاوية والخسران ، ويجعله أنانياً لا يحسب الحساب لغير من على منواله في العيش والتفكير ، ويجعل نفسه وأهوائه المقياس لمعرفة الحق والحقيقة.

تقديس الشريعة ونصوصها وجعلها الأساس والمنطلق:

كثيراً ما يريد الأستاذ أن يوضح سمو الشريعة وقديسية نصوصها ، وقد سلك مسالك شتى لتقرير هذه الحقيقة السامية. فعندما يقارن بين الفقه والشريعة ، أو بين النصوص المقدسة وفهم العلماء لها ، يقول: (كل من يملك استعداداً للاجتهاد يستطيع أن يجتهد لنفسه ، إلا أنه لا يستطيع أن يشرع)².

1 المكتوبات: 597 . 598.

2 المكتوبات: 593.

ففي عينك نهار لكنه بياض مظلم، وفيها سواد لكنه منور. فان لم يكن فيها ذلك السواد المنور، فلا تكون تلك الشحمة عيناً، ولا تقدر على الرؤية. وهكذا، لا قيمة لبصر بلا بصيرة. فإن لم تكن سويداء القلب في فكرة بياض ناصعة، فحصيله الدماغ لا تكون علماً ولا بصيرة. فلا عقل دون قلب¹.

وهكذا فالعقل غير مقبول إدراكاته وغير مأمون تطلعاته ما لم يرتبط بخالقه ويعمل تحت مظلة شريعته وفي رضائه، يقول الأستاذ: (العقل عضو وآلة، إن لم تبعه . يا أخي . الله ولم تستعمله في سبيله، بل جعلته في سبيل الهوى والنفس، فانه يتحول الى عضو مشؤوم مزعج وعاجز، اذ يحمك آلام الماضي الحزينة وأهوال المستقبل المخيفة، فينحدر عندئذ الى درك آلة ضارة مشؤومة، ألا ترى كيف يهرب الفاسق من واقع حياته وينغمس في اللهو أو السكر انقاداً لنفسه من ازعاجات عقله؟ ولكن اذا بيع العقل الى الله، وأستعمل في سبيله ولأجله، فانه يكون مفتاحاً رائعاً بحيث يفتح ما لا يعد من خزائن الرحمة الإلهية وكنوز الحكمة الربانية فاینما ينظر صاحبه وكيفما يفكر يرى الحكمة الإلهية في كل شيء، وكل موجود، وكل حادثة. ويشاهد الرحمة الإلهية متجلية على الوجود كله، فيرقى العقل بهذا الى مرتبة مرشد رباتي يهئ صاحبه للسعادة الخالدة)²، فلذلك لا عقل ولا اعتبار له من غير الإيمان، يحدثنا الأستاذ الآن عما شاهده من الحقيقة ووصل إليه مطمئناً، حيث قال: (وشاهدت السنن كالحبال المتدلّية من السماء، من استمسك ولو بجزئي استصعد واستسعد. ورأيت من خالفها واعتد على العقل الدائر بين الناس، كمن يريد ان يبلغ اسباب السموات بالوسائل الارضية فيتحمق كما تحمق فرعون بـ (ياها مان ابن لي صرخاً..)³.

ويوضح جانباً آخر من المسألة بحيث لا يمكن التغافل عنها من حيث طبيعة العقل ومقدرته في الدفاع والتصدي أمام الهجمات الشرسة عليه، ويرى بأن العقل قد يقع تحت طائلة الأهواء وينهزم أمام سيلها، وهكذا شأن توأمه الذي هو القلب، فالقلب والعقل على دوام المعركة مع الأهواء والنفس الأمارة بالسوء الإنساني، يقول الأستاذ: (فإن القلب والعقل اللذين هما محل الإيمان، يسكتان، فيغلبان على أمرهما. فلا يكون عندئذ ارتكاب الكبائر ناتجاً من عدم الإيمان، بل من غلبة الهوى وسيطرة الوهم والحس المادي، وانهزام العقل والقلب وغلبة كل أولئك عليهما)⁴.

له القول في مذهبه: إن هذا هو (الحق) وما عداه باطل. وما عندي هو (الحسن) فحسب، وغيره قبيح وخطأ!¹. ولكن الشريعة لا تقبل إلا الحق ولا توصف إلا به، يقول سبحانه: (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ)(البقرة:147)، وقال: (... لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) (يونس: 94)، وقال أيضاً: (فَلَنْ يَأْتِيَهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) (يونس: 108).

إحترام العقل وتطلعاته مع بقائه مكلفاً تحت مظلة الشريعة:

مباحث العقل في رسائل النور متشعبة ومتعددة، فهناك بيان لأهميته ومكانته وتبجيل لإدراكاته، وفي المقابل هناك التصدي لمن يرى الاكتفاء به وحصر العلم والمعرفة في طريقه وعن طريقه. فالإنسان مكون من لطائف مختلفة متعددة، وهذا ما أهله بأن يكون سيّد المخلوقات ومشرفاً عليها بخطاب الكلام الإلهي، ويكون أهلاً لجنان خالدة في حياة أبدية، نعم صحيح أن العقل مدار التكليف، ولكن لا يحصر الإنسان وأهميته في عقله فقط، بل هناك القلب والحس والشفقة وغيرها.

الأستاذ النورسي في موضع أهمية العقل ومكانته، يقول: (من الأصول المقررة أنه: إذا تعارض العقل والنقل، يعدّ العقل أصلاً ويؤوّل النقل، ولكن ينبغي لذلك العقل أن يكون عقلاً حقاً)². ويمكن أن يفهم المقصود من هذا العقل الذي أراده الأستاذ من خلال توضيح له في موضع آخر عندما قال: (لأن عقل كل أحد لا يكفي في درك العدالة احتاج النوع الى عقل كلي للعدالة يستفيد منه عقل العموم. وما ذلك العقل الآ قانون كلي، وما هو إلا الشريعة)³.

فتبين أن أمر العقل في وصوله إلى الحقائق ليس على إطلاقه، فمثلاً لا يعد بالعقل عنده ما لم يكن ممتزجاً مع القلب ووظيفته، ومتعاوناً معه، فقد قال: (لا يتنور الفكر من دون ضياء القلب. فإن لم يمتزج ذلك النور وهذا الضياء، فالفكر ظلام دامس يتجبر منه الظلم والجهل. فهو ظلام قد لبس لبوس النور (نورالفكر) زوراً وبهتاناً.

1 الكلمات: 832 . 833.

2 الكلمات: 23.

3 المثوي: 170 . 171.

4 للمعات: 108.

1 الكلمات: 849 . 850.

2 صيقل الإسلام: 27.

3 إشارات الإعجاز: 144.

لديهم دليل. أما في الوقت الحاضر فقد مدّت الضلالة باسم العلم يدها الى أسس الإيمان وأركانها¹ ، ثم يبين أن رسائل النور هي من قامت بالمواجهة ولم تترك الساحة لها ، ونجحت في صدها والحدّ من غطرستها ، إذ يقول: (وإني أعتقد أن الله سبحانه وتعالى قد منح ((الكلمات)) المعروفة، التي هي لمعات معنوية من إعجاز القرآن الكريم خاصة الدواء الشافي والترياق المضاد لسوم زندقة هذه الضلالة في هذا العصر)².

فلذلك حارب الأستاذ ضمن معركته الفكرية وتصديه لموجة فكر الإلحاد كل ما من شأنه أن يشم منها رائحة الكفر وعدم الارتباط بالله ، وقد ألف رسالة الطبيعة ، وهي اللعة الثالثة والعشرون من كتاب (اللغات) ضمن كليات رسائل النور ، في مواجهة ثلاث كلمات يتقوه بها الناس على سبيل الإنكار وعن قصد ، أوع غفلة وتيه لمدلولها الخطيرة ، يقول الأستاذ: (علم ان هناك كلمات رهيبه تفوح منها رائحة الكفر النتنة، تخرج من أفواه الناس، وتردها أسنة أهل الإيمان دون علمهم بخطورة معنى ما يقولون، وسنين ثلاثاً منها هي الغاية في الخطورة:

أولها: قولهم عن الشيء: ((أوجدته الأسباب)) أي: أن الأسباب هي التي توجد الشيء المعين.

ثانيها: قولهم عن الشيء: ((تشكّل بنفسه)) أي: أن الشيء يتشكّل من تلقاء نفسه، ويوجد نفسه بنفسه، وينتهي الى صورته التي انتهى إليها كما هي.

ثالثها: قولهم عن الشيء: ((اقتضته الطبيعة)) أي: أن الشيء طبيعي، والطبيعة هي التي أوجدته واقتضته³.

والأستاذ هنا يعرض البديل المقبول عن كل من هذه الألفاظ الثلاثة الموحاة بقطع الصلة مع الله ومن ثمرات الفكر السيء والعقل البعيد عن الموازين ، ويبين البديل المقبول ، وهو: (إن قدرة الخالق القدير ذي الجلال هي التي توجد) ⁴ ، كل هذا بعد حوارات واسعة ومفصلة وطويلة لبيان محالات الألفاظ الثلاثة من أوجه متعددة. فالأستاذ يبين هنا أن العقل عندما يفقد الموازين يتأتى منه مثل هذه

فمن هذا المنطلق فلا يمكن الاعتماد على العقل وحده ، وهو بوحده غير قادر على مواجهة متطلبات الحياة وتلبية رغبات حتى الفرد الآتية واللاحقة فكيف المجتمع برمته ، فأساس الحياة التعاون بين المكونات الحية منها والجمدة وغيرها من الأنواع ، فلذلك صحيح إذا قلنا أنه ليس في إمكانه الوصول إلى الإيمان وحقائقه مجرداً عن نظرائه ومساعداتهم من اللطائف الأخرى ، فالأستاذ يقرر هذا بقوله: (عدم بلوغ العقل قسماً من حقائق الإيمان الواسعة للغاية والسامية جداً، وعدم استطاعته الاحاطة بها، مع عدم انكشاف العقل انكشافاً تاماً من حيث الإيمان)¹ ، ويقول مكملاً لهذه الحقيقة وترسيخاً لها في موضع آخر - وقد سبق نقله من إشارات الإعجاز: 144 - ، وهو عن إدراك العدالة ، إذ لا يمكن إلا بالعقل الكلي الذي هو الشريعة.

فلذلك من خصائص الرسائل وميزتها كما قاله الأستاذ: (ثم إن الرسائل ليست كبقية مصنوعات العلماء تسير على وفق خطى العقل وأدلته ونظراته، ولا تتحرك كما هو الشأن لدى الأولياء المتصوفين بمجرد أدواق القلب وكشوفاته.. وإنما تتحرك بخطى اتحاد العقل والقلب معاً وامتزاجهما)².

ومن هنا فلا يمكن أن يقال أن ما بلغه العقل البشري من التطور والاكتشافات العلمية يفى بالغرض ، وليس للعقل والعلم الحاجة إلى مكمل آخر ، كما اشتهر أثناء الثورة العلمية في أوروبا وبطبيعة الحال ونظراً للانتصارات الغربية في ميادين العلم والسياسة وتراجع النظام الديني الكنسي والتأييد الشعبي للعلم والعلماء وما لقيه العلماء في بداية العصر من التصرفات المشينة من رجالات الكنيسة ، كل هذا مما حدا بغرور أهل العقل إلى عدم قبول أي دين أو مذهب ما لم يرض به العلماء الطبيعيون ، وكان على الجميع الابتعاد عن كل ما له عداوة مع العلم وأهله ، حتى قال أحدهم (العلم كاسح لكل ما هو أمامه ، ولم تعترض طريق العلم نحو التقدم أية عقبة ، ولا حاجة إلى الدين أو الإله)³ ، فالإغرار بالعقل والعلم والاكتفاء بهما في ميادين الحياة وشعبها المختلفة متعددة من أخطر ماصدمت البشرية بها ، وهي المعركة الحامية والحادة التي عاصرها الأستاذ النورسي وصار رائداً فيها ، فقد قال . وقد سبق أن نقلنا النص مرة أخرى :: (إن الأسس الإيمانية كانت رصينة متينة في العصور السابقة، وكان الانقياد تاماً كاملاً، إذ كانت توضيحات العارفين في الأمور الفرعية مقبولة، وبياناتهم كافية حتى لو لم يكن

1 المكتوبات: 477.

2 المكتوبات: 28.

3 اللغات: 247.

4 اللغات: 247.

1 اللغات: 57.

2 الملاحق: 99.

3 ينظر: محاضرات غير منشورة في مادة (مدخل إلى علم الأديان): 15.

يضرب الأستاذ مثلاً ويقول فيه: (تأملوا! إذا دخل أحدكم في بستان رائع جميل يشتمل على أنواع الأزاهير والثمرات، لأجل أن ينتزه فيه ويستجم ساعة من الزمان. وكانت في بعض جوانب البستان بعض العفونات والنجاسات - حيث أن وجود النقص مع الكمال من مقتضيات هذا العالم وليس المبرراً من النقص الآ الجنة - فإنه لا يبحث ولا يتحرى الآ تلك العفونات ولا يديم النظر الآ الى تلك النجاسات، لانحراف في مزاجه. وكأن ليس في ذلك البستان الباهر الآ تلك. ثم يتوسع ويتسبل ذلك الخيال الفاسد بحكم التوهم والتخيل حتى يحسب ان ذلك البستان الرائع مسلخ قذر أو مزيلة وسخة ويأخذه الدوار والغثيان، ويبدأ بالتقيؤ وينكص على عقبيه)¹.

ومن جانب آخر فإن للرؤية أثرها من حيث الحكم الشرعي ويدخل الحلال والحرام في شأنها ، يقول الأستاذ: (إن الطبيب له أن ينظر إلى أشد الأماكن حرمة لمن يحرم عليه، من زاوية نظر الطب والعلاج. بل يكشف له - في حالات الضرورة - تلك الأماكن ، ولا يعد ذلك خلافاً للأدب، وإنما يعتبر ذلك من مقتضيات الطب. إلا أن ذلك الطبيب نفسه لا يجوز له أن ينظر الى تلك الأماكن المحرمة من حيث كونه رجلاً أو واعظاً أو عالماً، فلا يسمح الأدب قطعاً بإظهارها له بتلك العناوين والصفات. بل يعد ذلك انعداماً للحياة)².

ويجب التنبيه إلى مسألة متعلقة بالحكم الشرعي ، وهي أن تعدد الرؤية واختلافها مع وحدة الموضوع قد يكون نتيجة طبيعية لمتطلبات الحالة أو المسألة وما حولها من دواع ، فلا توصف الرؤية المتعددة والمختلفة للموضوع الواحد بالخطأ اطراداً ، فمثلاً الحكم المختلف فيه بين العلماء في المسألة الواحدة قد يكون من نتائج تعدد الرؤية وتنوع الحالة مع أن الموضوع واحد ، فالماء للمريض له أحكام متعددة مختلفة ، وكلها حق بالنسبة لمن يخصه ، فقد يكون الماء دواء لمريض فحكم تناوله الوجوب بخصوصه ، بينما يكون شربه داء لغيره إلى حد الحرمة أو الكراهة ، وهناك من يستوي في شأنه الشرب أو تركه فالحكم آنذاك المباح ، وهكذا. فهناك تعددت الرؤية وبالتالي الحكم ، لتعدد الحالات واختلافها من أحد إلى آخر وحسب مقتضيات الحالات والأشخاص³.

وكذلك وقف الأستاذ مع جواز اختلاف التوصيف والتعريف نظراً لتعدد الرؤية بتعدد المهن والحرف ، ومن هنا فإن النظرة والرؤية هي التي تغير مفاهيم الأشياء وتعددتها ، ف (لو سُئل علم الطب: ما هذه

1 صيقل الإسلام: 375.

2 للمعات: 79.

3 ينظر : الكلمات: 560 . 561.

الألفاظ ويفكر على هذا النمط من التفكير الذي ينتج عنه المحال بل الخرافة الفاضحة كما في تعبير الأستاذ¹.

كيفية النظر والرؤية:

في الإنسان حواس مختلفة ظاهرة ، وأخرى باطنة متعلقة بالظاهرة وأعمالها ومتطلباتها ، فمن أكثرها نشاطاً وتأثيراً على باطن الفرد وتفكيره: العين ، وعملها الرؤية ، ومن هنا فمن امتحنه الله بسلب هذه النعمة العظيمة منه (وهي نعمة الرؤية والبصر) فلا يليقه أي تعويض إلا الجنة كما في الحديث الشريف². فرؤية العين بداية الرحلة ، ثم بعدها كيفيتها تحدد علاقتك بالشيء ، بل تسري الأحكام الشرعية المختلفة على أساسها.

ولما كان عمل رسائل النور التطواف على جميع المسائل المرتبطة بالإيمان وبث روح الحقيقة فيها من جديد ، فقد تحدثت عن هذه المسألة من حيثيات متعددة إلى أن وصلت إلى نتيجة محددة ثابتة مطمئنة.

ففي البداية وضعت القاعدة للرؤية البصرية ومنها يسري الحكم إلى الرؤية القلبية أو البصيرة ، ثم بينت النتيجة والثمره ، وقالت: (من أحسن رؤيته ، حسنت رويته وجمل فكره ، ومن جمل فكره تمتع بالحياة والتذ بها)³. ولكن يبقى السؤال: كيف نحسن الرؤية ؟ وما هو المقصود من هذا الإحسان بل الأحسنية في الرؤية ؟ والجواب يأتي في النهاية.

ومن جانب آخر ، فلا يستهان بالرؤية في نظر رسائل النور ، إذ بينت ووضعت قاعدة أخرى بقولها: (ورب نظرة تحول الفحم أماًساً)⁴.

ولبيان الميزان في الرؤية للوصول إلى نتيجة مقبولة أن لا تضخم ولا تصغر إلا بقدره ، ومن هنا

1 للمعات: 245.

2 فقد أخرج البخاري في صحيحه: 7: 151 برقم (5653) باب: فضل من ذهب بصره ، كتاب بدء الوحي ، عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله قال: (إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عؤنثه منهنما الجنة) يريد عيبيته.

3 المكتوبات: 596.

4 الكلمات: 839.

وفي نهاية المطاف مع قبول تعدد الرؤية ونتائجها ، إلا أن الأستاذ يهيمه كثيراً تجاوز هذه الأمور والوصول إلى نتيجة أخرى متعلقة بالايان والحقائق الإيمانية ، ففي هذا المبحث ، الأهم أن نقف على منطلق الرؤية ، فهل المنطلق إيماني قلبي ، أم مادي إلحادي ؟ فلا اعتبار إلا للرؤية عندما تكون إيمانية ، وهي الرؤية المنطقية التي تروي القلب والعقل معاً وتكون طريق وصول إلى الحقيقة الناصعة. بينما الرؤية الإلحادية أو الكفرية فهي لا تلبى عطش القلب والوجدان ، ولا تظهر من خلالها الحقيقة ومعنى الأشياء بل تسكر نفسها لعدم قدرته الوصول إلى مكامن الأمور ومفاتيحها ، وبالتالي فهي ساذجة وحقيرة وتجول في الظلمة وفي إبطار محدود مقفل ، وما كل هذا إلا لأنها حملت على كاهلها الكفر ونفسه ، أو الإلحاد ومزلقه¹.

فلنضرب بمثال من الرسائل ، وهو عن تعريف الشمس - ضمن التعريفات لأشياء متعددة - حسب الرؤيتين. ونبدأ أولاً بالتعريف من منطلق إلحادي مادي بحت ، فالمحدد والمادي الفلسفي الذي يهتم بالماديات فقط ويحصر رؤيته فيها دون الالتفات إلى المعاني ، عندما يعرف الشمس - على س يقول عنها: (هي كتلة عظيمة من المائع الناري تدور حول نفسها في مستقرها، تطايرت منها شرارات وهي أرضنا وسيارات أخرى فتدور هذه الاجرام العظيمة المختلفة في الجسامه.. ضخامتها كذا.. ماهيتها كذا..)². بينما عندما نأتي إلى التعريف من منطلق الرؤية الإيمانية والقرآنية ، فالقرآن: (يبحث عن الشمس لا للشمس، ولا عن ماهيتها، بل لمن نورها وجعلها سراجاً، وعن وظيفتها بصيرورتها محوراً لانتظام الصنعة ومركزاً لنظام الخلق، وما الانتظام والنظام إلا مرايا معرفة الصانع الجليل. فيعرفنا القرآن براءة نظام النسخ وانتظام المنسوجات كمالات فاطرها الحكيم وصانعها العليم، فيقول: {والشمس تجري} ويفهم بها وينبه الى تصرفات القدرة الإلهية العظيمة في اختلاف الليل والنهار وتناوب الصيف والشتاء. وفي لفت النظر اليها تنبيه السامع الى عظمة قدرة الصانع وانفراده في ربوبيته. فمهما كانت حقيقة جريان الشمس وبأي صورة كانت لا تؤثر تلك الحقيقة في مقصد القرآن في اراءة الانتظام المشهود والمنسوج معاً.

ويقول أيضاً: {وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجاً} (نوح:16) ففي تعبير السراج تصوير العالم بصورة قصر، وتصوير الأشياء الموجودة فيه في صورة لوازم ذلك القصر، ومزيتاته، ومطعماته لسكان القصر ومسافريه، وإحساس أنه قد أحضرته لضيوفه وخدامه يدُ كريمٍ رحيم. وما الشمس إلا مأمور مسخر

الكائنات؟ لأجاب: أنها صيدلية كبرى أحضرت فيها باتقان جميع الأدوية وأدخرت.

وإذا ما سُئل علم الكيمياء: ما هذه الكرة الأرضية؟ لأجاب: أنها مختبر كيمياء منتظم بديع كامل.

على حين يجيب علم المكائن: أنها معمل منسق كامل لا ترى فيه نقصاً.

كما يجيب علم الزراعة: أنها حديقة غنّاء ومزرعة معطاء، تستنبت فيها أنواع المحاصيل، كل في أوانه.

ولأجاب علم التجارة: انها معرض تجاري فخم، وسوق في غاية الروعة والنظام، ومحل تجاري يحوي أنفس البضائع المصنوعة وأجودها.

ولأجاب علم الاعاشة: انها مستودع ضخم يضم الأرزاق كلها بأنواعها وأصنافها.

ولأجاب علم التغذية: انها مطبخ ريباني تطبخ فيه مئات الالوف من الاطعمة الشهية اللذيذة جنباً الى جنب بنظام في غاية الاتقان والكمال.

ولو سئل علم العسكرية عن الأرض! لأجاب: أنها معسكر مهيب يُساق اليه في كل ربيع جنودٌ مسلحون جُدد يؤلفون أمماً مختلفة من النباتات والحيوانات يبلغ تعدادها أكثر من اربعمائة ألف أمة، فتُصَبَّ حَيْمُهُم في ارجاء سطح الارض. وعلى الرغم من أن ارزاق كل أمة تختلف عن الاخرى، وملابسها متغايرة واسلحتها متباينة، وتعليماتها مختلفة، ورُخصها متفاوتة، الا ان أمور الجميع تسير بانتظام رائع، ولوازم الجميع تُهيأ دون نسيان ولا التباس، وذلك بأمر من الله تعالى وبفضل رحمته السابغة صادراً من خزينته الواسعة.

وإذا ما سُئل علم الكهرباء! لأجاب: ان سقف قصر الكون البديع هذا قد زُين بمصابيح متألئة لاحت لكثرتها ولا منتهى لروعته وتناسقها، حتى ان النظام البديع والتناسق الرائع الذي فيه يحولان دون انفجار تلك المصابيح السماوية المتوهجة دوماً - وهي تكبر الارض الف مرة وفي مقدمتها الشمس - ودون انقراض توازنها او نشوب حريق فيما بينها..¹

1 لمزيد من الأمثلة لإظهار الفرق بين الرؤيتين ، ينظر: الكلمات: 750 . وما بعدها ، و762.

2 الكلمات: 268.

متعددة ومن خلال مسالك شتى ، فقد وقفت صامدة وحذرت الجميع من هذه الهجمة وبينت بالبرهان والدليل الراسخ تخلف هذه الهجمة من الناحية العقلية والفكرية والدينية ، ونشطت روح المقاومة الفكرية ، والدراية العلمية والعقلية ، وروضت طبقات المجتمع المختلفة - بغض النظر عن مستواهم المعرفي والاجتماعي - على الصمود والبقاء على الصلة بالله ودينه ، بأسلوب عصري مؤثر .

5. وضعت رسائل النور أساساً متعددة في تعاملها مع مبحث البدائل للمصطلحات والمفاهيم ، منها: أساس ترسيخ الارتباط بالله وأسمائه ، وأساس مواكبة الواقع ومستجداته والتعامل معه على أساس المبادئ الثابتة ، وأساس تقديس الشريعة ونصوصها وجعل المنطلق منها ، وأساس احترام العقل وتطلعاته مع بقاءه مكلفاً تحت مظلة الشريعة ، وأساس كيفية النظر والرؤية.

6. من خلال الأسس المعتمدة في مبحث البدائل في رسائل النور، أبدلت الرسائل العديد من المصطلحات والمفاهيم بما يلائم ثوابت الشريعة وأسسها العقدية والفكرية ، منها:

7. في جانب المصطلحات: عند تحسين الأشياء لا تقل (ما أجمل هذا) ، بل قل (ما أجمل خلقه) ، وفي الرأي لا تقل (هو الحق) بل قل (هو حق) ، ولا يقال لفهم العلماء واجتهاداتهم (الشريعة) ، وإنما هو الفقه والاجتهاد ، ومن حيث الخلق نفت الرسائل مصطلحات وكلمات (أوجدته الأسباب ، أو تشكل بنفسه ، أو اقتضته الطبيعة) فهي مرفوضة كلمة وفهماً عند الأستاذ ، وبديل كل هذا هو جملة مقبولة ومرتبطة بالحقائق السماوية الثابتة ، وهي: (إن قدرة الخالق القدير ذي الجلال هي التي توجده).

8. وفي جانب المفاهيم هناك المقارنة ومن خلالها بيان البدائل الملائمة مع الأسس الفكرية في مسائل ومواضيع مختلفة ، منها: المدنية الغربية والمدنية القرآنية ، والنظرة الإيمانية والنظرة التقليدية المادية.

المصادر والمراجع:

- بعد القرآن الكريم.

1. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: بديع الزمان سعيد النورسي (ت1379هـ) ، تحقيق:

وسراج منور . ففي تعبير السراج تنبيه الى رحمة الخالق في عظمة ربوبيته، وافهام إحصانه في سعة رحمته، واحساس كرمه في عظمة سلطنته¹. وعند المقارنة بين التعريفين يتبين لنا أننا لا نجني من التعريف المادي - مع صحته من جانب -: (غير الحيرة المدهشة ، والدهشة الموحشة، فلم تُفدك كمالاً علمياً ، ولا ذوقاً روحياً ، ولا غاية إنسانية ، ولا فائدة دينية)².

الخاتمة

لقد توصل البحث إلى جملة من النتائج يمكن تلخيص أهمها في الآتي:

1. مباحث المصطلحات والمفاهيم من المباحث المهمة المتعلقة بعلم مختلف وما يدور بين الناس في حياتهم اليومية ، ومن المسائل المتعلقة بهذا المبحث ، موضوع البدائل للمصطلحات والمفاهيم الدارجة داخل مجتمع معين تحكمه مظلة قانونية أو دينية.

2. هناك مقابل المصطلحات والمفاهيم المنتشرة والحادثة بين أفراد المجتمع اتجاهات ثلاثة ، ملخصها القبول أو الرد أو الوقوف وسطاً بين المنهجين ، وهذه الوسطية هي الملائمة الموافقة لطبيعة العلاقة بين الفرد ومحيطه ، وهي المساعدة لبيان الأصل من الزائف ، والمقبول من المردود ، والنافع من الضار في مجالات مختلفة من الحياة ، مثل: الاجتماعي أو الاقتصادي أو الديني أو غيرها.

3. أصلت نصوص القرآن والسنة هذا المبحث ورسمت الدستور والقواعد الأساسية للتعامل معه على الوجه الصحيح ، فهناك البديل في هذه النصوص بالأسلوب القولي ، وهناك البديل الفعلي ، وهناك بتعديل النظرة والمفهوم لبعض من المصطلحات والمفاهيم التي تسمع في مجتمع نزول الوحي في حينه ، ومن ثم أخذ العلماء هذا النهج من الأصلين وسلكوا الوسط في الأخذ أو الرد ، ووضعوا الأسس والقواعد لضبط المبحث وصحة التعامل معه.

4. رسائل النور وليدة عصر الهجوم على الدين ومبادئه بأسماء ومصطلحات ومفاهيم مختلفة

1 الكلمات: 268.

2 الكلمات: 268.

- إحسان قاسم الصالحي، ط.6، دار سوزلر للنشر، مصر-القاهرة، 2011م.
2. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير: جلال الدين بن أبي بكر السيوطي (ت 911 هـ)، ط.2، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان 2004 م.
3. زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، ط.27، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 1415هـ/1994م.
4. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت 275هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - محمّد كامل قره بللي، ط.1، دار الرسالة العالمية 1430 هـ - 2009 م.
5. سيرة ذاتية: بديع الزمان سعيد النورسي (ت1379هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط.6، دار سوزلر للنشر، مصر-القاهرة، 2011م.
6. شرح النووي على صحيح مسلم المسمى ب: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، ط.2، دار إحياء التراث العربي - بيروت 1392 هـ.
7. الشعاعات: بديع الزمان سعيد النورسي (ت1379هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط.6، دار سوزلر للنشر، مصر-القاهرة، 2011م.
8. صحيح البخاري المسمى بالجامع الصحيح: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت256هـ)، ط.1، دار الشعب - القاهرة، 1407هـ - 1987م.
9. صحيح مسلم المسمى ب: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261 هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، طبعة مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة 1334هـ، دار الجيل، بيروت. لبنان.

10. صيقل الإسلام: بديع الزمان سعيد النورسي (ت1379هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط.6، دار سوزلر للنشر، مصر-القاهرة، 2011م.
11. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت، 1379 هـ.
12. الكلمات: بديع الزمان سعيد النورسي (ت1379هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط.6، دار سوزلر للنشر، مصر-القاهرة، 2011م.
13. اللغات: بديع الزمان سعيد النورسي (ت1379هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط.6، دار سوزلر للنشر، مصر-القاهرة، 2011م.
14. المثنوي العربي النوري: بديع الزمان سعيد النورسي (ت1379هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، ط.6، دار سوزلر للنشر، مصر-القاهرة، 2011م.
15. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت 807هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414 هـ، 1994 م.
16. محاضرات غير منشورة لمادة (مدخل إلى علم الأديان)، ألفت على طلاب المرحلة الأولى، قسم مقارنة الأديان، كلية القلعة الجامعة للدراسات الدينية. أربيل، السنة الدراسية 2020 - 2021 م، المحاضر: أ.د. أميد نجم الدين جميل المفتي.
17. المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط.1، دار الكتب العلمية - بيروت 1411 - 1990م.
18. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط.2، مؤسسة الرسالة، بيروت. لبنان 1420هـ، 1999م.

رسائل التَّوربينِ الواقعِ المُكْتَسَبِ والمأمولِ المُرْتَقِبِ قراءة في نهج الأستاذ النورسي في التبليغ والإرشاد

أ.د. عزيز محمد عدمان
باحث أكاديمي جزائري

مختصر البحث

لا يستطيع عالم أريب أن يتجاهل الاستبصارات الروحية، والسلوكية التي خلفتها رسائل النور للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي - طيب الله ثراه - بقدر كانت منارةً للعلماء والباحثين، وملجأً للعارفين؛ ولم تحز هذه الرسائل النورانية هذه المرتبة السنية، والحظوة العلية بكثرة أتباعها، ومريديها وأنصارها فحسب؛ بل من طبيعة الرسائل ذاتها التي عدّها الأستاذ من العلوم الإيمانية؛ هو هي ملك القرآن العظيم، ومعجزته المعنوية.

ولم تكن هذه الرسائل النورانية الناصعة لتبلغ ما بلغت من ألقٍ روحي، وجاذبية معرفية خارقة؛ والمعية، وتبصّر، وانتشار، وقبول عالمي واسع بجهود فردية مخلصّة صادقة، ومعاناة نفسية، ومكابدة معرفية، وجهاد إيماني متواصل من مؤلفها النورسي، ومترجمها الأستاذ إحسان قاسم الصالحي - فسح الله في مدته - فقط؛ بل صاحبيتها أسرار ربانية أمدتها بعناصر الخلود، والبقاء، والاستمرار.

ولكي تبلغ رسائل النور الغاية في الخدمة الإيمانية، ونشر قيم الفضيلة، والوسطية، والاعتدال؛ لا بد من وقفة تأملية في منجزات هذه الرسائل في الواقع المعيش، واستشراف آفاق المستقبل. فما مهمة رسائل النور؟ وهل تؤدي مهمة الإرشاد في هذا الزمان؟ وهل تستطيع رسائل النور سدّ حاجات الزمان؟ وما السبيل إلى نشرها؟ وما نهج رسائل النور في التبليغ والإرشاد؟.

أسئلة محورية سنكتشف عن مفهوم الإيمان، وحقيقته، وأركانه، ومقتضياته في الرسائل، وسرّ تأثيرها، واستجلاء طبيعة العلاقة بين الإيمان، والرسائل. ولعلّ بقاء الرسائل حيّة متدفقة في وجدان الأمة العربية، والإسلامية مقرون بإنقاذ الإيمان من أسر المكاسب الدنيوية العاجلة الفانية.

19. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

20. المغني عن حمل الأسفار: أبو الفضل العراقي (ت 806 هـ)، تحقيق: أشرف عبد المقصود، مكتبة طبرية، الرياض 1415 هـ - 1995 م.

21. المكتوبات: بديع الزمان سعيد النورسي (ت 1379 هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط. 6، دار سوزلر للنشر، مصر - القاهرة، 2011 م.

22. الملاحق: بديع الزمان سعيد النورسي (ت 1379 هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط. 6، دار سوزلر للنشر، مصر - القاهرة، 2011 م.

23. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468 هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط. 1، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت 1415 هـ.

Synopsis

Any eminent scholar would, no doubt, acknowledge the spiritual and behavioural insights left by Said Nursi's Rasail E-Noor Collection, may Allah be pleased with his soul. The Noor Letters Collection stood as a minaret for scholars and researchers and provided a shelter for the erudite. Nursi's letters did not earn the privilege of a lofty position from the plethora of its followers, fans, supporters and partisans. Rather, it was from the letters that Nursi included within faith and belief scholarship which pertain to the realm of the glorious Qur'an and its miraculous intangibility.

These immaculate Quranic letters were not to achieve their spiritual illumination, extraordinary cognitive attraction, excellence, vision, and a worldwide proliferation through genuine and dedicated individual efforts, personal anguish, a grappling with knowledge and a perpetual struggle of conviction of its author Nursi and the translator Ihsan Kasim Salhi, but these were also complemented with eternal components for survival and eternity.

For the Letters to achieve the utmost of creedal service, the dissemination of virtues and values, moderation and sobriety; an inevitable reflective stance on the achievements of Nursi is needed in the present life through anticipating future's horizons. Among raising issues are: what is the significance of the Rasail E Noor Collection? And what is the methodology of these Letters in communication and guidance? The focal and pivotal questions will reveal about the concept of faith, its reality, its pillars and its requirements in the Nursi's Letters' Compilations and the secret of their impact and the elucidation of the nature of the relationship between faith and the Letters' Compilation. Probably, the survival of the Letters in the sentimental consciousness of the Ummah is connected with saving faith from the shackles of the profits of the pressing and finite worldly life.

Pr.dr / Aziz Mohamed Admane

مقدمة

لقد حققت رسائل النور عبر تاريخها محلياً ودولياً انتصاراتٍ مذهلة، وحازت شرف الذكر، وإعجاب العلماء والمفكرين من مختلف أنحاء المعمورة؛ فأضحت معيّنًا خصباً لجلّ المعارف الشرعية، والكونية.

والناظر في المقاربات الحديثة التي تناولت موضوع الرسائل نشرًا، و تقويمًا، وتمحيصًا يلفي أنها انقسمت إلى قسمين: قسم من المعالجات يغلب عليها الجانب العاطفي الوجداني؛ وقسم آخر اهتم

بالجانب المعرفي والمنهجي في تناول الرسائل.

وفي لجة هذه المقاربات المختلفة منهجاً ومعالجةً؛ يتجلى القاسم المشترك بين أغلب الباحثين في الإقرار بنفاسة هذه الرسائل، وفعاليتها في الدعوة، والإصلاح، والإرشاد.

فما سرّ التأثير في رسائل النور؟ وما جوهر جاذبيتها لدى الباحثين؟ وما سرّ خلودها؟ وما مصدر خصوبتها؟ وما علاقة الرسائل بخدمة الإيمان؟ وهل انفرد النورسي بمفهوم للإيمان غير مسبوق؟ وهل يكفي الإيمان التقليدي لنشر رسائل النور؟ وما علاقة الإيمان التحقيقي بفاعلية الإرشاد، والتوجيه الدعوي؟.

لا غرو أن رسائل النور على جلاله قدرها، وسموّ مقامها محوجة إلى وقفة متأنية نستشرف في رحابها مكن الإبداع الذي أمدّها بعناصر البقاء، والتميز.

أيقن الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي - رحمه الله - أن الانتساب إلى الرسائل يعني خدمة الإيمان؛ وهي وظيفة جليلة الشأن، عظيمة القدر، بل يراها مفتاح السعادة السرمديّة الأبدية، ومسلك الطمأنينة الخالدة.

ويجد المتأمل في رسائل النور أن اصطلاح الإيمان من منظور النورسي قد شغل حيزاً واسعاً من فكره؛ بل امتدت مفاهيمه وأركانه وحقيقته، وأنواعه لتكتسح مساحات واسعة من الرسائل.

ولعل هذه المقاربة ستكشف الأستار والحجب عن علاقة رسائل النور بالإيمان؛ دون الغوص في تأصيل مفهومه أو اصطلاحه، وأقسامه إلا بالقدر الذي يستجلي طبيعة الشائخ التي بين الإيمان والرسائل؛ وإنما مدار الطلب على الرسائل التي عدّها الأستاذ ناطقة بالإيمان؛ بل هي مصدر الحقيقة النورانية.

أولاً: الإيمان التحقيقي مصدر المعرفة القدسية السامية:

إن الإيمان قمة الكمال البشري، والإنساني؛ والرسائل جزء من هذا الإشعاع؛ فكيف تندرج رسائل النور ضمن الإيمان؟ يرى الأستاذ أن رسالة الحشر مثلاً من: «العلوم الإيمانية التي تتجدد الحاجة إليها في كل وقت كحاجتنا إلى الخبز كل يوم» (النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور ملحق بارلا، 2011، صفحة 73).

غذاء روحي في مقابل الغذاء البيولوجي الذي هو قوام حياة البشر، وسر وجودهم واستمرارهم. يقول الأستاذ في ملحق بارلا مخاطباً السيد رأفت: « إن تلك الرسائل قوتٌ وغذاء لأنها مستقاة من القرآن الكريم ، فكما يستشعر الإنسان الحاجة إلى الغذاء يومياً ، يستشعر الحاجة إلى هذا الغذاء الروحاني أيضاً. فلا يسأم من القراءة منْ انكشفت روحه وانبسط قلبه من أمثالك. فهذه الرسائل القرآنية لا تشبه الرسائل الأخرى، فهي ليست من أنواع الفاكهة كي تُسئم بل هي غذاء ». (النورسي ، الملاحق في فقه دعوة النور ملحق بارلا، 2011، الصفحات 79-78).

وفي هذه الموازنة البيولوجية، والروحية يتجلى موقع الرسائل بوصفها غذاءً روحياً ، وليست فاكهة؛ لأن الفاكهة من الكماليات؛ والغذاء ركن مكين في بقاء الإنسان ، وديمومته؛ ومن ثم أضحت الرسائل معطى وجودياً.

ثانياً: خصوصية رسائل النور، وسر تأثيرها:

لا يستطيع متتبع حصيف للمسار التاريخي لتحرير الرسائل أن ينكر هذا التأثير البياني، والمعرفي الأخاذ الذي سلب عقول الأعداء قبل الأنصار. ولما كانت العلاقة بين الرسائل والقرآن علاقة وطيدة ؛ فقد استمدت رسائل النور ألقها وجاذبيتها من روح القرآن الكريم ؛ ومن ثم تميّزت عن باقي الرسائل الأخرى منهجاً ، ومضموناً. ويكشف الأستاذ عن سرّ الرسائل في كونها جامعة بين إقناع العقل وإمتاع العاطفة ؛ وهو مزج لم يتوفر لغير القرآن، وتامام وكمال في غير كلام البشر. وفي هذا السياق نشير إلى أن النورسي يتحدث عن أبرز خصائص القرآن التي أجمع عليها علماء البيان القرآني. يقول محمد عبد الله دراز – رحمه الله -: «وفي النفس الإنسانية قوتان: قوة تفكير، وقوة وجدان. وحاجة كل واحدة منهما غير حاجة أختها. فأما إحداها فتتقب عن الحق لمعرفته، وعن الخير للعمل به ، وأما الأخرى فتسجل إحساسها بما في الأشياء من لذة وألم. والبيان التام هو الذي يوفّي لك هاتين الحاجتين ويطيّر إلى نفسك بهذين الجناحين فيؤتيها حظها من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معاً.» (دراز ، 1997، صفحة 143).

لقد أدرك النورسي بإحساسه البياني، والجمالي المرفه ، وعقليته الوقّادة طبيعة البيان القرآني ، وسرّ إعجازه؛ فرأى أن الرسائل؛ لأنها – مستمدة من القرآن الكريم – استطاعت أن تجمع بين الإقناع العقلي، والإمتاع النفسي؛ سالكة مسلك الرقيّ البياني. يقول الأستاذ: « إن الرسائل ليست كبقية مصنّفات العلماء تسير على وفق خطى العقل وأدلته ونظراته، ولا تتحرك كما هو الشأن لدى الأولياء المتصوفين بمجرد أدواق القلب وكشوفاته. وإنما تتحرك بخطى اتحاد العقل والقلب معاً وامتزاجهما،

فالإيمان بالحشر تذكير بالحياة السرمدية الأبدية ، وقراءة الرسائل حاجة روحية تستمد روحانيتها من الإيمان الذي هو المعرفة السامية العالية ؛ و هي محل إجماع العلماء إذ: « اتفق أهل الحقيقة على أن أجلّ العلوم قاطبة وقمة المعرفة وذروة الكمال الإنساني إنما هو في الإيمان والمعرفة القدسية السامية المفصّلة والمبرهنة النابعة من الإيمان التحقيقي ». (النورسي ، الملاحق في فقه دعوة النور ملحق بارلا، 2011، صفحة 262)

فمصدر المعرفة السامية الإيمان التحقيقي الذي هو معايشة روحية، ومخالطة نورانية؛ ذلك أن التحقق هو استغراق في التجربة الإيمانية المعيشة ؛ وبهذا حاز هذا النوع من الإيمان شرف القدسية، والسمو المعرفي، والكمال البشري.

فالعلاقة بين رسائل النور، والإيمان علاقة محكمة ، ووشيجة منتظمة؛ ذلك أن من أسمى مقاصد رسائل النور بلوغ مرتبة الإيمان التحقيقي؛ لأن الإيمان التقليديّ حجاب دون بلوغ مراتب المعرفة القدسية ؛ ولهذا يقرّر النورسي قائلاً: « الإيمان التحقيقي الذي تمنحه الرسائل هو أرفع بكثير من الكرامات والكشفيات والأذواق ». (النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور، 2011، صفحة 73)

وقد ذهب النورسي في تحديد طبيعة العلاقة بين الإيمان، والرسائل إلى اعتبارها ملك القرآن؛ وليست جهداً فردياً أنجزه في ظروف وملابسات عويصة؛ ومن ثم برأ نفسه مما يقع فيها من أخطاء وتقصير. ولما كانت رسائل النور بهذه القدسية والسمو الروحي؛ فقد ارتضى الأستاذ لنفسه أن يكون خادماً لهذه الحقيقة النورانية الساطعة. يقول معلناً إعلاناً صريحاً: « رسائل النور ملك القرآن العظيم ، فأنت لي الجرة أن أدعي تملكها ! لذا لا تسري أخطائي وتقصيراتي فيها قطعاً ، فأنا لست إلا خادماً مذنباً لذلك النور الباهر ، ودلاً داعياً في متجر المجوهرات والألماس. فأحوالي المضطربة لا تؤثر فيها ولا تمسها أصلاً.» (النورسي، سيرة ذاتية، 2011، صفحة 416).

وهذا واقع الرسائل المكتسب شخصه الأستاذ تشخيصاً قاطعاً فيه الكثير من التواضع والإقرار بالعجز البشري في استجلاء حقيقة القرآن؛ كما أنها شهادة حية تعكس حجم الاضطراب الذي لازم تأليف الرسائل بسبب أحوال النورسي المتقلّبة بين النفي والسجن، والجهاد ، والتضييق الشديد، والمراقبة المستمرة المستديمة، والعزلة التامة عن الناس ؛ وهي حالات نفسية لا تقضي إلى الاستواء المنهجي لمن يكتب في ظروف هادئة.

ويربط الأستاذ بين الرسائل، والقرآن الكريم للتعبير عن مفهوم الاستمداد؛ إذ يرى أن رسائل النور

وإذعان وليست التزاماً

وحقيقة وليست تصوراً

وتعاون الروح واللطائف الأخرى، فتحلّق إلى أوج العلا وتصل إلى مراقٍ لا يصل إليها نظراً الفلسفة المهاجمة فضلاً عن أقدامها وخطواتها، فتبتّين أنوار الحقائق الإيمانية وتوصلها إلى عيونها المطموسة.» (النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور ملحق قسطنطيني، 2011، صفحة 99).

فبلوغ النهاية في الفضيلة، والغاية في السموّ الإيمانيّ هو منهج الرسائل التي لم تقف عند حدود العقل ومقولاته؛ كما أنها لم تغرق في عالم العرفان الوجدانيّ؛ بل مزجت بين القوتين المركبتين للطبيعة البشرية والعقل والعاطفة. فلو اقتصر على جانب دون آخر لما بلغت القمة في الرقيّ الإيمانيّ. وهذا راجع لطبيعة النفس الإنسانية وتركيبها المذهلة؛ ذلك أن: «القوى العاقلة والقوى الشاعرة في بني الإنسان غير متكافئة» (الزرقاني، 1995، صفحة 248)

ويلح النورسيّ على مسلك الجمع بين العقل والقلب في تجسيد الإيمان الحقيقيّ، ويرى أن من سبل بلوغ مرتبة هذا الإيمان، وطرق الوصول إليه: «هو بلوغ الحقيقة بالولاية الكاملة بالكشف والشهود، وهذا الطريق إيمانيّ شهديّ يخصّ الخواص. أما الطريق الثاني فهو تصديق الحقائق الإيمانية بعلم اليقين البالغ درجة البداهة والضرورة، وبقوة تبلغ درجة حق اليقين، وذلك بفيض سرّ من أسرار الوحي الإلهي من جهة الإيمان بالغيب وبطرز برهانيّ وقرآنيّ يمتزج فيه العقل والقلب معاً» (النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور ملحق قسطنطيني، 2011، الصفحات 105-104)

فواقع الرسائل يشهد بأنها مزجت بين الفكر والشعور؛ لأنها معجزة القرآن المعنوية؛ ولما كانت مستمدة من روح القرآن، وجوهه؛ فقد خاطبت العقل والقلب معاً؛ فانفردت عن بقية الرسائل كما يرى النورسيّ؛ معزواً سر التأثير في رسائل النور إلى عناية إلهية. يقول - رحمه الله - جواباً عن سؤال خاص يتضمن الاستفسار عن سر تأثير الكلمات: «لما كان الفضل في هذا التأثير يعود إلى إعجاز القرآن الكريم وليس إلى شخصي أنا، فسأقول الجواب بلا حرج: نعم، هو كذلك على الأغلب؛ لأن «الكلمات»:

تصديق وليست تصوراً

وإيمان وليست تسليمًا

وتحقيق وليست تقليداً

وشهادة وشهود وليست معرفة

وبرهان ضمن الدعوى وليست ادعاءً.» (النورسي، المكتوبات، 2011، الصفحات 477-476).

فيفهم من هذه الثنائيات أنّ الفضل في انتشار الكلمات يُعزى إلى إعجاز القرآن؛ ولا حظاً لصاحب الرسائل في هذا السبق المعرفي - وهو تواضع جم وأدب رفيع من الأستاذ - ، ودليل صفاء روحيّ؛ فالكلمات أثرت في أجيال متلاحقة متتابعة تأثيراً عقلياً، ووجدانياً؛ لأنها اتسمت بإثبات الحقائق الإيمانية بالدليل، والإخبار عن عيان، وإرادة ويقين، وليست ادعاءً أو تصوراً أو تقليداً؛ وهذه سمات الخبر غير اليقينيّ.

ثالثاً: أركان الإيمان في رسائل النور:

لم يكتب لرسائل النور هذا الخلود المعرفي والروحيّ دون الاستناد إلى مقومات، وركائز تشدّ أزرها، وتعضد قوامها؛ فالرسائل استمرت في العطاء، والإنجاز الدعويّ، والإصلاحيّ؛ لأنها آوت إلى ستة أركان شديدة جامعة بين صفاء الروح، ونقاء العقيدة؛ وهي وفق الآتي:

1. "إنها تضع بدلا من حب الجاه، ابتغاء مرضاة الله النابعة من الإيمان به سبحانه.

2. إنها تضع بدلا من الخوف والوقوع في شكوك الأوهام، الإيمان بالقدر.

3. إنها تضع بدلا من الحرص والطمع، الإيمان بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين.

4. إنها تضع بدلا من الأحاسيس والمشاعر العنصرية الإيمان بالرسول الكرام وفي مقدمتهم الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم.

5. إنها تضع بدلا من الأنانية وحب الذات، الاعتراف بعجزنا، ونقصنا [...].

6. إنها تضع بدلا من الكسل والخلود إلى الدعة والراحة، الإسراع إلى العمل للقرآن.» (النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور ملحق بارلا، 2011، الصفحات 52-51).

تؤلف هذه الأركان الستة في مجملها مجموعة من المبادئ العقيدية والسلوكية؛ ويأتي في صدارتها

فدعاة رسائل النور شخصيات ناطقة بمضامينها المعنوية، والروحية؛ ذلك أن القدوة قبل الدعوة ، والمضامين قبل العناوين.

ولعل من تجليات هذه الشخصية المعنوية لرسائل النور التي احتضنت مؤلفها، وطلابها ؛ تنازل الأستاذ عن قصب السبق، ورسوخ القدم في تحريرها ، ومعاناة تسطيرها . وفي هذا الصدد يقول النورسي: « فمن يرغب في محاورتي ومجالستي ومقابلتي في مشرب الحقيقة ما إن يفتح أية رسالة كانت ، فإنه لا يقابلني بل يقابل أستاذه الخادم للقرآن . ويستطيع أن يتلقى بذوق خالص درساً في حقائق الإيمان ». (النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور ملحق قسطنطيني، 2011، صفحة 109).

فقراءة الرسائل تنوب عن محاوره مؤلفها الخادم للقرآن ، و مجالسته ومقابلته ؛ لأنها حوت خلاصة خدمة إيمانية صادقة تعكس روح الأستاذ النورسي، وتتطق بمعاناته في تأليفها.

رابعاً: مهمة رسائل النور

لا ريب أن الرسائل بحمولتها الروحية، وشخصيتها القرآنية ، وشحنها السلوكية تروم إسعاد البشرية ، وإنقاذها من وحل الشهوات، وأسر المذات ؛ مقتنية منهج الرسل والأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والوسطية؛ ولعل من أبرز مقاصدها نشر الإيمان، وترسيخه في قلوب الناس؛ بإبعادهم عن التعلق بالعاجل ، والتمسك بالأجل من منطلق أن الحياة دار تمحل واضطراب ، والآخرة دار ثواب وعقاب؛ ولهذا فإن: « رسائل النور التي هي تفسير حقيقي للقرآن الكريم ،ببيان إعجاز معانيه الجليلة ،تبيّن أنّ في الضلالة جحيماً معنوياً في هذه الدنيا ، كما تثبت أن في الإيمان نعيماً معنوياً في الدنيا أيضاً . وهي تبرهن أن في المعاصي والفساد والمُتَع المحرّمة آلاماً معنوية مبرّحة، كما أن في الحسنات والخصال الحميدة والعمل بالحقائق الشرعية لذائد معنوية أشبه ما تكون بملذات الجنة. فهي بهذا الأسلوب تنتقد من كان له مسكة من عقل من أهل السفاهة وأرباب الضلال من التماذي في عيهم ». (النورسي، صيقل الإسلام، 2011، الصفحات 454-455).

فإنقاذ البشرية من أدران الرذيلة ،ونقلهم إلى رحاب الفضيلة هو منهج رسائل النور، ومهمتها المركزية؛وقد أدارَ الأستاذ هذه المهمة الشريفة في نشر الإيمان، وقيم الفضيلة الروحية على ثلاث مهام رئيسة هي:

رسائل النور تؤدي مهمة الإرشاد في هذا الزمان:

لم يربط النورسي سعادة أهل زمانه، وزماننا بالإيمان ؟ ولم عدّه أعظم إحسان يقدم للإنسان ؟.

الإخلاص لله تعالى وتجنب حب الجاه والشهرة والظهور؛ بل إن الخمول، وعدم ذكر الرجال فضيلة؛ فقد قال أبو حامد الغزالي [ت 505هـ]: « أصل الجاه: هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم ؛ بل المحمود الخمول إلا من شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه ». (الغزالي، 2005، صفحة 1183)

فلم تصدّر البعد العقديّ أركان الإيمان عند النورسي ؟.من خلال معايشة النورسي للفضاء الدعويّ في زمانه ومعاينته لمجال الإصلاح في العالم الإسلاميّ أدرك حقيقة جوهرية مفادها: انتشار المتاجرة بالدين وكثرة أذعيائه طلباً للشهرة والصيت والجاه ؛ وكثرة المريدين والأتباع والأنصار؛ وهي أمراض مزمنة في العالم الإسلاميّ إلى يومنا هذا ؛ولهذا ركّز على هذه الأركان العقدية التي لازمت طلاب النور ؛ ومن ثمّ كُتِبَ للرسائل البقاء دون غيرها من المؤلفات التي سلكت مسلك الظهور المذموم ؛فالإخلاص في خدمة الدين والابتعاد عن الشهوة الخفية التي تحرك هاجس الانتشار، والاعتبار هو الذي مكّن الرسائل من ملامسة أرواح مريديها، وأتباعها، وغيرهم ممن قرأها قراءة إيمانية صادقة.

فالبواعث على تحريك حظوظ النفس كثيرة؛ ولهذا يجد الناظر في الرسائل في مواضع متعددة منها اتهام الأستاذ لنفسه بالضعف والعجز والتقصير، والحقارة؛تجنباً للرياء؛ وطلباً للإخلاص؛ إدراكاً منه أنّ الإخلاص سرٌّ من أسرار الله تعالى، والعلماء أقرب البشر وقوعاً في الرياء: « فإن الباعث للأكثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد والثناء والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول: غرضكم نشر دين الله والنضال عن الشرع الذي شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ». (الغزالي، 2005، صفحة 1751).

وهذا واقع المجال الدعويّ في العالم العربي والإسلاميّ؛ولهذا جعل الأستاذ الإخلاص على رأس أركان الإيمان في رسائله؛ ثم ختمها بأعراض الرياء وهي حب الذات ؛ وعلاجها الإقرار بالتقصير والاعتراف بالذنب؛ والمسلك لبلوغ درجة الإخلاص تجنب الكسل والإسراع لخدمة القرآن؛ لأنها خدمة شريفة جليلة قامعة لحظوظ النفس، وشهواتها الخفية. وقد حذرَ الأستاذ النورسيّ من الوقوع في الإعجاب بالنفس، وعشق الذات ، والسعي وراء سمعة زائلة تحركها بواعث الظهور المقيت.يقول؛ مبرزاً الخلاصة التي انتهت إليها من مواضع الرسائل: « الدرس الذي لفتنا إياه رسائل النور هو التمسك بحقيقة الإخلاص ، وترك الأناية، ومعرفة أن النفس مقصرة دائماً ، والحذر الشديد من الإعجاب بالنفس. فنحن لا نظهر أنفسنا بل نظهر الشخصية المعنوية لرسائل النور ونبيّتها ». (النورسي، سيرة ذاتية، 2011، صفحة 416).

المتناهية « (النورسي، الشعاعات، 2011، صفحة 211).

فإنسان هذا الزمان أنهكته اللذائذ، وحب الجاه والظهور، والشهوات الفانية، والجري وراء حب الزعامة والرياسة؛ وكلها أمراض قلبية أفسدت المزاج؛ فكان الإيمان هو العلاج.

وفضلاً عن وظيفة الرسائل في التوعية والكشف والعلاج؛ فهي تكشف عن مراتب الإيمان، ودرجاته العالية، وتضيء مسالكه في بلوغ مقامات القرب، وأحوال الإقبال على الله تعالى.

رسائل النور تسد حاجات الزمان:

طبيعة رسائل النور الإيمانية تؤهلها لنشر الوعي، وإقناع الآخرين بالحجة الدامغة، إذ يرى النورسي أنها مصدر إشباع فكري في استمالة المخالفين للدين؛ ولا تقف عند حدود العلاج الروحي؛ بل تتخطى القلوب إلى العقول السليمة والمنحرفة على السواء. « إن جميع ما في رسائل النور: » الكلمات « و » المكتوبات « النورية إنما هي لحاجة الزمان، وإن لها المقدرة على إقناع كل صنف من أصناف أرباب الدين، بل إلزام الملحد، بشرط ألا يكونوا عنيدين موغلين في العناد. » (النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور ملحق بارلا، 2011، صفحة 26).

فلم خصّ الأستاذ الكلمات، والمكتوبات دون رسائل النور الأخرى؟.

من المعلوم أنّ رسائل النور تسعّ، جامعة لمختلف المعارف والعلوم؛ إلا أن تركيز النورسي على الكلمات والمكتوبات؛ لأنها أكثر الرسائل معالجة لموضوع الإيمان كما تبين فهارس الرسائلتين. (النورسي، الكلمات، 2011، صفحة 938) (النورسي، المكتوبات، 2011، صفحة 644)

فقوة رسائل النور الإقناعية، ومثانة حجتها البرهانية قادرة على مخاطبة مختلف الحركات الإسلامية داخل حقل التداول الإسلامي، وخارجه. ويجد المنعم للنظر أن النورسي ناقش ثلة من الفقهاء، والمتصوفة، واللغويين، والفلاسفة بكثير من القدرة الإقناعية، وحصافة الرأي، ورجاحة الفكر؛ كما جادل الملاحدة من منطلقات فكرية تشهد له بسمو الحجّة، وشرف الإقناع.

فالرسائل التي هي مزيج من عصاره فكر النورسي، وفلذة روحه السامية، وخلاصة نقيه لمعاناة قاسية من الدعوة والإصلاح؛ أمدتها بعناصر الإقناع والإمتاع.

حجج رسائل النور الساطعة، وقديستها النورانية تسري في عقول محبيها، وأرواحهم، كما لامست

يرى النورسي أن رسائل النور تتسم بخصوصيات جعلتها تنفرد عن رسائل المفسرين، والمتصوفة، والفلاسفة، والمتكلمين وغيرهم منهجاً، ومضموناً؛ لأن زمان القدامى اتسم بكثير من الاستقرار الروحي. في حين أن زماننا زمان الفتن والاضطراب، والحروب والتخلف، والرّدة والرداءة، والتكالب على مُتَع الدنيا الفانية؛ ومن هذا المنطلق - وبحكم وظيفته الإصلاحية والدعوية - اقتنع بأن الإيمان هو العلاج الشافي لمن طمست فطرته، واختل ميزانه؛ وبالتالي فعلى خادم القرآن: « إذ مهما كان من عامة الناس، إلا أنه يبلغ أوامر القرآن الكريم باسم القرآن نفسه إلى أعظم إنسان من دون تردد ولا إحجام ويبيع جواهر القرآن الثمينة جداً لأغنى إنسان روحاً، بافتخار واعتزاز واستغناء من دون تذلل وتوسل. » (النورسي، المكتوبات، 2011، صفحة 444).

هي؛ ذي مهمة رسائل النور المقدسة التي تنشر القيم المضيئة، والمبادئ المنيرة في زمان الجهل، والفرق والملل والنحل؛ وخادمها ناشر المسك بافتخار واقتدار.

رسائل النور كاشفة عن الألم المعنوي:

إرشاد البشرية في هذا الزمان من أقدم مهام رسائل النور؛ ومن ثمّ وجب الإقرار بضرورة نشر الوعي بحقيقة الآخرة، وكشف زيف الملذات الفانية من خلال تحسيس الغارق في شهواته بتفاهة هذا المسلك، وحقارته، ورفده للخروج من أحوال الرذيلة. يقول الأستاذ النورسي: « فالسبيل الوحيد لإنقاذ السفينة من سفيها، هو الكشف عن ألمه في لذته نفسها، ومساعدته على التغلب على أحاسيسه تلك؛ إذ المرء في زماننا هذا، مع علمه بلذائذ الآخرة ونعيمها الثمين كالألماس يفضل عليها مُتَعاً دنيوية تافهة أشبه ما تكون بقطع زجاجة قابلة للكسر! » (النورسي، صيقل الإسلام، 2011، صفحة 455).

فالصورة التشبيهية التي يقدّمها النورسي للتعبير عن غفلة الجاهل، واختلال منطقته، وتهافت منهجه تدل على الفارق بين المنهجين: الإيماني والشهواني؛ فالكشف عن وهن مسلك المُتَع الزائلة، وهشاشته، ووهاء مستنده، وضعف معتمده هو السبيل إلى إنقاذ المنحرف ببيان أن الألم الروحي في المتعة ذاتها.

ومن منطلق حكمة النورسي في الكشف عن أمراض البشر النفسية والروحية؛ يرى أن رسائل النور هي العلاج الشافي؛ لأنها مشبعة بقيم الإيمان، ومشحونة بأدوية الحقيقة القرآنية إذ: « إنها تسعى لمداواة تلك الجروح الواسعة الغائرة بأدوية إعجاز القرآن والإيمان [...] هذه هي مهمة رسائل النور النابعة من الإعجاز المعنوي للقرآن الكريم، وفي الوقت الذي تقوم بها في هذا الزمان أتم قيام، فهي تحظى بكونها مدار انكشاف لمراتب غير محدودة للإيمان ومصدر رقي في مدارجه السامية غير

إيمان. لذلك ينبغي العمل للإيمان». (النورسي، سيرة ذاتية، 2011، صفحة 304). فلم عدّ النورسي عصره عصر إيمان لا عصر طريقة صوفية؟.

يميز النورسي بين حفظ الإيمان، وحفظ الطريقة، ويرى أن الأول أجدر وأكثر نفعاً وتأثيراً من الثاني؛ لأن تجليات الإيمان الحقيقي تتعدى الفائدة الفردية إلى سعادة أبدية سرمدية؛ وقد استند الأستاذ في تقرير هذه الحقيقة إلى مفهوم كميّ يجليّ دلالات الفاعلية، والتأثير الإيجابي. يقول: «إن خدمة رسائل النور هي إنقاذ الإيمان، أما الطريقة والمشخة فهي تكسب المرء مراتب الولاية، وأن إنقاذ إيمان شخص من الضلال أهم بكثير وأجزل ثواباً من رفع عشرة من المؤمنين إلى مرتبة الولاية؛ حيث إن الإيمان يمنح للإنسان السعادة الأبدية [...] أما الولاية فإنها توسع من جنة المؤمن وتجعلها أسطع وأبهر». (النورسي، سيرة ذاتية، 2011، صفحة 355).

لا ينكر الأستاذ المشيخة المعتدلة المفضية إلى بلوغ مرتبة الولاية؛ وإنما مساحة التأثير فيها ضيقة؛ بينما إنقاذ الإيمان من الضلال أولى بالمرء لتعلقه بالفلاح الأخرويّ؛ بيان ذلك أن الضالّ أحوج إلى النور منه إلى الولاية. فالدعوة الحقّة ينبغي أن تراعي دوائر التأثير، وفضاء الإصلاح العاجل بحسب الأولوية؛ لأن دعوة من هو خارج الملة أولى، وأكثر نفعاً من دعوة من هو في دائرة الإيمان.

كما أن إنقاذ الإيمان أولى من المشيخة للاعتبارات السابقة؛ فالسياسة كذلك لا تصلح سبيلاً لعلاج القلوب. يقول الأستاذ: «إن أعظم خطر على المسلمين في هذا الزمان هو فساد القلوب وتزعزع الإيمان بضلال قادم من الفلسفة والعلوم، وإن العلاج الوحيد لإصلاح القلب وإنقاذ الإيمان إنما هو النور وإراءة النور، فلو عمل بهراوة السياسة ووصولجانها وأحرز النصر، تدنى أولئك الكفار إلى درك المنافقين، والمنافق - كما هو معلوم - أشدّ خطراً من الكافر وأفسد منه، فوصولجان السياسة إذاً لا يصلح القلب في مثل هذا الوقت، حيث يُنزل الكفر إلى أعماق القلب ويتستر هناك وينقلب نفاقاً». (النورسي، للمعات، 2011، الصفحات 145-146)

فالساسة وحل من النجاسة؛ لأنها تلوث القلب، وتطمس البصيرة؛ بينما رسائل النور تنقذ الإيمان بنورها الساطع، وشعاعها اللامع، وتجسد هذا النور في حياة المؤمن؛ لأنه بهذا الضياء الروحيّ الذي ينتشر بين دقيته يكون قد ذاق حلاوة النور الإلهيّ.

وفي إنكار السياسة بوصفها سبيلاً لإنقاذ الإيمان له ما يعزّزه في واقع المجتمعات العربية والإسلامية المعاصرة؛ حيث طغت السياسة على كل شيء، وغاب الإيمان؛ وانحسرت الفضيلة وضاعت القيم؛

مشاعر كثير من المخالفين في العقيدة؛ لأنها سلكت مسلك الاعتدال، والبيان، والبرهان.

وقد اشترط النورسيّ لبلوغ الرسائل درجة إقناع المخالف من الملاحظة الاستسلام للخبّة، وترك العناد؛ وهو بهذا يؤصل لمفهوم الجدل الشريف الذي يروم الإقناع لا هزيمة الخصم.

ويشهد على قوة الإقناع في رسائل النور أنها استمدت مشروعية الخبّة من البيان والكشف والتقريب؛ والدليل على ذلك أن النورسيّ أدرك أن إلزام الرسائل للملاحظة قائم ما لم يصل المخالف درجة الإيغال في العناد والإتكار والجحود؛ وهي مرتبة تضعف من قوة الرسائل في إظهار الحق، وتمحيق الباطل؛ وهذا ما حدّر منه علماء الجدل، ونصحوا تجنبه. يقول الإمام الجويني [ت 478هـ]؛ ميرزاً آداب الجدل: «وعليك ألا تقاوم بالمناظرة من تعلمه متعتاً؛ لأن كلام المتعت ومن لا يقصد مرضاة الله في تعزف الحق والحقيقة بما تقوله - يورث المباهاة والضجر وخزن القلب، وتعديّ حدود الله سبحانه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». (الجويني، 1979، صفحة 532).

فهل فعالية رسائل النور جزئية لا تتخطى التأثير المحليّ؟ وهل حدود البناء النفسيّ والروحيّ يقتصر على الأفراد دون المجتمعات؟.

يقرّ النورسيّ بحقيقة جوهرية مؤداها: أن رسائل النور - لأنها نورانية- تبني المجتمعات الإسلامية قاطبة ولا تقف عند حدود البناء الجزئيّ؛ فهي بلسم شاف لجروح أمة بأكملها؛ ومن هنا يتجلى التأثير الروحي والوجداني العميق المتغلغل في جسم الأمة. يقول الأستاذ؛ شارحاً آليات البناء الحضاريّ والعلاج الروحيّ: «إن رسائل النور لا تعمّر تخريبات جزئية، ولا ترمم بيتاً صغيراً مهتماً بل تعمّر أيضاً تخريبات عامة كلية، وترمم قلعة عظيمة صخورها كالجبال - تحتضن الإسلام وتحبب به. وهي لا تسعى لإصلاح قلب خاص ووجدان معين بل تسعى أيضاً - وببدها إعجاز القرآن - لمداواة القلب العام المجروح». (النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور، 2011، صفحة 111).

خامساً: السبيل إلى نشر رسائل النور - قراءة في المأمول المرتقب _:

أيقن الأستاذ النورسي بأن المشيخة وطلب الولاية ليست السبيل إلى نشر رسائل النور؛ وهي حقيقة تعكس إدراكه العميق بأنه كان عارفاً بزمانه، ومتطلبات الدعوة ومقتضياتها؛ ولعله أحس إحساساً جوهرياً بأن مستقبل الإسلام مرتين بعشق جنونيّ للمشيخة، والفرح بالاستتباع، والاستبشار بالحمد والثناء؛ وهي علامات الإفلاس الدعويّ؛ ومن ثم كشف عن أولويات الإصلاح الدعويّ قائلاً: «هذا الزمان ليس زمان الطريقة بل زمان إنقاذ الإيمان. وكثيرون جدا يدخلون الجنة بغير طريقة، ولكن لا أحد يدخلها بغير

التحصيل المعرفي برسائل النور هو تحصيل مبتكر بامتياز؛ لأنه يميز علماء الآخرة عن علماء الدنيا، والفرق واضح بين العالمين؛ ولهذا يرى أبو حامد الغزالي أن من سمات العالم الرباني أنه: «كلما زاد إلى طرف القلة ميله ازداد من الله قربته وارتفع في علماء الآخرة حظه». (الغزالي، 2005، صفحة 79).

فقرأة رسائل النور بصدق هي مسلك الوصول إلى نشرها، وتبليغها؛ بل إن خلاصة التجارب التي عايشها النورسي أثبتت أن الرسائل هي الموصلة إلى إنقاذ الإيمان؛ ولهذا: «علم بتجارب كثيرة قاطعة أن أقصر طريق وأسهله لإنقاذ الإيمان، وتقويته وجعله تحقيقياً هو في خدمة رسائل النور». (النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور ملحق قسطنطيني، 2011، صفحة 128).

ولأن رسائل النور لها خصوصية التحصيل المعرفي، وغرضها تمكين الإيمان التحقيقي من طلابها؛ فقد انتشر عبيرها، وامتد أريجها في أرجاء الدولة التركية بين مواطنيها بروح الوسطية والاعتدال، والإخلاص؛ فقد انتشرت بين أوساط الشعب التركي انتشاراً مدهلاً؛ لأنها تحمل روحانية خاصة، ولم تحركها أغراض السياسة الدنيئة أو شهوات حب التسلط أو الجاه. يقول الأستاذ النورسي معلقاً عن خلاصة تجربته في نشر رسائل النور ومدى الأثر الطيب الذي تركته في نفوس الشعب التركي: «إن هذه تسع سنوات ومئات الرسائل التي نسعى لنشرها، أثبتت تأثيرها في هذا الشعب الصديق المبارك الطيب، وأظهرت مفعولها الفعلي والمادي في حياته الأبدية وفي دعم قوة إيمانه وسعادة حياته، ومن غير أن تمس أحداً بسوء أو تولد أي اضطراب أو قلق كان، إذ لم يشاهد منها ما يومي إلى غرض سياسي ونفع دنيوي مهما كان». (النورسي، اللغات، 2011، صفحة 236).

فالوسطية، والاعتدال، والقُدوة، والحكمة قبل الدعوة؛ ولا غرو أن النفس البشرية مجبولة على حب الإحسان؛ وإنقاذ الإيمان هو أعظم إحسان قُدم للشعب التركي؛ ولهذا استجاب لرسائل النور طواعية، وانقاد لمضامينها السلمية؛ لأنها بريئة من أدران السياسة، وأطماع أصحابها.

فخدمة الإيمان سبيل فعال من سبل نشر رسائل النور؛ ذلك أن هذه القوة الروحية هي التي تحرك الرغبة في التبليغ؛ وتنتشر الوعي الديني المستقيم الذي يفضي إلى السعادة الأبدية. يقول الأستاذ: «إن إيمان شخص واحد إنما هو مفتاح ونور لعالم خالد أوسع من هذه الدنيا. ولهذا فإن رسائل النور تُكسب المتعرضَ إيمانه للهلاك مُلكاً أعظم من هذه الكرة الأرضية، وتورثه سلطنة أجدى منها، وتمنحه فتوحات أعظم منها». (النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور، 2011، صفحة 108)

استنساخ رسائل النور، والدعوة إلى تحريرها:

وإن أحرزت السياسة بعض التقدم - كما هو مشاهد في العالم المعاصر - إلا أن غياب الإيمان أفضى إلى انتشار النفاق بين الدول؛ ومن ثم حدثت قطيعة عند المسلمين بين الدين، والأخلاق كما حدث عند العلمانيين فصل بين العلم والدين. فما السبيل الناجعة لنشر رسائل النور، وإنقاذ إيمان البشرية؟.

لم يحدّد الأستاذ النورسي سبباً بعينها لنشر رسائل النور؛ وإنما ذكر بعض الطرق التي تفي بغرض النشر والإرشاد والإصلاح، ورأى أن الرسائل هي ملك الجميع؛ ومن ثم تقع مسؤولية التبليغ على كل فرد آمن بها. «إن خاصية الطالب هي أن يتبنى العمل للرسائل المؤلفة كأنه هو صاحبها، وكأنه هو الذي ألفها وكتبها فيسعى جاداً لنشرها وإبلاغها إلى من هو أهل لها [...] إن المهمة الجليلة في هذا الوقت هي خدمة الإيمان، إذ هي مفتاح السعادة الأبدية» (النورسي، 2011، صفحة 75، وملحق قسطنطيني الصفحة 101).

يحدّد النورسي مفهوم الانتساب إلى رسائل النور؛ وهو مفهوم عملي، وليس نظرياً يقف عند حدود الإعجاب؛ بل يتجاوز مجرد الانتماء النفعي إلى تحمل مسؤولية التبليغ، والإرشاد؛ وهي مهمة شريفة نابعة من صدق الانتماء، وشرف الانتساب؛ ومتى أيقن طالب النور أن الرسائل هي جزء لا يتجزأ من ذاته أخلص في نشرها وتبليغها؛ وسعى إلى تحمل معاناة التبليغ، وقساوة النشر.

ومن أبرز طرق نشر الرسائل:

خدمة الإيمان أول طريق لنشر رسائل النور: لرسائل النور قيمة روحية، ومعرفية ظاهرة لكل من ذاق حلاوتها، وعاش مضامينها معايشة صادقة في رحاب الإيمان؛ بعيداً عن حظوظ النفس، وشهواتها؛ ومن منطلق هذه الخدمة الجليلة؛ فإن قراءة رسائل النور قراءة خاصة؛ تتجاوز إطار التحصيل المادي النفعي إلى التحصيل الروحي؛ ولهذا يقرّر النورسي أن خصوصية تحصيل العلم بالرسائل منهج غير مسبوق فيقول: «إن قراءة رسائل النور وتحصيل العلم فيها شيء مبتكر وأصيل في الحقيقة ولا يوجد ما يشابهه؛ ذلك لأن أي تحصيل علمي آخر تكون الغاية من الاستمرار فيه هي المنفعة المادية أو الحصول على موقع ما، [...] أما رسائل النور فتشبه جامعة حرة غير منظمة، والذين يداومون في هذه الجامعة بقراءة رسائل النور لا يبتغون أي هدف دنيوي بل يبتغون خدمة الإيمان والقرآن فقط لا غير». (النورسي، الشعاعات، 2011، صفحة 563).

هي جامعة إيمانية، التحصيل فيها أخروي، والمداومة على قراءة رسائل النور - وهي برامج الجامعة الروحية - خالصة تبتغي خدمة الإيمان دون شهرة أو جاه أو سلطان. والتحقيق أن خصوصية

أفضل أم استنساخ الرسائل ؟.

لا جدال في أن الإيمان طاقة روحية خلّاقة، ولا توتّي هذه الطاقة ثمارها العملية إلا بنقل هذه الأحاسيس الإيمانية، وتحويلها إلى واقع ملموس.

ولما كانت رسائل النور مستوفية للخدمة الإيمانية؛ فكان لزاماً على طلابها السهر على تحريرها؛ لتعم فائدة النشر والإرشاد والتبليغ؛ ذلك أن تجربة الرسائل لا تحقق المقاصد الشرعية، والأهداف المعنوية والتربوية التي من أجلها ضحّى الأستاذ النورسي - رحمه الله- وأتباعه إلا بكتابتها، وهي: « أهم وظيفة للمنتسب إلى رسائل النور، كتابتها، ودعوة الآخرين إلى كتابتها، وتعزيز انتشارها؛ فالذي يكتبها أو يستكتبها، يكسب عنوان « طالب رسائل النور »؛ فيغتم بهذا العنوان حظاً من مكتسباتي المعنوية، ومن دعواتي الخيرية ». (النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور، 2011، صفحة 108 وينظر: النورسي، سيرة ذاتية الصفحة 354).

فلم شرفت كتابة رسائل النور؟ ولم عدّها النورسي من مكتسباته المعنوية؟.

إنّ للكتابة شرفاً، وفضلاً عظيماً؛ لأنها وعاء جواهر الألفاظ، وحمية الأمانة؛ وقد علت مكانتها بين الشعراء والأدباء والبلغاء حتى قيل: « كل صناعة تحتاج إلى نكاه، إلا الكتابة فإنها تحتاج إلى نكاهين: جمع المعاني بالقلب، والحروف بالقلم »⁽³⁴⁾. ويكفي الكتابة شرفاً وتيها أن الله تعالى وصف بها الحفظة من الملائكة فقال سبحانه: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿10﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ) (سورة الإنفطار: الآيتان: ١٠، ١١).

إنّ الكتابة هي القيد الذي يمنع من انفلات المكتوب، وضياعه؛ ولهذا أدرك النورسي بحسه الإنشائي مرتبة الكتابة في نشر رسائل النور، وتعزيز بقائها واستمرارها؛ بل إن الانتساب الشرعي للرسائل موقوف على كتابتها أو استكتابها؛ ويرى في هذا الجهد مكسباً روحياً، وأجرًا أخروياً.

ينال كاتب رسائل النور دعوة صاحبها، ودعوة إخوانه من طلاب النور؛ وهي مكتسبات معنوية؛ مما يعني أن الأجر الروحي هو المحرك للكتابة والتحرير؛ فالرسائل لها قدسية وروحانية خاصة، وكتابتها تستمد الفضل من هذه القدسية.

٣. طرق استنساخ الرسائل، ونشرها:

تناول الأستاذ النورسي قضية كتابة رسائل النور من المنطلقات الآتية:

الاستنساخ اليدوي: طرح النورسي مسألة الاستنساخ في رحاب السؤال الآتي: هل حفظ القرآن

لم يطرح الأستاذ هذا السؤال من زاوية الموازنة أو المفاضلة؛ وإنما من باب ترتيب الأولويات؛ وهو يدرك إدراكاً كاملاً أن تلاوة القرآن، وحفظه أشرف مقام في هذا الوجود؛ إلا أنه يرى في رسائل النور الأداة المعينة على تفسير حقائقه وفهم معانيه. يقول الأستاذ معللاً: «لأن رسائل النور براهين لحقائق القرآن العظيم الإيمانية وحججه، ولكونها وسيلة إلى حفظ القرآن الكريم وتلاوته، ومفسرة لحقائقه وموضحة لها، ينبغي السعي لها أيضاً جنباً إلى جنب حفظ القرآن». (النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور، 2011، صفحة 116). فحفظ القرآن أولى ثم قراءة رسائل النور الدالة على حقائق القرآن، وبراهينه الساطعة.

ومما هو معلوم في سلم التحصيل المعرفي في الثقافة العربية الإسلامية أن حفظ القرآن مدخل كل تحصيل علمي رصين، وبداية كل ناشئ غمر رام التبحر في العلوم. يقول ابن خلدون [ت 808هـ]: « اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم ». (ابن خلدون، 2001، صفحة 740 الجزء 1) فحفظ القرآن هو المدخل الطبيعي في التعليم حتى: « صار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات ». (ابن خلدون، 2001، صفحة 740 الجزء 1).

يصور الأستاذ النورسي تجربة طلاب النور في استنساخ الرسائل؛ مبرزاً تضحياتهم الجسيمة، ومعاناتهم الجليلة في سبيل نشر الوعي والهدى القرآني قائلاً: « بدأت عشرات، ثم مئات، ثم آلاف من طلبة النور رجالاً ونساءً في الانكباب على استنساخ رسائل النور ساعات عديدة من الليل والنهار حتى إن بعضاً منهم قضى سبع سنوات لم يغادر منزله وهو مكب على هذه المهمة. حتى كان في قرية «ساو» القريبة من إسبارطة ألف من مستسخي الرسائل ». (النورسي، سيرة ذاتية، 2011، صفحة 290).

لا يمكن لهذه المعاناة أن تبلغ درجة من التخلي عن الأقارب لو لم يكن طلاب النور على يقين بقداسة هذه المهمة الشريفة النبيلة؛ إذ انكبوا على استنساخ الرسائل بشوق لتعم هذه الأنوار الإيمانية الأصقاع والبقاع؛ ذلك أن الكتابة هي وسيلة التواصل الناشئة لأسرار حقائق النور، ومضامينها: « فهي تُطلع على ما في الضمائر وتتأدى بها الأغراض إلى البلاد البعيدة فتقضي الحاجات ». (ابن خلدون، 2001، صفحة 524 الجزء 1)

الحفاظ على ما في دفاعي من قيمة ، هو عدم هجر رسائل النور بمضايقات هذه الحادثة وأمثالها ، وعدم استياء الأخ من أستاذه ، وعدم النفور من إخوانه مما يسببه الضيق والضجر ، وعدم تتبع عورات الآخرين وتقصيراتهم « (النورسي، سيرة ذاتية، 2011، صفحة 347).

هي حقيقة ناصعة في مجال الدعوة الإسلامية ، وهو توجيه تربوي نبيل من الأستاذ لإخوانه؛ بغية تثبيت العهد والوفاء والثبات على الحق ، وشدّ الهمة في نشر رسائل النور؛ فالخدمة الإيمانية حجاب دون الاستسلام لحظوظ النفس جزاء سوء تقدير من قائد حضيف أمين.

إن هجر رسائل النور بسبب حادثة عابرة هو دليل على هشاشة علاقة طالب النور بأستاذه وإخوانه؛ ولا يمكن

أن يصرف النظر طلاب الرسائل عن تقصير بعضهم؛ إلا إذا أيقنوا بقداسة المهمة الشريفة الموكلة إليهم، والاعتقاد الجازم بأن المصائب منح إلهية ، وعطاء رباني.

فأمر طبيعي أن يشعر أصحاب الدعوة الإسلامية بضيق، وضجر مما يعترضهم من حوادث مؤلمة؛ وهو مسلك الأنبياء في الدعوة إلى الحق ، وما يلحقهم من الأذى والهجر؛ ولكن النفوس الأبية تقابل المصائب بالتمسك بالإيمان؛ وما من شيء يدفع الضيق، والغم ، والكدر إلا التسليم للقضاء ، والقدر.

خاتمة

لا جرم أنّ الإيمان الصادق هو العنوان الحقيقي على تدين راسخ، ومصدر ثبات على عوائق الدعوة وعلائقها؛ فهو نهر معطاء يوجد بأسرار الحقيقة، وأنوار الطريقة. وقد كان طريق رسائل النور مثقلاً بهموم الدعوة ، ومعاناتها وآلامها ؛ وهو واقع أكسب طلاب النور متانة، وصبراً وجلداً ، وأفضى إلى انتصارات مذهلة في مجال التربية الروحية، والمعرفية. والحاصل من هذه المقارنة جملة من النتائج نجمها في سبع نقاط:

1. الإيمان الحقيقي هو مصدر معرفة قدسية جليلة ، و منبع جميع السعادات، ومفتاح السعادة الباقية ، والإيمان التقليدي حجاب دون بلوغ مراتب الصفاء الروحي.
2. إظهار الحقيقة الإيمانية، وتجسيد الإيمان الحقيقي هو غاية رسائل النور ، ومقصدها الأسمى.
3. استمدت رسائل النور خصوصيتها، وتأثيرها، وجاذبيتها من روح القرآن الكريم؛ ومن ثم

ولم يكن استنساخ الرسائل بالأمر الهين المتاح لغياب المطبعة ، وتبدل الحروف؛ والظروف السياسية والأمنية التي صاحبت عملية النشر ؛ ومع ذلك انتشرت هذه الأسرار القرآنية، والأنوار الإيمانية بفضل الله تعالى، وجهود طلاب النور المخلصة؛ إذ عدّ النورسي هذه الخدمة: « كرامة قرآنية واضحة وعناية إلهية ظاهرة ليس إلا ». (النورسي، سيرة ذاتية، 2011، صفحة 292)

سُعاة بريد النور: ما وسيلة نقل رسائل النور إلى القرى، وإبلاغها إلى جميع المدن؟.

طبيعة رسائل النور الروحانية وجوهرها الرباني ، وحرص طلابها على نشرها؛ فضلاً عن المضايقات التي لازمت دعواتها جعلها تسلك مسلك السرية في نشرها؛ إذ: « تنقل سراً ، ثم تستنسخ باليد ثم توزع على القرى والنواحي والمدن القريبة ، فتشكّلت بهذا « سعاة بريد النور » الذين كان واجبهم ينحصر في نقل الرسائل من قرية إلى قرية ، ومن مدينة إلى مدينة ». (النورسي، سيرة ذاتية، 2011، صفحة 353).

هي استراتيجية مناسبة تعكس قيمة رسائل النور الإيمانية ، ومسؤولية حملها ونشرها ، وأهلية حاملها؛ وفي كل مراحل النشر والتوزيع تبقى الخدمة الإيمانية هي المحرك لهذه المهمة الصعبة.

الشعور الذي ينجز الخدمات: يتعمق الأستاذ في استجلاء حقيقة نشر رسائل النور، وبيّن الكرامة الإلهية التي لازمت إنجاز هذه المهمة المقدسة؛ معزوا إياها إلى حقيقة نورانية أمدت هذه الجهود المادية الصادقة بإشعاع رباني؛ مما وُدّ الافتخار بالخدمة الإيمانية؛ لأنها طوعية نابعة من إيمان صادق لا تحركه مطامع الدنيا الزائلة، ولا الأغراض الدنيوية الفانية. يقول النورسي: « إن الذين يحملون على أكتافهم أعباء خدمة الإيمان والقرآن والتي هي بمثابة خزينة الحق والحقيقة العظيمة الرفيعة يفتخرون كلما انضمت إليهم أكتاف قوية متعاونة معهم » (النورسي، سيرة ذاتية، ٢٠١١، صفحة ٢٩٣).

عدم هجر الرسائل:

يخاطب الأستاذ النورسي طلاب النور من منطلق القائد العارف بأسرار القيادة الرشيدة التي تعي مسؤولية تحمل الخطأ غير المتعمد ؛ مؤمناً إيماناً جازماً بأن المصيبة قدّر إلهي؛ وهو بهذا الخطاب الموجه لإخوته يعكس الحقيقة الآتية: أن القائد مهما أوتي من حصافة الرأي، ورجاحة العقل قد يخطئ في تقدير الأمور أحياناً؛ ومن ثم لا تثريب عليه؛ فقد دافع الأستاذ عن طلابه في كل المحافل؛ إذ يرى -رحمه الله- أن قيمة هذا الدفاع هي عربون الوفاء لرسائل النور وطلابها. يقول النورسي: « إن شرط

بيروت - لبنان.

8. النورسي ، بديع الزمان سعيد ، سيرة ذاتية ، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي ، الطبعة السادسة، 2011م ، القاهرة ، شركة سوزلر للنشر.
9. النورسي ، بديع الزمان سعيد ، الشعاعات ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، الطبعة السادسة، 2011م ، القاهرة ، شركة سوزلر للنشر.
10. النورسي ، بديع الزمان سعيد ، صيقل الإسلام، ترجمة وتحقيق إحسان قاسم الصالحي ، الطبعة السادسة، 2011م ، القاهرة ، شركة سوزلر للنشر.
11. النورسي ، بديع الزمان سعيد ، الكلمات ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، الطبعة السادسة، 2011م ، القاهرة ، شركة سوزلر للنشر.
12. النورسي ، بديع الزمان سعيد، اللغات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، الطبعة السادسة، 2011م ، القاهرة ، شركة سوزلر للنشر.
13. النورسي ، بديع الزمان سعيد ، المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، الطبعة السادسة، 2011م ، القاهرة ، شركة سوزلر للنشر.
14. النورسي ، بديع الزمان سعيد ، الملاحق في فقه دعوة النور، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، الطبعة السادسة، 2011م ، القاهرة ، شركة سوزلر للنشر.

اختلفت عن كل الرسائل مضموناً، ومنهجاً.

4. الإخلاص لله تعالى ، ونكران الذات ، وتجنب الشهوات الخفية، وحفظ النفس الشقية هي أركان الإيمان الحقيقي، وعدم الإحساس بالإحسان هو الإحسان ذاته.
5. تتحصر مهمة رسائل النور في الإرشاد، والتبليغ ، وكشف الآلام المعنوية.
6. خدمة الإيمان هي المدخل الطبيعي لنشر رسائل النور .
7. استنساخ الرسائل ، واستكتابها آليات عملية فعّالة في تبليغ مضامين رسائل النور .

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم ، مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي ، مجمع الملك فهد لطباعة القرآن بالمدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، الإصدار الثاني.
2. ابن خلدون ، عبد الرحمان ، المقدمة ، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس جليل شحادة ،مراجعة سهيل زكار ، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1421هـ - 2001م ، بيروت -لبنان.
3. الأصفهاني ، الراغب ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، حقه وضبط نصوصه وعلق حواشيه عمر الطباع ، الطبعة الأولى 1420هـ - 1990م ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت - لبنان.
4. الجويني ، أبو المعالي إمام الحرمين ، الكافية في الجدل ، تقديم وتحقيق وتعليق فوقية حسين محمود ، مطبعة البابي الحلبي وشركاه ، 1399هـ - 1979م ، القاهرة.
5. دراز ، محمد عبد الله ، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن ، اعتنى به وخرّج أحاديثه عبد الحميد الدخاخي ، الطبعة الأولى 1417هـ - 1997م ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض.
6. الزرقاني ، محمد عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، حقه واعتنى به فوز أحمد زملي، الطبعة الأولى 1415هـ - 1995م ، دار الكتاب العربي ، بيروت -لبنان.
7. الغزالي ، أبو حامد، إحياء علوم الدين ، ومعه المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار ، الطبعة الأولى 1426هـ - 2005م ، دار ابن حزم ،

يقول النورسي مؤكداً لتلك المعاني: ((إيماني هذا لذة ما بعدها لذة، لذة كافية وافية ودائمة، وسعادة خاصة نقية لا يعكرها ألمٌ، ففهمت من تلك الآية الكريم: (حسبنا الله ونعم الوكيل) كم يكون إذن عبارة « الحمد لله على نعمة الإيمان » عبارة جديرة وثيقة)). (الشعاعات 79).

سياقات التحميدات النورية بين الإيمان والقرآن والإسلام - دراسة تحليلية -

د. فرهاد إبراهيم أكبر الشواني
عميد كلية القلعة الجامعة للدراسات الدينية بأربيل/العراق
أستاذ مشارك بكلية العلوم الإسلامية بجامعة صلاح الدين - أربيل
Mail: farhad976@yahoo.com

الملخص

الحمد لله على نعمة الإيمان والقرآن والإسلام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف البرية وخير الأنام، وعلى آله وصحبه ذوي الفضل والإكرام. أما بعد:

فإن الانتساب لله تعالى نابع من الإيمان القائم على الحجج والبراهين التي تجعل لطائف الإنسان راضخة للأوامر الصادرة عن المعبود الحق ومنقادة للتكاليف الشرعية على ضوء تبدلها من الإمكان العادي إلى الإمكان العقلي كما هو مبين عند المناطق في مصنفاتهم، وبمعنى آخر إن امتزاج اللطائف الإنسانية من روح وقلب وعقل وشعور ووجدان وغيرها ودورانها حول مرتكز واحد وغاية واحدة تجعل الإنسان مسخراً لتحمل المسؤولية المناطة به في حدود المكان الذي يعيش فيه وهذا يعني التسليم المطلق لخالقه الكريم من حيث انصياعه للأوامر التكوينية والأوامر التشريعية، ويعبر عن هذا النوع بالإيمان الحقيقي الذي يفتح للإنسان أبواب العروج نحو الكمالات والمشاهد النورانية، وأن السبيل الموصل إلى هذا النوع من الإيمان وأساسه هو القرآن الكريم والإسلام، واستناداً على هذه الحقيقة فقد وردت في رسائل النور تحميدات مباركة وفي سياقات مختلفة تضمنت إقراراً بفضل الله تعالى، واعتراضاً بوجوده وكرمه على ما أنعم على المؤمنين بنعمة الإيمان والقرآن والإسلام ليحضوا بالسعادة في الدارين.

وبناء على ما سبق وإنعامنا النظر في رسائل النور وجدنا أن عبارة: (الحمد لله على نعمة الإيمان) وردت في رسائل النور في سياقات متعددة ومناسبات مختلفة، فقد وردت منفردة في أماكن، وأحياناً اقترن بها لفظ (القرآن) تارة، ولفظ (الإسلام) تارة أخرى، ولكل سياق موضوع يناسبه وله ارتباط محدد بتلك العبارة، وبيان ذلك كالآتي:

1. الحمد لله على نعمة الإيمان.

2. الحمد لله على نعمة الإيمان والقرآن.

3. الحمد لله على نعمة الإيمان والإسلام.

فالبحت يروم بيان أهمية هذه التحميدات النورية ومنزلتها العظيمة في الأوراد والأذكار، كما يهدف إلى إبراز داعي من تلك التحميدات من حيث كونها جاءت في سياقات مختلفة تناسب الموضوع الذي وردت فيه.

ولقد اقتضت طبيعة البحث والمادة العلمية تقسيمها على مقدمة ومبحثين وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع، فخصصت المبحث الأول للتعريف بالحمد ودلالاتها في رسائل النور، وأما المبحث الثاني فقد ارتأيت الحديث فيه عن سياقات التحميدات النورية، وختمت بحثي بخاتمة تكررت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، ثم أردفته بقائمة للمصادر والمراجع.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الكلمات المفتاحية: (التحميدات، النور، الإيمان، القرآن، الإسلام)

المبحث الأول: التعريف بالحمد ودلالته في رسائل النور

أولاً: التعريف بالحمد

ووضح العلماء فروقاً بين الحمد والمدح من جوانب كثيرة منها^(١):

الحمد الثناء على الجميل من نعمة أو غيرها مع المحبة والإجلال. فالحمد: أن تذكر محاسن الغير، سواء كان ذلك الثناء على صفة من صفاته الذاتية كالعلم والصبر والرحمة والشجاعة، أم على عطاءه وتفضله على الآخرين. ولا يكون {الحمد} إلا للحَيِّ العاقل. وهذا من أشهر ما فُرِّقَ بينه وبين المدح. فإنك قد تمدح جماداً، وقد تمدح حيواناً ولكن لا تحمده، فقد تقولُ كلاماً في مدح الديك، وفي مدح البقر، وفي مدح الكلب، وفي مدح الذهب، وفي مدح اللؤلؤ وغير ذلك، ولكن لا تحمده.

إن المدح قد يحصل للحَيِّ ولغير الحَيِّ، ألا ترى أن من رأى لؤلؤة في غاية الحسن أو ياقوتة في غاية الحسن فإنه قد يمدحها، ويستحيل أن يمدحها، فنبت أن المدح أعم من الحمد.

إن المدح قد يكون قبل الإحسان، وقد يكون بعده، أما الحمد فإنه لا يكون إلا بعد الإحسان. فإن الحمد يكون لما هو حاصل من المحاسن في الصفات، أو الفعل، فلا يمدح من ليس في صفاته ما يستحق الحمد، ولا يمدح من لم يفعل جميلاً. أما المدح، فقد يكون قبل ذلك، فقد تمدح إنساناً ولم يفعل شيئاً من المحاسن والجميل، ولذا كان المدح منهياً عنه، بخلاف الحمد، فإنه مأمور به، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ، فَاحْتُوا فِي وُجُوهِهِمِ التُّرَابَ»^(٢). في حين قال: «من لم يمدح الناس لم يحمد الله»^(٣).

وهناك فرق آخر بين الحمد والمدح، وهو أن في الحمد تعظيماً وإجلالاً ومحبة، ما ليس في المدح، فكان اختيار (الحمد) أولى من اختيار (المدح).

ثانيهما: الحمد بمعنى الشكر، فكما تقول: الحمد لله، تقول أيضاً: الشكر لله^(٤) ولا فرق بينهما واختاره الطبري قائلاً: «ولا تَمَاحُ بين أهل المعرفة بلغات العرب من الحُكْم، لقول القائل: «الحمد لله شكرًا» - بالصحة. فقد تبين - إذ كان ذلك عند جميعهم صحيحاً - أن الحمد لله قد يُنطق به في موضع الشكر، وأن الشكر قد يوضع موضع الحمد. لأن ذلك لو لم يكن كذلك، لما جاز أن يُقال: «الحمد لله

1 ينظر: مفاتيح الغيب 1/190، ولمسات بيانية 11.

2 صحيح مسلم 8/228، كتاب الآداب، رقم 7616.

3 لم أجده بهذا اللفظ ولكن جاء بلفظ آخر وهو: (مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ) أخرجه الترمذي في سننه عن أبي سعيد الخدري 4/339، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، برقم 1955.

4 ينظر: لسان العرب 3/155

الحمد مصدر مشتق من حَمَدَ، وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم إحدى وستون مرة، ضمن اشتقاقات مختلفة، فقد جاء بلفظ: الحمد، وبحمد، وبحمدك، وبحمده، وحמיד، ويحمدوا، والحمدون.

وقد استعمل لفظ الحمد في كلام العرب بمعنيين:

أولهما: بمعنى المدح والثناء وهو نقيض الذم، يقال حَمَدْتُ فلاناً على فعله. ورجل محمود ومحمد، إذا كَثُرَتْ خصاله المحمودة غيرُ المذمومة^(١).

وقد جاء في القرآن الكريم بهذا المعنى، قال تعالى: {وَيُجِيبُونَ أَنْ يَحْمَدُوا بِمَا لَمْ يُفْعَلُوا}^(٢).

وفي قوله تعالى: {ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك}^(٣) أي نخلط التسبيح بالحمد ونصله به، والحمد: الثناء^(٤).

يقول الأستاذ النورسي - رحمه الله -: «أما {نسبح بحمدك} فكلمة جامعة، أي نعلتك في الكائنات بأنواع العبادات، ونعتقد تنزهك عما لا يليق بجنابك بتوصيفك بأوصاف الجلال، وما هو إلا من نعمك المحمود عليها، ونقول: سبحان الله وبحمده»، ونحمدك ونصفك بأوصاف الجلال والجمال^(٥).

وقد ذكر ابن كثير أنه: «لما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة، ويستلزم إثبات الكمال، كما أن الحمد يدل على إثبات صفات الكمال مطابقة، ويستلزم التنزيه من النقص - قرن بينهما في هذا الموضع، وفي مواضع كثيرة من القرآن؛ ولهذا قال: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}^(٦) (7).

1 ينظر: مقاييس اللغة 2/100، ولسان العرب 3/155، والجامع لأحكام القرآن 1/177.

2 سورة آل عمران 188.

3 سورة البقرة 30.

4 ينظر: الجامع لأحكام القرآن 1/318.

5 إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز 33.

6 سورة الصافات 182-180.

7 تفسير القرآن العظيم ابن كثير 7/46.

وعلى الشكر، والجزاء مخصوص إنما يكون مكافأة لمن أولاك معروفاً، فصار الحمد أعم في الآية لأنه يزيد على الشكر»⁽¹⁾.

وقال ابن الجوزي: «الْحَمْدُ: ثناء على الْمُحْمُودِ، ويشاركه الشُّكْرُ. إِلَّا أَنْ بَيْنَهُمَا فَرْقًا وَهُوَ أَنَّ الْحَمْدَ قَدْ يَقَعُ عَلَى سَبِيلِ الْإِبْتِدَاءِ، وَعَلَى سَبِيلِ الْجَزَاءِ. وَالشُّكْرُ: لَا يَكُونُ إِلَّا فِي مُقَابَلَةِ النِّعْمَةِ، فَكُلُّ شُكْرٍ: حَمْدٌ، وَلَيْسَ كُلُّ حَمْدٍ شُكْرًا»⁽²⁾.

ويبدو من خلال ما تقدم أن الحمد معنى هو نظير الشكر في عرف الناس واستعمالاتهم وهذا ما ذكره النورسي في رسائل النور⁽³⁾، إلا أنه في القرآن الكريم قد استعمل للثناء والتعظيم والشكر المخصوص بالله تعالى لكونه إلهاً وخالقاً ومنعماً، فالحمد يليق بمقام الله تعالى وحده، فهو يفيد التعظيم والتقدير والتزويه بسبب نعمة وإصلة إليك أو إلى غيرك، بينما الشكر مشترك يليق بمقام الخالق والمخلوق إزاء النعم المقدمة منهما، فمن أسدى إليك بالتحديد معروفاً فأنت تبدي له الشكر بالقول أو القلب أو الجوارح من دون تعظيم ولا تقديس.

وإلى هذا المعنى يشير الفخر الرازي بقوله: «وأما الفرق بين الحمد وبين الشكر فهو أن الحمد يعم ما إذا وصل ذلك الإنعام إليك أو إلى غيرك، وأما الشكر فهو مختص بالإنعام الواصل إليك...، فقوله الحمد لله أولى من قوله الشكر لله لأن قوله الحمد لله ثناء على الله بسبب كل إنعام صدر منه ووصل إلى غيره وأما الشكر لله فهو ثناء بسبب إنعام وصل إلى ذلك القائل، ولا شك أن الأول أفضل لأن التقدير كأن العبد يقول: سواء أعطيتني أو لم تعطني فإنعامك واصل إلى كل العالمين، وأنت مستحق للحمد العظيم»⁽⁴⁾.

1 الجامع لأحكام القرآن 1/179.

2 نزهة الأعين 251.

3 ينظر: صيقل الإسلام 157.

4 مفاتيح الغيب 1/191.

شكراً»، فيُخْرَجُ من قول القائل «الحمد لله» مُصَدَّرٌ: أَشْكُرُ، لأن الشكر لو لم يكن بمعنى الحمد، كان خطأ أن يُصَدَّرَ من الحمد غير معناه وغير لفظه»⁽¹⁾.

وقد ورد عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: « الحمد لله كلمة كل شاعر»⁽²⁾. إذ جاء بهذا المعنى في القرآن الكريم كثيراً، منه قوله تعالى وصية لنوح عليه السلام: {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} ⁽³⁾، وقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ} ⁽⁴⁾، وقال في قصة داود وسليمان: { وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ} ⁽⁵⁾، وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: { وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا} ⁽⁶⁾، وقال أهل الجنة: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ} ⁽⁷⁾ وقولهم: { وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} ⁽⁸⁾.

وذكر الجرجاني أن لا فرق بين الشكر اللغوي⁽⁹⁾ والحمد العرفي⁽¹⁰⁾ لأن كلاهما يفيدان تعظيم المنعم والثناء عليه لكونه منعماً.

وقال ابن منظور: «والحمد والشكر متقاربان والحمد أعمهما لأنك تحمد الإنسان على صفاته الذاتية وعلى عطائه ولا تشكره على صفاته»⁽¹¹⁾.

وقال القرطبي: «قال علماءنا: الحمد أعم من الشكر، لأن الحمد يقع على الثناء وعلى التحميد

1 تفسير الطبري 1/138.

2 الجامع لأحكام القرآن 1/178.

3 سورة المؤمنون 38.

4 سورة إبراهيم 39.

5 سورة النمل 15.

6 سورة الاسراء 111.

7 سورة فاطر 34.

8 سورة يونس 10.

9 الشكر اللغوي: هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل على النعمة من اللسان والجنان والأركان. ينظر: التعريفات 128.

10 الحمد العرفي: فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعماً، أعم من أن يكون فعل اللسان أو الأركان. ينظر: التعريفات 93.

11 ينظر: لسان العرب 3/156.

(الشكر العرفي) الذي هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرهما إلى ما خلق لأجله وهو العبادة⁽¹⁾.

فدلالة {الحمد} عرفاً عند النورسي أعمق من أن تكون باللسان فقط، إذ يراد بها تعظيم المنعم على النعمة باللسان أو الجنان أو الأركان، وعلى هذا الأساس يكون بين (الحمد العرفي) و (الشكر العرفي) عموم وخصوص مطلق⁽²⁾.

فيقول -رحمه الله- مشيراً إلى ذلك المعنى: « فإذا صرف الإنسان كل ما أنعم عليه إلى ما خلق لأجله أيفاءً للشكر العرفي - الداخلة تحت (الحمد) - وامتثالاً للشريعة التي هي جلاء لصدأ الطبيعة، يصير كل نموذج مشكاة لعالمه ومرآة له وللصفة المتجلية فيه والاسم المتظاهر منه، فيكون الإنسان بروحه وجسمه خلاصة عالمي الغيب والشهادة، ويتجلى فيه ما تجلى فيهما. فبالحمد يصير الإنسان مظهراً للصفات الكمالية الإلهية⁽³⁾».

ومن جانب آخر أشار النورسي إلى أن عبارة {الحمد لله} الواردة في سورة الفاتحة قد تكررت أيضاً في أربع سور من القرآن، وهي: (الأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر)، وكل واحدة منها ناطرة إلى نعمة من النعم الأساسية التي هي: النشأة الأولى، والبقاء فيها، والنشأة الأخرى والبقاء بعدها، ففي سورة الأنعام إشارة إلى الإيجاد الأول، قال تعالى: { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْمَلُونَ }⁽⁴⁾، وفي سورة الكهف إشارة إلى الإبقاء الأول: قال تعالى: { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * مَا كَثِيرٌ فِيهِ آيَاتٌ * }⁽⁵⁾، وفي سورة سبأ إشارة إلى الإيجاد الثاني، قال تعالى: { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ }⁽⁶⁾، وفي سورة فاطر إشارة إلى الإبقاء الثاني، قال تعالى: { الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

1 ينظر المصدر السابق 28، وشرح الملا عبد الحميد على تعليقات الإمام النورسي في كتابه (قزل إيجاز) على السلم المنورق للشيخ عبد الرحمن الأخضرى، وهو مطبوع ضمن كتاب صيقل الاسلام 158،

2 تحدث السيد الشريف الجرجاني عن أقسام الحمد والشكر موضحا العلاقة بينها. للمزيد من التفاصيل ينظر: كتاب التعريفات 93، 128.

3 ينظر: إشارات الإعجاز 26.

4 سورة الأنعام 1.

5 سورة الكهف 3-1.

6 سورة سبأ 1.

ثانياً: دلالة الحمد في رسائل النور

إن رسائل النور لم تحصر نظرها في ألفاظ القرآن الكريم لفظة لفظة، بل حاولت توسيع معانيها لتشمل جميع المقاصد والحكم التي يحتاجها الإنسان في حياته لتستقر لطائفه فينعم بالسعادة الروحية والقلبية والجسدية في ظل الإيمان النابع من الكتاب المقروء والمنظور - القرآن الكريم والكون -.

وعلى هذا الأساس تلهمننا رسائل النور إلى الإفادة من المعطيات التي نشاهدها في الكون آفاقاً وأنفساً؛ لنستدرك حقيقة ما يريده منا خالقنا الكريم، ونكون على إحاطة تامة بالعلة الغائية⁽¹⁾ التي خلقنا من أجلها وهي: الحمد والإقرار بالجميل حقيقةً وبقيناً، وهذا هو أساس وجود الوجود؛ فبه يستشعر الحامد بعد الإقرار بالعجز والضعف والفقر جميل فضل الله تعالى عليه، وسعة كرمه؛ ليظفر بالانتساب إلى قوة عظيمة تملك زمام الوجود من الذرات إلى المجرات، فيقول الأستاذ النورسي ما نصه: « إن ذلك المنعم الحقيقي يطلب منا ثلاثة أمور لتلك النعم الغالية: الأول: الذكر .. الثاني: الشكر .. الثالث: الفكر، ف«بسم الله» بدءاً هي ذكر، و«الحمد لله» ختاماً هي شكر، وما يتوسطهما هو الفكر⁽²⁾».

ولقد أولت رسائل النور اهتماماً كبيراً بترسيخ المفاهيم الإيمانية التي يحتاجها الإنسان في حياته، ووضحت له المصطلحات البارزة في القرآن الكريم كمصطلح (الحمد) المتضمن لجميع معاني الثناء والشكر، ووصفته بالعلة الغائية كما أشرنا إلى ذلك مسبقاً، فقد جاء فيها وبالتحديد في قوله تعالى في سورة الفاتحة: { الحمد لله رب العالمين }، أن وجه النظم في {الحمد} يكون مع ما قبله في البسمة التي أثبت لله صفتي {الرحمن} و {الرحيم} باعتبارهما نعمتين عظيمتين ودقيقتين شملتا الكون كله مما يستوجبان تعقيب الحمد، فالابتداء بـ {الحمد لله} وجعله فاتحة القرآن هو الحمد صورة إجمالية للعبادة التي هي نتيجة الخلقة، والمعرفة التي هي حكمة وغاية للكائنات، فكان ذكره تصور للعلة الغائية وهو قوله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}⁽³⁾⁽⁴⁾.

وعلى هذا الأساس فإن النورسي يرى أن كلمة {الحمد} المستهل بها في سورة الفاتحة متضمنة معنى

1 أي: يكون المعلوم لأجلها. ينظر: هامش رقم خمسة من كتاب إشارات الإعجاز 25.

2 الكلمات 8.

3 سورة الذاريات 56.

4 ينظر: إشارات الإعجاز 25-24.

ومن جانب آخر تثبت رسائل النور صفة المحمودية لله تعالى من حيث كونها مختصة به على لسان جميع الحامدين والشاكرين، وفيها: "لا إله إلا الله هو المحمود لكل الحامدين"⁽¹⁾، حتى نقل عن أهل التأويل أن: الحميد اسم الفردانية، لا يحمد ولا يشكر غيره⁽²⁾.

ثانياً: المحمود عليه، وهي جميع النعم الظاهرة والباطنة التي أسبغها المحمود على مخلوقاته فجميعها موجبة للحمد والشكر كما أمر الله تعالى في آيات كثيرة: {أفلا يشكرون}⁽³⁾، {وسنجزى الشاكرين}⁽⁴⁾، {لئن شكرتم لأزيدنكم}⁽⁵⁾، {بل الله فاعبد وكن من الشاكرين}⁽⁶⁾، فأجل عمل يطلبه الخالق الرحيم من عباده هو الشكر ويوليه أهمية خاصة بإظهاره أن الاستغناء عنه تكذيب للنعم الإلهية وكفران بها، ويهدد بها في سورة الرحمن مرارا وتكرارا بقوله: {فبأي آلاء ربكما تكذبان}⁽⁷⁾، تهديدا مرعباً، وينذر الجن والإنس إنذاراً مهولاً. فالشكر نتيجة الخلق والغاية منه، ذلك لأنه إذا ما أنعم النظر في الكائنات لتبين: أن هيئة الكون ومحتوياته قد صممت بشكل ووضعت على نمط بحيث تنتج الشكر وتقضي إليه، لأننا نرى أن موجودات العالم قد صممت بطراز يشبه دائرة عظيمة، وخلقت الحياة لتمثل نقطة المركز فيها، فنرى: أن جميع الموجودات تخدم الحياة وترعاها وتتوجه إليها، وتتكفل بتوفير لوازمها ومؤنها، ونتيجة تلك الخدمة تؤول إلى الإنسان بالنفع لتكون مسخرة له وفي خدمته فيكون سيدها وحامها لها، وكذا نعمة التدوق والالتذاق، والصور الجميلة الزاهية، والروائح الزكية الطيبة، والطعوم اللذيذة والمذاقات الطيبة، جميعها مدعاة إلى الحمد والشكر، فالوسيلة التي تمكن الإنسان من العروج إلى مقام (أحسن تقويم) هي الشكر⁽⁸⁾.

وقد ذكر النورسي كلاماً دقيقاً يظهر فيها أهمية النعمة لسوق الإنسان إلى الحمد والشكر، فيقول: «لابد للحامد أن ينظر من النعمة إلى الإنعام، ليرى أن المنعم أبصر به وأقرب منه إليه؛ يتعرف بالإنعام، ويتودد بالإحسان، ويتحجب بالإكرام إلى الإنسان، فالإنسان إنما يكون شاكرًا إذا استشعر ذلك التعرف

1 اللمعات 448.

2 ينظر: التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد 2/108.

3 سورة يس 53.

4 سورة آل عمران 541.

5 سورة إبراهيم 7.

6 سورة الزمر 66.

7 سورة الرحمن 13.

8 ينظر: المكتوبات 461-463.

جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أُنْحِيَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ⁽¹⁾، فنعم الله تعالى لا تعد ولا تحصر وجميعها ترجع إجمالاً إلى إيجاد وإبقاء في النشأة الأولى، وإيجاد وإبقاء في النشأة الآخرة، وقد أشير في سورة الفاتحة إلى جميع تلك النعم وابتدأت بالتحميد؛ لأنها ديباجة نعمه المذكورة في كتابه العزيز بقوله جل وعلا: {الحمد لله رب العالمين}⁽²⁾.

مما تجدر الإشارة إليه أن رسائل النور قد استعرضت دلالة الحمد وبيّنت مفاهيمها بالاستناد على فيض القرآن الكريم شاملة جميع الآيات التي ورد فيها كلمة الحمد ومشتقاتها، فهي برمتها تدور حول مصطلحات خمسة تفهم من خلال إنعام النظر في سطور رسائل النور وهي: (المحمود، والمحمود عليه، والحامد، والمحمود الحامد، والحامد المحمود) وكل منها تشير إلى أمر معين، وبيان ذلك كالاتي:

أولاً: المحمود، وهذه صفة اختُصَّ بها الله تعالى كما أشار النورسي بعبارة (المحمود المطلق سبحانه)⁽³⁾، وقد أثبتتها القرآن الكريم بقول تعالى: {الحمد لله}، ففي اللام في كلمة {الله} إشارة إلى اختصاص الحمد بالذات المقدسة -الواجب الوجود- وهي تتبى أيضاً إلى الإخلاص والتوحيد⁽⁴⁾.

يقول النورسي بهذا الصدد: «نعم، كما أن ذلك القادر الجليل هو المعبود الحق، فالمحمود بالحق أيضاً إنما هو وحده. وكما أن العبادة خاصة به وحده، فالحمد والثناء أيضاً يخصانه سبحانه»⁽⁵⁾.

وأوضح من ذلك فإن رسائل النور قد أثبتت أن اختصاص الله تعالى بالحمد فيما جاء في (لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد....)، أي أن الكمالات التي هي سبب المد والثناء في الموجودات كافة، تخصه وحده سبحانه. ولهذا فالحمد أيضاً له وحده، فكل ما صدر وما يصدر من مدح وثناء من الإزل إلى الإبد، وممن صدر وعلى من وقع، يخصه وحده؛ لأن كل ما هو سبب المدح والثناء من كمال وجمال ومن نعم وآلاء وكل ما هو مدار الحمد، هو لله تعالى، ويخصه وحده⁽⁶⁾.

1 سورة فاطر 1.

2 ينظر: إلى حاشية الشهاب على سورة الأنعام نقلاً من إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز 25.

3 ينظر: المكتوبات 292.

4 ينظر: إشارات الإعجاز 26.

5 المكتوبات 291.

6 ينظر المكتوبات 290.

ويقول في موضع آخر: «النباتات المتزينات المتزهرات المثمرات المسبجات بأوراقها، والحامدات بأزهارها، والمكبرات بأثمارها، على الله دليل»⁽¹⁾.

فما يجري في الكون الذي هو قرآن منظور من صور الحمد والشكر من قبل المخلوقات تطابق ما جاء في القرآن المنطوق بقول الله تعالى: {وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيَّتِهِ} ⁽²⁾، فسبحان من تحمده السماء بالبروج والأنوار، والأفلاك بالشموس والنجوم والأقمار، والجو بالبروق والأمطار ⁽³⁾.

وأعمق من ذلك استوقفنا النورسي على نوع آخر من الشكر والحمد، إذ لم يسبقه أحد من العلماء إلى بيانه، ألا وهو (الشكر الفطري) فيقول مانصه: «إنه مثلما يحيط كل شيء بالرزق ويستشرفه ويتطلع إليه، فالرزق نفسه أيضاً- بأنواعه جميعاً- قائم بالشكر معنى ومادةً وحالاً ومقالاً، ويحصل بالشكر، ويُنتج الشكر، ويبين الشكر ويريه؛ لأن اشتهاه الرزق والاشتياق إليه نوع من الشكر الفطري»⁽⁴⁾.

رابعاً: المحمود الحامد، ويراد به الله تعالى وهو المتفضل بالإتعام على عباده بأن جعل الوجود كله مسخرًا لهم يتنعمون بنعمه، ويتلذذون بطيباته، وهم في الوقت نفسه مدركون قيمة تلك النعم الجليلة؛ فيبدون استعدادهم شاكرين حامدين بألسنتهم وقلوبهم وجوارحهم، فيقابلهم المحمود المنعم بالشكر، حامداً لهم صنيعهم بالثناء والثواب.

إن الله تعالى قد اتصف بصفة (الشكور⁽⁵⁾)، والشاكر (الواردين في القرآن الكريم، فمن الأولى قوله تعالى: {لِيُؤْفِقَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ} ⁽⁶⁾، وفي قوله: {إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ} ⁽⁷⁾، وفي قوله: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ} ⁽⁸⁾، وفي قوله: {وَإِنَّ اللَّهَ لَشَكُورٌ

والتودد»⁽¹⁾.

ثالثاً: الحامد، وهي صفة أثبتها الله تعالى للخواص من عباده المؤمنين الشاكرين، فقال: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ} ⁽²⁾. فاختص بها الأنبياء من قبل، كما قال الله تعالى في حق سيدنا نوح -عليه الصلاة والسلام-: {إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} ⁽³⁾، وقال في حق سيدنا إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- {شَّاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ} ⁽⁴⁾، وقال لآل داود: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا} ⁽⁵⁾.

والشكر وصية الله تعالى لحبيبه محمد-صلى الله عليه وسلم-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اشْكُرُوا لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} ⁽⁶⁾، فعن عائشة -رضي الله عنها- أن نبي الله -صلى الله عليه وسلم- كان يقوم من الليل حتى تتقطر قدماه فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً»⁽⁷⁾.

وقد وصف الله تعالى عباده المؤمنين بكونهم حامدين بقوله: {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ} ⁽⁸⁾.

ويذهب بنا النورسي إلى عوالم أخرى غير الإنسان وهي حامدة شاكرة بلسان الحال والمقال، فيقول ما نصه: «فكل حيوان يؤدي عبادته الخاصة به، بلسان الحال والمقال مسبحاً خالقه وبارئيه ومعبوده مقدساً إياه من القصور والشرك، حامداً شاكراً لأنعمه وآلاته»⁽⁹⁾.

1 المثوي العربي النوري 146.

2 سورة سبأ 13.

3 سورة الاسراء 3.

4 سورة النحل 121.

5 سورة سبأ 13.

6 سورة الزمر 66.

7 أخرجه البخاري من حديث عروة ، كتاب بدء الوحي-باب انتظر حتى تدفن- برقم 4837، 1/135.

8 سورة التوبة 112.

9 الشعاعات 59.

1 للمعات 452.

2 سورة الرعد 13.

3 ينظر: المثوي العربي النوري 454.

4 المكتوبات 460.

5 وردت هذه الصفة في القرآن الكريم أربع مرات.

6 سورة فاطر 30.

7 سورة فاطر 34.

8 سورة الشورى 23.

المضطرون والشكر والحمد على النعم، والعبادات والصلوات كلها خاصة لخالق كل شيء، لله وحده⁽¹⁾.

وفي مكان آخر يشير النورسي إلى مكانة النبي الكريم محمد -صلى الله عليه وسلم- وتصدره مراتب الحمد والشكر، حينما تقر تلك الذات الكريمة بأفضال المولى الكريم جل جلاله، فيقول ما نصه: «أنصت لما يقول حبيب الملك العظيم، انه يدعو بأدبٍ جم وتضرع ويقول: يا من أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، يا سلطاننا، أرنا منابع واصل ما أريته لنا من نماذج وظلال.. خذ بنا الى مقر سلطنتك ولا تهلكنا بالضياع في هذه الفلاة.. أقبلنا وارفعنا الى ديوان حضورك.. ارحمنا... اطعمنا هناك لئلا نذم ما أدقنا اياه هنا، ولا تعذبنا بألم التناهي والطرده عنك.. فها هم أولاء رعيتك المشتاقون الشاكرون المطيعون لك، لا تتركهم تائهين ضائعين، ولا تفنهم بموت لا رجعة بعده»⁽²⁾.

وفي ختام هذا المبحث ومن خلال إنعام النظر في رسائل النور يتبين لنا أن الشكر هو أعظم أساس من الأسس الأربعة التي يستند إليها سالك أسمى طريق وأعلاه ألا وهو العبودية والحب لله تعالى والمحورية، فمشرب رسائل النور تستند على أربعة أسس وهي: العجز المطلق، والفقر المطلق، والشوق المطلق، والشكر المطلق⁽³⁾.

المبحث الثاني: سياقات التحميدات النورية

إن رسائل النور ترشدنا إلى مجموعة من المفاهيم التي لا بد أن تحظى بالاهتمام من قبل الباحثين والدارسين، فطبيعة رسائل النور أنها تخاطب العقل والقلب والوجدان، ليحصل التلاقح والتلاحم فيما بينها لتخرج بمعطيات واقعية وفطرية تكون مرتكزاً لبناء منظومة القيم السامية التي تسموا بالإنسان نحو أعلى عليين.

وللسمو إلى هذه المرتبة إنما يكون عن طريق توظيف النعم الجليلة الوفيرة التي تفضل بها الفاطر الحكيم على الإنسان الذي هو ثمرة الكون وخلاصتها⁽⁴⁾، وصرفها في خدمة الغاية التي من أجلها خلق ألا وهي العبودية.

خليج⁽¹⁾.

وأما صفة الشاكر فقد وردت في آيتين، وهو قوله تعالى: { إِنَّ الصَّافِيَ والمَزُورَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ النَّبِيَّ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ }⁽²⁾، وقوله تعالى: { مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمُنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا }⁽³⁾.

وقد ذكر الفخر الرازي في تفسير هذه الآية: «لأنه تعالى لما أمرهم بالشكر سمي جزء الشكر شكرا على سبيل الاستعارة، فالمراد من الشاكر في حقه تعالى كونه مثيباً على الشكر، والمراد من كونه عليماً أنه عالم بجميع الجزئيات، فلا يقع الغلط له ألبتة، فلا جرم يوصل الثواب إلى الشاكر والعقاب إلى المعرض»⁽⁴⁾.

فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- «أَنَّ رَجُلًا رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ فَجَعَلَ يَغْرِفُ لَهُ بِهِ حَتَّى أُرْوَاهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ»⁽⁵⁾.

خامساً: الحامد المحمود، وهي صفة تعود للشخص الكامل الذي تصدر مرتبة الحمد والشكر، وهو سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- فتحميداته السنوية وتمجيداته العلوية وتقديساته البليغة للذات إلهية جعلته يرتقي مرتبة العبودية الحقة، ليحظى بصفة المحمودية وشرف الحامد الأتم، ويكون حاملاً لقب سيد الشاكرين⁽⁶⁾، ويتضح ذلك من خلال الصلوات والتحيات التي صدرت منه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج بقوله: {التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله} والتي قالها باسم البشرية جمعاء، بل باسم جميع ذوي الحياة، بل باسم وأنواع المخلوقات، أي أن جميع الأدعية والتضرعات التي يتضرع بها

1 سورة التغاين 17.

2 سورة البقرة 158.

3 سورة النساء 147.

4 مفاتيح الغيب 11/252.

5 صحيح البخاري 1/54، كتاب بدأ الوحي، برقم 173.

6 ينظر: المكتوبات 468.

1 ينظر: الشعاعات 641، والملاحق (ملحق أميراغ 2) 390.

2 ينظر: الكلمات 52.

3 ينظر: المكتوبات 468.

4 ينظر: الكلمات 793، والملاحق 265.

إن الدروس التي تلقيها رسائل النور هي دروس في الإيمان الحقيقي الذي يهب لصاحبه مدارج الرقي في المعرفة الإلهية التي هي الأساس في الكمال الحقيقي⁽¹⁾.

فنعمة الإيمان تستوجب حمد الله تعالى وشكوه، لأنه مرتكز لجميع النعم التي تفضل بها علينا المولى الكريم، لذا يشير النورسي إلى أن الشكر أهم أسس رسائل النور بعد التفكير، وأن أكثر مراتب الشكر والحمد وحقائقهما قد أوضحت إيضاحاً كاملاً في أجزاء رسائل النور لذا عمد إلى ذكر بعض مراتب الحمد الذي يقابل نعمة الإيمان في تسع نقاط، فالحمد لله على نعمة الإيمان المزيل عنا ظلمات الجهات الست، وهو إشارة إلى جهة الماضي وجهة المستقبل وجهة الفوق وهو عالم السموات، وجهة التحت وهي عالم الأرض، وجهة الأمام التي يتوجه إلى تلك الجهة كل ذوي الحياة مسرعة قافلة خلف قافلة، وجهة الخلف التي تحمل على التحير والتردد متسائلاً من أين؟ إلى أين؟، فالإيمان يزيل مخاوف ما تخفيه هذه الجهات، وتكشف لنا تلك الظلمات، فتكون مبتسمة بعد أن كانت موحشة، والحمد على نعمة الإيمان المنور لنا الجهات الست من جهة دفع البلايا، وجهة جلب المنافع للإنسان، والحمد لله على نعمة الإيمان الحاوي لنقطتي الاستناد والاستمداد إي أن الإيمان بالذي يملك زمام الكون من الذرات والمجرات، و الحمد لله على نعمة الإيمان ونوره الذي نور لنا الحياة الأبدية، وبشرنا بالسعادة الأبدية، والحمد لله على نور الإيمان الذي عرفنا بخالقنا، وعرفنا بمخلوقاته⁽²⁾.

لقد أيقن النورسي - رحمه الله - أن نعمة الإيمان هي مدار سعادة الإنسان فيقول ما نصه: «فإيماني هذا لذة ما بعدها لذة، لذة كافية وافية ودائمة، وسعادة خاصة نقية لا يعكرها ألمٌ، ففهمت من تلك الآية الكريم: (حسبنا الله ونعم الوكيل) كم يكون إذن عبارة {الحمد لله على نعمة الإيمان} عبارة جديرة ولائقة»⁽³⁾.

إن للشكر منزلة عظيمة، لذا تناولته رسائل النور وأولت غهتماً كبيراً به، فأصبحت رسالة الشكر من الدروس الإيمانية التي اكتتفتها صفحاتها ولا سيما في المسألة الخامسة من المکتوب الثامن والعشرين⁽⁴⁾، فالأستاذ يشير في هذه الرسالة إلى أمور مهمة من ضمنها أن في الشكر إيمان صافٍ رائق، وهو يحوي توحيداً خالصاً؛ لأن الذي يأكل تقاحة -مثلاً- باسم الله ويختم أكلها بـ«الحمد لله» إنما

1 ينظر: المصدر السابق 851

2 ينظر: للمعات 427، والمثنوي العربي النوري 146

3 ينظر: الشعاعات 79.

4 ينظر: المکتوبات 459

إن رسائل النور تحاول توضيح المعاني التي تقوم عليها العبودية، كالإيمان الحقيقي وما يتصل به من الإقرار باللسان أو الجنان أو الأركان، فيكون الصادر من هذه الثلاثة حاصلاً بالإمكان العقلي لا العادي، أي أن الصادر ينبغي أن يكون بغض النظر عن كونه مأموراً به أو لا، فهو من الضروريات ومن اللوازم الحتمية سواء عُرفت الغاية والحكمة منه أو لم يعرف، فالحمد والشكر مثلاً قد جاء الأمر بهما في القرآن الكريم، إلا أن الامتثال لذلك الأمر بأدائه يكون ضرورة لا لأجل كونه مأموراً به، بل لكون أن المتفضل الكريم هو أهل بذلك الحمد والشكر. فبالإمكان العادي يستوي ألا يحمد المنعم عند عدم الأمر بالحمد، مع أن يحمد عند الأمر به، بينما بالإمكان العقلي يكون الحمد لازماً على الإنسان بمقابل نعمة أو من غير مقابل، وهذا هو غاية الامتثال.

ولنأخذ مثلاً آخر كالصلوات الخمس التي أمرنا بها، فبالإمكان العادي يكون الأمر طبيعياً ألا تُصلى هذه الصلوات عند عدم الأمر بها، بينما بالإمكان العقلي يكون أداء الصلوات الخمس ضرورية وإن لم يؤمر بها. وإلى هذا المعنى أشار النورسي - رحمه الله - بقوله: "إن إقامة الصلاة واجتتاب الكبائر وظيفه حقيقية تليق بالإنسان ونتيجة فطرية ملائمة مع خلقته"⁽¹⁾.

إن رسائل النور أشارت إلى نعم عظيمة أنعمها المولى الكريم على الإنسان ليكون حامداً شاكرًا، وممتناً لها، إلا أنها أولت اهتماماً بنعم ثلاث وهي: نعمة الإيمان، ونعمة القرآن، ونعمة الإسلام. فهذه النعم هي أساس جميع النعم الأخرى في الوجود، ولولاها لما توصل الإنسان إلى إدراك أنعم الله تعالى.

لقد وردت عبارة: (الحمد لله على نعمة الإيمان) في سياقات متعددة ومناسبات مختلفة، فقد وردت منفردة في أماكن، وأحياناً اقترن بها لفظ (القرآن) تارة، ولفظ (الإسلام) تارة أخرى، ولكل سياق موضوع يناسبه وله ارتباط محدد بتلك العبارة، وبيان ذلك كالآتي:

أولاً: التحميدات النورية في سياق الحمد على نعمة الإيمان

إن الإيمان أعظم نعمة أنعمها الله تعالى على عباده المؤمنين، فهو عبارة النور الحاصل بالتصديق بجميع ما جاء به النبي عليه السلام تفصيلاً في ضروريات الدين وإجمالاً في غيرها⁽²⁾.

1 ينظر: الكلمات 17.

2 ينظر إشارات الإعجاز 48

ثالثاً: التحميدات النورية في سياق الحمد على نعمة الإيمان والإسلام

تؤكد رسائل أن الإسلام التزام، والإيمان إذعان، أو بتعبير آخر: الإسلام هو الولاء للحق والتسليم والالتقياد له، أما الإيمان فهو قبول الحق وتصديقه، فالإسلام والإيمان لا ينفكان عن الآخر، فكما أن الإسلام بلا إيمان لا يكون سبب النجاة، كذلك الإيمان بلا إسلام لا يكون سبب النجاة⁽¹⁾، فالحمد لله على نعمة الإسلام التي هي مرضيات رب العالمين، وفهرسته لأنواع نعمه المادية والمعنوية، حمداً بلا نهاية؛ إذ الإسلام هو الذي أرانا ما يرضى به ويريده ويحبه ربنا ورب العالمين ورب السماوات والأرضين⁽²⁾، فالحمد لله على نعمة الإيمان والإسلام بعدد قطرات الأمطار وأمواج البحار⁽³⁾.

ويلفت النورسي نظرنا إلى معنى عميق وهو أنه: «إذا ربي الإنسان بذرة استعداده وسقاها بماء الإسلام، وغذاها بضيء الإيمان تحت تراب العبودية موجهة أجهزته المعنوية نحو غاياتها الحقيقية بامتثال الأوامر القرآنية، فلا بد أنها ستنشئ عن أوراق وبراعم وأغصان تمتد فروعها وتتفتح أزاهيرها في عالم البرزخ وتولد في عالم الآخرة وفي الجنة نِعْمًا وكَمالات لا حد لها، فيصبح الإنسان بذرةً قيِّمةً حاوية على أجهزة جامعة حقيقة دائمة ولشجرة باقية، ويغدو آلة نفيسة ذات رونق وجمال، وثمره مباركة منورة لشجرة الكون»⁽⁴⁾.

يعلن بذلك الشكر، على أن تلك التفاحة تذكاراً خالص صادر مباشرة من يد القدرة الإلهية، وهي هداية مهداة مباشرة من خزينة الرحمة الإلهية، فهو بهذا القول وبالاعتقاد به يسلم كل شيء -جزئياً كان أم كلياً- إلى يد القدرة الإلهية، ويدرك تجلي الرحمة الإلهية في كل شيء، ومن ثم يظهر إيماناً حقيقياً بالشكر، ويبين توحيداً خالصاً⁽¹⁾.

ثانياً: التحميدات النورية في سياق الحمد على نعمة الإيمان والقرآن

لقد أبدت رسائل النور اهتماماً عظيماً بصرف الوجوه إلى أعظم نعمة أنعمها الله تعالى على عباده وهو القرآن الكريم الذي هو قوت وغذاء للقلوب، وقوة وغناء للعقول، وضيء للأرواح، ودواء وشفاء للنفوس، وهو أسمى مرشد، وأقدس أستاذ على الإطلاق، وهو عين الحق ومجمع الحقائق، ولا مثيل له في جامعته وشموليته، فهو معجزة باهرة⁽²⁾.

إن يقين النورسي وإيمانه بأن القرآن معجزة باهرة، بل أن كل سورة من سورته معجزة، وكل آية من آياته معجزة، بل حتى كل كلمة فيه بحكم معجزة، دفع به أن يقول: «الحمد لله على نعمة الإيمان والقرآن»⁽³⁾.

إن وجه التتابع بين الإيمان والقرآن في التحميدة النورية هو أن برهان الإيمان هو القرآن⁽⁴⁾، فهو كلام ذات الله الجليل البصير بالأزل والأبد معاً والشاهد بجميع الحقائق في آن واحد، ومما يشير إلى هذه الحقيقة الآية الكريمة⁽⁵⁾: { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا }⁽⁶⁾، وقال جل وعلا: { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا }⁽⁷⁾. فيفهم من ذلك أن القرآن وسيلة يتحقق بها الإيمان، فكانت النعمتان مرتبطتان ارتباطاً السبب بالمسبب.

1 ينظر: المصدر السابق نفسه.

2 ينظر: الكلمات 436، والمكتوبات 446، والشعاعات 167.

3 ينظر: المكتوبات 498.

4 ينظر: الكلمات 880.

5 ينظر: المصدر السابق 153.

6 سورة الكهف 1.

7 سورة الفرقان 1.

1 ينظر: المكتوبات 43.

2 ينظر: للمعات 432، والمثنوي العربي النوري 146

3 ينظر المثنوي العربي النوري 242.

4 ينظر: الكلمات 363

يكون شاكراً إذا استشعر ذلك التعرف والتودد.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث أود أن أشير إلى أبرز النتائج التي توصلت إليها، وهي كالآتي:

1. وردت كلمة الحمد ومشتقاتها في القرآن الكريم إحدى وستون مرة، فقد جاء بلفظ: الحمد، ويحمد، ويحمدك، وبحمده، وحميد، ويحمدوا، والحامدون.
2. استعمل العرب لفظ الحمد بمعنيين: أحدهما بمعنى المدح والثناء، وهو نقيض الذم، وكذا بمعنى الشكر وهو الغالب في الاستعمال في عرف الناس.
3. أن الشكر أهم أسس رسائل النور بعد التفكير .
4. إن دلالة الحمد عرفاً عند النورسي أعمق من أن تكون باللسان فقط، إذ يراد بها تعظيم المنعم على النعمة باللسان أو الجنان أو الأركان، وعلى هذا الأساس يكون بين الحمد العرفي والشكر العرفي عموم وخصوص مطلق، فالحمد أعم، والشكر أخص إذ يراد به صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرهما إلى ما خلق لأجله وهو العبادة.
5. إن الحمد والشكر قد جاء الأمر بهما في القرآن الكريم، إلا أن الامتثال لذلك الأمر بأدائه يكون ضرورة لا لأجل كونه مأموراً به بل لكون أن المتفضل الكريم هو أهل بذلك الحمد والشكر. فبالإمكان العادي يستوي ألا يحمد المنعم عند عدم الأمر بالحمد، مع أن يحمد عند الأمر به، بينما بالإمكان العقلي يكون الحمد لازماً على الإنسان بمقابل نعمة أو من غير مقابل، وهذا ما يسمى بغاية الامتثال.
6. أثبتت رسائل النور تفرد الخالق الكريم واختصاصه بالحمد؛ لأن كل ما كان سبباً للحمد هو الذي أوجده، فصفة المحمودية ثابتة لله تعالى من حيث كونها مختصة بها على لسان جميع الحامدين والشاكرين.
7. تلهمنا رسائل النور إلى أن الحامد لا بد أن ينظر من النعمة التي أنعمها الله تعالى بها عليه ليعرف قيمة ذلك الإنعام وعظمته، فيتبين ببصيرة الإيمان، أن ذلك المنعم أبصر به وأقرب منه إليه يتعرف بالإنعام، ويتودد بالإحسان، ويتحيب بالإكرام إلى الإنسان، فالإنسان إنما

8. إن الكون وما تسيح فيه من مخلوقات كلها حامدة لله تعالى وشاكرة له سواء كان بلسان الحال أو المقال.

9. الشكر الفطري هو عبارة عن الميل والاشتياق لاستعمال النعم، واستخدامها حاجة أو تلهذا أو تذوقاً.

10. إن الله تعالى هو المحمود المشكور على نعمه الوفيرة، وعطاياه الجزيلة، والحامدون هم الذين أدركوا قيمة تلك الهدايا الربانية، فأصبحت يرددون بالحمد، ويهتفون بالشكر بلسان الحال أو المقال، فيقابلهم المحمود بالحمد والشكر وبجزيل الثواب يتزأهم سيد الشاكرين محمد صلى الله عليه وسلم فيكون هو السباق بالحمد ليكون محموداً عند المحمود الأول وصاحب العطايا في الأزل.

11. إن استعمال النعم التي أسبغها الخالق الكريم والالتذاد بها وتقديم الشكر لله بقوله (الحمد لله) حال الانتهاء إنما يظهر بفعله إيماناً حقيقياً، ويبين توحيداً خالصاً به، لأن قوله ذلك إقرار على صدور تلك النعم من خزينة الرحمة الإلهية.

12. إن أسباب الحمد كثيرة، إذ النعم لا تحصى ولا تعد، بصورة ظاهرة وباطنة، كالوجود، والكون، والمخلوقات، والإيمان، والقرآن، والرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم-، والإسلام، ولا تترك قيمة هذه النعم إلا بالإيمان الحقيقي لا التقليدي، لأن الإيمان الحقيقي ينظر إلى تلك النعم ويعدها هدايا من خالقه وسلطانه، فيدرك قيمة تلك العطايا الثمينة، والاحسانات القمينة، فيتعرف من خلالها على خالقه وموجده.

وختاماً أسأل الله تعالى أن يلهنا الصواب والسداد، ويوفقنا لكون من الشاكرين الحامدين لأنعمه، ويورثنا الجنة مع عباده الصالحين، آمين، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

1. إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر - القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة - 2014م.
2. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1420هـ - 1999 م.
3. التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد: لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنده العبدى (المتوفى: 395هـ)، تحقيق: علي بن محمد ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ودار العلوم والحكم، سوريا، الطبعة الأولى، 1423 هـ - 2002 م.
4. جامع البيان في تأويل القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000 م.
5. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ - 1964م.
6. سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة الثانية، 1395 هـ - 1975 م.
7. الشعاعات: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر - القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة - 2014م.

8. صحيح البخاري المسمى بـ(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه): محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422هـ.
9. صحيح مسلم المسمى بـ(المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت 261 هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الجيل - بيروت، الطبعة مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة 1334 هـ.
10. صيقل الإسلام: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر - القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة - 2014م.
11. كتاب التعريفات: لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1403هـ - 1983م.
12. الكلمات: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر - القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة - 2014م.
13. لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة، 1414 هـ.
14. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: لفاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البديري السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، الطبعة الثالثة، 1423 هـ - 2003 م.
15. اللغات: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر - القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة - 2014م.
16. المثنوي العربي النوري: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر - القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة - 2014م.

17. معجم مقاييس اللغة: لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

18. مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الثالثة - 1420هـ.

19. المكتوبات: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر - القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة - 2014م.

20. الملاحق: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر - القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة - 2014م.

21. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ - 1984م.

منهج بديع الزمان النورسي في بناء الإيمان من خلال كتابه (رجتة العلماء)

د. اليماني عبد العزيز الفخراي
قسم العقيدة والفلسفة / كلية أصول الدين بالقاهرة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين ، اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الأُمي وعلى آله وصحبه وسلم ، أما بعد:

ففي هذا الكتاب الشديد الأهمية ، العالي القيمة ، تتجلى كل رسائل النور ، وتتضح الأفكار الرئيسية التي بثها بديع الزمان النورسي في أمته ، يهدف من خلالها لإعادة روح الإيمان الذي هو حياة الأمة الإسلامية ، وروحها النابض ، وقلبها الباعث، ومنقذها يوم الدين ، وسبيل مرضاة رب العالمين ، وقامع بدع الملحدين ، ورد كيد المتربصين والحاقدين.

لقد جاء النورسي على قدر ، فوجد الناس - إلا من رحم - قد تركوا جوهر الإسلام ولبابه ، وحصروا تفكيرهم في قشوره وظاهره ، وأساءوا الفهم والأدب معاً ، فكان العجز من قبل المسلمين من كل الجهات ، والجد والاجتهاد في النيل من الإسلام من قبل الأعداء المتربصين ، والخنوة الغافلين ، وفقدنا احترام الدين الحق ، وهداية السماء لأهل الأرض ، فظهرت الخرافات والخيالات والأوهام والأساطير ، وأنزلناها منزلة أصول الدين ، ودخلت الحكايات في عقائد المسلمين ، وتم خلط المجازات ، والتشبيهات ، والكنايات ، بالحقائق ، فلحقتنا الخسائر المتتالية ، وصرنا في ذيل قافلة البشرية ، ولحقتنا السفالة والخسة والندالة ، إلا من اعتصم بحبل الله المتين.

المقيت ،وسيطرة السادة والكبراء ،والجهل ،والتعصب ، وسوء الخلق ، وشبهة تعارض الدين والدنيا في الإسلام ،والياس المعطل المحبط ،والأحوال المضطربة ، والتأمر على هذا الدين منذ ظهر وحتى قيام الساعة.

وبسبب عوامل التخلف السابق ذكرها ،فقد أدى تخلفنا إلى معادة أنفسنا ، وإضعاف ديننا ، والصد عن سبيل الله تعالى ، والوقوف في سبيل نشر العلم والمعرفة والثقافة ، أو كل ذلك - إلا عند من رحم الله تعالى- ومن هنا كانت الحاجة ماسة لهذا الكتاب القديم الجديد ، فقد علق عليه النورسي في آخر حياته، ولم يتراجع عما ورد فيه. سبب تأليف النورسي لهذا الكتاب يمكن تلخيصه في التالي:

رد شبهات أعداء الدين الذين يبخسون الإسلام حقه، ويحاولون الانتقاص من قدره، بإظهار الطريق المستقيم الذي عليه الإسلام. ودفع أوهام أهل الإفراط والغلو المغرمين بظاهر الإسلام دون حقيقته، وأوهام أهل الغلو في الجانب الآخر أصحاب التفریط ، فلا إفراط ولا تفریط في الإسلام، وإمداد العلماء المسلمين العاملين بعلمهم، والأوفياء الصادقين لفكرتهم ، العقلاء الأذكياء، وهم المرشدون الحقيقيون، الأصلاء الذين يسعون في إظهار هذا الصراط المستقيم ، يحدوهم الأمل الكامل في النصر، ويسعون لتمهيد السبيل إلى مستقبل الإسلام الأبلج ، وبناء جيل النصر المنشود، ووأد جيل النكسة المخبول المفروض.

وفي سبيل ذلك سعى النورسي إلى صقل سيف الإسلام، وكتابة وصفة طبية ناجعة، والسيف هنا المقصود به سيف البراهين العقلية ، والأفكار المستتيرة، بتجديد الدين ، وإن شئت فقل: تجديد أمور الدين ، تجديد المتغيرات في الدين ، والحفاظ على ثوابته، التجديد في الفروع دون الأصول ، باختصار يهدف النورسي إلى التجديد لا التبديد، إلى عودة الإسلام إلى صورته التي كان عليها قبل أي تحريف أو مغالاة من قبل المتطعنين أهل الإفراط أو التفریط ، وذلك من خلال المقالات التي اشتمل عليها الكتاب ، بترتيبها ، والترتيب مقصود ، وكذلك ما ورد فيه من موضوعات مختارة بعناية ، بترتيبها الوارد الذي يدل على صورة واضحة لرجة تنهض بالعلماء؛ ليقوموا بدورهم في صقل الإسلام ، بغية تجديد الدين ، وبعث روح الإيمان ، وهذا ما أحاول تحقيقه بمشيئة الله تعالى.

وفي سبيل تغيير ذلك الواقع اتجه النورسي لإصلاح العلماء ، فهو ملح البلد ، إذا فسد فسد سائر الطعام ، وإذا فسد العلماء فسد من عداهم ، وفي ظل هذا الواقع المرير كان كتاب (رجة العلماء) أو صيقل الإسلام ، أو المحاكمات العقلية، فهذا الكتاب بمثابة الوصفة الطبية للعلماء ، أو محاكمة العلماء على ميزان الفهم السليم ، ليتعافوا أولاً من أمراضهم ، ثم يقومون بدورهم لتطبيب سائر المسلمين.

وللأسف الشديد فقد تعامل المسلمون وعلى رأسهم طلاب النور مع هذا الكتاب على غير الوجه الأمثل ، فظنوا الكتاب - لقوة أسلوبه ، ورسالة عبارته ، ودقة معانيه - من التراث القديم للنورسي ، وقد جاء النورسي الجديد بتراث جديد ، ورسائل النور ، فنسخت هذا الكتاب ، وقد ساعدتهم على هذا الفهم المغلوط، وجود قسم المنطق، وقسم البلاغة ، ومقدمات لم يستوعبوا علة وضعها في صدر الكتاب ، وخاتمة للكتاب بنصائح للعسكر ، بعد إضافاته وزياداته على الخطبة الشامية التي تزين بها الكتاب.

وقد شاء الله تعالى أن ألتقي مع هذا الكتاب ، وأحاول الغوص في أعماقه ، في محاولة لفهم أبعاده ، وكشف معانيه ، والبحث عن أسرار ، ومحاولة استخراج المنهج الذي سار عليه في تأليفه ، والفائدة المرجوة من هذا المنهج ، وأثر هذا المنهج في بيان الوصفة الطبية التي ساقها النورسي تحت عنوان (رجة العلماء) أو صيقل الإسلام ، أو محاكمات عقلية لحاملي تراثنا ، وموقف العلماء مع هذا التراث.

فهذا الكتاب بمثابة صيحة تحذير ، وصاحبه كالنذير العريان ، ينذر فيه صاحبه المسلمين من دعاة الغفلة ، ومن جهل الأبناء ، وكيد الأعداء ، لعنا نتوب إلى الله تعالى ، ونطلب رضاه ، ونعنعصم بحبله المتين ، فننتصدي للخيبات والأوهام التي قامت في غياب الحق على مر القرون ، ولكن يأبى الله تعالى إلا أن يتم نوره ، ولو كره المشركون ، والمجرمون ، والكافرون ، والفاسقون ، ويكون النصر على هؤلاء بأمثال النورسي ومن على شاكلته رحمهم الله تعالى برحمته الواسعة.

فحقائق الإسلام رغم ضعف أهله ، هي التي ستسود ، ونور الله سيظهر على العالم كله، وما أحر العالم الإسلامي، وتسبب في ضعف المسلمين إلا التعصب الذميم ، والتقليد المذموم، وضحالة العقول ، وسطحية التفكير، وعدم الجد والاجتهاد ، والاستبداد

المقالة الأولى: مقدمات من باب التخليّة قبل التحلية

المقدمة الأولى:

عند تعارض العقل والنقل ، يقدم العقل السليم لأنه وسيلة فهم النقل ، وأساس التكليف ، وعلى حد تعبير بديع الزمان النورسي: اعلم أن مقاصد القرآن الأساسية، وعناصره الأصلية المنبثّة في كل جهاته أربعة: ما يتعلق بالإلهيات ، وما يتعلق بالنبوات ، وما يتعلق باليوم الآخر ، والعدل ، ولا أدري هل أتى النورسي بالعدل ، وهو أحد الأصول الخمسة للمعتزلة ضمن موضوعات العقيدة الثلاث عند أهل السنة والجماعة ؟ أم أنه أتى به من اجتهاده ؟ أظن الثاني ، والعدل عنده روح سائرة في دقائق الكون ، فلم يفرده بالحديث كالمعتزلة ، بل بحث عنه في ثنايا الكون والبحث عنه وعن الحكمة في غيابه بين البشر ، ومصير وحكمة هذا الغياب ، فتأمل.

فالنورسي جعل القرآن الكريم قبلته ، فالقرآن الكريم هو وحده الكفيل بالإجابة عن الأسئلة التي تسألها، وما الحكمة من خلق الكائنات: من أين؟ ولماذا؟ وإلى أين المصير؟. وفي النهاية خلص إلى أن كل مخلوق في الكون له وظائف يجب عليه القيام بها ، ومن هذه الوظائف كما يراها النورسي:

الوظيفة الأولى: إعلان عظمة الخالق الجليل بانتظامه واتفاقه مع غيره.

الوظيفة الثانية: إظهاره أن الإسلام زبدة العلوم الحقيقية، فالدين عندنا علم، والعلم عندنا دين، وطلبه فريضة، والعلم سبيل للجنة.

الوظيفة الثالثة: لا تعارض بين كتاب الله المسطور وكتاب الله المنظور.

الوظيفة الرابعة: توجيه الأفكار إلى حقائق الأشياء ، والحث عليها والتنبه إليها ، فالتفكير فريضة إسلامية ، وهذا ما لا يوجد في دين آخر

المقدمة الثانية:

قد يكون بديهياً الآن ما كان نظرياً في الماضي، والبديهي ما لا يحتاج إلى نظر واستدلال، والنظري: هو ما يحتاج إلى نظر واستدلال، وهناك مسائل كثيرة في هذا

وقد جاء المنهج في هذا الكتاب - وفق اختياري - في صورة: مقدمة ، وثمانية مقالات.

المقالة الأولى: تبحث في التخليّة قبل التحلية، وكشف الشبهات والإسرائيليات.

المقالة الثانية: تكشف عن عنصر البلاغة، حتى نعرف الفرق بين حقيقي الكلام ومجازه.

المقالة الثالثة: تبين عناصر العقيدة. من الإلهيات والنبوات والسمعيات والعدل.

المقالة الرابعة: دراسة علم المنطق ، كعلم يضبط قواعد الفكر ويعصمها عن الخطأ في التفكير.

المقالة الخامسة: تطبيق عملي لما سبق.

المقالة السادسة: حوار بين العلماء في العلم وطرح الأسئلة والأجوبة عنها.

المقالة السابعة: بعدما سبق من العمل على نصره الحق ، يكون الامتحان الحقيقي والصبر على الإيذاء المتعمد من أعداء الإسلام.

المقالة الثامنة: تذكير بكل ما سبق من خلال الخطبة الشامية ، وتنبه العسكر بالانضباط وعدم القيام بانقلابات لتحقيق أهداف أعداء الإسلام.

ويكون التركيز في تلك المقالات على ما يخص بناء العقيدة بصورة مباشرة ، وهذا الكتاب بحق هو تربية علمية للعلماء قبل غيرهم ؛ حتى يتمكنوا من تربية غيرهم ، وزرع الإيمان في قلوبهم ، وتثبيت اليقين في عقولهم ونفوسهم ، ولا يكون ذلك إلا بعرض الإسلام بعد صقله ، وهذا ملخص رجّة العلماء التي وصفها الطيب النورسي في سائر رسائل النور ، وبالله التوفيق. د / اليماني الفخراني

الشديد قد تلبست الفلسفة بعلم الكلام ،رغم أن علم الكلام أسس للدفاع عن الإيمان ضد الوافد اليوناني الذي تسلح به البعض ،ونتيجة لامتزاج الوافد بالأصيل فقد ظهر الأثر السيء لهذا الخلط في التفاسير التي اختلطت بالإسرائيليات ، وكذلك ظهر هذا الأثر السيء في تفسير الأحاديث النبوية ،وهكذا دخلنا في أتون المعارك بين الفرق التي تكون بعضها من آثار هذا الوافد.

ولكن النورسي كان يقظاً،وهو الذي عايش الفرق ومذاهبها ، والتفاسير والدخيل فيها ، يحذر العلماء من الوافد الضار ، ويذكروهم أن القرآن الكريم معجز في كل شيء ،وهو النور المبين ،والصراط المستقيم ، وهو يفسر بعضه بعضاً ، وكله در لا قشر فيه.

وكما يقول النورسي لمن يحاول بناء الإيمان من معاني القرآن وغيره:ابحث عن معاني القرآن في أصدافه، لا في جيبك الحاوي على أخلاط، فإنك لن تجد شيئاً، وحتى لو وجدت فالقرآن يرفضه، إذ لا يحمل طغراء البلاغة،وهنا إشارة إلى أهمية البلاغة في فهم النصوص،وله حديث بليغ حول أهمية البلاغة في فهم النصوص.

المقدمة الرابعة: خطورة الشهرة

في هذه المقدمة يذكر النورسي أن الشهرة تملك الإنسان ما لا يملك، فالرواة المشهورون بالعلم والفقهاء والرواية ، تنسب إليهم الروايات الساقطة ، فتكتسب هذه الروايات الساقطة قوة من نسبتها إلى المشاهير إلا عند الخبراء بفن النقد ويعلم الدراية.

وعلى حد تعبير بديع الزمان النورسي:إن إسناد قسم من الأحاديث الموضوعة إلى "ابن عباس" رضي الله عنه وأمثاله من الصحابة الكرام؛ لأجل الترغيب أو الترهيب، إثارة للعوام حسداً لهم، إنما هو جهل عظيم،نعم، إن الحق مستغن عن هذا، والحقيقة غنية عنه؛فنورهما كافيان لإنارة القلوب،تسعنا الأحاديث الصحيحة المفسرة الحقيقية للقرآن الكريم، ونثق بها ونطمئن إلى التواريخ الصحيحة الموزونة بميزان المنطق.

المقدمة الخامسة: الخلط بين الحقيقة والمجاز

إذا وقع المجاز من يد العلم إلى يد الجهل ينقلب إلى حقيقة، ويفتح الباب للخرافات، فالمجازات والتشبيهات إذا ما اقتطفتها يسار الجهل المظلم من يمين العلم المنور، أو استمرت وطال عمرهما، انقلبتا إلى "حقيقة" مستغرغة من الطراوة والنداوة، فتصير سرايا

الزمان، قد أصبحت في عداد البديهيات والعلوم المعتادة، بينما كانت في السابق أموراً نظرية، شديدة الخفاء والغموض، ومحتاجة إلى سرد البراهين ، فتراكم العلوم جعل النظريات السابقة بدعيات الآن ،والألا لو وقفنا عندها فلن نتقدم العلوم.

ولم يفت النورسي التنبيه على أن: المسائل قسمان:

القسم الأول: يؤثر فيه تلاحق الأفكار، بل يتوقف عليه، كالتعاون في الماديات لرفع صخرة كبيرة، وأغلب هذا القسم هو من العلوم المادية.

والقسم الثاني:لا تأثير للتعاون وتلاحق الأفكار فيه من حيث الأساس،وأغلب هذا القسم هو من المعنويات ومن العلوم الإلهية،وبالتالي لا اختراع في الدين ،ولا اجتهاد مع النص ،وإن وجد الاجتهاد في فهم النص، فتأمل.

المقدمة الثالثة: التحذير من الوافد الضار.

إن دخول طائفة من الإسرائيليات،وقسم من وثنيات الفلسفة اليونانية ضمن دائرة الإسلام،وظهورها بزى الدين الجميل،أو بدعوى التوفيق بين الدين والفلسفة ،كل ذلك عمل على تشويش الأفكار، وتضليل الفهوم ، في الوقت الذي كان فيه العرب النجباء في صدر الإسلام على استعداد لمعرفة الدين دون النظر لمشاهدة الكون بنظرات فلسفية ؛ بل نظرات استدلالية على وجود خالق الكون.

ولكن الأمة العربية -بعد ذلك- أخذت تحتضن الأقوام الأخر،فدخلت معلومات سائر الملل وعلومها أيضاً حظيرة الإسلام، ثم وجدت الإسرائيليات المحرفة منفذاً إلى خزائن خيال العرب، من باب علماء أهل الكتاب ، فامتزجت الإسرائيليات بالأفكار الصافية ، بعد فترة من ورودها ، ولأسف فقد وجدت هذه الأفكار الضالة طريقها ،واعترتها البعض حقائق عن قصد أو غير قصد ،وأصبحت سبباً لكثير من الشبهات والشكوك، وعلى العلماء أن ينتبهوا من خطورة ذلك وينقظوا الناس من أثر تلك الأفكار ،وبيان أثر هذه التنقية على صفاء الإيمان ، كما يرى النورسي.

وإذا كان علماء النحو قد نجحوا في تمييز الصحيح من الفاسد من النطق الفصيح ، واللسان البليغ ، فإن نجاح علماء الكلام لم ينجحوا بقدر نجاح علماء النحو ، فلأسف

أن الاستزادة من دواء شاف ينقلب إلى داء؛ كذلك المبالغون في الترغيب والترهيب، المستغني عنهما الحق؛ كجعل الغيبة كالقتل، أو إظهار التبول وقوفاً بدرجة الزنا، أو التصدق بدرهم مكافئاً لحجة... وأمثالها من الكلمات غير الموزونة التي يطلقها المبالغون وخاصة من الوعاظ والخطباء... كأنما يستخفون بالزنا والقتل ويهونون شأن الحج.

وبناء على هذا لا بد أن يكون الواعظ حكيماً، وذا دراية بالمحاكمات العقلية التي تضبط العقل في اجتهاده واستنباطه، وإلا سيكون هذا العالم محدود الفكر والثقافة سبباً في حجب الكثير من حقائق الدين النيرة القيمة، والمبالغات ستعصف بهذه القيمة، فالدين كامل بنفسه فلا تحاول استكمال الكامل فتنقصه، والمنتقص هنا من علماء سوء.

وعلماء سوء الذين يكونون سبباً في تشويه الإسلام وحقائقه سيعطون المبرر لعلماء سوء من غير المسلمين، حيث يتلقون ترهاتهم على أنها من حقائق الإسلام، وهؤلاء أيضاً علماء سوء، وعليهم أن يزنوا الأمور بالمحاكمات العقلية، ولا يكتفوا بالنظر السطحي، بل ينظرون إلى ما وراء الحجب، ليعلموا أن كل حقيقة من حقائق الإسلام برهان نير كالنجم الساطع، يتلأأ عليه تقدير العزيز العليم، وصبغة الله ومن أحسن من الله صبغة، وصنعة الله ومن أحسن من الله صنعة، صنع الله الذي أتقن كل شيء، الإسلام حجة على المسلمين، وليس العكس فافهم تسلم.

المقدمة الثامنة: اختفاء الحقيقة

يرى النورسي أنه لما كانت الميول متفاوتة فإن تدخل الشعور بالانحياز في كل شيء، ونشوء التبليبل بالاختلافات جعل الحقيقة تهرب وتختفي، تحت سياط التعصب وتضليل الآخرين، أو تحت ظلال السفسطة المذمومة، لكن الحق يجب أن نعمل على أن تعود الحقيقة للظهور عند الابتداء بالحق بدلاً من التعصب، وبالبرهان بدلاً من السفسطة، وبالتوفيق والتطبيق بدلاً من تضليل الآخرين.

وقد سادت القرون الأولى القيم المشجعة لظهور الحقيقة، مثل قيم الحق، والبرهان، والعقل، والشورى، الأمر الذي أدى لغيب الشكوك والشبهات، وهكذا إن عادت القيم

خادعا بعدما كانت شراباً زلالاً، وتصبح عجوزاً شمطاء بعدما كانت فاتنة حسناء.

والمأساة تكمن في الخلط بين الحقيقة والمجاز وخاصة من قبل العلماء، وقد نبه النورسي على خطورة ذلك فقال: لا ينبغي الحكم على أي شيء بظاهره؛ إذ من شأن المحقق: سبر غور الموضوع.. والتجرد من المؤثرات الزمانية.. والغوص في أعماق الماضي.. ووزن الأمور بموازين المنطق.. ووجدان منبع كل شيء ومصدره، وكعادة النورسي يستقيض في شرح أفكاره، ولكنه غالباً يأتي بخلاصة الخلاصة، حتى لا يضل القارئ في بحار التفاصيل عن المعنى المقصود، والفكرة المراد بثها، والتأكيد عليها.

فيا أيها القارئ الكريم، أنعم النظر أيضاً في المقدمة الخامسة، والتي تدور حول التحذير من الخلط بين الحقيقة والمجاز، وانظر إليها بدقة متناهية، فكثير جداً من الخرافات والخلافات، إنما تنشأ من هذا الأصل، فينبغي الاسترشاد بالمنطق والبلاغة، فعلى العلماء أن يتسلحوا بعلمي المنطق والبلاغة، حتى يستقيم فهمهم، وتنضبط أفكارهم، فتأمل ولا تتعجل الأحكام. المقدمة السادسة: من ادعى الكل فاته الكل

من الحقائق التاريخية: أن الشخص الواحد لا يستطيع أن يتخصص في علوم كثيرة؛ إلا من كان فذاً، فيستطيع أن يتخصص في أربعة أو خمسة من العلوم، ويكون صاحب ملكة فيها، فمن ادعى الكل فاته الكل؛ لأن لكل علم صورة حقيقية، وبالتخصص تتمثل صورته الحقيقية؛ إذ المتخصص في علم إن لم يجعل سائر معلوماته متممة وممددة له، تمثلت من معلوماته الهزيلة صورة عجيبة، والعلاج هو اتخاذ المرء أحد العلوم أساساً وأصلاً، وجعل سائر معلوماته حوضاً تخزن فيه.

أما دخول مسألة من مسائل الفلسفة، أو الكيمياء، أو الطبيعة، أو الجغرافية، أو التاريخ وأمثالها في كتب التفسير، أو الفقه، لا يجعل تلك المسألة من التفسير أو الشريعة قطعاً، وقد رأينا العجب حين رأينا من يأخذ العقيدة من كتب الأدب، والأخلاق من الفلسفة، ثم يحاكم المسلمين بميزان هذه الكتب، بل ويعتبر واقع المسلمين حجة على الإسلام.

المقدمة السابعة: المبالغة تشوش الأمور وتبليبلها.

يرى النورسي تحذير العلماء من المبالغات التي تؤدي لنتائج عكسية: لأنه كما

القوة الأولى: قوة الإسلام الحقيقية المدعمة بالمعرفة والمدنية.

القوة الثانية: الحاجة المجهزة بتوافر الوسائل وتكمل المبادئ والأسباب.

القوة الثالثة: المنافسة والغبطة والغيظ المضمّر، هي أمور تهيئ الصحة العامة الناشئة من رؤية منطقة في منتهى السفالة وغيرها في منتهى الرفاه.

القوة الرابعة: استعداد الفطرة المجهزة بتوحيد الكلمة، وبدمائه الخلق والاعتدال، وبتنوير الأذهان، وبتلاحق الأفكار، وبسلامة الفطرة، وبالخفة والإقدام.

القوة الخامسة: الرغبة في التحضر والتمدن والنزوع إلى التجدد والتقدم المادي.

المقدمة العاشرة: فن التعامل مع المتشابهات

كم هو عظيم بديع الزمان النورسي هذا، فهو بحق يضع رتبة للعلماء، ويضع يده وقلمه على منابع افتراق الأمة، رحمه الله ورضي عنه في الدارين، إن المقصود الأهم من الكتاب الحكيم هو إرشاد الجمهور الذين يمثلون أكثرية الناس؛ لأن خواص الناس يمكنهم أن يستفيدوا من مسلك العوام، بينما العوام لا يستطيعون فهم ما يخاطب به الخواص حق الفهم، علما أن معظم الجمهور هم عوام الناس، والعوام لا يستطيعون مشاهدة الحقائق المحضة وإدراك المجردات الصرفة متجردين عن مألوفاتهم ومتخيلاتهم.

وبناء على ذلك فقد وردت ألفاظ في القرآن لابسة زي مألوفات العوام، فتجد المجردات بكساء المحسوسات، حتى تأنس العقول الكليّة، وتشاهد العوام صوراً تعبر عن حقائق مجردة من باب التيسير في الفهم، والآفة في الوقوف عند الصور دون البحث فيما وراءها.

وبناء على هذا:

فإن ما في أساليب اللغة العربية من مراعاة الأفهام ومماشاة الأذهان، قد جرت في القرآن الحكيم المعجز البيان، والتي تعبر عنها بـ"التنزيلات الإلهية إلى عقول البشر" فمثلاً:

ذهبت الشكوك، وإن غابت حضرت، ولكل قيمة محاسنها، ولغيابها أضرار وأضرار، كما حدث من القرن الخامس وحتى يومنا هذا، والدين متين فأوغل فيه برفق، وجاء وجاء الحق وزهق وزهق الباطل فتأمل ولا تعجل، وحافظ على القيم الإسلامية يسلم لك الفهم الصحيح.

المقدمة التاسعة: الخير أصل والشر تبع

يرى النورسي أن الخير كلي والشر جزئي، والكل أشرف من الجزء، وأن الخير مقصود بذاته، والشر تبع، الكون منسجم كصنعة الله، وكل ما فيه خير، ثم ظهر الشر نتيجة لفساد الناس.

وبناء على ما سبق: فقد ثبت بشهادة العلوم جميعها، وبتصديق الاستقراء التام الناشئ من نظر الحكمة: أن الحسن والخير والحق والكمال، هو المقصود بالذات، والغالب المطلق في خلق العالم، أما الشر والقبح والباطل، فهي أمور تبعية ومغلوبة ومغمورة، وحتى لو كانت لها الصولة فهي صولة مؤقتة إلى زوال.

كرم الله بني آدم، وأشرف أولاد آدم هم المسلمون الصادقون، الذين أسلموا وجههم لله تعالى رب العالمين، وأكمل الكل، هو سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم، تشهد على ذلك معجزاته بعد أخلاقه، ومن هنا فلا يصح إلا الصحيح، قال تعالى: {كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (17) لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْخَيْرَ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (18) {الرعد.

ويرى النورسي أن الدور لنا لا علينا، وشمس الإسلام قادمة لن تغيب مهما تكالب الأعداء علينا وكثروا، وأن مستقبل الإسلام في العالم باهر، وفي غاية السطوع واللمعان، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (28) {الفتح. وقال أيضاً: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (9) {الصف.

فعلى العلماء أن يوقفوا بانتصار الإسلام، وألا يتسرب إليهم اليأس والقنوط، وقد أرجع النورسي قوة الإسلام وانتصاره في المستقبل لعدة قوى منها:

ثالثها: أن المراد من هذا الكلام هو كل ما سبق.

وهذه القضية الثالثة هي منبع الاختلافات، ومنشأ الافتراقات، وأصدق شاهد على ذلك هو ما نراه من (الأقوال المتضاربة) في مسألة واحدة، وبالتالي فعلى العلماء أن يعلموا ألا إنكار في المختلف فيه.

المقدمة الثانية عشرة: الاشتغال بالفروع غالباً ما يكون على حساب الأصول

يرشد النورسي العلماء في هذه المقدمة ، إلى أن من لم يجد اللب ينهمك في القشر، ومن لم يعرف الحقيقة يزل إلى الخيالات، ومن اشتغل بالفروع غالباً يكون على حساب الأصول، ومن لم ير الصراط المستقيم يقع في الإفراط والتفريط، ومن لا يملك ميزانا ولا موازنة له يخدع وينخدع كثيرا، فيضل الناس بغير علم.

وقد سمى النورسي هؤلاء بالظاهريين في الفكر، كما يرى أن محاولاتهم جر الإسلام للشكليات هي محاولات عبثية ، فالإسلام جوهر قبل المظهر ، حقيقة لا خيال ، ومحاولتهم العبثية لا تزيد المسلمين إلا تخلفاً وجهلاً ، فالأنبياء بعثوا بمنهج للحياة ، يصل الناس بريهم ، ويبلغهم مراد ربه منهم ، وجزاء من أطاع وعقاب من عصى، والأنبياء قدوة عملية وسلوكية ، ولا تمثل المعجزات إلا القليل من قليل سيرتهم، فهناك سنن لله جارية في كونه، لا تخرق إلا لعله وحكمة ، وهذه الخروقات الإعجازية هي في ذاتها إثبات لسنن الله الجارية في كونه.

ومن هنا فإن إدخال زيف الحكايات، وخبث الإسرائيليات، وأباطيل التشبيهات في ألماس العقيدة وجوهر الشريعة ودرر الأحكام، إنما هو حط لقيمتها، وتغيير لطالبيها من متحري الحقيقة، ودفعهم للندامة.

وقد ضرب النورسي أمثلة للمسائل التي تولد الشبهات، وذكر الفهم الصحيح لهذه المسائل، وأهم المسائل التي ذكرها، والتي تعتبر مصدراً للشبهات والخرافات عند قاصر العقل كالتالي:

مسألة كروية الأرض.. ثم الثور والحوت.. وجبل قاف.. وسد ذي القرنين.. وأوتادية الجبال.. ووجود جهنم تحت الأرض.. والآيات الكريمة كدحاها في قوله تعالى: {وَالْأَرْضُ

(استوى) في قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بَأْمَرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54) {الأعراف.

(واليد) في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (10) {الفتح.

(والجنب) في قوله تعالى: {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (56) {الزمر... الخ. كلها روافد لهذا الأسلوب.

وقد ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «لكل آية ظهر وبطن، ولكل حرف حد ومطلع» 1.

المقدمة الحادية عشرة: احتواء القضية الواحدة على قضايا عدة

قد يتضمن الكلام الواحد أحكاماً عدة، فربما يحوي الصدف الواحد كثيراً من الدرر، مثال ذلك: ورد في الحديث الشريف: «بعثت أنا والساعة كهاتين» 2.

فهذا الحديث الشريف يتضمن ثلاث قضايا:

أولها: أن هذا الكلام هو كلام النبي صلى الله عليه وسلم..

ثانيها: أن المعنى المراد من هذا الكلام حق وصدق..

1 رواه أبو يعلى في «المسند» 80 /9 (5149) والطبري في «جامع البيان» 12 /1، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» 109 /8 (3095)، والطبراني في «المعجم الكبير» 10 /10 (1017) وفي «المعجم الأوسط» 1 /236 (773)، وكلهم من طريق مغيرة، عن واصل بن حيان، عن عبد الله بن أبي الهذيل، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن بنحوه مرفوعاً، وعند بعضهم زيادة في أوله وردت في الصحيح. قال الهيثمي في «مجمع البحرين في زوائد المعجمين» 6 /104: قلت هو في الصحيح خلا قوله «وأنزل القرآن».. «ورواه أبو يعلى في «المسند» 9 /278 (5403) والبخاري في «البحر الزخار» 5 /441 (2081)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» 8 /87 (3077)، وابن حبان في «صحيحه» انظر «الإحسان» 1 /276 (75)، كلهم من طريق سليمان بن = بلال، عن محمد بن عجلان، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص به بنحوه دون قوله: «ولكل حرف حد ومطلع».

2 رواه البخاري في صحيحه (347 /11) كتاب الرقاق.

يصفه النورسي في هذا الكتاب يطبقه في سائر رسائل النور فتأمل ولا تعجل.

المسألة الأولى: بين حب اللفظ وحب المعنى

تحدث النورسي عن الخلل الناشئ عن دخول العجم في العرب ، حيث حولوا الذوق البلاغي من مجراه الطبيعي للفكر ، وهو نظم المعاني ، إلى صنعة اللفظ ، وخلص إلى أن المجرى الطبيعي لأنهار الأفكار والمشاعر والأحاسيس إنما هو نظم المعاني ، ونظم المعاني هو الذي يشيد بقوانين المنطق ، وأسلوب المنطق متوجه إلى الحقائق المتسلسلة . والفكر الواصل إلى الحقائق هو الذي ينفذ في دقائق الماهيات ونسبها .. ودقائق الماهيات ونسبها هي الروابط للنظام الأكمل في العالم . والنظام الأكمل هو المندمج فيه الحسن المجرد الذي هو منبع كل حسن .. والحسن لمجرد هو روضة أزاهير البلاغة التي تسمى لطائف ومزايا .. باختصار لا ميل لحساب اللفظ على حق المعنى ، ولا جور على حق المعنى لصالح اللفظ ، ولأسف فقد تحول نظم المعاني إلى نظم الألفاظ.

المسألة الثانية: تجسم المعاني ونفخ الروح في الجمادات

”إن من البيان لسحرا“ يرى النورسي أن حياة الكلام ونموه: بتجسم المعاني ونبفخ الروح في الجمادات، وذلك بإلقاء الحوار فيما بينها بالسحر البياني الحاصل بقوة الخيال؛ المبنية على المغالطة الوهمية، المؤسسة على الدوران، فالسحر البياني إذا تجلى في الكلام بَعَثَ الحياة في الجمادات كالساحر، ويوقع بينها محاورة قد تتجر إلى المحبة أو المخاصمة، فيجسم المعاني ويحييها ويدرج فيها الحرارة الغريزية، فتجسيم المعاني، ونبفخ الروح في الألفاظ، والبحث عن ذلك في النصوص مهمة شاقة تحتاج لعلماء أكفاء.

المسألة الثالثة: أسلوب الكلام

إن حلل الكلام أو جماله وصورته: بأسلوبه، أي بقالب الكلام ، فالأسلوب بهذا قالب الكلام كما هو معدن جماله ومصنع حلله الفاخرة، فإذا أنعمت النظر في أسلوب الكلام -الكلام الطبيعي النظري- تر المتكلم في مرآة الأسلوب، حتى كأن نفسه في أنفاسه

1 أخرجه البخاري (9/ 173) كتاب النكاح باب الخطبة، ومالك في الموطأ (2/ 986)، وأبو داود (5007)، والترمذي (2029)، وأحمد في المسند (2/ 16) من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - مرفوعاً، ورواه مسلم (869)، وأحمد في المسند (4/ 263) من حديث عمار بن ياسر - رضي الله عنه - مرفوعاً.

بَعْدَ ذَلِكَ دَخَاهَا (30) {النازعات}. وسطحت في قوله تعالى: {وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ} (20) {الغاشية}. وجبال من السماء فيها من برد كقوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سَخَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنًا بِرُفْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (43) {النور}. وجهنم تحت الأرض ، ويأجوج ومأجوج والفوضى الناتجة عنهما ، وعن ذي القرنين وحقيقته... الخ.

ثم شرع في الرد على كل مسألة ، وكيف نشأت الشبهة في الفهم؟ ، والفهم الصحيح لها، فهل ينتبه العلماء لمثل هذه المسائل التي ينتج عن الكلام فيها عن جهل مزيد من التثبيت للشبه الواردة فيها ؟؟؟؟.

وتأمل لعبقرية النورسي الذي ينقلك من هذه الشبهات إلى لب المشكلة ، ومن أصل المشكلة إلى سر حلها ، وهذا السر يكمن في دراسة البلاغة العربية ، لنعرف كيف نفهم ، فنراه يقول: إن مفتاح دلائل إعجاز الآيات، وكشاف أسرار البلاغة، هو في معدن البلاغة العربية، وليس في مصنع الفلسفة اليونانية الوافدة بثقافة الآخر الوثني والمختلط.

وعقب هذا مباشرة شرع في بيان ميادين عنصر البلاغة، ومفتاح الإعجاز في المقالة التالية ، وهي المقالة الثانية في كتابه الماتع (رجة العلماء) أو (صقل الإسلام) ، أو (الصيقل الإسلامي) ، فتأمل، وإياك أن ينفرك إغلاق أسلوبها، وظاهر مسائلها المهلهل؛ لأن دقة معانيها هي التي أغلقتها، وجمال معانيها بذاتها هو الذي جعلها مستغنية عن الزينة الظاهرية.

المقالة الثانية: البلاغة

المقالة الثانية في الوصفة الطبية النورسية التي يطلب من العلماء السير في ضرورها، بغية نجاحهم في تحقيق الإيمان ، هي عبارة عن عدة مسائل تتعلق بروح البلاغة ، وليس مجرد سرد قضايا البلاغة ، كما تدرس للطلاب في قاعات المعاهد والمدارس والجامعات، بل روح البلاغة ، وما أدراك ما روح العلوم هذه الروح التي نفتقدها؟ وأثر ذلك في بناء العقيدة ، وبعث روح الإيمان في القلوب ، وأثر ذلك على السلوك ، وقد رأينا ذلك في العديد من مسائل رسائل النور ، وأثر تنوع أسلوب النورسي في عرض أفكاره على زرع الإيمان ، وتثبيت اليقين ، فما

البخاري يبقى قسم من الميول والتصورات معلقة.. ثم بتقطر قسم آخر يرغب فيه العقل.. ثم القسم المائع يتحصل منه ويصلب، فيضمه العقل ضمن الكلام.. ثم ذلك المتصلب لأنه يتجلى ويتمثل برسم خاص به، يظهره العقل بكلام خاص حسب قامته المخصوصة، بمعنى أن المتشخص من المعنى يأخذه العقل ضمن صورة خاصة للكلام.

المسألة السابعة: فلسفة البيان

إن العقدة الحياتية للبلاغة، أو بتعبير آخر "فلسفة البيان" أو "حكمة الشعر" هي التمثل بنواميس الحقائق الخارجية ومقاييسها، أي: تمكين قوانين الحقائق الخارجية في المعنويات والأحوال الشاعرة من حيث القياس التمثيلي وبطريق الدوران وبتصرف الوهم، بمعنى آخر: أي أن البليغ يتمثل أشعة الحقائق المنعكسة من الخارج كالمرآة، وكأنه يقلد الخلقة ويحاكي الطبيعة بصنعه الخيالية وبنقش كلامه، لله درك يا نورسي أتبعتم العلماء بعدك.

المسألة الثامنة: تشرب معنى الكلمة بغرض الكلام

يرى النورسي أن تلقيح المعاني البيانية وتبادل مواضعها وانقلاباتها، إنما هو: بتشرب معنى الكلمة الحقيقي بغرض الكلام أو جذبته بمعنى من المعاني المعلقة إلى جوفه، وحال ما يدخل فيه يرجع المعنى إلى الحقيقة والأساس التي هي صاحب البيت، أما المعنى الذي هو صاحب اللفظ الأصلي فيرجع إلى صورة حياتية تمده، وتستمد من المستتبعات، هذا هو السر في وجود معان عدة لكلمة واحدة، ومنه ينبع التلقيح والتبادل والانقلاب.

المسألة التاسعة: أعلى مراتب الكلام

إن أعلى مراتب الكلام وكماله الذي يعجز الإرادة الجزئية والتصور البسيط للإنسان هو: تضمن الكلام واستعداده بتعدد المقاصد المتداخلة المتسلسلة، وبتسلسل المطالب المرتبطة المتناسلة، وباجتماع الأصول المولدة لنتيجة واحدة، وباستنباط الفروع الكثيرة المولدة لثمرات متباينة، وبعد ذلك ذكر العلامة بديع الزمان النورسي عدة مسائل عميقة ومتخصصة، أوجزها ونبه على العودة لشرحها، فليراجعها من يشاء في هذا القسم، تحت هذه المسألة.

ونبراته، وما هيته في نفثاته، وصنعه ومزاجه ممتزجان في كلامه، فلو تخيلت الأمر هكذا لما عوتبت في مذهب الخياليين.

وباختصار فمراد النورسي من الأسلوب هو: قالب الكلام وصورته، إن مراتب الأسلوب متفاوتة جدا؛ بعضها أرق من النسيم إذا سرى في السحر، وبعضها أخفى من سائس دهاة الحرب في هذا الزمان، لا يشمه إلا ذوو الدهاء.

المسألة الرابعة: تجاوب قيود الكلام وتعاون كفياته

يرى النورسي أن قوة الكلام وقدرته: أن تتجاوب قيوده، وتتعاون كفياته، وكأن القيود مسيل ووديان، والمقاصد حوض في وسطها يستمد منها، وقد وضح كلامه حول هذه المسألة في قوله تعالى: { وَلَئِن مَسَّنُهُمْ نُفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (46) } الأنبياء.

المسألة الخامسة: المقصد والغرض من الكلام

كما يرى النورسي أن أصل الكلام وصورة تركيبه يفيد المقصد نفسه، كما أن غناه وثروته وسعته هو في بيان لوازم الغرض وتوابعه وهزه بتلميحات مستتبعاته وإشارات الأساليب؛ إذ التلميح أو الإشارة أساس مهم يهز عطف الخيالات الساكنة ويستتطق جوانبها الساكنة، فيهيح الاستحسان في أقصى زوايا القلب، وقد ضرب على ذلك عدة أمثلة من الشعر العربي الرصين، وقد خلص إلى أن "مفتاح دلائل إعجاز الآيات وكشاف أسرار بلاغتها، البلاغة العربية لا الفلسفة اليونانية."»

المسألة السادسة: المعاني المتولدة من الكلام

يرى النورسي أن ثمرات الكلام هي: المعاني المتولدة في صور متعددة والمتفجرة في طبقات متفاوتة، الكلام الذي هو خريطة مختصرة أخذت من صورة المعاني المتفاوتة، فالمفاهيم المتفاوتة تتشكل صورها كالاتي:

إنه باهتزاز قسم من أحاسيس القلب بتأثيرات خارجية تتولد الميول، ويتكون معان هوائية منها وتعلقها بنظر العقل توجه العقل إلى نفسها.. ثم بتكاثف قسم من ذلك المعنى

وإن كان العالم في المعاملات والمحاورات وفي العلوم الآلية، فعليه بالأسلوب المجرد وحده فهو الذي يحقق وفاء الموضوع، واختصار البحث وسلامة القصد، ويجري على وفق السليقة، حتى إنه يبين جماله الذاتي بسلاسته، وتأمل في مؤلفات النورسي وستجد تنوع أساليبه وفقاً لتنوع فنون العلوم والمسائل التي يتناولها، وهكذا تنوعت أساليبه وفقاً لمقتضى الحال والمقام.

المقالة الثالثة: عنصر العقيدة

بعد كشف الشبهات ، وبيان أهمية البلاغة في فهم النصوص ، والنماذج التي ذكرها واستخدام البلاغة في الفهم الأمثل وتفسير النصوص ، جاء دور هذه المقالة الغالية ، وهي أهم مقالة على الإطلاق ، فهي لب الإيمان ، وقلبه النابض، كما أنها أساس العقيدة ، ولها وعليها عاش النورسي.

إذا كانت العقيدة هي أساس الدين ولبه، فإن الجانب الإلهي منها هو جوهر هذا الأساس وروحه، وكلمة الشهادة هي لب هذا الجوهر ودرته، ومن هنا كان اهتمام القرآن الكريم والسنة الشريفة بالعقيدة عامة والجانب الإلهي منها خاصة، وقد تمثل هذا الاهتمام بوجود النظر فكان التفكير فريضة إسلامية، والانتقال من النظر في الخلق إلى الإقرار بوجود الخالق، والانتقال من إبداع الكون وكماله إلى اتصاف المبدع بكل كمال وتنزهه عن أي نقص حتماً وواجباً.

ولقد أدرك المتكلمون اهتمام القرآن العظيم والسنة الشريفة بالعقيدة عامة وبالجانب الإلهي خاصة، فكان اهتمامهم بما اهتم به القرآن والسنة إتباعاً لا ابتداءً، وقد تمثل هذا الاهتمام في الدعوة للنظر الصحيح، ثم البراهين على وجود الخالق وما تنطق به تلك البراهين من آيات على اتصافه تعالى بكل كمال يليق بذاته تعالى، وتنزهه تعالى عن كل نقص لا يليق بذاته، وما يستلزمه من نقض شبهات المعاندين ودحضها

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم

هذه الكلمة السامية، أساس الإسلام.. وأنور راياته وأعلامها التي ترفرف على الكائنات طراً، نعم، إن الإيمان الذي هو عهدنا بالميثاق الأزلي قد اندرج في هذا الكلام المقدس، والوحدانية برهان على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كما أن نبوته صلى الله عليه وسلم برهان على وحدانية الله تعالى.

المسألة العاشرة: سلاسة الكلام

إن سلاسة الكلام، بعدم التشابك، وعدم القفز من حس إلى آخر، مع تقليد الطبيعة وتمثل الخارجيات، والسداد إلى مسيل الغرض، وتميز المقصد والمستقر ، وينبغي أيضاً مساوقة الطبيعة والتلمذ عليها بصنعة المتكلم الخيالية، كي تنعكس قوانينها في صنعة.

المسألة الحادية عشرة: سلامة البيان وصحته

إن سلامة البيان وصحته: إثبات الحكم بلوازمه ومبادئه وآلات دفاعه، وفي سبيل تحقيق ذلك كما يرى النورسي يجب عدم الإخلال بلوازم الحكم، وعدم إفساد راحته، مع رعايته، والرجوع إلى مبادئه لاستمداد الحياة. . وذلك بالتقيد بقيود الإجابة عن كل سؤال مقدر في رد الأوهام ودفع الشبهات. . ولو فهم المتجادلون لكفونا شر السفسطات التي نشاهدها ونسمعها الآن.

المسألة الثانية عشرة: أسس الأساليب البلاغية

أسس الأساليب ثلاثة كما يستنبطها النورسي من الكتب المتخصصة:

الأول: الأسلوب المجرد، كالأسلوب السلس للسيد الشريف الجرجاني، ونصير الدين الطوسي.

الثاني: الأسلوب المزين، كالأسلوب الباهر الساطع لعبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة.

الثالث: الأسلوب العالي، كبعض الكلام المهيب للسكاكي والزمخشري وابن سينا، وكلام النورسي فيما ألفه بالعربية.

وعلى العالم -كما يرى النورسي - أن يختار الأسلوب المناسب في كل فن ، فإن كان في بحث الإلهيات وتصوير الأصول، فعليه بالأسلوب العالي، ففيه الشدة والقوة والهيبية، بل عليه ألا يغادر هذا الأسلوب.

وإن كان العالم في بحث الخطاب والإقناع، فعليه بالأسلوب المزين ذي الحلي والحلل والترغيب والترهيب؛ لا يدع هذا الأسلوب ما استطاع، بشرط ألا يداخله التصنع والنظاير، وما يثير العوام.

وهذه المناهج الثلاثة ليست مصنوعة من الشبهات والأوهام ، والأمر كما قال.

رابعها: المعراج القرآني الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو أقصر طريق وأوضحه وأقربه إلى الله وأشمله لبنى الإنسان.

وقد اختار النورسي هذا الطريق الأمثل وهو نوعان:

الأول: دليل العناية: وخصاله: أن رعاية المصالح والحكم في نظام العالم الأكمل، مما يثبت قصد الصانع وحكمته، وينفي وهم المصادفة، فواجب على من أراد أن يعرف الله حق معرفته، ويقدره حق قدره أن يفحص عن منافع الموجودات، ويتتبع الحكمة في كل موجود، ليعرف السبب الذي خلق من أجله، والغاية المقصودة به، وبذلك يكون وقوفه على دليل العناية أتم وأكمل.

ومن أمثلة هذا النوع: موافقة المكان الذي يوجد فيه الإنسان وهو الأرض، وموافقة الليل والنهار والشمس والقمر، وموافقة الفصول الأربعة، وموافقة كثير من الحيوان والنبات والجماد، لقضاء ضروراته والحصول على حاجياته، وما يستقيده الإنسان وينتفع به من الأمطار والأنهار والبحار، إلى غير ذلك من الأشياء، من كل ما هو موافق لحياته، وملئم لوجوده.

قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَؤُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (4)} الملك.

وإن شئت فراجع القرآن الكريم، تجد دليل العناية بأكمل وجهه في وجوه الممكنات؛ لأن القرآن الكريم الذي يأمر بالتفكير في الكون، يعدد أيضا الفوائد ويذكر بالنعيم الإلهية.. فتلك الآيات الجليلة مظاهر لهذا البرهان، برهان العناية.

الدليل القرآني الثاني: دليل الاختراع.

معنى الاختراع هو الإيجاد والإحداث، وخصاله هذا الدليل إن الله تعالى أعطى لكل فرد ولكل نوع وجودا خاصا هو منشأ آثاره المخصوصة ومنبع كماله اللاتقة إذ لا نوع يتسلسل الأزل لأنه من الممكنات ولبطان التسلسل وإن الحقائق لا تتقلب بل ثابتة والأنواع المتوسطة لا تدوم سلاسلها أما تحول الأصناف فهو غير انقلاب الحقائق إذ ما يسمونه من تغير صور المادة ما هو إلا حادث لأن حدوث بعضها مشهود وبعضها الآخر يثبت بالضرورة العقلية القوي والصور من حيث أنها عرضية لا

وإن الإسلام الذي هو الماء الباعث على الحياة، قد نبع من عين حياة هذه الكلمة، فهذه الكلمة ميثاق أزلي سلم بيد المبشرين بالفوز بالسعادة الأبدية والمعنيين بها، من بين البشرية المرشحة للخلود.

إن كلمتي الشهادة كل منها شاهد صادق على الأخرى، فالألوهية برهان "لمي" للنبوة ومحمد صلى الله عليه وسلم بذاته ولسانه برهان "إني" للألوهية.1

مقدمة المقصد الأول (أشهد أن لا إله إلا الله)

من المعلوم لدى المدققين أن مقاصد القرآن أربعة: إثبات الصانع الواحد، والنبوة، والحشر الجسماني، والعدل.

فالمقصد الأول (أشهد أن لا إله إلا الله) يخص الدلائل على الصانع الجليل، ومحمد صلى الله عليه وسلم، أحد براهينه، ثم ساق بعض الأجوبة على بعض الأسئلة التي وجهت إليه.

ثم تحدث عن المناهج المعتمدة في الأدلة على وجود الله، وبين النورسي موقفه من هذه المناهج، وهي أربعة مناهج كما يراها النورسي، وكما هي في كتب علم الكلام.

أولها: منهاج علماء الصوفية، المؤسس على تركية النفس والسلوك الإشراقي.

ثانيها: طريق علماء الكلام المبني على الحدوث والإمكان.

هذان الأصلان وإن تشعبا من القرآن الكريم، إلا أن فكر البشر قد أفرغهما في صور أخرى فأصبحتا طويلة وذات مشاكل، وهذا حق وقد عانيت منه بحكم التخصص.

ثالثها: مسلك الفلاسفة.

1 البرهان الإني واللمي: فالإني -بتشديد النون- مصدر صناعي مأخوذ من "إن" المشبهة بالفعل التي تدل على الثبوت والوجود. أما اللمي، فهو مصدر صناعي مأخوذ من كلمة "لم" للعلية. وفي التعريفات للجرجاني: (الاستدلال من العلة إلى المعلول برهان ليمي، ومن المعلول إلى العلة برهان "إني").

إن تشابه آثار العالم، تعانق أطرافه، وأخذ بعضه بيد بعض، وتكميل بعضه انتظام البعض الآخر، وتجاوب الجوانب، وتلبية بعض لسؤال بعض، ونظر الكل إلى نقطة واحدة، وحركة الكل بالانتظام على محور نظام واحد، تلوح بوحداية الصانع بل تصرح بأن صانع هذه الماكنة الواحدة واحد.

ثم أنهى بديع الزمان النورسي هذا المقصد بالتمهيد للمقصد التالي، ويدور الحديث فيه عن القسم الثاني من قسمي الشهادة، وهو الشهادة بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم، والنبي صلى الله عليه وسلم هو من أكبر الأدلة على وجود الله تعالى ومعرفة، فالنبي صلى الله عليه وسلم أصدق شاهد حي، وأفصح برهان ناطق، وأقطع حجة على الصانع الجليل؛ إذ من حيث الخليفة برهان باهر، ومن حيث الحقيقة لسانه شاهد صادق على وجود الله تعالى، وعلى النبوة، وعلى المعاد واليوم الآخر.

النبوات

المقصد الثاني: اللهم صل على سيدنا محمد الذي دل على وجوب وجودك...

استهل النورسي مقصد الحديث عن قسم النبوات، وهو القسم الثاني في الإيمان، وغن شئت فقل هو الوسطة بين الإلهيات والسمعيات، فاستهل الحديث عن النبوات بحكم النبوة، وأنها من حكمة الصانع الجليل، كما أنها ضرورة بشرية، ولا عجب فالأنبياء واسطة البلاغ من الله تعالى لبيان مراده وتكليفه للناس، وجزء من يمثل وعقاب من يأبى أو يقصر، وقد جاء الحديث عن النبوات عند النورسي في عدة نقاط أوجزها كالتالي.

النقطة الأولى: إدراك الإنسان وكشفه عن الترتيب في الأشياء، الناشئ من العلل المترتبة المتسلسلة في الخلق.. وقابليته العلمية والتركيبية، ومعرفة الحاصلة من تحليله مركبات بذور كمالات الإنسانية إلى بسيطات، وإرجاعها إلى أصلها.. وقدرته على محاكاة الطبيعة، فالإنسان الذي هذه قابلياته، يدرك قصور نظره في صنعته، وزحمة الأوهام عليه، وافتقاره في جبلته الإنسانية.. مما يدل على حاجته الماسة إلى نبي مرشد، يحافظ على موازنة النظام المتقن في العالم.

النقطة الثانية: هي استعداد الإنسان غير المتناهي، وأماله ورغباته غير المحصورة، وأفكاره وتصورات غير المحدودة، وقوته الشهوية والغضبية غير المحددة، فنرى الإنسان يتأسف

تشكل التباين الجوهري الموجود في الأنواع فلا يكون العرض جوهرًا ففصائل الأنواع إذا وميزات عموم الأغراض وخواصها قد أبدع واخترع من العدم البحت.

أما التناسل في السلسلة فهو من الشرائط الاعتبارية الاعتيادية فيا عجا كيف تستوعب أذهان الضلالة أزلية المادة وهي تنافي الأزلية قطعًا بينما تعجز تلك الأذهان أن تدرك أزلية الخالق الجليل التي هي من ألزم صفاته الضرورية، ثم كيف وجدت الذرات المتناهية في الصغر قوة وثباتًا بحيث تقاوم أوامر القدرة الإلهية وتبقى أزلية بينما الكون بعظمته منقاد إلى تلك الأوامر انقياد طاعة وخضوع وكيف يسند الإبداع والإيجاد وهما من خواص القدرة الإلهية إلى أعجز شيء وأهونه وهو الأسناب فالقرآن الكريم يرسخ هذا الدليل في آياته التي تبحث عن الخلق والإيجاد ويقرر أن لا مؤثر إلا الله وحده فالأسباب لا تأثير لها تأثيرًا حقيقيًا وإنما هي ستائر أمام عزة القدرة وعظمتها لئلا يرى العقل مباشرة يد القدرة بالأمور الخسيسة بنظره الظاهر.

فهذا إجمال دليل الاختراع وإن شئت تفصيله بوضوح فادخل جنان القرآن الكريم، فإنه مامن رطب ولا يابس إلا وتفتح في كتاب مبین زهرة زاهية أو برعما لطيفا، ومن أوائل من تحدث عن دليل العناية ودليل الاختراع إمام أهل السنة والجماعة الإمام الماتريدي، وقد شرحهما أكثر ابن رشد حتى أن بعض العلماء اعتبرهما من إبداع ابن رشد وهو مسبوق فيهما من الإمام الماتريدي.

والحاصل: كما أن القرآن وهو الكتاب المسطور يفسر بعضه بعضا، كذلك سطور كتاب العالم وهو الكتاب المنظور يفسر ما وراءه من إتيان وحكمة.

وأعقب بديع الزمان النورسي ذلك أي برهني القرآن على وجود الله، أعني الاختراع والعناية، ببعض الشبهات التي نتجت عن مسالك الفئات الأخرى، مثل: القول بوحدة الوجود، ووحدة الشهود، وقام بتقنين هذه الشبهات ورد عليها.

إذا قلت: أريد بيان دلائل التوحيد ولو إجمالاً أقول: إن دلائل التوحيد أكثر بكثير من أن يضمها كتب فضلا عن صيقل الإسلام، وما تضمنته الآية الكريمة: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} (22) الأنبياء: من برهان التمانع دليل كاف، ومنار ساطع على هذا المنهاج. نعم، الاستقلال خاصة ذاتية ولازم ضروري للألوهية.

يتضمنان براهين نيرة على النبوة، ويرددان بلسان واحد برهان ذاته صلى الله عليه وسلم بأنه معدن الأخلاق العالية وداعي الصدق ودلال النبوة، فهذه الأزمنة تدل وتعلن عن نبوته وتبينها حتى لمن فقد بصره، وبراہين ذلك صاغها العلامة النورسي في صورة عدة مسالك كالتالي.

المسلك الأول للنبوة: معرفة ذاته الطاهرة الشريفة دليل على نبوته.

المسلك الثاني: إن صحيفة الماضي برهان على نبوته، ومجموع دلائل نبوة الأنبياء عليهم السلام دليل على صدقه صلى الله عليه وسلم، وجميع معجزاتهم معجزة معنوية له.

المسلك الثالث: في بيان صحيفة الحال الحاضرة - أعني عصر السعادة النبوية - برهان على نبوته.

المسلك الرابع: في مسألة صحيفة المستقبل، لاسيما مسألة الشريعة، برهان على نبوته

وبعد ذكر العلامة النورسي البراهين الدالة على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، وهي وإن ذكرت في كتب علم الكلام إلا أن الروح التي يصبغها بها العلامة النورسي تجعلها تدخل القلب بك سلام.

وبعد ذكر النورسي لهذه المسالك بالتفصيل في مواضعها أعقب ذلك بذكر مصادر الشبهات حول النبوة، وقد ذكر أن الشبهات والريوب منبعها ثلاثة أمور وهي:

تجاهل مقصد الشرع - تجاهل كون الإرشاد بنسبة استعداد الأفكار - الاعتراض بأن القرآن الكريم هو أساس الشريعة، وتتخلص الشبهات في التالي:

أولها: وجود المتشابهات والمشكلات في القرآن، وهذا مناف لإعجازه المؤسس على البلاغة، المبنية على ظهور البيان ووضوح الإفادة. كما في قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5) طه}.

ثانيها: الإطلاق والإبهام في العلوم الكونية، مع أنه مناف لمسلك التعليم والإرشاد الذي هو المقصود الحقيقي للشريعة.

ويتأفف ويقول: ليت كذا وكذا، حتى لو منح ملايين السنين من العمر، وتمتع بلذائذ الدنيا وحكم حكماً نافذاً في كل شيء.. وذلك بحكم اللاتناهيّة المغرورة في استعداده، فكأن عدم الرضا هذا يرمز ويشير إلى أن الإنسان مرشح للأبد، ومخلوق للسعادة الأبدية، كي يتمكن من تحويل استعداده غير المحصور من طور القوة إلى طور الفعل في عالم غير متناه وغير محدود بحدود، وأوسع بكثير من عالمه هذا، وهو عالم الآخرة.

النقطة الثالثة: هي اعتدال مزاج الإنسان، ولطافة طبعه، وميله إلى الزينة، أي ميله الفطري إلى العيش اللائق بالإنسانية؛ ولهذا احتاج إلى الامتزاج مع أبناء جنسه، ليتشاركوا في تعاونوا، ثم يتبادلوا ثمرات سعيهم، وبالتالي يحدث اختلاف ونزاع، فكانت الحاجة ماسة إلى وضع قوانين كلية، وهي بدورها تحتاج لمقنن يجريها، وهذا المقنن (النبي صلى الله عليه وسلم) له صلة بالحكيم الخبير، وإلا فإن أي مقنن أو أي مشروع غير النبي سينحاز للبيئة التي أتى منها، ويشرع القوانين المحابية لطبقته على حساب الطبقات الأخرى، فتفسد الحياة لغياب العدل، وهنا نلاحظ العدل الذي وضعه النورسي في أركان الإيمان.

ومن كل ما سبق: احتاج البشر أشد الحاجة إلى مرشد ومعلم.. فذلك المرشد هو النبي صلى الله عليه وسلم، كما أن اللاتناهيّة المغرورة في الإنسان تجعل الإنسان يحتاج إلى شريعة إلهية خالدة تحقق له سعادة الدارين معاً مادة ومعنى، وتتوسع حسب قامة استعداداته ونموها.. فالذي أتى بالشريعة هو النبي صلى الله عليه وسلم.

أي كمال عند غير المؤمنين هو من بقايا النبوات السابقة، والنتيجة الحاصلة بالاستقراء التام هي: أن النبوة التي هي قطب المصالح الكلية، ومحورها ومعدن حياتها ضرورية لنوع البشر، فلو لم تكن النبوة لهلك النوع البشري، إذ كأنه ألقى من عالم منظم إلى عالم مختل، فيخل بالقوانين الجارية العامة..

وبعد عرض وجه الحاجة للنبوات، شرع في بيان براهين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

البراهين الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

إن كل حال من أحواله صلى الله عليه وسلم، وكل حركة من حركاته دليل على صدقه، بل إن الزمان الماضي والزمان الحاضر - أي عصر السعادة النبوي - والمستقبل

حرجاً كثيراً ، ولغطاً في الفهم، ومن هنا كانت عظمة القرآن في تناول المعجزات الكونية ،والعلوم المستقبلية ، بصيغة تشير للحقائق ،وتفتح الأبواب لما يستجد من علوم بأسلوب بلاغي إعجازي.

أما الجواب عن الشبهة الثالثة: وهو إمالة بعض ظواهر الآيات إلى ما ينافي الدلائل العقلية:

هذه شبهة لا دليل عليها ، فبراهين القرآن عقلية ،ونظام الكون واختراعه ،ورعاية الله لكونه جلية في آية كونية قبل الآية المسطورة ،ولا شبهة إلا في عقول الضعفاء الجهلاء أو الأغبياء أو الحاقدين.

المسلك الخامس: معجزات الأنبياء من أهم الأدلة على صدق الأنبياء عليهم السلام.

معجزات الأنبياء متنوعة:

منها: الإرهاصات المتنوعة وهي مبشرات تسبق ظهور الرسل عليهم السلام.

ومنها: الإخبارات الغيبية الكثيرة ،وقد جاب الله بروح النبي عليه السلام في الماضي والمستقبل ليطلع على ما دار وما يدور في هذا الزمان.

ومنها: الخوارق الحسية التي أظهرها وقت التحدي والدعوى، وقد بلغ هذا النوع إلى ما يقرب الألف،ومن هذا النوع: نبعان الماء من أصابعه المباركة.

ومنها: تكلم الشجر والحجر والحيوان.

ومنها: انشقاق القمر.....

وخلص العلامة النورسي إلى أن النبوات من أدلة وجود الله تعالى ،فإذا قيل: ما الدليل الواضح على وجود الإله الذي تدعوننا إليه؟

أقول: إنه محمد صلى الله عليه وسلم، فمحمد صلى الله عليه وسلم من أدلة وجود الله ووحدانيته.

ثالثتها: إن قسماً من ظواهر القرآن أميل إلى خلاف الدليل العقلي، فيحتمل خلاف الواقع، وهو مخالف لطريق القرآن الذي هو التحقيق والهداية.

إن ما تتصورونه سبباً للنقص في هذه النقاط الثلاث ليس كذلك، بل هو أصدق شاهد على إعجاز القرآن.

أما الجواب عن الشبهة الأولى: وقد رأيت هذا الجواب - ضمناً - مرتين:

اعلم أن الجمهور الأكثر هم عوام، وأن جمهور العوام لا يجردون أذهانهم عن المألوفات والتخيلات، فلا يقتدرون على درك الحقائق المجردة والمعقولات الصرفة إلا بمنظار متخيلاتهم وتصويرها بصورة مألوفاتهم؛ لكن بشرط أن لا يبقى نظرهم على الصورة نفسها حتى يلزم المحال، كالجسمية، أو الجهة؛ بل يمر نظرهم إلى الحقائق.

وإذ كانت حسيات الجمهور في هذا المركز، فالذي يقتضيه، منهج البلاغة ويستلزمه طريق الإرشاد، رعاية أفهامهم واحترام حسياتهم ومماشاة عقولهم ومراعاة أفكارهم.

فهذه المنازل التي يراعى فيها عقول البشر، ويحترم تسمى بـ"النتزلات الإلهية" فهذا التنزل لتأنيس أذهانهم، فلماذا وضع صور المتشابهات التي تراعي الجمهور المقيدين بأحاسيسهم ومتخيلاتهم منظاراً على نظرهم لرؤية الحقائق المجردة.

ولهذا فقد أكثر الناس في كلامهم من الاستعارات لتصور المعاني العميقة أو لتصوير المعاني المتفرقة، في صورة سهلة بسيطة، بمعنى أن هذه المتشابهات من أكثر أقسام الاستعارات غموضاً، إذ إنها صور مثالية لأخفى الحقائق الغامضة، بمعنى أن الإشكال إنما هو من دقة المعنى وعمقه لا من إغلاق اللفظ وتعقيده.

أما الجواب عن الشبهة الثانية: والتمثل في الإطلاق والإبهام في العلوم الكونية، مع أنه مناف لمسلك التعليم والإرشاد الذي هو المقصود الحقيقي للشريعة، فجوابه:

إن العلم بناء تراكمي، وما نصل إليه الآن نتيجة تراكمات علمية كثيرة، ونتائج اليوم كانت غيباً عن علماء أمس، وبالتالي فنتائج اليوم إذا عرضت بالأمس سببت

،فوجدته يشرح قوله تعالى: { فَأَنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (50) } الروم.

وهذا الشعاع التاسع عبارة عن تسعة مقامات سامية مما أشارت إليه الآيات الكريمة ، فليراجعها في مظانها من يريد ،وهذا يؤكد ما ذهبت إليه من أن كتابه صيقل الإسلام أو المحاكمات العقلية هو موجز ، وغيره شروح وتفسير .

ويختتم النورسي هذا المقصد أعني مقصد إثبات النبوات بعبارات بليغة، فإذا قلت: يا بني آدم! من أين؟ والى أين؟ ما تصنعون؟ من سلطانكم؟ من أين مبدؤكم؟ وإلى أين المصير؟.

فبينما المحاوره، إذ قام سيد نوع البشر محمد صلى الله عليه وسلم وخطيبهم ومرشدهم: أيها السائل نحن معاشر الموجودات أتينا بأمر السلطان الأزلي، مأمورين ضمن دائرة القدرة الإلهية، وقد ألبسنا واجب الوجود المتصف بجميع صفات الكمال، وهو الحاكم الأزلي، حلة الوجود هذه، ومنحنا استعدادا هو رأسمال السعادة.. ونحن معاشر البشر ننشغل الآن بتهيئة أسباب تلك السعادة الأبدية.. ونحن على جناح السفر، من طريق الحشر إلى السعادة الأبدية.

فيا أيتها الحكمة اشهدي وقولي مثلما ترين، ولا تخلطي الأمور بالسفسطة.

المقصد الثالث: وهو الحشر الجسماني

الخلق بدون حشر عبث، بل لا يكون، فالحشر حق وصدق، وأوضح براهينه محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا من إبداع النورسي ، فقضايا العقيدة عنده هي براهينها ، ولقد أوضح القرآن الكريم ، الحشر الجسماني أيضا جليا لم يدع مجالا لدخول أية شبهة كانت، ونحن هنا نشير إلى قسم من مقاصده ومواقفه، معتمدين على براهين القرآن للقيام بشيء من تفسير جزئي للحشر الجسماني.

المقصد الأول: تطلع الكائنات إلى الكمال

يرى النورسي أن في الكائنات نظاما أكمل.. وإن في الخلقة حكمة تامة.. وأن لا عبثية في العالم.. ولا إسراف في الفطرة.. والاستقراء التام الثابت بجميع العلوم.. والقيام النوعية المكررة في كثير من الأنواع كاللحوم والسنة.. وجوهر استعداد البشر.. وعدم تناهي آمال الإنسان.. ورحمة الرحمن الرحيم.. ولسان الرسول الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم.. وبيان القرآن المعجز.. كل ذلك شهود صدق وبراهين حق وحقيقة على الحشر الجسماني.

المقصد الثاني: إحياء الأرض نموذج لإحياء الموتى يوم الحشر

بدأ الكتابة فيه في هذا الكتاب عن المقصد الثاني ، ولم تتح له الكتابة ، وبعد ثلاثين عاماً شرع في كتابة هذا المقصد ، وقد رجعت للشعاع التاسع من كتاب الشعاعات

المنطق

النورسي عالم جليل بلغ رتبة العبقرية بلا نزاع ، آمن بفائدة المنطق والفلسفة وسائر علوم الأوائل المفيد منها، فهو في المحاكمات العقلية، ينصح الدارس أن يبدأ بعد تعلم القراءة والكتابة وأصول النحو واللغة والشعر، وفن التعامل مع المتشابهات، وبالاستعانة بعلوم البلاغة ، بالنظر في حدود المنطق، وعلم الأجناس، والأنواع والأسماء المفردة والقضايا والمقدمات، والقرائن، والنتائج؛ ليعرف ما البرهان؟ وما القياس والاستقراء والتمثيل ، ويميزها من الأباطيل تمييزاً لا يبقى معه ريب.

وعلم المنطق من العلوم الضرورية في الدراسات النظرية ؛ بل هو بحق مدخل إليها جميعاً ، وهو للعلوم المتصلة بالعقائد والميتافيزيقا أمس وأكد ، وبالتالي فهو علم حسن رفيع؛ لأن فيه معرفة العالم كله بكل ما فيه من أجناسه إلى أنواعه، إلى أشخاص جواهره وأعراضه، والوقوف على البرهان الذي لا يصح شيء إلا به وتمييزه مما يظن من جهل أنه برهان وليس برهاناً، ولا عجب فهو فن يقود الفكر أحسن قيادة إلى معرفة الأشياء سواء أكان ذلك في موقف التعلم أو التعليم، وبالتالي فمنفعة هذا العلم عظيمة في تمييز الحقائق مما سواها، وتفهم طرق الفكر والنظر، وتنوير مسالك الأقيسة والعبر.

فائدة المنطق أمر لا يرتاب فيه منصف؛ لأنها فائدة غير واقفة عند حدود الاطلاع والرياضة الذهنية؛ بل تتدخل في سائر العلوم الديانة، والمقالات والأهواء ،وعلم النحو واللغة والخبر، وما كان بهذا الشكل فإنه حقيق أن يطلب ، وأن تكتب فيه الكتب، وتقرب فيه الحقائق الصعبة، ولكن لا يكون هدفاً في حد ذاته ، بل لا يخرج عن كونه من العلوم المساعدة.

فالمنطق له صلة بالكثير من العلوم ،فالمنطق وعلم النفس بينهما علاقة ،فكلاهما ينبثق من مشكاة واحدة ، والمنطق واللغة بينهما علاقة وثيقة، فاللغة هي المعبرة عن الأفكار المكنونة داخل النفس ،ولولاها لما أمكن التخاطب والتفاهم بين الناس ،وبين المنطق وعلم الاجتماع علاقة أيضاً ، فالجماعة الإنسانية إنما تخضع لمنطق العقل الجمعي ،ورباط هذا العقل والفكر والكلام ،والفكر في حد ذاته حقيقة اجتماعية ليست عقيدة ذاتية فردية....

وعلم المنطق كما يعرفه الدارسون ،وكما أعرفه لا إبداع فيه ، فالكل عالة على ما كتبه الأقدمون ، من تراث اليونانيين إلى تراث المسلمين ،كالكندي، والفارابي، وابن سينا ،والغزالي، والبغدادي ،وابن حزم ،والكلبيوي ،وعبد الرحمن الأخصري ،وغيرهم الكثير والكثير.... الخ.

وبالتالي فالإبداع في المنطق عسير ، فكأن هذا العلم قد شيد بناؤه ووقف على ما انتهى عليه

أعلامه، وليس بدعاً في هذا العلامة النورسي ، فكان الإبداع النورسي حين اتجه إلى تحقيق التراث في هذا العلم ، أو كتابة التعليقات على ما تم نتاجه ، وقد وجدت للنورسي في حديثه عن المنطق رسالتين ، عبارة عن حاشية ،وتعليقات ، أما الحاشية فهي على متن «السلم المنورق للشيخ عبد الرحمن الأخصري» مع شرح أخيه عبد المجيد النورسي، وأما التعليق فهو على كتاب الكلبيوي.

والهدف من الحاشية والتعليق على كل حال ، هو تعويد الأذهان على الدقة في الملاحظة والإنعام في النظر، وقد نبه على أهمية المباحث المبدوءة بـ«علم».

والمنطق كما هو معلوم آلة قانونية، تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر، ولا بد لمن يبتدئ بشيء من العلوم:

من معرفة الرؤوس الثمانية استحساناً: وهي الفهرسته)وبيان المسائل إجمالاً، واسم الفن ،وموضوعه، وغايته، وتعريفه، وشرفه باعتبار ما؛ إما باعتبار الموضوع أو الغاية، أو الدليل والرتبة ، هل هو من موجود النقش، أو اللفظ، أو الذهني، أو الخارجي؟ ليكون تحصيل المحصل على ما فرضه الشرف والرتبة.

ومن ثلاث عرفاً: وهي الموضوع، والغاية، والتعريف.

ومن اثنين عقلاً: وهما التصور بوجه ما ، والتصديق بفائدة ما

وفي المجمل فقد احتل المنطق عن النورسي بالحاشية والتعليقات مساحة ليست صغيرة في مؤلفاته ، ولم تلق العناية التي تحتاجها ، قد يكون لصعوبة علم المنطق ، قد يكون لعدم أهميته عند البعض ، أو لغياب فائدته وتدخله في سائر العلوم عند البعض ، أو كل ذلك جائز.

وفي النهاية ما يريد النورسي قوله أو ذكره في حديثه عن المنطق ، هو ضرورة الاشتغال به للعلماء لمعرفة: أنواع العلم الحادث ، وأنواع الدلالات الوضعية ، ومباحث الألفاظ ، والنسبة بين الألفاظ والمعاني ، والمعرفات ، والقضايا وأحكامها ، والمحرفات ، والتناقض ، وهذا أهم ما دار في حاشيته على السلم الأخصري.

وفي تعليقاته على الكلبيوي ، ذكر بعد المقدمات: الكلي والجزئي ، في الذاتي والعرضي ، وفي الحدود، والقضايا، والقضية الحملية ، والعدول والتحصيل ، والقضية الشرطية ، والعكس ، وعكس النقيض ، وأخيراً في الأدلة والحجج والبراهين.

الخطبة الشامية

وهذه الرسالة التي ألفها بديع الزمان النورسي باللغة العربية، قد أُلقيت درسا في الجامع الأموي بدمشق، وذلك بناء على إصرار العلماء هناك، واستمع إليها ما يقرب من عشرة آلاف شخص، بينهم ما لا يقل عن مائة من كبار علماء الشام، والعجيب أن الخطبة ما زالت صالحة لإصلاح الخلل في زماننا الحالي، فكأنه يلقيها لنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقد اشتملت الرسالة على مقدمة وموضوعات رئيسة قد نقحها النورسي بعد ذلك، فجاءت الخطبة الشامية محتوية على موضوعات موجزة بمثابة تلخيص موضوعات رسائل النورسي وتراثه العظيم، وكلها في سبيل بناء الإيمان وتحقيقه، فتحدث عن أمراض الأمة الإسلامية، كما تحدث عن الأمل، واستعداد الإسلام للرفق المعنوي، واعتبار الإسلام التفكير فريضة إسلامية، والموانع التي حالت دون انتشار الإسلام، كما ضمنها شهادات أعداء الإسلام على عظمة الإسلام وعلى شموله، كما ضمنها استعداد الإسلام للتقدم المادي، كما ضمنها حقائق الإسلام ونصاعته، كما اشتملت الخطبة على الحرية الشرعية، والشهامة الإيمانية، والعزة الإسلامية... الخ.

والآن قد بدأت تبشير تحقق ما أخبر عنه تلوح في أفق العالم الإسلامي، بمعنى أن هذا

الدرس المهم ليس مجرد خطبة قديمة، قد عفا عليها الزمن، بل هو درس اجتماعي إسلامي،

يحتفظ بكامل جدته وطراوته وحقيقته طوال هذه الفترة، يهدف من خلالها إلى تجديد الدين، وإحياء دنيا الناس بنور الإيمان.

وآخر دعوانا الحمد لله ب العالمين

المحتويات

تقديم الكتاب: الأستاذ الدكتور أميد نجم الدين المفتي.....	6
الكلمات الافتتاحية؛.....	7
كلمة الشيخ علي القره داغي.....	7
كلمة الأستاذ الدكتور علي ارباش.....	10
كلمة الأستاذ الدكتور كاظم أويسال.....	13

مقالات المحور الأول: الإيمان في حياة الفرد

1. أثر الإيمان باليوم الآخر على الحياة الاجتماعية عند الإمام سعيد النورسيأ.م.د فلاح نجم عبد الله العاني.....	18
2. أثر الإيمان باليوم الآخر على حياة الفرد والمجتمع من خلال رسائل النور-دراسة عقديّة أ.د. عادل عبد الله حمد.....	58
3. أثر الإيمان على الفرد في ضوء رسائل النور دراسة تحليلية د. عبد اللطيف ياسين علي.....	94
4. أثر الإيمان في حياة الطفل وفقاً لرسائل النور دراسة نفسية واجتماعية مقارنة د. محمد عبد اللطيف.....	112
5. أثر الجهاد المعنوي في تحقيق أمن الأوطان د. عمر الفاروق أبوبكر.....	139
6. أسس إيمانية لتحقيق أمن الأمة واستقرارها قراءة في رسائل النور لبديع الزمان النورسي أ.د. فيروز عثمان صالح.....	152
7. أصول العروج إلى عرش الكمالات في رسائل النور للإمام النورسي البروفيسور د. يوسف ما ريكو.....	181
8. دور الإيمان في تحقيق سعادة الدارين -قراءة في رسائل النور - حدة ميهوب. 203 دور الإيمان في سعادة الإنسان من خلال رسائل النور أ.م.د. سردار رشيد حمه صالح البنجويني.....	222
10. دور الإيمان في علاج الانحطاط الأخلاقي عند الإمام النورسي أ.د. بشير عبد الرزاق سلمان السامرائي.....	238
11. علاقة الإيمان بالأخلاق في ضوء فكر بديع الزمان النورسي من خلال رسائل النور د. محمد أرزؤ.....	265
12. علاقة الإيمان بالأخلاق من خلال رسائل النور أ.د. عبد الرحمن محمد ميغا.....	279
13. العلاقة بين الإيمان والأخلاق خلال دراسة كليات رسائل النور للإمام بديع الزمان سعيد النورسي أ.د. محمد مسيح الرحمن.....	296
14. مفاهيم الموت وأبدية الإنسان. طلحة نعمت الندوي.....	307
15. منهج بديع الزمان النورسي في علاج مشكلة القلق. د. محمد الهادي وناس.....	326
16. الوعي الإيماني وآثاره في تكوين شخصية المؤمن عند النورسي أ.د. محمد خليل جيجك.....	355

مقالات المحور الثاني: الإيمان في حياة المجتمع

1. أثار الإيمان في إصلاح السلوك من خلال رسائل النور المساجين أتمونجاً د. خير الله حسن محمد عبد الله الكاسكتاني..... 373
2. الإيمان حصن الأسرة وقلعتها المنيعه د. حبيبة أبو زيد..... 391
3. الإيمان وأثره في تأسيس السلام الاجتماعى دراسة تطبيقية على رسائل النور. أ.د. علي العشي ود. سالم المساهلي..... 403
4. الإيمان ومواجهة الإلحاد على ضوء رسائل النور دراسة حول النظر الاسمي والحرفي وأثرهما على قضية القيمة البيئية. محمد عصام الدين..... 428
5. الإيمان ودوره في تأسيس السلام الاجتماعى في فكر الإمام النورسي د. رشيد محمود رشيد..... 449
6. دور الإيمان في تعزيز الأمن الأسري عند الإمام النورسي د. حميد مسرار..... 468
7. سبل المحافظة على الإيمان في الأزمات - رؤية من خلال رسائل النور - د. زياد صالح حميد..... 489

مقالات المحور الثالث: دور الإيمان في تأسيس ثقافة التعايش رغم الاختلافات

1. أثر الإيمان على تحقيق التوازن الاقتصادي في حياة الفرد والمجتمع في ضوء رسالة الاقتصاد لبديع الزمان النورسي - د. باقى كريم شريف..... 515
2. الإيمان وفائدته في الوقاية من الجريمة في ضوء رسائل النور أ.م.د. عوض جدوع أحمد..... 553
3. دور الإيمان في ترسيخ بناء الحضارات - رؤية تحليلية في ضوء فكر بديع الزمان النورسي - أ.د. بونقزدام عمران. 585
4. دور الإيمان في ترسيخ القيم الإنسانية المشتركة من خلال 5. رسائل النور أ.م.د. حسن محمد إبراهيم..... 608
6. العلاقة بين الإيمان والتعصب الدينى من خلال رسائل النور أ.م.د. زكريا عبد الرحمن حمد..... 639
7. القيم الإنسانية في فكر النورسي مقارنة لتحقيق التعايش في مجتمع الأقليات (دراسة تطبيقية على مجتمع الأقلية في جنوب تايلاند) د. رشدي ظاهر..... 655

مقالات المحور الرابع: أساليب شرح مفاهيم الإيمان في رسائل النور

1. آراء الإمام النورسي في التربية الروحية وأثرها في نمو المتعلم د. لاسانا درامي..... 695
2. الإيمان المنقذ والمُنقذ وأبعاده المعرفية والوظيفية أ.د. عمار جيدل..... 722
3. البدائل الإيمانية في رسائل النور. دراسة تطبيقية لبعض المفاهيم والمصطلحات. أ.د. أميد نجم الدين جميل المفتي..... 754
4. رسائل النور بين الواقع المكتسب والمأمول المرتقب قراءة في نهج الأستاذ النورسي في التبليغ والإرشاد أ.د. عزيز محمد عثمان..... 780
5. سياقات التحميدات النورية بين الإيمان والقرآن والإسلام - دراسة تحليلية - د. فرهاد إبراهيم أكبر الشوانى... 801
6. منهج بديع الزمان النورسي في بناء الإيمان من خلال كتابه (رجة العلماء) د. اليماني عبد العزيز الفخراني . 824

يضم هذا الكتاب البحوث المقدمة باللغة العربية لفعاليات المؤتمر الثاني عشر لبديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله الموسوم بالإيمان في حياة الفرد والمجتمع وقد شارك في هذا المؤتمر العلمي باحثون من حوالي أربعين دولة فكانت الجلسات متفرقة بين اللغة العربية واللغة التركية واللغة الإنجليزية .

مؤسسة اسطنبول للثقافة والعلوم



İSTANBUL İLİM VE KÜLTÜR VAKFI

THE ISTANBUL FOUNDATION FOR SCIENCE AND CULTURE
مؤسسة اسطنبول للثقافة والعلوم



Kalenderhane Mah. Dedeefendi Cad. Cüce Çeşmesi Sk. No:6 34134
Vefa/Fatih İstanbul - Türkiye
Tel: +90 212 527 8181 / Fax: +90 212 527 8080
iikv@iikv.org

